الحافظ ابن كثير

البداية والنهاية

منشورات مكتبة المعارف بيروت

ابو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

البداية والنهاية

الجزء الثالث

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

بيروت - لبنان

مكتبة المعارف
ص . ب : ١٧٦١-١١
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

باب كيف بدأ الوحي

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أول شئ أنزل عليه من القرآن العظيم

كان ذلك وله (ص) من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثا وأربعين سنة .

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها، أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله و يتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء . فجاءه الملك فقال اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى فقال : [اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم] فرجع بها رسول الله (ص) يرجف

فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد . فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله (ص) خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى ، ياليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حياً ، إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله (ص) : « أوَ مُخرجىَّ هم ؟ » فقال : نعم . لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى . وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم يَنْشَب ورقة أن توفى وفتر الوحى[1] فترة . حتى حزن رسول الله (ص) ـ فيما بلغنا ـ حزناً غدا منه مراراً كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه تبدّى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه . فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا كمثل ذلك . قال فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له . مثل ذلك هكذا وقع مطولا فى باب التعبير من البخارى . قال ابن شهاب : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال — وهو يحدث عن فترة الوحى — فقال فى حديثه : « بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض . فرعبت منه . فرجعت فقلت : زملونى ، زملونى فأنزل الله (ياأيها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) فحمى الوحى وتتابع » ثم قال البخارى تابعه عبد الله بن يوسف ، وأبو صالح ، يعنى عن الليث ، وتابعه هلال بن داود عن الزهرى . وقال يونس ومعمر : ـ بوادره . وهذا الحديث قد رواه الامام البخارى رحمه الله فى كتابه فى مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولا فى أول شرح البخارى فى كتاب بدء الوحى اسناداً ومتناً ولله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث الليث به ، ومن طريق يونس ومعمر عن الزهرى كما علقه البخارى عنهما ، وقد رمزنا فى الحواشى على زيادات مسلم ورواياته ولله الحمد وانتهى سياقه الى قول ورقة : أنصرك نصراً مؤزراً .

(١) الى هنا رواية البخارى فى صحيحه مع اختلاف فى بعض الالفاظ لاتغير المعنى .

فقول أم المؤمنين عائشة .أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، يقوى ما ذكره محمد بن اسحاق بن يسار عن عبيد بن عمر الليثي أن النبي (ص) قال « فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : اقرأ ، فقلت ما اقرأ؟ فغتني ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني » وذكر نحو حديث عائشة سواء ، فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرحاً بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : في كتابه دلائل النبوة حدثنا محمد بن احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبه حدثنا حباب بن الحارث حدثنا عبد الله بن الأجلح عن ابراهيم عن علقمة بن قيس . قال : إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه وهو كلام حسن يؤيده ماقبله ويؤيده ما بعده .

عمره (ص) وقت بعثته وتاريخها

قال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن عامر الشعبي أن رسول الله (ص) نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنه ، فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشراً بمكة وعشراً بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنه . فهذا اسناد صحيح إلى الشعبي وهو يقتضي أن اسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل .

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فانه قد قال : وحديث عائشة لا ينافي هذا فانه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا . ثم وكل به اسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلقى اليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً إلى أن جاءه جبريل . فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات ، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع اسرافيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة اسرافيل .

وقال الامام احمد حدثنا يحيي بن هشام عن عكرمة عن ابن عباس أنزل على النبي (ص) وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشراً وبالمدينة عشراً . ومات وهو ابن ثلاث وستين ، وهكذا روى يحيى بن سعيد وسعيد بن المسيب ثم روى احمد عن غندر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعث رسول الله (ص) وأنزل عليه القرآن ، وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقال الامام

احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال أقام النبي (ص) بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله (ص) يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله (ص) : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » انتهى كلامه .

وانما كان رسول الله (ص) يحب الخلاء والانفراد عن قومه ، لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة ايحاء الله اليه صلوات الله وسلامه عليه . وقد ذكر محمد بن اسحاق عن عبد الملك بن عبد الله بن ابي سفيان بن العلاء بن حارثة ـ قال : وكان واعية ـ عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله (ص) يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه . وكان من نسك قريش في الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة . وهكذا روى عن وهب بن كيسان انه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك ، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وثورٍ ومَن أرْسَى ثَبِيراً مَكانَه ‏ ‏ ‏ ‏ وراقٍ لِيَرْقى في حِراءَ ونازِلِ

هكذا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمهم الله ، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه : وراق ليرقى في حر ونازل وهذا ركيك ومخالف للصواب والله أعلم .

وحراء يقصر ويمد ويصرف ويمنع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار إلى منى ، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية والغار في تلك الحنية وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج

فَلا وربِّ الآمِناتِ القُطَّنِ ‏ ‏ ‏ ‏ وربِّ رُكْنٍ من حِراءَ مُنْحنِي

وقوله في الحديث : والتحنث التعبد ، تفسير بالمعنى ، وإلا فحقيقة التحنث من حنث البنية(١) فيما قاله السهيلي الدخول في الحنث ولكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة ، معناها الخروج من ذلك الشيء كحنث أي خرج من الحنث وتحوب وتحرج وتأثم وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة وتنجس وتقذر أوردها أبو شامة . وقد سئل ابن الاعرابي عن قوله يتحنث أي يتعبد . فقال : لا أعرف هذا انما هو يتحنف من الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام . قال ابن هشام . والعرب تقول التحنث

(١) كذا في الحلبية وفي المصرية .

والتحنف يبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا جدف وجذف كما قال رؤبة :

* لو كان أحجارى مع الأجداف *

يريد الأجدات . قال وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول فُمَّ فى موضع ثمَّ . قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين وفومها أن المراد ثومها .

وقد اختلف العلماء فى تعبده عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا؟ وماذلك الشرع فقيل شرع نوح وقيل شرع ابراهيم وهو الأشبه الأقوى . وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به ، ولبسط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخر فى أصول الفقه والله أعلم .

وقوله حتى جئه الحق وهو بغار حراء أى جاء بغتة على غير موعد كما قال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك) الآية . وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهى (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وهى أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك فى التفسير وكما سيأتى أيضا فى يوم الاثنين كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله ص سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم انزل على فيه » وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد ص يوم الاثنين ، ونبئ يوم الاثنين وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء : انه عليه الصلاة والسلام أوحى اليه يوم الاثنين ، وهذا مالا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك فى شهر ربيع الأول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام ، فى الثانى عشر من ربيع الأول يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء ، والمشهور انه بعث عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان ، كما نص على ذلك عبيد بن عمير ، ومحمد بن اسحاق وغيرهما .

قال ابن اسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس) فقيل فى عشره . وروى الواقدى بسنده عن أبى جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداء الوحى إلى رسول الله ص يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل فى الرابع والعشرين منه .

قال الامام احمد :حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبى المليح عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ص قال : « أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » وروى ابن مردويه فى تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعا نحوه ، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

وأما قول جبريل (اقرأ) فقال : « ما أنا بقارئ » فالصحيح ان قوله « ما أنا بقارئ » نفى أى لست ممن يحسن القراءة . وممن رجحه النووى وقبله الشيخ أبو شامة . ومن قال إنها استفهامية فقوله بعيد لأن الباء لا تزاد فى الاثبات . ويؤيد الأول رواية أبى نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله (ص) — وهو خائف يرعد — « ما قرأت كتابا قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ » فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً . ثم تركه فقال : له اقرأ. فقال محمد (ص) « ما أرى شيئاً أقرأه ، وما أقرأ ، وما أكتب » يروى فغطنى كما فى الصحيحين وغتنى و يروى قد غتنى أى خنقنى « حتى بلغ منى الجهد » يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع . وفعل به ذلك ثلاثا .

قال أبو سليمان الخطابى: وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة ، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم وتأخذه الرحضاء أى البهر والعرق. وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمور : منها أن يستيقظ لعظمة ما يلقى اليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس . كما قال تعالى (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحى يحمر وجهه ويغط كما يغط البكر من الابل ويتفصد جبينه عرقا فى اليوم الشديد البرد .

وقوله فرجع بها رسول الله (ص) إلى خديجة يرجف فؤاده . وفى رواية : بوادره ، جمع بادرة قال أبو عبيدة : وهى لحمة بين المنكب والعنق . وقال غيره : هو عروق تضطرب عند الفزع وفى بعض الروايات ترجف بآدله واحدتها بادلة . وقيل بادل ؛ وهو ما بين العنق والترقوة وقيل أصل الثدى . وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك .

فقال : « زملونى زملونى » فلما ذهب عنه الروع قال لخديجة : « مالى ؟ أى شئ عرض لي ؟ » وأخبرها ما كان من الأمر . ثم قال : « لقد خشيت على نفسي » وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده قبل ذلك ، ولا كان فى خلده . ولهذا قالت خديجة : ابشر ، كلا والله لا يخزيك الله أبداً . قيل من الخزى ، وقيل من الحزن ، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد فى خلقه أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يخزى فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة . فقالت : إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث — وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق — وتحمل الكل . أى عن غيرك تعطى صاحب العيلة ما يريحه من ثقل مؤنة عياله — وتكسب المعدوم أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى اعطاء الفقير فتكسب حسنته قبل غيرك . ويسمى الفقير معدوما لأن حياته ناقصة . فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم :

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء

وقال أبو الحسن التهامي ، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم :

عدّ ذا الفقر ميّتاً وكساهُ كَفَناً بالياً ومأواه قبرا

وقال الخطابي . الصواب (وتكسب المعدم) أي تبذل اليه أو يكون تلبس العدم لعطية مالا يعيش به . واختار شيخنا الحافظ أبوالحجاج المزى أن المراد بالمعدوم هنا المال المعطى ، أى يعطى المال لمن هو عادمه . ومن قال إن المراد انك تكسب بتجارتك المال المعدوم ، أو النفيس القليل النظير ، فقد أبعد النجعه وأغرق في النزع وتكلف ما ليس له به علم ، فان مثل هذا لا يمدح به غالباً ، وقد ضعف هذا القول عياض والنووى وغيرهما والله أعلم .

وتقرى الضيف – أى تكرمه فى تقديم قراه ، واحسان مأواه . وتعين على نوائب الحق ويروى الخير ، أى إذا وقعت نائبة لأحد فى خير أعنت فيها ، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش ، وقوله : ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل . وكان شيخاً كبيراً قدعمى . وقد قدمنا طرفا من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله . وانه كان ممن تنصر فى الجاهلية ففارقهم وارتحل إلى الشام ، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش فتنصّروا كلهم ، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق ، إلاّ زيد بن عمرو بن نفيل فانه رأى فيه دخلا وتخبيطا وتبديلا وتحريفاً وتأويلا . فأبت فطرته الدخول فيه أيضا ، و بشروه الأحبار والرهبان بوجود نبى قد أزف زمانه واقترب أوانه ، فرجع يتطلب ذلك ، واستمر على فطرته وتوحيده . لكن احترمته المنية قبل البعثة المحمدية . وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسّمها فى رسول الله (ص) كما قدمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له ، وما هو منطو عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وماظهر عليه من الدلائل والآيات ، ولهذا لما وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله (ص) وجاءت به اليه فوقفت به عليه . وقالت : ابن عم اسمع من ابن أخيك ؛ فلما قص عليه رسول الله (ص) خبر ما رأى قال ورقة : سبُّوح سبُّوح : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى ، لأنه كانت شريعته متممة ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام ، ونسخت بعضها فى الصحيح من قول العلماء . كما قال (ولأحلّ لكم بعض الذى حرّم عليكم) . وقول ورقة هذا كما قالت الجن : [يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق إلى طريق مستقيم] . ثم قال ورقة : يا ليتنى فيها جذعا . أى ياليتنى أكون اليوم شابا متمكنا من الايمان والعلم النافع والعمل الصالح ، يا ليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك يعنى حتى أخرج معك وانصرك ؟ فعندها قال رسول الله (ص) : « أو مخرجىّ هم ؟ » قال السهيلى وانما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، فقال : نعم ! انه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن

يُدْرِكُني يومك أنصرك نصراً مؤزراً أى أنصرك نصراً عزيزاً أبداً. وقوله « ثم لم ينشب ورقة أن توفى » أى توفى بعد هذه القصة بقليل رحمه الله ورضى عنه ، فان مثل هذا الذى صدر عنه تصديق بما وجد وايمان بما حصل من الوحى ونية صالحة للمستقبل .

وقد قال الامام احمد حدثنا حسن عن ابن لهيعة حدثنى أبو الأسود عن عروة عن عائشة . أن خديجة سألت رسول الله (ص) عن ورقة بن نوفل فقال « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض » . وهذا اسناد حسن لكن رواه الزهرى وهشام عن عروة مرسلا فالله أعلم . وروى الحافظ أبو يعلى عن سريج بن يونس عن اسماعيل عن مجالد عن الشعبى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) سئل عن ورقة بن نوفل فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته فى بطنان الجنة وعليه السندس » . وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال « يبعث يوم القيامة امة وحده » . وسئل عن أبى طالب فقال : « أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحضاح منها » وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ـ فقال . « أبصرتها على نهر فى الجنة فى بيت من قَصَب لاصَخَب فيه ولا نصب » اسناد حسن ولبعضه سواهد فى الصحيح والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول الله (ص) : « لا تسبوا ورقة فانى رأيت له جنة أو جنتين » وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبى سعيد الأشج عن أبى معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة وهذا اسناد جيد . وروى مرسلا وهو أشبه .

وروى الحافظان البيهقى وأبو نعيم فى كتابيهما دلائل النبوة من حديث يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله (ص) قال لخديجة : « انى إذا خلوت وحدى سمعت نداء ، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر » قالت : معاذ الله ما كان ليفعل ذلك بك فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتَصْدُق الحديث . فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله (ص) ، ثم ذكرت له خديجة فقالت : يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة . فلما دخل رسول الله (ص) أخذ بيده أبو بكر . فقال : انطلق بنا إلى ورقة قال : « ومن اخبرك ؟ » قال خديجة فانطلقا اليه فقصا عليه . فقال رسول الله (ص) : « إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى يا محمد يا محمد فانطلق هارباً فى الأرض » . فقال له لا تفعل . إذا اتاك فاثبت ، حتى تسمع ما يقول لك ثم ائتنى فأخبرنى . فلما خلا ناداه يا محمد قل (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ (ولا الضالين) قل لا إله إلا الله . فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له ورقة : ابشر ثم ابشر . فأنا اشهد

إنك الذي بشر بك ابن مريم ، وإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك نبي مرسل ، وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك . فلما توفي . قال رسول الله ﷺ : « لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني » يعني ورقة . هذا لفظ البيهقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل . وقد قدمنا من شعره ما يدل على إضمار الإيمان وعقده عليه وتأكده عنده ، وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة ، وكيف كانت الغمامة تظلله في هجير القيظ . فقال ورقة في ذلك أشعاراً قدمناها قبل هذا ، منها قوله :

لججت وكنت في الذكرى لجوجاً   لهمٍّ طالما بعث النشيجا
ووصفٍ من خديجة بعد وصفٍ   فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي   حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قسٍّ   من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا   ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نورٍ   يقيم به البرية أن [(١)] تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً   ويلقى من يسالمه فلوجا
فياليتي إذا ما كان ذاكم   شهدت وكنت أولهم ولوجا
ولو كان الذي كرهت قريش   ولو عجت بمكتها عجيجا
أرجي بالذي كرهوا جميعاً   إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا
فإن يبقوا وأبق يكن أموراً   يضج الكافرون لها ضجيجا

وقال أيضاً في قصيدته الأخرى :

وأخبار صدقٍ خبرت عن محمدٍ   يخبرها عنه إذا غاب ناصح
بأن ابن عبد الله أحمد مرسلٌ   إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقاً   كما أرسل العبدان هودٌ وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له   بهاءٌ ومنشورٌ من الذكر [(٢)] واضح
ويتبعه حيا لؤي بن غالبٍ   شبابهم والأشيبون الجحاجح
فإن أبق حتى يدرك الناس دهره   فإني به مستبشر الود فارح
وإلا فإني يا خديجة فاعلمي   عن أرضك في الأرض العريضة سائح

(١) وردت في السيرة لابن هشام : أن تعوجا . مع بعض اختلاف في بعض الألفاظ .
(٢) في الحلبية : من الذكر واضح .

وقال يونس من بكير عن ابن اسحاق قال ورقة :

فان يكُ حقاً يا خديجةُ فاعلمي حديثُكِ إيّانا فأحمدُ مرسَل

وجبريلُ يأتيه وميكالُ معْهُما من اللهِ وحيٌ يشرحُ الصّدرَ مُنْزَل

يفوزُ به مَن فازَ فيها بتوبةٍ ويشقى به العاني الغريرُ المضلَّل

فريقان منهمْ فرقةٌ في جِنانهِ وأُخرى بأحوازِ الجحيمِ تَغلَّل

اذا ما دَعوا بالويلِ فيها تتابعتْ مقامعُ في هاماتهمْ ثمّ تشعل

فسُبحانَ من يُهوي الرياحَ بأمره ومن هو في الأيام ما شاءَ يفعل

ومَن عرشُه فوق السمواتِ كلِّها واقضاؤه في خَلْقِه لا تُبدَّل

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجالِ وصَرْفِ الدهرِ والقدرِ وما لشيءٍ قضاهُ اللهُ من غِيَرِ

حتى خديجةُ تدعوني لأُخبرَها أمراً أراهُ سيأتي الناسَ من أخر

وخبَّرتني بأمرٍ قد سمِعتُ به فيما مضى من قديمِ الدهرِ والعُصُر

بأنّ احمدَ يأتيه فيخبرُه جبريلُ انّكَ مبعوثٌ إلى البَشَر

فقلتُ علَّ الذي ترجين يُنجزُه لكِ الالهُ فرجّي الخيرَ وانتظري

وأَرسليه إلينا كي نُسائلَهُ عن أمرِه ما يرى في النوم والسَّهَر

فقالَ حين أتانا مَنطِقاً عجباً يقفُّ منه اعالي الجلدِ والشَّعَر

إني رأيتُ امينَ الله واجَهني في صورةٍ أُكملتْ من أعظمِ الصور

ثم استمر فكاد الخوفُ يُذعِرني مما يسلّمُ مِنْ حولي من الشجر

فقلتُ ظَنّي وما ادري أيصدُقني ان سوفَ يُبعَثُ يتلو مُنْزَلَ السُّوَر

وسوف يبليك ان اعلنتَ دعوتَهم من الجهادِ بلا منٍّ ولا كَدَر

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من الدلائل وعندي في صحتها عن ورقة نظر والله أعلم

وقال ابن اسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي — وكان داعية — عن بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب عنه ويفضي الى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يارسول الله . قال فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان قال ابن اسحاق وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال

سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثى حدثنا يا عبيد كيف كان بدو ما ابتدئ به رسول الله (ص) من النبوة حين جاءه جبريل قال فقال عبيد وأنا حاضر ـ يحدث عبدالله ابن الزبير ومن عنده من الناس ـ : كان رسول الله (ص) يجاور فى حراء فى كل سنة شهراً يتحنث قال وكان ذلك مما يحبب به قريش فى الجاهلية والتحنث التبرر فكان رسول الله (ص) يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها وذلك الشهر رمضان خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى قال رسول الله (ص) . « فجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ؟ قلت ما اقرأ؟ قال فغتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أقرأ ؟ قال فغتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى ، فقال اقرأ قلت ما اقرأ ؟ قال فغتنى حتى ظننت به الموت ثم أرسلنى . فقال اقرأ قلت ماذا اقرأ ما أقول ذلك ألا افتدا منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى فقال : [اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم] . قال فقرأتها ثم انتهى وانصرف عنى وهببت من نومى فكأنما كتب فى قلبى كتابا . قال فخرجت حتى اذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسى إلى السماء فأنظر فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فما أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا مكة ورجعوا اليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا اليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلى ثم حدثتها بالذى رأيت . فقالت أبشر يا ابن العم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده انى لارجو أن تكون نبى هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله (ص) . فقال ورقة : قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وأنه لنبى هذه الأمة ، وقولى له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله (ص) فاخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله (ص) جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف

بالكعبة فقال يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت فأخبره فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله ص ، إلى منزله » . وهذا الذى ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضى الله عنها فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه فى اليقظة صبيحة ليلتئذ ويحتمل أنه كان بعده بمدة والله أعلم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال وكان فيما بلغنا أول ما رأى يعنى رسول الله ص ، أن الله تعالى أراه رؤيا فى المنام فشق ذلك عليه فذكرها لامرأته خديجة فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت أبشر فان الله لم يصنع بك إلا خيراً ثم إنه خرج من عندها ثم رجع اليها فاخبرها أنه رأى بطنه شق ثم غسل وطهر ثم أعيد كما كان قالت هذا والله خير فابشر ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فاجلسه على مجلس كريم معجب كان النبى ص ، يقول أجلسنى على بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن رسول الله ص ، فقال له جبريل اقرأ فقال كيف اقرأ فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » . قال ويزعم ناس أن « يا أيها المدثر » أول سورة نزلت عليه والله أعلم . قال فقبل رسول الله ص ، رسالة ربه واتبع ما جاءه به جبريل من عند الله فلما انصرف منقلبا إلى بيته جعل لا يمرُّ على شجر ولا حجر إلا سلم عليه فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيما فلما دخل على خديجة قال أرأيتك التى كنت حدثتك أنى رأيته فى المنام فانه جبريل استعلن إلىّ أرسله إلىّ ربى عز وجل وأخبرها بالذى جاءه من الله وما سمع منه فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً واقبل الذى جاءك من أمر الله فانه حق وأبشر فانك رسول الله حقاً . ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له عداس فقالت له يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتنى هل عندك علم من جبريل فقال : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التى أهلها أهل الأوثان . فقالت : أخبرنى بعلمك فيه . قال فانه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام . فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من أمر النبى ص ، وما ألقاه اليه جبريل . فقال لها ورقة . يا بنية أخى ما أدرى لعل صاحبك النبى الذى ينتظر أهل الكتاب الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، وأقسم بالله لإن كان إياه ثم

أظهر دعواه وأنا حيٌّ لأبلين الله فى طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر . فمات ورقة رحمه الله . قال الزهرى فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله (ص) . قال الحافظ البيهقى بعد إيراده ما ذكرناه والذى ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به فى صباه يعنى شق بطنه عند حليمة ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء والله أعلم .

وقد (١) ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة ورقة باسناده إلى سليمان بن طرخان التيمى . قال : بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولا على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شىء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقص ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : ابشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً فبينما هو ذات يوم فى حراء وكان يفر اليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه فخافه رسول الله (ص) مخافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه . فقال : اللهم احطط وزره ، واشرح صدره ، وطهر قلبه ، يامحمد ابشر ! فانك نبى هذه الأمة . اقرأ فقال له نبى الله : وهو خائف يرعد ـ ما قرأت كتابا قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً ثم تركه ثم قال له اقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له : (إقرأ باسم ربك الذى خلق) الآيات ثم قال له لا تخف يامحمد إنك رسول الله ثم انصرف وأقبل على رسول الله (ص) همه فقال كيف أصنع وكيف أقول لقومى ثم قام رسول الله (ص) وهو خائف فأتاه جبريل من امامه وهو فى صعرته فرأى رسول الله (ص) أمراً عظيما ملأ صدره فقال له جبريل لا تخف يا محمد جبريل رسول الله جبريل رسول الله الى أنبيائه ورسله فأيقن بكرامة الله فانك رسول الله فرجع رسول الله (ص) لا يمر على شجر ولا حجر الا هو ساجد يقول السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة ابصرت ما بوجهه من تغير لونه فأفزعها ذلك ، فقامت اليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم فقال يا خديجة أرأيت الذى كنت أرى فى المنام والصوت الذى كنت اسمع فى اليقظة واهال منه فانه جبريل قد استعلن لى وكلمنى واقرأنى كلاماً فزعت منه ثم عاد الى فأخبرنى انى نبى هده الأمة فأقبلت راجعاً فأقبلت على شجر وحجارة فقلن السلام عليك يا رسول الله . فقالت خديجة : ابشر فوالله لقد كنت اعلم ان الله لن يفعل بك الا خيراً واشهد انك نبى هده الأمة الذى تنتظره اليهود قد اخبرنى به ناصح غلامى وبحيرى الراهب وامرنى ان أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل برسول الله (ص) حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريبا من مكة فلما دنت منه وعرفها .

(١) من هنا الى وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ ساقط من النسخة المصريه .

قال : مالك يا سيدة نساء قريش ؟ فقالت : أقبلت اليك لتخبرنى عن جبريل فقال سبحان الله ربنا القدوس ما بال جبريل يذكر فى هذه البلاد التى يعبد أهلها الاوثان جبريل أمين الله ورسوله الى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى،فعرفت كرامة الله لمحمد ثم أتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له عداس فسألته فاخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد . قال : جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذى أيده الله به . ثم قامت من عنده فاتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك ثم سألها ما الخبر فاحلفته أن يكتم ما تقول له فحلف لها فقالت له إن ابن عبد الله ذكر لى وهو صادق أحلف بالله ما كذب ولا كذب أنه نزل عليه جبريل بحراء وأنه أخبره أنه نبى هذه الامة وأقرأه آيات أرسل بها . قال : فذعر ورقة لذلك وقال لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الارض لقد نزل على خير أهل الارض وما نزل إلا على نبى وهو صاحب الانبياء والرسل برسله الله اليهم وقد صدقتك عنه فارسلى إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدثه فانى أخاف أن يكون غير جبريل فان بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بنى آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدلها مجنونا . فقامت من عنده وهى واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً فرجعت إلى رسول الله (ص) فاخبرته بما قال ورقة فانزل الله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » الآيات . فقال لها : كلا والله إنه لجبريل فقالت له أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه فجاءه رسول الله (ص) فقال له ورقة هذا الذى جاءك جاءك فى نور أو ظلمة فاخبره رسول الله (ص) عن صفه جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه اليه . فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشيء تبلغه قومك وانه لأمر نبوة فان أدرك زمانك أتبعك ثم قال أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به . قال : وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله (ص) ، فشق ذلك على الملأ من قومه قال وفتر الوحى . فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله قلاه فانزل الله والضحى وألم نشرح بكمالها.

وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثنى اسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله (ص) ، فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك . فقال نعم ! فقالت : إذا جاءك فاخبرنى . فبينا رسول الله (ص) عندها إذ جاء جبريل فرآه رسول الله (ص) . فقال . يا خديجة ! هذا جبريل فقالت ! أتراه الآن قال نعم ! قالت فاجلس إلى شقى الايمن فتحول فجلس فقالت أتراه الآن قال نعم ! قالت فتحول فاجلس فى حجرى فتحول فجلس فى حجرها فقالت هل تراه الآن قال نعم ! فحسرت رأسها فقالت

خمارها ورسول الله (ص) جالس فى حجرها فقالت هل تراه الآن قال لا قالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق .

قال ابن اسحاق فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت أمى فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنى سمعتها تقول أدخلت رسول الله (ص) بينها و بين درعها فذهب عندك ذلك جبريل عليه السلام . قال : البيهقى وهذا شئ كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطا لدينها وتصديقا . فاما النبي (ص) فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التى ذكرناها مرة بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه (ص) تسليما .

وقد قال مسلم فى صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابراهيم بن طهمان حدثنى سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضى الله عنه . أن رسول الله (ص) قال : « إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن بعث إنى لأعرفه الآن » . وقال أبو داود الطيالسى حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أن رسول الله (ص) قال : « إن بمكة لحجراً كان يسلم على ليالى بعثت إنى لأعرفه إذا مررت عليه » . وروى البيهقى من حديث اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن عباد بن عبد الله عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال : كنا مع رسول الله (ص) بمكة فخرج فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله . وفى رواية لقد رأيتنى أدخل معه الوادى فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه .

فصل

قال البخارى فى روايته المتقدمة ثم فتر الوحى حتى حزن النبى (ص) فيما بلغنا حزنا غدا منه مراراً كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أو فى بذروة جبل لكى يلقى نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك . وفى الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال سمعت أباسلمة عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله (ص) يحدث عن فترة الوحى قال : فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فاذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء فجئثت منه فرقا حتى هويت إلى الارض فجئت أهلى فقلت زملونى زملونى فانزل الله : « ياأيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » قال ثم حمى الوحى وتتابع فهذا كان أول ما نزل من القرآن

بعد فترة الوحى لا مطلقا ، ذاك قوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل (يا أيها المدثر) واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فان فى سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذى عرفه ثانياً بما عرفه به أولا اليه . ثم قوله : يحدث عن فترة الوحى دليل على تقدم الوحى على هذا الايحاء والله أعلم . وقد ثبت فى الصحيحين من حديث على بن المبارك وعند مسلم والاوزاعى كلاهما عن يحيى بن أبى كثير قال سألت أبا سلمه بن عبد الرحمن أى القرآن أنزل قبل . فقال : (يا أيها المدثر) فقلت (واقرأ باسم ربك) فقال سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أنزل قبل فقال (يا أيها المدثر) فقلت (واقرأ باسم ربك) فقال قال رسول الله (ص) « إنى جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى فنوديت فنظرت بين يدى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أر شيئا ثم نظرت إلى السماء فاذا هو على العرش فى الهواء فاخذتنى رعدة ـ أو قال وحشة ـ فاتيت خديجة فامرتهم فدثرونى فانزل الله : (يا أيها المدثر) حتى بلغ (وثيابك فطهر) — وقال فى رواية — فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فجثيت منه » وهذا صريح فى تقدم اتيانه اليه وانزاله الوحى من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم . ومنهم زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحى سورة (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها . قاله محمد بن اسحاق . وقال بعض القراء : ولهذا كبر رسول الله (ص) فى أولها فرحا وهو قول بعيد يرده ما تقدم من رواية صاحبى الصحيح من أن أول القرآن نزولا بعد فترة الوحى : (يا أيها المدثر قم فانذر) ولكن نزلت سورة والضحى بعد فترة أخرى كانت ليالى يسيرة كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث الاسود بن قيس عن جندب بن عبد الله البجلى قال : اشتكى رسول الله (ص) فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثا فقالت امرأة ما أرى شيطانك الا تركك فانزل الله (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) وبهذا الأمر حصل الارسال إلى الناس وبالاول حصلت النبوة . وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريبا من سنتين أو سنتين ونصفا ، والظاهر والله أعلم أنها المدة التى اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبى وغيره ، ولا ينفى هذا تقدم ايحاء جبريل اليه أولا (اقرأ باسم ربك الذى خلق) ثم اقترن به جبريل بعد نزول (يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) ثم حمى الوحى بعد هذا وتتابع — أى تدارك شيئا بعد شيء — وقام حينئذ رسول الله (ص) فى الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والاحرار والعبيد ، فآمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد ، فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، ومن الغلمان على بن أبى طالب ، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام ، ومن الموالى مولاه زيد بن حارثة الكلبى رضى

الله عنهم وأرضاهم . وتقدم الكلام على ايمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحى ومات فى الفترة رضى الله عنه .

فصل

﴿ فى منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولوحرفا واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق ﴾

وكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجبهم عن السماء كما قال الله تعالى إخباراً عنهم فى قوله :[وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ، وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشداً] . وقال تعالى . (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) . قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن احمد ـ وهو الطبرانى ـ حدثنا عبد الله بن محمد ابن سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابى حدثنا إسرائيل عن أبى اسحاق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس . قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحى فاذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فاما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فتكون باطلا ، فلما بعث النبى (ص) منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس هذا لأمر قد حدث فى الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله (ص) قائما يصلى بين جبلين فاتوه فاخبروه فقال هذا الأمر الذى قد حدث فى الأرض . وقال أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : انطلق رسول الله (ص) وأصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم ؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك إلا من شئ حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : (يا قومنا انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) فاوحى الله إلى نبيه (ص) (قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن) الآية. أخرجاه فى الصحيحين وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع فاذا نزل الوحى سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديدة القيتها على الصفا ، قال فاذا سمعت الملائكة خروا سجداً فلم يرفعوا رؤسهم

حتى ينزل فاذا نزل قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فان كان مما يكون فى السماء قالوا الحق وهو العلى الكبير ، وإن كان مما يكون فى الأرض من أمر الغيب أو موت أو شئ مما يكون فى الارض تكلموا به فقالوا يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم فلما بعث النبى محمد (ص) دحروا بالنجوم فكان أول من علم بها ثقيف فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة وذا الابل فينحر كل يوم بعيراً فاسرع الناس فى أموالهم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فان كانت النجوم التى يهتدون بها و إلا فانه لأمر حدث فنظروا فاذا النجوم التى يهتدى بها كما هى لم يزل منها شئ فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا وانطلقت الشياطين إلى ابليس فاخبروه فقال هذا حدث حدث فى الأرض فأتونى من كل أرض بتربة فأتوه بتربة تهامة فقال ههنا الحدث. ورواه البيهقى والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب وقال الواقدى : حدثنى أسامة بن زيد بن أسلم عن عمر بن عبدان العبسى عن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله (ص) فرمى بها فرأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يسيبون أنعامهم و يعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ففعلت ثقيف مثل ذلك فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف . قال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا رمى بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء فقال إن افادة المال بعد ذهابه شديد فلا تعجلوا وانظروا فان تكن نجوما تعرف فهو عندنا من فناء الناس و إن كانت نجوما لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فاذا هى لا تعرف فاخبروه فقال الأمر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبى . فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله فجاء عبد ياليل فذاكره أمر النجوم فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبى مرسل فقال عبد ياليل فعند ذلك رمى بها وقال سعيد بن منصور عن خالد بن حصين عن عامر الشعبى . قال كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث رسول الله (ص) فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم . فقال عبد ياليل . أنظروا فان كانت النجوم التى تعرف فهو عند فناء الناس و إن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فاذا هى لا تعرف . قال : فامسكوا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبى (ص) . وروى البيهقى والحاكم من طريق العوفى عن ابن عباس قال : لم تكن سماء الدنيا تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه . فلعل مراد من نفى ذلك انها لم تكن تحرس حراسة شديدة و يجب حمل ذلك على هذا لما ثبت فى الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما بينا رسول الله (ص) جالس إذ رمى بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رمى بهذا ؟ » قال كنا نقول مات عظيم ، وولد عظيم فقال : « لا ولكن » . وذكر الحديث كما تقدم عند خلق

السماء وما فيها من الكواكب فى أول بدء الخلق ولله الحمد .

وقد ذكر ابن اسحاق فى السيرة قصة رمى النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم فى النظر فى النجوم : إن كانت أعلام السماء أو غيرها ولكن سماه عمرو بن أمية فالله أعلم . وقال السدى لم تكن السماء تحرس الا أن يكون فى الارض نبى أو دين لله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمد (ص) قد اتخذت المقاعد فى سماء الدنيا يستمعون ما يحدث فى السماء من أمر فلما بعث الله محمداً (ص) نبيا رجموا ليلة من الليالى ، ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا : هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار فى السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ، و يسيبون مواشيهم . فقال لهم عبد يا ليل بن عمرو ابن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف امسكوا عن أموالكم وانظروا الى معالم النجوم فان رأيتموها مستقرة فى أمكنتها فلم يهلك أهل السماء وإنما هو من ابن أبى كبشة ، و إن انتم لم تروها فقد أهلك اهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم وفزعت الشياطين فى تلك الليلة فاتوا ابليس فقال ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله (ص) فى المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم أسلموا فانزل الله أمرهم على نبيه (ص) . وقال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح عن ابن أبى حكيم ـ يعنى اسحاق ـ عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال : لما بعث رسول الله (ص) أصبح كل صنم منكساً فاتت الشياطين فقالوا له ما على الارض من صنم إلا وقد أصبح منكسا ، قال هذا نبى قد بعث فالتمسوه فى قرى الارياف فالتمسوه فقالوا لم نجده فقال أنا صاحبه فخرج يلتمسه فنودى عليك بجنبة الباب ـ يعنى مكة ـ فالتمسه بها فوجده بها عند قرن الثعالب فخرج إلى الشياطين فقال : إنى قد وجدته معه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : نزين الشهوات فى عين أصحابه ونحببها اليهم قال فلا آسى إذا . وقال الواقدى حدثنى طلحة بن عمرو عن ابن أبى مليكة عن عبد الله بن عمرو قال لما كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله (ص) منعت الشياطين من السماء و رموا بالشهب فجاؤا إلى ابليس فذكروا ذلك له فقال : أمر قد حدث هذا نبى قد خرج عليكم بالارض المقدسة مخرج بنى اسرائيل قال فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا اليه فقالوا ليس بها أحد فقال ابليس أنا صاحبه فخرج فى طلبه بمكة فاذا رسول الله (ص) بحراء منحدراً معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال قد بعث احمد ومعه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحببها إلى الناس قال فذاك إذا . قال الواقدى : وحدثنى طلحة ابن عمرو عن عطاء عن ابن عباس . قال : كانت الشياطين يستمعون الوحى فلما بعث محمد (ص) منعوا فشكوا ذلك إلى ابليس فقال : لقد حدث أمر فرقى فوق أبى قبيس ـ وهو أول جبل وضع على وجه الأرض ـ فرأى رسول الله (ص) يصلى خلف المقام . فقال : اذهب فاكسر عنقه . فجاء يخطر

وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضة طرحه فى كذا وكذا فولى الشيطان هاربا . ثم رواه الواقدى وأبو احمد الزبيرى كلاهما عن رباح بن أبى معروف عن قيس بن سعد عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال فركضه برجله فرماه بعدن .

فصل

فى كيفية اتيان الوحى إلى رسول الله (ص)

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل فى أول مرة ، وثانى مرة أيضا وقال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها . إن الحارث بن هشام سأل رسول الله (ص) . قال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال : « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ـ وهو أشده علىّ ـ فيفصم عنى وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا يكلمنى فاعى ما يقول » . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته (ص) ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقا أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك به . ورواه الامام احمد عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة به نحوه . وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروه ، وقد رواه أيوب السختيانى عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال سألت رسول الله (ص) فقلت كيف يأتيك الوحى ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة . وفى حديث الافك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله (ص) ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو فى يوم شات من ثقل الوحى الذى نزل عليه . وقال الأمام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنى يونس بن سليم قال املى على يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القارى سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله (ص) الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل ، وذكر تمام الحديث فى نزول (قد أفلح المؤمنون) وكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائى : منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه . وفى صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن عن حطان ابن عبد الله الرقاشى عن عبادة بن الصامت . قال : كان رسول الله (ص) إذا نزل عليه الوحى كرب ذلك وتربد وجهه ـ وفى رواية وغمض عينيه ـ وكنا نعرف ذلك منه . وفى الصحيحين حديث زيد ابن ثابت حين نزلت (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت (غير أولى الضرر) . قال وكانت فخذ رسول الله (ص) على فخذى وأنا أكتب فلما نزل الوحى كادت فخذه ترض فخذى . وفى صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى عن عطاء عن يعلى بن أمية . قال قال

لى عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى اليه ؟ فوقع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى اليه بالجعرانة ، فاذا هو محمر الوجه . وهو يغط كما يغط البكر . وثبت فى الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب ، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلا ، فقال عمر : قد عرفناك يا سودة فرجعت إلى رسول الله (ص) فسألته وهو جالس يتعشى والعرق فى يده ، فأوحى الله اليه والعرق فى يده ، ثم رفع رأسه فقال : « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » . فدل هذا على أنه لم يكن الوحى يغيب عنه احساسه بالكلية ، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه دائما عليه . وقال أبو داواد الطيالسى حدثنا عباد بن منصور حدثنا عكرمه عن ابن عباس . قال : كان رسول الله (ص) اذا أنزل عليه الوحى تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم . وفى مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة حدثنى يزيد ابن أبى حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله هل تحس بالوحى؟ قال « نعم اسمع صلاصل ثم أثبت عند ذلك ، وما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تفيظ منه » . وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا ابراهيم بن الحجاج حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم بن كليب حدثنا أبى عن خاله العليان بن عاصم . قال : كنا عند رسول الله (ص) فأنزل عليه ، وكان اذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحة ، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل . وروى أبو نعيم من حديث قتيبة حدثنا على بن غراب عن الاحوص بن حكيم عن أبى عوانة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة . قال : كان رسول الله (ص) اذا نزل عليه الوحى صدع وغلف رأسه بالحناء . هذا حديث غريب جدا وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية سنان عن ليث عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد . قالت : إنى لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله (ص) ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة . وقد رواه أبو نعيم من حديث الثورى عن ليث بن أبى سليم به . وقال الامام احمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنى حيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال : أنزلت على رسول الله (ص) سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها . وروى ابن مردويه من حديث صباح ابن سهل عن عاصم الاحول حدثتنى أم عمرو عن عمها انه كان فى مسير مع رسول الله (ص) فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها . وهذا غريب من هذا الوجه . ثم قد ثبت فى الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله (ص) مرجعه من الحديبية ، وهو على راحلته ، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم . وقد ذكرنا انواع الوحى اليه (ص) فى أول شرح البخارى وما ذكره الحليمى وغيره من الائمة رضى الله عنهم .

فصل

قال الله تعالى : (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) وقال تعالى : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ، وقل رب زدنى علما) وكان هذا فى الابتداء ، كان عليه السلام من شدة حرصه على اخذه من الملك ما يوحى اليه عن الله عز وجل ليساوقه فى التلاوة ، فامره الله تعالى ان ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحى ، وتكفل له ان يجمعه فى صدره ، وان ييسر عليه تلاوته وتبليغه ، وان يبينه له ، ويفسره ويوضحه ويوقفه على المراد منه . ولهذا قال . (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما) وقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) اى فى صدرك (وقرآنه) أى وأن تقرأه (فاذا قرأناه) أى تلاه عليك الملك (فاتبع قرآنه) أى فاستمع له وتدبره (ثم إن علينا بيانه) وهو نظير قوله (وقل رب زدنى علما) . وفى الصحيحين من حديث موسى بن ابى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله (ص) يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك شفتيه ، فانزل الله (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل .

فصل

قال ابن اسحاق : ثم تتابع الوحى إلى رسول الله (ص) وهو مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله ـ على رضا العباد وسخطهم ـ وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاؤا به عن الله عز وجل فمضى رسول الله (ص) على ما أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والاذى .

قال ابن اسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره ، وكانت اول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء منه فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن اسحاق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر . قال قال رسول الله (ص) : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب ، لاصخب فيه ولا نصب » . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث هشام . قال ابن هشام : القصب هاهنا اللؤلؤ المجوف .

قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) يذكر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سراً إلى من يطمئن اليه من أهله . وقال موسى بن عقبة عن الزهري : كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ، قبل أن تفرض الصلاة .

قلت : يعني الصلوات الخمس ليلة الاسراء . فأما أصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضى الله عنها كما سنبينه .

وقال ابن اسحاق : وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله ، وصدق بما جاء به . ثم ان جبريل أتى رسول الله (ص) حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء زمزم ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجدات ، ثم رجع النبي (ص) وقد أقر الله عينه ، وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها الى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات ، ثم كان هو وخديجة يصليان سراً .

قلت . صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين ، فبين له أوقات الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فان ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الاسراء ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله و به الثقة ، وعليه التكلان

فصل

أول من اسلم من متقدمي الاسلام والصحابة وغيرهم

قال ابن اسحاق : ثم إن علي بن ابي طالب رضى الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان . فقال علي يا محمد ما هذا ؟ قال دين الله الذي اصطفى لنفسه ، و بعث به رسله ، فادعوك إلى الله وحده لا شريك له ، و إلى عبادته وأن تكفر باللات والعزى . فقال علي : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب . فكره رسول الله (ص) أن يفشي عليه سره قبل ان يستعلن امره . فقال له : يا علي إذ لم تسلم[1] فاكتم . فمكث عليّ تلك الليلة ، ثم إن الله اوقع في قلب علي الاسلام ، فاصبح غاديا إلى رسول الله (ص) حتى جاءه فقال ماذا عرضت علي يا محمد ؟ فقال له رسول الله (ص) . « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الانداد » ففعل عليّ واسلم ، ومكث يأتيه على خوف من ابي طالب وكتم على اسلامه ولم يظهره ، وأسلم ابن حارثة — يعني زيداً — فمكثا قريباً من شهر يختلف علي إلى رسول الله (ص) ، وكان

(١) في المصرية : اذ لم تسمع فاكتم .

مما أنعم الله به على علىّ أنه كان فى حجر رسول الله (ص) قبل الاسلام .

قال ابن اسحاق : حدثنى ابن أبى نجيح عن مجاهد . قال : وكان مما أنعم الله به على علىّ أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله (ص) لعمه العباس - وكان من أيسر بنى هاشم - « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة ، فانطلق حتى نخفف عنه من عياله » فاخذ رسول الله (ص) عليا فضمه اليه ، فلم يزل مع رسول الله (ص) حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علىّ وآمن به وصدقه . وقال يونس بن بكير عن محمد ابن اسحاق حدثنى يحيى بن أبى الاشعث الكندى - من أهل الكوفة - حدثنى اسماعيل بن أبى إياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف - وكان عفيف أخا الاشعث بن قيس لأمه - أنه . قال : كنت امرءاً تاجراً فقدمت منى أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرءاً تاجراً ، فاتيته ابتاع منه وابيعه ، قال فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلى تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت تصلى ، وخرج غلام فقام يصلى معه . فقلت : ياعباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندرى ما هو فقال : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه على بن أبى طالب آمن به . قال عفيف فليتنى كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانيا . وتابعه ابراهيم بن سعد عن ابن اسحاق ، وقال : فى الحديث : إذ خرج رجل من خباء قريب منه ، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلى . ثم ذكر قيام خديجة وراءه . وقال ابن جرير حدثنى محمد بن عبيد المحاربى حدثنا سعيد بن خثيم عن أسد ابن عبدة البجلى عن يحيى بن عفيف . قال : جئت زمن الجاهلية إلى مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلقت فى السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجدا معه ، فقلت ياعباس أمر عظيم ! فقال أمر عظيم . فقال أتدرى من هذا ؟ فقلت لا ، فقال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى ، أتدرى من الغلام ؟ قلت لا . قال هذا على ابن أبى طالب - رضى الله عنه - أتدرى من هذه المرأة التى خلفهما ؟ قلت لا ، قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخى . وهذا حدثنى أن ربك رب السماء والارض أمره بهذا الذى تراهم عليه ، وايم الله ما أعلم على ظهر الارض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . وقال ابن جرير حدثنى ابن حميد حدثنا عيسى بن سوادة بن ابى الجعد حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبى عبد الرحمن وأبو حازم والكلبى . قالوا : على أول من أسلم . قال الكلبى : اسلم وهو ابن تسع سنين وحدثنا

ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن اسحاق . قال : أول ذكر آمن برسول الله (ص) وصلى معه وصدقه علي بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله (ص) قبل الاسلام . قال الواقدي أخبرنا ابراهيم عن نافع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : أسلم عليّ وهو ابن عشر سنين قال الواقدي : واجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله بسنة . وقال محمد بن كعب أول من أسلم من هذه الامة خديجة وأول رجلين اسلما أبو بكر وعلي ، وأسلم عليّ قبل أبي بكر ، وكان علي يكتم إيمانه خوفا من أبيه ، حتى لقيه أبوه قال أسلمت ؟ قال نعم ! قال وازر ابن عمك وانصره . قال وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الاسلام . وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس . قال . أول من صلى عليّ . وحدثنا عبد الحميد بن يحيي حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : بعث النبي (ص) يوم الاثنين وصلى عليّ يوم الثلاثاء وروى من حديث شعبه عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة ــ رجل من الانصار ــ سمعت زيد بن أرقم يقول أول من أسلم مع رسول الله (ص) علي بن أبي طالب قال فذكرته للنخعي فانكره . وقال : أبو بكر أول من أسلم ثم قال حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت علياً يقول أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الاكبر ، لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر ، صليت قبل الناس بسبع سنين وهكذا رواه ابن ماجه عن محمد بن اسماعيل الرازي عن عبيد الله بن موسى العبسي ــ وهو شيعي من رجال الصحيح ــ عن العلاء بن صالح الازدي الكوفي ــ وثقوه ، ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق الشيعة ــ وقال علي بن المديني روى أحاديث مناكير والمنهال بن عمرو ثقة . وأما شيخه عباد بن عبد الله ــ وهو الاسدي الكوفي ــ فقد قال فيه علي بن المديني هو ضعيف الحديث ، وقال البخاري فيه نظر . وذكره ابن حبان في الثقات ، وهذا الحديث منكر بكل حال ، ولا يقوله علي رضي الله عنه ، وكيف يمكن أن يصلي قبل الناس بسبع سنين ؟ هذا لا يتصور أصلا والله أعلم . وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الامة أبو بكر الصديق ، والجمع بين الاقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر السياقات ــ وقيل الرجال أيضا ــ وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب . فانه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت . وأول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من اسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدراً معظما ، ورئيسا في قريش مكرما ، وصاحب مال . وداعية إلى الاسلام . وكان محبباً متألفا يبذل المال في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله . قال يونس عن ابن اسحاق ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله (ص) فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا ، وتسفيهك

عقولنا ، وتكفيرك آبائنا ؟ فقال رسول الله (ص) : « بلى إنى رسول الله ونبيه ، بعثنى لابلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته » وقرأ عليه القرآن ، فلم يقر ولم ينكر . فأسلم وكفر بالاصنام ، وخلع الانداد وأقر بحق الاسلام ، و رجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

قال ابن اسحاق : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى أن رسول الله (ص) قال : « ما دعوت أحداً إلى الاسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ماعكم عنه حين ذكرته ، ولا تردد فيه » عكم — أى تلبث — وهذا الذى ذكره ابن اسحاق فى قوله فلم يقر ولم ينكر ، منكر فان ابن اسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله (ص) قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ، ما يمنعه من الكذب على الخلق . فكيف يكذب على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ، ولا عكم وقد ذكرنا كيفية اسلامه فى كتابنا الذى افردناه فى سيرته وأوردنا فضائله وشمائله واتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضا وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبى (ص) من الاحاديث ، وما روى عنه من الآثار والاحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات ولله الحمد والمنة . وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبى الدرداء فى حديث ما كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الخصومة وفيه . فقال رسول الله (ص) : « إن الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق . وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لى صاحبى » مرتين . فما أوذى بعدها ، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضى الله عنه وقد روى الترمذى وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد . قال قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ألست أحق الناس بها ، ألست أول من أسلم ، ألست صاحب كذا ؟ وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد حدثنا أبو اسحاق السبيعى عن الحارث سمعت علياً يقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلى مع النبى (ص) من الرجال على بن أبى طالب . وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع النبى (ص) أبو بكر الصديق . رواه احمد والترمذى والنسائى من حديث شعبة وقال الترمذى حسن صحيح وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم على بن أبى طالب . قال عمرو بن مرة فذكرته لابراهيم النخعى فانكره وقال أول من أسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وروى الواقدى باسانيده عن أبى أروى الدوسى وأبى مسلم بن عبد الرحمن فى جماعة من السلف أول من أسلم أبو بكر الصديق . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو بكر الحميدى حدثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول

عن رجل قال سئل ابن عباس من أول من آمن ؟ فقال : أبو بكر الصديق ، أما سمعت قول حسان :

إذا تذكَّرتُ شجْواً من أخي ثقةٍ   فاذكرْ أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خيرَ البريّةِ أوفاها وأعدلَها   بعدَ النبيّ وأولاها بما حملا
والتاليُ الثانيُ المحمودُ مَشْهَدُه   وأولُ الناسِ منهم صدَّقَ الرسلا
عاشَ حميداً لأمرِ الله متَّبعاً   بأمرِ صاحبِهِ الماضي وما انتقلا

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شيخ لنا عن مجالد عن عامر قال سألت ابن عباس ـ أو ـ سئل ابن عباس ـ أي الناس أول اسلاما ؟ قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره. وهكذا رواه الهيثم بن عدى عن مجالد عن عامر الشعبي سألت ابن عباس فذكره . وقال أبو القاسم البغوى حدثنى سريج بن يونس حدثنا يوسف بن الماجشون قال أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكون أن أول القوم اسلاما أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

قلت : وهكذا قال ابراهيم النخعى ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعد بن ابراهيم وهو المشهور عن جمهور أهل السنة . وروى ابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالا : لم يكن أولهم اسلاما ، ولكن كان أفضلهم اسلاما . قال سعد : وقد آمن قبله خمسة . وثبت فى صحيح البخارى من حديث همام بن الحارث عن عمار بن ياسر . قال : رأيت رسول الله (ص.) وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر . وروى الامام احمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود . قال : أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله (ص.) ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، و بلال ، والمقداد . فاما رسول الله (ص.) فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم أدرع الحديد وصهروهم فى الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، الا بلالا فانه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه ، فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد . وهكذا رواه الثورى عن منصور عن مجاهد مرسلا . فاما مارواه ابن جرير قائلا أخبرنا ابن حميد حدثنا كنانة بن حبلة[1] عن ابراهيم بن طهمان عن حجاج عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص . قال قلت لابى أكان أبو بكر أولكم اسلاما قال : لا ! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان أفضلنا اسلاما . فانه حديث منكر اسناداً ومتنا . قال ابن جرير وقال آخرون : كان أول من أسلم زيد ابن حارثة ، ثم روى من طريق الواقدى عن ابن أبي ذئب ، سألت الزهرى من أول من أسلم من النساء ؟ قال خديجة . قلت فمن الرجال ، قال زيد بن حارثة . وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير

(١) فى الاصلين حبلة بالمهملة وفى ابن جرير جبلة بالجيم نقلا عن محمود الامام

واحد أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة . وقد أجاب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الاقوال بان أول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن الغلمان على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن اسحاق : فلما أسلم أبو بكر وأظهر اسلامه دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلا مألفا لقومه محببا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلا تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فاسلم على يديه فيما بلغنى الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله (ص) ومعهم أبو بكر . فعرض عليهم الاسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الاسلام فآمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا فى الاسلام صدقوا رسول الله (ص) وآمنوا بما جاء من عند الله . وقال محمد بن عمر الواقدى حدثنى الضحاك ابن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبى عن ابراهيم بن محمد بن أبى طلحة . قال قال طلحة بن عبيد الله حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول : سلوا أهل الموسم أفيهم رجل من أهل الحرم ؟ قال طلحة قلت نعم أنا ، فقال هل ظهر احمد بعد ؟ قلت ومن احمد ؟ قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ، ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ ، فاياك أن تسبق اليه . قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال ، فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حديث ؟ قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين قد تنبأ ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبى قحافة . قال فخرجت حتى قدمت على أبى بكر ، فقلت اتبعت هذا الرجل ؟ قال نعم فانطلق اليه فادخل عليه فاتبعه فانه يدعو إلى الحق ، فاخبره طلحة بما قال الراهب . فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله (ص) فاسلم طلحة ، وأخبر رسول الله (ص) بما قال الراهب فسر بذلك . فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية — وكان يدعى أسد قريش — فشدهما فى حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين . وقال النبى (ص) : « اللهم اكفنا شر ابن العدوية » رواه البيهقى . وقال الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الاطرابلسى حدثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمرى قاضى المصيصة حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن اسحاق بن محمد ابن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثنى أبى عبيد الله حدثنى عبد الله [بن محمد] بن عمران ابن ابراهيم بن محمد بن طلحة قال حدثنى أبى محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبى بكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله (ص) وكان له صديقا فى الجاهلية ، فلقيه فقال

يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها . فقال رسول الله (ص.) : « إنى رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله (ص.) وما بين الاخشبين أحد أكثر سروراً منه باسلام أبى بكر ، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فاسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبى عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبى سلمة بن عبد الاسد والأرقم بن أبى الارقم فاسلموا رضى الله عنهم . قال عبد الله بن محمد فحدثنى أبى محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة . قالت : لما اجتمع أصحاب النبى (ص.) وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله (ص.) فى الظهور فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله (ص.) وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيباً ورسول الله (ص) جالس فكان أول خطيب دعا الى الله وإلى رسوله (ص) وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين فضربوا فى نواحى المسجد ضربا شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضربا شديدا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه وجاء بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن أبى بكر وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله (ص.) ؟ فمسوا منه بالسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لامه أم الخير أنظرى أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه فلما خلت به الحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله (ص.) ؟ فقالت والله مالى علم بصاحبك . فقال اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت نعم . فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا هذا منك لاهل فسق وكفر ، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال فما فعل رسول الله (ص.) ؟ قالت هذه أمك تسمع ، قال فلا شئ عليك منها ، قالت سالم صالح . قال أين هو ؟ قالت فى دار ابن الارقم ، قال فان لله على أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله (ص.) فامهلتا حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس ، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله (ص) ، قال فأكب عليه رسول الله (ص.) فقبله وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله (ص.) رقة شديدة . فقال أبو بكر بابى وأمى يارسول الله ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى ، وهذه أمى برة بولدها ، وأنت مبارك

فادعها إلى الله وادع الله لهـا عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال فدعا لها رسول الله (ص.) ودعاها إلى الله فاسلمت ، وأقاموا مع رسول الله (ص) فى الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر ، ودعا رسول الله (ص) لعمر بن الخطاب — أو لأبى جهل بن هشام — فاصبح عمر وكانت الدعوة يوم الاربعاء فاسلم عمر يوم الخميس ، فكبر رسول الله (ص.) وأهل البيت تكبيرة سمعت باعلا مكة ، وخرج أبو الارقم ـ وهو أعمى كافر ـ وهو يقول : اللهم اغفر لبنى عبيد الارقم فانه كفر ، فقام عمر فقال يا رسول الله على ما نخفى ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ قال : « يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا » فقال عمر : فوالذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الايمان ، ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهى تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبوت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . فوثب المشركون اليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل اصبعه فى عينيه ، فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس فقام عمر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التى كان يجالس فيها فيظهر الايمان ، ثم انصرف إلى النبى (ص) وهو ظاهر عليهم . قال ما عليك بابى وأمى والله ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر الا أظهرت فيه الايمان غير هائب ولا خائف ، فخرج رسول الله (ص.) وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمنا ، ثم انصرف الى دار الارقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ، ثم انصرف النبى (ص) . والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وذلك فى السنة السادسة من البعثة كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله . وقد استقصينا كيفية اسلام أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى كتاب سيرتهما على انفرادها ، و بسطنا القول هنالك ولله الحمد . وثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى أمامة عن عمرو ابن عبسة السلمى رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله (ص.) فى أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخفى ، فقلت ما أنت ؟ قال أنا نبى ، فقلت وما النبى ؟ قال رسول الله ، قلت الله أرسلك ؟ قال نعم قلت بما أرسلك ؟ قال بان تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الاصنام ، وتوصل الارحام . قال قلت نعم ما أرسلك به فمن تبعك على هذا ؟ قال حر وعبد — يعنى أبا بكر وبلالا — قال فكان عمرو يقول : لقد رأيتنى وأنا ربع الاسلام . قال فاسلمت ، قلت فاتبعك يارسول الله ، قال لا ولكن الحق بقومك ، فاذا أخبرت أنى قد خرجت فاتبعنى . ويقال إن معنى قوله عليه السلام حر وعبد اسم جنس وتفسير ذلك بابى بكر وبلال فقط فيه نظر ، فانه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضا فلعله أخبر أنه ربع الاسلام بحسب علمه فان

المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون باسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم دع الاجانب دع أهل البادية من الاعراب والله أعلم . وفي صحيح البخاري من طريق أبي أسامة عن هاشم بن هاشم عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام و إني لثلث الاسلام . أما قوله ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه فسهل ، و يروى إلا في اليوم الذي أسلمت فيه وهو مشكل ، إذ يقتضى أنه لم يسبقه أحد بالاسلام . وقد علم أن الصديق وعلياً وخديجة و زيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حكى الاجماع على تقدم اسلام هؤلاء غير واحد ، منهم ابن الاثير . ونص أبو حنيفة رضى الله عنه على أن كلا من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم . وأما قوله ولقد مكثت سبعة أيام و إني لثلث الاسلام فمشكل وما أدرى على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله اعلم . وقال ابو دواد الطيالسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زرعن عبد الله ــ وهو ابن مسعود ــ قال : كنت غلاما يافعا ارعى غنما لعقبة بن ابى معيط بمكة . فاتى علىّ رسول الله (ص) وابو بكر ــ وقد فرا من المشركين ــ فقال ــ أو فقالا ــ عندك ياغلام لبن تسقينا ؟ قلت إنى مؤتمن ، ولست بساقيكما فقال هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فاتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله (ص) الضرع ودعا فحفل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقيانى ثم قال للضرع اقلص فقلص ، فلما كان بعد أتيت رسول الله (ص) فقلت علمنى من هذا القول الطيب ــ يعنى القرآن ــ فقال : « إنك غلام معلم » فاخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد . وهكذا رواه الامام احمد عن عفان عن حماد بن سلمة به . ورواه الحسن بن عرفة عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود به . وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله بن بطة الاصبهانى حدثنا الحسن بن الجهم حدثنا الحسين بن الفرج حدثنا محمد بن عمر حدثنى جعفر ابن محمد بن خالد بن الزبير عن أبيه ــ أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ــ . قال : كان اسلام خالد بن سعيد بن العاص قديما وكان أول اخوته اسلم . وكان بدء اسلامه أنه رأى فى المنام أنه وقف به على شفير النار ، فذكر من سعتها ما الله أعلم به . ويرى فى النوم كأن آت أتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله (ص) آخذا بحقويه لا يقع ، ففزع من نومه فقال احلف بالله أن هذه لرؤيا حق ، فلقى ابا بكر بن ابى قحافة فذكر ذلك له ، فقال أريد بك خير هذا رسول (ص) فاتبعه فانك ستتبعه وتدخل معه فى الاسلام ، والاسلام يحجزك ان تدخل فيها وابوك واقع فيها فلقى رسول الله (ص) وهو باجياد ، فقال يا رسول الله يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يضر ، ولا يبصر ، ولا ينفع ، ولا

يدرى من عبده ممن لا يعبده » . قال خالد : فانى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسر رسول الله (ص) باسلامه ، وتغيب خالد وعلم أبوه باسلامه ، فارسل فى طلبه فأتى به . فأنبه وضربه بمقرعة فى يده حتى كسرها على رأسه . وقال : والله لأمنعنك القوت : فقال خالد إن منعتنى فان الله يرزقنى ما اعيش به ، وانصرف إلى رسول الله (ص) فكان يكرمه ويكون معه .

اسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي (ص)

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى رجل ممن اسلم ـ وكان واعية ـ ان أباجهل اعترض رسول الله (ص) عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فاقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة ، وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا اباجهل منه ، وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت ؟ قال حمزة ومن يمنعنى وقد استبان لى منه ما اشهد أنه رسول الله (ص) وأنّ الذى يقول حق ، فوالله لا أنزع فامنعونى إن كنتم صادقين . فقال أبوجهل : دعوا أبا عمارة فانى والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله(ص) قد عز وامتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة فى ذلك شعراً (١) .

قال ابن اسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك ، للموت خير لك مما صنعت . فاقبل حمزة على نفسه وقال ماصنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه فى قلبى ، وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان ، حتى أصبح فغدا على رسول الله (ص). فقال : يا ابن أخى إنى قد وقعت فى أمر ولا أعرف المخرج منه ، واقامة مثلى على مالا أدرى ماهو أرشد أم هو غى شديد ؟ فحدثنى حديثا فقد اشتهيت يا ابن أخى أن تحدثنى ، فاقبل رسول الله (ص) فذكره ووعظه ، وخوفه وبشره ، فالقى الله فى قلبه الايمان بما قال رسول الله (ص) . فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فاظهر يا ابن أخى دينك فوالله ماأحب أن لى ماأظلته السماء ، وأنى على دينى الاول . فكان حمزة ممن أعز الله به الدين . وهكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به .

---

(١) لم يذكر هنا شعر حمزة وذكر السهيلي فى الروض الأنف قطعة له مطلعها :

حمدت الله حين هدى فؤادى * الى الاسلام والدين الحنيف . الخ

ذكر اسلام أبي ذر رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا الحسين بن محمد بن زياد حدثنا عبد الله بن الرومي حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زُميل سماك بن الوليد عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر . قال : كنت ربع الاسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله (ص) فقلت : السلام عليك يارسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله (ص) . هذا سياق مختصر وقال البخاري اسلام أبي ذر : حدثنا عمرو بن عباس حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن المثنى عن أبي حمزة عن ابن عباس . قال لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله (ص) قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء . فاسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الاخلاق وكلاما ما هو بالشعر . فقال ما شفيتني مما أردت . فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فاتى المسجد فالتمس رسول الله (ص) ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع فرآه علي فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته و زاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي (ص) حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه فمر به علي فقال أما آن للرجل يعلم منزله فاقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على مثل ذلك فاقام معه فقال ألا تحدثني بالذي أقدمك ؟ قال إن أعطيتني عهداً وميثاقا لترشدني فعلت . ففعل فاخبره . قال فانه حق وأنه رسول الله (ص) فاذا أصبحت فاتبعني فاني إن رأيت سيئا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي (ص) ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبي (ص) : « ارجع إلى قومك فاخبرهم حتى يأتيك امري » فقال والذي بعثك بالحق لاصرخنّ بها بين ظهرانيهم فخرج حتى اتى المسجد فنادى باعلا صوته اشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام فضربوه حتى أضجعوه ، فاتى العباس فاكب عليه فقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام . فانقذه منهم . ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا اليه فاكب العباس عليه هذا لفظ البخاري . وقد جاء اسلامه مبسوطا في صحيح مسلم وغيره فقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله ابن الصامت قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار ـ وكان يحلون الشهر الحرام ـ أنا وأخي أنيس وأمنا

فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذي مال وذي هيئة فأكرمنا خالنا وأحسن الينا ، فحسدنا قومه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك اليهم أنيس . فجاء خالنا فنثى ما قيل له [1] فقلت له أمّا ما مضى من معروفك فقد كدرته ، ولاجماع لنا فيما بعد . قال : فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكي قال فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة ، قال فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها فأتيا الكاهن فخير أنيسا . فأتانا بصرمتنا ومثلها ، وقد صليت يابن أخي قبل أن ألقى رسول الله (ص.) ثلاث سنين ، قال قلت لمن ؟ قال لله ، قلت فأين توجه ؟ قال حيث وجهني الله قال واصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء [2] حتى تعلوني الشمس قال فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة فألقني حتى آتيك قال فانطلق فراث عليّ ، ثم أتاني فقلت ما حبسك ؟ قال لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال فقلت ما يقول الناس له ؟ قال يقولوا إنه شاعر وساحر ، وكان أنيس شاعراً . قال فقال لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم ؛ وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر ، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون قال : فقلت له هل أنت كافيّ حتى انطلق ؟ قال نعم ! وكن من أهل مكة على حذر فانهم قد شنعوا له وتجهموا له . قال فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلا منهم فقلت أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابئ ؟ قال فاشار إلي فمال أهل الوادي علي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً على ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأني نصب احمر ، فاتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عني الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يابن أخي ثلاثين من يوم وليلة مالي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع قال فبينا أهل مكة في ليلة قمراء أضحيان وضرب الله على أشحمة أهل مكة فما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فاتتا عليّ وهما يدعوان اساف ونائلة . فقلت : انكحوا أحدهما الآخر فما ثناها ذلك ، فقلت وهن مثل الخشبة غير أني لم أركن . قال : فانطلقتا يولولان ويقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا ، قال فاستقبلهما رسول الله (ص) وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال مالكما ؟ فقالتا الصابئ بين الكعبة واستارها قالا ما قال لكما ؟ قالتا قال لنا كلمة تملأ الفم ، قال وجاء رسول الله (ص) هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ، ثم صلى . قال فاتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الاسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله من أنت ؟ » قال قلت من غفار ، قال فاهوى بيده فوضعها على جبهته قال فقلت في نفسي كره أن أنتميت إلى غفار ، قال فاردت أن آخذ بيده فقذفني صاحبه وكان أعلم به مني ، قال متى كنت ههنا ؟ قال قلت

---

(١) في النهاية : من حديث أبي ذر فجاء خالنا فنثى علينا الذي قيل له أي أظهره الينا وحدثنا به .

(٢) في النهاية وفي حديث أبي ذر . سقطت كأني خفا ، الخفاء الكساء .

كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت ما كان لى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى ، وما وجدت على كبدى سخفة جوع . قال قال رسول الله (ص) : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم » قال فقال أبو بكر ائذن لى يارسول الله فى طعامه الليلة قال ففعل قال فانطلق النبى (ص) وأنطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، قال فكان ذلك أول طعام أكلته بها . فلبثت ما لبثت : فقال رسول الله (ص) : « إنى قد وجهت إلى ارض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عنى قومك لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟ » . قال فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسا ، قال فقال لى ما صنعت ؟ قال قلت صنعت أنى أسلمت وصدقت ، قال فما بى رغبة عن دينك فانى قد أسلمت وصدقت ، ثم أتينا أمنا فقالت ما بى رغبة عن دينكما فانى قد اسلمت وصدقت ، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار ، قال فاسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله (ص) المدينة ، وكان يؤمهم خفاف بن إيما بن رخصة الغفارى وكان سيدهم يومئذ . وقال : بقيتهم إذا قدم رسول الله (ص) أسلمنا ، قال فقدم رسول الله (ص) فاسلم بقيتهم قال وجاءت أسلم فقالوا يا رسول الله اخواننا نسلم على الذى اسلموا عليه ، فقال رسول الله (ص) « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله » . ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه وقد روى قصة اسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم . وتقدم ذكر اسلام سلمان الفارسى فى كتاب البشارات ببعثه عليه الصلاة والسلام .

ذكر اسلام ضماد

روى مسلم والبيهقى من حديث داود بن أبى هند عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : قدم ضماد مكة وهو رجل من أزدشنوءة ، وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من سفهاء مكة يقولون : إن محمداً مجنون . فقال أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدى ؟ فلقيت محمداً فقلت إنى أرقى من هذه الرياح ، وأن الله يشفى على يدى من شاء فهلم . فقال محمد : « ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات » . فقال والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة . وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فهلم يدك أبايعك على الاسلام فبايعه رسول الله (ص) . فقال له وعلى قومك فقال وعلى قومى فبعث النبى (ص) جيشا فمروا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئا ؟ فقال رجل منهم أصبت منهم مطهرة . فقال ردها عليهم فانهم قوم ضماد . وفى رواية فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن ناموس البحر

وقد ذكر أبو نعيم فى دلائل النبوة اسلام من أسلم من الاعيان فصلا طويلا ، واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه . وقد سرد ابن اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة رضى الله عنهم . قال : ثم أسلم أبو عبيدة ، وأبو سلمة ، والأرقم بن أبى الارقم ، وعثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشة بنت أبى بكر — وهى صغيرة — وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، وخباب بن الارت ، وعمير بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القارى ، وسليط بن عمرو ، وعياش بن أبى ربيعة ، وامرأته أسماء بنت سلمة [1] بن مخرمة التيمى ، وخنيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأبو احمد بن جحش ، وجعفر بن أبى طالب ، وامرأته اسماء بنت عميس ، وحاطب بن الحارث ، وامرأته فكيهة ابنة يسار[2] ، ومعمر بن الحارث بن معمر الجمحى ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد مناف[3] . وامرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم ، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وخالد بن سعيد ، وأمينة ابنة خلف بن سعد بن عامر بن بياضة بن خراعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عرين بن ثعلبة التميمى حليف بنى عدى ، وخالد ابن البكير ، وعامر بن البكير ، وعاقل بن البكير ، و إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث ، وكان اسم عاقل غافلا فسماه رسول الله (ص.) عاقلا ، وهم حلفاء بنى عدى ابن كعب ، وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان . ثم دخل الناس أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الاسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن اسحاق : ثم أمر الله رسوله (ص.) بعد ثلاث سنين من البعثة بان يصدع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين . قال وكان أصحاب رسول الله (ص.) إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم . فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد رجلا من المشركين بلحى جمل فشجه ، فكان أول دم أهريق فى الاسلام . وروى الاموى فى مغازيه من طريق الوقاصى عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه . فذكر القصة بطولها وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

(١) فى السيرة لابن هشام : اسماء بنت سلامة بن مخرمة التميمية .
(٢) وفي ابن هشام : حاطب بن الحارث وامرأته فاطمه بنت المجلل .
(٣) وفيها : ابن عبد عوف مكان : مناف .

﴿ باب ﴾

الامرُ بابلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام، وأمره له بالصبر والاحتمال والاعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم، وارسال الرسول الاعظم اليهم وذكر ما لقي من الاذية منهم هو وأصحابه رضى الله عنهم

قال الله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل إنى برئ مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين إنه هو السميع العليم) . وقال تعالى : (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) وقال تعالى : (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أى إن الذى فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهى المعاد، فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) والآيات والاحاديث فى هذا كثيرة جداً . وقد تقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير، وبسطنا من القول فى ذلك عند قوله تعالى فى سورة الشعراء (وأنذر عشيرتك الاقربين) . وأوردنا أحاديث جمة فى ذلك، فمن ذلك . قال الامام احمد : حدثنا عبدالله ابن نمير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبي (ص) الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس اليه بين رجل يجئ اليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله (ص) : « يابنى عبدالمطلب يا بنى فهر، يا بنى كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ » قالوا نعم ! قال : « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب ـ لعنه الله ـ تبالك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله عز وجل (تبت يدا أبى لهب وتب) وأخرجاه من حديث الاعمش به نحوه . وقال احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبى هريرة . قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) دعا رسول الله (ص) قريشا فعم وخص . فقال : « يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يامعشر بنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يامعشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يامعشر بنى عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار، فانى والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها » و رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة عن أبى هريرة، وله طرق أخر عن أبى هريرة فى مسند احمد وغيره . وقال احمد أيضا حدثنا وكيع بن هشام عن أبيه عن عائشة

رضى الله عنها . قالت : لمـا نزل (وأنذر عشيرتك الاقربين) . قام رسول الله (ص) فقال : « يافاطمة بنت محمد ، ياصفية بنت عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب لا أملك لـكم من الله شيئا ، سلونى من مالى ما شئتم » ورواه مسلم أيضا . وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا محمد بن عبد الحافظ حدثنا أبو العباس محمـد بن يعقوب حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال فحدثنى من سمع عبـد الله بن الحارث بن نوفل ـ واستـكتمنى اسمه ـ عن ابن عباس عن على بن أبى طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) [وأنذر عشيرتك الاقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنـين] . قال رسول الله (ص) : « عرفت انى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره ، فصمت . فجاءنى جبريل عليه السلام فقال : يا محمـد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار » . قال فدعانى فقال « ياعلى إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الاقربين فاصنع لنا ياعلىّ شاة على صاع من طعام ، وأعدّ لنا عس لبن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب » ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب ، وحمزة والعباس ، وأبو لهب الـكافر الخبيث . فقدمت اليهم تلك الجفنة ، فاخذ رسول الله (ص) منها حذية فشقها باسنانه ثم رمى بها فى نواحيها وقال : « كلوا بسم الله » فاكل القوم حتى نهلوا عنـه ما نرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله (ص) : « اسقهم يا على » فجئت بذلك القعب فشربوا منـه حتى نهلوا جميعا وايم الله إن كان الرجل ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم بدره أبو لهب لعنـه الله فقال لَهَدَّ ما سحركم صاحبكم ، فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله (ص) . فلمـا كان من الغـد قال رسول الله (ص) : « عدلنا مثـل الذى كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب ، فان هذا الرجل قد بدر الى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له وصنع رسول الله (ص) كما صنع بالامس ، فاكلوا حتى نهلوا عنه وايم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله (ص) أسقهم ياعلى ، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله أن يكلمهم ، بدره أبو لهب لعنه الله إلى الـكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم ؟ فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله (ص) . فلما كان من الغد قال رسول الله (ص) : « ياعلى عد لنا بمثل الذى كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرنى إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له . فصنع رسول الله (ص) كما صنع بالامس فاكلوا حتى نهلوا عنـه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وايم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب مثلها . ثم قال رسول الله (ص) : « يا بنى عبـد المطلب إنى والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بافضل من ما جئتكم به إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » هكذا

رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ أبهم اسمه عن عبد الله بن الحارث به . وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن محمد بن حميد الرازى عن سلمة بن الفضل الابرش عن محمد بن اسحاق عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن على فذكر مثله . وزاد بعد قوله : « وإنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم اليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى » وكذا وكذا . قال فاحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت ولأنى لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطنا ، وأحمشهم ساقا ، أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه فاخذ برقبتى فقال : « إن هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » . قال فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ! تفرد به عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعى اتهمه على بن المدينى وغيره بوضع الحديث . وضعفه الباقون . ولكن روى ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثى عن عبدالله ابن عبد القدوس عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث . قال قال على : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) . قال لى رسول الله (ص) : اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام ، وإناء لبنا ، وأدع لى بنى هاشم فدعوتهم وإنهم يومئذ لاربعون غير رجل ، أو اربعون ورجل فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال : وبدرهم رسول الله (ص) الكلام . فقال : « أيكم يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى ؟ » قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال وسكت أنا لسن العباس . ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال أنت ؟ قال وإنى يومئذ لاسوأهم هيئة ، وإنى لاعمش العينين ، ضخم البطن ، خمش الساقين . وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم . وقد روى الامام احمد فى مسنده من حديث عباد بن عبد الله الاسدى وربيعة بن ناجذ عن على نحو ما تقدم — أو كالشاهد له — والله أعلم . ومعنى قوله فى هذا الحديث : من يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى يعنى إذا مت ، وكأنه (ص) خشى إذا قام بابلاغ الرسالة إلى مشركى العرب (١) أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ، ويقضى عنه ؛ وقد أمنه الله من ذلك فى قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك . وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) الآية والمقصود أن رسول الله (ص) استمر يدعو إلى الله تعالى ليلا ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد ، ولا يصده عنه ذلك صاد ، يتبع الناس فى أنديتهم ، ومجامعهم ومحافلهم وفى المواسم ، ومواقف الحج . يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ،

(١) فى المصرية : بابلاغ مشركى العرب رسالة الله عن محمود الامام .

جميع الخلق فى ذلك عنـده شرع سواء . وتسلط عليـه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الاقوياء من مشركى قريش بالأذية القولية والفعلية ، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب — واسمه عبد العزى بن عبد المطلب — وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أميـة أخت أبى سفيان وخالفه فى ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسول الله (ص) أحب خلق الله اليه طبعا وكان يحنو عليه ويحسن اليه ، ويدافع عنه ويحامى ، ويخالف قومه فى ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حبا طبعيا لا شرعياً . وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركى قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه . ولاجترؤا عليـه ، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء اليه ، وربك يخلق ما يشاء ويختار . وقـد قسم خلقه أنواعا وأجناسا ، فهذان العمان كافران أبو طالب وأبو لهب ولـكن هـذا يكون فى القيامة فى ضحضاح من نار ، وذلك فى الدرك الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة فى كتابه تتلى على المنابر ، وتقرأ فى المواعظ والخطب . تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب . قال الامام احمـد حدثنا ابراهيم بن أبى العباس حدثنا عبـد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه . قال أخـبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الديل — وكان جاهليا فاسلم — قال : رأيت رسول الله (ص) فى الجاهليـة فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليـه ، ووراءه رجـل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه هو والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد بنحوه . وقال البيهقى أيضاً حدثنا أبو طاهر الفقيه حـدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان حدثنا أبو الأزهر حدثنا محمـد بن عبد الله الانصارى حدثنا محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الديلى . قال : رأيت رسول الله (ص) بذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغرنـكم هذا عن دينـكم ودين آبائـكم . قلت من هـذا ؟ قيل هذا أبو لهب . ثم رواه من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال رأيت رسول الله (ص) بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » واذا رجل خلفه يسفى عليه التراب ، واذا هو أبو جهل ، واذا هو يقول : يا أيها الناس لا يغرنـكم هذا عن دينكم فانما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى كذا قال أبو جهل ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسنذكر بقية ترجمته عنـد ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى .

وأما أبو طالب فـكان فى غاية الشفقة والحنو الطبيعى كما سيظهر من صنائعه ، وسجاياه ، واعتماده

فيما يحامى به عن رسول الله (ص) وأصحابه رضى الله عنهم . قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن عبد الله بن موسى بن طلحة أخبرنى عقيل بن أبى طالب . قال جاءت قريش الى أبى طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا فى نادينا ومسجدنا فانهه عنا . فقال يا عقيل انطلق فأتنى بمحمد ، فانطلقت اليه فاستخرجته من كنس - أو قال خنس - يقول بيت صغير ، فجاء به فى الظهيرة فى شدة الحر : فلما أتاهم قال إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم فى ناديهم ومسجدهم ، فانته عن أذاهم فحلق رسول الله (ص) ببصره إلى السماء . فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا نعم ! قال : « فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة » . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخى قط فارجعوا . رواه البخارى فى التاريخ عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير . ورواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن احمد بن عبد الجبار عنه به - وهذا لفظه - . ثم روى البيهقى من طريق يونس عن ابن اسحاق حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث . أن قريشاً حين قالت لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله (ص) . فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى وقالوا كذا وكذا ، فابق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر الا أطيق أنا ولا أنت . فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك . فظن رسول الله (ص) أن قد بدا لعمه فيه ، وانه خاذله ومسلمه ، وضعف عن القيام معه . فقال رسول الله (ص) : « يا عم لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه » ثم استعبر رسول الله (ص) فبكى ، فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله (ص) : يا ابن أخى فاقبل عليه ، فقال أمض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً . قال ابن اسحاق ثم قال أبو طالب فى ذلك :

والله لن يصلوا اليكَ بجمْعِهم ... حتى أُوَسَّد فى الترابِ دَفينا
فامضي لأمركَ ماعليكَ غضاضةٌ ... أبشرْ وقَرَّ بذاكَ منكَ عيونا
ودعوتَني وعلمتُ أنك ناصحي ... فلقدْ صدقتَ وكنتَ ثَمَّ أمينا
وعرضتَ ديناً قد عرفتُ بأنه ... من خيرِ أديانِ البرية دينا
لولا الملامةُ أو حِذَاري سُبَّة ... لوجدتَني سمحاً بذاكَ مُبينا

ثم قال البيهقى وذكر ابن اسحاق لأبى طالب فى ذلك أشعارا ، وفى ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه فى دينه ، وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء لا معقب لحكمه . وقال يونس بن بكير : حدثنى محمد بن اسحاق حدثنى رجل من أهل مصر قديماً منذ بضعاً وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس فى قصة طويلة جرت بين مشركى مكة و بين رسول الله (ص) فلما قام رسول الله قال أبو جهل بن هشام : يامعشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ،

وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا . وسب آلهتنا وانى أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فلما أصبح أبو جهل لعنه الله أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله (ص) ينتظره ، وغدا رسول الله (ص) كما كان يغدو ، وكان قبلته الشام . فكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليمانى ، وجعل الكعبة بينه و بين الشام فقام رسول الله (ص) يصلى ، وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله (ص) احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما ممتقعاً لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت اليه رجال من قريش . فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟ فقال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته [1] ، ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلنى قال ابن اسحاق : فذكر لى أن رسول الله (ص) قال : « ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » . وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو النضر الفقيه حدثنا عثمان الدارمى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن اسحاق بن عبد الله ابن أبى فروة عن أبان بن صالح عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عباس بن عبدالمطلب . قال : كنت يوما فى المسجد فاقبل أبو جهل ـ لعنه الله ـ فقال : إن لله على إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله (ص) حتى دخلت عليه فاخبرته بقول أبى جهل ، فخرج غضابانا حتى جاء المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط . فقلت هذا يوم سر ، فاتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله (ص) فقرأ (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق) فلما بلغ شأن أبى جهل (كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فقال إنسان لابى جهل : يا أبا الحكم هذا محمد ؟ فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى ؟ والله لقد سد أفق السماء على فلما بلغ رسول الله (ص) آخر السورة سجد . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الكريم عن عكرمة قال قال ابن عباس : قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال : « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا » . و رواه البخارى عن يحيى عن عبد الرزاق به . قال داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس . قال ، مر أبو جهل بالنبى (ص) وهو يصلى . فقال : ألم أنهك أن تصلى يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا منى ، فانتهره النبى (ص) . فقال جبريل : (فليدع ناديه سندع الزبانية) والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب . رواه احمد والترمذى وصححه النسائى من طريق داود به . وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل بن يزيد أبو زيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن

(١) قصرته : أى عنقه واصل رقبته .

عكرمة عن ابن عباس . قال قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً عند الكعبة يصلي لاتينه حتى أطأ عنقه ، قال فقال : « لو فعل لاخذته الزبانية عيانا » . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي اسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس . قال قال : أبو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه ، فانزل الله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ من الآية (لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية) . فجاء النبي (ص.) يصلي فقيل ما يمنعك ؟ قال . قد اسود ما بيني و بينه من الكتائب . قال ابن عباس : والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا نعم ! قال فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه بالتراب . فأتى رسول الله (ص) وهو يصلي ليطأ على رقبته . قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، و يتقي بيديه ، قال فقيل له مالك ؟ قال ان بيني و بينه خندقا من نار وهولا وأجنحة . قال فقال رسول الله (ص) : « لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » . قال وأنزل الله تعالى - لا أدرى فى حديث أبي هريرة أم لا - (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) الى آخر السورة وقد رواه احمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به . وقال الامام احمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله . قال : ما رأيت رسول الله (ص.) دعا على قريش غير يوم واحد ، فانه كان يصلي و رهط من قريش جلوس ، وسلا جزور قريب منه . فقالوا : من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة ابن أبي معيط أنا ، فاخذه فالقاه على ظهره . فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فاخذته عن ظهره . فقال رسول الله (ص) : « اللهم عليك بهذا الملأ من قريش ، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بابي جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بابي بن خلف - أو أمية بن خلف - » شعبة الشاك قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب غير أبي - أو أمية بن خلف - فانه كان رجلا ضخما فتقطع . وقد رواه البخاري فى مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن اسحاق به . والصواب أمية بن خلف فانه الذى قتل يوم بدر ، وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد كما سيأتي بيانه - والسلا هو الذى يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة . وفى بعض الفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض ، أى يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله . وفيه أن فاطمة لما القته عنه أقبلت عليهم فسبتهم ، وأنه (ص.) لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما

رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه (ص) دعا على الملأ منهم جملة وعين فى دعائه سبعة . وقع فى أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عتبة ، وأخوه شيبة أبنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبو جهل بن هشام ، وعقبة بن أبى معيط ، وأمية بن خلف . قال ابن اسحاق . ونسيت السابع . قلت : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته فى صحيح البخارى .

قصة الأراشي [١]

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنا عبد الملك بن أبى سفيان الثقفى . قال : قدم رجل من إراش بإبل له الى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها . فاقبل الاراشى حتى وقف على نادى قريش ورسول الله (ص) جالس فى ناحية المسجد . فقال : يامعشر قريش مَنْ رجل يعديني على أبى الحكم بن هشام فانى غريب وابن سبيل ، وقد غلبنى على حقى ؟ فقال أهل المجلس ترى ذلك ـ يهزون به [٢] إلى رسول الله (ص) لما يعلمون ما بينه وبين أبى جهل من العداوة ، اذهب اليه فهو يعديك عليه . فاقبل الاراشى حتى وقف على رسول الله (ص) فذكر ذلك له ، فقام معه . فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ما يصنع ؟ فخرج رسول الله (ص) حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال محمد فاخرج ! فخرج اليه وما فى وجهه قطرة دم ، وقد انتقع لونه . فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال لا تبرح حتى أعطيه الذى له . قال فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه ، ثم انصرف رسول الله (ص) وقال للاراشى الحق لشأنك . فاقبل الاراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيراً ، فقد أخذت الذى لى ، وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت ؟ قال عجبا من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال : اعط هذا الرجل حقه . فقال : نعم ! لا تبرح حتى أخرج اليه حقه ، فدخل فاخرج اليه حقه فاعطاه . ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟ فقال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت رعبا ، ثم خرجت اليه وإن فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فوالله لو أبيت لأكلنى .

فصل

وقال البخارى حدثنا عياش بن الوليد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنى الاوزاعى عن يحيى بن أبى

(١) الاراشى نسبة الى إراش بالكسر والشين معجمة موضع حكاه ياقوت . (٢) هذا نص الحلبية بالزاى المعجمة وفى المصرية : يهرون .

كثير عن محمد بن ابراهيم التيمى حدثنى عروة بن الزبير . سألت ابن العاص فقلت : أخبرنى باشد شئ صنعه المشركون برسول الله ؟ قال : بينما النبى (ص) يصلى فى حجر الكعبة ، إذ أقبل عليه عقبة ابن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديداً ، فاقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى (ص) وقال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) الآية . تابعه ابن اسحاق قال أخبرنى يحيى بن عروة عن أبيه قال قلت لعبد الله بن عمرو . وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال قيل لعمرو بن العاص . وقال محمد بن عمرو عن أبى سلمة حدثنى عمرو ابن العاص قال البيهقى وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة . انفرد به البخارى . وقد رواه فى أماكن من صحيحه وصرح فى بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة . وقد روى البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق . حدثنى يحيى بن عروة عن أبيه عروة ، قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله (ص) فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله (ص) فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصرنا منه على أمر عظيم - أو كما قال - قال فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله (ص) فاقبل يمشى حتى أستلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله (ص) فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها فى وجهه فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها . فقال : « أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح »[1] . فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه حتى إنه ليقول انصرف أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول . فانصرف رسول الله (ص) حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه . حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسول الله (ص) فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله (ص) : « نعم أنا الذى أقول ذلك » ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر يبكى دونه ويقول : ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) ثم انصرفوا عنه . فان ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط .

---

(١) فى الحلبية : بالذبح مهملة وفى ابن هشام : بالذبيح .

فصل

فى تأليب الملأ من قريش على رسول الله (ص) وأصحابه واجتماعهم بعمه أبى طالب القائم فى منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه اليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته .

قال الامام احمد حدثنا وكيع عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله (ص) : « لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ، وأخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لى ولبلال ما يأكله دو كبد إلا ما يوارى إبط بلال » . وأخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به وقال الترمذى حسن صحيح . وقال محمد بن اسحاق وحدب على رسول الله (ص) عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله (ص) على أمر الله مظهراً لدينه لا يرده عنه شىء ، فلما رأت قريش أن رسول الله (ص) لا يعتبهم من شىء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبو طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البخترى ـ واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، والاسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى ، وأبو جهل ـ واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ، ونبيه ومنبه ، ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة ابن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، والعاص بن وائل بن سعيد بن سهم . قال ابن اسحاق أو من مشى منهم فقالوا : يا أبا طالب إن ابن اخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا وأما أن تخلى بيننا و بينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه ؟ فقال لهم أبو طالب : قولا رفيقا ، وردهم رداً جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله (ص) على ما هو عليه ، يظهر دين الله و يدعو اليه ، ثم سرى الامر بينهم و بينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا . وأكثرت قريش ذكر رسول الله (ص) بينها فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه ، ثم أنهم مشوا الى أبى طالب مرة أخرى . فقالوا : يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا و إنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو تنازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ـ أو كما قالوا ـ ثم انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا باسلام رسول الله (ص) ولا خذلانه .

قال ابن اسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله (ص) فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له ، فابق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق ، قال فظن رسول الله (ص) أنه قد بدا لعمه فيه بدو وانه خاذله ومسلمه ، وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال له رسول الله (ص) : « ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أوأهلك فيه ما تركته » قال ثم استعبر رسول الله (ص) فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب . فقال : أقبل يابن أخي ، فاقبل عليه رسول الله (ص) . فقال : اذهب يابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشيء أبداً . قال ابن اسحاق . ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذ لان رسول الله (ص) واسلامه واجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له — فيما بلغني — : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله ، نخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً فهو لك ؟ وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامنا فنقتله فانما هو رجل برجل ! قال : والله لبئس ما تسومونني ؟ أتعطونني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني فتقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ؟ فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك — أو كما قال — فحقب الأمر ، وحميت الحرب ، وتنابذ القوم ، ونادى بعضهم بعضا . فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدى ويعم من خذله من بنى عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكرما سألوه وما تباعد من أمرهم :

ألا قُلْ لعمرٍو والوليدِ ومُطعِمٍ ... ألا ليتَ حظِّي من حياطتكم بكر
من الخورِ حبحابٌ كثيرٌ رغاؤهُ ... يرشّ على الساقين من بوله قَطر
تخلّفَ خلفَ الوردِ ليسَ بلاحقٍ ... إذ ما علا الفَيفاءَ قيلَ له وبر
أرى أخوَينا من أبينا وأُمّنا ... إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمرٌ ولكنْ تَجَرْجَما ... كما جَرجَمتْ من رأسِ ذي عَلَقَ الصخر
أخصّ خصوصاً عبدَ شمسٍ ونوفلاً ... هما نَبَذانا مثلَ ما يُنبَذ الجمر
هما أغمزا للقومِ فى أخويهما ... فقد أصبحا منهم أكفُّهما صِفر
هما أشركا فى المجدِ من لا أباله ... من الناسِ إلا أن يرسّ له ذِكر

وتَيْمٍ ومخزومٍ وزُهرةَ منهم وكانُوا لنا مولًى إذا بُغِيَ النصر
فواللهِ لا تنفكّ منّا عداوةٌ ولا منكمُ ما دامَ مِن نَسلِنا شَفْرُ

قال ابن هشام : وتركنا منها بيتين أقذع فيهما (١)

فصل

في مبالغتهم في الاذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن اسحاق . ثم إن قريشا تدامروا بينهم على من فى القبائل من أصحاب رسول الله (ص) الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم و يفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسول الله (ص) بعمه أبي طالب . وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم و بنى عبدالمطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله (ص) والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب عدو الله . فقال فى ذلك يمدحهم و يحرضهم على ما وافقوه عليه من الحدب والنصرة لرسول الله (ص) :

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لِمَفْخَرٍ فعبدُ منافٍ سِرُّها وصميمُها
و إن حصلتْ اشرافُ عبدِ منافِها ففي هاشمٍ اشرافُها وقديمُها
و إن فخرتْ يوماً فانّ محمداً هو المصطفى من سِرِّها وكريمِها
تداعتْ قريشٌ غثُّها وسمينُها علينا فلم تظفرْ وطاشَتْ حُلومها
وكنّا قديماً لانُقِرُّ ظُلامةً اذ ما ثَنَوا صُعْرَ الرقابِ نُقيمُها
ونحمي حِماها كلّ يومِ كريهةٍ و نضربُ عن أحجارِها مَن يرومها
بنا انتعشَ العُودُ الزواءُ وإنما بأكنافِنا تَندَى وتَنمى أرومُها

فصل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله (ص) ، وما تعنتوا له فى أسئلتهم إياه أنواعا من الآيات وخرق العادات على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى والرشاد . فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولاما اليه رغبوا ، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا فى طغيانهم

---

(١) فى هذه القطعة اختلاف بين الاصلين و بينهما مع ابن اسحاق وقد اجتهدنا أن يكون الاصل النسخة الحلبية الا ما كان خطأ فنعتمد فيه على ابن اسحاق فالبيت الخامس منها أثبتناه كما فى الاصلين وفى ابن اسحاق جرجما .

يعمهون ، ولظلوا فى غيهم وضلالهم يترددون . قال الله تعالى : (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) . وقال تعالى : [إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم] . وقال تعالى . [وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً] . وقال تعالى [وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا] وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها فى أماكنها فى التفسير ولله الحمد . وقد روى يونس وزياد عن ابن اسحاق عن بعض أهل العلم — وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبى محمد — عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس . قال : اجتمع علية من أشراف قريش — وعدّد أسماءهم — بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه ، وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله (ص) سريعا وهو يظن أنه قد بدا لهم فى أمره بدء ، وكان حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس اليهم . فقالوا : يامحمد إنا قد بعثنا اليك لنعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك . لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الاحلام ، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ، وما بقى من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك . فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك — وكان يسمون التابع من الجن الرئى — فربما كان ذلك ؛ بذلنا أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ؟ فقال رسول الله (ص) : « مابى ما تقولون . ماجئتكم بماجئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وانزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » — أو كما قال رسول الله (ص) — فقالوا يامحمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك

فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ، ولا أقل مالا . ولا أشد عيشا منا . فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيما يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فان فعلت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم رسول الله (ص) « ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثنى به فقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ، فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوا على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » قالوا فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لنا جنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضه ، ويغنيك عما نراك تبتغى فانك تقوم فى الاسواق وتلتمس المعايش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت اليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة . وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » . قالوا فاسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فانا لن نؤمن لك إلا أن تفعل فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا يامحمد ماعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم اليك ويعلمك ما نراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ماجئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا اليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا ذلك قام رسول الله (ص) عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب — فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله . ثم سألوك لانفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب . فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بنسخة منشورة ومعك أربعه من الملائكه يشهدون لك أنك كما تقول ؛ وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أنى لاأصدقك . ثم انصرف عن رسول الله (ص) ، وانصرف رسول الله (ص) إلى أهله حزينا أسفا لما فاته بما طمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه وهذا المجلس الذى اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلس ظلم وعدوان وعناد . ولهذا اقتضت الحكمة الالهية ، والرحمة الربانيه ، الا يجابوا إلى ما سألوا لأن الله علم أنهم لا يؤمنون

بذلك فيعاجلهم بالعذاب * كما قال الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الاعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : سأل أهل مكة رسول الله (ص) أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحى عنهم الجبال فيزدرعوا ، فقيل له إن شئت أن تستأنى بهم ، و إن شئت أن تؤتيهم الذى سألوا فان كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الامم . قال : « لا بل أستأنى بهم » فانزل الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) الآية . وهكذا رواه النسائى من حديث جرير . وقال احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمه بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس . قال قالت قريش للنبى (ص) : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك ، قال وتفعلوا ؟ قالوا نعم قال فدعا فاتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام و يقول لك إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبا . فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين ، و إن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة ، قال : « بل التوبة والرحمة » . وهذان اسنادان جيدان ، وقد جاء مرسلا عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغير واحد . و روى الامام احمد والترمذى من حديث عبد الله بن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن[1] أبى أمامة عن النبى (ص) قال : « عرض على ربى عز وجل أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً ، فقلت لا يا رب أشبع يوما وأجوع يوما — أو نحو ذلك — فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » لفظ احمد . وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وعلى بن يزيد يضعف فى الحديث .

وقال محمد بن اسحاق : حدثنى شيخ من أهل مصر — قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة — عن عكرمة عن ابن عباس . قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما سلوهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الانبياء . فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله (ص) ووصفا لهم أمره و بعض قوله ، وقالا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . قال فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، و إن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان من أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان [نبؤه] ، وسلوه عن الروح ما هى ؟ فان أخبركم بذلك فهو نبى فاتبعوه ، و إن لم يخبركم فانه رجل متقول فاصنعوا فى

---

(١) فى الاصلين : القاسم بن أبى أمامة ، وإنما هو القاسم بن عبدالرحمن مولى بنى أمية الدمشقى ولم يرو عن أحد من الصحابة غيره .

أمره ما بدا لكم . فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا : يامعشر قريش قد جئنا كم بفصل ما بينكم و بين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبراهم بها ، فجاؤا رسول الله ص ، فقالوا : يامحمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به . فقال لهم رسول الله ص : « أخبركم غداً بما سألتم عنه » ولم يستثن . فانصرفوا عنه ومكث رسول الله (ص) خمس عشرة ليلة لا يحدث له فى ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشئ مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله (ص) مكث الوحى عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم [وخبر] ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقال الله تعالى [ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا] . وقد تكلمنا على ذلك كله فى التفسير مطولا فمن أراده فعليه بكشفه من هناك . ونزل قوله [أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً] ثم شرع فى تفصيل أمرهم واعترض فى الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقا لا تعليقا فى قوله [ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت] ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ، ثم ذى القرنين ثم قال (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً) ثم شرح أمره وحكى خبره . وقال فى سورة سبحان (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) أى خلق عجيب من خلقه ، وأمر من أمره . قال لها كونى فكانت . وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه ، وتصوير حقيقته فى نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته ، ولهذا قال (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وقد ثبت فى الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسول الله (ص) بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية ـ فاما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جوابا ـ وإن كان نزولها متقدما ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثناها من سورة سبحان ففى قوله نظر ، والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ولما خشى أبو طالب دهم العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها اشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى شعره أنه غير مسلم لرسول الله ص ، ولا تاركه لشئ أبداً حتى يهلك دونه . فقال :

ولما رأيتُ القومَ لاودَّ فيهمُ ... وقد قطعوا كلَّ العُرى والوسائل
وقد صارَحُونا بالعداوةِ والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العدوِّ المُزايل
وقد حالَفوا قوماً علينا أَظِنَّةً ... يعضّون غيظاً خلفَنا بالأنامل
صبرتُ لهم نفسي بسمراءَ سَمْحةٍ ... وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقاول
وأحضرتُ عندالبيتِ رهطي وأخوتي ... وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل

قياماً معاً مُستقبلينَ رِتاجَه لدى حيث يَقضي حَلفَه كلَّ نافل
وحيثُ يُنيخ الأشعرون ركابَهم بمفضى السيولِ من إسافٍ ونائل
موسّمةَ الاعضادِ أو قُصُراتها مخيَّسة بين السَّديس وبازل
ترى الوَدْعَ فيها والرخامَ وزينةً بأعناقها معقودةً كالعثا كل (١)
أعوذُ بربِّ الناس من كلّ طاعنٍ علينا بسوءٍ أوملحٍّ بباطل
ومن كاشحٍ يسعى لنا بمَعيبةٍ ومن مُلحِقٍ فى الدين مالم نحاول
وثورٍ ومن أرسى ثَبيراً مكانه وراقٍ ليرقى فى حِراءَ ونازل
وبالبيتِ حقّ البيت من بطن مكةٍ وبالله إنّ اللهَ ليس بغافل
وبالحجَرَ المسودّ إذ يمسحونه إذا اكتنفوهُ بالضحى والأصائل
وموطئِ ابراهيمَ فى الصخر رطبةً على قدميه حافياً غير ناعل
وأشواطٍ بين المروَتين إلى الصَّفا وما فيهما من صورةٍ وتماثل
ومن حجّ بيتَ الله من كل راكب ومن كل ذي نذرٍ ومن كل راجل
وبالمشعَرِ الاقصى إذا عمدوا له إلالَ إلى مُفضي الشّراجِ القوابل
وتوقافهم فوقَ الجبال عشيّةً يُقيمون بالايدي صدورَ الرواحل
وليلة جمعٍ والمنازلُ من منًى وهل فوقَها من حُرمةٍ ومنازل
وجمعٍ إذا ما المقرُبات أجَزْنه سِراعاً كما يخرجْن من وقع وابل
وبالجمرةِ الكُبرى إذا صَمدوا لها يؤمّون قَذْفا رأسَها بالجنادل
وكندةَ إذْ هم بالحِصابِ عشيّة تُجيزهم حجّاجُ بكرِ بن وائل
حليفانِ شدّا عقدَ ما احتلفا له وردّا عليه عاطفاتِ الوسائل
وحطمهمُ سُمرَ الرماحِ وسرحَه وشبرقَه وخدَ النعامِ الجوافل
فهل بعدَ هذا من معاذٍ لعائذ وهل من مُعيذٍ يتقي اللهَ عادل
يطاع بنا أمر العدا ودّ أننا يسد بنا أبواب تركٍ وكابل
كذبتم وبيتِ الله نترك مكةً ونظعنُ الا أمرُكم فى بلابل
كذبتم وبيتِ الله نُبزي محمدا ولمّا نطاعنْ دُونَه ونناضل
ونسلمُه حتى نصرّعَ حوله ونَذهلَ عن أبنائنا والحلائل
وينهضَ قومٌ بالحديد اليكمُ نهوضَ الروايا تحتَ ذاتِ الصلاصل

(١) فى الاصل : الغنا كل . وصححناه من سيرة ابن هشام والمشكول : العثق .

وحتى نرى ذا الضّغنِ يركب ردْعَه ... من الطّعنِ فعل الأنكبِ المتحامل
وإنا لعمرُ الله إن جدّ ما أرى ... لَتلتَبِساً أسيافُنا بالاماثل
بكفّي فتىً مثلِ الشهابِ سَمَيْدع ... أخي ثقةٍ حامى الحقيقةِ باسل
شهوراً وأياماً وحولاً محرّماً ... علينا . وتأتي حجةٌ بعد قابل
وما ترْكُ قومٍ ـ لا أبالك ـ سيداً ... يحوط الذمارَ غير دربٍ مواكل
وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثمالِ اليتامى عِصمةٍ للأرامل
يلوذُ به الهُلّاك من آل هاشم ... فهمْ عنده في رحمةٍ وفواضل
لعمري لقد أجرى أسيدٌ وبَكرُه ... إلى بُغضِنا وجزآنا لآكل
وعثمانُ لم يَربَع علينا وقُنفذٌ ... ولكنْ أطاعا أمرَ تلك القبائل
أطاعا أبياً وابنَ عبدِ يَغوثِهم ... ولم يرقبا فينا مقالةَ قائل
كما قد لقينا من سُبَيْعٍ ونوفلٍ ... وكلٌّ تولى مُعرضا لم يجامل
فان يلفيا أو يُمكنِ اللهُ منهما ... نَكِلْ لهما صاعا بصاعِ المكايل
وذاك أبو عمرو أبَى غير بُغضنا ... ليُظعِننا في أهلِ شاءٍ وجامل
يناجي بنا في كل مُمسًى ومصبحٍ ... فناجِ أبا عمروٍ بنا ثم خاتل
ويؤلي لنا بالله ما أن يغشّنا ... بلى قد نراه جهرةً غير خائل
أضاقَ عليه بغضُنا كلَّ تلعة ... من الأرض بينَ أخشبَ فمجادل
وسائلْ أبا الوليدِ ماذا حبوتَنا ... بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنتَ امرءاً ممن يعاش برأيه ... ورحمتِه فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمعْ بنا قولَ كاشح ... حسودٍ كذوبٍ مبغضٍ ذي دغاول
ومرّ أبو سفيانَ عنيَ معرضا ... كما مرّ قيلٌ من عظام المقاول
يفرّ إلى نجدٍ وبرد مياهه ... ويزعم أني لستُ عنكم بغافل
ويخبرنا فعلَ المناصحِ أنه ... شفيقٌ ويخفي عارماتِ الدواخل
أمطعمُ لم أخذلْك في يوم نجدةٍ ... ولا معظِمٍ عندَ الأمور الجلائل
ولا يومَ خصمٍ إذ أتوك ألدّة ... أولي جدلٍ من الخصوم المساجل
أمطعم إن القومَ ساموك خطةً ... وإني متى أوكَلْ فلستُ بوائل
جزى الله عنا عبدَ شمسٍ ونوفلا ... عقوبةَ شرٍّ عاجلاً غيرَ آجل
بميزان قسطٍ لا يخيسُ شعيرةً ... له شاهدٌ من نفسِه غيرُ عائل

لقد سفهتْ أحلامُ قومٍ تبدلوا بني خَلَفٍ قيضاً بنا والغياطل
ونحن الصميمُ من دؤابةِ هاشم وآلِ قصيٍّ فى الخطوب الاوائل
وسهم ومخزوم تمالوا وألَّبوا علينا العِدى من كل طَمْلٍ وخامل
فعبد مناف أنتم خير قومكم فلا تُشركوا فى أمركم كلَّ واغل
لعمري لقد وهنْتُم وعجزتم وجئتم بأمرٍ مخطئٍ للمفاصل
وكنتم حديثاً حطبَ قِدْرٍ وأنتم الآنَ أحطابُ أقْدُرٍ ومَراجل
ليهنِ بني عبدِ منافٍ عقوقنا وخذلانا وتركنا فى المعاقل
فان نكُ قوماً نَتَّئِرْ ما صنعتمُ وتحتلبوها لَقحةً غير باهل
[(١)وسائطُ كانتْ فى لؤيِّ بن غالبٍ نفاهم إلينا كلُّ صَقْرٍ حلاحل
ورهط نفيل شرُّ من وطئ الحصى والأم حافٍ من معدٍّ وناعل]
فأبلغ قصيّا أن سينشَر أمرُنا وبشِّر قصيّاً بعدنا بالتخاذل
ولو طرقتْ ليلاً قصياً عظيمة إذا ما لجأنا دونهم فى المداخل
ولو صَدَقوا ضرباً خِلال بيوتهم لكنّا أسىً عندَ النساء المطافل
فكلُّ صديقٍ وابن اختٍ نعدّه لعمري وجدنا غبَّه غيرَ طائل
سوى أن رهطاً من كلابِ بن مرَّة براءً الينا من معقّةِ خاذل
[(٢) وهنّالهمْ حتى تبدَّد جمعهم ويحسَرَ عنا كلُّ باغٍ وجاهل
وكان لنا حوض السقاية فيهم ونحن الكُدى من غالبٍ والكواهل
شبابٌ من المطَّيَّبين وهاشم كبيض السيوفِ بين أيدي الصياقل
فما أدركوا ذَحْلاً ولا سَفكوا دماً ولا حالفوا إلا شِرَار القبائل
بضربٍ ترى الفتيانَ فيه كأنهم ضواري أسودٍ فوقَ لحمٍ خرادل
بني أمةٍ محبوبةٍ هندَكيّة بني جمح عُبَيْدُ قيس بن عاقل
ولكننّا نسل كرامٌ لساده بهم نعيَ الاقوامُ عند البواطل]
ونعم ابنَ أُختِ القوم غير مكذَّب زهير حساماً مفرَداً من حمائل
اشمَّ من الشمِّ البهاليلِ ينتمي إلى حسَبٍ فى حومةِ المجد فاضل
لعمري لقد كلِّفتُ وجْداً باحمدٍ وإخوته دَأْبَ المحبِّ المواصل

---

(١) لم يرد هذان البيتان فى الاصلين ، وزدناهما من سيرة ابن هشام .

(٢) هذه الابيات السبعة لم ترد فى الاصلين ، وزدناها من سيرة ابن هشام .

فمن مثلُه فى الناس أيّ مؤمّل　　إذا قاسه الحُكّام عند التفاضل
حليمٌ رشيد عادل غيرُ طائش　　يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
كريمُ المساعي ماجدٌ وابن ماجد　　له إرثُ مجدٍ ثابتٍ غير ناصل
وأيّده ربُّ العباد بنصره　　وأظهرَ ديناً حقُّه غير زائل
فواللهِ لولا أنْ أجيءَ بسُبّةٍ　　تجرُّ على أشياخِنا فى المحافل
لـكنّا تَبِعناه على كل حالة　　من الدهر جِدّاً غير قولِ التهازل
لقد عَلِموا أنّ ابننا لا مكذَّبٌ　　لدينا ولا يُعنَى بقولِ الأباطل
فأصبحَ فينا أحمدُ فى أرومةٍ　　يقصُرُ عنها سَوْرةُ المتطاول
حَدِبتُ بنفسي دونه وحميتُه　　ودافعت عنه بالذّرَى والـكلاكل

قال ابن هشام : هذا ما صح لى من هذه القصيدة و بعض أهل العلم بالشعر ينكر أ كثرها .

قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلا من نسبت اليه ، وهى أفخل من المعلقات السبع ، وابلغ فى تأدية المعنى فيها جميعها ، وقد أوردها الاموي فى معازيه مطولة بزيادات اخر والله أعلم (١)

فصل

قال ابن اسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله (ص) من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم و يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبهم ومنهم من يصلب لهم و يعصمه الله منهم ، فكان بلال مولى أبى بكر لبعض بنى جمح مولداً من مولديهم وهو بلال بن رباح ، واسم امه حمامة ، وكان صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا

(١) فى سيرة ابن هشام زيادة على ما أورده المؤلف من هذه القصيدة واختلاف فى بعض الألفاظ وتقديم وتأخير ليس هنا محل بسطه ولهذه القصيدة نسخ مطبوعة على حدتها فليرجع اليها من أراد ذلك و زاد ابن هشام هذه الابيات :

فلا زال فى الدنيا جمالا لاهلها　　وزينا لمن والاه رب المشاكل
رجال كرام غير ميل نماهم　　إلى الخير آباء كرام المحاصل
فان تك كعب من لؤى صقيبة　　فلا بد يوما مرة من تزايل

تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ص، وتعبد اللات والعزى فيقول - وهو فى ذلك - أحد أحد قال ابن اسحاق: فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب لذلك وهو يقول أحد أحد، فيقول أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول. أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا.

قلت: قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفى بعد البعثة فى فترة الوحى، وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول (يا أيها المدثر) فكيف يمر ورقة ببلال، وهو يعذب وفيه نظر. ثم ذكر ابن اسحاق مرور أبى بكر ببلال وهو يعذب، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فاعتقه وأراحه من العذاب وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والاماء، منهم بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عميس [1] التى أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها، والنهدية وابنتها اشتراها من بنى عبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهى تقول لهما: والله لا أعتقكما أبداً فقال أبو بكر. حل يا أم فلان، فقالت حل أنت أفسدتهما فاعتقهما. قال فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا. قال قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا اليها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده اليها؟ قال: ذلك إن شئتما. واشترى جارية بنى مؤمل - حى من بنى عدى - كان عمر يضربها على الاسلام. قال ابن اسحاق: فحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله قال قال أبو قحافة لابنه أبى بكر: يابنى إنى أراك تعتق ضعافا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلداء يمنعونك ويقومون دونك؟ قال فقال أبو بكر: يا أبة إنى إنما أريد ما أريد. قال: فتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) إلى آخر السورة وقد تقدم ما رواه الامام احمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود. قال أول من أظهر الاسلام سبعة، رسول الله ص، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد فاما رسول الله ص فمنعه الله بعمه، وأبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم أدرع الحديد وصهروهم فى الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فانه هانت عليه نفسه فى الله تعالى، وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد. ورواه الثورى عن منصور عن مجاهد مرسلا.

قال ابن اسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت اسلام - إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة. فيمر بهم رسول الله ص، فيقول - فيما بلغنى - :

(١) كذا فى الاصلين. والصحيح أن الذى أصيب بصرها (زنيرة) وضبطها السهيلى بكسر الزاى وتشديد النون فكأنها سقطت من الناسخ لأن ابن هشام ذكرها بعد أم عميس.

« صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » وقد روى البيهقى عن الحاكم عن ابراهيم بن عصمة العدل حدثنا السرى بن خزيمة حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام بن أبى عبيد الله عن أبى الزبير عن جابر ان رسول الله (ص) مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال : « أبشروا آل عمار وآل ياسر فان موعدكم الجنة » فاما أمه فيقتلوها فتأبى الا الاسلام . وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد . قال أول شهيد كان فى أول الاسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة فى قلبها . وهذا مرسل .

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم فى رجال من قريش ، إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنفلين رأيك ، ولنضعن شرفك . وإن كان تاجراً قال والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك . وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به لعنه الله وقبحه قال ابن اسحاق : وحدثنى حكيم بن جبير عن عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله (ص) من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم ؟ قال نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضر الذى به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له اللات والعزى إلهان من دون الله فيقول نعم ! افتداء منهم مما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفى مثل هذا أنزل الله تعالى [من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدره فعليهم غضب من الله ولهم عذاب اليم] الآية فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الاهانة والعذاب البليغ ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته . وقال الإمام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت . قال . كنت رجلا قينا وكان لى على العاص بن وائل دين ، فاتيته اتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال فانى إذا مت ثم بعثت جئتنى ولى ثم مال وولد فاعطيك ؟ فانزل الله تعالى (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) إلى قوله (ويأتينا فرداً) أخرجاه فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الاعمش به . وفى لفظ البخارى كنت قينا بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه فذكر الحديث . وقال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا بيان واسماعيل . قالا : سمعنا قيسا يقول سمعت خبابا يقول : أتيت النبى (ص) وهو متوسد ببردة وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه . فقال : « قد كان من كان قبلكم ليمشط بامشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما

يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هـذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله عز وجل » زاد بيان « والذئب على غنمه » وفى رواية « ولكنكم تستعجلون » انفرد به البخارى دون مسلم . وقد روى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله أعلم .

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان وابن جعفر حدثنا شعبة عن أبى اسحاق عن سعيد ابن وهب عن خباب . قال شكونا إلى النبى (ص) شدة الرمضاء فما أشكانا — يعنى فى الصلاة — وقال ابن جعفر . فلم يشكنا وقال أيضا . حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة عن أبى اسحاق قال سمعت سعيد بن وهب يقول سمعت خبابا يقول : شكونا إلى رسول الله (ص) الرمضاء فلم يشكنا ، قال شعبة يعنى فى الظهيرة . ورواه مسلم والنسائى والبيهقى من حديث أبى اسحاق السبيعى عن سعيد بن وهب عن خباب . قال شكونا إلى رسول الله (ص) حر الرمضاء — زاد البيهقى فى وجوهنا واكفنا — فلم يشكنا وفى رواية شكونا إلى رسول الله (ص) الصلاة فى الرمضاء فلم يشكنا وروا ابن ماجه عن على بن محمد الطنافسى عن وكيع عن الاعمش عن أبى اسحاق عن حارثة بن مضرب العبدى عن خباب . قال : شكونا إلى رسول الله (ص) حر الرمضاء فلم يشكنا . والذى يقع لى — والله أعلم — أن هذا الحديث مختصر من الأول وهو أنهم شكوا اليه (ص) ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن اسحاق وغيره ، وسألوا منه (ص) أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم فى الحالة الراهنة وأخبرهم عمن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ، ويبشرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلنه وينشره وينصره فى الاقاليم والآفاق حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون . ولهذا قال شكونا إلى رسول الله (ص) حر الرمضاء فى وجوهنا واكفنا فلم يشكنا ، أى لم يدع لنا فى الساعة الراهنة . فمن استدل بهذا الحديث على عدم الابراد أو على وجوب مباشرة المصلى بالكف كما هو أحد قولى الشافعى ففيه نظر والله أعلم .

باب

مجادلة المشركين رسول الله (ص) وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم فى أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحودا

قال اسحاق بن راهوايه : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختيانى عن عكرمة عن ابن عباس . أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله (ص) فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له فبلغ

ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ؛ قال لم ؟ قال ليعطوكه فانك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ، قال قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له . قال وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالاشعار منى ، ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيده منى ، ولا باشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله الذى يقوله حلاوة ، و إن عليه لطلاوة ، وانه لمثمر اعلاه مغدق أسفله ، و إنه ليعلو ولا يعلى ، و إنه ليحطم ما تحته . قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال قف عنى حتى أفكر فيه ، فلما فكر . قال : ان هذا الا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت (ذرنى ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً و بنين شهوداً) الآيات هكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن محمد الصنعانى بمكة عن اسحاق به . وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلا . فيه أنه قرأ عليه [إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون] وقال البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبدالجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير ـ أو عكرمة عن ابن عباس ـ أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر المواسم فقال ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قول بعضكم بعضا . فقيل : يا أبا عبد شمس فقل واقم لنا رأيا نقوم به ، فقال بل أنتم فقولوا وأنا اسمع فقالوا نقول كاهن ؟ فقال ما هو بكاهن رأيت الكهان . فما هو بزمزمة الكهان . فقالوا نقول مجنون ؟ فقال ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . فقال نقول شاعر ؟ فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر . قالوا فنقول هو ساحر ؟ قال ماهو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا بعقده . قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لمغدق، وان فرعه لجنى فما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل ، وان اقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر ، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه ، و بين المرء وأبيه ، و بين المرء و زوجته ، و بين المرء وأخيه ، و بين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم أحد لاحذروه اياه وذكروا لهم أمره وأنزل الله فى الوليد (ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدوداً و بنين شهودا) الآيات وفى أولئك النفر الذين جعلوا القرآن عضين (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) .

قلت : وفى ذلك قال الله تعالى اخبارا عن جهلهم وقلة عقلهم [بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هوشاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون] فحاروا ماذا يقولون فيه فكل شئ يقولونه باطل ؛ لأن

من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ . قال الله تعالى : (أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) . وقال الامام عبد بن حميد فى مسنده حدثنى أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا على ابن مسهر عن الاجلح هو ابن عبد الله الكندى عن الذيال بن حرملة الاسدى عن جابر بن عبد الله . قال : اجتمع قريش يوما فقالوا أنظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا لرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة . فقالوا . أنت يا أبا الوليد ، فاتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله (ص) . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله (ص) . قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وان كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة [1] قط اشأم على قومه منك فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحراً ، وان فى قريش كاهنا . والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى : أيها الرجل إن كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وإن كان إنما بك الباه فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً . فقال رسول الله (ص) : « فرغت ؟ » قال نعم ! فقال رسول الله (ص) [بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون] الى ان بلغ [فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود]. فقال عتبة : حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال لا ! فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه الا كلمته قالوا : فهل أجابك ؟ فقال نعم ! ثم قال لا والذى نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة . وقد رواه البيهقى وغيره عن الحاكم عن الاصم عن عباس الدورى عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الاجلح به . وفيه كلام ، وزاد : وان كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت وعنده أنه لما قال : (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أمسك عقبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ، ولم يخرج الى أهله واحتبس عنهم . فقال أبو جهل . والله يامعشر قريش ما نرى عتبة الا صبأ الى محمد واعجبه طعامه ، وما ذاك الا من حاجة اصابته ، انطلقوا بنا اليه فاتوه . فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا الا أنك صبوت الى محمد وأعجبك أمره ، فان كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد . فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدا ابداً . وقال . لقد علمتم أنى

(١) كذا فى الاصلين . وفى النهاية السخل : المولود المحبب الى أبويه .

من أكثر قريش مالا ، ولـكنى أتيته وقص عليهم القصة فاجابنى بشئ والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة ، قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم) حتى بلغ (فان اعرضوا فقل أنذرتـكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقـد علمتم أن محمداً اذا قال شيئاً لم يكذب ، نخفت أن ينزل عليكم العذاب ثم قال البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمـد بن اسحاق حدثنى يزيد بن أبى زياد مولى بنى هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً حليما قال ـ ذات يوم وهو جالس فى نادى قريش ، ورسول الله (ص) جالس وحده فى المسجد ـ : يا معشر قريش الا أقوم الى هذا فاعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا . قالوا : بلى يا أبا الوليـد ! فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله (ص) فذكر الحديث فيما قال له عتبـة وفيما عرض على رسول الله (ص) من المال والملك وغـير ذلك . وقال زياد بن اسحاق فقال : عتبة يا معشر قريش ألا أقوم الى محمـد فاكلمه واعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله (ص) يزيدون ويكثرون فقالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقم اليه وكلمه . فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله (ص) فقال : يا ابن أخى إنك منا حيث قـد علمت من الشطر فى العشيرة والمكان فى النسب ، وأنك قـد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع منى حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال فقال له رسول الله (ص) « يا أبا الوليد اسمع » . قال : يا ابن أخى إن كنت انما تريد بما جئت به من هـذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تـكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملـكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه ـ أو كما قال له ـ حتى اذا فرغ عتبة . قال له النبى (ص) : « افرغت يا أبا الوليـد ؟ » قال نعم ! قال اسمع منى ، قال افعل ! فقال رسول الله (ص) : (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) فمضى رسول الله (ص) يقرأها فلما سمع بها عتبة انصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله (ص) الى السجدة فسجدها ثم قال : « سمعت يا أبا الوليد ؟ » قال سمعت . قال : « فانت وذاك » ثم قام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلسوا اليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائى أنى والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا الـكهانة ، يا معشر قريش ،

أطيعونى واجعلوها بى . خلوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيى لكم فاصنعوا ما بدا لكم . ثم ذكر يونس عن ابن اسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهانى أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الادمى بمكة حدثنا أبو أيوب احمد بن بشر الطيالسى حدثنا داود بن عمرو الضبى حدثنا المثنى بن زرعة عن محمد بن اسحاق عن نافع عن ابن عمر . قال : لما قرأ رسول الله (ص.) على عتبة بن ربيعة (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعونى فى هذا الأمر اليوم ، واعصونى فيما بعده ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت اذناى كلاماً مثله ، وما دريت ما أرد عليه وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه . ثم روى البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن اسحاق حدثنى الزهرى . قال : حدثت أن أبا جهل وابا سفيان والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله (ص.) وهو يصلى بالليل فى بيته ، فاخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه . وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم فى نفسه شيئا . ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ثم انصرفوا . فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا . فلما اصبح الاخنس بن شريق اخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء اعرفها واعرف ما يراد بها فقال الاخنس : وأنا والذى حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ، تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، واعطوا فاعطينا ، حتى اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع به أبدا ولا نصدقه . فقام عنه الاخنس بن شريق ثم قال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس حدثنا احمد حدثنا يونس عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة . قال : إن أول يوم عرفت رسول الله (ص.) أنى امشى أنا وأبو جهل بن هشام فى بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله (ص.)

فقال رسول الله (ص) لأبي جهل : « يا أبا الحكم ، هلم إلى الله والى رسوله ، أدعوك إلى الله » . فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت منتهٍ عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك . فانصرف رسول الله (ص) . وأقبل عليّ فقال : والله اني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن [يمنعني] شيء . إن بني قصي قالوا : فينا الحجابة . فقلنا نعم ، ثم قالوا فينا السقاية ، فقلنا نعم ، ثم قالوا فينا الندوة ، فقلنا نعم . ثم قالوا فينا اللواء ، فقلنا نعم . ثم أطعموا وأطعمنا . حتى إذا تحاكّت الركب قالوا منا نبي ، والله لا أفعل .

وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال اخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم حدثنا محمد ابن خالد حدثنا احمد بن خلف حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق . قال: مر النبي (ص) على أبي جهل وأبي سفيان ، وهما جالسان . فقال أبو جهل : هذا نبيكم يا بني عبد شمس . قال أبو سفيان : وتعجب أن يكون منا نبي ؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل . فقال أبو جهل : أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبيا ، و رسول الله (ص) يسمع . فأتاهما فقال : « أما أنت يا أبا سفيان ، فما لله و رسوله غضبت ولكنك حميت للاصل . وأما أنت يا أبا الحكم ، فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيراً » فقال : بئسما تعدني يا ابن أخي من نبوتك . هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

وقول أبي جهل — لعنه الله — كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه [و إذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً ، أهذا الذي بعث الله رسولا ؟ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها . وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا] .

وقال الامام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : نزلت هذه الآية ورسول الله (ص) متوار بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال : كان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال فقال الله تعالى لنبيه محمد (ص) (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) وهكذا رواه صاحبا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به .

وقال محمد بن اسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله (ص) إذا جهر بالقرآن ـ وهو يصلي ـ تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو ، وهو يصلي ، استرق السمع ، دونهم فرقا منهم ، فان رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، فان خفض رسول الله (ص) لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فانزل الله تعالى (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك ، لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به (وابتغ بين ذلك سبيلا)

باب

هجرة أصحاب رسول الله ، من مكه الى ارض الحبشة

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد . والاهانة البالغة . وكان الله عز وجل قد حجزهم عن رسوله (ص) ،ومنعه بعمه أبي طالب ، كما تقدم تفصيله ولله الحمد والمنة . وروى الواقدى أن خروجهم اليها فى رجب سنة خمس من البعثة ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار الى الحبشة . وهم عثمان بن عفان ، وامراته رقيه بنت رسول الله (ص) وأبو حذيفة بن عتبة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الاسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العنزى ، وامرأته ليلى بنت أبى حثمة ، وأبو سبرة بن أبى رهم ، و[يقال بل أبو] حاطب بن عمرو[2] ، وسهيل بن بيضاء ، وعبد الله بن مسعود ، رضى الله عنهم أجمعين . قال ابن جرير وقال آخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلا ، سوى نسائهم وابنائهم ، وعمار بن ياسر ، نشك . فان كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلا .

وقال محمد بن اسحاق : فلما رأى رسول الله (ص) ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ، ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ؟ فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ـ حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ص) الى أرض الحبشة مخافة الفتنه ، وفراراً الى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت فى الاسلام فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان ، وزوجته رقية بنت رسول الله (ص) . وكذا روى البيهقى من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبرى عن بشر بن موسى[1] عن الحسن ابن زياد البرجمى حدثنا قتادة . قال : أول من هاجر الى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه سمعت النضر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة ـ يعنى أنس بن مالك ـ يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله (ص) الى أرض الحبشة ، فابطأ على رسول الله (ص) خبرهما فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته . قال : « على أى حال رأيتهما ؟ »

---

(١) وفى ز : عن يونس بن عيسى . (٢) التصحيح عن ابن هشام والاصابه عن محمود الامام

قالت رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة ، وهو يسوقها ، فقال رسول الله (ص) : « صحبهما الله ، ان عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام » .

قال ابن اسحاق : وأبو حذيفة بن عتبة ، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو ـ وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة ـ والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الاسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ـ وولدت له بها زينب ـ وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة ـ حليف آل الخطاب ، وهو من بنى عنز بن وائل وامرأته ليلى بنت أبي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم العامرى ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ـ ويقال أبو حاطب ابن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر — وهو أول من قدمها فيما قيل ـ وسهيل بن بيضاء . فهولاء العشرة أول من خرج من المسلمين الى أرض الحبشة فيما بلغنى . قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن اسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس ، وولدت له بها عبد الله بن جعفر . وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الاولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله (ص) إلى الشعب ، وفى هذا نظر والله أعلم . وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان فى الهجرة الثانية اليها . وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولا ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا ، فلما قدموا مكة ـ وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون ـ فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة . وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وهى الهجرة الثانية ـ كما سيأتى بيانه . قال موسى بن عقبة : وكان جعفر ابن أبي طالب فيمن خرج ثانيا . وما ذكره ابن اسحاق من خروجه فى الرعيل الاول أظهر كما سيأتى بيانه والله أعلم . لكنه كان فى زمرة ثانية من المهاجرين أولا ، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشى وغيره ، كما سنورده مبسوطا . ثم إن ابن اسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضى الله عنهم . وهم عمرو بن سعيد بن العاص ، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شق الكنانى ، وأخوه خالد : وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعى . وولدت له بها سعيداً ، وأمة التى تزوجها بعد ذلك الزبير ، فولدت له عمراً وخالداً . قال وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وأخوه عبيد الله ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وقيس بن عبد الله من بنى أسد بن خزيمة ، وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان ، ومعيقيب بن أبى فاطمة ،وهو من موالى سعيد بن العاص قال ابن هشام : وهو من دوس . قال وأبو موسى [الاشعرى] عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن

ربيعة . وسنتكلم معه فى هذا . وعتبة بن غزوان ، ويزيد بن زمعة بن الاسود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطليب بن عمير بن وهب بن أبى كثير بن عبد ، وسويبط بن سعد بن حرملة ، وجهم بن قيس العبدوى ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود بن خزيمة ، وولداه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر ابن الحارث بن كلدة ، وعامر بن أبى وقاص أخو سعد ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهرى ، وامرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة . وولدت بها عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبه ، والمقداد بن الاسود ، والحارث بن خالد بن صخر التيمى ، وامرأته ريطة بنت الحارث بن جبيله ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة ، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومى - قال وإنما سمى شماساً لحسنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان - وهبار بن سفيان بن عبد الاسد المخزومى ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبى حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعياش بن أبى ربيعة ابن المغيرة ، ومعتب بن عوف بن عامر - ويقال له عيهامة - وهو من حلفاء بنى مخزوم . قال : وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب ، وامرأته فكيهه بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وامرأته حسنة ، وابناه منها جابر وجنادة ، وابنها من غيره ؛ وهو شرحبيل بن عبد الله - أحد الغوث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذى يقال له شرحبيل ابن حسنة ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، وخنيس بن حذافة بن قيس ابن عدى ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل ابن سعيد ، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس ابن عدى ، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد ابناء الحارث ، وسعيد بن قيس ابن عدى لامه وهو سعيد بن عمرو التميمى . وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم ، وحليف لبنى سهم : وهو محمية بن جزء الزبيدى ، ومعمر بن عبد الله العدوى ، وعروة بن عبد العزى ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مخرمة العامرى ، وعبد الله ابن سهيل بن عمرو ، وسليط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة ، وامرأته عمرة بنت السعدى ، وأبو حاطب بن عمرو العامرى ، وحليفهم سعد بن خولة - وهو من اليمن ، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى ، وسهيل بن بيضاء - وهى أمه ، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال

ابن ضبة بن الحارث ، وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وعياض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ، وعمرو بن الحارث بن زهير ابن ابى شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير اخوات ، وسعيد بن عبد قيس بن لقيط ، وأخوه الحارث الفهريون . (١)

قال ابن اسحاق : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها ـ ثلاثة وثمانون رجلا إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه

قلت : وذكر ابن اسحاق أبا موسى الاشعرى فيمن هاجر من مكة الى أرض الحبشة غريب جداً . وقد قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبى اسحاق عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود . قال : بعثنا رسول الله (ص) الى النجاشى ، ونحن نحواً من ثمانين رجلا ، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر ، وعبد الله بن عرفطة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى فاتوا النجاشى . وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشى سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له : إن نفراً من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا . قال فأين هم ؟ قالا : فى أرضك ، فابعث اليهم ، فبعث اليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه ، فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال وما ذاك ؟ قال إن الله بعث الينا رسولا ثم أمرنا ان لا نسجد لاحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو : فانهم يخالفونك فى عيسى بن مريم ، قال فما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه ؟ قال نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول ، التى لم يمسها بشر ، ولم يفرضها ولد . قال فرفع عوداً من الارض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما يزيدون على الذى نقول فيه ما سوى هذا ، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله (ص) . وأنه الذى نجد فى الانجيل . وأنه الرسول الذى بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه . وأمر بهدية الآخرين فردت اليهما ، ثم تعجل عبدالله ابن مسعود حتى أدرك بدراً . وزعم أن النبى (ص) استغفر له حين بلغه موته . وهذا إسناد جيد قوى وسياق حسن . وفيه ما يقتضى أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم يكن ذكره مدرجا من بعض الرواة والله أعلم . وقد روى عن أبى اسحاق السبيعى من وجه آخر .

(١) وقع اختلاف بين الاصلين وبينهما وبين السيرة لابن هشام فى اسماء المهاجرين وعددهم وحيث المؤلف اسند النقل عن ابن اسحاق فما وافق احد الاصلين مع ابن هشام اعتمدناه .

فقال الحافظ أبو نعيم فى الدلائل حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا العلابى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل . وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا الحسن بن علويه القطان حدثنا عباد بن موسى الختلى حدثنا اسماعيل بن جعفر حدثنا إسرائيل وحدثنا أبو احمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا اسحاق بن ابراهيم – هو ابن راهويه – حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبى اسحاق عن أبى بردة عن أبى موسى قال : أمرنا رسول الله ص أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض النجاشى ، فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشى هدية وقدما على النجاشى فأتياه بالهدية ، فقبلها وسجدا له ثم قال عمرو بن العاص : إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم فى أرضك . قال لهم النجاشى فى أرضى ؟ قالا نعم ! فبعث الينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد . أنا خطيبكم اليوم ، فانتهينا الى النجاشى ، وهو جالس فى مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعماره عن يساره . والقسيسون جلوس سماطين . وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك . فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل فلما انتهينا الى النجاشى قال ما منعك أن تسجد ؟ قال لا نسجد إلا لله . فقال له النجاشى : وما ذاك ؟ قال إن الله بعث فينا رسولا – وهو الرسول الذى بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه احمد ، فامرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر . فاعجب النجاشى قوله . فلما رأى ذلك عمرو بن العاص . قال : أصلح الله الملك إنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم ، فقال النجاشى لجعفر . مايقول صاحبكم فى ابن مريم ؟ قال يقول فيه قول الله : هو روح الله وكلمته أخرجه من العذراء البتول التى لم يقربها بشر ولم يفرضها ولد : فتناول النجاشى عوداً من الارض فرفعه فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول فى ابن مريم ولا وزن هذه . مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فانا أشهد أنه رسول الله وأنه الذى بشر به عيسى . ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه ، امكثوا فى أرضى ما شئتم ، وأمر لنا بطعام وكسوة . وقال ردوا على هذين هديتهما ، وكان عمرو بن العاص رجلا قصيراً ، وكان عمارة رجلا جميلا ، وكانا أقبلا فى البحر ، فشربا ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلنى . فقال له عمرو : الا تستحى ؟ فاخذ عمارة عمراً فرمى به فى البحر ، فجعل عمرو : يناشد عمارة حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرو فى ذلك . فقال عمرو للنجاشى : إنك إذا خرجت خلفك عمارة فى أهلك . فدعا النجاشى بعمارة فنفخ فى إحليله فطار مع الوحش . وهكذا رواه الحافظ البيهقى فى الدلائل من طريق أبى على الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكر باسناده مثله إلى

قوله : فامر لنا بطعام وكسوة . قال وهذا اسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة ، وأنه حرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى . أنهم بلغهم مخرج رسول الله (ص) وهم باليمن فخرجوا مهاجرين فى بضع وخمسين رجلا فى سفينة ، فالقتهم سفينتهم إلى النجاشى بارض الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم ، فامره جعفر بالاقامة ، فاقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله (ص) زمن خيبر . قال وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر و بين النجاشى ، فاخبر عنه . قال ولعل الراوى وهم فى قوله : أمرنا رسول الله (ص) أن ننطلق والله أعلم .

وهكذا رواه البخارى فى باب هجرة الحبشة . حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى . قال : بلغنا مخرج النبي (ص) ونحن باليمن ، فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه فاقمنا معه حتى قدمنا فوافينا النبي (ص) حين افتتح خيبر ، فقال النبي (ص) : « لكم أنتم أهل السفينة هجرتان » وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن بَرّاد [بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى] كلاهما عن أبي اسامة به ، وروياه فى مواضع أخر مطولا والله أعلم .

وأما قصة جعفر مع النجاشى فان الحافظ ابن عساكر رواها فى ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية نفسه ، ومن رواية عمرو بن العاص . وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن روايه ابن مسعود كما تقدم ، وأم سلمة كما سيأتى . فاما رواية جعفر فانها عزيزة جداً . رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندى عن أبي الحسين بن النقور عن أبي طاهر المخلص عن أبي القاسم البغوى . قال حدثنا أبو عبدالرحمن الجعفى عن عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا أسد بن عمرو البجلى عن مجالد بن سعيد عن الشعبى عن عبد الله بن جعفر عن أبيه . قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشى . فقالوا له ــ ونحن عنده ــ : قد صار اليك ناس من سفلتنا وسفهائنا ، فادفعهم الينا ، قال لا حتى أسمع كلامهم . قال فبعث الينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال قلنا هؤلاء قوم يعبدون الاوثان ، وإن الله بعث الينا رسولا فآمنا به وصدقناه . فقال لهم النجاشى أعبيدهم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دين ؟ قالوا لا . قال فخلوا سبيلهم . قال فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص إن هؤلاء يقولون فى عيسى غير ما تقول ، قال إن لم يقولوا فى عيسى مثل قولى لم أدعهم فى أرضى ساعة من نهار . فارسل الينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الاولى ، قال مايقول صاحبكم فى عيسى بن مريم ؟ قلنا يقول : هو روح الله وكلمته القاها إلى عذراء بتول ، قال فارسل فقال ادعوا لى فلان القس ، وفلان الراهب . فأتاه ناس منهم فقال : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟

فقالوا أنت أعلمنا ، فما تقول؟ قال النجاشي — وأخذ شيئا من الارض — قال ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال أيؤذيكم أحداً ؟ قالوا نعم ! فنادى مناد من آذى أحداً منهم فاغرموه أربعة دراهم ثم قال أيكفيكم ؟ قلنا لا ، فأضعفها . قال فلما هاجر رسول الله ص إلى المدينة وظهر بها قلنا له إن رسول الله ص قد ظهر وهاجر إلى المدينة ، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيل اليه ، فزودنا . قال نعم ! فحملنا وزودنا ثم قال أخبر صاحبك بما صنعت اليكم ، وهذا صاحبي معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله . وقل له يستغفر لى . قال جعفر فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله ص واعتنقني ، ثم قال : « ما أدرى أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر ؟ » ووافق ذلك فتح خيبر ، ثم جلس فقال رسول النجاشي هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا ، فقال نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . وقال لى قل له يستغفر لى . فقام رسول الله ص فتوضأ ، ثم دعا ثلاث مرات « اللهم اغفر للنجاشي » فقال المسلمون آمين . ثم قال جعفر فقلت للرسول انطلق فاخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ص . ثم قال ابن عساكر حسن غريب .

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام عن أم سلمة رضى الله عنها . أنها قالت : لما ضاقت مكة وأوذى أصحاب رسول الله ص وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم ، وأن رسول الله ص لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله فى منعة من قومه ومن عمه لا يصل اليه شئ مما يكره ومما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ص : « إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه » فخرجنا اليها ارسالا حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظلما . فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمنا ، غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلا إلا هيئوا له هدية على حدة ، وقالوا لهما ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا اليه هداياه فان استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا . فقدما عليه فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا اليه هديته ، فكلموه فقالوا له : إنما قدمنا على هذا الملك فى سفهائنا ، فارقوا أقوامهم فى دينهم ولم يدخلوا فى دينكم . فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم ، فاذا نحن كلمناه فاشيروا عليه بأن يفعل فقالوا نفعل . ثم قدموا إلى النجاشي هداياه ، وكان من أحب ما يهدون اليه من مكة الأدم — وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا اليه فرساً وجبة ديباج — فلما أدخلوا عليه هداياه . قالوا له : أيها

الملك ـ إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجئوا إلى بلادك ، وقد بعثنا اليك فيهم عشائرهم ، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم ، فانهم أعلا بهم عيناً ، فانهم لن يدخلوا فى دينك فتمنعهم لذلك . فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم ، فأكلمهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجئوا الى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى فان كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وان كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينهم و بينهم ، ولم أنعم عينا ـ [وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بان يردهم اليهم . فقال : لا والله ! حتى اسمع كلامهم واعلم على أى شئ هم عليه ؟ فلما دخلوا عليـه سلموا ولم يسجدوا له . فقال : أيها الرهط ألا تحدثونى مالكم لا تحيونى كما يحييى من أتانا من قومكم ؟ فاخبرونى ماذا تقولون فى عيسى وما دينكم ؟ أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا . قال أفيهود أنتم ؟ قالوا : لا . قال : فعلى دين قومكم ؟ قالوا : لا . قال فما دينكم ؟ قالوا الاسلام . قال وما الاسلام ؟ قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئا . قال : من جاءكم بهذا ؟ قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله الينا كما بعث الرسل الى من قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقه والوفاء واداء الامانة . ونهانا أن نعبد الاوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبى الصادق وكذبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الاوثان ، ففررنا اليك بديننا ودمائنا من قومنا . قال : والله إن هـذا لمن المشكاة التى خرج منها أمر موسى . قال جعفر : وأما التحيـة فان رسول الله (ص) أخـبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرنا بذلك فحييناك بالذى يحيي بعضنا بعضا . واما عيسى ابن مريم فعبد الله و رسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وابن العذراء البتول . فاخذ عودا وقال : والله مازادابن مريم على هذا وزن هذا العود . فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك . فقال : والله لا أقول فى عيسى غير هذا أبدا ، وما أطاع الله الناس فى حين رد على ملكى فاطع الناس فى دين الله . معاذ الله من ذلك . وقال يونس عن ابن اسحاق [(1)] فارسل اليهم النجاشى فجمعهم ولم يكن شئ ابغض لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم . فلما جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقالوا ماذا تقولون ؟ فقالوا وماذا نقول ، نقول والله مانعرف . وما نحن عليـه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا (ص) كائن من ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليـه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنـه . فقال له النجاشى : ماهذا الدين الذى أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا فى يهودية ، ولا نصرانيـة . فقال له جعفر : أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الاوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار، يستحل المحارم بعضنا من

(1) مابين المربعين زيادة من النسخة المصريه .

بعض فى سفك الدماء وغيرها ، لانحل شيئا ولا نحرمه . فبعث الله الينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وامانته فدعانا الى أن نعبد الله وحده لاشريك له ونصل الارحام ونحمي الجوار ونصلى لله عزوجل، ونصوم له ، ولا نعبد غيره .

وقال زياد عن ابن اسحق : فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قال ـ فعدوا عليه أمور الاسلام ـ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده لاشريك له ولم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ماحرم علينا واحللنا ماأحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا و يردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا و بين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك و رغبنا فى جوارك ورجونا أن لانظلم عندك أيها الملك . قالت فقال النجاشى : هل معك شئ مما جاء به ؟ وقد دعا اساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله . فقال له جعفر ! نعم : قال هلم فاتل على مما جاء به ، فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكى والله النجاشى حتى أخضلت لحيته و بكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم . ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التى جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا . فخرجنا من عنده وكان أبقى الرجلين فينا عبد الله بن ربيعة . فقال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا بما استأصل به خضراءهم ، ولأخبرنه أنهم يزعمون ان إلهه الذى يعبد عيسى بن مريم عبد . فقال له عبدالله بن أبى ربيعة . لاتفعل فانهم وان كانوا خالفونا فان لهم رحماً ولهم حقاً . فقال : والله لافعلن ! فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى قولا عظيما ، فارسل اليهم فسلهم عنه . فبعث والله اليهم ولم ينزل بنا مثلها ، فقال بعضنا لبعض ماذا تقولون له فى عيسى ان هو يسألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذى قاله الله فيه ، والذى أمرنا نبينا ان نقوله فيه فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال له جعفر : نقول هو عبد الله و رسوله و روحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول . فدلى النجاشى يده الى الارض فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال : ماعدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد . فتناخرت بطارقته . فقال : وان تناخرتم والله ! اذهبوا فانتم سيوم فى الارض ـ السيوم الآمنون فى الارض ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ثلاثا ما أحب أن لى دبرا و إنى آذيت رجلا منكم ـ والدبر بلسانهم الذهب . وقال زياد عن ابن اسحاق ما احب أن لى دبرا من ذهب . قال

ابن هشام : ويقال زبرا وهو الجبل بلغتهم . ثم قال النجاشي : فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىّ ملكى ، ولا أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه . ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لى بها واخرجا من بلادى فخرجا مقبوحين مردودا عليهما ماجآ به قالت : فاقمنا مع خير جار فى خير دار ، فلم نشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه ، فوالله ماعلمنا حزنا حزناً قط هو أشد منه ، فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتى ملك لايعرف من حقنا ما كان يعرفه ، فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشى فخرج اليه سائراً فقال أصحاب رسول الله (ص) بعضهم لبعض من يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون ؟ وقال الزبير ـ وكان من أحدثهم سنا ـ أنا ، فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره ، فجعل يسبح عليها فى النيل حتى خرج من شقه الآخر الى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشي عليه . فجائنا الزبير فجعل يليح لنا بردائه ويقول ألا فابشروا ، فقد اظهر الله النجاشى . قلت : فوالله ماعلمنا [أننا] فرحنا بشئ قط فرحنا بظهور النجاشى ثم اقمنا عنده حتى خرج من خرج منا الى مكة ، وأقام من أقام .

قال الزهرى : فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة . فقال عروة : أتدرى ماقوله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه ؟ فقلت لا ! ماحدثنى ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة . فقال عروة : فان عائشة حدثتنى أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لاب النجاشى ولد غير النجاشى فادارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو انا قتلنا ابا النجاشى وملكنا أخاه فان له اثنا عشر رجلا من صلبه فتوارثوا الملك ، لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلا لا يكون بينهم اختلاف ، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه . فدخل النجاشى بعمه حتى غلب عليه فلا يدبر أمره غيره ، وكان لبيباً حازماً من الرجال ، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً الا قتله ، فكلموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا ، فمشوا الى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفت أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه وانا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا ، فأما ان تقتله واما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالامس واقتله اليوم . بل اخرجه من بلادكم فخرجوا به فوقفوه فى السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه فى سفينة بستمائة درهم أو بسبعمائة فانطلق به فلما كان العشى هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته ففزعوا الى ولده فاذاهم محمقون ليس فى أحد منهم خير فمرج على الحبشة أمرهم . فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ان ملككم الذى لايصلح أمركم غيره للذى بعتم الغداة ، فان كان لكم بأمر الحبشة

حاجة فادركوه قبل أن يذهب ، فخرجوا فى طلبه فادركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه واجلسوه على سريره وملكوه ، فقال التاجر : ردوا على مالى كما أخذتم منى غلامى ، فقالوا : لا نعطيك . فقال : اذا والله لا كلمنه ، فمتى اليه فكلمه فقال أيها الملك انى ابتعت غلاماً فقبض منى الذ. باعوه ثمنه ، ثم عدوا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يردوا على مالى ، فكان أول ماخبر به من صلابة حكمه وعدله ان قال : لتردن عليه ماله . أو لتجعلن يد غلامه فى يده فليذهبن به حيث ساء . فقالوا : بل نعطيه ماله فاعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله منى الرشوة فآخذ الرشوة حين رد على ملكى ، وما أطاع الناس فىّ فاطيع الناس فيه .

وقال موسى بن عقبة : كان أبو النجاشى ملك الحبشة ، فمات والنجاشى غلام صغير فاوصى الى أخيه أن اليك ملك قومك حتى يبلغ ابنى ، فاذا بلغ فله الملك فرغب أخوه فى الملك فباع النجاشى من بعض التجار فمات عمه من ليلته وقضى ، فردت الحبشة النجاشى حتى وضعوا التاج على رأسه هكذا ذكره مختصرا وسياق ابن اسحق أحسن وابسط فالله أعلم . والذى وقع فى سياق ابن اسحاق انما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة ، والذى ذكره موسى بن عقبة والاموى وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله (ص) حين تضاحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره (ص) وهو ساجد عند الكعبة . وهكذا تقدم فى حديث ابن مسعود وأبى موسى الاشعرى . والمقصود انهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه وعمارة كان شاباً حسنا فاصطحبا فى السفينة وكان عمارة طمع فى امرأة عمرو ابن العاص ، فألقى عمراً فى البحر ليهلكه فسبح حتى رجع اليها . فقال له عمارة : لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك ، فحقد عمرو عليه فلما لم يقض لهما حاجة فى المهاجرين من النجاشى ، وكان عمارة قدتوصل إلى بعض أهل النجاشى فوشى به عمرو فأمر به النجاشى فسحر حتى ذهب عقله وساح فى البرية مع الوحوش . — وقد ذكر الاموى — قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن أمارة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول أرسلنى أرسلنى والامت فلما لم يرسله مات من ساعته فالله إعلم . وقد قيل أن قريشا بعثت إلى النجاشى فى أمر المهاجرين مرتين الاول مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو ، وعبد الله بن أبى ربيعة . نص عليه أبو نعيم فى الدلائل والله أعلم . وقد قيل : إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر قاله الزهرى ، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يجبهم النجاشى رضى الله عنه وأرضاه إلى شئ مما سألوا فالله أعلم .

وقد ذكر زياد عن ابن اسحاق : أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشى أبياتا يحضه فيها على العدل وعلى الاحسان إلى من نزل عنده من قومه :

ألا ليتَ شعري كيفَ في النأي جعفرُ ... وعمرو وأعداءُ العدوّ الاقارب

وما نالتَ أفعالُ النجاشيّ جعفراً ... وأصحابَهُ أو عاقَ ذلك شاغِبُ

ونعلم ، ابيتَ اللعن أنك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يَشقى اليكَ المُجانِب

ونعلم بانّ اللهَ زادك بسطةً ... وأسبابَ خيرٍ كلّها بك لازِب

وقال يونس عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قال : إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والمشهور أن جعفرا هو المترجم رضي الله عنهم وقال زياد البكائي عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها . قالت لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور ، ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق به لما مات النجاشي رضي الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقال زياد عن محمد بن اسحاق : حدثني جعفر بن محمد عن أبيه . قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه ، فارسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا . وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن وخرج إلى الحبشة وصفوا له . فقال : يا معشر الحبشة الست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى ! قال فكيف أنتم بسيرتي فيكم ؟ قالوا خير سيرة . قال . فما بكم ؟ قالوا فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبده ورسوله . قال ؟ فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله . فقال النجاشي ــ ووضع يده على صدره على قبائه ــ : وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا ، وإنما يعني على ما كتب ،فرضوا وأنصرفوا . فبلغ رسول الله ص . فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له . وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ص . نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات . وقال البخاري : موت النجاشي حدثنا أبو الربيع حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر . قال قال رسول الله ص ــ حين مات النجاشي ــ مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة . وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد وفي بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفي رواية مصحمة وهو أصحمة بن بحر (١) وكان عبداً صالحا لبيبا زكيا وكان عادلا عالما رضي الله عنه وأرضاه . وقال يونس عن ابن اسحاق اسم النجاشي مصحمة وفي نسخة صححها البيهقي اصحم وهو بالعربية عطية

(١) في الاصلين : اصحمة بن ابجر والتصحيح عن القاموس نقلا عن محمود الامام .

قال و إنما النجاشي اسم الملك : كقولك كسرى ، هرقل .

قلت : كذا ولعله يريد به قيصر فانه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم ، وكسرى علم على من ملك الفرس ، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية وتبع لمن ملك اليمن والشحر ، والنجاشي لمن ملك الحبشة و بطليموس لمن ملك اليونان وقيل الهند وخاقان لمن ملك الترك وقال بعض العلماء إنما صلى عليه لانه كان يكتم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلهذا صلى عليه (ص). قالوا : فالغايب ان كان قد صلى عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ؟ ولهذا لم يصل النبي (ص) في غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل انه صلى على أحد منهم في غير البلدة التي صلى عليه فيها فالله أعلم .

قلت : وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاة على النجاشي ، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر [1] التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر ولهذا روى أن النبي (ص) قال « والله ما أدرى بايهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر بن أبي طالب » وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبي (ص) وصحبتهم أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الاشعري وقومه من الاشعريين رضي الله عنهم ، ومع جعفر وهدايا النجاشي ابن أخي النجاشي ذونخرا أو ذومخمرا أرسله ليخدم النبي (ص) عوضا عن عمه رضي الله عنهما وأرضاهما . وقال السهيلي : توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة وفي هذا نظر والله أعلم . وقال البيهقي أنبأنا الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الطوسي حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء الرقي حدثنا أبي العلاء بن مدرك حدثنا أبو هلال بن العلاء عن أبيه عن أبي غالب عن أبي أمامة . قال قدم وفد النجاشي على رسول الله (ص) فقام يخدمهم ، فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « انهم كانوا لأصحابي مكرمين و إني أحب أن أكافيهم » . ثم قال وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أنبأنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبي حدثنا طلحة بن زيد عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي قتادة . قال : قدم وفد النجاشي على رسول الله (ص) فقام رسول الله (ص) يخدمهم فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « انهم كانوا لاصحابنا مكرمين و إني أحب أن أكافيهم » . تفرد به طلحة بن زيد عن الاوزاعي . وقال البيهقي حدثنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو .

(١) كذا في الاصلين . ولعل العبارة (في السنة التي الخ) .

قال : لما قدم عمر و بن العاص من أرض الحبشة جلس فى بيته فلم يخرج اليهم ، فقالوا : ما شأنه ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو ان اصحمة يزعم أن صاحبكم نبى . .

قال ابن اسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعه على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله (ص) ، وردهم النجاشى بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله (ص) وبحمزة حتى غاظوا قريشا فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبه حتى أسلم عمر فلما اسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه قلت : وثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب وقال زياد البكائى حدثنى مسعر بن كدام عن سعد بن ابراهيم . قال قال ابن مسعود : إن اسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبه وصلينا معه .

قال ابن اسحاق : وكان اسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله (ص) إلى الحبشة . حدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبى حثمة قالت . والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر فى بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف على وهو على شركه ، فقالت وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا قالت فقال إنه الانطلاق يا أم عبد الله ، قلت نعم ! والله لنخرجن فى أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا ؟ حتى يجعل الله لنا مخرجا . قالت فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال : أطمعت فى اسلامه قالت قلت نعم ! قال لا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الاسلام .

قلت : هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الاربعين من المسلمين فان المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ، اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين ويؤيد هذا ما ذكره ابن اسحاق ههنا فى قصة اسلام عمر وحده رضى الله عنه ؛ وسياقها فانه قال : وكان اسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد اسلمت واسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون باسلامهم من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من بنى عدى قد أسلم أيضا مستخفيا باسلامه من قومه ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله (ص) ورهطا من أصحابه

فذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله (ص) عمه حمزة وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فى رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله (ص) بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة . فلقيه نعيم بن عبد الله فقال أين تريد يا عمر ؟ قال أريد محمداً هذا الصابى الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقتله . فقال له نعيم . والله لقد غرتك نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال : وأى أهل بيتى ، قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله اسلما وتابعا محمداً (ص) على دينه ، فعليك بهما فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم – أو فى بعض البيت – وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها : فلما دخل قال ما هذه الهينمة التى سمعت ؟ قالا له ما سمعت شيئا . قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه و بطش بختنه سعيد بن زيد . فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله و رسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع وأرعوى ، وقال لاخته أعطينى هذه الصحيفة التى كنتم تقرؤن آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمدا ؟ وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها ، قال لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها اليها ، فلما قال ذلك طمعت فى اسلامه فقالت يا أخى انك نجس على شركك ، و إنه لا يمسه إلا المطهرون فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدراً . قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه . فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج اليه فقال له : والله يا عمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه (ص) ، فانى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الاسلام بابى الحكم بن هشام — أو بعمر بن الخطاب — فالله الله ياعمر فقال عند ذلك : فدلنى ياخباب على محمد حتى آتيه فاسلم . فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه ، فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله (ص) وأصحابه فضرب عليهم الباب : فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله (ص) فنظر من خلل الباب فاذا هو بعمر متوشح بالسيف فرجع إلى رسول الله (ص) وهو فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف ، فقال حمزة فاذن له فان كان جاء يريد خيراً بذلناه و إن كان يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله (ص) « ايذن له » فاذن له الرجل ونهض اليه رسول الله (ص) حتى لقيه فى الحجرة فاخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة

فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر يارسول الله جئتك لأومن بالله و رسوله وبما جاء من عند الله . قال فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم ، فتفرق أصحاب رسول الله (ص) من مكانهم وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله (ص) ، وينتصفون بهما من عدوهم قال ابن اسحاق فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن اسلام عمر حين أسلم رضى الله عنه .

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى عن أصحابه عطاء ومجاهد وعمن روى ذلك : أن اسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للاسلام مباعداً وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت لو أنى جئت فلانا الخمار لعلى أجد عنده خمراً فاشرب منها ، فخرجت فجئته فلم أجده قال فقلت لو انى جئت الكعبة فطفت سبعا أو سبعين ، قال فجئت المسجد فاذا رسول الله (ص) قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه و بين الشام وكان مصلاه بين الركنين الاسود واليمانى ، قال فقلت حين رأيته والله لو انى استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه لاستمع منه لاروعنه . فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشى رويدا ورسول الله (ص) قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى و بينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبى وبكيت ودخلنى الاسلام ، فلم أزل فى مكانى قائما حتى قضى رسول الله (ص) صلاته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين ـ وكان مسكنه فى الدار الرقطاء التى كانت بيد معاوية ـ . قال عمر : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته . فلما سمع حسى عرفنى فظن أنى انما اتبعته لاوذيه ، فنهمنى[1] ثم قال ماجاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال قلت جئت لأومن بالله و برسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله رسول الله (ص) ثم قال : «قد هداك الله ياعمر» ثم مسح صدرى ودعالى بالثبات ثم انصرفت ودخل رسول (ص) بيته . قال ابن اسحاق فالله أعلم أى ذلك كان.

قلت : وقد استقصيت كيفية اسلام عمر رضى الله عنه وماورد فى ذلك من الاحاديث والآثار مطولا فى أول سيرته التى أفردتها على حدة ولله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق وحدثنى نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر . قال : لما أسلم عمر قال : أى قريش انقل للحديث ؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحى فغدا عليه ، قال عبد الله وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل ـ وأنا غلام أعقل كلما رأيت ـ حتى جاءه فقال له : اعلمت يا جميل انى أسلمت ودخلت فى دين

(١) النهم : الزجر والنهم زجر الاسد .

محمد (ص) ؟ قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلا صوته يا معشر قريش - وهم فى انديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبا . قال يقول عمر من خلفه كذب ولكنى قد اسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وثاروا اليه فما برح يقاتلهم و يقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم . قال وطلح [1] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله ان لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم ؟ فقالوا صبأ عمر ، قال فمه ؟ رجل اختار لنفسه امراً فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل . قال فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه . قال فقلت لأبى بعد أن هاجر الى المدينة : يا ابة من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم اسلمت وهم يقاتلونك؟ قال : ذاك أى بنى العاص بن وائل السهمى ، وهذا اسناد جيد قوى ، وهو يدل على تأخر اسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت احد فى سنة ثلاث من الهجرة وقد كان مميزا يوم أسلم أبوه ، فيكون اسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين ، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم .

وقال البيهقى : حدثنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق . قال ثم قدم على رسول الله (ص) عشرون رجلا وهو بمكة - أو قريب من ذلك - من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه فى المجلس ، فكلموه وسألوه ورجال من قريش فى انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله (ص) عما أرادوا ، دعاهم رسول الله (ص) الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقال : خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبا أحمق منكم - أو كما قال - قالوا لهم : لا نجاهلكم سلام عليكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيراً . فيقال إن النفر من نصارى نجران ، والله أعلم أى ذلك كان . و يقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات : (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون و إذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا و يدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ؛ و إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين) .

(١) وطلح : أى أعيى كذا فى النهاية فى تفسيره هذا الخبر .

فصل

قال البيهقي في الدلائل : باب ما جاء في كتاب النبي (ص) الى النجاشي ، ثم روى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق . قال : هذا كتاب من رسول الله (ص) إلى النجاشي (١) الاصحم عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله و رسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فانى أنا رسوله فاسلم تسلم [يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون] فان أبيت فعليك إثم النصارى من قومك

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة وفي ذكره ههنا نظر ، فان الظاهر أن هذا الكتاب انما هو إلى النجاشي الذى كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه ، وذلك حين كتب الى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح كما كتب الى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، و إلى كسرى ملك الفرس ، والى صاحب مصر ، و إلى النجاشي قال الزهري : كانت كتب النبي (ص) اليهم واحدة ؛ يعنى نسخه واحدة ، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران ، وهي مدنية بلا خلاف فانه من صدر السورة ، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة . فهذا الكتاب إلى الثانى لا إلى الأول ، وقوله فيه الى النجاشي الأصحم لعل الأصحم مقحم من الراوى بحسب ما فهم والله أعلم .

وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقي أيضا عن الحاكم عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه - بمرو - حدثنا حماد بن احمد حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق . قال : بعث رسول الله (ص) عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الاصحم ملك الحبشة ، سلام عليك ، فانى احمد اليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته القاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه ، و إنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني فتؤمن بي و بالذى جاءنى فانى رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المسلمين ، فاذا جاؤوك فاقرهم ودع التجبر فانى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى ،

(١) في المصرية : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله الى الخ وقوله الاصحم كذا في الاصلين وتقدم في ص ٧٧ أنه أصحمة .

والسلام على من اتبع الهدى . فكتب النجاشي إلى رسول الله (ص) : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشي الاصحم بن أبجر سلام عليك يانبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الاسلام فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والارض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقربنا ابن عمك وأصحابه فاشهد أنك رسول الله صادقا ومصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت اليك يا نبي الله باريحا بن الاصحم بن أبجر فاني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يارسول الله ، فاني أشهد أن ما تقول حق .

فصل

في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله (ص) وتحالفهم فيما بينهم عليهم . على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله (ص) ، وحصرهم إياهم في شعب أبي طالب مدة طويلة ، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة ، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله (ص) علانية . فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله (ص) شعبهم ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله . فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا . فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله (ص) ، وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فاجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله (ص) للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبداً ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل . فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الاسواق فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة ولا بيعا إلا بادروهم اليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (ص) ، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله (ص) ، فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالا له ، فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو أخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله (ص) وأمر رسول الله (ص) أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه ، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا

بالحق ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه ، و بعث الله على صحيفتهم الارضة فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق . و يقال كانت معلقة فى سقف البيت لم تترك اسما لله فيها إلا لحسته ، و بقى ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم ، وأطلع الله عز وجل رسوله على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله (ص) لابى طالب . فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبنى فانطلق يمشى بعصابته من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فاتوهم ليعطوهم رسول الله (ص) . فتكلم أبو طالب فقال قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فاتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فعله أن يكون بيننا و بينكم صلح ، و إنما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فاتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله (ص) مدفوعا اليهم فوضعوها بينهم . وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فانما قطع بيننا و بينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم . فقالوا أبو طالب : إنما أتيتكم لاعطيكم أمراً لكم فيه نصف ، إن ابن أخى أخبرنى ـ ولم يكذبنى ـ إن الله برئ من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ومحا كل اسم هوله فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم . فان كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال فافيقوا فوالله لا نسلمه أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا ، و إن كان الذى قال باطلا دفعناه اليكم فقتلتموه أو استحييتم . قالوا : قد رضينا بالذى تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق (ص) قد أخبر خبرها ، فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالوا والله إن كان هذا قط الاسحر من صاحبكم فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدة على رسول الله (ص) والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه . فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فانا نعلم إن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغى تركه أفنحن السحرة أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النفر من بنى عبد مناف و بنى قصى و رجال من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم منهم أبو البخترى والمطعم بن عدى و زهير بن أبى أمية بن المغيرة وزمعة بن الاسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو من بنى عامر بن لؤى ـ فى رجال من اشرافهم و وجوههم : نحن براء مما فى هذه الصحيفة . فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمر قضى بليل وأنشأ أبو طالب يقول الشعر فى شأن صحيفتهم و يمدح النفر الذين تبرؤا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد و يمتدح النجاشى .

قال البيهقى : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ ـ يعنى من طريق ابن لهيعة عن أبى

الاسود عن عروة بن الزبير — يعنى كسياق موسى بن عقبة رحمه الله — وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال: إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله (ص) لهم فى ذلك والله أعلم.

قلت. والاشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التى قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضا فذكرها ههنا أنسب والله أعلم. ثم روى البيهقى من طريق يونس عن محمد بن اسحاق. قال: لما مضى رسول الله (ص) على الذى بعث به وقامت بنو هاشم و بنو المطلب دونه، وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا و يسلموا أخاهم لما قارفه من قومه. فلما فعلت ذلك بنو هاشم و بنو المطلب وعرفت قريش أنلا سبيل إلى محمد، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم و بنى عبد المطلب أن لا ينا كحوهم ولا ينكحوا اليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة فى دلك وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فاوثقوهم وآذوهم واستد عليهم البلاء وعظمت الفتنة و زلزلوا زلزالا شديداً ثم ذكر القصة بطولها فى دخولهم شعب أبى طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الارضة فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أكلته و بقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان فاخبر الله تعالى بذلك رسول الله (ص) فاخبر بدلك عمه أبو طالب، ثم ذكر بقية القصة كروايه موسى بن عقبة وأتم.

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن اسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله (ص) قد نزلوا بلداً أصابوا منه امناوقراراً. وأن النجاشى قد منع من لجأ اليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله (ص) وأصحابه، وجعل الاسلام يفشو فى القبائل فاجتمعوا وأتتمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم و بنى عبد المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور ابن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى. قال ابن هشام: و يقال النضر ابن الحارث، فدعا عليه رسول الله (ص) فشل بعض أصابعه. وقال الواقدى: كان الذى كتب الصحيفة طلحة بن أبى طلحة العبدوى.

قلت: والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن اسحاق، وهو الذى شلت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها: أنظروا إلى منصور بن عكرمة. قال الواقدى: وكانت الصحيفة

معلقة فى جوف الكعبة . قال ابن اسحاق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم . وحدثنى حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقى هند بنت عتبة ابن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا . فقال : يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها وظاهر عليها ؟ قالت : نعم ! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنه كان يقول ــ فى بعض مايقول ــ يعدنى محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع فى يدى بعد ذلك ، ثم ينفخ فى يديه فيقول تبالكما لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد . فانزل الله تعالى (تبت يدا أبى لهب وتب) قال ابن اسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذى صنعوا قال أبو طالب :

ألا أبلغا عنّى على ذاتِ بيننا ... لؤيّاً وخُصّا من لؤيّ بني كَعْب
ألم تعلموا أنّا وجدْنا محمداً ... نبياً كموسى خُطَّ فى أول الكتب
وأن عليه فى العبادِ محبة ... ولا خيرَ ممّن خصّه الله بالحب (١)
وأن الذي الصقْتُموا من كتابكم ... لكم كائنٌ نحساً كراغيةِ السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفَر الثرى ... ويصبحَ من لم يجنِ ذنباً كذي الذنب
ولا تَتْبعوا أمرَ الوشاةِ وتقطعوا ... أواصرَنا بعدَ المودّة والقُرْب
وتستَجلِبوا حرباً عَواناً وربما ... أمَرَّ على من ذاقه حَلَبُ الحرب
فلسنا وربِّ البيتِ نُسْلِم أحمداً ... لعزّاءَ من عضّ الزمانِ ولا كَرْب
ولما تَبِنْ منّا ومنكمْ سوالفٌ ... وأيدٍ أُتِرَّتْ بالقساسيةِ الشُّهب
بمعتركٍ ضيقٍ ترى كِسَر القنا ... به والنسورَ الطُّخْمَ يَعكِفن كالشَّرب
كأنّ ضِحالَ الخيل فى حَجْراته ... ومعمعةَ الابطالِ معركةُ الحرب
أليس أبونا هاشمٌ شدّ أزرَه ... وأوصى بنيه بالطّعان وبالضرب
ولسنا نملّ الحربَ حتى تملَّنا ... ولا نشتكي ما قد ينوبُ من النكب
ولكنّنا أهلُ الحفائظِ والنُّهى ... إذا طارَ أرواحُ الكماةِ من الرُّعب

قال ابن اسحاق : فاقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا ولم يصل اليهم شئ الا سراً مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش ، وقد كان أبو جهل بن هشام ــ فيما يذكرون ــ لقى حكيم بن

(١) قال السهيلى قوله : ولا خير البيت . هو مشكل جداً . وأشبه ما يقال فى البيت أن خير مخفف من خير كهين وميت . وقوله ممن من متعلقة بمحذوف كأنه قال لاخير أخير ممن خصه الله الخ.

حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله (ص.) فى الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاءه أبو البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد . فقال : مالك وله . فقال : يحمل الطعام إلى بنى هاشم فقال له أبو البخترى طعام كان لعمته عنده بعثت به اليه أتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل قال فابى أبو جهل لعنه الله حتى نال أحدهما من صاحبه فاخذ أبو البخترى لحى بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئا شديداً ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله (ص.) وأصحابه فيشمتون بهم و رسول الله (ص.) على ذلك يدعو قومه ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً مناديا بامر الله تعالى لا يتقى فيه أحداً من الناس . فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بنى هاشم و بنى عبد المطلب دونه وحالوا بينهم و بين ما أرادوا من البطش به يهمزونه و يستهزئون به و يخاصمونه وجعل القرآن ينزل فى قريش باحداثهم وفيمن نصب لعداوته ، منهم من سمى لنا ومنهم من نزل القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار . فذكر ابن اسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه ، وأمية بن خلف ونزول قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) السورة بكمالها فيه . والعاص بن وائل ونزول قوله (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولداً) فيه . وقد تقدم شئ من ذلك . وأبا جهل بن هشام وقوله للنبى (ص) لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن آلهتك ونزول قول الله فيه (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) الآية . والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة – ومنهم من يقول علقمة بن كلدة قاله السهيلى – وجلوسه بعد النبى (ص.) فى مجالسه حيث يتلو القرآن و يدعو إلى الله ، فيتلو عليهم النضر شيئا من أخبار رستم واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب فى زمن الفرس ، ثم يقول : والله ما محمد باحسن حديثا منى ، وما حديثه إلا أساطير الاولين اكتتبها كما اكتتبها ، فانزل الله تعالى (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) وقوله (ويل لكل أفاك أثيم) .

قال ابن اسحاق : وجلس رسول الله (ص.) – فيما بلغنا – يوما مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله (ص.) فعرض له النضر ، فكلمه رسول الله (ص.) حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم [إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون] . ثم قام رسول الله (ص.) وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس . فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم . فقال عبد الله بن الزبعرى : أما

والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمداً أ كل من نعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى . فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول ابن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم (١) فذكر ذلك لرسول الله (ص). فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فى النار ، انهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته » فانزل الله تعالى : [إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون] أى عيسى وعزير ومن عبد من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى . ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) والآيات بعدها . ونزل فى إعجاب المشركين بقول ابن الزبعرى [ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون] وهذا الجدل الذى سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن ما لما لا يعقل ، فقوله : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الاحجار التى كانت صور أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم فى هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عزيراً ، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظا ولا معنى . فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) ثم قال (إن هو) أى عيسى (إلا عبد أنعمنا عليه) أى بنبوتنا (وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) أى دليلا على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقنا سائر بنى آدم من ذكر وأنثى كما قال فى الآية الاخرى (ولنجعله آية للناس) أى أمارة ودليلا على قدرتنا الباهرة (ورحمة منا) نرحم بها من نشاء .

وذكر ابن اسحاق : الاخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه (ولا تطع كل حلاف مهين) الآيات ، وذكر الوليد بن المغيرة حيث . قال : أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو (٢) الثقفى سيد ثقيف فنحن عظما القريتين . ونزل قوله فيه (وقال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) والتى بعدها ، وذكر أبى بن خلف حين قال لعقبة بن أبى معيط : ألم يبلغنى أنك جالست محمداً وسمعت منه وجهى من وجهك حرام إلا أن تتفل فى وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله ، فانزل الله [و يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى

(١) كذا فى الاصلين وفى ابن هشام ، ولعل الصواب (وخصم) .

(٢) كذا فى ح . وفى المصرية : عمرو بن عمر . وفى ابن هشام : عمر بن عمير .

اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا] والتى بعدها . قال ومشى أبى بن خلف بعظم بال قد أرم فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم فته بيده ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله (ص) . فقال : نعم ! أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار وأنزل الله تعالى [وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم] إلى آخر السورة . قال واعترض رسول الله (ص) - فيما بلغنى وهو يطوف عند باب الكعبة - الاسود بن المطلب . والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل . فقالوا . يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت فى الأمر . فانزل الله فيهم (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) إلى آخرها . ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم قال : أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال هلموا فلنتزقم فانزل الله تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) قال : ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله (ص) ورسول الله (ص) يكلمه وقد طمع فى اسلامه فمر به ابن أم مكتوم - عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة - الاعمى وكلم رسول الله (ص) وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك عليه حتى أضجره وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من اسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا ، وتركه فانزل الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) إلى قوله (مرفوعة مطهرة) وقد قيل ان الذى كان يحدث رسول الله (ص) حين جاءه ابن أم مكتوم أميه بن خلف فالله أعلم .

ثم ذكر ابن اسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم اسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت فى الصحيح وغيره أن رسول الله (ص) جلس يوما مع المشركين ، وأنزل الله عليه (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم) يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد . فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والانس ، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى [وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم] وذكروا قصة الغرانيق وقد أحببنا الاضراب عن ذكرها صفحا لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضيعها ، إلا أن أصل القصة فى الصحيح . قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . قال : سجد النبى (ص) بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انفرد به البخارى دون مسلم . وقال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت الاسود عن عبد الله . قال : قرأ النبى (ص) والنجم بمكة ، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصاً - أو تراب - فرفعه إلى جبهته وقال : يكفينى هذا ، فرأيته بعد قتل كافرا

ورواه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث شعبة . وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبى وداعة عن أبيه . قال قرأ رسول الله (ص) بمكة سورة النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعت رأسى وأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب . فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه وقد رواه النسائى عن عبد الملك بن عبد الحميد عن احمد بن حنبل به . وقد يجمع بين هذا والذى قبله بان هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذى استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية والله أعلم . والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله (ص) أعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم . فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك فاقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل فذكر ابن اسحاق اسماء من رجع منهم ، عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله (ص) ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وعتبة بن غزوان ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وسويبط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الاسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية ابن المغيرة ، وشماس بن عثمان ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة ـ وقد حبسا بمكة حتى مضت بدراً واحداً والخندق ـ وعمار بن ياسر ـ وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة أم لا . ومعتب ابن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخنيس بن حذافة ، وهشام بن العاص بن وائل ـ وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق ـ وعامر بن ربيعة ، وامرأته ليلى بنت أبى حثمة . وعبد الله بن مخرمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ـ وقد حبس حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرا ـ وأبو سبرة بن أبى رهم ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامرأته سودة بنت زمعة ـ وقد مات بمكة قبل الهجرة وخلف على امرأته رسول الله (ص) ـ وسعد بن خولة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير وسهيل بن بيضاء ، وعمرو بن أبى سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلا رضى الله عنهم . وقال البخارى وقالت عائشة قال رسول الله (ص) : « أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة . فيه عن أبى موسى واسماء رضى الله عنهما عن النبى (ص) وقد تقدم حديث أبى موسى وهو فى الصحيحين ، وسيأتى حديث اسماء بنت عميس بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله وبه الثقة . وقال البخارى حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله . قال

كنا نسلم على النبي ص) وهو يصلي فيرد علينا ، فلما رجعنا من عنـد النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا ، فقلنا : يارسول الله إنا كنا نسلم عليك فترد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي لم ترد علينا ؟ « قال إن في الصلاة شغلا » وقـد روى البخاري أيضا ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق أخر عن سليمان بن مهران عن الاعمش به ، وهو يقوى تأويل من تأول حـديث زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين كنا نتـكلم في الصلاة حتى نزل قوله (وقوموا لله قانتـين) فامرنا بالسكوت ونهينا عن الـكلام . على أن المراد جنس الصحابة فان زيداً أنصارى مدنى ، وتحريم الـكلام في الصلاة ثبت بمكة ، فتعين الحـمل على ما تقدم . وأما ذكره الآية وهي مدنية فمشكل ولعـله اعتقد أنها المحرمة لذلك وانما كان المحرم له غيرها معها والله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكان ممن دخـل معهم بجوار ، عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الاسـد في جوار خاله أبي طالب فان أمه برة بنت عبـد المطلب . فاما عثمان بن مظعون فان صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عمن حدثه عن عثمان . قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيـه أصحاب رسول الله (ص) من البلاء وهو يروح ويغدو في أمان من الوليد ابن المغيرة قال والله ان غدوي ورواحي في جوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كثير في نفسي ، فمشى الى الوليد بن المغـيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك . قال لم يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي قال لا ولـكني أرضى بجوار الله عز وجـل ، ولا أريد أن أستجير بغـيره . قال فانطلق الى المسجد فاردد على جوارى علانية كما أجرتك علانيـة . قال فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد بن المغيرة : هـذا عثمان قد جاء يرد على جوارى . قال صدق قـد وجدته وفيا كريم الجوار ولـكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره . ثم انصرف عثمان رضي الله عنـه ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد :

* ألا كل شيء ماخلا الله باطل *

فقال عثمان : صدقت . فقال لبيد :

* وكل نعيم لا محالة زائل *

فقال عثمان : كذبت نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يامعشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : ان هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما فقام اليه ذلك الرجل ولطم عينه فخضرها والوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان . فقال : والله يا ابن أخي ان كانت عينك عما أصابها لغنية ، ولقد

كنت فى ذمة منيعة . قال يقول عثمان : بل والله ان عينى الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها فى الله وانى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلم يا ابن أخى الى جوارك فعد . قال : لا ! .

قال ابن اسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الاسد فحدثنى أبى اسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن أبى سلمة أنه حدثه أن أبا سلمة لما استجار بابى طالب مشى اليه رجال من بنى مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال إنه استجار بى وهو ابن اختى وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى . فقام أبو لهب . فقال : يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهن أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . قالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبه . وكان لهم ولياً وناصراً على رسول الله (ص) فابقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله (ص) ، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله (ص) .

إن امرأً أبو [(١)] عُتَيبةَ عمُّهُ ... لفى روضةٍ ما ان يُسامُ المظالما
أقول لهُ وأينَ منه نصيحتى ... أبا معتبٍ [(٢)] ثبِّتْ سوادَك قائما
ولا تقبلنَّ الدهرَ ماعشتَ خطّةً ... تُسَبُّ بها إمّا هبطتَ المواسما
وولِّ سبيلَ العجزِ غيرَك منهم ... فإنك لم تُخلَق على العجزِ لازما
وحاربْ فان الحربَ نَصْفٌ ولن ترى ... أخا الحربِ يُعطِى الخسفَ حتى يسالما
وكيفَ ولمْ يجنوا عليك عظيمةً ... ولم يخذلوك غانماً أو مُغارِما
جزى اللهُ عنّا عبدَ شمسٍ ونوفلاً ... وتيماً ومخزوماً عُقوقاً ومأثما
بتفريقهمْ من بعدِ ودٍ وألفةٍ ... جماعتَنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبيتِ الله نبزى [(٣)] محمداً ... ولما تروا يوماً لدى الشِّعْبِ قائما

قال ابن هشام : وبقى منها بيت تركناه .

عزم الصدّيق على الهجرة الى الحبشة

قال ابن اسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن

(١) كذا فى الاصل وفى ابن هشام : (أبو عتيبة) . وبه يتزن البيت .
(٢) كذا فى الاصل : وكنيته (أبو عتبة) (٣) قال ابن هشام : نبزى : نسلب .

عروة عن عائشة حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الاذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله (ص.) وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله (ص.) فى الهجرة فاذن له ، فخرج أبو بكر رضى الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوما — أو يومين — لقيه ابن الدغنة أخو بنى الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الاحابيش . قال الواقدى : اسمه الحارث بن يزيد أحد بنى بكر من عبد مناة بن كنانة . وقال السهيلى : اسمه مالك . فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا على . قال ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف وتكسب المعدوم . أرجع فانك فى جوارى فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إنى قد أجرت ابن أبى قحافة فلا يعرض له أحد الا بخير . قال : فكفوا عنه . قالت : وكان لابى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جمح فكان يصلى فيه ، وكان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى قالت فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته ، قال فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة . فقالوا : يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق وكانت له هيئة ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فاته فمره بان يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء . قالت : فمشى ابن الدغنة اليه فقال : يا أبا بكر إنى لم أجرك لتؤذى قومك . وقد كرهوا مكانك الذى أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت . قال : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله . قال فاردد على جوارى . قال : قد رددته عليك . قال فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إن ابن أبى قحافة قد رد على جوارى فشأنكم بصاحبكم . وقد روى الامام البخارى هذا الحديث متفرداً به وفيه زيادة حسنة . فقال حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن هشام فاخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى (ص.) . قالت : لم أعقل ابواى قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله (ص.) طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد ، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فاريد أن أسيح فى الارض فاعبد ربى . فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك . فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، وطاف ابن الدغنة عشية فى اشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مرابا بكر فليعبد ربه فى داره ويصل فيها وليقرأ

ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لابى بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره . ثم بدا لابى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلى فيه و يقرأ القرآن ، فكان (١) نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه و ينظرون اليه . وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فارسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا . إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن فى الصلاة والقراءة فيه ، و إنا قد خشينا أن يفتن أبناؤنا ونساؤنا فانهه فان أحب على ان يقتصر ان يعبد ربه فى داره فعل ، وأن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله ان يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا نخفرك ولسنا مقرين لابى بكر الاستعلان قالت عائشة . فاتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال قد علمت الذى قد عاقدت عليه قريش (٢) فاما ان تقتصر على ذلك وأما ان ترد إلى ذمتى فانى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له . فقال أبو بكر . فانى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل . ثم ذكر تمام الحديث فى هجرة أبى بكر رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتى مبسوطا .

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قال . لقيه ـ يعنى أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة ـ سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه ترابا ، فمر بابى بكر الوليد بن المغيرة ـ أو العاص بن وائل ـ فقال له أبو بكر رضى الله عنه . ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول أى رب ما أحلمك . اى رب ما أحلمك ، أى رب ما أحلمك .

فصــل

كل هذه القصص ذكرها ابن اسحاق معترضا بها بين تعاقد قريش على بنى هاشم و بنى المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم إياهم فى الشعب ، و بين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهى أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على ابن اسحاق .

نقض الصحيفة

قال ابن اسحاق : هذا و بنو هاشم ، و بنو المطلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم

---

(١) فى النسخة المصرية . فيتقذف نساء المشركين الخ .

(٢) فى المصرية : قد عاقدتك عليه .

فى الصحيفة التى كتبوها ، ثم إنه قام فى نقض الصحيفة نفر من قريش ، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وذلك أنه كان ابن اخى نضلة بن هشام بن عبد مناف لامه ، وكان هشام لبنى هاشم واصلا ، وكان ذا شرف فى قومه فكان فيما بلغنى - يأتى بالبعير و بنو هاشم و بنو المطلب فى الشعب ليلا قد أوقره طعاما ، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبيه فدخل الشعب عليهم ثم يأتى به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك ، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبدالله ابن عمرو بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب . فقال : يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؟ أما إنى أحلف بالله لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعاك اليه منهم ما أجابك إليه أبداً قال : و يحك ياهشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها . قال قد وجدت رجلا . قال من هو ؟ قال أنا قال له زهير أبغنا ثالثا ، فذهب إلى المطعم بن عدى فقال له يامطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم سراعا ، قال و يحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد ، قال قد وجدت لك ثانيا . قال من ؟ قال أنا ، قال أبغنا ثالثا قال قد فعلت . قال من هو ؟ قال زهير بن أبى أمية قال أبغنا رابعا ، فذهب الى أبى البخترى بن هشام فقال نحو ما قال للمطعم بن عدى ، فقال وهل تجد أحداً يعين على هذا ؟ قال نعم ! قال من هو ؟ قال زهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وأنا معك . قال ابغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له وهل على هذا الأمر الذى تدعونى اليه من أحد ؟ قال نعم ثم سمى القوم . فاتعدوا حطم الحجون ليلا بأعلا مكة فاجتمعوا هنالك وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير . أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس . فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب و بنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . قال أبو جهل - وكان فى ناحية المسجد - والله لا تشق . قال : زمعة بن الاسود أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت . قال أبو البخترى : صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به . قال المطعم بن عدى : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها . قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . قال أبو جهل : هذا أمر قد قضى بليل تشور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد

وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمه فشلت يده فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ص قال لابى طالب : « ياعم إن الله قد سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعه والبهتان » فقال أربك أخبرك بهذا ؟ قال « نعم » ! قال فوالله ما يدخل عليك أحد . ثم خرج إلى قريش فقال . يا معشر قريش إن ابن أخى قد أخبرنى بكذا وكذا فهلم صحيفتكم فان كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن أخى . فقال القوم : قد رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هى كما قال رسول الله ص ، فزادهم ذلك شراً فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن اسحاق . فلما مزقت و بطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا فى نقض الصحيفة يمدحهم :

ألا هل أتى بحريّنا (١) صُنْعُ ربّنا ... على نأيهم والله بالناس أرودُ
فيُخبرهم أنّ الصحيفة مُزّقت ... وأنْ كلّ مالم يرضَه الله مفسد
تراوحها إفكٌ وسحرٌ مجمّع ... ولم يلفَ سحراً آخرَ الدهرِ يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقرٍ ... فطائرُها فى رأسِها يتردد
وكانت كفاء وقعةٌ بأثيمةٍ ... ليُقطَع منها ساعدٌ ومقلد
ويظعنُ أهل المكّتين فيهربوا ... فرائصُهم من خَشيةِ الشرّ تُرعد
ويترك حراثٌ يقلّب أمره ... أيُتْهِم فيها عند ذاك ويُنْجد
[وتصعد بين الأخشبين كتيبةٌ ... لها حدجٌ سهمٌ وقوسٌ ومرهد]
فمن ينشَ من عُشّار مكةَ عِزةً ... فعزّتنا فى بطن مكّةَ أتلد
نشأنا بها والناسُ فيها قلائل ... فلم ننفككْ نزدادُ خيراً ونحمد
ونطعِمُ حتى يتركَ الناسُ فضلَهم ... إذا جُعلت أيدى المُفيضين ترعد
جزى الله رهطاً بالحُجُون تجمّعوا ... على ملأٍ يَهدى لحزمٍ ويُرشد
قعوداً لدى خَطم الحَجُونِ كأنهم ... مقاولةٌ بل هم أعزّ وأمجد
أعانَ عليها كلُّ صقرٍ كأنه ... إذا ما مشى فى رفرفِ الدّرع أحرَد

(١) قال السهيلى : بحرينا يعنى الذين بارض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . وشرح الالفاظ الغريبة لهذه القصيدة وقد قابلناها على شرح غريب السيرة للخشنى .

حريٌّ على جُلّ الخطوب كأنه　　شهابٌ بكفّي قابسٍ يتوقد
من الأكرمينَ من لؤيِّ بن غالبٍ　　اذا سيمَ خسفاً وجهُه يتربد
طويلُ النّجاد خارجٌ نصفُ ساقِه　　على وجهه يُسقى الغمامُ ويسعد
عظيمُ الرمادِ سيّدٌ وابنُ سيّدٍ　　يحضّ على مَقرى الضيوفِ ويحشُد
ويبنى لأبناءِ العشيرةِ صالحاً　　اذا نحنُ طُفنا فى البلادِ ويمهد
ألظّ بهذا الصلحِ كلّ مبرّأٍ　　عظيمِ اللواءِ أمرُه ثَمّ يحمد
قَضَوا ما قضوا فى ليلِهم ثم أصبحوا　　على مَهَلٍ وسائرُ الناسِ رُقّد
همُ رجعوا سهلَ بنَ بيضاءَ راضياً　　وسُرَّ أبو بكرٍ بها ومحمد
متى سرك الاقوامُ فى جُلّ أمرنا　　وكنّا قديماً قبلَها نتودد
وكنّا قديماً لا نقرّ ظُلامةً　　وندركُ ما شِئنا ولا نتشدّد
فيال قصيٍّ هل لكمُ فى نفوسكم　　وهلْ لكمُ فيما يجيءُ به غد
فإنّي وإياكم كما قالَ قائلٌ　　لديكَ البيانُ لو تكلّمتْ أسود

[(١) قال السهيلى . أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول لديك البيان لو تكلمت أسود ، أى يا أسود لو تكلمت لابنت لنا عمن قتله] .

ثم ذكر ابن اسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدى وهشام بن عمرو لقيامهما فى نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة . وقد ذكر الاموى هنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن اسحاق .

وقال الواقدى : سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالا : فى السنة العاشرة — يعنى من البعثة — قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفى هذه السنة بعد خروجهم توفى أبو طالب عم رسول الله (ص) ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى

فصل

وقد ذكر محمد بن اسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصا كثيرة تتضمن نصب عداوة قريش لرسول الله (ص) ، وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك منه ؛ وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيبنا لهم فيما يرمونه من البغى والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقول ، والله

(١) ما بين المربعين زيادة من النسخة المصرية (محمود الامام) .

غالب على أمره . فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسي مرسلة ، وكان سيداً مطاعا شريفا في دوس ، وكان قد قدم مكة فاجتمع به اشراف قريش وحذروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه ، قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا [١] فرقا من أن يبلغني شئ من قوله وأنا لا أريد أن اسمعه قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، قال فقمت منه قريبا فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، قال فسمعت كلاما حسنا ، قال فقلت في نفسي واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته . قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته دخلت عليه فقلت يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا — الذي قالوا — قال فوالله ما برحوا بي يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا اسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعت قولا حسنا ، فاعرض علي أمرك : قال فعرض عليّ رسول الله ﷺ الاسلام وتلا عليّ القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه . قال فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي ، وإني راجع اليهم وداعيهم إلى الاسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم اليه قال فقال : « اللهم اجعل له آية » قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنيه تطلعني على الحاضر ، وقع بين عيني نور مثل المصباح . قال فقلت اللهم في غير وجهي فاني اخشى أن يظنوا بها مثله وقعت في وجهي لفراقي دينهم ، قال فتحول فوقع في رأس سوطي قال فجعل الحاضرون يتراؤن ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط عليهم من الثنيه حتى جئتهم فاصبحت فيهم ، فلما نزلت أتاني أبي — وكان شيخا كبيراً — فقلت : اليك عني — يا ابة فلست منك ولست مني ، قال ولم يا بني ؟ قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ . قال : أي بني فديني دينك . فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم ائتني حتى أعلمك مما علمت . قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم . قال ثم أتتني صاحبتي فقلت اليك عني فلست منك ولست مني قالت . ولم ؟ بأبي أنت وأمي قال قلت فرق بيني و بينك الاسلام ، وتابعت دين محمد ﷺ . قالت فديني دينك . قال : فقلت فاذهبي إلى حمى ذي الشرى فتطهري منه ، وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمى حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل . قالت : بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبيه من ذي الشرى سيئا ؟ قلت لا ، أنا ضامن لذلك قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فاسلمت ، ثم دعوت دوسا إلى الاسلام فابطؤا علي ، ثم جئت رسول

(١) الكرسف هو القطن كذا في هامش الحلبية .

الله (ص) بمكة . فقلت: يارسول الله إنه قـد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم . قال : « اللهم أهد دوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » . قال فلم أزل بارض دوس أدعوهم إلى الاسلام حتى هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله (ص) بمن أسلم معى من قومى ورسول الله (ص) بخيبر حتى نزلت المدينـة بسبعين ـ أو ثمانين بيتاً ـ من دوس فلحقنا برسول الله (ص) بخيبر فاسهم لنا مع المسلمين . ثم لم أزل مع رسول الله (ص) حتى فتح الله عليه مكة . فقلت : يارسول الله ابعثنى إلى ذى الـكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه . قال ابن اسحاق : فخرج اليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

يا ذا الـكَفين لستُ من عِبادكا   ميلادُنا أقدمُ من ميلادكا

* إني حشوتُ النارَ في فؤادكا *

قال ثم رجع رسول الله (ص) فـكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله (ص) فلما أرتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة فقال لاصحابه إنى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى ، رأيت أن رأسى حلق وأنه خرج من فمى طائر ، وأنه لقيتنى امرأة فادخلتنى فى فرجها وأرى ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عنى ؟ قالوا : خيراً قال : أما أنا والله فقد أولتها ، قالوا ماذا ؟ قال أما حلق رأسى فوضعه ، وأما الطائر الذى خرج منه فروحى ، وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالارض تحفر لى فاغيب فيها ، وأما طلب ابنى إياى ثم حبسه عنى فانى أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابنى . فقتل رحمـه الله تعالى شهيداً باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله . هكذا ذكر محمد بن اسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا اسناد . ولخبره شاهد فى الحديث الصحيح . قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة . قال : لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله (ص) قال إن دوسا قد استعصت قال : « اللهم اهد دوسا وائت بهم » رواه البخارى عن أبى نعيم عن سفيان الثورى . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قدم الطفيل بن عمرو الدوسى وأصحابه فقالوا يارسول الله إن دوسا قد عصت وابت فادع الله عليها . قال أبو هريرة فرفع رسول الله (ص) يديه فقلت هلـكت دوس . فقال : « اللهم اهد دوسا ، وائت بهم » اسناد جيد ولم يخرجوه . وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حجاج الصواف عن أبى الزبير عن جابر . أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله هل لك فى حصن حصين ومنعة ؟ ـ قال حصن كان لدوس فى الجاهلية ـ فابى ذلك

رسول الله (ص) للذى ذخر الله للانصار ، فلما هاجر النبى (ص) إلى المدينة هاجر اليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فجزع فاخذ مشاقص فقطع بها براجمه فشخبت يداه فما رقأ الدم حتى مات . فرآه الطفيل بن عمرو فى منامه فى هيئة حسنة ، ورآه مغطيا يديه . فقال له : ما صنع ربك بك فقال غفر لى بهجرتى إلى نبيه (ص) ، قال فما لى أراك مغطيا يديك ؟ قال قيل لى لن يصلح منك ما أفسدت . قال فقصها الطفيل على رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) : « اللهم وليديه فاغفر » رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة واسحاق بن ابراهيم كلاهما عن سليمان ابن حرب به . فان قيل فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت فى الصحيحين من طريق الحسن عن جندب قال قال رسول الله (ص) : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل عبدى بادرنى بنفسه فحرمت عليه الجنة » . فالجواب من وجوه ، أحدها أنه قد يكون ذاك مشركا وهذا مؤمن ، ويكون قد جعل هذا الصنيع سببا مستقلا فى دخوله النار وإن كان شركه مستقلا إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أمته . الثانى قد يكون هذاك عالما بالتحريم وهذا غير عالم لحداثة عهده بالاسلام الثالث قد يكون ذاك فعله مستحلا له وهذا لم يكن مستحلا بل مخطئا . الرابع قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فانه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك . الخامس قد يكون هذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار ، وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يلج النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه (ص) . ولكن بقى الشين فى يده فقط وحسنت هيئة سائره فغطى الشين منه فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطيا يديه قال له مالك ؟ قال قيل لى لن يصلح منك ما أفسدت فلما قصها الطفيل على رسول الله (ص) دعا له فقال : « اللهم وليديه فاغفر » أى فاصلح منها ما كان فاسداً . والمحقق أن الله استجاب لرسول الله (ص) فى صاحب الطفيل بن عمرو .

قصة أعشى بن قيس

قال ابن هشام : حدثنى خلاد بن قرة بن خالد السدوسى وغيره من مشايخ بكر بن وائل عن أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله (ص) يريد الاسلام ، فقال يمدح النبى (ص) :

ألم تغتمض عيناكَ ليلةَ أرمدا ... وبتَّ كما باتَ السليمُ مسهَّدا
وما ذاكَ من عِشقِ النساءِ وإنما ... تناسيتَ قبلَ اليومِ خلةَ مَهْدَدا
ولكن أرى الدهرَ الذي هو خائن ... اذا أصلحتْ كفّاي عادَ فأفسدا

كهولاً وشباناً فقدتُ وثروةً فلله هذا الدهرُ كيفَ ترددا
وما زلتُ أبغي المالَ مذْ أنا يافع وليداً وكهلاً حين شبتُ وأمردا
وأبتذلُ العيسَ المراقيلَ تعتلي مسافةَ ما بين النجير فصرخدا
ألا أيهذا السائلي أينَ يممتْ فإن لها في أهل يثربَ موعدا
فإن تسألي عني فيارُبَّ سائلٍ حفيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا
أجدتْ برجليها النجاءَ وراجعتْ يداها خنافاً ليناً غيرَ أحردا
وفيها إذا ما هجرتْ عجرفيةٌ إذا خلتُ حرباءَ الظهيرةِ أصيدا
وآليتُ لا آوي لها من كلالةٍ ولا من حفىً حتى تلاقي محمدا
متى ما تُناخي عند بابِ ابنِ هاشمٍ تُراحي وتلقيْ من فواضله ندى
نبيٌّ يرى ما لا ترَوْن وذكرُهُ أغارَ لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقاتٌ ما تغبُّ ونائلٌ فليسَ عطاء اليومِ مانعَهُ غدا
أجدَّكَ لم تسمعْ وصاةَ محمدٍ نبي الإله حيثُ أوصى وأشهدا
إذا أنتَ لم ترحل بزادٍ من التُّقى ولاقيتَ بعد الموتِ مَن قد تزوّدا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمثلِهِ فترصدَ للأمرِ الذي كان أرصدا
فإياكَ والميتاتِ لا تقربنَّها ولا تأخذنْ سهماً حديداً لتَفصِدا
وذا النُّصُب المنصوبِ لا تَنسُكنَّهُ ولا تعبدِ الاوثانَ واللهَ فاعبدا
ولا تقربنَّ جارةً(١) كان سرُّها عليكَ حراماً فانكِحَنْ أو تأبّدا
وذا الرحِمِ القُربى فلا تقطعنَّهُ لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المقيدا
وسبّحْ على حين العشية والضحى ولا تحمدِ الشيطانَ واللهَ فاحمدا
ولا تَسخرنْ من بائس ذي ضَرارةٍ ولا تحسبنَّ المالَ للمرءِ مُخلِدا

قال ابن هشام : فلما كان بمكة — أو قريب منها — اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ص ليسلم . فقال له . يا أبا بصير إنه يحرم الزنا . فقال : الاعشى والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب . فقال : يا أبا بصير إنه يحرم الخمر . فقال الاعشى : أما هذه فوالله إن في نفسي منها العلالات ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ، ثم آته فأسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى النبي (ص) . هكذا أورد ابن هشام هذه القصة ههنا وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن اسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله ، فان الخمر

(١) في المصرية وابن هشام (حرة) وفي ح . مكان سرها (أمرها) .

إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بنى النضير كما سيأتى بيانه فالظاهر أن عزم الاعشى على القدوم للاسلام إنما كان بعد الهجرة وفى شعره ما يدل على ذلك وهو قوله :

ألا أيها ذا السائلى أين يممت   فان لها فى أهل يثرب موعدا

وكان الانسب والاليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة الى ما بعد الهجرة ولا يوردها هاهنا والله أعلم . قال السهيلى : وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فان الناس مجمعون على ان الخمر لم ينزل تحريمها إلا فى المدينة بعد أحد . وقد قال وقيل إن القائل للاعشى هو أبو جهل بن هشام فى دار عتبة بن ربيعة . وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل فى بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله (ص) قال وقوله . ثم آته فاسلم ـ لا يخرجه عن كفره بلا خلاف والله أعلم .

ثم ذكر ابن اسحاق هاهنا قصة الاراشى وكيف استعدى إلى رسول الله (ص) من أبى جهل فى ثمن الجمل الذى ابتاعه منه ، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه فى الساعة الراهنة وقد قدمنا ذلك فى ابتداء الوحى وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصة مصارعة ركانة

وكيف أراه الشجرة التى دعاها فأقبلت (ص)

قال ابن اسحاق : وحدثنى أبى اسحاق بن يسار قال وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريشا ، فخلا يوما برسول الله (ص) فى بعض شعاب مكة فقال له رسول الله (ص) : يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه قال إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لاتبعتك فقال له رسول الله : « أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟ » . قال نعم ! قال : « فقم حتى أصارعك » . قال فقام ركانة اليه فصارعه فلما بطش به رسول الله (ص) أضجعه لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه . فقال يا محمد والله إن هذا للعجب ، أتصرعنى ؟ قال : « وأعجب من ذلك ان شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمرى » . ؟ قال وما هو ؟ قال : « أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى » . قال : فادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله (ص) . فقال لها : ارجعى الى مكانك فرجعت الى مكانها قال فذهب ركانة الى قومه فقال يا بنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الارض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع . هكذا روى ابن اسحاق هذه القصة مرسلة بهذا البيان . وقد روى أبو داود والترمذى من حديث أبى الحسن العسقلانى عن أبى جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه . أن ركانة صارع النبى (ص) فصرعه النبى (ص) ، ثم قال الترمذى غريب ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعي باسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات ، كل مرة على مائة من الغنم فلما كان في الثالثة قال يا محمد ما وضع ظهري الى الارض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض الي منك . وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقام عنه رسول الله ﷺ ورد عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فاقبلت فسيأتي في كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة في مرات متعددة ان شاء الله وبه الثقة . وقد تقدم عن أبي الاشدين أنه صارع النبي ﷺ فصرعه رسول الله ﷺ . ثم ذكر ابن اسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكبا الى مكة فاسلموا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشي ولله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ اذا جلس في المسجد يجلس اليه المستضعفون من أصحابه خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة ، ويسار مولى صفوان بن امية ، وصهيب . واشباههم من المسلمين . هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء اليه وما خصهم الله به دوننا . فانزل الله عز وجل فيهم : [ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم] . قال وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام (١) نصراني يقال له جبر ، عبد لبني الحضرمي وكانوا يقولون والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به الا جبر ، فانزل الله تعالى في ذلك من قولهم [انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين] . ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله ﷺ إنه ابتر أي لا عقب له فاذا مات انقطع ذكره . فقال الله تعالى : (إن شانئك هو الابتر) أي المقطوع الذكر بعده ، ولو خلف الوفا من النسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الاولاد والانسال والعقب ، وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسير ولله الحمد . وقد روى عن أبي جعفر الباقر : أن العاص بن وائل انما قال ذلك حين مات القاسم بن النبي ﷺ ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة . ثم ذكر نزول قوله : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا

(١) في الاصلين : بيعة وفي ابن هشام والسهيلي : مبيعة (وزان مفعلة) وقوله : عبد لبني الحضرمي الذي في ابن هشام عبد لابن الحضرمي .

ملكا لقضى الأمر) وذلك بسبب قول أبى بن خلف وزمعة بن الاسود والعاص بن وائل والنضر ابن الحارث ؛ لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك .

قال ابن اسحاق : ومر رسول الله (ص) فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبى جهل ابن هشام فهمزوه واستهزؤا به ؛ فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى فى ذلك من أمرهم (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) .

قلت : وقال الله تعالى [ولقد استهزئ برسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين] وقال تعالى (انا كفيناك المستهزئين) . قال سفيان عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : المستهزؤن الوليد بن المغيرة ، والاسود بن عبد يغوث الزهرى ، والاسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل[1] ، والعاص بن وائل السهمى . فأتاه جبريل فشكاهم اليه رسول الله (ص) فاراه الوليد فاشار جبريل الى انمله وقال كفيته ، ثم أراه الاسود بن المطلب فاومأ الى عنقه وقال كفيته ، ثم أراه الاسود بن عبد يغوث فأومأ الى رأسه وقال كفيته ، ثم أراه الحارث بن عيطل فاومأ الى بطنه وقال كفيته ، ومر به العاص بن وائل فاومأ الى أخمصه وقال كفيته . فاما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فاصاب أنمله فقطعها ، وأما الاسود بن عبد يغوث فخرج فى رأسه قروح فمات منها ، وأما الاسود ابن المطلب فعمى . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول : يابنى ألا تدفعون عنى قد قتلت فجعلوا يقولون ما نرى شيئا وجعل يقول يا بنى ألا تمنعون عنى قد هلكت ، هاهو ذا الطعن بالشوك فى عينى فجعلوا يقولون ما نرى شيئا . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الحارث بن عيطل فاخذه الماء الاصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها . وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل فى رأسه سبرقة حتى امتلأت منها فمات منها . وقال غيره فى هذا الحديث : فركب الى الطائف على حمار فربض به على شبرقة ـ يعنى شوكة ـ فدخلت فى أخمص قدمه شوكة فقتلته . رواه البيهقى بنحو من هذا السياق .

وقال ابن اسحاق : وكان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم ؛ الاسود بن المطلب أبوزمعة دعا عليه رسول الله (ص) فقال : « اللهم أعم بصره وأثكله ولده » . والاسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطلاطلة . وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم [فاصدع بما تؤمر وأعرض

(١) كذا فى الاصلين . وسيأتى انه ابن الطلاطلة وابن الطلاطل وهكذا فى ابن هشام والسيهلى وقد اختلف اصحاب السير فى ذلك ومنهم من حكى القولين معا

عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون] . وذكر أن جبريل أتى رسول الله (ص) وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله (ص) إلى جنبه فمر به الاسود ابن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار إلى بطنه فاستسقى باطنه فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فاشار إلى أثر جرح باسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يريش نبلا له من خزاعة فتعلق سهم بازاره فخدشه خدشا يسيراً ، فانتقض بعد ذلك فمات . ومر به العاص بن وائل فاشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته . ومر به الحارث بن الطلاطل فاشار الى رأسه فامتخص قيحا فقتله .

ثم ذكر ابن اسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أى بنى أوصيكم بثلاث ، دمى فى خزاعة فلا تطلوه ، والله إنى لأعلم أنهم منه براء ولكنى أخشى أن تسبوا به بعد اليوم . وربای فى ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقرى عند أبى أزيهر الدوسى فلا يفوتنكم به . وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتا له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان قد قبض عقرها منه ـ وهو صداقها ـ فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عقل الوليد ، وقالوا انما قتله سهم صاحبكم ، فابت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعارا وغلظ بينهم الأمر ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل واصطلحوا وتحاجزوا .

قال ابن اسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبى أزيهر وهو بسوق ذى المجاز فقتله ، وكان شريفا فى قومه . وكانت ابنته تحت أبى سفيان ـ وذلك بعد بدر ـ فعمد يزيد بن أبى سفيان فجمع الناس لبنى مخزوم وكان أبوه غائبا ، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنه : أعمدت إلى أن تقتتل قريش بعضها بعضا فى رجل من دوس ؟ وكتب حسان بن ثابت قصيدة له يحض أبا سفيان فى دم أبى أزيهر ، فقال بئس ما ظن حسان أن يقتتل بعضنا بعضا وقد ذهب اشرافنا يوم بدر ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله (ص) سأله فى ربا أبيه من أهل الطائف ؟ .

قال ابن اسحاق : فذكر لى بعض أهل العلم إن هؤلاء الآيات نزلن فى ذلك (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين) وما بعدها .

قال ابن اسحاق : ولم يكن فى بنى أزيهر ثأر نعلمه حتى حجز الاسلام بين الناس ، إلا أن ضرار ابن الخطاب بن مرداس الاسلمى خرج فى نفر من قريش إلى أرض دوس فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس ، فارادت دوس قتلهم بابى

أربهر فقامت دونه أم غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهم . قال السهيلي : يقال إنها أدخلته بين درعها وبدنها .

قال ابن هشام فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أتته أم غيلان وهي ترى أن ضراراً أخوه ، فقال لها عمر : لست بأخيه الا في الاسلام ، وقد عرفت منتك عليه فأعطاها على أنها بنت سبيل .

قال ابن هشام : وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول : انج يا ابن الخطاب لا أقتلك فكان عمر يعرفها له بعد الاسلام رضي الله عنهما

فصل

وذكر البيهقي هاهنا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على قريش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف وأورد ما أخرجاه في الصحيحين من طريق الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن مسعود . قال : خمس مضين : اللزام [1] والروم ، والدخان ، والبطشة ، والقمر وفي رواية عن ابن مسعود . قال إن قريشا ، لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبطئوا عن الاسلام قال « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف » قال فأصابتهم سنة حتى حصت كل شيء ، حتى أكلوا الجيف والميتة وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) قال فعادوا فكفروا فأخروا إلى يوم القيامة — أو قال فأخروا إلى يوم بدر — قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) قال يوم بدر . وفي رواية عنه . قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس ادباراً قال . « اللهم سبع كسبع يوسف » فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وأن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث ، فأطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر فقال « اللهم حوالينا ولا علينا » فانحدر السحاب عن رأسه فسقي الناس حولهم ، قال لقد مضت آية الدخان — وهو الجوع الذي أصابهم — وذلك قوله (انا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) وآية الروم ، والبطشة الكبرى . وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر . قال البيهقي يريد — والله أعلم — البطشة الكبرى ، والدخان ، وآية اللزام كلها حصلت ببدر قال وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء . أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث من الجوع لأنهم لم

---

(١) اللزام : هو يوم بدر ذكر ذلك في النهاية .

يجدوا شيئا حتى أكلوا العهن ، فأنزل الله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) قال فدعا رسول الله ﷺ حتى فرج الله عنهم ثم قال الحافظ البيهقي : وقد روى في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين والله أعلم .

فصل

ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى (الٓمٓ غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) . ثم روى من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن ابي عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لانهم أهل اوثان ، فذكر ذلك المسلمون لابي بكر فذكره أبو بكر للنبي ﷺ ، فقال : « أما أنهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : إجعل بيننا و بينك أجلا إن ظهروا كان لك كذا وكذا ، و إن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ ، فقال : « ألا جعلته أداة » . قال دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك .

وقد أوردنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المباحث - أي المراهن - لابي بكر أمية ابن خلف وأن الرهن كان على خمس قلايص . وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ . وفي الرهن وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر - أو كان يوم الحديبية - فالله أعلم .

ثم روى من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابي أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه . قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق ، كل ذلك في خمس عشرة سنة .

فصل

الاسراء برسول الله (ص) من مكة الى بيت المقدس

ذكر ابن عساكر أحاديث الاسراء في أوائل البعثة ، وأما ابن اسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين ، وروى البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال . أسري برسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة . قال : وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة . ثم روى الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أسباط بن نصر عن اسماعيل السدي . أنه قال : فرض على رسول الله ﷺ الخمس ببيت المقدس

ليلة أسرى به قبل مهاجره بستة عشر شهراً ، فعلى قول السدى يكون الاسراء فى شهر ذى القعدة ، وعلى قول الزهرى وعروة يكون فى ربيع الاول . وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عثمان عن سعيد ابن ميناء عن جابر وابن عباس . قالا : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الاول . وفيه بعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات . فيه انقطاع . وقد اختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى فى سيرته وقد أورد حديثا لا يصح سنده ذكرناه فى فضائل شهر رجب أن الاسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم . ومن الناس من يزعم أن الاسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهى ليلة الرغائب التى أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم . وينشد بعضهم فى ذلك :

ليلةَ الجمعةِ عُرِّجَ بالنبى ليلةَ الجمعةِ أوّلَ رَجَبِ

وهذا الشعر عليه ركاكة وانما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به . وقد ذكرنا الاحاديث الوارده فى ذلك مستقصاة عند قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) فلتكتتب من هناك على ما هى عليه من الاسانيد والعزو ، والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة .

ولنذكر ملخص كلام ابن اسحاق رحمه الله فانه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول : ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم : من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى — وهو بيت المقدس من ايلياء — وقد فشا الاسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها . قال وكان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن ابن مسعود وأبى سعيد وعائشة ومعاوية وأم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنهم والحسن بن أبى الحسن وابن شهاب الزهرى وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع فى هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر لى من أمره وكان فى مسراه صلى الله عليه وسلم وما ذكر لى منه بلاء . وتمحيص وأمر من أمر الله وقدرته وسلطانه فيه عبرة لأولى الالباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين ، فاسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها ما يريد . وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى يقول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الانبياء قبله ، تضع حافرها فى موضع منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والارض حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية من لبن وخمر ، وماء . فذكر أنه شرب اناء اللبن ، فقال لى جبريل هديت وهديت أمتك . وذكر ابن اسحاق فى سياق الحسن البصرى مرسلا أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فاركبه

البراق وهو دابة أبيض بين البغل والحمار وفى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره فى منتهى طرفه . ثم حملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته .

قلت : وفى الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن اسحاق أن رسول الله ص ، لما أراد ركوب البراق شمس به فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحى يا براق مما تصنع ، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه . قال فاستحى حتى أرفض عرقا ثم قرحتى ركبته . قال الحسن فى حديثه فمضى رسول الله ص ، ومضى معه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الانبياء فأمهم رسول الله ص فصلى بهم، ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر وقول جبريل له هديت وهديت أمتك ، وحرمت عليكم الخمر . قال ثم انصرف رسول الله ص ، إلى مكة فاصبح يخبر قريشا بذلك فذكر أنه كذبه أكثر الناس وارتدت طائفة بعد اسلامها ، وبادر الصديق إلى الصديق وقال بى لا صدقه فى خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدقه فى بيت المقدس وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول ص قال فيومئذ سمى أبو بكر الصديق . قال الحسن وأنزل الله فى ذلك (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) الآية وذكر ابن اسحاق فيما بلغه عن أم هانئ أنها قالت : ما أسرى برسول الله ص ، الا من بيتى نام عندى تلك الليلة بعد ما صلى العشاء الآخرة فلما كان قبيل الفجر أهبنا فلما كان الصبح وصلينا معه . قال : « يا أم هانى لقد صليت معكم العشاء الآخرة فى هذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » ثم قام ليخرج فاخذت بطرف ردائه فقلت يا نبى الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك . قال : « والله لأحدثنهموه » فأخبرهم فكذبوه . فقال وآية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا ، فانفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والاخرى برقاء . قال فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الذى وصف لهم ، وسألوهم عن الاناء وعن البعير فاخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه .

وذكر يونس بن بكير عن اسباط بن اسماعيل السدى أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن تقدم تلك العير ، فدعا الله عز وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم . قال فلم تحتبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون . رواه البيهقى .

قال ابن اسحاق : وأخبرنى من لا أتهم عن أبى سعيد قال سمعت رسول الله ص يقول . « لما

فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئا قط احسن منه وهو الذى يمد اليه ميتكم عينيه اذا حضر ، فاصعدنى فيه صاحبى حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه بريد من الملائكة يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر الف ملك تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر الف ملك ، قال يقول رسول الله ص ، اذا حدث بهذا الحديث (وما يعلم جنود ربك الا هو). ثم ذكر بقية الحديث وهو مطول جداً وقد سقناه باسناده ولفظه بكماله فى التفسير وتكلمنا عليه فانه من غرائب الاحاديث وفى اسناده ضعف ؛ وكذا فى سياق حديث أم هانئ فان الثابت فى الصحيحين من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس أن الاسراء كان من المسجد من عند الحجر وفى سياقه غرابة أيضا من وجوه قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله : وذلك قبل أن يوحى اليه ، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل ان يوحى اليه فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شىء ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل فى ذلك ، وذلك قبل أن يوحى اليه بل جاءه بعد ما أوحى اليه فكان الاسراء قطعا بعد الايحاء إما بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون وهو الاظهر ، وغسل صدره تلك الليلة قبل الاسراء غسلا ثانيا ـ أو ثالثا ـ على قول أنه مطلوب إلى الملأ الاعلى والحضرة الالهية ثم ركب البراق رفعة له وتعظيما وتكريما فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التى كانت تربط بها الانبياء ثم دخل بيت المقدس فصلى فى قبلته تحية المسجد . وأنكر حذيفة رضى الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه وهذا غريب ، والنص المثبت مقدم على النافى . ثم اختلفوا فى اجتماعه بالانبياء وصلاته بهم أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سنذكره على قولين فالله أعلم . وقيل إن صلاته بالانبياء كانت فى السماء ، وهكذا تخييره من الآنية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو فى السماء كما ثبت فى الحديث الصحيح والمقصود أنه ص لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة . فصعد من سماء إلى سماء فى المعراج حتى جاوز السابعة وكلما جاء سماء تلقته منها مقربوها ومن فيها من أكابر الملائكة والانبياء وذكر أعيان من رآه من المرسلين كآدم فى سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى فى الثانية [1] وإدريس فى الرابعة ، وموسى فى السادسة ـ على الصحيح ـ وابراهيم فى السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذى يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يتعبدون فيه صلاة وطوافا ثم لا

(١) كذا فى الاصلين ولم يذكر الثالثة ولا الخامسة . وفى ابن هشام أنه رأى فى الثالثة يوسف الصديق وفى الخامسة هارون .

يعودون اليه إلى يوم القيامة ، ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الاقلام ، ورفعت لرسول الله (ص) سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها كقلال هجر ، وغشيها عند ذلك أمور عظيمة الوان متعددة باهرة وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة وفراش من ذهب وغشيها من نور الرب جل جلاله ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والارض وهو الذى يقول الله تعالى [ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى] أى ما زاغ يمينا ولا شمالا ولا ارتفع عن المكان الذى حد له النظر اليه . وهذا هو الثبات العظيم والادب الكريم وهذه الرؤيا الثانيه لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضى الله عنهم أجمعين والاولى هى قوله تعالى [علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى إلى عبده ما أوحى] وكان ذلك بالابطح ، تدلى جبريل على رسول الله (ص) ساداً عظم خلقه ما بين السماء والارض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى ، هذا هو الصحيح فى التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضى الله عنهم . فاما قول شريك عن أنس فى حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقد يكون من فهم الراوى فاقحمه فى الحديث والله أعلم . وإن كان محفوظا فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شيء آخر غير ما دلت عليه الآية الكريمة والله أعلم . وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد (ص) وعلى أمته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب جل جلاله وله الحمد والمنه إلى خمس . وقال هى خمس وهى خمسون الحسنة بعشر أمثالها ، فحصل له التكليم من الرب عز جل ليلتئذ ، وأئمة السنه كالمطبقين على هذا ، واختلفوا فى الرؤيه فقال بعضهم رآه بفؤاده مرتين ، قاله ابن عباس وطائفة ، وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد ، وممن أطلق الرؤية أبو هريرة واحمد بن حنبل رضى الله عنهما . وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين وأختاره ابن جرير وبالغ فيه وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين . وممن نص على الرؤية بعينى رأسه الشيخ أبو الحسن الاشعرى فيما نقله السهيلى عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووى فى فتاويه . وقالت طائفة لم يقع ذلك لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم . قلت : يارسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نورانى أراه » وفى رواية « رأيت نورا » . قالوا ولم يكن رؤية الباقى بالعين الفانيه ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى فى بعض الكتب الالهية ياموسى إنه لا يرانى حى إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده والخلاف فى هذه المسئله مشهور بين السلف والخلف والله أعلم . ثم هبط رسول الله (ص) إلى بيت المقدس

والظاهر أن الانبياء هبطوا معه تكريما له وتعظيما عند رجوعه من الحضرة الالهيّة العظيمة كما هى عادة الوافدين لا يجتمعون باحد قبل الذى طلبوا اليه ، ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل ـ عند ما يتقدم ذاك للسلام عليه ـ هذا فلان فسلم عليه ، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرف بهم مرة ثانية . ومما يدل على ذلك أنه قال فلما حانت الصلاة : أممتهم . ولم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إماما بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل ، فاستفاد بعضهم من هذا أن الامام الاعظم يقدم فى الامامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محل ودار اقامتهم ، ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فاصبح بها وهو فى غاية الثبات والسكينة والوقار .
وقد عاين فى تلك الليلة من الآيات والامور التى لو رآها ـ أو بعضها ـ غيره لاصبح مندهشا أو طائش العقل ، ولكنه (ص) أصبح واجما ـ أى ساكتا ـ يخشى إن بدأ فاخبر قومه بما رأى أن يبادروا الى تكذيبه ، فتلطف باخبارهم أولا بانه جاء بيت المقدس فى تلك الليلة وذلك أن أبا جهل لعنه الله ـ رأى رسول الله (ص) فى المسجد الحرام وهو جالس واجم . فقال له : هل من خبر ؟ فقال نعم ! فقال : وما هو ؟ فقال انى أسرى بى الليلة الى بيت المقدس . قال الى بيت المقدس ؟ قال نعم ! قال أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما اخبرتنى به ؟ قال نعم ! فاراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله (ص) جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم . فقال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديتهم فقال أخبر قومك بما أخبرتنى به ، فقص عليهم رسول الله (ص) خبر ما رأى وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه ، فمن بين مصفق و بين مصفر تكذيبا له واستبعاداً لخبره وطار الخبر بمكة وجاء الناس الى أبى بكر رضى الله عنه فاخبروه أن محمداً (ص) يقول كذا وكذا . فقال : انكم تكذبون عليه فقالوا والله إنه ليقوله فقال : ان كان قاله فلقد صدق . ثم جاء الى رسول الله (ص) وحوله مشركى قريش فسأله عن ذلك فاخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به . وفى الصحيح : أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله (ص) عن ذلك . قال : فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس على بعض الشىء ، فجلى الله لى بيت المقدس حتى جعلت أنظر اليه دون دار عقيل وأنعته لهم . فقال : أما الصفة فقد أصاب .

وذكر ابن اسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه مائهم ، فاقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة ، فآمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه . كما قال الله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) أى اختباراً لهم وامتحانا . قال ابن عباس : هى رؤيا عين اريها رسول الله (ص) . وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الاسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه

وصعوده فى المعراج وغير ذلك . ولهذا قال فقال : [سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه] والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد والعبد عبارة عنهما وأيضا فلو كان مناما لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له إذ ليس فى ذلك كبير أمر ، فدل على أنه أخبرهم بانه أسرى به يقظة لا مناما وقوله فى حديث شريك عن أنس : ثم استيقظت فاذا أنا فى الحجر معدود فى غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة كما سيأتى فى حديث عائشة رضى الله عنها حين ذهب رسول الله ص . الطائف فكذبوه ، قال فرجعت مهموما فلم استفق إلا بقرن الثعالب ، وفى حديث أبى أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله ص ليحنكه فوضعه على فخذ رسول الله ص واشتغل رسول الله ص بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله ص فلم يجد الصبى فسأل عنه فقالوا رفع فسماه المنذر . وهذا الحمل أحسن من التغليط والله أعلم .

وقد حكى ابن اسحاق فقال حدثنى بعض آل أبى بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ص ولكن الله أسرى بروحه قال وحدثنى يعقوب بن عتبة . أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ص قال . كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابن اسحاق فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن إن هذه الآية نزلت فى ذلك (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) وكما قال إبراهيم عليه السلام (يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) وفى الحديث : « تنام عينى وقلبى يقظان » .

قال ابن اسحاق : فالله أعلم أى ذلك كان . قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله تعالى على أى حاله كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق

قلت : وقد توقف ابن اسحاق فى ذلك وجوز كلاً من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذى لا يشك فيه ولا يتمارى أنه كان يقظانا لا محالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضى الله عنها أن جسده ص ما فقد وإنما كان الاسراء بروحه أن يكون مناما كما فهمه ابن اسحاق ، بل قد يكون وقع الاسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاين ما عاين حقيقة ويقظة لا مناما . لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، ومراد من تابعها على ذلك لا ما فهمه ابن اسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم .

تنبيه . ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الاسراء طبق ما وقع بعد ذلك ، فانه ص كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وقد تقدم مثل ذلك فى حديث بدء الوحى أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناما قبله ليكون ذلك من باب الارهاص والتوطئة والتثبت والايناس والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء فى أن الاسراء والمعراج هل كانا فى ليلة واحدة أو كل فى ليلة على حدة ؟ فنهم من يزعم أن الاسراء فى اليقظة ، والمعراج فى المنام . وقد حكى المهلب بن أبى صفرة فى شرحه البخارى عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الاسراء مرتين ؛ مرة بروحه مناما ، ومرة ببدنه وروحه يقظة وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى الفقيه قال السهيلى : وهذا القول يجمع الاحاديث فان فى حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وقال فى آخره : ثم استيقظت فاذا أنا فى الحجر وهذا منام . ودل غيره على اليقظة ، ومنهم من يدعى تعدد الاسراء فى اليقظة أيضا حتى قال بعضهم . إنها أربع اسراءات ، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع فى روايات حديث الاسراء بالجمع المتعدد فجعل ثلاث اسراءات ، مرة من مكة إلى البيت المقدس فقط على البراق ، ومرة من مكة الى السماء على البراق أيضا لحديث حذيفة ، ومرة من مكة الى بيت المقدس ثم الى السموات .

فنقول : ان كان انما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث فى ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصياً فى كتابنا التفسير عند قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) وان كان انما حمله أن التقسيم انحصر فى ثلاث صفات بالنسبة الى بيت المقدس والى السموات فلا يلزم من الحصر العقلى والوقوع كذلك فى الخارج الا بدليل والله أعلم . والعجب أن الامام أبا عبد الله البخارى رحمه الله ذكر الاسراء بعد ذكره موت أبى طالب فوافق ابن اسحاق فى ذكره المعراج فى أواخر الأمر ، وخالفه فى ذكره بعد موت أبى طالب ، وابن اسحاق أخر ذكر موت أبى طالب على الاسراء ، فالله أعلم أى ذلك كان . والمقصود أن البخارى فرق بين الاسراء و بين المعراج فبوب لكل واحد منهما بابا على حدة فقال : باب حديث الاسراء وقول الله سبحانه وتعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله (ص) يقول : « لما كذبتنى قريش كنت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أحدثهم عن آياته وأنا أنظر اليه » . وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث الزهرى عن أبى سلمة عن جابر به . ورواه مسلم والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى (ص) بنحوه . ثم قال البخارى باب حديث المعراج . حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبى (ص) حدثهم عن ليلة أسرى به . قال : « بينما أنا فى الحطيم — وربما قال فى الحجر — مضطجعا

اذ أتانى آت » فقال وسمعته يقول : « فشق ما بين هـذه الى هذه » فقلت للجارود وهو الى جنبى ما يعنى به . قال من نقرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى شعرته . « فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ، ثم أتيت بدابه دون البغل وفوق الحمار أبيض » فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : أنس نعم ! : « يضع خطوه عند أقصى طرفه . فحملت عليه فانطلق بى جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هـذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمـد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيـل مرحبا به فنعم المجئ جاء ، ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بى الى السماء الثانيه فاستفتح قيل من هـذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه [قال نعم !] قيل . مرحبا به فنعم المجئ جاء ، ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قالا : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل قيل من هـذا ؟ قال جبرائيل قال ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ، ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هـذا ؟ قال جبرائيل قال ومن معك ؟ قال محمـد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء . فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد . ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء . فلما خلصت اذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليـه فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء . فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح . فلما تجاوزت بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتى . ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمـد . قيل وقد بعث اليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء . فلما خلصت اذا ابراهيم قال هـذا أبوك ابراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح . ثم رفعت الى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار ؛ نهران ظاهران ، ونهران باطنان فقلت : ما هذا يا جبرائيل ؟

قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ، ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون .ألف ملك ، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن قال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك . ثم فرض على الصلوات خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت ؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشرا . فرجعت الى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرا . فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا . فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت الى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت بخمس صلوات كل يوم . قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك . قال : سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم . قال فلما جاوزت نادانى مناد أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى » . هكذا روى البخارى هذا الحديث ههنا . وقد رواه فى مواضع أخر من صحيحه ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة . ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبى بن كعب . ومن حديث أنس عن أبى ذر . ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبى (ص.) . وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه فى التفسير ، ولم يقع فى هذا السياق ذكر بيت المقدس ، وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به ، أو ينساه أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارة فيسوقه كله ، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الانفع عنده . ومن جعل كل رواية اسراء على حدة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعد جدا . وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء ، وفى كل منها يعرفه بهم ، وفى كلها يفرض عليه الصلوات . فكيف يمكن أن يدعى تعدد ذلك ؟ هذا فى غاية البعد والاستحالة والله أعلم . ثم قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) .قال: هى رؤيا عين أريها رسول الله (ص.) ليلة أسرى به الى بيت المقدس ، والشجرة الملعونة فى القرآن . قال : هى شجرة الزقوم .

فصل

ولما أصبح رسول الله (ص) من صبيحة ليلة الاسرى جاءه جبرائيل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها ، وأمر رسول الله (ص.) أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبرائيل فى ذلك اليوم الى الغد

والمسلمون يأتمون بالنبي (ص) وهو يقتدي بجبرائيل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر: « أمني جبرائيل عند البيت مرتين » . فبين له الوقتين الأول والآخر ، فهما وما بينهما الوقت الموسع ، ولم يذكر توسعة في وقت المغرب . وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبريدة وعبدالله بن عمرو وكلها في صحيح مسلم . وموضع بسط ذلك في كتابنا الاحكام ولله الحمد . فأما ما ثبت في صحيح البخاري عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . وكذا رواه الاوزاعي عن الزهري ، ورواه الشعبي عن مسروق عنها وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تتم الصلاة في السفر ، وكذا عثمان بن عفان وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى : [وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا] . قال البيهقي : وقد ذهب الحسن البصري الى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعا كما ذكره مرسلا من صلاته عليه السلام صبيحة الاسراء الظهر أربعا ، والعصر أربعا والمغرب ثلاثا يجهر في الاولين ، والعشاء أربعا يجهر في الاولين . والصبح ركعتين يجهر فيهما .

قلت : فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الاسراء تكون ركعتين ركعتين ثم لما فرضت الخمس فرضت حضرا على ما هي عليه ، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديما وعلى هذا لا يبقى اشكال بالكلية والله أعلم .

فصل

انشقاق القمر في زمان النبي (ص)

وجعل الله له آية على صدق رسول الله (ص) فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت اشارته الكريمة ، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : [اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام . وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها . ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان . وقد تقصينا ذلك في كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والألفاظ محررة ، ونحن نشير هنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته . وذلك مروى عن أنس بن مالك ، وجبير بن مطعم ، وحذيفة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين .

أما أنس فقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال :

سأل أهل مكة النبي (ص) آية ، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال (اقتربت الساعة وانشق القمر) و رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق به وهذا من مرسلات الصحابة ، والظاهر أنه تلقاه عن الجم الغفير من الصحابة ، أوعن النبي (ص) ، أو عن الجميع وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان . زاد البخارى وسعيد بن أبي عروبة وزاد مسلم وشعبة ثلاثتهم عن قتادة عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله (ص) أن يريهم آية فاراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما لفظ البخارى

وأما جبير بن مطعم فقال الامام احمد حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين ابن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم [عن أبيه] . قال انشق القمر على عهد رسول الله (ص) فصار فرقتين . فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحرنا محمد ، فقالوا إن كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . تفرد به احمد . وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . وقد رواه البيهقى من طريق ابراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرحمن عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلا فى الاسناد .

وأما حذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم فى الدلائل من طريق عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله واثنى عليه ثم قال (اقتربت الساعة وانشق القمر) ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا و إن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبى إلى الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد : ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة . فلما كنا فى الطريق قلت لابى ما يعنى بقوله ـ غداً السباق . قال من سبق إلى الجنة

وأما ابن عباس فقال البخارى حدثنا يحيي بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس . قال : إن القمر انشق فى زمان النبى (ص) . و رواه البخارى أيضا ومسلم من حديث بكر — وهو ابن نصر — عن جعفر قوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر) . قال : قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه . وهكذا رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنه وهو من مرسلاته . وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الغنى بن سعيد حدثنا موسى بن عبدالرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله

(ص) منهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والاسود ابن عبد يغوث ، والاسود بن المطلب ، و زمعة بن الاسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم . فقالوا للنبي (ص) : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان . فقال لهم النبي (ص) : « إن فعلت تؤمنوا ؟ » قالوا نعم ! وكانت ليلة بدر ـ فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا ، فامسى القمر قد سلب نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان ، ورسول الله (ص) ينادي يا أبا سلمة بن عبد الاسد والارقم بن الارقم اشهدوا . ثم قال أبو نعيم وحدثنا سليمان بن احمد حدثنا الحسن بن العباس الرازى عن الهيثم بن العمان حدثنا اسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . قال : انتهي أهل مكة إلى رسول الله (ص) فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبرائيل فقال يا محمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية إن انتفعوا بها . فاخبرهم رسول الله (ص) بمقالة جبرائيل فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة ، فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة فنظروا ، ثم قالوا بابصارهم فمسحوها، ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا . فقالوا : يا محمد ما هذا إلا سحر واهب فانزل الله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) . ثم روى الضحاك عن ابن عباس . قال : جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله (ص) فقالوا : أرنا آية حتى نؤمن بها ، فسأل ربه فاراهم القمر قد انشق بجزئين ، أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب . فقالوا : هذا سحر مفترى . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا احمد بن عمرو الرزاز حدثنا محمد بن يحيى القطعى حدثنا محمد ابن بكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس . قال : كسف القمر على عهد رسول الله (ص) فقالوا سحر القمر فنزلت : (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) . وهذا اسناد جيد وفيه أنه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق فى ليلة كسوفه ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الارض ومع هذا قد شوهد ذلك فى كثير من بقاع الارض ويقال : إنه أرخ ذلك فى بعض بلاد الهند ، وبنى بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر .

وأما ابن عمر فقال الحافظ البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر احمد بن الحسن القاضى قالا : حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد الدورى حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد به . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص) شقتين حتى نظروا اليه ، فقال

رسول الله ص ، اشهدوا . وهكذا أخرجاه من حديث سفيان ـ وهو بن عيينة ـ به . ومن حديث الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن مرة عن ابن مسعود قال : انشق القمر ونحن مع رسول الله (ص) بمنى ، فقال النبي (ص) : « اشهدوا » وذهبت فرقة نحو الجبل لفظ البخاري ثم قال البخاري وقال أبو الضحاك عن مسروق عن عبد الله بمكة ـ وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله رضي الله عنه وقد أسند أبو داود الطيالسي حديث أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص) ، فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة فقالوا أنظروا ما يأتيكم به السفار ? فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . قال فجاء السفار فقالوا ذلك . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال . انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين . فقال كفار قريش لأهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، أنظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به . قال فسئل السفار قال ـ وقدموا من كل وجهة ـ فقالوا : رأينا وهكذا رواه أبو نعيم من حديث جابر عن الاعمس عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله به . وقال الامام احمد حدثنا مؤمل حدثنا اسرائيل عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ . قال انشق القمر على عهد رسول الله ص . حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر . وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سماك به وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو بكر الطلحي حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوادعي حدثنا يحيى الحماني حدثنا يزيد عن عطاء عن سماك عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنا مع النبي ص ، بمنى وانشق القمر حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل . فقال النبي ص : « إشهدوا ، إشهدوا » وقال أبو نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا جعفر بن محمد القلانسي حدثنا آدم بن أبي إياس ثنا الليث بن سعد حدثنا هشام بن سعد عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود . قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة وحدثنا احمد بن اسحاق حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا معاوية بن عمرو عن زائده عن عاصم عن زر عن عبد الله . قال . انشق القمر بمكة فرأيته فرقتين . ثم روى من حديث علي بن سعيد بن مسروق حدثنا موسى بن عمير عن منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود . قال : رأيت القمر والله منشقا باثنتين بينهما حراء . وروى أبو نعيم من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . قال : انشق القمر فلقتين . فلقة ذهبت ، وفلقة بقيت . قال ابن مسعود . لقد رأيت

جبل حراء بين فلقتي القمر ، فذهب فلقة . فتعجب أهل مكة من ذلك وقالوا هـذا سحر مصنوع سيذهب . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد . قال : انشق القمر على عهد رسول الله (ص) فصار فرقتين . فقال النبي (ص) لابي بكر : « فاشهد يا أبا بكر » وقال المشركون : سحر القمر حتى انشق. فهذه طرق متعددة قوية الاسانيد تفيـد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها . وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الارض حتى دخـل فى كم النبي (ص) وخرج من الـكم الآخر فلا أصل له ، وهو كذب مفترى ليس بصحيح . والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار اليه النبي (ص) انشق عن اشارته فصار فرقتين ، فسارت واحـدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا إلى الجبل بين هـذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك وما وقع فى رواية أنس فى مسند احمد : فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتين والله أعلم .

فصل

وفاة أبي طالب عمّ رسول الله (ص)

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله (ص) ورضى الله عنها . وقيل بل هي توفيت قبله والمشهور الاول . وهذان المشفقان ، هذا فى الظاهر وهذه فى الباطن ، هذاك كافر وهـذه مؤمنة صديقة رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن اسحاق : ثم إن خديجة وأبا طالب هلـكا فى عام واحد ، فتتابعت على رسول الله (ص) المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الابتلاء [1] يسكن اليها ، وبهلك عمه أبى طالب وكان له عضداً وحرزاً فى أمره ، ومنعة وناصرا على قومه . وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله (ص) من الاذى ما لم تـكن تطمع به فى حياة أبى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا . فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه . قال : فدخل رسول الله (ص) بيته والتراب على رأسه فقامت اليه إحدى بناته تغسله وتبكى ، ورسول الله (ص) يقول : « لا تبكى يا بنيـة فان الله مانع أباكِ » ويقول بين ذلك . « ما نالتنى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن اسحاق قبل ذلك : أن أحدهم ربما طرح الاذى فى برمته إذا نصبت له . قال فـكان إذا فعلوا ذلك كما حدثنى عمر بن عبد الله عن عروة يخرج بذلك الشئ على العود فيقذفه على بابه ثم يقول : يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه فى الطريق .

---

(١) فى ابن هشام : على الاسلام يشكو اليها .

قال ابن اسحاق : ولما اشتكى أبوطالب و بلغ قريشا ثقله قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا الى أبى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا ، فانا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا . قال ابن اسحاق . وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبى طالب وكلموه ـ وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، فى رجال من اشرافهم ـ . فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ماترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا و بين ابن أخيك فادعه فخذ لنا منه وخذ له منا ليكف عنا ولنكف عنه ، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه . فبعث اليه أبو طالب فجاءه فقال : يا ابن أخى هؤلاء اشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليعطوك وليأخذوا منك . قال فقال رسول الله (ص) : « ياعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » . فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات. قال : « تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه » . فصفقوا بأيديهم . ثم قالوا : يامحمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ ! إن أمرك لعجب . قال ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم و بينه ، ثم تفرقوا . قال فقال أبوطالب : والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا . قال فطمع رسول الله (ص) فيه فجعل يقول له : « أى عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة » فلما رأى حرص رسول الله (ص) قال : يا ابن أخى والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها . قال : فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه . قال فقال : يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها . قال فقال رسول الله (ص) : « لم أسمع » قال وأنزل الله تعالى فى أولئك الرهط (ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) الآيات . وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة .

وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلما بقول العباس هذا الحديث ؛ يا ابن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها ـ يعنى لا إله إلا الله ـ والجواب عن هذا من وجوه . أحدها أن فى السند مبهما لا يعرف حاله وهو قوله عن بعض أهله وهذا ابهام فى الاسم والحال ،ومثله يتوقف فيه لو انفرد وقد روى الامام احمد والنسائى وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبى أسامة عن الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر قول العباس . ورواه الثورى أيضا عن الاعمش عن يحيى بن عمارة الكوفى عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس . ورواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن جرير أيضا . ولفظ الحديث من سياق البيهقى فيما رواه من طريق الثورى عن الاعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبى (ص) عنده رأس أبى طالب ، فجلس رجل فقام أبو جهل كى يمنعه ذاك . وشكوه إلى أبى طالب . فقال : يا ابن أخى ما تريد من قومك ؟ فقال : « ياعم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب ، وتؤدى اليهم بها الجزية العجم ، كلمة واحدة » . قال : ما هى ؟ قال : « لا إله إلا الله » قال فقالوا أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشئ عجاب ! قال ونزل فيهم (ص والقرآن ذى الذكر) الآيات إلى قوله (إلا إختلاق) ثم قد عارضه — أعنى سياق ابن اسحاق — ما هو أصح منه ، وهو مارواه البخارى قائلا حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبيه رضى الله عنه . أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى (ص) وعنده أبو جهل . فقال : « أى عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر ما كلمهم به : على ملة عبد المطلب . فقال النبى (ص) : « لأستغفر لك مالم أنه عنك » فنزلت (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) ونزلت (إنك لا تهدى من أحببت) ورواه مسلم عن اسحاق بن ابراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق . وأخرجاه أيضا من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه وقال فيه : فلم يزل رسول الله (ص) يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال : على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبى (ص) « أما لاستغفرن لك مالم أنه عنك » فانزل الله — يعنى بعد ذلك — (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولى قربى) ونزل فى أبى طالب (إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا روى الامام احمد ومسلم والترمذى والنسائى من حديث يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : لما حضرت وفاة أبى طالب أتاه رسول الله (ص) : فقال : « ياعماه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن تعيرنى قريش يقولون ما حمله عليه الا فزع الموت لاقررت بها عينك ، ولا أقولها الا لاقربها عينك . فانزل الله عز وجل (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا قال عبدالله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبى وقتادة إنها نزلت فى أبى طالب حين عرض عليه رسول الله (ص) أن يقول لا إله الا الله فابى أن يقولها ، وقال : هو على ملة الاشياخ وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب . ويؤكد هذا كله ما قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن

سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثنى عبـد الله بن الحارث قال حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال قلت للنبى (ص): ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال: « [هو] فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الاسفل » ورواه مسلم فى صحيحه من طرق عن عبدالملك ابن عمير به أخرجاه فى الصحيحين من حديث. الليث حدثنى ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبى سعيد أنه سمع النبى (ص) ذكر عنده عمه فقال: « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة، فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه » لفظ البخارى وفى رواية « تغلى منه أم دماغه » وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى عثمان عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال: « أهون أهل النار عذابا أبو طالب، منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه » وفى مغازى يونس بن بكير « يغلى منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » ذكره السهيلى وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا عمرو ـ هو ابن اسماعيل بن مجالد ـ حدثنا أبى عن مجالد عن الشعبى عن جابر. قال سئل رسول الله (ص) ـ أو قيل له ـ هل نفعت أبا طالب ؟ قال: « أخرجته من النار الى ضحضاح منها » تفرد به البزار. قال السهيلى: وانما لم يقبل النبى (ص) شهادة العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال: « لم أسمع » لأن العباس كان اذ ذاك كافرا غير مقبول الشهادة.

قلت: وعندى أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم. ومما يدل على ذلك أنه سأل النبى (ص) بعد ذلك عن أبى طالب فذكر له ما تقدم، وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا ينفع نفساً إيمانها والله أعلم.

وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت ناجية بن كعب يقول سمعت عليا يقول: لما توفى أبى أتيت رسول الله (ص) فقلت إن عمك قد توفى. فقال « اذهب فواره » فقلت إنه مات مشركا، فقال: « اذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتى » ففعلت فاتيته، فامرنى أن أغتسل ورواه النسائى عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة. ورواه أبو داود والنسائى من حديث سفيان عن أبى اسحاق عن ناجية عن على: لما مات أبو طالب قلت يارسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه ؟ قال: « اذهب فوار أباك ولا تحدثن شيئا حتى تأتينى » فاتيته فامرنى فاغتسلت، ثم دعا لى بدعوات ما يسرنى أن لى بهن ما على الأرض من شئ. وقال الحافظ البيهقى أخبرنا أبو سعد المالينى حدثنا أبو احمد بن عدى حدثنا محمد بن هارون بن حميد حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة حدثنا الفضل عن ابراهيم بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس: أن النبى (ص) عاد من جنازة أبى طالب فقال: « وصلتك رحم: وجزيت خيراً ياعم » قال وروى عن أبى اليمان الهوزنى عن النبى (ص) مرسلا وزاد، ولم يقم على قبره. قال وابراهيم بن

عبد الرحمن هذا هو الخوارزمى تكلموا فيه .

قلت : قد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السينانى ومحمد بن سلام البيكندى ، ومع هذا قال ابن عدى ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة . وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله (ص) والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من المادح والثناء ، وما أظهره له ولاصحابه من المودة والمحبة والشفقة فى اشعاره التى اسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبيه التى لا تدانى ولا تسامى ، ولا يمكن عربيا مقاربتها ولا معارضتها ، وهو فى ذلك كله يعلم أن رسول الله (ص) صادق بار راشد ، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه . وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك فى شرح كتاب الايمان من صحيح البخارى ، وشاهد ذلك قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى فى قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يافرعون مثبوراً) وقول بعض السلف فى قوله تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) أنها نزلت فى أبى طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله (ص) ، وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق . فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مخيمرة ، وحبيب ابن أبى ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر والله أعلم . والأظهر والله أعلم الرواية الاخرى عن ابن عباس ؛ وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد — وهو اختيار ابن جرير — وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضا به . ولهذا قال (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الاولين ، وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) وهذا اللفظ وهو قوله (وهم) يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون فى سياق الكلام وقوله (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) يدل على تمام الذم وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله (ص) وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال . ولكن مع هذا لم يقدر الله له الايمان لما له تعالى فى ذلك من الحكمة العظيمة ، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التى يجب الايمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لابى طالب وترحمنا عليه

فصل

موت خديجة بنت خويلد

وذكر شيء من فضائلها ومناقبها رضى الله عنه وأرضاها، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومثواها . وقد فعل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

قال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب . قال قال عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة . ثم روى من وجه آخر عن الزهرى أنه قال : توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله (ص) إلى المدينة، وقبل أن تفرض الصلاة . وقال محمد بن اسحاق : ماتت خديجة وأبو طالب فى عام واحد . وقال البيهقى : بلغنى أن خديجة توفيت بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام . ذكره عبد الله بن منده فى كتاب المعرفة، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ . قال البيهقى : وزعم الواقدى أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب، وأن خديجة توفيت قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة .

قلت : مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء، وكان الانسب بنا أن نذكر وفاة أبى طالب وخديجة قبل الاسراء كما ذكره البيهقى وغير واحد، ولكن أخرنا ذلك عن الاسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك فان الكلام به ينتظم ويتسق الباب كما تقف على ذلك إن شاء الله . وقال البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة . قال : أتى جبرائيل إلى رسول الله (ص) فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام – أو طعام أو شراب – فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب . وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به وقال البخارى حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن اسماعيل . قال قلت لعبد الله بن أبى أوفى : بشر النبى (ص) خديجة ؟ قال نعم ! ببيت من قصب لاصخب فيه ولا نصب ورواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن اسماعيل بن أبى خالد به .

قال السهيلى : وإنما بشرها ببيت فى الجنة من قصب – يعنى قصب اللؤلؤ – لانها حازت قصب السبق الى الايمان، لاصخب فيه ولا نصب لانها لم ترفع صوتها على النبى (ص) ولم تتعبه يوما من الدهر فلم تصخب عليه يوما ولا آذته أبدا . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما غرت على امرأة للنبى (ص) ما غرت على خديجة

وهلكت قبل أن يتزوجني ـ لما كنت أسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب . وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن . لفظ البخاري ، وفي لفظ عن عائشة ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله (ص) اياها . وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه ـ أو جبرائيل ـ أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب . وفي لفظ له قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي (ص) ما غرت على خديجة ـ وما رأيتها ـ ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول . « إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد » ثم قال البخاري حدثنا اسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله (ص) فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال : « اللهم هالة » . فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر ابدلك الله خيراً منها . وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلا وإما عشرة . إذا لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله ولكن قال الامام احمد حدثنا مؤمل أبو عبدالرحمن حدثنا حماد بن سلمة عن عبدالملك ـ هو ابن عمير ـ عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت : ذكر رسول الله (ص) يوما خديجة فاطنب في الثناء عليها . فادركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فقلت لقد أعقبك الله يارسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين . قال فتغير وجه رسول الله (ص) تغيرا لم أره تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى يعلم رحمة أو عذابا وكذا رواه عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير به . وزاد بعد قوله حمراء الشدقين ، هلكت في الدهر الاول . قال قال فتمعر وجهه تمعرا ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى ينظر رحمة أو عذابا . تفرد به احمد وهذا اسناد جيد . وقال الامام احمد أيضا عن ابن اسحاق أخبرنا مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت . كان النبي (ص) إذا ذكر خديجة أثنى عليها باحسن الثناء . قالت فغرت يوما فقلت . ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها . قال « ما أبدلني الله خيراً منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني ، وآستني بمالها إذ حرمني الناس . ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » تفرد به احمد أيضا . وإسناده لا بأس به ومجالد روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم . ولعل هذا أعني قوله : ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء . كان قبل أن يولد ابراهيم بن النبي (ص) من مارية ، وقبل مقدمها بالكلية وهذا متعين . فان جميع أولاد النبي (ص) كما تقدم وكما سيأتي من خديجة إلا ابراهيم فمن مارية القبطية

المصرية رضى الله عنها . وقد استدل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنها وأرضاها ، وتكلم آخرون فى اسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيراً عشرة وهو محتمل أو ظاهر . وسببه أن عائشة نمت بشبابها وحسنها وجميل عشرتها ، وليس مرادها بقولها قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكى نفسها وتفضلها على خديجة ، فان هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما قال (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) وقال تعالى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء) الآية وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديما وحديثا وبجانبها طرقا يقتصر عليها أهل الشيع وغيرهم لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الرب عليها ، وكون ولد النبى (ص) جميعهم - إلا ابراهيم - منها . وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراما لها ، وتقدم إسلامها ، وكونها من الصديقات ولها مقام صدق فى أول البعثة . و بذلت نفسها ومالها لرسول الله (ص) . وأما أهل السنة فنهم من يغلو أيضا ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق ، ولكونها أعلم من خديجة فانه لم يكن فى الامم مثل عائشة فى حفظها وعلمها وفصاحتها وعملها ، ولم يكن الرسول يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها ونزلت براءتها من فوق سبع سموات و روت بعده عنه عليه السلام علما جما كثيراً طيبا مباركا فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره ، والاحسن التوقف فى ذلك إلى الله عز وجل . ومن ظهر له دليل يقطع به ، أو يغلب على ظنه فى هذا الباب فذاك الذى يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف فى هذه المسألة أو فى غيرها فالطريق الاقوم والمسلك الاسلم أن يقول الله أعلم .

وقد روى الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال قال رسول الله (ص) : « خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد » أى خير زمانهما وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن اياس رضى الله عنه . قال قال رسول (ص) : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث ؛ مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد . وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » رواه ابن مردويه فى تفسيره . وهذا اسناد صحيح إلى شعبة و بعده . قالوا والقدر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كفلت نبيا مرسلا وأحسنت الصحبة فى كفالتها وصدقته . فآسية ربت موسى وأحسنت اليه وصدقته حين بعث ، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل . وخديجة رغبت فى تزويج رسول الله (ص) بها و بذلت فى ذلك أموالها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحى من الله عز وجل . وقوله

« وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت فى الصحيحين من طريق شعبة أيضا عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب الهمدانى عن أبى موسى الاشعرى . قال قال رسول الله (ص) : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون . ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز واللحم جميعا وهو أفخر طعام العرب كما قال بعض الشعراء :

إذا ما الخبزَ تأدمهُ بلحمٍ فذاكَ أمانةُ اللهِ الثريدُ

ويحتمل قوله « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوظا فيعم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عاماً فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف يحتمل التسويه بينهن فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج والله أعلم .

فصل

في تزويجه (ص) بعد خديجة

والصحيح أن عائشة تزوجها أولا كما سيأتى . قال البخارى فى باب تزويج عائشة * حدثنا معلى ابن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبى (ص) قال لها : « أريتك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سرقة من حرير ، ويقول هذه امرأتك فاكشف عنها فاذا هى أنت ، فاقول إن كان هذا من عند الله يمضه » قال البخارى باب نكاح الابكار . وقال ابن أبى مليكة قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبى (ص) بكراً غيرك * حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثنى أخى عن سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قلت يارسول الله : أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها فى أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال : « فى التى لم يرتع منها » تعنى أن النبى (ص) لم يتزوج بكراً غيرها . انفرد به البخارى ثم قال حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قال لى رسول الله (ص) « أريتك فى المنام فيجيء بك الملك فى سرقة من حرير فقال لى هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوب فاذا أنت هى ، فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه » [1] وفى رواية « أريتك فى المنام ثلاث ليال » وعند الترمذى أن جبريل جاءه بصورتها فى خرقة من حرير خضراء فقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة وقال البخارى ترويج الصغار من الكبار ، حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا الليث

(١) كذا بالاصل : ونص البخارى تخالف هذه الرواية .

بن يزيد عن عراك عن عروة أن رسول الله (ص) خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي لي حلال » هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل وهو عند البخاري والمحققين متصل لانه من حديث عروه عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا من افراد البخاري رحمه الله . وقال يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : تزوج رسول الله (ص) عائشه بعد خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، و بنى بها وهي ابنة تسع . ومات رسول الله (ص) وعائشة ابنة ثمانيه عشرة سنة . وهذا غريب . وقد روى البخاري عن عبيد ابن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي (ص) بثلاث سنين ، فلبث سنتين ـ أو قريبا من ذلك ـ ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين ، وهذا الذي قاله عروة مرسل في ظاهر السياق كما قدمنا ولكنه في حكم المتصل في نفس الامر . وقوله تزوجها وهي ابنة ست سنين و بنى بها وهي ابنة تسع مالا خلاف فيه بين الناس ـ وقد ثبت في الصحاح وغيرها ـ وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة . وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر . قال يعقوب بن سفيان الحافظ قال حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله (ص) متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع ــ أو ست ــ سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألعب في أرجوحة وأنا مجممة ، فهيأنني وصنعنني ثم أتين بي إلى رسول الله (ص) ، وأنا ابنة تسع سنين . فقوله في هذا الحديث متوفى خديجة يقتضي أنه على أثر ذلك قريبا ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا ينفي ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم . وقال البخاري حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت تزوجني النبي (ص) ، وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج . فوعكت فتمزق شعري وقد وفت لي جميمة فاتتني أمي أم رومان و إني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فاتيتها ما أدري ما تريد مني فاخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار و إني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئا من ماء فمست به وجهي و رأسي ، ثم أدخلتني الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فاسلمتني اليهن فاصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله (ص) ضحى ، فاسلمنني اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين . وقال الامام احمد في مسند عائشة أم المؤمنين حدثنا محمد بن بشر حدثنا بشر حدثنا محمد بن عمرو أبو سلمة ويحيى . قالا : لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يارسول الله ألا تزوج ؟ قال من ؟ قالت إن شئت بكراً ، و إن

شئت ثيبا ، قال فمن البكر ؟ قالت أحب خلق الله اليك عائشة ابنة أبى بكر . قال ومن الثيب ؟ قالت سودة بنت زمعة . قد آمنت بك واتبعتك . قال فاذهبي فاذكريهما على . فدخلت بيت أبى بكر فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلنى رسول الله (ص) أخطب عليه عائشة ، قالت انظرى أبا بكر حتى يأتى ، فجاء أبو بكر فقلت يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قال وما ذاك ؟ قالت أرسلنى رسول الله (ص) أخطب عليه عائشة قال وهل تصلح له إنما هى ابنة أخيه ، فرجعت إلى رسول الله (ص) فذكرت ذلك له قال : « ارجعى اليه فقولى له أنا أخوك وأنت أخى فى الاسلام ، وابنتك تصلح لى » فرجعت فذكرت ذلك له قال انتظرى ، وخرج . قالت أم رومان إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه ، ووالله ما وعد أبو بكر وعدا قط فاخلفه ، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبى . فقالت : يا ابن أبى قحافة لعلك مصبى صاحبنا تدخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوج اليك ؟ فقال أبو بكر للمطعم ابن عدى أقول هذه ؟ يقول إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان فى نفسه من عدته التى وعده . فرجع فقال لخولة ادعى لى رسول الله (ص) فدعته فزوجها إياه وعائشه يومئذ بنت ست سنين ، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت ما أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلنى رسول الله (ص) أخطبك اليه قالت وددت ادخلى الى أبى بكر فاذكرى ذلك له ـ وكان شيخا كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج ـ فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية ، فقال من هذه ؟ قالت خولة بنت حكيم قال فما شأنك ؟ قالت أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة . فقال كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبتك ؟ قال تحب ذلك . قال ادعيها إلى فدعتها قال أى بنية إن هذه تزعم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم أتحبين أن أزوجك به ؟ قالت نعم . قال ادعيه لى فجاء رسول الله (ص) فزوجها اياه . فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجاء يحثى على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرك إنى لسفيه يوم أحثى فى رأسى التراب أن تزوج رسول الله (ص) سودة بنت زمعة . قالت عائشه : فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فى السنح . قالت فجاء رسول الله (ص) فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال من الانصار ونساء ، فجاءتنى أمى وأنا لفى أرجوحة بين عذقين يرجح بى فانزلتنى من الارجوحة ولى جميمة ففرقتها ومسحت وجهى بشئ من ماء ، ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند الباب وانى لانهج حتى سكن من نفسى ، ثم دخلت بى فاذا رسول الله (ص) جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار ، فاجلستنى فى حجرة ثم قالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم ، و بارك لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا و بنى بى رسول الله (ص) فى بيتنا ما نحرت على جزور ، ولا

ذبحت على شاة . حتى أرسل الينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله (ص.) اذا دار الى نسائه ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين . وهذا السياق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقي من طريق احمد بن عبد الجبار حدثنا عبد الله بن ادريس الازدى عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . قال قالت عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت يارسول الله ألا تزوج ؟ قال ومن ؟ قالت إن شئت بكراً و إن شئت ثيباً . قال من البكر ومن الثيب ؟ قالت أما البكر فابنة أحب خلق الله اليك ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك . قال فاذكريهما على . وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم . وهذا يقتضى أن عقده على عائشة كان متقدما على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر الى المدينة فى السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتى . وقال الامام احمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما كبرت سودة وهبت يومها لى ، فكان رسول الله (ص.) يقسم لى بيومها مع نسائه . قالت وكانت أول امرأة تزوجها بعدى . وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنى شهر حدثنى عبد الله بن عباس أن رسول الله (ص.) خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصبية ، كان لها خمس صبية — أو ست — من بعلها مات . فقال رسول الله (ص.) : « ما يمنعك منى ؟ » قالت والله يا نبى الله ما يمنعنى منك أن لا تكون أحب البرية إلى ، ولكنى أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال فهل منعك منى غير ذلك ؟ قالت لا والله ، قال لها رسول الله (ص.) يرحمك الله ان خير نساء ركبن اعجاز الابل ، صالح نساء قريش احناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بعل بذات يده . قلت وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضى الله عنه . هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدما على العقد بسودة وهو قول عبدالله بن محمد بن عقيل . ورواه يونس عن الزهرى واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة وحكاه عن قتادة وأبى عبيد . قال ورواه عقيل عن الزهرى .

فصل

قد تقدم ذكر موت أبى طالب عم رسول الله (ص.) وأنه كان ناصراً له وقائما فى صفه ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال ، فلما مات اجترأ سفهاء قريش على رسول الله (ص.) ونالوا منه مالم يكونوا يصلون اليه ولا يقدرون عليه . كما قد رواه البيهقى عن الحاكم عن الاصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعانى حدثنا يوسف بن بهلول حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن

اسحاق عمن حدثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر . قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ص سفيه من سفهاء قريش فالقى عليه ترابا ، فرجع إلى بيته فاتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكى ، فجعل يقول : « أى بنية لا تبكين فان الله مانع أباك » و يقول ما بين ذلك « ما نالت قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا » . قد رواه زياد البكائى عن محمد ابن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلا والله أعلم وروى البيهقى أيضا عن الحاكم وغيره عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ص قال : « ما زالت قريش كاعين [1] حتى مات أبو طالب » ثم رواه عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدورى عن يحيى بن معين حدثنا عقبة المحدر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ص ، قال : « ما زالت قريش كاعة حتى توفى أبو طالب » وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى بسنده عن ثعلبة بن صعير وحكيم بن حزام أنهما . قالا : لما توفى أبو طالب وخديجة - وكان بينهما خمسة أيام - اجتمع على رسول الله ص مصيبتان ولزم بيته وأقل الخروج ، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال : يامحمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيافا صنعه ، لا واللات لا يوصل اليك حتى أموت . وسب ابن الغيطلة رسول الله ص ، فاقبل اليه أبو لهب فنال منه ، فولى يصيح يامعشر قريش صبا أبو عتبة . فاقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب فقال . ما فارقت دين عبد المطلب ، ولكنى أمنع ابن أخى أن يضام حتى يمضى لما يريد . فقالوا لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله ص كذلك أياما يأتى و يذهب لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب إذ جاء عقبة بن أبى معيط وأبو جهل إلى أبى لهب فقالا له : أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فقال له أبو لهب يا محمد أين مدخل عبدالمطلب ؟ قال مع قومه . فخرج اليهما فقال قد سألته فقال مع قومه . فقالا يزعم أنه فى النار . فقال يامحمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله ص ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار . فقال أبو لهب - لعنه الله - والله لا برحت لك إلا عدوا أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه .

قال ابن اسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ص فى بيته أبو لهب ، والحكم بن أبى العاص بن أمية ، وعقبة بن أبى معيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الاصداء الهذلى وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبى العاص وكان أحدهم — فيما ذكر لى — يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها فى برمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله ص حجراً يستتر

(١) الكاعة جمع كاع وهو الجبان . كع الرجل يكع كما جبن عنه . فى النهاية .

به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا شيئا من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول . يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق .

قلت : وعندي أن غالب ما روى مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي كما رواه ابن مسعود وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم ، ثم لما انصرف رسول الله (ص) دعا على سبعة منهم كما تقدم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقا شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلا أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وكذلك عزم أبي جهل ـ لعنه الله ـ على أن يطأ على عنقه وهو يصلي فحيل بينه وبين ذلك ، مما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم . فذكرها ههنا أنسب وأشبه

فصل

في ذهابه (ص) إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله

قال ابن اسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الاذى مالم تكن نالته منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله (ص) إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه . ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى ، فخرج اليهم وحده . فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي . قال : انتهى رسول الله (ص) إلى الطائف وعمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة ؛ عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب بنو عمرو ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح ، فجلس اليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله (ص) من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم — فيما ذكر لي — إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله (ص) أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم [1] ذلك عليه . فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه إلى حائط لعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه . فعمد الى ظل

(١) قال ابن هشام : فيذئرهم يعني يحرش بينهم ، وأورد في ذلك شعرا .

حبلة [١] من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسول الله ص - فيما ذكر لى - المرأة التى من بنى جمح ، فقال لها ماذا لقينا من أحمائك . فلما اطمأن قال - فيما ذكر - « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وهو انى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى الى من تكلنى ، الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك » قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبه وشيبة وما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانياً يقال له عداس [وقالا له] خذ قطفا من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عداس ثم ذهب به حتى وضعه بين يدى رسول الله ص ، ثم قال له كل ، فلما وضع رسول الله ص يده فيه قال : « بسم الله » ثم أكل ، ثم نظر عداس فى وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله ص ومن أهل أى بلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ قال نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى . فقال رسول الله ص ، من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ص ذلك اخى كان نبيا وأنا نبى . فأكب عداس على رسول الله ص يقبل رأسه و يديه وقدميه . قال يقول أبناء ربيعة احدهما لصاحبه اما غلامك فقد افسده عليك . فلما جاء عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل و يديه وقدميه ؟ قال يا سيدى ما فى الارض شئ خير من هذا لقد اخبرنى بأمر ما يعلمه الا نبى قالا له : ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه .

وقد ذكر موسى بن عقبة نحواً من هذا السياق الا انه لم يذكر الدعاء وزاد : وقعد له اهل الطائف صفين على طريقه ، فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوها بالحجارة حتى ادموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء فعمد الى ظل نخلة وهو مكروب وفى ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله . ثم ذكر قصة عداس النصرانى كنحو ما تقدم .

وقد روى الامام احمد عن أبى بكر بن أبى شيبة حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى عن عبد الرحمن بن خالد بن أبى جبل العدوانى عن أبيه أنه أبصر رسول الله ص فى مشرق ثقيف وهو قائم على قوس — أو عصى — حين أتاهم يبتغى عندهم النصر ، فسمعته يقول : « والسماء والطارق » حتى ختمها . قال فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها فى الاسلام

(١) فى النهاية : الحبلة الاصل أو القضيب من شجر الاعناب . وزاد فى السهيلى والكرمة .

قال فدعتنى ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هـذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه . وثبت فى الصحيحين من طريق عبد الله بن وهب [1] أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله (ص) هـل أتى عليك يوم كان أشـد عليك من يوم أحد ؟ قال : « ما لقيت من قومك كان أشد منـه يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى فقال إن الله قـد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث لك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم . ثم نادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد قد بعثنى الله إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثنى اليك ربك لتأمرنى ما شئت إن شئت تطبق عليهم الاخشبين ؟ فقال رسول الله (ص) : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا » .

فصل

وقد ذكر محمـد بن اسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله (ص) وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلى باصحابه الصبح فاستمع الجن الذين صرفوا اليـه قراءته هنالك . قال ابن اسحاق وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن) .

قلت : وقد تـكلمنا على ذلك مستقصى فى التفـسير ، وتقدم قطعة من ذلك والله أعلم . ثم دخل رسول الله (ص) مكة مرجعه من الطائف فى جوار المطعم بن عدى وازداد قومه عليـه حنقا وغيظا وجرأة وتـكـذيبا وعناداً والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الاموى فى مغازيه أن رسول الله (ص) بعث أريقط إلى الاخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة . فقال : إن حليف قريش لا يجير على صميمها . ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال : إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب بن لؤى . فبعثه إلى المطعم بن عدى ليجيره فقال نعم ! قل له فليأت . فذهب اليه رسول الله (ص) فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو و بنوه ستة ـ أو سبعة ـ متقلدى السيوف جميعاً فدخلوا المسجد وقال لرسول الله (ص) : طف واحتبوا بحمائل سيوفهم فى المطاف ، فاقبل أبو سفيان إلى مطعم . فقال : أمجير أو تابع ؟ قال لا بل مجير . قال ، إذا لا تخفر . فجلس معه حتى قضى رسول الله (ص) طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو

(١) وفى السهيلى . عبد الله بن يوسف وهو خطأ . وانما هو عبد الله بن وهب الفهمى القرشى .

سفيان إلى مجلسه . قال فمكث أياما ثم أذن له فى الهجرة ، فلما هاجر رسول الله (ص) الى المدينة توفى مطعم بن عدى بعده بيسير فقال حسان بن ثابت والله لأرثينه فقال فيما قال (١) :

فلو كان مجد مخلدَ اليوم واحد ... من الناس نجّى مجدُه اليومَ مُطعما
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عبادَك ما لبّى مُحِلٌّ وأحرما
فلوْ سئلتْ عنه مَعَدٌّ بأسرها ... وقحطانُ أو باقي بقيةِ جُرهُما
لقالوا هو الموفي بخُفرةِ جارِه ... وذمّتِه يوماً إذا ما تجشّما
وما تطلعُ الشمسُ المنيرةُ فوقهم ... على مثلِه فيهم أعزَّ وأكرما
إباءً إذا يأبى وألينَ سيمةٍ ... وأنومَ عن جارٍ اذا الليلُ أظلما

قلت ولهذا قال النبى (ص) يوم أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدى حيا ثم سألنى فى هؤلاء النقباء لوهبتهم له » .

فصل

في عرض رسول الله (ص) نفسه الكريمة على احياء العرب

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله (ص) مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسول الله (ص) يعرض نفسه فى المواسم ـ اذا كانت ـ على قبائل العرب يدعوهم الى الله عز وجل ، ويخبرهم أنه نبى مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن اسحاق : فحدثنى من أصحابنا من لا أتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدؤلى ـ ومن حدثه أبو الزناد عنه ـ وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة ابن عباد يحدثه أبى . قال : إنى لغلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله (ص) يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : « يا بنى فلان إنى رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به » . قال وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية ، فاذا فرغ رسول الله (ص) من قوله وما دعا اليه . قال ذلك الرجل : يا بنى فلان إن هذا إنما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة

فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . قال فقلت لابى يا أبت من هذا الرجل الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال هذا عمه عبدالعزى بن عبدالمطلب أبو لهب . وقد روى الامام احمد هذا الحديث عن ابراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه أخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الدئل ـ وكان جاهليا فأسلم ـ قال رأيت رسول الله (ص) فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب ـ يتبعه حيث ذهب ـ فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب . ورواه البيهقى من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدئلى : رأيت رسول الله (ص) بسوق ذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم الى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت من هذا ؟ قالوا هذا أبو لهب . وكذا رواه أبو نعيم فى الدلائل من طريق ابن أبى ذئب وسعيد ابن سلمة بن أبى الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه . ثم رواه البيهقى من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال : رأيت رسول الله (ص) بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا » واذا رجل خلفه يسفى عليه التراب فاذا هو أبو جهل وهو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فانما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى . كذا قال فى هذا السياق أبو جهل . وقد يكون وهما ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا ، وتارة يكون ذا وأنهما كانا يتناوبان على اذائه (ص) .

قال ابن اسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى أنه عليه السلام أتى كندة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح ، فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فابوا عليه : قال ابن اسحاق وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن حصين أنه أتى كلبا فى منازلهم الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه حتى إنه ليقول : « يا بنى عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم » فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم . وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله (ص) أتى بنى حنيفة فى منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب اقبح ردا عليه منهم . وحدثنى الزهرى أنه أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الامر من بعدك ؟ قال : « الامر لله يضعه حيث يشاء » . قال فقال له أفتهدف نحورنا للعرب دونك فاذا

أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه . فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا اليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا قال فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلاف ؟ هل لذناباها من مطلب ؟ والذى نفس فلان بيده ما تقوّلها اسماعيلى قط ، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : فكان رسول الله (ص) فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول « لا أكره أحداً منكم على شىء ، من رضى منكم بالذى أدعوه اليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أريد أن تحرزونى فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربى ، وحتى يقضى الله لى ولمن صحبنى بما شاء » . فلم يقبله أحد منهم ، وما يأت أحداً من تلك القبائل إلا قال : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه ؟ ! وكان ذلك مما ذخره الله للانصار وأكرمهم به .

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الاجلح ويحيى بن سعيد الاموى كلاهما عن محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن العباس . قال قال لى رسول الله (ص): « لا أرى لى عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجى إلى السوق غداً حتى نقر فى منازل قبائل الناس » وكانت مجمع العرب . قال فقلت هذه كندة ولفها وهى أفضل من يحج البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة ، فاختر لنفسك ؟ قال فبدأ بكندة فأتاهم فقال ممن القوم ؟ قالوا من أهل اليمن . قال من أى اليمن ؟ قالوا من كندة . قال من أى كندة ؟ قالوا من بنى عمرو بن معاوية ، قال فهل لكم إلى خير ؟ قالوا وما هو ؟ قال « تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله » . قال عبدالله بن الاجلح : وحدثنى أبى عن أشياخ قومه أن كندة قالت له : إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك ؟ فقال رسول الله (ص) : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » فقالوا لا حاجة لنا فيما جئتنا به . وقال الكلبى فقالوا : أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا وننابذ العرب ، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك . فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال ممن القوم ؟ قالوا من بكر بن وائل . فقال من أى بكر بن وائل ؟ قالوا من بنى قيس بن ثعلبة . قال كيف العدد ؟ قالوا كثير مثل الثرى . قال فكيف المنعة ؟ قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم . قال « فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين ، وتحمدوه ثلاثا وثلاثين ، وتكبروه أربعاً

وثلاثين » قالوا ومن أنت ؟ قال أنا رسول الله . ثم انطلق فلما ولى عنهم قال الكلبي وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس لا تقبلوا قوله ، ثم مر أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل ؟ قال نعم هذا في الذروة منا فعن أي شأنه تسألون ؟ فاخبروه بما دعاهم اليه وقالوا زعم أنه رسول الله ، قال : ألا لا ترفعوا برأسه قولا فانه مجنون يهذي من أم رأسه . قالوا قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر .

قال الكلبي : فاخبرني عبد الرحمن المعايري عن اشياخ من قومه قالوا : أتانا رسول الله (ص) ونحن بسوق عكاظ ، فقال ممن القوم ؟ قلنا من بني عامر بن صعصعة . قال من أي بني عامر بن صعصعة ؟ قالوا بنو كعب بن ربيعة . قال كيف المنعة ؟ قلنا لا يرام ما قبلنا ، ولا يصطلى بنارنا . قال فقال لهم « إني رسول الله وآتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ولا اكره أحداً منكم على شئ » قالوا ومن أي قريش أنت ؟ قال من بني عبد المطلب . قالوا فأين أنت من عبد مناف ؟ قال هم أول من كذبني وطردني . قالوا ولكنا لا نطردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك قال فنزل اليهم والقوم يتسوقون ، اذ أتاهم بحيرة بن فراس القشيري فقال من هذا الرجل أراه عندكم أنكره ؟ قالوا محمد بن عبد الله القرشي . قال فما لكم وله ؟ قالوا زعم لنا أنه رسول الله (ص) . فطلب الينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال ماذا رددتم عليه ؟ قالوا بالترحيب والسعة ، نخرجك الى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا . قال بحيرة : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشئ أشد من شئ ترجعون به بدءاً ثم لتنا بذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به لو آنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به ، أتعمدون الى زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيتم . ثم أقبل على رسول الله (ص) فقال : قم فالحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك . قال فقام رسول الله (ص) الى ناقته فركبها ، فغمز الخبيث بحيرة شاكلتها فقمصت برسول الله (ص) فالقته . وعند بني عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله بمكة جاءت زائرة الى بني عمها ، فقالت يا آل عامر — ولا عامر لي — أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم ؟ فقام ثلاثة من بني عمها الى بحيرة واثنين اعاناه ، فاخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الارض ، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطما . فقال رسول الله (ص) « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » قال فأسلم الثلاثة الذين نصروه وقتلوا شهداء وهم ؛ غطيف وغطفان ابنا سهل ، وعروة — أو عذرة — بن عبد الله بن سلمة رضى الله عنهم . وقد روي هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي في مغازيه عن أبيه به . وهلك الآخرون وهم ؛ بحيرة بن فراس ، وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عبادة أحد بني عميل

لعنهم الله لعنا كثيراً . وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته والله أعلم .

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه فى قصة عامر بن صعصعه وقبيح ردهم عليه . وأغرب من ذلك وأطول ما رواه ابو نعيم والحاكم والبيهقى ـ والسياق لابى نعيم رحمهم الله ـ من حديث ابان بن عبد الله البجلى عن ابان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس حدثنى على بن ابى طالب . قال : لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وانا معه وابو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلم ، وكان أبو بكر مقدما فى كل خير ، وكان رجلا نسابة فقال ممن القوم ؟ قالوا من ربيعة ، قال وأى ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها ؟ قالوا بل من هامها العظمى . قال أبو بكر فمن أى هامتها العظمى . فقال ذهل الاكبر ، قال لهم ابو بكر : منكم عوف الذى كان يقال لاحر بوادى عوف ؟ قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس ابو اللواء ومنتهى الاحياء ؟ قالوا لا . قال فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا لا . قال فمنكم جساس بن مرة بن ذهل حامى الذمار ومانع الجار ؟ قالوا لا . قال فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا لا . قال فانتم اخوال الملوك من كندة ؟ قالوا لا . قال فأنتم اصهار الملوك من لخم ؟ قالوا لا . قال لهم ابو بكر رضى الله عنه : فلستم بذهل الاكبر ، بل أنتم ذهل الاصغر . قال فوثب اليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهلى ـ حين بقل وجهه ـ فاخذ بزمام ناقة أبى بكر وهو يقول :

إنَّ علىَ سائِلِنا أَن نسأَلَهَ　　والعبءُ لا نعرفُهُ أَوْ نحمِلَه

ياهذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا ، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت ؟ قال رجل من قريش . فقال الغلام : بخ بخ أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديها فمن أنت من قريش ؟ فقال له رجل من بنى تيم بن مرة . فقال له الغلام : أمكنت والله الرامى من سواء الثغرة ؟ أفمنكم قصى بن كلاب الذى قتل بمكة المتغلبين عليها واجلى بقيتهم وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك مجمعاً ، وفيه يقول الشاعر :

أليسَ أبوكم كانَ يُدعى مجمِّعاً　　به جَمعَ اللهُ القبائلَ من فِهرِ

فقال ابو بكر لا . قال فمنكم عبد مناف الذى انتهت اليه الوصايا وابو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر لا . قال فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذى هشم الثريد لقومه ولأهل مكة ، ففيه يقول الشاعر :

عَمْرو العُلا هشَمَ الثريدَ لقومِهِ　　ورجالُ مكّةَ مُسنِتون عِجافُ
سَنُّوا اليه الرحلتَيْن كِلَيْهما　　عندَ الشتاءِ ورحلةَ الأصْيافِ

كانت قريشٌ بيضةً فتفلّقتْ فالمحُّ خالصةٌ لعبدِ مَناف
الرايشينَ وليس يُعرَف رايشٌ والقائلينَ هلُمَّ للأضياف
والضاربين الكبشَ يَبْرُقُ بَيْضُه(١) والمانعينَ البِيضَ بالأسياف
لله درّكَ لو نزلتَ بدارهم منعوكَ من أزلٍ(٢) ومن إقْراف

فقال أبو بكر لا . قال فمنكم عبد المطلب سيمة الحمد ؛ وصاحب عير مكة ، ومطعم طير السماء والوحوش والسباع فى الفلا الذى كأن وجهه قمر يتلألأ فى الليلة الظلماء ؟ قال لا . قال أفمن أهل الإفاضة أنت ؟ قال لا . قال أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال لا قال أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال لا . قال أفمن أهل السقاية أنت ؟ قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت ؟ قال لا قال فمن المفيضين أنت ؟ قال لا ثم جذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته من يده ، فقال له الغلام :

صادف درّ السيلِ درٌّ يدفعُه يهيضه حيناً وحيناً يرفعُه

ثم قال : أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش ولست من الذوائب . قال فاقبل الينا رسول الله ـ ، يتبسم قال على : فقلت له يا أبا بكر لقد وقعت من الاعرابى على باقعة فقال أجل يا أبا الحسن ، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلاء موكل بالقول . قال ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار واذا مشايخ لهم اقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلم ـ قال على وكان أبو بكر مقدما فى كل خير ـ فقال لهم أبو بكر ممن القوم ؟ قالوا من بنى شيبان بن ثعلبة ، فالتفت إلى رسول الله (ص) فقال بابى أنت وأمى ليس بعد هؤلاء من عز فى قومهم ، وفى رواية ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم ؛ وهؤلاء غرر فى قومهم ، وهؤلاء غرر الناس . وكان فى القوم مفروق ابن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان أقرب القوم إلى أبى بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره . فكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له إنا لنزيد على الف ، ولن تغلب الف من قلة . فقال له : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال علينا الجهد ولكل قوم جد فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم و بين عدوكم ؟ فقال مفروق إنا أشد ما نكون لقاء حين نغضب ، و إنا لنؤثر الجياد على الاولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله . يديلنا مرة و يديل علينا . لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله (ص) ، فجلس وقام أبو بكر يظلله بثوبه

(١) يريد ما كان خلال صوفه الابيض سواد .
(٢) الازل : الضيق والشدة ، والجدب . والاقراف التهم .

فقال (ص): « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله ، وأن تؤوونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به ، فان قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد » . قال له وإلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله (ص) [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به سيئا وبالوالدين احسانا] إلى قوله (ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) فقال له مفروق . وإلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الارض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسول الله (ص) [إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون] فقال له مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانئ بن قبيصة فقال : وهذا هانئ بن قبيصة سيخنا وصاحب ديننا . فقال له هانئ : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وصدقت قولك ، وإنى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر فى أمرك ، وننظر فى عاقبة ما تدعو اليه زله فى الرأى ، وطيشة فى العقل ، وقلة نظر فى العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقدا . ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا . فقال المثنى . قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش ، وأعجبنى ما تكلمت به . والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته الينا وإنا إنما نزلنا بين صريين أحدهما اليمامة ، والآخر السماوة . فقال له رسول الله (ص) . وما هذان الصريان ؟ فقال له أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فارض فارس وأنهار كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا ، ولا نؤوى محدثا . ولعل هذا الأمر الذى تدعونا اليه مما تكرهه الملوك ، فاما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فان أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى العرب فعلنا . فقال رسول الله (ص) ما أسأتم الرد إذ افصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه » . ثم قال رسول الله (ص) : « أرأيتم ان لم تلبثوا الا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه ؟ » فقال له النعمان ابن شريك : اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله (ص) (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجا منيراً) ثم نهض رسول الله (ص) قابضا على يدىَ أبى بكر . قال

على ثم التفت الينا رسول (ص) فقال : « يا على أيه (١) أخلاق للعرب كانت فى الجاهلية — ما أشرفها — بها يتحاجزون فى الحياة الدنيا » . قال ثم دفعنا الى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبي (ص) . قال على : وكانوا صدقاء صبراء فسر رسول الله (ص) من معرفة أبى بكر رضى الله عنه بأنسابهم . قال فلم يلبث رسول الله (ص) الا يسيراً حتى خرج الى أصحابه فقال لهم : « احمدوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس . قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبى نصروا » . قال وكانت الوقعة بقراقر الى جنب ذى قار وفيها يقول الاعشى :

فِدى لبني ذُهلِ بن شَيْبانَ ناقتي   وراكبها عند اللّقاء وقَلّت
هُموا ضربوا بالحِنْوِ حِنْوِ قراقرٍ   مقدّمةَ الهامُرْزِ حتّى تولّت
فلله عيناً من رأى من فوارسٍ (٢)   كذُهلِ بن شيبانٍ بها حينَ ولّت
فثاروا وثُرنا والمودّةُ بيننا   وكانت علينا غمْرةٌ فتجلّت

هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الاخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر — مكان قريب من الفرات — جعلوا شعارهم اسم محمد (ص) فنصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك فى الاسلام

وقال الواقدى : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسى عن أبيه عن جده قال . جاءنا رسول الله (ص) فى منازلنا بمنى ونحن نازلون بازاء الجمرة الاولى التى تلى مسجد الخيف وهو على راحلته مردفاً خلفه زيد بن حارثة ، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خيرٌ لنا ، قال وقد كنا سمعنا به وبدعائه فى المواسم ، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له ، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسى . فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأى فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ . فقال القوم دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به . وطمع رسول الله (ص) فى ميسرة فكلمه فقال ميسرة : ما أحسن كلامك وأنوره ، ولكن قومى يخالفوننى وإنما الرجل بقومه فاذا لم يعضدوه فالعدى (٣) أبعد فانصرف رسول الله (ص) وخرج القوم صادرين إلى أهليهم .

(١) كذا فى السهيلى وفى الاصل : أبت أخلاق فى الجاهلية ما أشرفها الخ .

(٢) هذا البيت والذى بعده لم نجدهما فى ديوانه ولا فى المراجع التى لدينا وكان فى الاصل هكذا

فيه عينا من رأى من فوارس   كذهل بن شيبال حتى ولت   محمود الامام

(٣) العدى بالكسر : الغرباء والاجانب والاعداء ، وبالضم : الاعداء خاصة . من النهاية .

فقال لهم ميسرة : ميلوا نأتى فدك فان بها يهوداً نسائلهم عن هـذا الرجل . فمالوا إلى يهود فاخرجوا سفرا لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله (ص) النبى الأمى العربى يركب الحمار و يجتزي بالكسرة ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجعد ولا بالسبط ، فى عينيه حمرة مشرق اللون فان كان هو الذى دعا كم فاجيبوه وادخلوا فى دينه فانا نحسده ولا نتبعه ؛ و إنا [منه] فى مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب الا اتبعه والا قاتله فكونوا ممن يتبعه . فقال ميسرة : يا قوم ألا [إن] هـذا الأمر بين ، فقال القوم نرجع الى الموسم ونلقاه فرجعوا الى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم فلما قدم رسول الله (ص) المدينـة مهاجرا وحج حجة الوداع لقاه ميسرة فعرفه . فقال : يا رسول الله والله ما زلت حريصا على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله الا ما ترى من تأخر اسلامى ، وقـد مات عامة النفر الذين كانوا معى فأين مدخلهم يارسول الله ؟ فقال رسول الله (ص) : « كل من مات على غير دين الاسلام فهو فى النار » فقال : الحمد لله الذى أنقذنى . فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له عند أبى بكر مكان . وقـد استقصى الامام محمـد بن عمر الواقدى قصص [خبر] القبائل واحدة واحدة ، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بنى عامر وغسان و بنى فزارة و بنى مرة و بنى حنيفة و بنى سليم و بنى عبس و بنى نصر بن هوازن و بنى ثعلبة بن عكابة وكندة وكلب و بنى الحارث بن كعب و بنى عذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم . وسياق أخبارها مطولة وقد ذكرنا من ذلك طرفا صالحا ولله الحمد والمنة .

وقال الامام احمـد حدثنا أسود بن عامر أنا اسرائيل عن عثمان - يعنى ابن المغيرة - عن سالم ابن أبى الجعد عن جابر بن عبد الله قال : كان النبى (ص) يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول « هل من رجل يحملنى الى قومه فان قريشا قـد منعونى أن أبلغ كلام ربى عز وجل ؟ » فأتاه رجل من همدان فقال ممن أنت ؟ قال الرجل من همدان . قال فهل عنـد قومك من منعة ؟ قال نعم ! ثم إن الرجل خشى أن يخفره قومه فأتى رسول الله (ص) فقال آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل ! قال نعم ! فانطلق وجاء وفد الانصار فى رجب وقـد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن اسرائيل به ؛ وقال الترمذى حسن صحيح .

فصل

قدوم وفد الانصار عاماً بعد عام حتى بايعو رسول الله (ص) بيعة بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول اليهم رسول الله (ص) الى المدينة .

حديث سويد بن صامت الانصارى

وهو سويد بن الصامت [١] بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس، وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم . فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله ص .

قال محمد بن اسحاق بن يسار : وكان رسول الله ص على ذلك من أمره كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ما عنده . قال ابن اسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجا ـ أو معتمراً ـ وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذى يقول

ألا ربَّ مَن تدعو صديقاً ولو ترى ... مقالتَهُ بالغيبِ ساءَكَ ما يَفْرِي
مقالتُه كالشَّهد ما كان شاهداً ... وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغرةِ النَّحر
يسرُّك باديهِ وتحتَ أديمهِ ... نميمةُ غِشٍّ تبْتَري عَقِبَ الظَّهرِ
تُبين لك العينان ما هو كاتمٌ ... من الغِلِّ والبغضاء بالنظرِ الشَّزْرِ
فرشْني بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَني ... وخيرُ الموالى من يَريشُ ولا يبري

قال فتصدى له رسول الله ص حين سمع به فدعاه إلى الله والاسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى . فقال له رسول الله (ص) : وما الذى معك ؟ قال مجلة لقمان ـ يعنى حكمة لقمان ـ فقال رسول الله (ص) : أعرضها على ، فعرضها عليه فقال « إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ؛ قرآن أنزله الله علىّ هو هدى ونور » فتلا عليه رسول الله (ص) القرآن ودعاه إلى الاسلام فلم يبعد منه وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج فان كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراه قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل

(١) كذا فى الاصل ، وفى السهيلى سويد بن الصلت بن حوط .

بعاث . وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبدالجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق بأخصر من هذا .

اسلام إياس بن معاذ

قال ابن اسحاق . وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد . قال : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله (ص) فأتاهم فجلس اليهم فقال : « هل لكم في خير مما جئتم له ؟ قال قالوا وما ذاك ؟ قال أنا رسول الله الى العباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل عليّ الكتاب . ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال : اياس بن معاذ - وكان غلاما حدثا - يا قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال : دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا . قال فصمت اياس وقام رسول الله (ص) عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج . قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد فاخبرني من حضرني من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الاسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله (ص) ما سمع .

قلت كان يوم بعاث - وبعاث موضع بالمدينة - كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الاوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل . وقد روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت : كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله ، قدم رسول الله (ص) إلى المدينة وقد افترق ملاؤهم (١) ، وقتل سراتهم .

باب

بدء اسلام الانصار رضي الله عنهم

قال ابن اسحاق : فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه . وانجاز موعده له ، خرج رسول الله (ص) في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً . فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله (ص) . قال لهم « من أنتم ؟ » قالوا نفر من الخزرج قال « أمن موالي يهود ؟ » قالوا نعم ! قال « أفلا تجلسون أكلمكم ؟ » قالوا بلى . فجلسوا معه فدعاهم

(١) الملأ : اشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع الي قولهم وجمعه املاء .

إلى الله وعرض عليهم الاسلام، وتلا عليهم القرآن. قال وكان مما صنع الله بهم فى الاسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم. وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شئ قالوا إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله (ص) أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه، فاجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا.

قال ابن اسحاق: وهم فيما ذكر لى ستة نفر كلهم من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. قال أبو نعيم: وقد قيل إنه أول من أسلم من الانصار من الخزرج. ومن الاوس أبو الهيثم بن التيهان وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء والله أعلم. وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار - وهو ابن عفراء - النجاريان، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن زريق الزرقى وقطبة ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد ابن ساردة[1] بن تزيد بن جشم بن الخزرج السلمى ثم من بنى سواد، وعقبة بن عامر بن نابى بن زيد ابن حرام بن كعب بن سلمة السلمى أيضا، ثم من بنى حرام. وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان ابن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى أيضا، ثم من بنى عبيد رضى الله عنهم. وهكذا روى عن الشعبى والزهرى وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج.

وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهرى وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم: معاذ بن عفراء، وأسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان - وهو ابن عبد قيس - وعبادة بن الصامت، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة. فاسلموا وواعدوه الى قابل. فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الاسلام، وأرسلوا إلى رسول الله (ص) معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث الينا رجلا يفقهنا. فبعث اليهم مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن اسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة والله أعلم.

(١) فى الاصل: ساوة بن يزيد وهو خطأ، وفى ابن هشام: ساردة بن تزيد.

قال ابن اسحاق : فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله (ص) ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله (ص)، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنى عشر رجلا وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ، ورافع بن مالك المتقدم أيضا . وذكوان ابن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقي . قال ابن هشام : وهو انصارى مهاجرى وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم البلوى ، والعباس بن عبادة ابن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلانى ، وعقبة بن عامر بن نابى المتقدم ، وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم ، فهؤلاء عشرة من الخزرج ، ومن الاوس اثنان وهما : عويم بن ساعدة . وأبو الهيثم مالك بن التيهان . قال ابن هشام التيهان يخفف ويثقل كميت وميت .

قال السهيلى : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن رعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس . قال وقيل إنه أراشى وقيل بلوى . وهذا لم ينسبه ابن اسحاق ولا ابن هشام . قال : والهيثم فرخ العقاب ، وضرب من النبات ، والمقصود أن هؤلاء الاثنى عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ ، وعزموا على الاجتماع برسول الله (ص) ، فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهى العقبة الاولى وروى أبو نعيم أن رسول الله (ص) قرأ عليهم من قوله فى سورة ابراهيم (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) الى آخرها . وقال ابن اسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الرحمن ابن عسيلة الصنابحى عن عبادة — وهو ابن الصامت — قال : كنت ممن حضر العقبة الاولى وكنا اثنى عشر رجلا . فبايعنا رسول الله (ص) على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف . فان وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر . وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد ابن أبى حبيب به نحوه

قال ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عائذ الله أبى إدريس الخولانى أن عبادة بن الصامت حدثه . قال : بايعنا رسول الله (ص) ليلة العقبة الأولى أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف ، فان

وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهرى به نحوه . وقوله على بيعه النساء — يعنى وفق على ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية — وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا بعجيب فان القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب فى غير ما موطن كما بيناه فى سيرته و فى التفسير ، وإن كانت هذه البيعه وقعت عن وحى غير متلو فهو أظهر والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ص معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى . وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين . وقد روى البيهقى عن ابن اسحاق قال فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله (ص) انما بعث مصعباً حين كتبوا اليه أن يبعثه اليهم ، وهو الذى ذكره موسى بن عقبة كما تقدم ، إلا أنه جعل المرة الثانية هى الاولى .

قال البيهقى : وسياق ابن اسحاق أتم وقال ابن اسحاق فكان عبد الله بن أبى بكر يقول لا أدرى ما العقبة الاولى . ثم يقول ابن اسحاق : بلى لعمرى قد كانت عقبة وعقبة . قالوا كلهم . فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرئ ، قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة أنه كان يصلى بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبى حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الاذان بها صلى على أبى أمامة أسعد بن زراره قال فمكث حينا على ذلك لا يسمع لأذان الجمعه إلا صلى عليه واستغفر له . قال فقلت فى نفسى والله إن هذا بى لعجز ، ألا أسأله ؛ فقلت يا أبت مالك إذا سمعت الاذان للجمعة صليت على أبى أمامه ؟ فقال أى بنى كان أول من جمع بنا بالمدينه فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى بقيع يقال له بقيع الخضمات [1] قال قلت وكم أنتم يومئذ ؟ قال أربعون رجلا . وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن اسحاق رحمه الله وقد روى الدارقطنى عن ابن عباس أن رسول الله ص كتب إلى مصعب بن عمير يأمره باقامة الجمعة ، وفى اسناده غرابة والله أعلم .

(١) كذا الاصل ؛ وفى ابن هشام : نقيع بالنون . وأورده السهيلى بالباء والنون وذكر فيه روايات مختلفة .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الاشهل ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر على بئر يقال له بئر مرق فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأسيد لا أبالك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، وانههما أن يأتيا دارينا فانه لولا أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما . قال فاخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكلمه . قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بانفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة . فقال له غلام : أتيتنا فى دارنا بهذا الوحيد الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه

قال ابن اسحاق فقال له مصعب . أو تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال أنصفت ، قال ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرفنا فى وجهه الاسلام قبل أن يتكلم فى اشراقه وتسهله ، ثم قال . ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن . سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا . قال . أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت ؟ قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا . وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك ، قال فقام سعد بن معاذ مغضبا مبادراً تخوفا للذى ذكر له من بنى حارثة وأخذ الحربة فى يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا ، ثم خرج اليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى ، أتغشانا فى دارنا بما نكره ؟ قال وقد قال أسعد لمصعب . جاءك والله سيد من وراءه قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان . قال فقال

له مصعب · أو تقعد فتسمع فان رضيت أمراً رغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد · أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن . وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف . قال فعرفنا والله فى وجهه الاسلام قبل أن يتكلم فى اشراقه وتسهله ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين . قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فاقبل عائداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن الحضير ، فلما رآه قومه مقبلا قالوا · نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة . قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله و رسوله ، قال فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أومسلمة ، و رجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ، و وائل ، و واقف ، وتلك أوس وهم من الاوس بن حارثة وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الاسلت واسمه صيفى . وقال الزبير بن بكار : اسمه الحارث ، وقيل عبيد الله واسم أبيه الاسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الاوس . وكذا نسبه الكلبى أيضا . وكان شاعراً لهم قائدا يستمعون منه و يطيعونه ، فوقف بهم عن الاسلام حتى كان بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الاسلت هذا ذكر له ابن اسحاق أشعاراً بائية حسنة تقرب من أشعار أمية بن الصلت الثقفى .

قال ابن اسحاق فيما تقدم · ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ فى العرب و بلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حى من العرب أعلم بامر رسول الله ﷺ حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحى من الاوس والخزرج ، وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود . فلما وقع أمره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الاسلت أخو بنى واقف قال السهيلى : هو أبو قيس صرمة بن أبى أنس واسم أبى أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى ابن النجار ، قال وهو الذى أنزل فيه وفى عمر (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) الآية . قال ابن اسحاق : وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهراً . كانت تحته أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى وكان يقيم عندهم السنين بامرأته . قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا فيها عن الحرب و يذكر فضلهم وأحلامهم و يذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده و يأمرهم بالكف

عن رسول الله (ص) :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلّغنْ ... مغلغلةً عنّي لؤيَّ بنَ غالب
رسولَ امرئٍ قد راعَه ذاتُ بينكم ... على النأي محزونٌ بذلك ناصبُ
وقد كان عندي للهموم معرّس ... ولم اقضِ منها حاجتي ومآربي
نُبيّتكم شَرْجَين ، كلٌّ قبيلة ... لها أزملٌ من بين مُذكٍ وحاطِب (١)
أعيذُكم بالله من شرّ صُنعكم ... وشرِّ تَباغيكم ودسِّ العقارب
وإظهارِ أخلاقٍ ونجوى سقيمةٍ ... كوخزِ الأشافي وقعها حقٌّ صائب
فذكّرهم بالله أولَ وهلةٍ ... وإحلالِ إحرام الظِّباء الشوازِب
وقلْ لهمْ والله يحكم حُكمه ... ذروا الحربَ تذهبْ عنكمُ في المراجِب
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... هي الغولُ للأقصينِ أو للأقارب
تقطِّع أرحاماً وتُهلكُ أمّةً ... وتبري السديفَ من سَنامٍ وغارب
وتستبدلوا بالأتحميّةِ بعدَها ... شليلاً وأصداءً ثيابَ المحارب
وبالمسكِ والكافورِ غُبْراً سَوابغاً ... كأن قتيرَيها عيونُ الجنادب
فإياكمُ والحربَ لا تَعْلقنّكم ... وحوضاً وخيمَ الماء مُرَّ المشارب
تَزَيَّنُ للأقوام ثم يَرَوْنها ... بعاقبةٍ إذ بيّنتْ أمَّ صاحب
تُحرّقُ لا تشوى ضعيفاً وتنتحي ... ذوي العزِّ منكم بالحتوف الصوائب
ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ ... فتعتبروا أو كان في حربِ حاطب
وكم ذا أصابتْ من شريفٍ مسوَّدٍ ... طويل العمادِ ضيفُه غيرُ خائب
عظيمُ رمادِ النارِ يُحمَد أمرُه ... وذي شيمةٍ مَحْضٍ كريمِ المضارب
وماءٍ هُريقَ في الضلال كأنّما ... أذاعتْ به ريحُ الصَّبا والجنائب
يخبّرُكم عنها امرؤٌ حقٌّ عالم ... بأيامها والعلمُ علمُ التجارب
فبيعوا الحرابَ ملمُحارب واذكروا ... حسابَكم والله خيرُ محاسب
وليُّ امرئٍ فاختارَ ديناً فلا يكنْ ... عليكم رقيبٌ غيرُ ربِّ الثواقب
أقيموا لنا ديناً حنيفاً فأنتموا ... لنا غايةٌ قد يُهتَدى بالذوائب
وأنتم لهذا الناسِ نورٌ وعِصمة ... تؤمّون والأحلامُ غيرُ عوازب

---

(١) قال السهيلي : نبيتكم شرجين أي فريقين مختلفين ، و [فيه] نبئتكم [بالهمز] وقال إنه لفظ مشكل ، وقال فيه زحاف خرم وشرحها شرحا حسنا .

وأنتم إذا ما حصّل الناسُ جوهرٌ ... لـكم سُرّةُ البطحاء شُمُّ الارانب
تصونون أنساباً (١) كِراماً عتيقةً ... مهذّبة الأنسابِ غيرَ أشائب
يرى طالبُ الحاجات نحو بيوتـكم ... عصائبَ هَلـكى تهتدي بعصائب
لقد علِم الاقوامُ أن سُرَاتـكم ... على كل حالٍ خيرُ أهلِ الجباجب (٢)
وأفضلُه رأياً وأعلاه سُنّةً ... وأقولُه للحقّ وسْط المواكب
فقوموا فَصلّوا ربَّكم وتمسّحوا ... بأركان هذا البيتِ بينَ الأخاشب
فعندكم منهُ بلاءٌ ومصدَقٌ ... غداةَ أبي يكسُومَ هادي الـكتائب
كتيبتُه بالسهل تمشي ورَجْله ... على القاذفاتِ في رؤوسِ المناقب
فلما أتاكم نصرُ ذي العرش ردّهم ... جنودُ المليك بين سافٍ وحاصب
فولّوا سِراعاً هاربين ولم يَؤُبْ ... إلى أهله مِلحُبْش غيرُ عصائب
فإنْ تهلِـكوا نَهلِكْ وتهلِكْ مواسمٌ ... يُعاشُ بها،قولَ امرئٍ غيرِ كاذب

وحرب داحس الذي ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره: أن فرسا يقال له داحس كانت لقيس بن زهير بن جذيمة ابن رواحـة الغطفاني. أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية الغطفاني أيضا يقال لها الغبراء، فجاءت داحس سابقا فامر حذيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء، فقام حمل بن بدر فلطم مالـكا، ثم إن أبا جنيدب العبسي لقي عوف بن حذيفة فقتله، ثم لقي رجل من بني فزارة مالـكا فقتله، فشبت الحرب بين بني عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل ابن بدر وجماعات آخرون، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها.

قال ابن هشام: وأرسل قيس داحساً والغبراء، وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء، والاول أصح

قال وأما حرب حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس. كان قتل يهوديا جاراً للخزرج، فخرج اليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن فسحم في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الاوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً وكان الظفر للخزرج، وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الاوسي، قتله المجذر بن ذياد حليف بني عوف بن الخزرج، ثم كانت بينهم حروب

(١) وفي ابن هشام: تصونون أجسادا كراما عتيقة. (٢) قال السهيلي الجباجب منازل منى، وقيل حفر بها تدم البدن

يطول ذكرها أيضا . والمقصود أن أبا قيس بن الاسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الاسلام ، فاسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار - أى محلة - من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غير دار بنى واقف قبيلة أبى قيس ثبطهم عن الاسلام وهو القائل أيضا :

أربَّ الناسِ أشياءٌ ألمّتْ يلفّ الصعبُ منها بالذلول
أرب الناس إمّا أن ضللنا فَيَسِّرْنا لمعروفِ السبيل
فلولا ربُّنا كنّا يهوداً وما دينُ اليهودِ بذي شُكول
ولولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان فى جبل الجليل
ولكنّا خُلقنا إذ خُلقنا حنيفاً ديننُا عن كل جيل
نسوق الهَدْيَ ترسُفُ مذعِناتٍ مكشّفةَ المناكبِ فى الجلول

وحاصل ما يقول أنه حائر فيما وقع من الأمر الذى قد سمعه من بعثة رسول الله - ص - فتوقف الواقفى فى ذلك مع علمه ومعرفته . وكان الذى ثبطه عن الاسلام أولا عبدالله بن أبى بن سلول بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذى بشر يهود فمنعه عن الاسلام .

قال ابن اسحاق : ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج ، وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم . وكذا الواقدى . قال : كان عزم على الاسلام أول ما دعاه رسول الله (ص) ، فلامه عبد الله بن أبى فخاف لا يسلم إلى حول فمات فى ذى القعدة . وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الاثير فى كتابه [اسد] الغابة ؛ أنه لما حضره الموت دعاه النبى (ص) إلى الاسلام فسمع يقول : لا إله إلا الله . وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) عاد رجلا من الانصار ، فقال « ياخال قل لا إله إلا الله » فقال : أخال أم عم ؟ قال بل خال قال : نخير لى أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله (ص) نعم ! تفرد به احمد رحمه الله وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفى أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم ، فسألت رسول الله (ص) فى ذلك فأنزل الله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) الآية .

وقال ابن اسحاق وسعيد بن يحيى الاموى فى مغازيه : كان أبو قيس هذا قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الاوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهر من الحائض من النساء ، وهمّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب . وقال : أعبد إله ابراهيم حين فارق الاوثان وكرهها ، حتى قدم رسول الله (ص) فاسلم فحسن اسلامه ، وكان شيخا كبيراً ، وكان قوالا بالحق معظما لله فى جاهليته يقول فى ذلك أشعاراً حسانا وهو الذى يقول :

يقول أبو قيس وأصبحَ غادياً ... ألا ما استطعتم من وَصَاتيَ فافعلوا
فأُوصيكم بالله والبرّ والتّقى ... وأعراضِكم والبرّ بالله أول
و إنْ قومُكم سادوا فلا تحسُدُنّهم ... وإن كنتمُ أهلَ الرئاسةِ فاعدلوا
و إن نزلتْ إحدى الدواهي بقومكم ... فأنفسَكم دونَ العشيرةِ فاجعلوا
و إن نابَ غُرْمٌ فادحٌ فارفُقُوهمُ ... وما حمّلوكم فى الملمّاتِ فاحملوا
و إن أنتمُ أمعزتمُ فتعفّفوا ... و إن كان فضلُ الخيرِ فيكم فأَفضلوا

وقال أبو قيس أيضا :

سبّحوا اللهَ شرقَ كل صباحٍ ... طلعتْ شمسُه وكلَّ هلال
عالمُ السِرّ والبيانِ جميعاً ... ليس ما قال ربُّنا بضَلال
وله الطيرُ تستزيد وتأوِي ... فى وكورٍ من آمنات الجبال
وله الوحشُ بالفَلاةِ تراها ... فى حِقافٍ وفي ظلال الرمال
وله هوّدت يهودُ ودانتْ ... كلَّ دينٍ مخافةً من عُضال
وله شمّس النصارى وقاموا ... كلَّ عيدٍ لربّهم واحتفال
وله الراهبُ الحبيسُ تراه ... رهنَ بؤسٍ وكان أنعمَ بال
يا بنى الارحامَ لا تقطعوها ... وصِلُوها قصيرةً من طوال
واتقوا اللهَ فى ضِعافِ اليتامى ... وبما يَستحِلّ غيرَ الحلال
واعلموا أن لليتيمِ ولياً ... عالِماً يهتدي بغير سؤال
ثم مالَ اليتيمِ لا تأكلوه ... إن مالَ اليتيم يرعاه والي
يا بنىّ التخومَ لا تخزِلوها ... إن خزْلَ التخوم ذو عُقّال
يا بنىّ الأيامَ لا تأمنوها ... واحذروا مكرَها ومرَّ الليالي
واعلموا أن أمرها لنفادِ ... الخلْقِ ما كان من جديدٍ وبالي
واجمعوا أمرَكم على البرّ والتقـ ... ـوى وترك الخنا وأخذِ الحلال

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمه أيضا يذكر ما أكرمهم الله به من الاسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله ـ ـ عندهم .

ثوى فى قريشٍ بضعَ عشرةَ حجّةً ... يذكّر لو يَلقى صَديقاً مُواتيا

وسيأتى ذكرها تمامها فيما بعد إن شاء الله و به الثقة .

قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن اسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الانصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ص ، العقبة من أواسط أيام التشريق حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله . فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب ـ وكان من أعلم الانصار ـ حدثه أن أباه كعبا حدثه — وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ص بها — . قال خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء ياهؤلاء إنى قد رأيت رأيا والله ما أدرى أتوافقوني عليه أم لا ؟ قلنا وما ذاك ؟ قال قد رأيت أن لا أدع هذه البنية منى بظهر — يعنى الكعبة — وأن أصلى اليها قال فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا ص يصلى إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه . فقال : إنى لمصل اليها ، قال فقلنا له لكنا لا نفعل . قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة . قال لى يا ابن أخى انطلق بنا إلى رسول الله ص ، حتى اسأله عما صنعت فى سفرى هذا فانه قد وقع فى نفسى منه شئ . لما رأيت من خلافكم إياى فيه . قال فخرجنا نسأل عن رسول الله ص ، — وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك — فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ص ، قال هل تعرفانه ؟ فقلنا لا ، فقال هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال قلنا نعم ! وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً ، قال فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العب

قال فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله ص جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا اليه فقال رسول الله ص ، للعباس: « هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ » قال نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله ص الشاعر ؟ قال نعم ! فقال له البراء بن معرور : يا نبى الله إنى خرجت فى سفرى هذا قد هدانى الله تعالى للاسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر فصليت اليها وقد خالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شئ فماذا ترى ؟ قال . « قد كنت على قبلة لو صبرت عليها » قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله فصلى معنا إلى الشام ، قال وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله .. العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله ص ، فيها ومعنا عبد الله بن عمرو

ابن حرام أبو جابر سيد من سادتنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله (ص) إيانا العقبة قال فاسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا.

وقد روى البخاري حدثني ابراهيم حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال عطاء قال جابر: أنا وأبي وخالي من أصحاب العقبة. قال عبد الله بن محمد قال ابن عيينة. أحدهم البراء بن معرور. حدثنا علي بن المديني حدثنا سفيان قال كان عمرو يقول سمعت جابر بن عبد الله يقول: شهد بي خالاي العقبة.

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر. قال مكث رسول الله (ص) بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم، عكاظ ومجنة، وفي المواسم يقول «من يؤويني؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة» فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال فيه - فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمضي بين رحالهم وهم يشيرون اليه بالاصابع حتى بعثنا الله اليه من يثرب فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون باسلامه حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام، ثم ائتمروا جميعا فقلنا حتى متى نترك رسول الله (ص) يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا يا رسول الله علام نبايعك؟ قال «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة» فقمنا اليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو من أصغرهم - وفي رواية البيهقي - وهو أصغر السبعين - إلا أنا، فقال رويداً يا أهل يثرب فانا لم نضرب اليه أكباد الابل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن اخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وتعضكم السيوف. فاما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه. فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا أبط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبداً. قال فقمنا اليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة. وقد رواه الامام احمد أيضا والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن العطار - زاد البيهقي عن الحاكم - بسنده إلى يحيى بن سليم كلاهما

عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي إدريس به نحوه وهذا اسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه . وقال البزار وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه . وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر . قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله ﷺ ورسول الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ « أخذت وأعطيت » وقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصه حدثنا سفيان ـ هو الثورى ـ عن جبر ـ يعنى الجعفي ـ عن داود ـ وهو ابن أبي هند ـ عن الشعبي عن جابر ـ يعنى ابن عبدالله ـ قال قال رسول الله ﷺ للنقباء من الانصار : « تؤوونى وتمنعونى ؟ » قالوا نعم قالوا فما لنا ؟ قال « الجنه » ثم قال لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد عن جابر ، ثم قال ابن اسحاق عن معبد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك . قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبه ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بنى مازن بن النجار ، واسماء ابنة عمرو بن عدى بن نابى إحدى نساء بنى سلمة وهى أم منيع . وقد صرح ابن اسحاق فى رواية يونس بن بكير عنه بأسمائهم وأنسابهم وما ورد فى بعض الاحاديث أنهم كانوا سبعين . والعرب كثيراً ما تحذف الكسر ، وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة : كانوا سبعين رجلا وامرأة واحدة ، قال منهم أربعون من ذوى أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم قال وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبدالله . قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج ـ . قال وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ـ إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عزة من قومه ، ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه وما نعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عزة ومنعة من قومه وبلده . قال فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، قال فتكلم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب فى الاسلام . قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » قال فاخذ البراء بن معرور بيده [و] قال نعم ! فوالذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن والله ابناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر . قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ

أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها ـ يعنى اليهود ـ فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » قال كعب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم » فاخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس .

قال ابن اسحاق : وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس [بن عمرو بن امرئ القيس] (١) بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على ابن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبه بن حرام ابن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عباده بن دليم بن حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثه بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبه بن الخزرج بن ساعده بن كعب ابن الخزرج . فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الاوس ثلاثة وهم ، أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل بن جشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس . وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثه بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة هذا ، وهو كذلك فى رواية يونس عن ابن اسحاق . واختاره السهيلى وابن الاثير فى الغابة . ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبى زيد الانصارى فيما ذكره من شعر كعب بن مالك فى ذكر النقباء الاثنى عشر هذه الليلة ـ ليلة العقبة الثانية ـ حين قال :

أبلغْ أُبيّاً أنّه فالَ رأيُه ... وحانَ غداةَ الشِّعبِ والحَيْنُ واقع
أبى الله ما منَّتْك نفسُك إنه ... بمرصادِ أمرِ الناس رَاءٍ وسامع

(١) ما بين المربعين زيادة من ابن هشام . وفى الاصابة : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الاغر بن ثعلبة الخ نقلا عن محمود الامام .

وأبلغ أبا سفيان أنْ قد بدا لنا ... بأحمدَ نورٌ من هُدى الله ساطع
فلا ترغبنْ فى حشد أمرٍ تريده ... وألِّبْ وجمّع كلَّ ما أنت جامع
ودونك فاعلم أنّ نقضَ عهودنا ... أباه عليكَ الرهطُ حينَ تبايعوا
أباه البَراءُ وابنُ عمروٍ كلاهما ... وأسعدُ يأباه عليكَ ورافع
وسعدٌ أباه الساعدي ومنذرٌ ... لأنفك إنْ حاولتَ ذلك جادع
وما ابن ربيع إن تناولتَ عهدَه ... بمُسْلِمِهِ لا يطمَعَنْ ثَمّ طامع
وأيضاً فلا يعطيكَهُ ابنُ رَواحة ... وإخفارُه من دونه السُّمُّ ناقع
وفاءً به، والقوقليّ بنُ صامتٍ ... بمندوحةٍ عمّا تُحاول يافع
أبو هيثم أيضا وفيٌّ بمثلها ... وفاءً بما أعطى من العهدِ خانع
وما ابن حُضير إنْ أردتَ بمُطْمِعٍ ... فهل أنتَ عن أُحموقةِ الغي نازع
وسعدُ أخو عمرو بن عوف فانهُ ... ضروحٌ لِمَا حاولتَ مِلْأمر مانع
أولاكَ نجومٌ لا يَغِبُّكَ منهمُ ... عليك بنحسٍ فى دُجى الليل طالع

قال ابن هشام: فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة.

قلت: وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية فى هذه الليلة. وروى يعقوب بن سفيان عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن مالك. قال: كان الانصار ليلة العقبة سبعون رجلا، وكان نقباؤهم اثنى عشر نقيبا، تسعه من الخزرج وثلاثة من الاوس. وحدثنى شيخ من الانصار أن جبرائيل كان يشير الى رسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة وكان أسيد بن حضير أحد النقباء تلك الليلة. رواه البيهقى. وقال ابن اسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومى» قالوا نعم! وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصارى أخو بنى سالم بن عوف: يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا نعم! قال إنكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس، فان كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا؟ قال «الجنة» قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه. قال عاصم ابن عمر بن قتادة: وإنما قال العباس بن عبادة ذلك ليشد العقد فى أعناقهم وزعم عبد الله بن أبى

بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سيد الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن اسحاق . فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده . و بنو عبد الاشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن اسحاق : وحدثني معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسول الله (ص) البراء بن معرور ، ثم بايع القوم . وقال ابن الاثير فى [اسد] الغابة : و بنوسلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتئذ كعب بن مالك . وقد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم من حديث الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه عن كعب بن مالك فى حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدت مع رسول الله (ص) ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، و إن كانت بدراً كثير فى الناس منها وقال البيهقى أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبى قال : انطلق رسول الله (ص) مع العباس عمه إلى السبعين من الانصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : « ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فان عليكم من المشركين عينا ، و إن يعلموا بكم يفضحوكم » فقال قائلهم ـ وهو أبو أمامة ـ سل يا محمد لربك ما شئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت . ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك . قال : « أسألكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسألكم لنفسى وأصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم » قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال « لكم الجنة » قالوا فلك ذلك . ثم رواه حنبل عن الامام احمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبى عن أبى مسعود الانصارى فذكره قال وكان أبو مسعود أصغرهم . وقال احمد عن يحيى عن اسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال : فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها . وقال البيهقى أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش أخبرنا محمد بن ابراهيم بن الفضل الفحام أخبرنا محمد بن يحيى الذهلى أخبرنا عمرو بن عثمان الرقى حدثنا زهير ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن اسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة عن أبيه قال : قدمت روايا خمر ، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن نقول فى الله لا تأخذنا فيه لومة لائم ، وعلى أن ننصر رسول الله (ص) إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فهذه بيعة رسول الله (ص) التى بايعناه عليها ، وهذا اسناد جيد قوى ولم يخرجوه وقد روى يونس عن ابن اسحاق حدثنى عبادة بن

الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله ص ، بيعة الحرب على السمع والطاعة فى عسرنا و يسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الامر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم

قال ابن اسحاق فى حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك . قال : فلما بايعنا رسول الله ص ، صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت سمعته قط ؟ يا أهل الجباجب ـ والجباجب المنازل ـ هل لكم فى مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم . قال فقال رسول الله ص ، « هذا أزب العقبة ، هذا ابن أزبب » . قال ابن هشام : و يقال ابن أزيب . « أتسمع أى عدو الله ؟ أما والله لا تفرغن اك . ثم قال رسول الله ص ، « ارفضوا الى رحالكم » قال فقال العباس بن عبادة بن نضلة . يارسول الله والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا قال فقال رسول الله ص ، : « لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم » . قال فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا فيها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا . و إنه والله ما من حى من العرب أبغض الينا من أن تنشب الحرب بيننا و بينهم منكم قال فانبعث مَنْ هناك من مشركى قومنا يحلفون ما كان من هذا شئ وما علمناه ، قال وصدقوا لم يعلموا ، قال و بعضنا ينظر إلى بعض . قال ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان له جديدان ، قال فقلت له كلمة ـ كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا ـ يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش ؟ قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلى . قال والله لتنتعلنهما ، قال يقول أبو جابر مه أحفظت والله الفتى فاردد اليه نعليه . قال قلت والله لا أردهما ، قال والله صالح ، لئن صدق الفأل لاسلبنه .

قال ابنُ اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبى بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم إن هذا الامر جسيم ما كان قومى ليتفرقوا [1] على مثل هذا وما علمته كان . قال فانصرفوا عنه . قال ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان ، فخرجوا فى طلب القوم فادركوا سعد بن عبادة بإذاخر و المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيباً . فأما المنذر فاعجز القوم ، وأما سعد بن عبادة فاخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه و يجذبونه بجمته ـ وكان ذا شعر كثير ـ . قال سعد :

(١) كذا فى الاصلين . وفى ابن هشام ليتفوتوا علىّ . وقوله فتنطس . قال السهيلى : التنطس تدقيق النظر .

فوالله إنى لفى أيديهم إذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضئ أبيض شعشاع حلو من الرجال ، فقلت فى نفسى إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا . فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة فقلت فى نفسى لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى لى رجل ممن معهم . قال : ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال قلت بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي . وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس : فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما ، قال ففعلت وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما فى المسجد عند الكعبة فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن ليضرب بالابطح ليهتف بكما ، قالا ومن هو ؟ قال سعد بن عبادة قالا . صدق والله إن كان ليجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده ، قال فجا فخلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لكم سعداً سهيل بن عمرو . قال ابن هشام : وكان الذى أوى له أبو البخترى بن هشام . وروى البيهقى بسنده عن عيسى بن أبى عيسى بن جبير قال سمعت قريش قائلا يقول فى الليل على أبى قبيس :

فإن يُسْلِم السَّعدانِ يصبحْ محمدٌ   بمكّةَ لا يَخشى خِلافَ المُخَالِف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان ؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم ؟ فلما كانت الليلة الثانيه سمعوا قائلا يقول :

أيا سعدُ سعدَ الاوسِ كُن أنتَ ناصراً   ويا سعدُ سعدَ الخزْرجينَ الغطارف
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنَّيا   على اللهِ فى الفِردوسِ مِنْيَةَ عارف
فإنّ ثوابَ اللهِ للطالبِ الهدى   جِنانٌ من الفردوس ذاتُ رفارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

فصل

قال ابن اسحاق : فلما رجع الانصار الذين بايعوا رسول الله (ص) ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الاسلام بها . وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم ؛ عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجموح من سادات بنى سلمة وأشرافهم ، وكان قد اتخذ صنما من خشب فى داره يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون تتخذه إلهاً يعظمه ويطهره ، فلما أسلم فتيان بنى سلمة ؛ ابنه معاذ ؛ ومعاذ بن جبل كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه ، فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عدا على إلهنا هذه

الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطهره ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه . فاذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا مثل ذلك ؛ فيغدوا فيجده فى مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله و يطيبه و يطهره ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله وطهره وطيبه . ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له : إنى والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى ، فان كان فيك خير فامتنع ، هذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره و يشكر الله الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة و يقول :

والله لو كنتَ إلهاً لم تَكُنْ ... أنتَ وكلبٌ وسْطَ بئرٍ فى قَرَنْ
افٍّ لملقاكَ إلهاً مستدنْ ... الآنَ فتَّشناكَ عن سوء الغَبَنْ
الحمدُ لله العليِّ ذي المنَن ... الواهبِ الرزاقِ ديّان الدِّين
هو الذي أنقذني من قبلِ أن ... أكونَ فى ظُلمة قبرٍ مرتهَن

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانيه
ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان

فمن الاوس أحد عشر رجلا؛ أسيد بن حضير أحد النقباء ، وأبو الهيثم بن التيهان بدرى أيضا ، وسلمة بن سلامة بن وقش بدرى ، وظهير بن رافع ، وأبو بردة بن دينار بدرى ، ونهير بن الهيثم بن نابى بن مجدعة بن حارثة ، وسعد بن خيثمة أحد النقباء بدرى وقتل بها شهيدا ، و رفاعة ابن عبد المنذر بن زنبر نقيب بدرى ، وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بدرى ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة ، ومعن بن عدى بن الجد بن عجلان بن الحارث بن ضبيعة البلوى حليف للاوس شهد بدرا وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً ، وعويم بن ساعدة شهد بدراً وما بعدها . ومن الخزرج اثنان وستون رجلا ؛ أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدراً وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً ؛ ومعاذ بن الحارث وأخواه عوف ومعوذ وهم بنو عفراء بدريون ، وعمارة بن حزم شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة ، وأسعد بن زرارة أبو أمامة أحد النقباء مات قبل بدر ، وسهل بن عتيك بدرى ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدرى ، وأبو طلحة زيد بن سهل بدرى ، وقيس بن أبى صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميراً على

السـاقة يوم بدر، وعمرو بن غزية، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدراً وقتل يوم أحد، وخارجة ابن زيد شهد بدرا وقتل يوم أحد، وعبد الله بن رواحة أحـد النقباء شهد بدرا وأحد والخندق، وقتل يوم مؤتة أميرا، وبشير بن سعد بدرى، وعبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذى أرى النداء وهو بدرى؛ وخلاد بن سويد بدرى أحدى خندقى وقتل يوم بنى قريظة شهيداً طرحت عليه رحى فشدخته فيقال إن رسول الله (ص) قال «إن له لأجر شهيدين» وأبو مسعود عقبة بن عمرو البدرى قال ابن اسحاق: وهو أحدث من شهد العقبة سنا ولم يشهد بدراً، وزياد بن لبيد بدرى، وفروة بن عمرو بن ودفة، وخالد بن قيس بن مالك بدرى، ورافع بن مالك أحـد النقباء، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخـلد بن عامر بن زريق، وهو الذى يقال له مهاجرى أنصارى لانه أقام عنـد رسول الله (ص) بمكة حتى هاجر منها وهو بدرى قتل يوم أحـد، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد ابن عامر بن زريق بدرى، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدرى أيضا، والبراء بن معرور أحـد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سلمة وقد مات قبل مقدم النبى (ص) المدينة وأوصى له بثلث ماله فرده رسول الله (ص) على ورثته، وابنه بشر بن البراء وقد شهد بدراً وأحداً والخندق ومات بخيبر شهيدا من أكله مع رسول الله (ص) من تلك الشاة المسمومة رضى الله عنه، وسـنان بن صيفى بن صخر بدرى، والطفيل بن النعمان بن خنساء بدرى، قتل يوم الخندق، ومعقل بن المنـذر بن سرح بدرى، وأخوه يزيد بن المنذر بدرى، ومسعود بن زيد بن سبيع، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدرى، ويزيد بن خدام بن سبيع، وجبار بن صخر [بن أمية] بن خنساء بن سنان بن عبيد بدرى، والطفيل بن مالك بن خنساء بدرى، وكعب بن مالك، وسليم بن عامر بن حديدة بدرى وقطبة بن عامر بن حديدة بدرى، وأخوه أبو المنذر يزيد بدرى أيضا، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدرى، وصيفى بن سواد بن عباد، وثعلبـة بن غنمة بن عدى بن نابى بدرى واستشهد بالخندق، وأخوه عمرو بن غنمة بن عـدى، وعبس بن عامر بن عدى بدرى، وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى، وعبـد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة، وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدرى واستشهد يوم أحد، وابنه جابر بن عبد الله، ومعاذ بن عمرو بن الجموح بدرى وثابت بن الجذع بدرى وقتل شهيداً بالطائف، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بدرى، وخديج بن سلامة حليف لهم من بلى؛ ومعاذ بن جبل شهد بدراً وما بعدها ومات بطاعون عمواس فى خلافة عمر بن الخطاب، وعبادة ابن الصامت أحـد النقباء شهد بدراً وما بعدها، والعباس بن عبادة بن نضلة وقـد أقام بمكة حتى هاجر منها فـكان يقال له مهاجرى أنصارى أيضـا وقتل يوم أحد شهيداً، وأبو عبـد الرحمن يزيد ابن ثعلبة بن خزمة بن أصرم حليف لهم من بلى، وعمرو بن الحارث بن كندة، ورفاعة بن عمرو بن

زيد بدرى ، وعقبة بن وهب بن كلدة حليف لهم بدرى وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وسعد بن عبادة بن دليم أحد النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيب بدرى احدى وقتل يوم بئر معونة أميراً وهو الذى يقال له أعتق ليموت ، وأما المرأتان فأم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية . قال ابن اسحاق : وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله (ص) وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها خبيب وعبد الله ، وابنها خبيب هذا هو الذى قتله مسيلمة الكذاب حين جعل يقول له أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول لا أسمع فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يديه لا يزيده على ذلك ، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلمه ورجعت وبها اثنى عشر جرحا من بين طعنة وضربة رضى الله عنها ، والاخرى أم منيع أسماء ابنة عمرو بن عدى بن نابى بن عمرو بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة رضى الله عنها .

باب

الهجرة من مكة الى المدينة

قال الزهرى عن عروة عن عائشة . قالت قال رسول الله (ص) ـ وهو يومئذ بمكة ـ للمسلمين : « قد أريت دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله (ص) ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين . رواه البخارى . وقال أبو موسى عن النبى (ص) : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر ، فاذا هى المدينة يثرب » وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع أخر بطوله ورواه مسلم كلاهما عن أبى كريب زاد مسلم وعبد الله بن مراد كلاهما عن أبى أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى عن النبى (ص) الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرو حدثنا ابراهيم بن هلال حدثنا على بن الحسن بن شقيق حدثنا عيسى بن عبيد الكندى عن غيلان بن عبد الله العامرى عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير أن النبى (ص) . قال : « إن الله أوحى إلىَّ أى هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهى دار هجرتك ، المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة اليها .

هذا حـديث غريب جداً وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامعه منفرداً به عن أبى عمار الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامرى عن أبى زرعة بن عمر بن جرير عن جرير . قال قال رسول الله (ص) . « إن الله أوحى إلى أى هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات إلا أنه قال : روى عن أبى زرعة حديثا منكراً فى الهجرة والله أعلم .

قال ابن اسحاق . لما أذن الله تعالى فى الحرب بقوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الآية فلما أذن الله فى الحرب وتابعه هذا الحى من الانصار على الاسلام والنصرة له ، ولمن اتبعه وأوى اليهم من المسلمين . أمر رسول الله (ص) أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة اليها واللحوق باخوانهم من الانصار وقال « إن الله قد جعل لكم اخوانا وداراً تأمنون بها » فخرجوا اليها أرسالا وأقام رسول الله (ص) بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فكان أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم ، أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت هجرته اليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع اليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم اخوانا فعزم اليها .

قال ابن اسحاق : فحدثنى أبى عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة عن جدته أم سلمة قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحّل لى بعيره ثم حملنى عليه وجعل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا اليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت فنزعوا خطام البعير من يده وأخذونى منه ، قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبى سلمة وقالوا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسنى بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة ، قالت ففرق بينى و بين ابنى و بين زوجى . قالت فكنت أخرج كل غداة فاجلس فى الابطح فما أزال أبكى حتى أمسى ـ سنة أو قريبا منها ـ حتى مر بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة فرأى ما بى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها و بين زوجها و بين ولدها ؟ قالت فقالوا لى الحق

بزوجك إن شئت . قالت فرد بنو عبد الاسد إلىّ عند ذلك ابنى ، قالت فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، قالت وما معى أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار فقال الى أين يا ابنة أبى أمية ؟ قلت أريد زوجى بالمدينة ، قال أو ما معك أحد ؟ قلت ما معى أحد إلا الله و بنى هذا ، فقال والله مالك من مترك فاخذ بخطام البعير فانطلق معى يهوى بى فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجر ثم تنحى الى شجرة فاضطجع تحتها . فاذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى وقال اركبى فاذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فاخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة فلما نظر إلى قرية بنى عمرو ابن عوف بقباء قال زوجك فى هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلا ـ فادخليها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، فكانت تقول : ما أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، أسلم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى هذا بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً ، وقتل يوم أحد أبوه وأخوته ؛ الحارث وكلاب ومسافع ، وعمه عثمان بن أبى طلحة . ودفع اليه رسول الله (ص) يوم الفتح و إلى ابن عمه شيبة والد بنى شيبة مفاتيح الكعبة أقرها عليهم فى الاسلام كما كانت فى الجاهلية ، ونزل فى ذلك قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) الآية .

قال ابن اسحاق . ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة حليف بنى عدى ، معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة العدوية ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بنى أمية بن عبد شمس احتمل بأهله و بأخيه عبد أبى احمد ، اسمه عبد كما ذكره ابن اسحاق وقيل ثمامة . قال السهيلى : والاول أصح . وكان أبو احمد رجلا ضرير البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم . فغلقت دار بنى جحش هجرة ، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر اليها عتبة تخفق أبوابها يبابا ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال :

وكلّ دارٍ و إن طالتْ سلامتُها ... يوماً ستدركُها النّكباء والحُوبُ

قال ابن هشام : وهذا البيت لابى دواد الايادى فى قصيدة له . قال السهيلى : واسم أبى دواد

حنظلة بن شرقى وقيل حارثة . ثم قال عتبة : أصبحت دار بنى جحش خلاء من أهلها . فقال أبو جهل . وما تبكى عليه من قل بن قل [١] ثم قال - يعنى للعباس - هذا من عمل ابن أخيك ، هذا فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وقطع بيننا .

قال ابن اسحاق : فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقباء على مبشر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون ارسالا قال وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة رجالهم ونساؤهم وهم عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو احمد ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب ، وأربد بن جميرة [٢] ومنقذ بن نباتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن نضلة ، وزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف بن عمرو وربيعة بن أكثم . والزبير بن عبيدة ، وتمام بن عبيدة ، وسخبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبدالله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت جحش ، وحمنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخبرة بنت تميم . قال أبو احمد بن جحش فى هجرتهم إلى المدينة :

ولما رأتني أمُّ أحمدَ غادياً ... بذمّةِ مَن أخشى بغيبٍ وأرهَب
تقول فإما كنتَ لا بدَّ فاعلاً ... فيَمّمْ بنا البلدانَ ولنأْ يثرب
فقلتُ لها ما يثربَ بمظنّةٍ [٣] ... وما يشأِ الرحمنُ فالعبدُ يركب
إلى الله وجْهي والرسولِ ومن يُقِمْ ... إلى الله يوماً وجهَه لا يُخيَّب
فكَمْ قد تركنا من حميمٍ مُناصحٍ ... وناصحةٍ تبكي بدمعٍ وتندب
ترى أن وِتراً نائياً عن بلادنا ... ونحن نرى أن الرغائبَ نطلب
دعوتُ بني غَنْمٍ لحقْنِ دمائهم ... وللحق لمّا لاح للناس مُلحِب
أجابوا بحمدِ الله لما دعاهمُ ... إلى الحق داعٍ والنجاحِ فأوعبوا
وكنا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى ... أعانوا علينا بالسلاحِ وأجلبوا
كفوجَيْن إما منهُما فموفَّقٌ ... على الحقّ مهديٌّ وفوجٌ معذب
طَغَوا وتمنَّوا كِذبةً وأزلَّهم ... عن الحق ابليسٌ فخابوا وخيَّبوا
ورعنا إلى قول النبيِّ محمدٍ ... فطابَ ولاةُ الحق منا وطيَّبوا

(١) قال ابن هشام : القل الواحد . واستشهد ببيت لبيد بن ربيعة :

كل بنى حرة مصيرهم ... قل وإن أكثرت من العدد

(٢) قال ابن هشام : ويقال ابن حميرة . (٣) فى ابن هشام : فقلت لها بل يثرب اليوم وجهنا .

نَمِتْ بأرحامٍ اليهم قريبةٍ ولا قُرْبَ بالأرحام إذ لا تَقَرُّب
فأيّ ابنِ أختٍ بعدنا يأمنّنكم وأية صهرٍ بعد صهري يرقُب
ستعلم يوماً أيّنا إذ تزايلوا وزيّل أمرُ الناسِ للحقّ أصوب

قال ابن اسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبى ربيعه حتى قدما المدينة . فحدثنى نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه . قال : اتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص بالتناضب من إضاة بنى غفار فوق سرف ، وقلنا أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه ، قال فاصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وفتن فافتتن ، فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام الى عياش ـ وكان ابن عمهما وأخاهما لامهما ـ حتى قدما المدينة ورسول الله (ص) بمكة ، فكلماه وقالا له إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرق لها فقلت له إنه والله إن يريدك القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . قال فقال : أبر قسم أمى ولى هنالك مال فآخذه قال قلت والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما . قال فابى على الا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتى هذه فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها ، فان رابك من أمر القوم ريب فانج عليها . فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخى والله لقد استغلظت بعيرى هذا أفلا تعقبنى على ناقتك هذه قال بلى . فاناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطا ، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن . قال عمر : فكنا نقول لا يقبل الله ممن افتتن توبة . وكانوا يقولون ذلك لانفسهم حتى قدم رسول الله (ص) المدينة وأنزل الله (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) قال عمر : وكتبتها و بعثت بها إلى هشام بن العاص . قال هشام : فلما أتتنى جعلت اقرأها بذى طوى أصعد بها وأصوب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها ، فألقى الله فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ، ويقال فينا ، قال فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله (ص) بالمدينة . وذكر ابن هشام أن الذى قدم بهشام بن العاص ، وعياش ابن أبى ربيعة إلى المدينة الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بها يحملهما على بعيره وهو ماش معهما ، فعثر فدميت أصبعه فقال :

هل أنتَ إلا أصبعٌ دَمِيت ... وفي سبيل الله ما لَقِيتُ

وقال البخارى حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبه أنبأنا أبو اسحاق سمع البراء . قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، ثم قدم علينا عمار و بلال . وحدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت البراء بن عازب . قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس ، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين نفراً من أصحاب النبى (ص) ثم قدم النبى (ص) . فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله (ص) حتى جعل الاماء يقلن : قدم رسول الله (ص) ، فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى فى سور من المفصل . ورواه مسلم فى صحيحه من حديث اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء ابن عازب بنحوه وفيه التصريح بأن سعد بن أبى وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله (ص) المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهرى أنه إنما هاجر بعد رسول الله (ص) والصواب ما تقدم .

قال ابن اسحاق : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد ابن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمى زوج ابنته حفصة وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبدالله التميمى حليف لهم وخولى بن أبى خولى ومالك بن أبى خولى حليفان لهم من بنى عجل و بنو البكير إياس وخالد وعاقل وعامر وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر فى بنى عمرو بن عوف بقباء .

قال ابن اسحاق : ثم تتابع المهاجرون رضى الله عنهم فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف أخى بلحارث بن الخزرج بالسنح . ويقال بل نزل طلحة على أسعد ابن زرارة .

قال ابن هشام : وذكر لى عن أبى عثمان النهدى أنه قال بلغنى أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيراً فكثر مالك عندنا و بلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا نعم ! قال فانى قد جعلت لكم مالى . فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال : « ربح صهيب ، ربح صهيب » وقد قال البيهقى : حدثنا الحافظ أبو عبد الله ـ إملاء ـ أخبرنا أبو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أخبرنا عبدان الاهوازى حدثنا زيد بن الجريش حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنا حصين بن حذيفة بن صيفى بن صهيب حدثنى أبى وعمومتى عن سعيد بن المسيب عن صهيب . قال قال رسول الله (ص) : « أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانى حرتين ، فاما أن تكون هجر أو تكون يثرب » قال وخرج رسول الله (ص) إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت

قد هممت معه بالخروج فصدنى فتيان من قريش ، فجعلت ليلتى تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا قد شغله الله عنكم ببطنه ـ ولم أكن شاكيا ـ فناموا . فخرجت ولحقنى منهم ناس بعد ما سرت يريدوا ليردونى فقلت لهم إن أعطيتكم أواقى من ذهب وتخلوا سبيلى وتوفون لى ففعلوا فتبعتهم إلى مكة فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان بها أواق ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين وخرجت حتى قدمت على رسول الله (ص) بقباء قبل أن يتحول منها ، فلما رآنى قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » فقلت يارسول الله ما سبقنى اليك أحد وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام .

قال ابن اسحاق . ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كناز بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة ، وأنسة وأبو كبشة موليا رسول الله (ص) على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وقيل على سعد بن خيثمة ، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة والله أعلم . قال ونزل عبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحصين ومسطح بن أثاثة وسويبط بن سعد ابن حريملة أخو بنى عبد الدار وطليب بن عمير أخو بنى عبد بن قصى وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخى بلعجلان بقباء [1] ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبى رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحه بن الجلاح بالعصبة دار بنى جحجبى ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة . قال ابن اسحاق وقال الاموى على خبيب بن اساف أخى بنى حارثة ، ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش فى بنى عبد الاشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار . قال ابن اسحاق : ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك أنه كان عزبا والله أعلم أى ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان حدثنى احمد بن أبى بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه . قال : قدمنا مكة فنزلنا العصبة ، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة . فكان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة لانه كان أكثرهم قرآنا .

فصل

فى سبب هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة

قال الله تعالى (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك

(١) كذا بالاصلين، وفى ابن هشام: على عبدالله أخى بلحارث بن الخزرج فى دار بلحارث بن الخزرج

سلطانا نصيرا) أرشـده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء [و] أن يجعل له مما هو فيـه فرجا قريبا ومخرجا عاجلا ، فاذن له تعالى فى الهجرة إلى المدينـة النبوية حيث الانصار والاحباب ، فصارت له داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال احمـد بن حنبل وعثمان بن أبى شيبة عن جرير عن قابوس بن أبى ظبيان [١] عن أبيه عن ابن عباس . كان رسول الله (ص.) بمكة ، فأمر بالهجرة وأنزل عليه (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً) وقال قتادة (أدخلنى مدخل صدق) المدينة (وأخرجنى مخرج صـدق) الهجرة من مكة (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً) كتاب الله وفرائضه وحدوده .

قال ابن اسحاق . وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أوفتن ، إلا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة رضى الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله (ص.) فى الهجرة فيقول له « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا » فيطمع أبو بكر أن يكونه . فلما رأت قريش أن رسول الله (ص.) قـد صار له شيعة وأصحاب من غـيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قـد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله (ص.) اليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار الندوة وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله (ص) حين خافوه . قال ابن اسحاق : فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا عن عبدالله بن أبى نجيح عن مجاهد بن جبر عن عبدالله بن عباس . وغيره ممن لا أتهم عن عبدالله بن عباس . قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله (ص.)، غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم ابليس لعنه الله فى صورة شيخ جليل عليه بتلة [٢] فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجـد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا . قالوا أجل فادخل ، فدخل معهم وقد اجتمع فيها اشراف قريش عتبة وشيبة وأبو سفيان وطعيمة بن عدى وجبير بن مطعم بن عـدى والحارث بن عامر بن نوفل والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام وزمعـة بن الاسود وحكيم بن حزام وأبو جهل بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج

(١) كذا فى المصرية وفى الحلبية : جبير عن قابوس بن أبى طهمان .

(٢) كذا فى سيرة ابن هشام ، وفى ح : عيبه (ولعلها عليه) تبت له ، وفى المصرية : عليه ثب له وكل ذلك تصحيف .

وأمية بن خلف ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأيا ، قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم — قيل إنه أبو البختري بن هشام — احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذى أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى . فتشاوروا ثم قال قائل منهم . نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . قال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أديروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا . فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم ، قال يقول الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل هذا الرأى ولا رأى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له . فأتى جبرائيل رسول الله (ص) فقال له : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله (ص) مكانهم قال لعلى بن أبى طالب : « نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الاخضر ، فنم فيه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم » وكان رسول الله (ص) ينام فى برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التى ذكرها ابن اسحاق قد رواها الواقدى بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم فى بعض فذكر نحو ما تقدم .

قال ابن اسحاق : فحدثنى يزيد بن أبى زياد عن محمد بن كعب القرظى . قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال — وهم على بابه — إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الاردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح

ثم بعثتم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها قال فخرج رسول الله (ص) ، فأخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم » وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم) الى قوله (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون هنا ؟ قالوا محمدا ، فقال خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ! أفما ترون ما بكم ؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله (ص) فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى كان حدثنا

قال ابن اسحاق : فكان مما أنزل الله فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى [وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين] وقوله (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) قال ابن اسحاق فاذن الله لنبيه (ص) عند ذلك بالهجرة .

باب

هجرة رسول الله (ص) بنفسه الكريمة من مكة الى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه

وذلك أول التاريخ الاسلامى كما اتفق عليه الصحابة فى الدولة العمرية كما بيناه فى سيرة عمر رضى الله عنه وعنهم أجمعين قال البخارى حدثنا مطر بن الفضل ثنا روح ثنا هشام ثنا عكرمة عن ابن عباس . قال : بعث نبى (ص) لأربعين سنة ، فمكث فيها ثلاث عشرة يوحى اليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقد كانت هجرته عليه السلام فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك فى يوم الاثنين كما رواه الامام أحمد عن ابن عباس أنه قال : ولد نبيكم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ونبئ يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين .

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله (ص) فى الهجرة فقال له : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً ، قد طمع بأن يكون رسول الله (ص) إنما يعنى نفسه ، فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما اعداداً لذلك . قال الواقدى : اشتراهما بثمانمائة درهم .

قال ابن اسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطئ رسول الله (ص) أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة ، و إما عشية حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه رسوله (ص) فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه أتانا رسول الله (ص) بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها ، قالت فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله (ص) فى هذه الساعة إلا لأمر حدث ! قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله (ص) وليس عند رسول الله (ص)[1] أحد إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله (ص) : « أخرج عنى من عندك » قال : يا رسول الله إنما هما ابنتاى ، وما ذاك فداك أبى وأمى ؟ قال « إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة » قالت فقال أبو بكر : الصحبة يارسول الله ؟ قال : « الصحبة » . قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى . ثم قال : يا نبى الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أرقد قال ابن هشام : ويقال عبد الله بن أريقط . رجلا من بنى الدئل بن بكر ، وكانت أمه من بنى سهم بن عمرو ، وكان مشركا يدلهما على الطريق ودفعا اليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما قال ابن اسحاق : ولم يعلم — فيما بلغنى — بخروج رسول الله (ص) أحد حين خرج إلا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر ، أما على فان رسول الله (ص) أمره أن يتخلف حتى يؤدى عن رسول الله (ص) الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله (ص) وليس بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته . قال ابن اسحاق : فلما أجمع رسول الله (ص) [الخروج] أتى أبا بكر بن أبى قحافة فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته . وقد روى أبو نعيم من طريق ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق قال : بلغنى أن رسول الله (ص) لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال : « الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا ، اللهم أعنى على هول الدنيا ، و بوائق الدهر ، ومصائب الليالى والأيام . اللهم اصحبنى فى سفرى . واخلفنى فى أهلى ، و بارك لى فيما رزقتنى ولك فذللنى . وعلى صالح خلقى فقومنى ، واليك رب فحببنى ، و إلى الناس فلا تكلنى ، رب المستضعفين وأنت ربى أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض ، وكشفت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تحل على غضبك ، وتنزل بى سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة نقمتك ، وتحول عافيتك وجميع سخطك . لك العقبى عندى خير ما استطعت ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

---

(١) كذا بالأصلين ، والذى فى ابن هشام وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى ، وهذا ما يقتضيه سياق الكلام .

قال ابن اسحاق ثم عمدا إلى غار بثور – جبل بأسفل مكة – فدخلاه ، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار . فكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله (ص) وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة يرعى فى رعيان أهل مكة ؛ فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا . فاذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفى عليه . وسيأتى فى سياق البخارى ما يشهد لهذا وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله (ص) سبق الصديق فى الذهاب الى غار ثور ، وأمر عليا أن يدله على مسيره ليلحقه ، فلحقه فى أثناء الطريق . وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً .

قال ابن اسحاق : وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما ، قالت اسماء : ولما خرج رسول الله (ص) وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت اليهم فقالوا أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟ قالت قلت لا أدرى والله أين أبى . قالت فرفع أبو جهل يده – وكان فاحشاً خبيثا – فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى ثم انصرفوا . قال ابن اسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته اسماء قالت : لما خرج رسول الله (ص) وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم – أو ستة آلاف درهم – فانطلق بها معه ، قالت فدخل علينا جدى أبو قحافة – وقد ذهب بصره – فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؟ قالت قلت كلا يا ابة إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، قالت وأخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت يا ابة ضع يدك على هذا المال . قالت فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن اسكن الشيخ بذلك

وقال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن الحسن بن أبى الحسن البصرى قال : انتهى رسول الله (ص) وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر قبل رسول الله (ص) فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية ، يقى رسول الله (ص) بنفسه وهذا فيه انقطاع من طرفيه . وقد قال أبو القاسم البغوى حدثنا داود بن عمرو الضبى ثنا نافع بن عمر الجمحى عن ابن أبى مليكة : أن النبى (ص) لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور ، فجعل أبو بكر يكون أمام النبى (ص) مرة ، وخلفه مرة . فسأله النبى (ص) عن

ذلك فقال : إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك ، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك . حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر : كما أنت حتى أدخل يدى فاحسه وأقصه فان كانت فيه دابة أصابتنى قبلك . قال نافع فبلغنى أنه كان فى الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفا أن يخرج منه دابة أو شئ يؤذى رسول الله (ص) ، وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أخر فى سيرة الصديق رضى الله عنه .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر احمد بن اسحاق أنا موسى بن الحسن ثنا عباد ثنا عفان بن مسلم ثنا السرى بن يحيى ثنا محمد بن سيرين . قال : ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبى بكر . فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلة من أبى بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبى بكر خير من آل عمر لقد خرج رسول الله (ص) ، ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه . حتى فطن رسول الله (ص) ، فقال : « يا أبا بكر مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدى ؟ » فقال : يارسول الله أذكر الطلب فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك . فقال : « يا أبا بكر لو كان شئ لأحببت أن يكون بك دونى ؟ » قال نعم والذى بعثك بالحق . فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله ، فنزل . ثم قال عمر . والذى نفسى بيده لتلك الليلة خير من آل عمر . وقد رواه البيهقى من وجه آخر عن عمر وفيه : أن أبا بكر جعل يمشى بين يدى رسول الله (ص) تارة ، وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حفيت رجلا رسول الله (ص) ، حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الأجحرة كلها، وبقى منها جحر واحد ، فألقمه كعبه فجعلت الافاعى تنهشه ودموعه تسيل . فقال له رسول الله (ص) « لا تحزن إن الله معنا » وفى هذا السياق غرابة ونكارة . وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ وابو سعيد بن أبى عمرو . قالا : ثنا أبو العباس الاصم ثنا عباس الدورى ثنا اسود بن عامر شاذان ثنا اسرائيل عن الاسود عن جندب بن عبد الله . قال : كان أبو بكر مع رسول الله (ص) فى الغار ، فأصاب يده حجر فقال :

إنْ أنتَ إلا أصبعٌ دُمِيَتْ وفي سَبيلِ الله ما لَقِيَت

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرنى عثمان الجزرى أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس فى قوله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبى (ص) ، وقال بعضهم بل اقتلوه . وقال بعضهم بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فبات علىّ على فراش

النبي (ص) تلك الليلة ، وخرج النبي (ص) حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي (ص) . فلما أصبحوا ثاروا عليه ، فلما رأوا علياً رد الله عليهم مكرهم . فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ فقال : لا أدري . فاقتفوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه . فمكث فيه ثلاث ليال . وهذا اسناد حسن وهو من أجود ما روى في قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله رسوله (ص) .

[وقال الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند ابي بكر حدثنا بشار الخفاف ثنا جعفر وسليمان (١) ثنا ابو عمران الجوني حدثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصري . قال : انطلق النبي (ص) وابو بكر الى الغار . وجاءت قريش يطلبون النبي (ص) . وكانوا اذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل احد ، وكان النبي (ص) قائما يصلي وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي (ص) : هؤلاء قومك يطلبونك ، أما والله ما على نفسي أئل (٢) ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبي (ص) : « يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا » وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسن بحاله من الشاهد ، وفيه زيادة صلاة النبي (ص) في الغار . وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر صلى وروى هذا الرجل — اعني ابو بكر احمد بن علي القاضي — [عن] عمرو الناقد عن خلف بن تميم عن موسى بن مطر عن أبيه عن ابي هريرة أن أبا بكر . قال لابنه : يا بني اذا حدث في الناس حدث فأت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله (ص) فكن فيه فانه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشيا] (٣) .

وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول :

نسجُ داودَ ما حمى صاحبَ الغا ... رِ وكان الفخارُ للعنكبوت

وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضا ، وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول :

فغمّى عليه العنكبوتُ بنسْجه ... وظلّ على البابِ الحَمامُ يبَيض

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا عمرو بن علي ثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسي — ويلقب عوين — حدثني أبو مصعب المكي . قال : أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك ، يذكرون أن النبي (ص) ليلة الغار أمر الله شجرة

(١) كذا في الاصل ، ولعله جعفر بن سليمان الضبعي من رجال الخلاصة .

(٢) ألّ المريض والحزين أنّ وحنّ ورفع صوته وصرخ عند المصيبة

(٣) ما بين المربعين زيادة في النسخة الحلبية . ولم نره في النسخة المصرية .

فخرجت فى وجـه النبى (ص) تستره ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله (ص) ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فاقبلتا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت و بين الشجرة وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجـل ، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله (ص) قدر مائتى ذراع قال الدليل ـ وهو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى ـ هذا الحجر ثم لا أدرى أين وضع رجله . فقال الفتيان أنت لم تخطئ منذ الليلة . حتى إذا أصبحن قال : انظروا فى الغار ، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبى (ص) قدر خمسين ذراعا ، فاذا الحمامتان ترجع [1] فقالوا ما ردك أن تنظر في الغار؟ قال رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد . فسمعها النبى (ص) ، فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما ، فسمت عليهما ـ أى برّك عليهما ـ وأحدرهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن ابراهيم وغيره عن عون بن عمرو ـ وهو الملقب بعوين ـ باسناده مثله . وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين ، وفى هذا الحديث أن القائف الذى اقتفى لهم الاثر سراقة بن مالك المدلجى وقد روى الواقدى عن موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه أن الذى اقتفى لهم الاثر كرز بن علقمة

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الاثر والله أعلم . وقـد قال الله تعالى [إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم] يقول تعالى مؤنباً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول (إلا تنصروه) أنتم فان الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره (إذ أخرجه الذين كفروا) من أهل مكة هاربا ليس معه غـير صاحبه وصديقه أبى بكر ليس غيره ولهذا قال (ثانى اثنين إذ هما فى الغار) أى وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما ؛ وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا فى طلبهما كل مذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن ردهما — أو أحدهما — مائة من الابل ، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم ، وكان الذى يقتص الاثر لقريش سراقة بن مالك بن جعشم كما تقدم ، فصعدوا الجبل الذى هما فيـه وجعلوا يمرون على باب الغار ، فتحاذى أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما ، حفظا من الله لهما كما قال الامام احمد حدثنا عفان ثنا همام أنا ثابت عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه . قال قلت للنبى (ص) ونحن فى الغار . لو ان أحدهم نظر إلى قدميه لابصرنا تحت قدميه ؟ فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث همام به وقـد ذكر

(١) يظهر أن هنا نقص معناه : فرجع الدليل

بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبي (ص) : « لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من هنا » فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به ، وسفينة مشدودة إلى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمه ، ولكن لم يرد ذلك باسناد قوى ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صح أو حسن سنده قلنا به والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الفضل بن سهل ثنا خلف بن تميم ثنا موسى بن مطير القرشي عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله (ص) فكن فيه ، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية . ثم قال البزار : لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك ، وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه . وقد ذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن الصديق قال في دخولهما الغار ، وسيرهما بعد ذلك وما كان من قصة سراقة كما سيأتي شعراً . فمنه قوله :

قال النبي – ولم أجزع – يوقرني ونحنُ في سُدَفٍ من ظُلمة الغار
لا تخشَ شيئاً فانّ الله ثالثُنا وقد توكّل لي منهُ بإظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن اسحاق فذكرها مطولة جداً ، وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم وقد روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير قال فمكث رسول الله (ص) بعد الحج — يعني الذي بايع فيه الانصار — بقية ذى الحجه والمحرم وصفر ، ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله (ص) ، أو يحبسوه . أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه (وإذ يمكر بك الذين كفروا) الآية . فأمر علياً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما اصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يطلبونهما وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه ، وان خروجه هو وابو بكر الى الغار كان ليلا وقد تقدم عن الحسن البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك ايضا وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل . قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي (ص) قالت : لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله (ص) طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج ابو بكر مهاجراً نحو ارض الحبشة ، حتى اذا بلغ برك الغماد [1] لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة ، فذكرت ما كان من رده لأبي بكر إلى مكة وجواره له كما قدمناه عند هجرة الحبشة ، إلى قوله فقال أبو بكر : فاني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله قالت والنبي (ص)

(١) برك الغماد ، بفتح الباء وكسرها وضم الغين وكسرها ، موضع باليمن وقيل وراء مكة بخمس ليال .

يومئذ بمكة فقال النبي (ص) للمسلمين : « إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » وهما الحرتان . فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة الى المدينة ، وتجهز أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسول الله (ص) « على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله (ص) ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر ـ وهو الخبط ـ [1] أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة : فبينما نحن يوما جلوس فى بيت أبى بكر فى حر الظهيرة ، فقال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله (ص) متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر . قالت فجاء رسول الله (ص) فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبى (ص) « أخرج من عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبى أنت يارسول الله . قال فانه قد أذن لى فى الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة بأبى أنت وأمى ، قال النبي (ص) « نعم » . قال أبو بكر . فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين . فقال رسول الله (ص) بالثمن . قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فلذلك سميت ذات النطاقين . قالت ثم لحق رسول الله (ص) وأبو بكر بغار فى جبل ثور ، فكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، لا يسمع أمراً يكاد ان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة [2] من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رسل ـ وهو لبن منحتهما ورضيعهما ـ حتى [ينعق بها [3]] عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث . واستأجر رسول الله (ص) وأبو بكر رجلا من بنى الدئل وهو من بنى عبد ابن عدى هاديا خريتا ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفًا فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ليال . وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذبهم طريق السواحل . قال ابن شهاب فأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن أخى سراقة أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك

(١) كذا بالاصلين ، والذى فى النهاية : السمر بضم الميم ضرب من شجر الطلح ، وأما الخبط فهو ضرب الشجرة لتناثر ورقها .

(٢) أى غنم فيها لبن ، وقد تقع المنحة على الهبة مطلقا لا قرضا ولا عارية .

(٣) الذى فى الاصلين : حتى سعوبهما وفى النهاية نعق الراعى بالغنم ينعق إذا دعاها لتعود اليه .

ابن جعشم . يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله ص وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : ياسراقة إنى رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم ؛ ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها على ، وأخذت رمحى فخرجت من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسى فركبتها فدفعتها فقربت بى حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى فخررت عنها فقمت فأهويت يدى الى كنانتى فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا ، فخرج الذى أكره . فركبت فرسى وعصيت الازلام فجعل فرسى يقرب بى حتى اذا سمعت قراءة رسول الله ص وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها فأهويت ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت الازلام فخرج الذى أكره ؛ فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ص . فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع . فلم يردانى ولم يسألانى إلا أن قالا اخف عنا . فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر ابن فهيرة فكتب لى رقعة من أدم . ثم مضى رسول الله ص .

وقد روى محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالازلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذى يكره لا يضره ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكل ذلك يستقسم بالازلام ويخرج الذى يكره لا يضره . حتى ناداهم بالامان . وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمارة ما بينه وبين رسول الله ص ، قال فكتب لى كتابا فى عظم — أو رقعة أو خرقة — وذكر أنه جاء به الى رسول الله ص وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف ، فقال له « يوم وفاء وبر ، أدنه » فدنوت منه وأسلمت قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم [1] وهذا الذى قاله جيد .

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحدا من الطلب الا رده وقال : كفيتم هذا الوجه ، فلما ظهر أن رسول الله ص قد وصل الى المدينة . جعل سراقة يقص على الناس مارأى وما شاهد من أمر النبى ص ، وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه . فخاف رؤساء قريش معرته ، وخشوا أن يكون ذلك سببا

(١) كذا فى الاصل وفى سيرة ابن هشام .

لاسلام كثير منهم ، وكان سراقة أمير بني مدلج ورئيسهم ، فكتب أبو جهل ـ لعنه الله ـ اليهم :

بني مدلج إني أخاف سفيهكم سُراقةَ مستغوٍ لنصرِ محمد
عليكم به ألاّ يفرّق جمعكم فيصبحَ شتّى بعد عزٍ وسؤدَد

قال فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل فى قوله هذا :

أبا حكمٍ والله لو كنتَ شاهداً لأمر جوادي إذ تسوّخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمداً رسولٌ[(١)] وبرهانٌ فمن ذا يقاومه
عليكَ فكُفَّ القومَ عنه فإنني أخالُ لنا يوماً ستبدو معالمه
بأمرٍ تودّ النصرَ فيه فإنهم وإنّ جميعَ الناسِ طرّاً مُسالمه

[[(٢)] وذكر هذا الشعر الاموى فى مغازيه بسنده عن أبى اسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن اسحاق ، وزاد فى شعر أبي جهل أبياتا تتضمن كفراً بليغا] .

وقال البخارى بسنده إلى ابن شهاب فاخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله (ص) لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسى الزبير رسول الله (ص) وأبا بكر ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله (ص) من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر اليه ، فبصر برسول الله (ص) وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى أن قال بأعلا صوته . يامعشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله (ص) بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله (ص) صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله (ص) يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله (ص) ، فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه . فعرف الناس رسول الله (ص) عند ذلك فلبث رسول الله (ص) فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله (ص) ثم ركب راحلته وسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله (ص) بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر اسعد بن زرارة . فقال رسول الله (ص) حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » ، ثم دعا رسول الله (ص) الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا بل نهبه لك

(١) فى المصرية : نبى وبرهان فمن ذا يكاتمه .

(٢) ما بين المربعين سقط من النسخة الحلبية .

يا رسول الله : فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما . ثم بناه مسجداً . فطفق رسول الله ﷺ ، ينقل معهم اللبن فى بنيانه ، وهو يقول حين ينقل اللبن

هذا الحمالُ لا حِمالُ خَيْبَر   هذا أبرُّ ربَّنا وأطهر

ويقول :

لاهُمَّ إن الأجرَ أجرُ الآخره   فارحم الأنصارَ والمهاجره (١)

فتمثل لشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال ابن شهاب : ولم يبلغنا فى الاحاديث ان رسول الله ﷺ ، تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات . هذا لفظ البخارى وقد تفرد بروايته دون مسلم ، وله شواهد من وجوه أخر وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية ، ولنذكر هنا ما يناسب ذلك مرتبا أولا فأولا .

قال الامام احمد : حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العنقرى ثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء بن عازب . قال : اشترى أبو بكر من عازب سرحا بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب : مر البراء فليحمله إلى منزلى . فقال لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه ؟ فقال أبو بكر : خرجنا فادلجنا فاحتثثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة . فضربت ببصرى هل أرى ظلا نأوى اليه ، فاذا أنا بصخرة فأهويت اليها فاذا بقية ظلها . فسويته لرسول الله ﷺ ، وفرشت له فروة وقلت اضطجع يارسول الله فاضطجع ، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فاذا أنا براعى غنم ، فقلت لمن أنت يا غلام ؟ فقال لرجل من قريش ـ فسماه فعرفته ـ فقلت هل فى غنمك من لبن ؟ قال نعم ! قلت هل أنت حالب لى ؟ قال نعم ! فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعى إداوة على فمها خرقة فحلب لى كثبة (٢) من اللبن فصببت على القدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله ﷺ ، فوافيته وقد استيقظ ، فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت ، ثم قلت هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال « لا تحزن إن الله معنا » حتى إذا دنا منا فكان بيننا و بينه قدر رمح ـ أو

(١) كذا فى الاصل ، وفى ابن هشام . أن المسلمين كانوا يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخره   اللهم ارحم الانصار والمهاجره

وأن رسول الله ﷺ ، يقول . لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم فارحم المهاجرين والانصار .

(٢) الكثبة من اللبن القليل منه ، وكل قليل جمعته من طعام وغيره عن النهاية .

رمحين أو قال رمحين أو ثلاثة ـ قلت يا رسول الله هـذا الطلب قـد لحقنا ؟ وبكيت ، قال لم تبكى ؟ [قلت] أما والله ما على نفسى أبكى ، ولـكن أبكى عليك . فدعا عليـه رسول الله (ص) فقال : « اللهم اكفناه بما شئت » فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلد ووثب عنها وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيـه ، فوالله لاعمين على من ورائى من الطلب ، وهذه كنانتى فخـذ منها سهما فانك ستمر بإبلى وغنمى بموضع كذا وكذا فخـذ منها حاجتك . فقال رسول الله (ص) « لا حاجة لى فيها » ودعا له رسول الله (ص). فأطلق ورجع إلى أصحابه ، ومضى رسول الله (ص) وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناس فخرجوا فى الطرق على الاناجير [1] واشتد الخدم والصبيان فى الطريق يقولون الله أكبر جاء رسول الله (ص) ، جاء محمد ، قال وتنازع القوم أيهم ينزل عليه ، قال فقال رسول الله (ص) : « أنزل الليلة عـلى بنى النجار أخوال عبد المطلب لاكرمهم بذلك » فلمـا أصبح غدا حيث أمر . قال البراء : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بنى عبـد الدار ، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحـد بنى فهر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا ، فقلنا ما فعل رسول الله ؟ قال هو عـلى أثرى ، ثم قدم رسول الله (ص) ، وأبو بكر معه . قال البراء . ولم يقدم رسول الله (ص) ، حتى قرأت سوراً من المفصل أخرجاه فى الصحيحين من حديث اسرائيل بدون قول البراء أول من قدم علينا الخ . فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق اسرائيل به .

وقال ابن اسحاق . فاقام رسول الله (ص) فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم ، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعير بهما وبعير له ، وأتتهما اسماء بنت أبى بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس فيها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاما ثم علقتها به . فـكان يقال لها ذات النطاقين لذلك .

قال ابن اسحاق : فلمـا قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله (ص) ، قدم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أبى وأمى ، فقال رسول الله (ص) : « إنى لا أركب بعيراً ليس لى » قال : فهى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى . قال « لا ولـكن ما الثمن الذى ابتعتها به » قال كذا وكذا . قال « أخذتها بذلك » قال هى لك يارسول الله .

وروى الواقدى باسانيده أنه عليه السلام أخـذ القصواء ، قال وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم . وروى ابن عساكر من طريق أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : وهى الجدعاء

(١) فى النهاية : تلقته الناس على الاجاجير والاناجير ، يعنى السطوح .

وهكذا حكى السهيلى عن ابن اسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما فى الطريق فحدثت عن اسماء أنها قالت : لما خرج رسول الله ص ، وأبو بكر أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل فذكر ضربه لها على خدها لطمة طرح منها قرطها من أذنها كما تقدم . قالت : فمكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين وجه رسول الله ص ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه   رفيقين حلاّ خيمتَي أمِّ معْبَدِ
هما نزلا بالبر ثم تروّحا   فأفلحَ من أمسى رفيقَ محمد
لِيَهْنِ بني كعب مكانُ فتاتهم   ومقعدُها للمؤمنينَ بمرصد

قالت اسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ص ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن اسحاق : وكانوا أربعة ؛ رسول الله ص . وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقد [(1)] كذا يقول ابن اسحاق ، والمشهور عبد الله بن أريقط الديلى وكان إذ ذاك مشركا .

قال ابن اسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمج ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار [(2)] ثم أجاز بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما لقفا ، ثم أجاز بهما مدلجة لقف ، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح مجاج ، ثم تبطن بهما مرجح من ذى العضوين ، ثم بطن ذى كشد ، ثم أخذ بهما على الجداجد ، ثم على الاجرد ، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تِعْهن ، ثم على العبابيد ، ثم أجاز بهما القاحة ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم ، فحمل رسول الله ص ، رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هنيدة ، خرج بهما [دليلهما من العرج فسلك بها ثنية العائر عن يمين ركوبة

---

(١) كذا فى الاصلين ، وفى ابن هشام عن ابن اسحاق فى جميع المواضع : عبد الله بن أرقط ، واستدرك على ابن اسحاق بقوله : ويقال عبد الله بن أريقط . (٢) فى الاصلين الحرار . وهى جمع الحرة ، والذى فى ابن هشام : الخرار بالخاء المعجمة وتشديد الراء موضع بالحجاز وقيل واد أو ماء بالمدينة كما فى المعجم لياقوت .

— ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام — حتى هبط بهما بطن ريم ، ثم قدم بهما [(١)]] قباء على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت لشمس تعتدل .

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدى نحواً من ذكر هذه المنازل ، وخالفه فى بعضها والله أعلم

قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحاق عن السراج حدثنا محمد بن عبادة ابن موسى العجلى حدثنى أخى موسى بن عبادة حدثنى عبد الله بن سيار حدثنى إياس بن مالك بن الاوس الاسلمى عن أبيه . قال : لما هاجر رسول الله (ص) وأبو بكر مروا بابل لنا بالجحفة ، فقال رسول الله (ص) « لمن هذه الابل ؟ » فقالوا لرجل من أسلم ، فالتفت إلى أبى بكر فقال : « سلمت إن شاء الله ، فقال ما اسمك ؟ » قال مسعود ، فالتفت إلى أبى بكر فقال : « سعدت إن شاء الله » . قال فاتاه أبى فحمله على جمل يقال له ابن الرداء .

قلت : وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله (ص) خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين . والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما لانه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهى أبعد من الطريق الجادة واجتاز فى مروره على أم معبد بنت كعب من بنى كعب بن خزاعة ، قال ابن هشام وقال يونس عن ابن اسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم . وقال الاموى : هى عاتكة بنت تبيع حليف بنى منقذ بن ربيعة بن اصرم بن ضبيس [(٢)] بن حرام بن خيسة بن كعب بن عمرو ، ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبى معبد ، واسمه أكثم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم ابن ضبيس ، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا .

وهذه قصة أم معبد الخزاعية . قال يونس عن ابن اسحاق : فنزل رسول الله (ص) بخيمة أم معبد واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم فارادوا القرى فقالت والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله (ص) ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب فى العس حتى أرغى وقال « اشربى يا أم معبد » فقالت اشرب فانت أحق به فرده

(١) ما بين المربعين سقط من النسخة المصرية . (٢) كذا فى الاصلين فى المكانين وفى الاصابة خبيس مصغراً ذكر ذلك فى ترجمة أخيها حبيش الاشعرى والذى فى السهيلى : عاتكة بنت خلد إحدى بنى كعب من خزاعة وهى أخت حبيش بن خلد ، وخلد الاشعر أبوهما هو ابن خنيف بن منقد [بالدال المهملة] بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن عرم بن حبشية بن كعب ابن عمرو .

عليها فشربت ، ثم دعا بحائل اخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروح . وطلبت قريش رسول الله (ص) حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه فقالوا أرأيت محمداً من حليته كذا كذا ؟ فوصفوه لها . فقالت : ما أدرى ما تقولون ، قدمنا فتى حالب الحائل . قالت قريش . فذاك الذى نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن عقبة ابن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ثنا أبى عن أبيه عن جابر . قال : لما خرج رسول الله (ص) وأبو بكر مهاجرين فدخلا الغار ، إذا فى الغار جحر فالقمه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله (ص) منه شئ . فأقاما فى الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أم معبد فارسلت اليه أمّ معبد إنى أرى وجوها حسانا ، وإن الحى أقوى على كرامتكم منى ، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة . فقال رسول الله (ص) : « أردد الشفرة وهات لنا فرقا » يعنى القدح فارسلت اليه أن لا لبن فيها ولا ولد . قال هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت فحلب فملأ القدح فشرب وسقى أبا بكر . ثم حلب فبعث فيه الى أم معبد . ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا بهذا الاسناد . وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدث عنه الا يعقوب بن محمد وان كان معروفا فى النسب .

وروى الحافظ البيهقى من حديث يحيى بن زكريا بن أبى زائدة حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ثنا عبد الرحمن بن الاصبهانى سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بكر الصديق . قال . خرجت مع رسول الله (ص) من مكة فانتهينا إلى حى من أحياء العرب ، فنظر رسول الله (ص) إلى بيت متنحيا فقصد اليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معى أحد فعليكما بعظيم الحى إن أردتم القرى ، قال فلم يجبها وذلك عند المساء ، فجاء ابن لها باعنز يسوقها فقالت يا بنى انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لها تقول لكما أمى اذبحا هذه وكلا وأطعمانا ، فلما جاء قال له النبى (ص) : « انطلق بالشفرة وجئنى بالقدح » قال إنها قد عزبت وليس بها لبن ، قال انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبى (ص) ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال انطلق به إلى أمك ، فشربت حتى رويت ، ثم جاء به فقال انطلق بهذه وجئنى بأخرى . ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء باخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبى (ص) . فبتنا ليلتنا ، ثم انطلقنا . فكانت تسميه المبارك . وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة ، فمر أبو بكر فرأى ابنها فعرفه فقال يا أمه هذا الرجل الذى كان مع المبارك . فقامت اليه فقالت : ياعبد الله من الرجل الذى كان معك ؟ قال أو ما تدرين من هو ؟ قالت لا ، قال هو نبى الله . قالت فادخلنى عليه . قال فادخلها

فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاها — زاد ابن عبدان فى روايته : — قالت فدلنى عليه ، فانطلقت معى وأهدت لرسول الله ﷺ شيئا من أقط ومتاع الاعراب . قال فكساها وأعطاها . قال ولا أعلمه إلا قال وأسلمت . اسناد حسن .

وقال البيهقى : هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد ، والظاهر أنها هى والله أعلم . وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر احمد بن الحسن القاضى . قالا : ثنا أبو العباس الاصم ثنا الحسن بن مكرم حدثنى أبو احمد بشر بن محمد السكرى ثنا عبد الملك بن وهب المذحجى ثنا أبجر بن الصباح عن أبى معبد الخزاعى أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر ابن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثى ، فمروا بخيمتى أم معبد الخزاعية ، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبى وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى ، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك . وقالت لو كان عندنا شئ ما أعوزكم القرى ، وإذا القوم مرملون مسنتون . فنظر رسول الله ﷺ فاذا شاة فى كسر خيمتها فقال « ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ » فقالت شاة خلفها الجهد عن الغنم . قال « فهل بها من لبن » قالت هى أجهد من ذلك . قال تأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت إن كان بها حلب فاحلبها . فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا بإناء لها يربض الرهط [1] فتفاجت [2] واجترت فحلب فيه ثجا حتى ملأه [وأرسله اليها] فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل ، حتى اذا رووا شرب آخرهم وقال « ساقى القوم آخرهم » ثم حلب فيه ثانياً عودا على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا قال فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافا يتساوكن هزلى لا نقى بهن [3] مخهن قليل فلما رأى اللبن عجب وقال من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة فى البيت والشاء عازب ؟ فقالت : لا والله انه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . فقال صفيه لى فوالله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلب . فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه لم تعبه ثجلة [4] ولم تزر به صعلة [4] قسيم وسيم فى عينيه دعج ، وفى اشفاره وطف ، وفى صوته صحل . أحول أكحل أزج أقرن فى عنقه سطع وفى لحيته كثاثة . اذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب . ربعة لا تشناه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا

(١) أى يشبع الجماعة حتى يربضوا . عن السهيلى . (٢) أى فرجت بين رجليها . (٤) النقى المخ .
(٣) ثجلة ؛ أى ضخم بطن ، ويرى بالنون والحاء ، أى نحول ودقة . والصعلة صغر الرأس عن النهاية .

لأمره . محفود محشود لا عابس ولا معتد (١) فقال — يعنى بعلها — : هـذا والله صاحب قريش الذى تطلب ، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولاجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، قال وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والارض يسمعونه ولا يرون من يقول وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به (٢) فافلح من أمسى رفيق محمد
فيالَ قصيٍّ ما روى اللهُ عنكم به من فَعالٍ لا تُجارى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فانكم إن تسألوا الشاةَ تشهد
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلّبتْ له بصريحٍ ضَرّةُ الشاةِ مزبد (٣)
فغادره رهناً لديها لحالبٍ يدرّ لها فى مَصدرٍ ثم مورد

قال وأصبح الناس — يعنى بمكة — وقد فقدوا نبيهم ، فاخذوا على خيمتى أم معبد حتى لحقوا برسول الله ص قال وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خابَ قومٌ زال عنهم نبيّهم (٤) وقدسُر (٥) من يَسْري اليهم ويَغْتدي
ترحّلَ عن قوم فزالتْ عقولُهم وحلَّ على قوم بنورٍ مجدد
[هداهم به بعد الضلالة ربُّهم وأرشدهم من يتّبعِ الحقَّ يرشد (٦)]
وهل يستوي ضُلاّلُ قوم تسفّهوا عمىً وهداةٌ يهتدون بمهتد
نبي يرى مالا يرى الناسُ حوله ويتلو كتابَ الله في كل مَشهد
وإن قال فى يوم مقالةَ غائبٍ فتصديقُها فى اليوم أو في ضحى الغد
ليهنِّ أبا بكرٍ سعادةُ جَدّه بصُحْبته، من يُسعدِ اللهُ يَسعد
ويهن بني كعبٍ مكانُ فتاتهم ومقعدُها للمسلمينَ بمرصد (٧)

قال — يعنى عبد الملك بن وهب — فبلغنى أن أبا معبد أسلم وهاجر الى النبى ص ، وكذا

---

(١) فى أصل المصرية . ولا مفند وفى الحلبية مهمل من النقط والتصحيح من الخشنى فى غريب السيرة . (٢) كذا بالاصلين ، وفى ابن هشام : هما نزلا بالبر ثم تروحا .

(٣) كذا بالمصرية والسهيلى والنهاية وفيها : الضرة أصل الضرع ، وفى ح : لديه بصرع ثرة الشاة مزبد . والثرة كثرة اللبن . (٤) الذى فى السهيلى : خاب بدل زال .

(٥) فى الاصلين وفى السهيلى : وقد سر ، والذى فى شرح السيرة للخشنى : وقدس وفسره بمعنى طهر . (٦) هذا البيت زدناه من السهيلى ولم يرد فى الاصل . (٧) هـذا البيت أورده السهيلى فى الابيات التى قبلها ونسبها إلى رجل من الجن ولم يورده لحسان

روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجى فذكر مثله سواء وزاد فى آخره قال عبد الملك : بلغنى أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله (ص) . ثم رواه أبو نعيم من طرق عن بكر بن محرز الكلبى الخزاعى عن أبيه محرز بن مهدى عن حوام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله (ص) ، أن رسول الله (ص) حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثى فمروا بخيمة أم معبد وكانت امرأة بررة جلدة تحتبى بفناء القبة ، وذكر مثل ما تقدم سواء . قال وحدثناه — فيما أظن — محمد بن احمد بن على بن مخلد ثنا محمد بن يونس بن موسى — يعنى الكديمى — ثنا عبد العزيز ابن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ثنا محمد بن سليمان بن سليط الانصارى حدثنى أبى عن أبيه سليط البدرى . قال : لما خرج رسول الله (ص) فى الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدلهم على الطريق ، مر بأم معبد الخزاعية وهى لا تعرفه فقال : « يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ » قالت لا والله إن الغنم لعازبة قال فما هذه الشاة ؟ قالت خلفها الجهد عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم .

ثم قال البيهقى : يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة ، ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ — إملاء — حدثنا أبو بكر احمد بن اسحاق بن أيوب أخبرنا محمد بن غالب ثنا أبو الوليد ثنا عبد الله بن إياد بن لقيط ثنا إياد بن لقيط عن قيس بن النعمان . قال لما انطلق النبى (ص) وأبو بكر مستخفين ، مروا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب ، غير أن ههنا عناقا حملت أول الشتاء ، وقد أخدجت [1] وما بقى لها من لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها النبى (ص) ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعى ، ثم حلب فشرب . فقال الراعى : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال أو تراك تكتم على حتى أخبرك ؟ قال نعم ! قال فأنى محمد رسول الله . فقال أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك . قال فانى أشهد أنك نبى ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى وأنا متبعك . قال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فاذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا . ورواه أبو يعلى الموصلى عن جعفر بن حميد الكوفى عن عبد الله بن إياد بن لقيط به . وقد ذكر أبو نعيم ههنا قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال

(١) خدجت ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق ، وأخدجت ولدته ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل .

- كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعتبة بن أبي معيط بمكة ، فأتى رسول الله ص ، وأبو بكر - وقد فرا من المشركين - فقال « يا غلام عندك لبن تسقينا ؟ » فقلت إني مؤتمن ولست بساقيكما ، فقالا هل عندك من جدعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ص الضرع فدعا فحفل الضرع وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها . ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني ، ثم قال للضرع أقلص فقلص . فلما كان بعد أتيت رسول الله ص فقلت علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال رسول الله ص « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد . فقوله في هذا السياق وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك في بعض الاحوال قبل الهجرة فان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة في الصحاح وغيرها والله أعلم .

[(١) وقال الامام احمد : حدثنا عبد الله بن مصعب بن عبد الله - هو الزبيرى - حدثني أبي عن فائد مولى عبادل قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد - وسعد هو الذى دل رسول الله ص على طريق ركوبة (٢) - فقال ابراهيم [أخبرني] ما حدثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثني أبي أن رسول الله ص أتاهم ومعه أبو بكر - وكانت لابي بكر عندنا بنت مسترضعة - وكان رسول الله ص أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغامر من ركوبة وبه لصان من أسلم يقال لهما المهانان . فان شئت أخذنا عليهما ، فقال النبي ص : « خذ بنا عليهما » قال سعد فخرجنا حتى إذ أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه هذا اليماني . فدعاهما رسول الله ص فعرض عليهما الاسلام فأسلما ، ثم سألهما عن اسمائهما فقالا نحن المهانان . فقال : « بل أنتما المكرمان » وأمرهما أن يقدما عليه المدينة فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله ص « أين أبو أمامة أسعد بن زرارة ؟ » فقال سعد ابن خيثمة . إنه أصاب قبلي يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟ ثم مضى رسول الله ص حتى إذا طلع

(١) ما بين المربعين أثبتناه من النسخة الحلبية ، وسقط من المصرية وهذا الاثر مروى في زوائد المسند عن عبد الله بن احمد من رواية القطيعي ونصه كما في جلد ٤ ص ٧٤ من النسخة المطبوعة بمصر حدثنا عبد الله حدثنا مصعب بن عبد الله هو الزبيرى قال حدثني أبي عن فائد مولى عبادل . قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة فأرسل [إلى] ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتانا ابن سعد وسعد هو الذى دل رسول الله ص الخ (٢) في الاصل ركونة بالنون وهو خطأ ، وركوبة ثنية بين مكة والمدينة عند العرج قرب جبل ورقان

على النخل فاذا الشرب مملوء ، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر هـذا المنزل . رأيتني أنزل إلى حياض كحياض بني مدلج » انفرد به احمد .

فصل

في دخوله عليه السلام المدينة واين استقر منزله

قد تقدم فيما رواه البخاري عن الزهري عن عروة أن النبي (ص) دخل المدينة عند الظهيرة .

قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت في الصحيحين من حديث اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب عن أبي بكر في حـديث الهجرة قال فقدمنا ليلا فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه ، فقال رسول الله (ص) : « أنزل على بني النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلا ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلا ، فان العشي من الزوال ، و إما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء كما سيأتي فسار فما انتهى إلى بني النجار الاعشاء كما سيأتي بيانه والله أعلم .

وذكر البخاري عن الزهري عن عروة أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقبـاء وأقام فيهم بضع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء في تلك الايام ، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته في مكان مسجده ، وكان مربداً لغلامين يتيمين وهما سهل وسهيل ، فابتاعه منهما واتخذه مسجدا . وذلك في دار بني النجار رضي الله عنهم .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير [عن عروة بن الزبير] عن عبد الرحمن ابن عويم بن ساعدة قال حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي (ص) قالوا : لما بلغنا مخرج النبي (ص) من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبي (ص) فوالله ، ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فاذا لم نجد ظلا دخلنا ـ وذلك في أيام حارة ـ حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذ لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله (ص) حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلا صوته يا بني قيلة هذا جدكم قـد جاء ، فخرجنا إلى رسول الله (ص) وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله (ص) قبل ذلك . وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظل عن رسول الله (ص) ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . وقـد تقدم مثل ذلك في سياق البخاري وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه . وقال الامام احمد حدثنا هاشم ثنا سليمان عن

ثابت عن أنس بن مالك . قال : إنى لأسعى فى الغلمان يقولون جاء محمـد فاسعى ولا أرى شيئا ، ثم يقولون جاء محمـد فاسعى ولا أرى شيئا ، قال حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر . فكمنا فى بعض خراب المدينة ، ثم بعثا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما الانصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الانصار حتى انتهوا اليهما فقالت الانصار : انطلقا آمنين مطاعين . فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن أيهم هو ، أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيها به . قال أنس : فلقد رأيته يوم دخـل علينا ويوم قبض . فلم أر يومين شبيها بهما ورواه البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن محمد بن اسحاق الصنعانى عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغـيرة عن ثابت عن أنس بنحوه ـ أو مثله ـ وفى الصحيحين من طريق اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء عن أبى بكر فى حديث الهجرة . قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله . فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر . وقال البيهقى أخبرنا أبو عمرو الاديب أخبرنا أبو بكر الاسماعيلى سمعت أبا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلعَ البدرُ علينا   مِن ثَنِيّات الوَداع
وجبَ الشكرُ علينا   ما دعا لله داع

قال محمد بن اسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما يذكرون يعنى حين نزل ـ بقباء على كلثوم ابن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ، ويقال بل نزل على سعد بن خيثمة ، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم : إنمـا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزبا لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب والله أعلم . ونزل أبو بكر رضى الله عنه على خبيب بن إساف أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسنح وقيل على خارجة بن زيد بن أبى زهير أخى بنى الحارث بن الخزرج .

قال ابن اسحاق : وأقام عـلى بن أبى طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده ، ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن الهدم فكان على ابن أبى طالب إنما كانت اقامته بقباء ليلة أو ليلتين . يقول كانت بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت انسانا يأتيها من جوف الليـل فضرب عليها بابها فتخرج اليـه فيعطيها شيئا معه فتأخذه ، فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله من هذا الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين اليه فيعطيك شيئا لا أدرى ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هـذا سهل بن حنيف .

وقد عرف أنى امرأة لا أحد لى فاذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال احتطبى بهذا ، فكان على رضى الله عنه يأثر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله (ص) بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو ابن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك . وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن اسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانى عشر ليلة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه البخارى من طريق الزهرى عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة ، وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثه أنه . قال . أقام رسول الله (ص) فينا ـ يعنى فى بنى عمرو بن عوف بقباء ـ اثنتين وعشرين ليلة . وقال الواقدى : ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

قال ابن اسحاق : فادركت رسول الله (ص) الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى — وادى رانوناء — فكان أول جمعة صلاها بالمدينة فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضله فى رجال من بنى سالم فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة قال . « خلوا سبيلها فانها مأمورة » لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وارت [1] دار بنى بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا إلى العدد والعدد والمنعة ؟ قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فى رجال من بنى ساعدة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا فى العدد والمنعة . قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وارت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول هلم الينا إلى العدد والعدة والمنعة . قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدى بن النجار ـ وهم أخواله ـ دنيا أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن خارجة [2] فى رجال من بنى عدى بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة ؟ قال « خلوا سبيلها فأنها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بنى مالك بن

(١) فى المصرية . دارت . وفى الحلبية . وازت ، وفى ابن هشام : وازنت .

(٢) كذا فى الاصلين ، وفى الاصابة أسير بن عمرو بن قيس أبو سليط البدرى . وفى ابن هشام أبو سليط أسيرة بن أبى خارجة .

النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم . وكان يومئذ مربداً لغلامين يتيمين من بنى مالك ابن النجار ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكانا فى حجر معاذ بن عفراء

قلت : وقد تقدم فى رواية البخارى من طريق الزهرى عن عروة أنهما كانا فى حجر أسعد بن زرارة والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى طريقه بعبد الله بن أبى بن سلول وهو فى بيت . فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يدعوه إلى المنزل ـ وهو يومئذ سيد الخزرج فى أنفسهم ـ فقال عبد الله أنظر الذين دعوك فانزل عليهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من الانصار فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه : لقد من الله علينا بك يارسول الله و إنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا .

قال موسى بن عقبة وكانت الانصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عمرو بن عوف فمشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له وكلما مر بدار من دور الانصار دعوه إلى المنزل فيقول صلى الله عليه وسلم « دعوها فانها مأمورة فانما أنزل حيث أنزلنى الله » فلما انتهت إلى دار أبى أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبى أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

قال ابن اسحاق : لما بركت الناقة برسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن المربد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء هو يارسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان لى وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من المهاجرين والانصار .

وستأتى قصة بناء المسجد قريبا إن شاء الله . وقال البيهقى فى الدلائل وقال أبو عبد الله أخبرنا أبو الحسن على بن عمرو الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد الدورى ثنا محمد بن سليمان بن اسماعيل ابن أبى الورد ثنا ابراهيم بن صرمة ثنا يحيى بن سعيد عن اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس . قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما دخلنا جاء الانصار برجالها ونسائها فقالوا : الينا يارسول الله . فقال « دعوا الناقة فانها مأمورة » فبركت على باب أبى أيوب فخرجت جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن :

نحنُ جوارٍ من بنى النجّار يا حبّذا محمدٌ من جارِ

فخرج اليهم رسول الله (ص) فقال « أتحبونني ؟ » فقالوا : أي والله يارسول الله . فقال : « وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم » هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن ، وقد خرجه الحاكم فى مستدركه كما يروى . ثم قال البيهقى أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ثنا عمر بن الحسن الحلبى حدثنا أبو خيثمة المصيصى ثنا عيسى بن يونس عن عوف الأعرابى عن ثمامة عن أنس . قال : مر النبى (ص) بحى من بنى النجار ، وإذا جوار يضربن بالدفوف يقلن :

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

فقال رسول الله (ص) « يعلم الله أن قلبى يحبكم » ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس به . وفى صحيح البخارى عن معمر عن عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال رأى النبى (ص) النساء والصبيان مقبلين ـ حسبت أنه قال من عرس ـ فقام النبى (ص) ممثلا فقال « اللهم أنتم من أحب الناس إلى » قالها ثلاث مرات . وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنى أبى حدثنى عبد العزيز بن صهيب ثنا أنس بن مالك . قال : أقبل رسول الله (ص) الى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله (ص) شاب لا يعرف ، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ، فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير . فالتفت أبو بكر فاذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يا نبى الله هذا فارس قد لحق بنا ، فالتفت رسول الله (ص) فقال « اللهم اصرعه » فصرعته فرسه ثم قامت تحمحم ، ثم قال : مرنى يا نبى الله بما شئت . فقال « قف مكانك ولا تتركن أحداً يلحق بنا » . قال فكان أول النهار جاهداً على رسول الله (ص) ، وكان آخر النهار مسلحة له . قال فنزل رسول الله (ص) جانب الحرة ثم بعث الى الانصار فجاؤا فسلموا عليهما وقالوا اركبا آمنين مطاعين . فركب رسول الله (ص) وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح ، وقيل فى المدينة : جاء نبى الله (ص) ، فاستشرفوا نبى الله ينظرون اليه ويقولون : جاء نبى الله . قال فاقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبى أيوب ، قال فانه ليحدث أهله اذ سمع به عبد الله بن سلام وهو فى نخل لاهله يخترف لهم ، فعجل أن يضع الذى يخترف فيها فجاء وهى معه ، وسمع من نبى الله (ص) ورجع إلى أهله ، وقال نبى الله : أى بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب أنا يا نبى الله ، هذه دارى وهذا بابى قال فانطلق فهيئ لنا مقيلا ، فذهب فهيأ ثم جاء فقال يا رسول الله قد هيأت مقيلا قوما على بركة الله فقيلا ، فلما جاء نبى الله (ص) جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبى الله حقا ، وأنك جئت

بحق ولقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فسلهم؛ فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً وأنى جئت بحق أسلموا». فقالوا: ما نعلمه، ثلاثا. وكذا رواه البخارى منفرداً به عن محمد غير منسوب عن عبد الصمد به [1].

قال ابن اسحاق: وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى رهم السماعى حدثنى أبو أيوب. قال: لما نزل علىّ رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السفل، وأنا وأم أيوب فى العلو، فقلت له بأبى أنت وأمى يا رسول الله إنى أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى، فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل، فقال «يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون فى سفل البيت» فكان رسول الله ﷺ فى سفله وكنا فوقه فى المسكن. فلقد انكسر حب لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شىء فيؤذيه، قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث اليه فاذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة، حتى بعثنا اليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا — أو ثوما — فرده رسول الله ﷺ فلم أر ليده فيه أثراً، قال فجئته فزعا فقلت يارسول الله بأبى أنت وأمى رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك؟ فقال «إنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجى فاما أنتم فكلوه» قال فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد. وكذلك رواه البيهقى من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الحسن — أو أبى الخير — مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى رهم عن أبى أيوب فذكره. ورواه أبو بكر بن أبى شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث. وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو عمرو الحيرى ثنا عبد الله بن محمد ثنا احمد بن سعيد الدارمى ثنا أبو النعمان ثنا ثابت بن يزيد ثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبى أيوب عن أبى أيوب أن رسول الله ﷺ نزل عليه فنزل فى السفل وأبو أيوب فى العلو فانتبه أبو أيوب فقال: نمشى فوق رأس رسول الله ﷺ! فتنحوا فباتوا فى جانب، ثم قال للنبى ﷺ — يعنى فى ذلك — فقال: «السفل أرفق بنا» فقال لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول رسول الله ﷺ فى العلو، وأبو أيوب فى السفل فكان يصنع لرسول الله ﷺ طعاما، فاذا جئ به سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع اصابع رسول الله ﷺ فصنع له طعاما فيه ثوم، فلما رد اليه سأل عن موضع اصابع رسول الله ﷺ فقيل له لم يأكل ففزع وصعد اليه فقال أحرام؟ فقال النبى ﷺ: «لا ولكنى أكرهه» قال فانى أكره ما تكره — أو ما كرهت — قال وكان النبى ﷺ يأتيه الملك. رواه مسلم عن احمد بن سعيد به، وثبت فى

(١) هكذا فى الاصلين مقتضبا والخبر بطوله فى البخارى فى باب هجرة النبى ﷺ واصحابه الى المدينة فراجعه.

الصحيحين عن أنس بن مالك قال : جيء رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر[1] وفي رواية بقدر فيه خضروات من بقول ، قال فسأل فأخبر بما فيها فلما رآها كره أكلها ، قال : « كل فإني أناجي من لا تناجي » وقد روى الواقدي أن أسعد بن زرارة لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب أخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ؛ وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أول هدية أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها ، قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن ، فقلت أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم ، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاث والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر قال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو نازل في دار أبي أيوب - مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ليجيئا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع ، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البيهقي : أخبرنا علي بن احمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا خلف بن عمرو العكبري ثنا سعيد بن منصور ثنا عطاف بن خالد ثنا صديق بن موسى عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يارسول الله المنزل . فانبعثت به راحلته فقال : « دعوها فإنها مأمورة » ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحللت ، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فيه فآوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال: يارسول الله إن منزلي أقرب المنازل اليك فأنقل رحلك إلي ؟ قال نعم ! فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال يارسول الله أين تحل ؟ قال « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بني المسجد ، وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه ، حيث نزل في داره رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه لما قدم أبو أيوب البصرة - وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة علي بن أبي طالب رضي الله عنه - فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره ، وملكه كل ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصراف أعطاه ابن

(١) أي بطبق ، شبه بالبدر في استدارته . عن النهاية

عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح . فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وصلح ما وهى من بنيانها ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة وكذلك نزوله عليه السلام فى دار بنى النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة وقد كان فى المدينة دور كثيرة تبلغ تسعا كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا فى محلتهم وهى كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسول الله ﷺ دار بنى مالك بن النجار .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : « خير دور الانصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الاشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفى كل دور الأنصار خير » فقال سعد بن عبادة : ما أرى النبى ﷺ إلا قد فضل علينا فقيل قد فضلكم على كثير : هذا لفظ البخارى . وكذلك رواه البخارى ومسلم من حديث أنس وأبى سلمة عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عبادة بن سهل عن أبى حميد عن النبى ﷺ بمثله سواء زاد فى حديث أبى حميد : فقال أبو أسيد لسعد بن عبادة : ألم تر أن النبى ﷺ خير الأنصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعد النبى ﷺ فقال : يارسول الله خيرت دور الانصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أوليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار » قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الانصار الشرف والرفعة فى الدنيا والآخرة . قال الله تعالى [والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم] وقال تعالى [والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] وقال رسول الله ﷺ : « لولا الهجرة لكنت أمرءا من الانصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم ، الانصار شعار والناس دثار » وقال « الانصار كرشى وعيبتى » وقال « أنا سلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم » وقال البخارى حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة حدثنى عدى بن ثابت قال سمعت البراء بن عازب يقول سمعت رسول الله ﷺ أو قال قال رسول الله ﷺ : « الانصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة به وقال البخارى أيضا حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا شعبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « آية الايمان حب الانصار ، وآية النفاق بغض الانصار » ورواه البخارى أيضا عن أبى الوليد [و] الطيالسى ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهدى أربعتهم

عن شعبة به . والآيات والاحاديث فى فضائل الانصار كثيرة جداً . وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبى أنس المتقدم ذكره أحد شعراء الانصار فى قدوم رسول الله (ص) اليهم ونصرهم إياه ومواساتهم له ولاصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمة بن أبى أنس أيضا يذكر ما أكرمهم الله به من الاسلام وما خصهم به من رسوله عليه السلام :

ثوى فى قريش بضعَ عشْرة حجّةً ... يذكّر لو يَلقى صديقاً مواتيا
ويعرِضُ فى أهلِ المواسم نفسَه ... فلم يرَ من يؤوي ولم يَرَ داعيا
فلما أتانا واطمأنّتْ به النوى [1] ... وأصبح مسروراً بطيبةَ راضيـا
والفى صديقاً واطمأنت به النوى ... وكانَ له عوناً من الله باديا
يقصُّ لنا ما قالَ نوحُ لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبحَ لا يخشى من الناس واحداً ... قريباً ولا يخشى من الناس نائيا [2]
بذلْنا له الاموالَ من جُل [3] مالنا ... وأنفسَنا عنـدَ الوغى والتآسيا
نُعادي الذي عادى من الناس كلَّهم ... جميعاً ولو كانَ الحبيبَ المواسيا
ونَعلم أن اللهَ لا شيْ غيرُه ... وان كتابَ الله أصبحَ هاديا [4]
أقولُ اذا صلَّيتُ فى كل بيعةٍ ... حَنانَيْكَ لا تُظهِرْ علينا الأعاديا
أقول اذا جاوزتُ أرضاً مُخيفةً ... تباركتَ اسمَ الله أنتَ المواليا
فطأْ مُعرِضا ان الحتوفَ كثيرةٌ ... وانك لا تُبقي لنفسك باقيا
فوالله ما يدري الفتى كيف سعيُهُ ... إذا هو لم يجعلْ له اللهُ واقيا
ولا تحفلُ النخلُ المعيمةُ [5] ربَّها ... اذا أصبحتْ رِيّا وأصبحَ ثاويا

ذكرها ابن اسحاق وغيره ، ورواها عبد الله بن الزبير الحميدى وغـيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سـعيد الانصارى عن عجوز من الانصار قالت : رأيت عبد الله بن عباس يختلف الى صرمة بن قيس يروى هذه الابيات . رواه البيهقى .

---

(١) والذى فى ابن هشام : فلما أتانا أظهر الله دينه . (٢) كذا فى المصرية ، وفى ابن هشام والذى فى الحلبية : باغيا . (٣) كذا فى المصرية بالجيم ومعناه : العظام الكبار من الابل أو معظم كل شئ ، وفى الحلبية وابن هشام بالحاء المهملة . (٤) والذى فى ابن هشام : ونعلم أن الله أفضل هاديا ، وأيضا فى ابن هشام اختلاف بسيط عن هذه الرواية فى بعض الابيات .

(٥) فى الاصل (مقيمة) بالقاف والتصحيح عن الخشنى .

فصل

وقد شرفت المدينة أيضا بهجرته عليه السلام اليها وصارت كهفا لاولياء الله وعباده الصالحين ومعقلا وحصنا منيعا للمسلمين ، ودار هدى للعالمين والاحاديث فى فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردها فيه إن شاء الله . وقد ثبت فى الصحيحين من طريق حبيب بن يساف عن جعفر بن عاصم عن أبى هريرة . قال قال رسول الله (ص) « إن الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن شبابة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبى (ص) نحوه . وفى الصحيحين أيضاً من حديث مالك عن يحيى ابن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) : « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد [1] » وقد انفرد الامام مالك عن بقية الأئمة الاربعة بتفضيلها على مكة . وقد قال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله قالا ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو موسى الانصارى ثنا سعيد بن سعيد حدثنى أخى عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) . قال : « اللهم انك أخرجتنى من أحب البلاد الى فاسكنى أحب البلاد اليك » فأسكنه الله المدينة . وهذا حديث غريب جداً والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذى ضم جسد رسول الله (ص)، وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها ههنا ومحلها ذكرناها فى كتاب المناسك من الاحكام إن شاء الله تعالى . وأشهر دليل لهم فى ذلك ما قال الامام احمد حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهرى أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدى بن الحمراء أخبره أنه سمع النبى (ص) وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة يقول : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » وكذا رواه احمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهرى به . وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل عن الزهرى به . وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد رواه يونس عن الزهرى به . ورواه محمد بن عمرو عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ، وحديث الزهرى عندى أصح . قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة . قال : وقف رسول الله (ص) على الحزورة فقال : « علمت أنك خير أرض الله وأحب الارض الى الله ، ولولا

(١) جاء فى النهاية : تنفى بالفاء تخرجه عنها من النفى ، وتنقى بالقاف من اخراج النقى وهو المخ أو من التنقية وهى افراد الجيد من الردئ .

أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت » وكذا رواه النسائى من حديث معمر به. قال الحافظ البيهقى وهذا وهم من معمر ، وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة وهو أيضاً وهم والصحيح رواية الجماعة . وقال احمد أيضاً حدثنا ابراهيم بن خالد ثنا رباح عن معمر عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن أبى سلمة عن بعضهم أن رسول الله ﷺ قال وهو فى سوق الحزورة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب الارض الى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » ورواه الطبرانى عن احمد بن خليد الحلبى عن الحميدى عن الدراوردى عن ابن أخى الزهرى عن محمد ابن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدى بن الحمراء به فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم والله أعلم .

وقائع السنة الأولى من الهجرة

اتفق الصحابة رضى الله عنهم فى سنة ست عشرة ـ وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة ـ فى الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الاسلامى من سنة الهجرة ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه رفع اليه صك — أى حجة — لرجل على آخر وفيه ؛ إنه يحل عليه فى شعبان . فقال عمر : أى شعبان ؟ أشعبان هذه السنة التى نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم فى وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك . فقال قائل : أرخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك ، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد وقال قائل : أرخوا بتاريخ الروم . وكانوا يؤرخون بملك اسكندر بن فلبس المقدونى فكره ذلك . وقال آخرون أرخوا بمولد رسول الله ﷺ .وقال آخرون بل بمبعثه ، وقال آخرون بل بهجرته ، وقال آخرون بل بوفاته عليه السلام . فمال عمر رضى الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره . واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخارى فى صحيحه التاريخ ومتى أرخوا التاريخ . حدثنا عبد الله بن مسلم ثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد . قال : ما عدوا من مبعث النبى ﷺ . ولا من وفاته ؛ ما عدوا إلا من مقدمه المدينة .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى الزناد عن أبيه . قال . استشار عمر فى التاريخ فأجمعوا على الهجرة

وقال أبو داود الطيالسى عن قرة بن خالد السدوسى [1] عن محمد بن سيرين قال . قام رجل إلى عمر فقال أرخوا . فقال ما أرخوا ؟ فقال شئ تفعله الاعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا . فقال

(١) فى المصرية : عن فروة بن خالد السدوسى ، وفى الحلبية : فروة بن خالد عن السدى ، وصححناه من انساب السمعانى .

عمر : حسن فارخوا ، فقالوا من أى السنين نبدأ ؟ فقالوا من مبعثه ، وقالوا من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا وأى الشهور نبدأ ؟ قالوا رمضان ، ثم قالوا المحرم فهو مصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا على المحرم .

وقال ابن جرير . حدثنا قتيبة ثنا نوح بن قيس الطائى عن عثمان بن محصن أن ابن عباس كان يقول فى قوله تعالى (والفجر وليال عشر) هو المحرم فجر السنة وروى عن عبيد بن عمير . قال : إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسى البيت ، ويؤرخ به الناس ، ويضرب فيه الورق .

وقال احمد : حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار قال : إن أول من ورخ الكتب يعلى بن أمية باليمن ، وأن رسول الله ﷺ قدم المدينة فى ربيع الاول وأن الناس أرخوا لاول السنة .

وروى محمد بن اسحاق عن الزهرى وعن محمد بن صالح عن الشعبى أنهما قالا . أرخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم ، ثم أرخوا من بنيان ابراهيم واسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤى . ثم أرخوا من الفيل ، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة ـ أو ثمانى عشرة ـ وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بأسانيده وطرقه فى السيرة العمرية ولله الحمد ، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الاسلامى من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة .

وحكى السهيلى وغيره عن الامام مالك أنه قال . أول السنة الاسلامية ربيع الاول لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله ﷺ .

[وقد استدل السهيلى على ذلك فى موضع آخر بقوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) أى من أول يوم حلول النبى ﷺ المدينة ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سنى التاريخ عام الهجرة] [1] ولا شك أن هذا الذى قاله الامام مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لان أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الاولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لئلا يختلط النظام والله أعلم .

فنقول وبالله المستعان : استهلت سنة الهجرة المباركة ورسول الله ﷺ مقيم بمكة ، وقد بايع الانصار بيعة العقبة الثانية كما قدمنا فى أوسط أيام التشريق وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة ، ثم رجع الانصار وأذن رسول ﷺ للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة فهاجر من هاجر من أصحابه الى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله ﷺ ، وحبس أبو بكر

(١) ما بين المربعين سقط من النسخة الحلبية .

نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه فى الطريق كما قدمنا ثم خرجا على الوجه الذى تقدم بسطه وتأخر على بن أبى طالب بعد النبى ﷺ بأمره ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقباء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين قريبا من الزوال وقد اشتد الضحاء (١) .

قال الواقدى وغيره : وذلك لليلتين خلتا من سهر ربيع الاول . وحكاه ابن اسحاق إلا أنه لم يعرج عليه ورجح أنه لثنتى عشرة ليلة خلت منه ، وهذا هو المشهور الذى عليه الجمهور . وقد كانت مدة اقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة فى أصح الاقوال ، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبى حمزة الضبى عن ابن عباس . قال : بعث رسول الله ﷺ لاربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة . وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر عن روح بن عبادة عن زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال . مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة . وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة بن أبى أنس بن قيس :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وقال الواقدى عن ابراهيم بن اسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استشهد بقول صرمة :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وهكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدى خمس عشرة حجة ، وهو قول غريب جداً ، وأغرب منه ما قال ابن جرير : حدثت عن روح بن عبادة ثنا سعيد عن قتادة قال : نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانى سنين بمكة ، وعشراً بالمدينة . وكان الحسن يقول : عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة ، وهذا القول الآخر الذى ذهب اليه الحسن البصرى من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب اليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم ، وهو رواية عن ابن عباس رواها احمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس . قال : أنزل على النبى ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشراً وقد قدمنا عن الشعبى أنه قال : قرن اسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين يلقى اليه الكلمة والشئ وفى روايه يسمع حسه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعد ذلك جبريل . وقد حكى الواقدى عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبى هذا ، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشراً ، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذى ذكره الشعبى والله أعلم .

(١) الضحاء قريبا من نصف النهار ، والضحوة ارتفاع أول النهار ، والضحى ما بين ذلك .

فصل

ولما حل الركاب النبوى بالمدينــة ، وكان أول نزوله بها فى دار بنى عمرو بن عوف وهى قباء كما تقدم فاقام بها ـ أكثر ما قيل ـ ثنتين وعشرين ليلة ، وقيل ثمانى عشرة ليلة . وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة ثلاث ليال . والاشهر ما ذكره ابن اسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسس فى هــذه المدة المختلف فى مقدارها ـ على ما ذكرناه ـ مسجد قباء ، وقد ادعى السهيلى أن رسول الله ﷺ أسسه فى أول يوم قدم الى قباء وحمل على ذلك قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) ورد قول من أعربها من تأسيس أول يوم ، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى [لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين] كما تكلمنا على تقرير ذلك فى التفسير وذكرنا الحديث الذى فى صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنه . وذكرنا الحديث الذى رواه الامام احمد حدثنا حسن بن محمد ثنا أبو إدريس ثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدثه أن رسول الله ﷺ أتاهم فى مسجد قباء فقال : « إن الله قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجدكم فما هــذا الطهور الذى تطهرون به ؟ » قالوا : والله يارسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وأخرجه ابن خزيمة فى صحيحه وله شواهد أخر وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمــد بن عبد الله بن سلام وابن عباس وقد روى أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث عن ابراهيم بن أبى ميمونة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : نزلت هــذه الآية فى أهل قباء (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) . قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هــذه الآية . ثم قال الترمذى غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم . وممن قال بانه المسجد الذى أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير . ورواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس وحكى عن الشعبى والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبير وعطية العوفى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم . وقــد كان النبى ﷺ يزوره فيما بعد ويصلى فيــه ، وكان يأتى قباء كل سبت تارة راكبا وتارة ماشيا وفى الحديث : « صلاة فى مسجد قباء كعمرة » وقــد ورد فى حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذى أشار للنبى ﷺ إلى موضع قبلة مسجد قباء ، فكان هــذا المسجد أول مسجد بنى فى الاسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جعل لعموم الناس فى هذه الملة . واحترزنا بهذا

عن المسجد الذى بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلى لأن ذاك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم وقد تقدم اسلام سلمان فى البشارات ، أن سلمان الفارسى لما سمع بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ذهب اليه وأخذ معه شيئا فوضعه بين يديه وهو بقباء قال هذا صدقة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شئ فوضعه وقال هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا تقدم الحديث بطوله](١)

فصل

في اسلام عبد الله بن سلام

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن زراره عن عبد الله بن سلام . قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس ، فكنت فيمن انجفل ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب . فكان أول شئ سمعته يقول « افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام . تدخلوا الجنة بسلام » ورواه الترمذى وابن ماجه من طرق عن عوف الاعرابى عن زرارة ابن أبى أوفى به عنه . وقال الترمذى صحيح ومقتضى هذا السياق يقتضى أنه سمع بالنبى صلى الله عليه وسلم ورآه أول قدومه حين أناخ بقباء فى بنى عمرو بن عوف . وتقدم فى رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبى أيوب عند ارتحاله من قباء إلى دار بنى النجار كما تقدم ؛ فلعله رآه أول ما رآه بقباء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بنى النجار والله أعلم وفى سياق البخارى من طريق عبد العزيز عن أنس . قال : فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ما ليس فى . فارسل نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فدخلوا عليه . فقال لهم : « يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق فاسلموا » قالوا ما نعلمه . قالوا [ذلك] للنبى صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار . قال « فأى رجل فيكم عبد الله(٢) بن سلام ؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : أفرأيتم إن أسلم ، قالوا حاش لله ما كان ليسلم قال « يا ابن سلام اخرج عليهم » فخرج فقال : يامعشر يهود اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا كذبت . فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا لفظه وفى رواية فلما خرج عليهم شهد شهادة

---

(١) ما بين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية . (٢) كذا فى الاصلين وفى ابن هشام . الحصين ابن سلام .

الحق قالوا · شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه فقال · يارسول الله هذا الذى كنت أخاف وقال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الاصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعانى ثنا عبد الله بن أبى بكر ثنا حميد عن أنس قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبى (ص) ـ وهو فى أرض له ـ فاتى النبى (ص): فقال إنى سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبى ، ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومابال الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرنى بهن جبريل آنفا » قال جبريل ؟ قال « نعم ! » قال عدو اليهود من الملائكة . ثم قرأ (من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) قال « أما أول أشراط الساعة فنار تحرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد » فقال . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . يارسول الله إن اليهود قوم بهت وأنهم إن يعلموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى . فجاءت اليهود . فقال : « أى رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال . « أرأيتم إن أسلم ؟ » قالوا أعاذه الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه . قال هذا الذى كنت أخاف يارسول الله [1] ورواه البخارى عن عبد بن منير [2] عن عبد الله بن أبى بكر به ورواه عن حامد بن عمر عن بشر بن المفضل عن حميد به

قال محمد ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله ابن سلام قال : كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم ـ وكان حبرا عالما ـ . قال لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته و[زمانه] الذى كنا نتوكف له ، [3] فكنت بقباء مسراً بذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله (ص) ، المدينة فلما قدم نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف . فاقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله (ص) كبرت ، فقالت عمتى حين سمعت تكبيرى : لو كنت سمعت بموسى بن عمران مازدت ، قال قلت لها أى عمه . والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به . قال فقالت له · يا ابن أخى أهو الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال قلت لها نعم ! قالت فذاك إذاً . قال فخرجت إلى رسول الله (ص) ، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل

---

(١) الحديث خرجه البخارى قبيل باب اتيان اليهود النبى صلى (ص) ، حين قدم المدينة وفيه اختلاف فى السياق عن هنا وقد رواه عن حامد بن عمر الخ (٢) كذا فى الاصلين عبد بن منير ولعله تصحيف عبد بن حميد . (٣) توكف الخبر اذا انتظره .

بيتى فأمرتهم فاسلموا وكتمت اسلامى من اليهود وقلت : يارسول الله إن اليهود قوم بهت و إنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك فتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامى فانهم إن يعلموا بذلك بهتونى وعابونى ، وذكر نحو ما تقدم . قال فاظهرت اسلامى واسلام أهل بيتى وأسلمت عمتى خالدة بنت الحارث . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى عبد الله ابن أبى بكر حدثنى محدث عن صفية بنت حيى قالت : لم يكن أحد من ولد أبى وعمى أحب اليهما منى ، لم ألقهما فى ولد لهما قط اهش اليهما الا اخذانى دونه ، فلما قدم رسول الله (ص) قباء - قرية بنى عمرو بن عوف - غدا اليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فوالله ما جاآنا إلا مع مغيب الشمس . فجاآنا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا ، فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلى واحد منهما ، فسمعت عمى أبا ياسر يقول لابى : أهو هو؟ قال نعم والله ! قال تعرفه بنعته وصفته؟ قال نعم والله ! قال فماذا فى نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت . وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله (ص) المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم أطيعون فان الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه . فانطلق أخوه حيى بن أخطب - وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بنى النضير - فجلس إلى رسول الله وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعا - فقال : أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لا تهلك ، قال لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه حيى بن أخطب [1] فلا أدرى ما آل اليه أمره ، وأما حيى بن أخطب والد صفية بنت حيى فشرب عداوة النبى (ص) وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبراً بين يدى رسول الله (ص) يوم قتل مقاتلة بنى قريظة كما سيأتى إن شاء الله .

فصل

ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو فى دار بنى سالم بن عوف ، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك ، فى واد يقال له وادى رانوناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله (ص) بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقا لانه والله أعلم لم يكن يتمكن هو

(١) كذا فى الاصلين فى كتب السيرة أنهم كانوا ثلاثة حيى بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب والثالث هو جدى بن أخطب .

وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة واعلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ، وأذيتهم إياه .

ذكر خطبة رسول الله (ص) يومئذ

قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة النبي (ص) في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف رضي الله عنهم : « الحمد لله أحمده واستعينه ، وأستغفره واستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الاجل . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله . فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرى . وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة ، وعون صدق على ماتبتغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد . والذى صدق قوله ، وأنجز وعده ، لا خلف لذلك ، فانه يقول تعالى (مايبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه (من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) (ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيما) وإن تقوى الله توقى مقته ، وتوقى عقوبته ، وتوقى سخطه . وإن تقوى الله تبيض الوجه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما أحسن الله اليكم ، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ولا قوة إلا بالله ، فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » هكذا أوردها ابن جرير وفى السند ارسال .

وقال البيهقى . باب ـ أول خطبة خطبها رسول الله (ص) حين قدم المدينة ـ .

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو العباس الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن

بكير عن ابن اسحاق حدثنى المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والاخنس بن شريق عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله (ص) بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد أيها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه – ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه – ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله (١) ورحمة الله وبركاته » ثم خطب رسول الله (ص) مرة أخرى فقال : « أن الحمد لله أحمده واستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الاسلام بعد الكفر واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم [ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم] فانه من (٢) يختار الله ويصطفى فقد سماه خيرته من الاعمال وخيرته من العباد ، والصالح من الحديث ومن كل ماأوتى الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

وهذه الطريق أيضا مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الالفاظ .

فصل

في بناء مسجده الشريف ومقامه بدار أبي ايوب

وقد اختلف فى مدة مقامه بها ، فقال الواقدى : سبعة أشهر ، وقال غيره أقل من شهر والله أعلم . قال البخارى حدثنا اسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد قال سمعت أبى يحدث فقال حدثنا أبو التياح يزيد بن حميد الضبعى حدثنا أنس بن مالك . قال: لما قدم رسول الله (ص) المدينة نزل فى علو المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فاقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ بنى النجار فجاؤا

(١) وفى ابن هشام . والسلام عليكم وعلى رسول الله . (٢) كذا فى المصرية ، وفى الحلبية فانه من كل مختار الله . وفى ابن هشام : فانه من كل ما يخلق الله يختار ، ومابين المربعين من ابن هشام .

متقلدى سيوفهم ، قال وكأنى أنظر إلى رسول الله ص على راحلته وأبو بكر ردفه ، وملأ بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبى أيوب ، قال فكان يصلى حيث أدركته الصلاة ، و يصلى فى مرابض الغنم ، قال ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بنى النجار فجاؤا فقال « يابنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا » فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل ، قال فكان فيه ما أقول لكم ، كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله ص بقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع . قال فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادتيه حجارة ، قال فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسول الله ص معهم يقول (١) « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فانصر الأنصار والمهاجرة » وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم من حديث أبى عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد وقد تقدم فى صحيح البخارى عن الزهرى عن عروة أن المسجد الذى كان مربداً — وهو بيدر التمر — ليتيمين كانا فى حجر أسعد بن زرارة وهما سهل وسهيل ، فساوم بهما فيه رسول الله ص فقالا : بل نهبه لك يارسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما و بناه مسجداً . قال وجعل رسول الله ص يقول وهو ينقل معهم التراب :

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

و يقول :

لاهم إن الأجر أجر الآخره فارحم الأنصار والمهاجره

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه نخلا له فى بياضة ، قال وقيل ابتاعه منهما رسول الله ص .

قلت : وذكر محمد بن اسحاق أن المربد كان لغلامين يتيمين فى حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو فالله أعلم .

وروى البيهقى من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا حدثنا الحسن بن حماد الضبى ثنا عبد الرحيم ابن سليمان عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن . قال . لما بنى رسول الله ص المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره ، فقال « ابنوه عريشا كعريش موسى » فقلت للحسن : ما عريش موسى؟ قال إذا رفع يديه بلغ العريش — يعنى السقف — وهذا مرسل وروى من حديث حماد بن سلمة عن أبى سنان عن يعلى بن شداد بن أوس عن عبادة أن الأنصار جمعوا مالا فأتوا به النبى ص فقالوا : يارسول الله ابن هذا المسجد وزينه ، إلى متى نصلى تحت هذا الجريد ؟ فقال : « مابى رغبة عن أخى موسى ، عريش كعريش موسى » وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال

(١) وفى البخارى ورسول الله ص معهم يقولون الخ .

أبو داود حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الله بن موسى عن سنان عن فراس عن عطية العوفي عن عن ابن عمر أن مسجد النبي (ص) كانت سواريه على عهد رسول الله (ص) من جذوع النخل ، أعلاه مظلل بجريد النخل . ثم إنها تخربت فى خلافة أبى بكر ، فبناها بجذوع وبجريد النخل ، ثم انها تخربت فى خلافة عثمان فبناها بالآجر ، فما زالت ثابتة حتى الآن . وهذا غريب وقد قال أبو داود أيضا حدثنا مجاهد بن موسى حدثنى يعقوب بن ابراهيم حدثنى أبى عن أبى صالح ثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله (ص) مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه فى عهد النبى (ص) باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا . وغيره عثمان رضى الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة [1] وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج [2] وهكذا رواه البخارى عن على بن المدينى عن يعقوب بن ابراهيم به .

قلت . زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه متأولا قوله (ص) « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد فتدخل الزيادة فى حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال اليه ، وقد زيد فى زمان الوليد بن عبد الملك بانى جامع دمشق زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتى بيانه فى وقته ، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم

قال ابن اسحاق : ونزل رسول الله على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله (ص) ليرغب المسلمين فى العمل فيه . فعمل فيه المهاجرون والانصار ودأبوا فيه . فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبىُّ يعملُ   لذاك منّا العمل المضلّل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لاعيشَ إلا عيشَ الآخره   اللهم ارحمِ الأنصارَ والمُهاجره

فيقول رسول الله (ص) « لاعيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والانصار » قال فدخل

---

(١) القصة هى الجص كما فى النهاية . (٢) فى المصرية : بالسلاح وفى الحلبية بالساج تصحيف والساج الواح من الشجر .

عمار بن ياسر وقد اثقلوه باللبن فقال : يا رسول الله قتلونى يحملون على مالا يحملون . قالت أم سلمة فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده ـ وكان رجلا جعدا ـ وهو يقول : « ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما يقتلك الفئة الباغية » وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمد بن اسحاق و بين أم سلمة وقد وصله مسلم فى صحيحه من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن ـ يعنى ابنى أبى الحسن البصرى ـ عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ : « تقتل عمار الفئة الباغية » و رواه من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار وهو ينقل الحجارة : « ويح لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن أمه عن أم سلمة قالت : لما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد ، جعل أصحاب النبى ﷺ يحمل كل واحد لبنة لبنه ، وعمار يحمل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبى ﷺ . فمسح ظهره . وقال « ابن سمية ، للناس أجر ولك أجران ، وآخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية » وهذا اسناد على شرط الصحيحين . وقد أورد البيهقى وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبى سعيد الخدرى . قال : كنا نحمل فى بناء المسجد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين . فرآه النبى ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن . لكن روى هذا الحديث الامام البخارى عن مسدد عن عبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء ، وعن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهاب الثقفى عن خالد الحذاء به إلا أنه لم يذكر قوله تقتلك الفئة الباغية .

قال البيهقى : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبى نضرة عن أبى سعيد [قال أخبرنى من هو خير منى أن رسول الله ﷺ . قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « بؤس ابن سمية [illegible] فئة باغية » وقد رواه مسلم أيضا من حديث شعبة عن أبى مسلم عن أبى نضرة عن أبى سعيد] [1] قال حدثنى من هو خير منى ـ أبو قتادة ـ أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر « بؤسا لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا وهيب عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة ، وعمار ـ ناقه من وجع كان به ـ فجعل يحمل لبنتين لبنتين قال أبو سعيد فحدثنى بعض أصحابى أن رسول الله ﷺ كان ينفض التراب عن رأسه ويقول : « ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » . قال البيهقى : فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه . قال ويشبه أن

(١) ما بين المربعين عن الحلبية فقط .

يكون قوله الخندق وهما أو أنه قال له ذلك فى بناء المسجد وفى حفر الخندق والله أعلم .

قلت : حمل اللبن فى حفر الخنـدق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم . وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية وقد قتله أهل الشام فى وقعة صفين وعمار مع على وأهل العراق كما سيأتى بيانه وتفصيله فى موضعه . وقد كان علىّ أحق بالامر من معاوية ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغـيرهم لانهم و إن كانوا بغاة فى نفس الامر فانهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيبا بل المصيب له أجران والمخطئ له أجر ، ومن زاد فى هـذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية ـ لا أنالها الله شفاعتى يوم القيامة ـ فقد افترى فى هذه الزيادة على رسول الله (ص) ، فانه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم . وأما قوله يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فان عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الالفة واجتماع الـكلمة . وأهـل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أوزاعا على كل قطر امام برأسه ، وهذا يؤدى إلى افتراق الـكلمة واختلاف الامة فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلـكهم ، و إن كانوا لا يقصدونه والله أعلم . وسيأتى تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هـذا بحول الله وقوته وحسن تأييده وتوفيقه والمقصود ههنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوى عـلى بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقى فى الدلائل حدثنا أبو عبـد الله الحافظ املاء ثنـا أبو بكر بن اسحاق أخبرنا عبيد بن شريك ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حشرج بن نباتة عن سعيد ابن جمهان عن سفينة مولى رسول الله (ص) . قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه . فقال رسول الله (ص) : « هؤلاء ولاة الامر بعدى » . ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحمانى عن حشرج عن سعيد عن سفينة . قال : لما بنى رسول الله (ص) المسجد وضع حجراً . ثم قال « ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجرى ، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبى بكر ، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسول الله (ص) « هؤلاء الخلفاء من بعدى » وهـذا الحديث بهذا السياق غريب جداً ، والمعروف ما رواه الامام احمد عن أبى النضر عن حشرج بن نباتة العبسى [1] وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد وحماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاما ، ثم يكون من بعد ذلك الملك » ثم قال سفينة أمسك ، خلافة أبى بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة

(١) كذا بالاصل ، وهو حشرج بن نباتة الاشجعى.

عثمان اثنتا عشرة سنة وخلافة علي ست سنين ، هذا لفظ احمد . و رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن جمهان ، وقال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن في مسجد النبي (ص) أول ما بني منبر يخطب الناس عليه ، بل كان النبي (ص) يخطب الناس وهو مستنداً إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي فلما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتي بيانه في موضعه وعدل اليه ليخطب عليه ، فلما جاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحن حنين النوق العشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده ، فرجع اليه النبي (ص) ، فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت كما سيأتي تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدي وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضي الله عنهم . وما أحسن ما قال الحسن البصري بعد ما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك : يامعشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله (ص) شوقا اليه ، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا اليه ؟ !

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف

قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى حدثني أبي قال سمعت أبا سعيد الخدري قال : اختلف رجلان رجل من بني خدرة و رجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال الخدري هو مسجد رسول الله (ص) ، وقال العمري هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله (ص) فسألاه عن ذلك فقال . « هو هذا المسجد » لمسجد رسول الله (ص) وقال « في ذلك خير كثير » يعني مسجد قباء ورواه الترمذي عن قتيبة عن حاتم بن اسماعيل عن أنيس بن أبي يحيى الاسلمي به وقال حسن صحيح . و روى الامام احمد عن اسحاق بن عيسى عن الليث بن سعد والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن الليث عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه . قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى ، وذكر نحو ما تقدم وفي صحيح مسلم من حديث حميد الخراط عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن بن أبي سعيد كيف سمعت أباك في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال أبي أتيت رسول الله (ص) فسألته عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ كفا من حصباء فضرب به الارض . ثم قال : « هو مسجدكم هذا »
وقال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد . قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله (ص) في المسجد في الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما هو مسجد رسول الله (ص) وقال الآخر هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله (ص) فسألاه فقال

« هو مسجدى هذا » وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمى عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال : « المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا » فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول ﷺ، وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير وقال آخرون لا منافاة بين نزول الآية فى مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه الاحاديث . لان هذا المسجد أولى بهذه الصفة . من ذلك لان هذا أحد المساجد الثلاثة التى تشد الرحال اليها كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس » وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ ، قال « لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وفى مسند احمد بإسناد حسن زيادة حسنة وهى قوله « فان ذلك أفضل » وفى الصحيحين من حديث يحيى القطان عن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى » والاحاديث فى فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها فى كتاب المناسك من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الامام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذاك بناه ابراهيم ، وهذا بناه محمد ﷺ ، ومعلوم أن محمداً ﷺ أفضل من ابراهيم عليه السلام . وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل لانه فى بلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض ، وحرمه ابراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين . فاجتمع فيه من الصفات ما ليس فى غيره ، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

فصل

وبنى رسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له ولاهله وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء قال الحسن بن أبى الحسن البصرى — وكان غلاما مع أمه خيرة مولاة أم سلمة — لقد كنت أنال أطول سقف فى حجر النبى ﷺ بيدى . قلت : الا أنه قد كان الحسن البصرى شكلا ضخما طوالا رحمه الله .

وقال السهيلى فى الروض : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من

حجارة مرضومة (١) وسقوفها كلها من جريد . وقد حكى عن الحسن البصرى ما تقدم قال وكانت حجره من شعر مربوطة بخشب من عرعر . قال وفى تاريخ البخارى أن بابه عليه السلام كان يقرع بالاظافير ، فدل على أنه لم يكن لابوابه حلق قال وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أرواج رسول الله (ص) إلى المسجد . قال الواقدى وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله بن أريقط الدئلى إلى مكة بعث معه رسول الله (ص) وأبو بكر زيد بن حارثه وأبا رافع موليا رسول الله (ص) ليأتوا بأهاليهم من مكة و بعثا معهم بجملين وخمسمائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا فجاؤا ببنتى النبي (ص) فاطمة وأم كلثوم و زوجتيه سودة وعائشة ، وأمها أم رومان وأهل النبي (ص) وآل أبى بكر صحبة عبد الله بن أبى بكر وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل فى أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول : واعروساه ، وابنتاه قالت عائشة . فسمعت قائلا يقول أرسلى خطامه . فأرسلت خطامه فوقف بأذن الله وسلمنا الله عز وجل . فتقدموا فنزلوا بالسنح . ثم دخل رسول الله (ص) بعائشة فى شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتى ، وقدمت معهم أسماء بنت أبى بكر امرأة الزبير بن العوام وهى حامل متم بعبد الله بن الزبير كما سيأتى بيانه فى موضعه من آخر هذه السنة .

فصل

فيما اصاب المهاجرين من حمّى المدينة

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف ثنا مالك بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله (ص) المدينة وعك أبو بكر و بلال ، قالت فدخلت عليهما فقلت يا ابه كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول

كل امرئٍ مصبحٌ فى أهله والموتُ أدنى من شِراكِ نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته و يقول :

ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلةً بوادٍ وحولي اذخُر وجَليل (٢)

وهل أَرِدَنْ يوماً مياهَ مجنّةٍ وهل يبدوَنْ لى شامةُ وطَفيل

قالت عائشة : فجئت رسول الله (ص) فاخبرته فقال « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها و بارك لنا فى صاعها ومدها ، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة » ورواه مسلم عن أبى بكر

---

(١) مرضومة : أى مصفوفة بعضها فوق بعض ، والرصام من الجبل دون الهضاب .

(٢) الجليل : الثمام إذا عظم وجل ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول .

ابن أبى شيبة عن هشام مختصراً و فى رواية البخارى له عن أبى أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول : اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء . فقال رسول الله (ص) : « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة » قالت وقدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله ، وكان بطحان يجرى نجلا [١] ـ يعنى ماء آجنا ـ وقال زياد عن محمد بن اسحاق حدثنى هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عائشة قالت . لما قدم رسول الله (ص) المدينة قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى فاصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة و بلال موليا أبى بكر فى بيت واحد فاصابتهم الحمى فدخلت عليهم أدعوهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبى بكر فقلت كيف تجدك يا أبه ؟ فقال :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت والله ما يدرى أبى ما يقول ، قالت ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك ياعامر ؟ قال :

لقد وجدتُ الموتَ قبل دوقِهِ إن الجبانَ حتفُه من فوقه
كل امرئ مجاهدٌ بطوْقه كالثورِ يحمي جِلدَه بِرَوْقه

قال فقلت والله ما يدرى ما يقول ، قالت وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عميرته فقال :

ألا ليتَ شعري هل أبيتنّ ليلةً بفخّ وحولي إذخر وجليل
وهل أرِدَنْ يوماً مياه مجنّةٍ وهلْ يبدُوَن لي شامةٌ وطَفيل

قالت عائشة فذكرت لرسول الله (ص) ما سمعت منهم وقلت إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فقال . « اللهم حبب الينا المدينة ، كما حببت الينا مكة أو أشد ، وبارك لنا فى مدها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مهيعة » ومهيعة هى الجحفة . وقال الامام احمد : حدثنا يونس ثنا ليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى بكر بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت لما قدم رسول الله (ص) المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر و بلال ، فاستأذنت عائشة رسول الله (ص) فى عيادتهم فاذن لها ، فقالت لابى بكر كيف تجدك ؟ فقال :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

---

(١) نجلا ، أى نزاً وهو الماء القليل . كذا فى النهاية .

وسألت عامراً فقال :

إني وجدت الموت قبل ذوقه   إن الجبان حتفه من فوقه

وسألت بلالا فقال .

ياليت شعرى هل أبيتن ليلة   بفخ وحولى إذخر وجليل

فأتت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها ، وانقل وباءها إلى مهيعة » وهى الجحفة فيما زعموا وكذا رواه النسائى عن قتيبة عن الليث به . ورواه الامام احمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله . وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو . قالا ثنا أبو العباس الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهى أوبأ أرض الله ، وواديها بطحان نجل قال هشام وكان وباؤها معروفا فى الجاهلية ، وكان إذا كان الوادى وبيئا فأشرف عليها الانسان قيل له أن ينهق نهيق الحمار ، فاذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادى وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة

لعمري لئن عبرتَ من خيفة الردى   نهيق الحمارِ انى لجزوع

وروى البخارى من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أن النبى ﷺ قال « رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة — وهى الجحفة فأولتها أن وباء المدينة نقل الى مهيعة — وهى الجحفة — » هذا لفظ البخارى ولم يخرجه مسلم ورواه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة . وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهى وبيئة ، فذكر الحديث بطوله الى قوله وانقل حماها الى الجحفة قال هشام . فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى ورواه البيهقى فى دلائل النبوة . وقال يونس عن ابن اسحاق : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهى وبيئة . فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة — يعنى مكة — عام عمرة القضاء . فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الاشواط كلها إلا الابقاء عليهم

قلت : وعمرة القضاء كانت فى سنة سبع فى ذى القعدة فاما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رفع وبقى آثار منه قليل . أو أنهم بقوا فى خمار وما كان أصابهم من ذلك الى تلك المدة والله أعلم وقال زياد عن ابن اسحاق وذكر ابن شهاب الزهرى

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا ، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم حتى كانوا وما يصلون إلا وهم قعود ، قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك فقال لهم : « اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل .

فصل

في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والانصار بالكتاب الذى أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التى أمرهم بها وقررهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان نزولهم بالحجاز قبل الانصار أيام بخت نصر حين دوخ بلاد المقدس فيما ذكره الطبرى . ثم لما كان سيل العرم وتفرقت شذر مذر نزل الاوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفوهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل فى العلم المأثور عن الانبياء لكن من الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والاسلام وخذل أولئك لحسدهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الامام احمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة ثنا عاصم الاحول عن أنس بن مالك . قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك . وقد رواه الامام احمد أيضا والبخارى ومسلم وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الاحول عن أنس بن مالك . قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش والانصار فى دارى . وقال الامام احمد : حدثنا نصر بن باب عن حجاج ــ هو ابن أرطاة ــ قال وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابا بين المهاجرين والانصار أن يعقلوا معاقلهم ، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين . قال احمد وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن الحكم عن قاسم عن ابن عباس مثله . تفرد به الامام احمد ، وفى صحيح مسلم عن جابر . كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل بطن عقولة . وقال محمد بن اسحاق : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد النبي الامى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار وأهل

كل دار بنى ساعدة ، و بنى جشم ، و بنى النجار ، ، و بنى عمرو بن عوف ، و بنى النبيت ، إلى أن قال و إن المؤمنين لا يتركون مفرحا [(١)] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء وعقل ، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وان أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، و إن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، و إن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، و إن المؤمنين يبئ [(٢)] بعضهم بعضا بما نال دماءهم فى سبيل الله ، و إن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن ، وانه من اغتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به الى أن يرضى ولى المقتول ، وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه ، و إنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه ، وانه من نصره أوآواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وانكم مهما اختلفتم فيه من شئ فان مرده إلى الله عز وجل و إلى محمد . وان اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وان يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ [(٣)] إلا نفسه وأهل بيته ، وان ليهود بنى النجار و بنى الحارث و بنى ساعدة و بنى جشم و بنى الاوس و بنى ثعلبة وجفنة و بنى الشطنة مثل ما ليهود بنى عوف ، وان بطانة يهود كانفسهم ، وانه لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد ، ولا ينحجر [(٤)] على ثار جرح ، وانه من فتك فبنفسه إلا من ظلم ، وان الله على أبر هذا ، وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، و إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، و إنه لم يأثم امرؤ بحليفه ؛ و إن النصر للمظلوم ، و إن يثرب حرام حرفها [(٥)] لاهل هذه الصحيفة ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وانه لا تجار حرمة إلا بأذن أهلها ، وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده إلى الله و إلى محمد رسول الله ، وان الله على من اتقى ما فى هذ الصحيفة وأبره ، وانه لا تجار قريش ولا من

(١) المفرح المثقل بالدين الكثير العيال قاله ابن هشام . (٢) يبئ من البواء أى المساواة .
(٣) لا يوتغ ، أى لا يوبق ويهلك . (٤) فى النهاية : لما تحجر جرحه للبرء انفجر . أى اجتمع والتأم . وفى ابن هشام : ينحجز بالزاى ولعلها تصحيف (٥) كذا بالمصرية ، وفى الحلبية : خوفها ؛ وفى ابن هشام جوفها ، وفى النهاية : الجرف موضع قريب من المدينة ، ولعله الاصح .

نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه وانهم إذا دعوا إلى مثـل ذلك فانه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وانه لا يحول هذا الـكتاب دون ظالم أو آثم ، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم . وان الله جار لمن بر واتقى » كذا أورده ابن اسحاق بنحوه . وقـد تـكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فى كتاب الغريب وغيره بما يطول .

فصل

في مؤاخاة النبي (ص) بين المهاجرين والانصار

كما قال تعالى [والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجـدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهـم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون] وقال تعالى [والذين عاقدت ايمانـكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شئ شهيدا]

قال البخارى . حدثنا الصلت بن محمـد ثنا أبو أسامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولـكل جعلنا موالى) قال : ورثة (والذين عاقدت ايمانـكم) كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجرى الانصارى دون ذوى رحمـه للأخوة التى آخى النبى (ص) بينهم ، فلما نزلت (ولـكل جعلنا موالى) نسخت ثم قال (والذين عاقدت أيمانـكم فآتوهم نصيبهم) من النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصى له . وقال الأمام احمـد قرئ على سفيان سمعت عاصما عن أنس قال : حالف النبى (ص) بين المهاجرين والانصار فى دارنا قال سفيان . كانه يقول آخى .

وقال محمـد بن اسحاق : وآخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والانصار ، فقال : ـ فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل ـ « تآخوا فى الله أخوين أخوين » ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال « هـذا أخى » فـكان رسول الله (ص) سـيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب أخوين ، وكان حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله (ص) ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) ، أخوين واليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين . قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة . قال ابن اسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسـعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش

أخوين ، ويقال بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين ، وطلحة [بن عبيد الله] وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبي ابن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين ، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسي حليف عبد الاشهل أخوين . ويقال بل كان عمار وثابت ابن قيس بن شماس أخوين .

قلت : وهذا السند (١) من وجهين . قال : وأبو ذر برير بن جنادة (٢) والمنذر بن عمرو المعنق ليموت أخوين ، وحاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء أخوين وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفزع (٣) أخوين . قال فهؤلاء ممن سمي لنا ممن كان رسول الله (ص) آخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم .

قلت : وفي بعض ما ذكره نظر ، أما مؤاخاة النبي (ص) وعلي فان من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لاجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبي (ص) لاحد منهم ، ولا مهاجري لمهاجري آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلا أن يكون النبي (ص) لم يجعل مصلحة علي إلى غيره فانه كان ممن ينفق عليه رسول الله (ص) من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره . وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار والله أعلم

وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار اليه عبدالملك بن هشام ، فان جعفر ابن أبي طالب إنما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتي بيانه ، فكيف يؤاخي بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة اللهم إلا أن يقال إنه أرصد لاخوته اذا قدم حين يقدم ، وقوله وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الأمام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة . وكذا رواه مسلم منفرداً به عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وهذا أصح مما ذكره ابن اسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم .

وقال البخاري باب كيف آخى النبي (ص) بين أصحابه وقال عبد الرحمن بن عوف آخى النبي (ص) بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة . وقال أبو جحيفة : آخى النبي (ص) بين

(١) في الحلبية : وهذا النسب وهو خطأ . (٢) وقال ابن هشام : يقال أبو ذر جندب بن جنادة ، وفي الاصابة . قال : جندب بن جنادة ، وقيل برير بالتصغير . (٣) قال السهيلي : الفزع بالفتح عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس ، وبالسكون ابن عبد الله بن ربيعة .

سلمان الفارسى وأبى الدرداء رضى الله عنهما . حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن حميد عن أنس قال قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبى (ص) بينه و بين سعد بن الربيع الانصارى ، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلنى على السوق . فربح شيئا من أقط وسمن ، فرآه النبى (ص) بعد أيام وعليه وضر من صفرة ، فقال النبى (ص) : « مهيم يا عبد الرحمن ؟ » قال : يا رسول الله تزوجت امرأة من الانصار . قال « فما سقت فيها ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال النبى (ص) : « أولم ولو بشاة » تفرد به من هذا الوجه . وقد رواه أيضا فى مواضع أخر ، ومسلم من طرق عن حميد به . وقال الأمام احمد حدثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله (ص) بينه و بين سعد بن الربيع الانصارى ، فقال له سعد : أى أخى أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالى فخذه وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب اليك حتى أطلقها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق . فدلوه فذهب فاشترى و باع فربح فجاء بشئ من أقط وسمن . ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران [1] فقال رسول الله (ص) « مهيم ؟ » فقال : يارسول الله تزوجت امرأة ، قال : « ما أصدقتها ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال « أولم ولو بشاة » . قال عبد الرحمن : فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهبا وفضة . وتعليق البخارى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فانه لا يعرف مسنداً [2] إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه فالله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا حميد عن أنس . قال قال المهاجرون يارسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ، ولا أحسن بذلا من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا فى المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله . قال : « لا ! ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » هذا حديث ثلاثى الاسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت فى الصحيح من [3] وقال البخارى أخبرنا الحكم ابن نافع أخبرنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قالت الانصار : اقسم بيننا و بين إخواننا النخيل . قال لا . قالوا أفتكفوننا المؤونة ونشرككم فى الثمرة ، قالوا سمعنا وأطعنا . تفرد به . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال رسول الله (ص) للانصار « إن إخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله (ص) « أو غير ذلك ؟ »

(١) كذا فى الاصل ولعله ودك زعفران . (٢) فى هامش الحلبية ما يأتى : قوله مسنداً هذا غريب ، بل رواه البخارى موصولا فى أول كتاب البيوع فراجعه تجده عن عبد الرحمن .

(٣) هنا بياض فى الاصلين . وهو فى البخارى فى كتاب الوكالة .

قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » . قالوا نعم ! وقد ذكرنا ما ورد من الاحاديث والآثار فى فضائل الانصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم) الآية

فصل

فى موت أبى أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة على قومه بنى النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله ص ، ليلة العقبة الثانية فى قول وكان شابا وهو أول من جمع بالمدينة فى نقيع الخضمات فى هزم النبيت كما تقدم .

قال محمد بن اسحاق : وهلك فى تلك الاشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة - أو الشهقة - . وقال ابن جرير فى التاريخ · أخبرنا محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن زريع عن معمر عن الزهرى عن أنس أن رسول الله ص ، كوى أسعد بن زرارة فى الشوكة . رجاله ثقات .

قال ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة . قال قال رسول الله ص : « بئس الميت أبو أمامة ، ليهود ومنافقى العرب ، يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئا » وهذا يقتضى أنه أول من مات بعد مقدم النبى ص ، وقد زعم أبو الحسن بن الاثير فى الغابة أنه مات فى شوال بعد مقدم النبى ص ، بسبعة أشهر فالله أعلم . وذكر محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن بنى النجار سألوا رسول الله ص ، أن يقيم لهم نقيبا بعد أبى أمامة أسعد بن زرارة فقال : « أنتم أخوالى وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم » وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بنى النجار الذى يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله ص ، نقيبهم . قال ابن الاثير : وهذا يرد قول أبى نعيم وابن منده فى قولهما أن أسعد بن زرارة كان نقيباً على بنى ساعدة ، إنما كان على بنى النجار ، وصدق ابن الاثير فيما قال . وقد قال أبو جعفر بن جرير فى التاريخ : كان أول من توفى بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهدم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات ، ثم توفى بعده أسعد بن زرارة وكانت وفاته فى سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذبحة أو الشهقة .

قلت : وكلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس الانصارى الاوسى وهو من بنى عمرو بن عوف وكان

شيخا كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله (ص) المدينة ، ولما قدم رسول الله (ص) المدينة و نزل بقباء نزل فى منزل هذا فى الليل، وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه فى منزل سعد بن الربيع رضى الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بنى النجار كما تقدم . قال ابن الاثير : وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله (ص) ، ثم بعده أسعد بن زرارة . ذكره الطبرى .

فصل

في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد فى الاسلام من المهاجرين كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للانصار بعد الهجرة رضى الله عنهما . وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الاسود . ورواه الواقدى عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حثمة عن أبيه عن جده ،وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة ، والصحيح ما قدمنا . فقال البخارى حدثنا زكريا بن يحيى ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن اسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت فخرجت وأنا متم فاتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به رسول الله (ص) فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله (ص) ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرّك عليه . فكان أول مولود ولد فى الاسلام . تابعه خالد بن مخلد عن على بن مسهر عن هشام عن أبيه عن اسماء أنها هاجرت إلى النبى (ص) وهى حبلى . حدثنا قتيبة عن أبى أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أول مولود ولد فى الاسلام عبد الله بن الزبير ، أتوا به النبى (ص) فاخذ النبى (ص) تمرة فلاكها ثم أدخلها فى فيه فأول ما دخل بطنه ريق النبى (ص) فهذا حجة على الواقدى وغيره لانه ذكر أن النبى (ص) بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبى بكر فقدموا بهم أثر هجرة النبى (ص) ، واسماء حامل متم أى مقرب فقدمنا وضعها لولدها ، فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحا بمولده لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، فأكذب الله اليهود فيما زعموا

فصل

وبنى رسول الله (ص) بعائشة في شوال من هذه السنة

قال الامام احمد : حدثنا وكيع ثنا سفيان عن اسماعيل بن أمية عن عبدالله بن عروة عن أبيه

عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله (ص) في شوال، وبنى بي في شوال، فأى نساء رسول الله (ص) كان أحظى عنده مني؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال. ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن سفيان الثورى به. وقال الترمذى حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثورى فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر - أو ثمانية أشهر - وقد حكى القولين ابن جرير، وقد تقدم فى تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة وان دخوله بها كان بالسنح نهاراً وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم، وفى دخوله عليه السلام بها فى شوال رداً لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين وهذا ليس بشئ لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس فى ذلك الوقت: تزوجني فى شوال، وبنى بي فى شوال - أى دخل بي - فى شوال، فأى نسائه كان أحظى عنده مني؟ فدل هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نسائه اليه، وهذا الفهم منها صحيح لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت فى صحيح البخارى عن عمرو ابن العاص: قلت يارسول الله أى الناس أحب اليك؟ قال: «عائشة» قلت من الرجال قال «أبوها».

فصل

قال ابن جرير: وفى هذه السنة - يعنى السنة الاولى من الهجرة - زيد فى صلاة الحضر - فيما قيل - ركعتان، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين، وذلك بعد مقدم النبى (ص) المدينة بشهر فى ربيع الآخر لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت، وقال: وزعم الواقدى أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه.

قلت: قد تقدم الحديث الذى رواه البخارى من طريق معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر. وروى من طريق الشعبى عن مسروق عنها. وقد حكى البيهقى عن الحسن البصرى أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعا والله أعلم. وقد تكلمنا على ذلك فى تفسير سورة النساء عند قوله تعالى (وإذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية.

فصل
في الأذان ومشروعيته

قال ابن اسحاق: فلما اطمأن رسول الله (ص) بالمدينة واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الانصار استحكم أمر الاسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين أظهرهم وكان هذا الحى من الانصار هم الذين تبوؤا الدار والايمان

وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهم رسول الله ﷺ أن يجعل بوقا كبوق يهود الذى يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة ، فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف ، مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت ياعبدالله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال وما تصنع به ؟ قال قلت ندعو به إلى الصلاة ، قال ألا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت وما هو؟ قال تقول ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة حى على الصلاة ، حى على الفلاح حى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فالقها عليه فليؤذن بها فانه أندى صوتا منك » فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو فى بيته فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه وهو يقول يا نبى الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى . فقال رسول الله ﷺ ، فلله الحمد . قال ابن اسحاق : فحدثنى بهذا الحديث محمد بن ابراهيم بن الحارث عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة ابن عبد ربه عن أبيه . وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن اسحاق به . وصححه الترمذى وابن خزيمة وغيرهما . وعند أبى داود أنه علمه الاقامة قال ثم تقول إذا أقمت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أبى عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحرانى عن ابن اسحاق كما تقدم . ثم قال قال أبو عبيد وأخبرنى أبو بكر الحكمى أن عبد الله بن زيد الانصارى قال فى ذلك :

الحمدُ لله ذي الجلالِ وذي الإ　　كرام حمداً على الأذان كبيرا
إذْ أتاني به البشيرُ من اللـه　　فأكرِمْ به لدي بشيرا
فى ليالٍ والى بهنّ ثلاثٍ　　كلما جاءَ زادني توقيرا

قلت : وهذا الشعر غريب وهو يقتضى أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله ﷺ ، والله أعلم . ورواه الامام احمد من حديث محمد بن اسحاق قال وذكر الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التيمى ولم يذكر الشعر . وقال ابن ماجه حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطى ثنا أبى عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن

سالم عن أبيه أن رسول الله (ص) استشار الناس لما يهمهم من الصلاة ، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى. فأرى النداء تلك الليلة رجل من الانصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فطرق الانصارى رسول الله (ص) ليلا فامر رسول الله (ص) بلالا فاذن به . قال الزهرى وزاد بلال فى نداء صلاة الغداة ، الصلاة خير من النوم مرتين ، فاقرها رسول الله (ص) ، فقال عمر : يارسول الله رأيت مثل الذى رأى ولكنه سبقنى ، وسيأتى تحرير هذا الفصل فى باب الأذان من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة . فاما الحديث الذى أورده السهيلى بسنده من طريق البزار حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا أبى عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب فذكر حديث الاسراء وفيه : فخرج ملك من وراء الحجاب فاذن بهذا الاذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد (ص) ، فقدمه فأم بأهل السماء وفيهم آدم ونوح . ثم قال السهيلى واخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء . فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلى أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين . ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله (ص) ليلة الاسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة فى الدعوة إلى الصلاة والله اعلم [1]] .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج . قال قال لى عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول · ائتمر النبى (ص) وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة ، فبينا عمر بن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس إذ رأى عمر فى المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة . فذهب عمر إلى النبى (ص) ليخبره بما رأى وقد جاء النبى (ص) الوحى بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن ؛ فقال رسول الله (ص) حين اخبره بذلك « قد سبقك بذلك الوحى » وهذا يدل على أنه قد جاء الوحى بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم .

قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بنى النجار قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فاذا رآه تمطى ثم قال : اللهم احمدك واستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت ثم يؤذن ، قالت والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة ـ يعنى هذه الكلمات. ورواه أبو داود من حديثه منفرداً .

---

(١) هذا الحديث مقدم فى النسخة المصرية ومؤخر فى الحلبية .

فصل

في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن جرير: وزعم الواقدى أن رسول الله ﷺ عقد فى هذه السنة فى شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لحمزة بن عبدالمطلب لواء أبيض فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعترض لعيرات قريش وأن حمزة لقى أبا جهل فى ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدى بن عمرو ولم يكن بينهم قتال، قال وكان الذى يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوى.

فصل

﴿فى سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب﴾

قال ابن جرير: وزعم الواقدى أيضا أن النبى ﷺ عقد فى هذه السنة على رأس ثمانية أشهر فى شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رابغ. وكان لواؤه مع مسطح بن أثاثة فبلغ ثنية المرة وهى بناحية الجحفة فى ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى، وأنهم التقواهم والمشركون على ماء يقال له أحياء وكان بينهم الرمى دون المسابقة. قال الواقدى وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثبت عندنا، وقيل كان عليهم مكرز بن حفص.

فصل

قال الواقدى: وفيها ـ يعنى فى السنة الاولى فى ذى القعدة ـ عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أبى وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن الاسود، فحدثنى أبو بكر بن اسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد [عن أبيه]. قال: خرجت فى عشرين رجلا على أقدامنا، أو قال أحد وعشرين رجلا، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا الخرار صبح خامسة، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أن لا أجاوز الخرار، وكانت العير قد سبقتنى قبل ذلك بيوم. قال الواقدى: كانت العير ستين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين. قال أبو جعفر بن جرير (رح) وعند ابن اسحاق (رح) أن هذه السرايا الثلاث التى ذكرها الواقدى كلها فى السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ.

قلت: كلام ابن اسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر (رح) لمن تأمله كما سنورده فى أول كتاب المغازى فى أول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلوما نحن فيه إن شاء الله، ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا فى السنة الاولى، وسنزيدها بسطا وشرحا إذا انتهينا اليها إن شاء الله تعالى. والواقدى (رح) عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالبا فانه من أئمة هذا الشأن الكبار

وهو صدوق فى نفسه مكثار كما بسطنا القول فى عدالته وجرحه فى كتابنا الموسوم بالتكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ولله الحمد والمنة .

فصل

ومن ولد فى هذه السنة المباركة ـ وهى الاولى من الهجرة ـ عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد فى الاسلام بعد الهجرة كما رواه البخارى عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتى الصديق رضى الله عنهما ، ومن الناس من يقول ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ومن الناس من يقول إنهما ولدا فى السنة الثانية من الهجرة والظاهر الاول كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة ، وسنشير فى آخر السنة الثانية إلى القول الثانى إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل إن المختار بن أبى عبيد و زياد بن سمية ولدا فى هذه السنة الاولى [1] فالله أعلم . وممن توفى فى هذه السنة الاولى من الصحابة : كلثوم بن الهدم الاوسى الذى نزل رسول الله ﷺ فى مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بنى النجار كما تقدم ، وبعده ـ فيها ـ أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار توفى ورسول الله ﷺ يبنى المسجد كما تقدم رضى الله عنهما وارضاهما .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة ـ يعنى الاولى من الهجرة ـ مات أبو أحيحة بماله بالطائف ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى فيها بمكة .

قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله عز وجل .

(١) وفى الاصلين : فى هذه السنة الثانية وهو خطأ وصححتها من تاريخ ابن جرير .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة

وقع فيها كثير من المغازى والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التى كانت في رمضان منها، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل، والهدى والغى. وهذا أوان ذكر المغازى والبعوث فنقول وبالله المستعان

كتاب المغازى

قال الامام محمد بن اسحاق بن يسار فى كتاب السيرة بعد ذكر أحبار اليهود ونصبهم العداوة للاسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات؛ فمنهم حيى بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدى، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وسلام بن أبى الحقيق وهو أبو رافع الاعور، تاجر أهل الحجاز وهو الذى قتله الصحابة بارض خيبر كما سيأتى، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق، وعمرو ابن جحاش، وكعب بن الاشرف وهو من طىء ثم أحد بنى نبهان وأمه من بنى النضير؛ وقد قتله الصحابة قبل أبى رافع كما سيأتى، وحليفاه الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس لعنهم الله فهؤلاء من بنى النضير، ومن بنى ثعلبة بن الفطيون عبد الله بن صوريا، ولم يكن بالحجاز بعد أعلم بالتوراة منه.

قلت: وقد قيل إنه أسلم، وابن صلوبا ومخيريق وقد أسلما يوم أحد كما سيأتى وكان حبر قومه، ومن بنى قينقاع زيد بن اللصيت، وسعد بن حنيف، ومحمود بن شيخان [1] وعزيز بن أبى عزيز [2] وعبد الله بن ضيف، وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفنحاص وأشيع ونعمان بن أضا، وبحرى بن عمرو، وشاس بن عدى، وشاس بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمير [3] وسكين بن أبى سكين، وعدى بن زيد، ونعمان بن أبى أوفى أبو أنس، ومحمود بن دحية، ومالك ابن صيف [4] وكعب بن راشد، وعازر ورافع بن أبى رافع، وخالد وازار بن أبى ازار. قال ابن هشام: ويقال آزر بن أبى آزر، ورافع بن حارثة، ورافع بن حريملة، ورافع بن خارجة، ومالك ابن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبد الله بن سلام.

(١) كذا فى الاصلين شيخان: وفى ابن هشام. محمود بن سيحان. (٢) كذا فى النسخة الحلبية وابن هشام والسهيلى. وفى المصرية: عزيز بن أبى عزيز بالراء (٣) كذا فى المصرية وفى الحلبية: عمر، وفى ابن هشام عمرو. (٤) وقال ابن هشام. يقال ابن الضيف بالمعجمة.

قلت : وقد تقدم اسلامه رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : وكان حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله . قال ابن اسحاق : ومن بنى قريظة الزبير بن باطا ابن وهب ، وعزال بن شمويل (١) وكعب بن أسد وهو صاحب عقدهم الذى نقضوه عام الأحزاب وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينة ، والنحام بن زيد ، وكردم بن كعب (٢) ووهب بن زيد ونافع بن أبى نافع ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن زميلة ، وجبل بن أبى قشير ، ووهب بن يهوذا . قال ومن بنى زريق ، لبيد بن أعصم وهو الذى سحر رسول الله ﷺ ، ومن يهود بنى حارثة ، كنانة بن صوريا . ومن يهود بنى عمرو بن عوف قردم بن عمرو ، ومن يهود بنى النجار ، سلسلة بن برهام .

قال ابن اسحاق : فهؤلاء أحبار يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الاسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعنت والعناد والكفر قال وأصحاب النصب لأمر الاسلام ليطفئوه إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق ، ثم ذكر اسلام عبد الله بن سلام واسلام عمته خالدة كما قدمناه وذكر اسلام مخيريق يوم أحد كما سيأتى وأنه قال لقومه ــ وكان يوم السبت ــ يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا إن اليوم يوم السبت ، قال لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يرى فيها ما أراه الله ــ وكان كثير الاموال ــ ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل رضى الله عنه ؛ قال فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغنى « مخيريق خير يهود » .

فصل

ثم ذكر ابن اسحاق من مال إلى هؤلاء الاضداد من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج فمن الاوس زوى (٣) بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصامت الانصارى وفيه نزل (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر ، فنماها ابن امرأته عمير بن سعد إلى رسول الله ﷺ ، فانكر الجلاس ذلك وحلف ما قال فنزل فيه ذلك . قال وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير قال وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذى قتل المجذر بن ذياد البلوى وقيس

(١) فى الحلبية شمويل ، وفى ابن هشام سموال بالسين المهملة . (٢) وفى ابن هشام : قردم بالقاف
(٣) وفى ابن هشام : زرى بالراء بدل الواو .

ابن زيد أحد بنى ضبيعة يوم أحـد ، خرج مع المسلمين وكان منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر قـد قتل أباه سويد بن الصامت فى بعض حروب الجاهلية فأخذ بثأر أبيه منـه يوم أحد ، كذا قال ابن هشام . وقـد ذكر ابن اسحاق أن الذى قتل سويد بن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء قتله فى غير حرب قبل يوم بعاث رماه بسهم فقتله . وأنـكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد ، قال لأن ابن اسحاق لم يذكره فى قتلى أحد .

قال ابن اسحاق . وقد كان رسول الله ﷺ . أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله ـ فيما بلغنى عن ابن عباس ـ (كيف يهدى الله قوما كفروا بعـد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين) إلى آخر القصة . قال : وبجاد بن عثمان بن عامر ، ونبتل بن الحارث وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ : « من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هـذا » وكان جسيما أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين ، وكان يسمع الـكلام من رسول الله ﷺ ، ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذى قال . إنما محمـد أذن ، من حدثه بشىء صدقه . فأنزل الله فيه (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن) الآية . قال : وأبو حبيبة بن الازعر وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ثم نـكثا ، فنزل فيهما ذلك ، ومعتب هو الذى قال يوم أحد . لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا فنزل فيه الآية . وهو الذى قال يوم الاحزاب كان محمد يعدنا أنا نأكل كنوز كسرى وقيصر ، واحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه [واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا] .

قال ابن اسحاق : والحارث بن حاطب . قال ابن هشام . ومعتب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم . قال وقد ذكر ابن اسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد فى اسماء أهل بدر .

قال ابن اسحاق . وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وبحزج وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمرو بن حرام [1] وعبـد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطاف ، وابناه يزيد [2] ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاما حدثا قـد جمع أكثر القرآن و [كان] يصلى بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضرار كما سيأتى بيانه بعـد غزوة تبوك وكان فى أيام عمر سأل أهل قباء

(١) كذا فى الحلبية ، والمصرية . عمر بن حرام ، وابن هشام عمرو بن خذام .

(٢) وفى ابن هشام . زيد .

عمر أن يصلى بهم مجمع فقال · لا والله ، أو ليس امام المنافقين فى مسجد الضرار ؟ فحلف بالله ما علمت بشىء من أمرهم فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم . قال ووديعة بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذى قال · إنما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه ذلك قال وخدام بن خالد وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره . قال ابن هشام مستدركا على ابن اسحاق فى منافقى بنى النبيت من الاوس و بشر ورافع ابنا زيد . قال ابن اسحاق ومربع بن قيظى ـ وكان أعمى ـ وهو الذى قال لرسول الله (ص) حين أجاز فى حائطه وهو ذاهب إلى أحد لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر فى حائطى وأخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال · والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لرميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (ص) · « دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » وقد ضربه سعد ابن زيد الاشهلى بالقوس فشجه . قال وأخوه أوس بن قيظى وهو الذى قال . إن بيوتنا عورة . قال الله (وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً) قال وحاطب بن أمية بن رافع وكان شيخا جسيما قد عسا [1] فى جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر . فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع اليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا يقولون . أبشر بالجنة يا ابن حاطب . قال فنجم نفاق أبيه فجعل يقول : أجل جنة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه قال و بشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذى أنزل الله فيه (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآيات . قال وقزمان حليف لبنى ظفر الذى قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال والله ما قاتلت إلا حمية على قومى ثم مات لعنه الله . قال ابن اسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود فهؤلاء كلهم من الاوس . قال ابن اسحاق : ومن الخزرج رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو ابن سهل ، والجد بن قيس وهو الذى قال : ائذن لى ولا تفتنى ، وعبد الله بن أبى بن سلول ، وكان رأس المنافقين ورئيس الخزرج والاوس أيضا ، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم فى الجاهلية ، فلما هداهم الله للاسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغاظه ذلك جداً ، وهو الذى قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفى وديعه — رجل من بنى عوف — ومالك بن أبى قوقل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل قوله تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) الآيات حين مالوا فى الباطن إلى بنى النضير .

---

(١) عسا أى كبر وأسن من عسا القضيب اذا يبس

فصل

ثم ذكر ابن اسحاق من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفارا فى الباطن فاتبعهم بصنف المنافقين وهم من شرهم ، سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ «والله لا أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها» فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك . قال ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حريملة ، وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات ـ فيما بلغنا ـ : «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين» ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال : «إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار» فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات فى ذلك اليوم وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا . فهؤلاء ممن أسلم من منافقى اليهود قال فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع فى المسجد يوما منهم أناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا ، فقام أبو أيوب إلى عمرو ابن قيس أحد بنى النجار ـ وكان صاحب آلهتهم فى الجاهلية ـ فاخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول ـ لعنه الله ـ أتخرجنى يا أبا أيوب من مربد بنى ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجارى فلببه بردائه ، ثم نتره نترا شديداً (١) ولطم وجهه فاخرجه من المسجد وهو يقول : أف لك منافقا خبيثا . وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ـ وكان طويل اللحية ـ فاخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدمه بهما لدمة (٢) فى صدره خر منها قال يقول : خدشتنى ياعمارة ، فقال عمارة أبعدك الله يامنافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ـ وكان بدريا ـ إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا ـ وليس فى المنافقين شاب سواه ـ فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه . وقام رجل من بنى خدرة إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو ـ وكان ذا جمة ـ فاخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الارض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث ، فقال : إنك أهل لذلك أى عدو الله

(١) النتر : جذب فيه قوة وجفوة عن النهاية . (٢) أى ضربه ودفعه ، واللدم الضرب ببطن الكف .

لما أنزل فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله (ص) ، فانك نجس ، وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فاخرجه اخراجا عنيفا وأفف (١) منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمره ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ، وتكلم على تفسير ذلك فاجاد وأفاد رحمه الله .

أول المغازي وهي غزوة الابواء او غزوة ودان

وهو بعث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتى فى المغازى . قال البخارى كتاب المغازى قال ابن اسحاق : أول ما غزا رسول الله (ص) الابواء . ثم بواط ، ثم العشيرة . ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله (ص) ؟ قال : تسع عشرة شهد منها سبع عشرة أولهن العسيرة — أو العشيرة — . وسيأتى الحديث باسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة إن شاء الله و به الثقة . وفى صحيح البخارى عن بريدة قال : غزا رسول الله (ص) ست عشرة غزوة ولمسلم عنه أنه غزا مع رسول الله (ص) ست عشرة غزوة ، وفى رواية له عنه أن رسول الله (ص) غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل فى ثمانى منهن . وقال الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله (ص) غزا سبع عشرة غزوة وقاتل فى ثمان ؛ يوم بدر ، وأحد ، والاحزاب ، والمريسيع ، وقديد وخيبر ، ومكة ، وحنين . و بعث أربعا وعشرين سرية وقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عثمان الدمشقى التنوخى ثنا الهيثم بن حميد أخبرنى النعمان عن مكحول أن رسول الله (ص) غزا ثمانية عشر غزوة ، قاتل فى ثمان غزوات ، أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الاحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكة ، ثم حنين والطائف (٢) قوله بئر معونة بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتى . قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله (ص) ثمانى عشرة غزوة ، وسمعته مرة أخرى يقول أربعاوعشرين . فلا أدرى أكان ذلك وهما أو شيئا سمعه بعد ذلك . وقد روى الطبرانى عن الدبرى (٣) عن عبد الرزاق عن معمرعن الزهرى . قال : غزا رسول الله (ص) أربعا وعشرين غزوة وقال عبد الرحمن بن حميد فى مسنده حدثنا سعيد بن سلام ثنا زكريا ابن اسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر . قال : غزا رسول الله (ص) إحدى وعشرين غزوة . وقد روى الحاكم من طريق هشام عن قتادة أن مغازى رسول الله (ص) وسراياه كانت ثلاثا وأربعين .

(١) أى ألقى طرف ثوبه على أنفه وقال أف أف استقذاراً . (٢) الغزوات المذكورة تسع لا ثمانية فليحرر . (٣) فى الاصلين الدرى والديرى وانما هو اسحاق بن ابراهيم الدبرى بالباء .

ثم قال الحاكم . لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت فى الاكليل على الترتيب بعوث رسول الله (ص) وسراياه زيادة على المائة قال وأخبرنى الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ فى كتاب أبى عبد الله محمد بن نصر : السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين . وهذا الذى ذكره الحاكم غريب جداً ، وحمله كلام قتادة على ما قال فيه نظر . وقد روى الامام احمد عن أزهر بن القاسم الراسبى عن هشام الدستوائى عن قتادة أن مغازى رسول الله (ص) وسراياه ثلاث وأربعون : أربع وعشرون بعثا ، وتسع عشرة غزوة . خرج فى ثمان منها بنفسه : بدر ، وأحد ، والاحزاب ، والمريسيع ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : هذه مغازى رسول (ص) التى قاتل فيها ، يوم بدر فى رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد فى شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق — وهو يوم الاحزاب وبنى قريظة — فى شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بنى المصطلق وبنى لحيان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح فى رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف فى شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله (ص) حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثنتى عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الابواء . وقال حنبل بن هلال عن اسحاق بن العلاء عن عبدالله بن جعفر الرقى عن مطرف بن مازن اليمانى عن معمر عن الزهرى قال أول آية نزلت فى القتال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآية بعد مقدم رسول الله (ص) المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله (ص) يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال ثم غزا بنى النضير ، ثم غزا أحداً فى شوال — يعنى من سنة ثلاث — ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنة أربع ، ثم قاتل بنى لحيان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح فى شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين فى رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله (ص) إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزا رسول الله (ص) الابواء . ثم العشيرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بنى سليم ، ثم غزوة الابواء[1] ثم غزوة بدر الاولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة ثم ذكر البعوث ، هكذا كتبته من تاريخ الحافظ ابن عساكر وهو غريب جداً ، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتبا . وهذا الفن مما ينبغى الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤله كما رواه محمد بن عمر الواقدى عن عبد الله بن عمر بن على عن أبيه سمعت على بن الحسين يقول : كنا نعلم مغازى النبى (ص) كما نعلم السورة من القرآن قال الواقدى وسمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت عمى الزهرى يقول : فى علم المغازى علم الآخرة والدنيا وقال محمد بن اسحاق (رح) فى

(١) كذا بالاصلين مكررا غزوة الابواء والذى فى ابن هشام : الابواء ، بواط ، العشيرة الخ .

المغازى بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤس الكفر من اليهود والمنافقين لعنهم الله أجمعين وجمعهم فى أسفل سافلين . ثم إن رسول الله ص تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين ، قال وقد قدم رسول الله ص المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول ، ورسول الله ص يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة فاقام بقية شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر وجمادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة وولى تلك الحجة المشركون . والمحرم ، ثم خرج رسول الله ص غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة . قال ابن هشام واستعمل على المدينة سعد بن عبادة قال ابن اسحاق . حتى بلغ ودان وهى غزوة الابواء ، قال ابن جرير ويقال لها غزوة ودان أيضا ، يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذى وادعه منهم مخشى بن عمرو الضمرى ، وكان سيدهم فى زمانه ذلك . ورجع رسول الله ص إلى المدينة ولم يلق كيدا فاقام بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الاول . قال ابن هشام ، وهى أول غزوة غزاها عليه السلام قال الواقدى وكان لواؤه مع عمه حمزة ، وكان أبيض قال ابن اسحاق وبعث رسول الله ص فى مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى فى ستين ـ أو ثمانين ـ راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز باسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به فى سبيل الله فى الاسلام . ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى حليف بنى زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازنى حليف بنى نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار قال ابن اسحاق ، وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبى جهل وروى ابن هشام عن أبى عمرو بن العلاء [1] عن أبى عمرو المدنى أنه قال : كان عليهم مكرز بن حفص .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدى قولان ، أحدهما أنه مكرز ، والثانى أنه أبوسفيان صخر بن حرب وأنه رجح أنه أبو سفيان فالله أعلم ثم ذكر ابن اسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبى [بكر] الصديق فى هذه السرية التى أولها :

أمِن طيفِ سلمى بالبطاحِ الدمائثِ   أرِقتُ وأمرٌ فى العشيرة حادث
ترى من لؤيٍّ فرقةً لا يصدّها   عن الكُفر تذكيرٌ ولا بعثُ باعث

---

(١) فى ابن هشام حدثنى ابن أبى عمرو بن العلاء .

رسولٌ أتاهم صادقٌ فتكذَّبوا عليه وقالوا لستَ فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحقّ أدبروا وهرّوا هريرَ المُجْحَرات اللواهث

القصيدة إلى آخرها ، وذكر جواب عبد الله بن الزبعرى فى مناقضتها التى أولها :

أمن رسم دارٍ أقفرتْ بالعثاعث بكيتَ بعينٍ دمعُها غير لابث
ومن عجبِ الأيامِ ـ والدهرُ كله له عَجَبٌ ـ من سابقاتٍ وحادث
لجيشٌ أتانا ذي عَرام يقودُه عُبيدة يُدعى فى الهياج ابنَ حارث
لنتركَ أصناماً بمكّة عُكّفا مواريثَ موروثٍ كريمٍ لوارث

وذكر تمام القصيدة وما منعنا من ايرادها بتمامها إلا أن الامام عبدالملك بن هشام (رح) وكان إماما فى اللغة ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين . قال ابن اسحاق وقال سعد ابن أبى وقاص فى رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هلْ أتى رسولَ الله أني حميْتُ صحابتى بصدورِ نَبلى
أذودُ بها أوائلَهم ذِياداً بكل حَزُونةٍ وبكل سهل
فما يعتدُّ رامٍ فى عدوٍّ بسهمٍ يارسول الله قبلى
وذلك أن دِينكَ دينُ صدقٍ وذو حقّ أتيتَ به وفضل (١)
ينجّى المؤمنون به ويُجزى به الكُفّار عندَ مقام مُهل (٢)
فمهلاً قد غويتُ فلا تعبي غويّ الحيّ ويحك يا ابنَ جهل

قال ابن هشام . وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد قال ابن اسحاق : فكانت راية عبيدة ـ فيما بلغنا ـ أول راية عقدها رسول الله (ص) فى الاسلام لاحد من المسلمين . وقد خالفه الزهرى وموسى بن عقبة والواقدى فذهبوا إلى أن بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن الحارث والله أعلم وسيأتى فى حديث سعد بن أبى وقاص أن أول امراء السرايا عبد الله بن جحش الاسدى

قال ابن اسحاق : و بعض العلماء يزعم أن رسول الله (ص) ، بعثه حين أقبل من غزوة الابواء قبل أن يصل إلى المدينة وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهرى .

فصل

قال ابن اسحاق : و بعث رسول الله (ص) فى مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد فلقى أبا

(١) الذى فى ابن اسحاق : وعدل . (٢) وفى ابن هشام بدل مهل سهل ومهل : إمهال وتثبت .

جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان موادعا للفريقين جميعا ، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال

قال ابن اسحاق : و بعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لاحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه و بعث عبيدة كانا معا فشبه ذلك على الناس

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهرى أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الابواء . فلما قفل عليه السلام من الابواء بعث عبيدة بن الحارث فى ستين من المهاجرين ، وذكر نحوا ما تقدم . وقد تقدم عن الواقدى أنه قال كانت سرية حمزة فى رمضان من السنة الاولى ، و بعدها سرية عبيدة فى شوال منها والله أعلم . وقد أورد ابن اسحاق عن حمزة رضى الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت فى الاسلام ، لكن قال ابن اسحاق : فان كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقا ، والله أعلم أى ذلك كان . فاما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول . والقصيدة هى قوله :

ألا يالقومي للتحلُّم والجهل ... وللنقص من رأي الرجال وللعقل
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ ... لهم حرماتٍ من سَوامٍ ولا أهل
كأنا بَتَلْناهم ولا بَتْل (١) عندنا ... لهم غير أمرٍ بالعفاف و بالعدل
وأمرٍ باسلامٍ فلا يقبلونه ... ويُنزَل منهم مثلَ مَنزلة الهزْل
فما برحوا حتى انتُدبتُ لغارةٍ ... لهم حيثُ حلّوا أبتغي راحةَ الفضل
بأمر رسول الله أولِ خافقٍ ... عليه لواءٌ لم يكن لاحَ من قبل
لواءٌ لديه النصرُ من ذي كرامة ... إلهٍ عزيزٍ فعلُه أفضلُ الفعل
عشيةَ ساروا حاشدين وكلُّنا ... مَراجلُه من غيظ أصحابه تَغلى
فلما تراءينا أناخوا فعقّلوا ... مطايا وعقّلْنا مدى غَرَض النَّبل
وقلنا لهم حَبْلُ الإله نصيرُنا ... ومالكمُ إلا الضلالةَ من حبل
فثار أبو جهلٍ هنالك باغياً ... فخابَ وردَّ الله كيدَ أبي جهل
وما نحنُ إلا فى ثلاثينَ راكباً ... وهم مائتانِ بعد واحدةٍ فضل
فيالَ لؤيٍّ لا تُطيعوا غُواتَكم ... وَفيئوا إلى الاسلامِ والمَنهج السهل
فانى أخافُ أن يصبَّ عليكمُ ... عذابٌ فتَدعوا بالندامةِ والثُّكل

(١) كذا فى المصرية ، ومعنى البتل القطع ، وفى الحلبية وابن هشام : نبلناهم بالنون ومعناها رميناهم بالنبل .

قال فاجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال .

عجبتُ لاسبابِ الحفيظةِ والجهل ... وللشاغبينَ بالخلافِ وبالبُطْل

وللتاركين ما وجدنا حدودنا ... عليه ذوى الاحساب والسؤدد الجزل

ثم ذكر تمامها . قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضى الله عنه ولابى جهل لعنه الله

غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله (ص) فى شهر ربيع الاول – يعنى من السنة الثانيه – يريد قريشا . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون . وقال الواقدى : استخلف عليها سعد بن معاذ . وكان رسول الله (ص) فى مائتى راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبى وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل والفان وخمسمائة بعير

قال ابن اسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر و بعض جمادى [الاولى] .

غزوة العشيرة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد . قال الواقدى : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال وخرج عليه السلام يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن اسحاق : فسلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها ذات الساق فصلى عندها فثم مسجده ، فصنع له عندها طعام فاكل منه وأكل الناس معه ، فرسوم أثافى البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب ثم ارتحل فترك الخلائق (١) بيسار وسلك شعبة عبد الله ، ثم صب للشاد (٢) حتى هبط ملل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة ثم سلك فرش ملل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فاقام بها جمادى الاولى وليال من جمادى الآخرة و وادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من

(١) الخلائق بالخاء المعجمة : البئر التى لاماء فيها . وقال السهيلى : بالحاء المهملة آبار معلومة ورجح الرواية الاولى . (٢) صب للشاد كذا فى المصرية وابن هشام . وقال الخشنى صب للساد (بالسين المهملة) ثم قال وصوابه لليسار وصحفه فى الحلبية فقال : صب المسار .

بنى ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً وقد قال البخارى حدثنا عبد الله ثنا وهب ثنا شعبة عن أبى اسحاق قال . كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقيل له كم غزا رسول الله (ص) من غزوة ؟ قال : تسع عشرة . قلت كم غزوت أنت معه ؟ قال سبع عشرة غزوة ، قلت فأيهن كان أول ؟ قال العشير — أو العسير — فذكرت لقتادة فقال : العشير . وهذا الحديث ظاهر فى أن أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين وبهما مع حذف التاء ، وبهما مع المد اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبى (ص) زيد بن أرقم العشيرة وحينئذ لا ينفى أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن اسحاق و بين هذا الحديث والله أعلم .

قال محمد بن اسحاق : ويومئذ قال رسول الله (ص) لعلى ما قال فحدثنى يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظى حدثنى أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمار بن ياسر قال كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة من بطن ينبع ، فلما نزلها رسول الله (ص) أقام بها شهراً فصالح بها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة فوادعهم ، فقال لى على بن أبى طالب : هل لك يا أبا اليقظان أن نأتى هؤلاء النفر — من بنى مدلج يعملون فى عين لهم — ننظر كيف يعملون ؟ فأتيناهم فنظرنا اليهم ساعة فغشينا النوم فعمدنا إلى صور من النخل فى دقعاء من الارض فنمنا فيه ؛ فوالله ما أهبنا إلا و رسول الله (ص) يحركنا بقدمه فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله (ص) لعلى : « يا أبا تراب » لما عليه من التراب ؛ فاخبرناه بما كان من أمرنا فقال « ألا أخبركم باشقى الناس رجلين ؟ » قلنا بلى يارسول الله فقال « أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك ياعلى على هذه — ووضع رسول الله (ص) يده على رأسه — حتى تبل منها هذه — ووضع يده على لحيته — » وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر فى تسمية على أبا تراب كما فى صحيح البخارى أن علياً خرج مغاضبا فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله (ص) فسألها عنه فقالت خرج مغاضبا فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول : « قم أبا تراب قم أبا تراب »

غزوة بدر — الأولى

قال ابن اسحاق : ثم لم يقم رسول الله (ص) بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليال قلائل لا تبلغ العشرة حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة ، فخرج رسول الله (ص) فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر ، وهى غزوة بدر الاولى ، وفاته كرز فلم يدركه . وقال الواقدى : وكان لواؤه مع على بن أبى طالب . قال ابن هشام والواقدى : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن اسحاق : فرجع رسول الله (ص) ، فاقام جمادى و رجبا وشعبان وقد كان بعث بين يدى ذلك سعداً فى ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز . قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ثم رجع ولم يلق كيداً . هكذا ذكره ابن اسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدى لهذه البعوث الثلاثة ، أعنى بعث حمزة فى رمضان ، وبعث عبيدة فى شوال ، و بعث سعد فى ذى القعدة كلها فى السنة الاولى .

وقد قال الامام احمد : حدثنى عبد المتعال بن عبد الوهاب حدثنى يحيى بن سعيد . وقال عبد الله بن الامام احمد وحدثنى سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى حدثنا أبى ثنا المجالد عن زياد ابن علاقة عن سعد بن أبى وقاص قال لما قدم رسول الله (ص) المدينة جاءته جهينة فقالوا إنك قد نزلت بين أظهرنا فاوثق حتى نأتيك وقومنا ، فاوثق لهم فاسلموا قال فبعثنا رسول الله (ص) فى رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حى من بنى كنانة إلى جنب جهينة فاغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون فى الشهر الحرام ؟ فقال بعضنا لبعض ما ترون ؟ فقال بعضنا نأتى نبى الله فنخبره ، وقال قوم لا بل نقيم ههنا ، وقلت أنا فى أناس معى لا بل نأتى عير قريش فنقتطعها . وكان الفئ إذ ذاك من أخذ شيئا فهو له ، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبى (ص) فاخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه . فقال : « أذهبتم من عندى جميعا و رجعتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لابعثن عليكم رجلا ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش الاسدى فكان أول أمير فى الاسلام . وقد رواه البيهقى فى الدلائل من حديث يحيى بن أبى زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لاصحابه : لم تقاتلون فى الشهر الحرام فقالوا نقاتل فى الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام ثم رواه من حديث أبى أسامة عن مجالد عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك عن سعد بن أبى وقاص فذكر نحوه فادخل بين سعد و زياد قطبة بن مالك وهذا أنسب والله أعلم . وهذا الحديث يقتضى أن أول السرايا عبد الله بن جحش الاسدى وهو خلاف ما ذكره ابن اسحاق أن أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللواقدى حديث زعم أن أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب والله أعلم .

باب سرية عبد الله بن جحش

التى كان سببها لغزوة بدر العظمى[1] وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير

قال ابن اسحاق : و بعث رسول الله (ص) عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدى فى رجب

(١) كذا بالاصلين ، ولعلها : التى كانت سببا لغزوة بدر العظمى .

مقفله من بدر الاولى و بعث معـه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهـم من الانصار أحد ، وهم أبو حذيفة بن عتبة ، وعكاشة بن محصن بن حرثان حليف بنى أسد بن خزيمة ، وعتبة بن غزوان حليف بنى نوفل ، وسعد بن أبي وقاص الزهرى ، وعامر بن ربيعة الوائلى حليف بنى عدى ، و واقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمى حليف بنى عدى أيضا ، وخالد بن البكير أحد بنى سعد بن ليث حليف بنى عدى أيضا ، وسهل بن بيضاء الفهرى فهؤلاء سبعة ثامنهم أميرهم عبد الله ابن جحش رضى الله عنه . وقال يونس عن ابن اسحاق : كانوا ثمانية وأميرهم التاسع فالله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً . فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فاذا فيه إذا نظرت فى كتابى فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر فى الكتاب قال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه بما فى الكتاب . وقال : قد نهانى أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع فاما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة ، فمرت عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى ، قال ابن هشام . واسم الحضرمى عبد الله بن عباد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فاشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه . فلما رأوه أمنوا ، وقال عمار : لا بأس عليكم منهم وتشاور الصحابة فيهم وذلك فى آخر يوم من رجب فقالوا والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد ابن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فاعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ . وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لاصحابه : ان لرسول الله ﷺ، فيما غنمنا الخمس فعزله وقسم الباقى بين أصحابه وذلك قبل أن ينزل الخمس . قال لما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله ابن اسحاق، فلما قدموا على رسول الله ﷺ، ال : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » فوقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا لما قال ذلك رسول الله ﷺ، أسقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم أخوانهم من

المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان ، وقالت يهود تفائل بذلك على رسول الله ص عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله ، عمرو عمرت الحرب ، والحضرمى حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم ، فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ص [يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا] أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة أكبر من القتل أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) الآية .

قال ابن اسحاق . فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق ، قبض رسول الله ص العير والاسيرين ، وبعثت قريش فى فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله ص « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا » ـ يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان ـ فانا نخشاكم عليهما . فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعتبة فافداهما رسول الله ص فاما الحكم بن كيسان فاسلم فحسن اسلامه وأقام عند رسول الله ص ، حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً قال ابن اسحاق : فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا فى الأجر ، فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فانزل الله فيهم [إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم] فوصفهم (١) الله من ذلك على أعظم الرجاء . قال ابن اسحاق . والحديث فى ذلك عن الزهرى ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى وكذا روى شعيب عن الزهرى عن عروة نحواً من هذا وفيه : وكان ابن الحضرمى أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين . وقال عبد الملك بن هشام . هو أول قتيل قتله المسلمون ، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

(١) كذا بالاصلين ، وفى ابن هشام : فوضعهم الله من ذلك ولعله الصواب .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الامام احمد عن سعد بن أبى وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير فى الاسلام . وقد ذكرنا فى التفسير لما أورده ابن اسحاق شواهد مسندة فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثنى الحضرمى عن أبى السوار عن جندب بن عبدالله أن رسول الله (ص) بعث رهطا و بعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح . أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب بكى صبابة إلى رسول الله (ص) فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا . وقال « لا تكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك » فلما قرأ الكتاب استرجع وقال سمعا وطاعة لله ولرسوله ، فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع منهم رجلان و بقى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمى فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم فى الشهر الحرام ، فأنزل الله [يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير] الآية . وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وذلك أن رسول الله (ص) بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة وسعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان وسهل بن بيضاء وعامر بن فهيرة و واقد بن عبد الله اليربوعى حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب لابن جحش كتابا وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فاذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص فانى موص وماض لأمر رسول الله (ص) . فسار وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة فاذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة . فذكر قتل واقد لعمرو بن الحضرمى ورجعوا بالغنيمة والاسيرين فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون . وقال المشركون إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا فى رجب . وقال المسلمون إنما قتلناه فى جمادى . قال السدى وكان قتلهم له فى أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

قلت : لعل جمادى كان ناقصا فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رؤى تلك الليلة فالله أعلم . وهكذا روى العوفى عن ابن عباس أن ذلك كان فى آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا وكذا تقدم فى حديث جندب الذى رواه ابن أبى حاتم . وقد تقدم فى سياق ابن اسحاق أن ذلك كان فى آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة و ينتهزوا هذه الفرصة دخل أولئك فى الحرم فيتعذر عليهم ذلك فأقدموا عليهم عالمين بذلك وكذا قال الزهرى

عن عروة رواه البيهقى فالله أعلم أى ذلك كان . قال الزهرى عن عروة فبلغنا أن رسول الله ﷺ عقل ابن الحضرمى وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله براءة رواه البيهقى .

قال ابن اسحاق : فقال أبو بكر الصديق فى غزوة عبد الله بن جحش جوابا للمشركين فيما قالوا من احلال الشهر الحرام . قال ابن هشام هى لعبد الله بن جحش :

تَعدّون قتلاً فى الحرام عظيمةً ... وأعظمُ منه لو يرى الرُّشْدَ راشد
صُدودُكم عمّا يقولُ محمد ... وكفرٌ به والله راءٍ وشاهد
واخراجُكم من مسجد الله أهلَه ... لئلا يُرى لله فى البيتِ ساجد
فانّا وإن عيّرتمونا بقتله ... وأرجفَ بالاسلام باغٍ وحاسد
سقَينا من ابنِ الحضرمي رماحَنا ... بنخلةَ لما أوقدَ الحربَ واقد
دماً وابن عبدِ الله عثمان بيننا ... ينازِعُه غلٌّ من القيدِ عانـد

فصل

في تحويل القِبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم كان ذلك فى رجب من سنة ثنتين و به قال قتادة و زيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن اسحاق . وقد روى احمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتى والله أعلم . وقيل فى شعبان منها . قال ابن اسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش : و يقال صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدى فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة . قال الجهور الاعظم : إنما صرفت فى النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة. ثم حكى عن محمد بن سعد عن الواقدى أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وفى هـذا التحديد نظر والله أعلم . وقـد تـكلمنا على ذلك مستقصى فى التفسير عند قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وأن الذين أو رثوا الـكتاب يعلمون أنه الحق من ربهـم وما الله بغافل عما تعملون) . وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك لانه أول نسخ وقع فى الاسلام هـذا وقد أحال الله قبـل ذلك فى سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله (ما ننسخ من آية ، أو ننسأها[1] نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) وقد قال البخارى حدثنا أبو نعيم

(١) كذا فى الاصلين : ننسأها وهى قراءة أبى عمرو . وقراءة حفص نُنْسها .

سمع زهيراً عن أبى اسحاق عن البراء أن النبي (ص) صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ـ أو سبعة عشر شهراً ـ وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي (ص) قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندرما نقول فيهم فأنزل الله (وما كان الله ليضيع ايمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم) رواه مسلم من وجه آخر. وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء. قال. كان رسول الله (ص) قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر ـ أو سبعة عشر ـ شهراً، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله [قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام]. قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس — وهم اليهود — ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها. فأنزل الله [قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم] وحاصل الامر أن رسول الله (ص) كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الامام احمد عن ابن عباس رضى الله عنه، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً — أو سبعة عشر شهراً — وهذا يقتضى أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم. وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبلة ابراهيم وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلا ذلك فأنزل الله عز وجل [قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام] الآية. فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله (ص) المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائى عن أبى سعيد بن المعلى وأن ذلك كان وقت الظهر. وقال بعض الناس نزل تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد وغيره ويؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثانى كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر. قال: بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله (ص) قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة، وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك. والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والاغبياء قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله لما يجدونه من صفة محمد (ص) فى كتبهم من أن المدينة مهاجره وأنه سيؤمر

بالاستقبال إلى الكعبة كما قال (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) الآية وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونعتهم فقال (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) أى هو المالك المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه الذى يفعل ما يشاء فى خلقه ويحكم ما يريد فى شرعه وهو الذي يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن الطريق القويم وله فى ذلك الحكمة التى يجب لها الرضا والتسليم ثم قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى خياراً (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) أى وكما اخترنا لكم أفضل الجهات فى صلاتكم وهدينا كم إلى قبلة أبيكم ابراهيم والد الانبياء بعد التى كان يصلى بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلنا كم خيار الامم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم التالد والطارف لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لاجماعهم عليكم واشارتهم يومئذ بالفضيلة اليكم كما ثبت فى صحيح البخارى عن أبى سعيد مرفوعا من استشهاد نوح بهذه الامة يوم القيامة وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الاولى والاحرى . ثم قال تعالى مبينا حكمته فى حلول نقمته بمن شك وارتاب بهذه الواقعة . وحلول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة فقال . (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول) . قال ابن عباس : إلا لنرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكبيرة أى وان كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر إلا على الذى هدى الله أى فهم مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون و يؤمنون ويعملون لانهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم وقوله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة اليه (إن الله بالناس لرؤف رحيم) والاحاديث والآثار فى هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها وذلك مبسوط فى التفسير وسنزيد ذلك بيانا فى كتابنا الاحكام الكبير . وقد روى الامام احمد حدثنا على بن عاصم حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) - يعنى فى أهل الكتاب - : « إنهم لم يحسدونا على شئ كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله اليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا ، وعلى قولنا خلف الامام آمين » .

فصل

في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر

قال ابن جرير : وفى هذه السنة فرض صيام شهر رمضان وقد قيل إنه فرض فى شعبان منها ، ثم

حكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه فقالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى فقال : « نحن أحق بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه ، وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين عن ابن عباس وقد قال الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر] الآية وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية من ايراد الاحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية فى ذلك والاحكام المستفادة منه ولله الحمد

وقد قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودى حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن معاذ بن جبل . قال : احيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فذكر أحوال الصلاة . قال وأما أحوال الصيام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) إلى قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فاجزأ ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) إلى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فاثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وأثبت الاطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام فهذان حولان قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فاذا ناموا امتنعوا . ثم إن رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فاصبح صائما ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهداً شديداً فقال « مالى أراك قد جهدت جهداً شديداً » فاخبره ، قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم) إلى قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) . ورواه أبو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه من حديث المسعودى نحوه وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة أنها قالت : كان عاشوراء يصام ، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وللبخارى عن ابن عمر وابن مسعود مثله . ولتحرير هذا موضع آخر من التفسير ومن الاحكام الكبير وبالله المستعان .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب

الناس قبل الفطر بيوم ـ أو يومين ـ وأمرهم بذلك. قال وفيها صلى النبي ﷺ صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى فكان أول صلاة عيد صلاها وخرجوا بين يديه بالحربة وكانت للزبير وهبها له النجاشي فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد .

قلت : وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى ، به الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بدر العظمى * يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وقال الله تعالى [كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون] وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الانفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه .

قال ابن اسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلا ـ أو أربعون ـ منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص . قال موسى بن عقبة عن الزهري كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين ، قال وكان في العير الف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى فلهذا تخلف عن بدر .

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رودان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا : لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم وقال « هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » فانتدب الناس فخفف بعضهم وثقل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا ، وكان أبو

سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس (١) من لقي من الركبان تخوفا على أموال (٢) الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة قال ابن اسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس. ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قالا . وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا افزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم على ما أحدثك ، قال لها وما رأيت ؟ قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلا صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها . ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى إذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة قال العباس . والله إن هذه لرؤيا وأنت فاكتميها لا تذكريها لاحد ، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة ـ وكان له صديقا ـ فذكرها له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابنه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش ، قال العباس فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل ابن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فاقبل الينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل . يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال قلت وما ذاك ؟ قال تلك الرؤيا التى رأت عاتكة قال قلت وما رأت ؟ قال يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم !! قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فسيكون . وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب ، قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبير شئ إلا أنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئا ، قال ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبدالمطلب إلا أتتنى فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت ؟ قال قلت قد والله فعلت ما كان منى اليه من كبير ، وايم الله لأتعرضن له فاذا عاد

---

(١) فى الاصلين : يتجسس بالجيم ، وفى ابن هشام يتحسس بالحاء المهملة وشرحهما السهيلى فقال : يتبسمع . (٢) كذا فى الحلبية وفى المصرية على أمر الناس ، وفى ابن هشام عن أمر الناس .

لا كفيكنه ، قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله إنى لامشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، قال قلت فى نفسى ماله لعنه الله أ كل هـذا فرق منى أن أشاتمه ؟ ! و إذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول · يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر ؛ فتجهز الناس سراعا وقالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ؟ والله ليعلمن غير ذلك . وذكر موسى بن عقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن اسحاق . قال فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصعب والذلول .

قال ابن اسحاق : فكانوا بين رجلين إما خارج و إما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من اشرافها أحد الا ان أبا لهب بن عبدالمطلب بعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة استأجره باربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها . قال ابن اسحاق : وحدثنى ابن أبى نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبى معيط وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا على استجمر فانما أنت من النساء قال قبحك الله وقبح ما جئت به ، قال ثم تجهز وخرج مع الناس هكذا قال ابن اسحاق فى هذه القصة . وقد رواها البخارى على نحو آخر فقال حدثنى احمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة ثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى اسحاق حدثنى عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقا لامية بن خلف وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله (ص) المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة ، قال سعد لامية أنظر لى ساعة خلوه لعلى أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل ، فقال يا صفوان من هذا معك ؟ قال هذا سعد . قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أويتم الصباه وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما ، فقال له سعد ــ ورفع صوته عليه ــ أما والله لئن منعتنى هـذا لامنعنك ما هو أشد عليك منـه طريقك على المدينة . فقال له أمية لا ترفع صوتك ياسعد على أبى الحكم فانه سيد أهل الوادى ، قال سعد دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنهم قاتلوك » قال بمكة ؟ قال لا أدرى ؟ ففزع لذلك أميـة فزعا شديداً

فلما رجع إلى أهله قال يا أم صفوان ألم ترى ما قال لى سعد ؟ قالت وما قال لك قال زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلى ، فقلت له بمكة قال : لا أدرى فقال أمية والله لا أخرج من مكة فلما كان يوم بدر . استنفر أبو جهل الناس فقال أدركوا عيركم ، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادى تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى قال أما إذ عبتنى فوالله لاشترين أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية يا أم صفوان جهزينى فقالت له يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربى قال لا وما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا ، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا الا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر . وقد رواه البخارى فى موضع آخر عن محمد بن اسحاق عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق به نحوه ، تفرد به البخارى . وقد رواه الامام احمد عن خلف بن الوليد وعن أبى سعيد كلاهما عن اسرائيل وفى رواية اسرائيل قالت له امرأته . والله إن محمداً لا يكذب .

قال ابن اسحاق . ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كانوا بينهم وبين بنى بكر ابن عبد مناة بن كنانة من الحرب . فقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر فى ابن لحفص بن الاخيف من بنى عامر بن لؤى قتله رجل من بنى بكر باشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح ، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص فقتل عامراً وخاض بسيفه فى بطنه ثم جاء من الليل فعلقه باستار الكعبة فخافوهم بسبب ذلك الذى وقع بينهم

قال ابن اسحاق : فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما اجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر فكاد ذلك أن يثنيهم ، فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة ابن مالك بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة . فقال : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه . فخرجوا سراعا . قلت : وهذا معنى قوله تعالى [ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط . وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برئ منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب] غرهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وراياته كما قاله غير واحد منهم ، فأسلمهم لمصارعهم . فلما رأى الجد والملائكة تنزل للنصر وعاين جبريل نكص على عقبيه وقال إنى برئ منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله . وهذا كقوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك إنى أخاف الله رب العالمين) وقد قال الله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) فابليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهباً فكان أول من

هزب يومئذ بعد أن كان هو المشجع لهم المجير لهم كما غرهم ووعدهم ومناهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وقال يونس عن ابن اسحاق خرجت قريش على الصعب والذلول فى تسعمائة وخمسين مقاتلا معهم مائتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين . وذكر المطعمين لقريش يوما يوما ، وذكر الاموى أن أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشراً ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشراً ، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظلوا فيها وأقاموا بها يوما فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعا ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشرا ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشرا ، ونحر لهم على ماء بدر أبو البحترى عشرا ، ثم أكلوا من ازوادهم . قال الأموى حدثنا أبى حدثنا أبو بكر الهذلى قال كان مع المشركين ستون فرساً وستمائة درع وكان مع رسول الله (ص) فرسان وستون درعا .

هذا ما كان من أمر هؤلاء فى نفيرهم من مكة ومسيرهم إلى بدر . وأما رسول الله (ص) فقال ابن اسحاق : وخرج رسول الله (ص) فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب ابن عمير وكان أبيض ، وبين يدى رسول الله (ص) رايتان سوداوان إحداهما مع على بن أبى طالب يقال لها العقاب ، والاخرى مع بعض الانصار . قال ابن هشام كانت راية الانصار مع سعد بن معاذ وقال الاموى كانت مع الحباب بن المنذر . قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) على الساقة قيس بن أبى صعصعة أخا بنى مازن بن النجار . وقال الاموى : وكان معهم فرسان على إحداهما مصعب بن عمير وعلى الاخرى الزبير بن العوام [1] ومن سعد بن خيثمة ومن المقداد بن الاسود . وقد روى الامام احمد من حديث أبى اسحاق عن حارثة بن مضرب عن على قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وروى البيهقى من طريق ابن وهب عن أبى صخر عن أبى معاوية البلخى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عليا قال له : ما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود ـ يعنى يوم بدر ـ وقال الاموى حدثنا أبى حدثنا اسماعيل بن أبى خالد عن التيمى قال : كان مع رسول الله (ص) يوم بدر فارسان ، الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد بن الاسود على الميسرة .

قال ابن اسحاق : وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها ، فكان رسول الله (ص) وعلى ومرثد بن

(١) قوله ومن سعد الى الأسود . كذا فى الأصلين ولم نقف على صحتها فيما بأيدينا من كتب السير ولعله (ويتعقبانهما مرة سعد بن خيثمة ومرة المقداد بن الاسود .

أبي مرثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة يعتقبون بعيراً . كذا قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى . وقد قال الامام احمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود . قال . كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلى زميلي رسول الله (ص) . قال فكانت عقبة رسول الله (ص) ، فقالا نحن نمشي عنك . فقال : «ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الاجر منكما » وقد رواه النسائي عن الفلاس عن ابن مهدى عن حماد بن سلمه به . قلت ولعل هذا كان قبل أن يرد أبالبابة من الروحاء ، ثم كان زميلاه على ومرثد بدل أبي لبابه والله أعلم وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتاده عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة : أن رسول الله (ص) . أمر بالاجراس أن تقطع من أعناق الابل يوم بدر ، وهذا على شرط الصحيحين . و إنما رواه النسائي عن أبي الاشعث عن خالد ابن الحارث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به . قال شيخنا الحافظ المزى في الاطراف وتابعه سعيد بن بشير عن قتادة . وقد رواه هشام عن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة فالله أعلم . وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب . قال سمعت كعب بن مالك يقول . لم أتخلف عن رسول الله (ص) في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله (ص) ، يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد تفرد به .

قال ابن اسحاق . فسلك رسول الله (ص) طريقه من المدينه إلى مكه على نقب المدينه ثم على العقيق ثم على ذى الحليفة ثم على أولات الجيش ثم مر على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام ثم على صخيرات اليمامة ثم على السيالة ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية لقى رجلا من الاعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً . فقال له الناس سلم على رسول الله (ص) . قال أوفيكم رسول الله (ص) ، قالوا نعم ! فسلم عليه ثم قال : لئن كنت رسول الله فاخبرني عما في بطن ناقتي هذه : قال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسأل رسول الله (ص) ، وأقبل علىّ فانا أخبرك عن ذلك ، نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة . فقال رسول الله (ص) ، مه أفحشت على الرجل ، ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله (ص) سجسج وهي بئر الروحاء ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا ؟ فسلك في ناحية منها حتى إذا جزع [1] واديا يقال له رحقان بين النازية و بين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم

(١) جزعة أى قطعه ولا يكون الا عرضا ، وجزع الوادى منقطعه .

انصب منه حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة وعدى ابن أبى الزغباء حليف بنى النجار إلى بدر يتحسسان الاخبار عن أبى سفيان صخر بن حرب وعيره وقال موسى بن عقبة بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس اليها فان كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن اسحاق محفوظا فقد بعثهما مرتين والله أعلم .

قال ابن اسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسول الله (ص) وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء وهى قرية بين جبلين سأل عن جبليها ما اسماؤها ؟ فقالوا يقال لاحدهما مسلح وللآخر مخرئ ، وسأل عن أهلهما فقيل بنو النار ، و بنو حراق ، بطنان من غفار فكرههما رسول الله (ص) والمرور بينهما وتفاءل باسمائهما وأسماء أهلهما فتركهما والصفراء بيسار وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله (ص) خيرا ودعا له . ثم قال رسول الله (ص) : « أشيروا علىّ أيها الناس » وإنما يريد الانصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فاذا وصلت الينا فانت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله (ص) يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله (ص) ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال « أجل » قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله قال فسر رسول الله (ص) بقول سعد ونشطه ثم قال : « سيروا وابشروا فان الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم » هكذا رواه ابن اسحاق رحمه الله . وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به ، أتى النبى (ص) وهو يدعو

على المشركين . فقال : لا نقول كما قال قوم موسى لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره انفرد به البخاري دون مسلم فرواه في مواضع من صحيحه من حديث مخارق به ورواه النسائي من حديثه وعنده : وجاء المقداد بن الاسود يوم بدر على فرس فذكره . وقال الامام احمد حدثنا عبيدة - هو ابن حميد - عن حميد الطويل عن أنس قال : استشار النبي ﷺ مخرجه إلى بدر فاشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم فاشار عليه عمر، ثم استشارهم فقال بعض الانصار . إياكم يريد رسول الله يامعشر الانصار . فقال بعض الانصار : يارسول الله إذا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن والذى بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك وهذا اسناد ثلاثى صحيح على شرط الصحيح . وقال احمد أيضا حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فتكلم أبو بكر فاعرض عنه ثم تكلم عمر فاعرض عنه فقال سعد بن عبادة إيانا يريد رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لاخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ، فندب رسول الله ﷺ الناس قال فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج ، فاخذوه وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول مالى علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف فاذا قال ذلك ضربوه فاذا ضربوه قال نعم ! أنا أخبركم هذا أبو سفيان فاذا تركوه فسألوه قال مالى بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية ، فاذا قال هذا أيضاً ضربوه ورسول الله ﷺ قائم يصلى ، فلما رأى ذلك انصرف فقال والذى نفسى بيده انكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذبكم . قال وقال رسول الله ﷺ : هذا مصرع فلان يضع يده على الارض ههنا وههنا ، فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ ، ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به نحوه . وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه — واللفظ له — من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الانصارى يقول قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : « إنى أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمناها ؟ » فقلنا نعم ! فخرج وخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا « ما ترون في القوم فانهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ » فقلنا لا والله مالنا طاقة بقتال القوم ولكنا أردنا العير ، ثم قال « ما ترون في قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك فقام المقداد بن عمرو [فقال] : إذا لا نقول لك يارسول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، قال فتمنينا معشر الانصار لو أنا

فلنا مثل ما قال المقداد أحب الينا من أن يكون لنا مال عظيم فأنزل الله عز وجل على رسوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) وذكر تمام الحديث . وروى ابن مردويه أيضا من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى عن أبيه عن جده . قال خرج رسول الله (ص) إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر يارسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا ، قال ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبى بكر ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال سعد بن معاذ يارسول الله ايانا تريد ؟ فوالذى أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لى بها علم ، ولئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم متبعون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله اليك غيره فانظر الذى أحدث الله اليك فامض فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت . فنزل القرآن على قول سعد [كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون] الآيات . وذكره الاموى فى مغازيه وزاد بعد قوله وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت،وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت . وما أمرت به من أمر فامرنا تبع لأمرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك .

قال ابن اسحاق : ثم ارتحل رسول الله (ص) من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الاصافر ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدية [(١)] وترك الحنّان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم ، ثم نزل قريبا من بدر فركب هو وزجل من أصحابه . قال ابن هشام هو أبو بكر . قال ابن اسحاق ــ كما حدثنى محمد بن يحيى بن حبان ــ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله (ص) إذا أخبرتنا أخبرناك فقال أو ذاك بذاك ؟ قال نعم ! قال الشيخ فانه بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به رسول الله (ص) وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمكان الذى به قريش ، فلما فرغ من خبره قال ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله (ص) « نحن من ماء » ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء أمن ماء العراق ؟ قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سفيان الضمرى .

(١) كذا فى الاصلين وابن هشام . وفى معجم البلدان وفى تاريخ ابن جرير فى هذا الخبر : الدبة بالباء الموحدة مشددة وهو الصحيح .

قال ابن اسحاق : ثم رجع رسول الله (ص) إلى أصحابه فلما أمسى بعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فاصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فاتوا بهما فسألوهما ورسول الله (ص) قائم يصلى فقالوا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لابى سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالا نحن لابى سفيان فتركوهما وركع رسول الله (ص) وسجد سجدتيه وسلم . وقال : « إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش ، أخبرانى عن قريش ؟ قالا هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، والكثيب العقنقل . فقال لهما رسول الله (ص) كم القوم ؟ قالا كثير . قال ما عدتهم ، قالا لا ندرى ، قال كم ينحرون كل يوم ؟ قالا يوما تسعاً ويوما عشرا . فقال رسول الله (ص) : « القوم ما بين التسعمائة إلى الالف » ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود . قال فاقبل رسول الله (ص) على الناس فقال : « هذه مكة قد القت اليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن اسحاق : وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تل قريب من الماء ثم أخذا شناً لهما يستقيان فيه . ومجدى بن عمرو الجهنى على الماء فسمع عدى وبسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء والملزومة تقول لصاحبتها إنما تأتى العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك . قال مجدى صدقت ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدى وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله (ص) .وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء . فقال لمجدى بن عمرو هل أحسست أحداً ؟ قال ما رأيت أحداً أنكره إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا ، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فاذا فيه النوى . فقال : هذه والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعا فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب ابن عبدمناف رؤيا . فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم وانى لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم ابن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم رأيته

ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه فبلغت أبا جهل لعنه الله فقال هذا أيضا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن اسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش انكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدراً وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا . وقال الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ـ وكان حليفا لبنى زهرة ـ وهم بالجحفة : يا بنى زهرة قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وانما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بى جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا فى غير ضيعة لاما يقول هذا قال فرجعوا فلم يشهدها زهرى واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقى بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس إلا بنى عدى لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الاخنس فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد . قال ومضى القوم وكان بين طالب بن أبى طالب ـ وكان فى القوم ـ وبين بعض قريش محاورة . فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم ـ وإن خرجتم معنا ـ أن هواكم مع محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال فى ذلك :

لاهُمَّ إما يغزوَنَّ طالبٌ فى عُصبةٍ مُحالِفٍ محاربْ
فى مِقْنَبٍ من هذه المقانبِ فليكنِ المسلوبَ غيرَ السالبْ
وليكن المغلوبَ غيرُ الغالب

قال ابن اسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل وبطن الوادى وهو يليل ، بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذى خلفه قريش ، والقليب ببدر فى العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة .

قلت : وفى هذا قال تعالى (اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) أى من ناحية الساحل (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا) الآيات . وبعث الله السماء وكان الوادى دهسا فاصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لبدلهم الارض ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

قلت وفى هذا قوله تعالى [وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام] فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطنا ، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته الخواطر ، وهذا تثبيت الباطن

والظاهر وأنزل النصر عليهم من فوقهم فى قوله (اذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق) أى على الرؤوس (واضربوا منهم كل بنان) أى لئلا يستمسك منهم السلاح (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ، ذلكم فذقوه وأن للكافرين عذاب النار) .

قال ابن جرير : حدثنى هارون بن اسحاق ثنا مصعب بن المقدام ثنا اسرائيل ثنا أبو اسحاق عن حارثة عن على بن أبى طالب . قال : أصابنا من الليل طش من المطر - يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله (ص) - يعنى قائما يصلى - وحرض على القتال . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن أبى اسحاق عن حارثة بن مضرب عن على . قال : ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد : ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله (ص) تحت شجرة يصلى و يبكى حتى أصبح ، وسيأتى هذا الحديث مطولا . ورواه النسائى عن بندار عن غندر عن شعبة به ، وقال مجاهد : أنزل عليهم المطر فاطفأ به الغبار وتلبدت به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله (ص) تلك الليلة يصلى إلى جذم شجرة هناك ، ويكثر فى سجوده أن يقول « يا حى ياقيوم » يكرر ذلك ويلظ به عليه السلام .

قال ابن اسحاق : فخرج رسول الله (ص) يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به قال ابن اسحاق : فحدثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجموح . قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه . أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله (ص) : « لقد أشرت بالرأى » . قال الاموى حدثنا أبى قال وزعم الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس . قال بينا رسول الله (ص) يجمع الاقماص [1] وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام فقال رسول الله (ص) : « هو السلام ومنه السلام واليه السلام » فقال الملك إن الله يقول لك ان الأمر [هو] الذى أمرك به الحباب بن المنذر . فقال رسول الله (ص) ياجبريل هل تعرف هذا ؟ فقال ما كل أهل السماء أعرف وانه لصادق وما هو بشيطان فنهض رسول الله (ص) ومن معه من الناس

(١) الاقماص : كذا فى الاصلين ولم نعثر على هذا النص فى غيرها .

فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليـه ثم أمر بالقلب فعورت ، و بنى حوصا على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية . وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله (ص) نزل ملك من السماء وجبريل عند النبى ص ، فقال الملك يا محمد ربك يقرأ عليك السلام و يقول لك ان الرأى ما أشار به الحباب ، فنظر رسول الله (ص) الى جبريل فقال ليس كل الملائكه أعرفهم وأنه ملك وليس بشيطان . وذكر الاموى أنهم نزلوا على القليب الذى يلى المشركين نصف الليل وأنهم نزلوا فيه واستقوا منـه وملؤا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء .

قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر انه حدث ان سعد بن معاذ . قال : يا نبى الله ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله واظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن باشد حبالك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ينصاحونك و يجاهدون معك فاثنى عليه رسول الله (ص) خيراً ودعا له بخير ، ثم بنى لرسول الله (ص) عريش كان فيه

قال ابن اسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فاقبلت ، فلما رآها رسول الله (ص) تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذى جاؤا منه إلى الوادى . قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم أحنهم [1] الغداة » . وقد قال رسول الله (ص) وقد رأى عتبة بن ربيعة فى القوم وهو على جمل له احمر « إن يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر » إن يطيعوه يرشدوا قال : وقد كان خفاف بن ايماء بن رحضة أو أبوه ايماء بن رحضة الغفارى ، بعث إلى قريش ابناله بجزائر أهداها لهم . وقال : « إن أحببتم أن نمدكم بسلاح و رجال فعلنا » قال فارسلوا اليه مع ابنه أن وصلتك رحم ، وقد قضيت الذى عليك ، فلعمرى إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ، و إن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لاحد بالله من طاقة . قال فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله (ص) فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله (ص) دعوهم فما شرب منـه رجل يومئذ إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن اسلامه فكان إذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى يوم بدر .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله (ص) يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كما سيأتى بيان ذات

(١) أحنهم : أى أهلكهم من الحين وهو الهلاك ذكره الخشنى فى غريب السيرة .

فى فصل نعقده بعد الوقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله

ففى صحيح البخارى عن البراء . قال : كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلثمائة و بضع عشرة على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ؛ وما جاوزه معه إلا مؤمن . وللبخارى أيضا عنه قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين ، والانصار نيفا وأربعون ومائتان . وروى الامام احمد عن نصر بن رئاب عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه . قال : كان أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر ؛ وكان المهاجرون ستة وسبعين وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين من شهر رمضان يوم الجمعة . وقال الله تعالى [إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم] الآية . وكان ذلك فى منامه تلك الليلة وقيل إنه نام فى العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فدنا القوم منهم فجعل الصديق يوقظه و يقول يارسول الله دنوا منا فاستيقظ ، وقد أراه الله إياهم فى منامه قليلا ذكره الاموى وهو غريب جداً . وقال تعالى [و إذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا و يقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا] . فعند ما تقابل الفريقان قلل الله كلا منهما فى أعين الآخرين ليجترئ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء لما له فى ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارض لقوله تعالى فى سورة آل عمران (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء) فان المعنى فى ذلك على أصح القولين أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلى عدد الكافرة على الصحيح أيضا ، وذلك عند التحام الحرب والمسابقة أوقع الله الوهن والرعب فى قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولا بان أراهم إياهم عند المواجهة قليلا ، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم فى أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا ولهذا قال (والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لاولى الابصار) . قال اسرائيل عن أبى اسحاق عن أبى عبيدة وعبد الله . لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى أنى لأقول لرجل الى جنبى أتراهم سبعين ؟ فقال أراهم مائة

قال ابن اسحاق : وحدثنى أبى اسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الانصار قالوا : لما أطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا احزر لنا القوم أصحاب محمد ، قال فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا ، أو ينقصون ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد . قال فضرب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع اليهم فقال : ما رأيت شيئا ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل

رجلا منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم ؟ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال وما ذاك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي قال قد فعلت أنت على بذلك ، إنما هو حليفي فعلى عقله وما أصيب من ماله . فأت ابن الحنظلية — يعني أبا جهل — فانى لا أخشى أن يسجر[1] أمر الناس غيره ، ثم قام عتبة خطيباً فقال : يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر اليه ، قتل ابن عمه ـ أو ابن خاله ـ أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد و بين سائر العرب ، فان أصابوه فذلك الذي أردتم ، و إن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا فهو يهنئها[2] فقلت له يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني اليك بكذا وكذا فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا و بين محمد ، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي . فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه . قال فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم اليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره قال : سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو ، ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له .

وقد روى ابن جرير من طريق مسور بن عبد الملك اليربوعي عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن ، قال ائذن له فلما دخل قال : مرحبا يا أبا خالد أدن ، فحال عن صدر المجلس حتى جلس بينه و بين الوسادة ثم استقبله فقال : حدثنا حديث بدر . فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها فلم يشهد أحد من مشركيهم بدراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التي قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت يا أبا الوليد هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال أفعل ماذا ؟ قلت إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي وهو حليفك ، فتحمل بديته و يرجع

(١) في ابن هشام بالشين المعجمة . (٢) في الحلبية مهملة من النقط ، وفي سيرة ابن هشام يهيئها ومعنى يهنئها يتفقدها و يصلحها . عن محمود الامام .

الناس . فقال أنت على بذلك وأذهب الى ابن الحنظلية - يعنى أبا جهل - فقل له هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئته فاذا هو فى جماعة من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابن الحضرمى واقف على رأسه وهو يقول : فسخت عقدى من عبد شمس ، وعقدى اليوم إلى بنى مخزوم فقلت له يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك أن ترجع اليوم بمن معك ؟ قال أما وجد رسولا غيرك ؟ قلت لا ولم أكن لأكون رسولا لغيره . قال حكيم فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتنى من الخبر شئ وعتبة متكئ على ايماء بن رحضة الغفارى ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر . فطلع أبو جهل الشر فى وجهه فقال لعتبة انتفخ سحرك ؟ فقال له عتبة : ستعلم ، فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال ايماء بن رحضة بئس الفأل هذا ، فعند ذلك قامت الحرب . وقد صف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعباهم أحسن تعبية فروى الترمذى عن عبدالرحمن بن عوف قال صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ليلا . وروى الامام احمد من حديث ابن لهيعة حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن أسلم أبا عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف فنظر اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال . « معى معى » تفرد به احمد وهذا اسناد حسن

وقال ابن اسحاق وحدثنى حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفى يده قدح يعدل به القوم . فمر بسواد بن غزية حليف بنى عدى ابن النجار وهو مستنتل من الصف . فطعن فى بطنه بالقدح وقال « استو يا سواد » فقال يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدنى فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال استقد ، قال فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال ما حملك على هذا ياسواد ؟ قال يارسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له رسول الله بخير صلى الله عليه وسلم وقاله . قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال « غمسه يده فى العدو حاسرا » فنزع درعا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضى الله عنه . قال ابن اسحاق ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره . وقال ابن اسحاق : وغيره وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه واقفا على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الانصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا عليه من أن يدهمه العدو من المشركين والجنائب النجائب مهيأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان احتاج اليها ركبها ورجع الى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ . وقد روى البزار فى مسنده من حديث محمد بن عقيل عن على أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين . فقال أما إنى ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا

من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى اليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ ، لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه فهذا أشجع الناس قال ولقد رأيت رسول الله ﷺ ، وأخذته قريش فهذا يحاده ، وهذا يتلتله و يقولون أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب و يجاهد هذا و يتلتل هذا وهو يقول . و يلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم رفع علىّ بردة كانت عليـه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال . أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال على : فوالله لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهـذا رجل أعلن إيمانه . ثم قال البزار لا نعلمه يروى الا من هـذا الوجه . فهذه خصوصية للصديق حيث هو مع الرسول فى العريش كما كان معه فى الغار رضى الله عنـه وأرضاه . و رسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرع والدعاء و يقول فيما يدعو به « اللهم إنك ان تهلك هـذه العصابة لا تعبد بعدها فى الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل و يقول « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم نصرك » ويرفع يديه الى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه . وجعل أبو بكر رضى الله عنه يلتزمه من ورائه و يسوى عليه رداءه و يقول مشفقا عليه من كثرة الابتهال : يارسول الله بعض مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك .

[هكذا حكى السهيلى عن قاسم بن ثابت أن الصديق انما قال بعض مناشدتك ربك من باب الاشفاق لمـا رأى من نصبه فى الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يارسول الله أى لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر ، وكان رضى الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق عـلى رسول الله ﷺ . وحكى السهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى بانه قال : كان رسول الله ﷺ ، فى مقام الخوف والصديق فى مقام الرجاء وكان مقام الخوف فى هذا الوقت — يعنى أكمل — قال لأن لله أن يفعل ما يشاء فخاف أن لا يعبد فى الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة . قلت وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام فى مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود على قائله إذ لم يتذكر هذا القائل عور ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم] (١) .

هذا وقد تواجه الفئتان وتقابل الفريقان وحضر الخصمان بين يدى الرحمن واستغاث بربه سيد الانبياء وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الارض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء . فكان أول من قتل من المشركين الاسود بن عبد الاسد المخزومى . قال ابن اسحاق : وكان رجـلا شرساً سيء الخلق فقال : أعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لأهدمنـه أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبـد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع

(١) ما بين المربعين من المصرية فقط .

على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن تبر يمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض. قال الاموى: فحمى عنـد ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته، فبرز بين أخيـه شيبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عفراء، والثالث عبد الله بن رواحة - فيما قيل - فقالوا من أنتم؟ قالوا رهط من الانصار. فقالوا مالنا بكم من حاجـة. وفى رواية فقالوا أكفاء كرام ولـكن أخرجوا الينا من بنى عمنا، ونادى مناديهم: يامحمـد اخرج الينا أكفاءنا من قومنا. فقال النبي ص: «قم ياعبيدة بن الحارث، وقم ياحمزة، وقم ياعلى» وعند الاموى أن النفر من الانصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله ص لانه أول موقف واجه فيه رسول الله ص أعداءه فاحب أن يكون أولئك من عشيرته فامرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج.

قال ابن اسحاق فلما دنوا منهم قالوا من أنتم؟ — وفى هذا دليل أنهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح — فقال: عبيدة عبيدة، وقال حمزة حمزة، وقال على على قالوا نعم اكفاء كرام. فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علـى الوليد بن عتبة. فاما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله وأما على فلم يمهل الوليد ان قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلىّ باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رضى الله عنه.

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى مجلز عن قيس بن عُباد عن أبى ذر أنه كان يقسم قسما أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا فى ربهـم) نزلت فى حمزة وصاحبه، وعتبة وصاحبه يوم برزوا فى بدر. هـذا لفظ البخارى فى تفسيرها. وقال البخارى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى ثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن على بن أبى طالب أنه قال. أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن عز وجـل فى الخصومة يوم القيامة قال قيس: وفيهـم نزلت (هذان خصمان اختصموا فى ربهـم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة، تفرد به البخارى. وقد أوسعنا الـكلام عليها فى التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة.

وقال الاموى حدثنا معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق عن ابن المبارك عن اسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله البهى. قال برز عتبة وشيبة والوليد وبرز اليهم حمزة وعبيدة وعلى. فقالوا تـكلموا نعرفـكم. فقال حمزة: أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب. فقال كفؤ كريم. وقال على: أنا عبدالله وأخو رسول الله، وقال عبيدة: أنا الذى فى الحلفاء، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوهم

فقتلهم الله . فقالت هند فى ذلك :

أعينيَّ جُودي بدمعٍ سَرِبْ   على خيرِ خندف لم ينقلبْ
تداعى له رهطُه غُدوةً   بنو هاشمٍ وبنو المطّلب
يُذيقونه حدَّ أسيافهم   يعلّونه بعدَ ما قد عَطِب

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولما جاؤا به إلى رسول الله (ص) أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله (ص) ، فاشرفه(١) رسول الله (ص) قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال : يارسول الله لو رآنى أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله

ونُسْلِمُه حتى نصرَّع دونه   ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل

ثم مات رضى الله عنه فقال رسول الله (ص) « أشهد أنك شهيد » رواه الشافعى رحمه الله وكان أول قتيل من المسلمين فى المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب رمى بسهم فقتله . قال ابن اسحاق فكان أول من قتل ، ثم رمى بعده حارثة بن سراقه أحد بنى عدى بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فاصاب نحره فمات . وثبت فى الصحيحين عن أنس أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان فى النظارة أصابه سهم غرب فقتله ، فجاءت أمه فقالت يارسول الله أخبرنى عن حارثة فان كان فى الجنة صبرت و إلا فليرين الله ما أصنع ـ يعنى من النياح ـ وكانت لم تحرم بعد . فقال لها رسول الله (ص) « ويحك أهبلت ، إنها جنان ثمان وان ابنك أصاب الفردوس الاعلى » .

قال ابن اسحاق . ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وقال : أمر رسول الله (ص) أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل . وفى صحيح البخارى عن أبى أسيد . قال قال لنا رسول الله (ص) يوم بدر إذا أكثبوكم ـ يعنى المشركين ـ فارموهم واستبقوا نبلكم وقال البيهقى أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار عن يونس ابن بكير عن أبى اسحاق حدثنى عبد الله بن الزبير قال : جعل رسول الله (ص) شعار المهاجرين يوم بدر يا بنى عبد الرحمن . وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الاوس يا بنى عبيد الله ، وسمى خيله خيل الله . قال ابن هشام : كان شعار الصحابة يوم بدر أحد أحد .

قال ابن اسحاق . ورسول الله (ص) فى العريش معه أبو بكر رضى الله عنه ـ يعنى وهو يستغيث الله عز وجل ـ كما قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

(١) فى السيرة الحلبية فأفرشه .

قال الامام احمد حدثنا أبو نوح قراد ثنا عكرمة بن عمار ثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله (ص) إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فاذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي (ص) القبلة وعليه رداؤه وازاره ثم قال : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد بعد في الأرض أبداً » فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه . فأتاه أبو بكر فاخذ رداءه فرده ثم التزمه من من ورائه ثم قال : يا رسول الله كفاك [(١)] مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله [إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين] وذكر تمام الحديث كما سيأتي وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار اليماني وصححه علي ابن المديني والترمذي ، وهكذا قال غير واحد عن ابن عباس والسدي وابن جرير وغيرهم إن هذه الآية نزلت في دعاء النبي (ص) يوم بدر ، وقد ذكر الاموي وغيره أن المسلمين عجوا الى الله عز وجل في الاستغاثة بجنابه والاستعانة به وقوله تعالى (بالف من الملائكة مردفين) أي ردفا لكم ومدداً لفئتكم رواه العوفي عن ابن عباس . وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم . وقال أبو كدينة عن قابوس عن ابن عباس (مردفين) وراء كل ملك ملك . وفي رواية عنه بهذا الاسناد (مردفين) بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة وقد روى علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس قال : وأمد الله نبيه والمؤمنين بالف من الملائكة ، وكان جبريل في خمسمائة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة ، وهذا هو المشهور . ولكن قال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا اسحاق ثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربعي عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير عن علي . قال : نزل جبريل في الف من الملائكة على ميمنة النبي (ص) وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل في الف من الملائكة على ميسرة النبي (ص) ، وأنا في الميسرة وروا. البيهقي في الدلائل من حديث محمد بن جبير عن علي فزاد : ونزل اسرافيل في الف من الملائكة وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة ، وهذا غريب وفي اسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الاقوال ويؤيدها قراءة من قرأ (بألف من الملائكة مردفين) بفتح الدال والله أعلم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم ثنا محمد بن سنان القزاز ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب أخبرني اسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبي رافع عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال ، ثم جئت

(١) في الحلبية : كذلك ، وفي المصرية : كذاك . والتصحيح من انسان العيون .

مسرعا لا نظر إلى رسول الله (ص) ما فعل ، قال فجئت فاذا هو ساجد يقول « يا حى يا قيوم يا حى يا قيوم » لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، حتى فتح الله على يده . وقد رواه النسائى فى اليوم والليلة عن بندار عن عبيدالله بن عبد المجيد أبى على الحنفى . وقال الاعمش عن أبى اسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود . قال ما سمعت مناشداً ينشد أشد من مناشدة محمد (ص) يوم بدر ، جعل يقول « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد » ثم التفت وكأن شق وجهه القمر . وقال « كأنى أنظر إلى مصارع القوم عشية » رواه النسائى من حديث الأعمش به . وقال لما التقينا يوم بدر قام رسول الله (ص) فما رأيت مناشداً ينشد حقا له أشد مناشدة من رسول الله (ص) وذكره . وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رؤس المشركين يوم بدر فى صحيح مسلم عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتى فى صحيح مسلم أيضا عن عمر بن الخطاب . ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الوقعة وهو مناسب ، وفى الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يخبر به قبل بيوم وأكثر ، وان يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الوقعة والله أعلم . وقد روى البخارى من طرق عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى (ص) قال وهو فى قبة له يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً » فاخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب فى الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وهذه الآية مكية وقد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن أبى حاتم حدثنا أبى ثنا أبو الربيع الزهرانى ثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت (سيهزم الجمع و يولون الدبر) قال عمر : أى جمع يهزم وأى جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله (ص) يثب فى الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع و يولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فعرفت تأويلها يومئذ وروى البخارى من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول نزل على محمد بمكة – وإنى لجارية العب – (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) .

قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول . يانبى الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك ، وقد خفق النبى (ص) [خفقة] وهو فى العريش ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع » يعنى الغبار . قال ثم خرج رسول الله (ص) إلى الناس فحرضهم . وقال « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل

صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » قال عمير بن الحمام أخو بنى سلمة وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ أفما بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ قال ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله .

وقال الامام احمد حدثنا هاشم بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : بعث رسول الله (ص) بسبسا عينا ينظر ما صنعت عير أبى سفيان ، فجاء وما فى البيت أحد غيرى وغير النبى (ص) ، قال لا أدرى ما آستثنى من بعض نسائه ، قال فحدثه الحديث . قال فخرج رسول الله فتكلم فقال « إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضر فليركب معنا » فجعل رجال يستأذنونه فى ظهورهم فى علو المدينة قال « لا إلا من كان ظهره حاضراً » وانطلق رسول الله (ص) ، وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله (ص) ، « لا يتقدمن أحد منكم إلى شئ حتى أكون أنا دونه » فدنا المشركون فقال رسول الله (ص) ، « قوموا إلى جنة عرضها السموات والارض » قال يقول عمير بن الحمام الانصارى يارسول الله جنة عرضها السموات والارض ؟ قال نعم ! قال بخ بخ ؟ فقال رسول الله « ما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال فانك من أهلها » قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها حياة طويلة ، قال فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وجماعة عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به ، وقد ذكر ابن جرير أن عميراً قاتل وهو يقول رضى الله عنه :

ركضاً إلى الله بغيرِ زادِ   إلا التُّقَى وعمل المعادِ
والصبرُ فى الله على الجهادِ   وكلُّ زادٍ عُرضَةَ النفاد
غيرُ التُّقى والبِرِّ والرشادِ

وقال الامام احمد : حدثنا حجاج حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن حارثة بن مضرب عن على . قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها وأصابنا بها وعك ، وكان رسول الله (ص) يتخبر عن بدر فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله (ص) ، إلى بدر ــ و بدر بئر ــ فسبقنا المشركين اليها فوجدنا فيها رجلين رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبى معيط فاما القرشى فانفلت ، وأما المولى فوجدناه فجعلنا نقول له كم القوم ؟ فيقول هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله (ص) ، فقال له كم القوم ؟ قال هم والله كثير عددهم شديد باسهم فجهد النبى (ص) ، أن يخبره كم هم فابى ثم ان النبى (ص) ، سأله كم ينحرون من الجزر فقال عشراً كل يوم . فقال النبى (ص) ، « القوم الف ، كل جزور لمائة وتبعها » ثم إنه أصابنا من

الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله (ص) يدعو ربه ويقول « اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد » فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله (ص) وحرض على القتال ثم قال « إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل » فلما دنا القوم منا وصاففناهم إذا رجل منهم على جمل له احمر يسير في القوم ، فقال رسول الله (ص) « ياعلى ناد حمزة » وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الاحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم ياقوم أعصبوها برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أنى لست بأجبنكم . فسمع بذلك أبو جهل فقال : أنت تقول ذلك والله لو غيرك يقوله لا عضضته قد ملأت رئتك جوفك رعباً . فقال . إياى تعير يا مصفر استه ؟ سيعلم اليوم أينا الجبان فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا : من يبارز فخرج فتية من الانصار مشببة فقال عتبة . لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز من بنى عمنا من بنى عبد المطلب فقال رسول الله (ص) « قم يا حمزة ، وقم يا على ، وقم ياعبيدة بن الحارث بن المطلب » فقتل الله عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة ؛ وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين ، وأسرنا سبعين وجاء رجل من الانصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : يارسول الله والله إن هذا ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم فقال الانصارى : أنا اسرته يارسول الله . فقال : « اسكت ، فقد أيدك الله بملك كريم » قال فاسرنا من بنى عبد المطلب العباس وعقيلا ونوفل بن الحارث هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتى . وقد تفرد بطوله الامام احمد . وروى أبو داود بعضه من حديث اسرائيل به ، ولما نزل رسول الله (ص) من العريش وحرض الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً كما قال الله تعالى آمراً لهم [يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً] الآية .

وقال الاموى حدثنا معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق قال قال الاوزاعى : كان يقال قلما ثبت قوم قياما ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغض طرفه ويذكر الله رجوت أن يسلم من الرياء . وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه : ألا ترونهم ـ يعنى أصحاب النبى (ص) ـ جثيا على الركب كأنهم حرس يتلمظون كما تتلمظ الحيات ـ أو قال الافاعى ـ . قال الاموى فى مغازيه : وقد كان النبى (ص) حين حرض المسلمين على القتال قد نفل كل امرئ ما أصاب . وقال « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل [فيقتل] صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » وذكر قصة عمير بن الحمام كما تقدم ، وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالا شديداً ببدنه ، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا فى العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال وقاتلا بالابدان جمعا

بين المقامين الشريفين . قال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن حارثة ابن مضرب عن على قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ ، وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً . ورواه النسائى من حديث أبى اسحاق عن حارثة عن على قال : كنا إذا حمى البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ . وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن أبى عون عن أبى صالح الحنفى عن على . قال : قيل لعلى ولابى بكر رضى الله عنهما يوم بدر : مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، واسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ـ أو قال يشهد الصف ـ وهذا يشبه ما تقدم من الحديث أن أبا بكر كان فى الميمنة ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزيلا كان جبريل على أحد الجنبتين فى خمسمائة من الملائكة ، فكان فى الميمنة من ناحية أبى بكر الصديق ، وكان ميكائيل على الجنبة الاخرى فى خمسمائة من الملائكة فوقفوا فى الميسرة وكان على بن أبى طالب فيها [وفى حديث رواه أبو يعلى من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن على . قال كنت أسبح على القليب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى فنزل ميكائيل فى الف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله ﷺ ، وهناك أبو بكر ، واسرافيل فى الف فى الميسرة وأنا فيها ، وجبريل فى الف قال ولقد طفت يومئذ حتى بلغ إبطى] [1] وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أفخر بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

وببئرِ بدرٍ إذ يكفّ مَطِيَّهم جبريلُ تحتَ لوائنا ومحمد

وقد قال البخارى حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة ابن رافع الزرقى عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . انفرد به البخارى . وقد قال الله تعالى [إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق ـ يعنى الرؤس ـ واضربوا منهم كل بنان] وفى صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبى زميل حدثنى ابن عباس . قال : بينما رجل من المسلمين يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقيا ، فنظر اليه فاذا هو خطم وشق وجهه بضربة السوط وحضر ذلك أجمع فجاء الانصارى فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا سبعين .

قال ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم عمن حدثه عن ابن عباس عن رجل من

---

(١) ما بين المربعين لم يرد فى المصرية .

بنى غفار . قال : حضرت أنا وابن عم لى بدراً ونحن على شركنا ، وإنا لفى جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدائرة ، فاقبلت سحابة فلما دنت من الجبل سمعنا منها حمحمة الخيل ، وسمعنا قائلا يقول : أقدم حيزوم فاما صاحبى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أن أهلك ثم انتعشت بعد ذلك . وقال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر عن بعض بنى ساعدة عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ـ وكان شهد بدراً ـ قال ـ بعد أن ذهب بصره ـ لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى . فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس وأوحى الله اليهم (أنى معكم فثبتوا الذى آمنوا) . وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتى الرجل فى صورة الرجل يعرفه فيقول له أبشروا فانهم ليسوا بشئ والله معكم كروا عليهم .

وقال الواقدى حدثنى ابن أبى حبيبة عن دواد بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس . قال كان الملك يتصور فى صورة من يعرفون فيقول إنى قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشئ إلى غير ذلك من القول فذلك قوله (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) الآية . ولما رأى ابليس الملائكة نكص على عقبيه وقال إنى برئ منكم إنى أرى مالا ترون وهو فى صورة سراقة وأقبل أبو جهل يحرض أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم ، فانه كان على موعد من محمد وأصحابه ثم قال واللات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه فى الجبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذا وروى البيهقى من طريق سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال قال أبو اسيد — بعد ما ذهب بصره — يا ابن أخى والله لو كنت أنا وأنت ببدر ثم أطلق الله بصرى لأريتك الشعب الذى خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار وروى البخارى عن ابراهيم بن موسى عن عبدالوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال يوم بدر « هذا جبريل آخذ برأس فرسه وعليه اداة الحرب » .

وقال الواقدى حدثنا ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وأخبرنى موسى بن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه . وحدثنى عابد بن يحيى عن أبى الحويرث عن عمارة بن أكيمة الليثى عن عكرمة عن حكيم بن حزام قالوا : لما حضر القتال ورسول الله (ص) رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول « اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين » وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك ، فانزل الله الفا من الملائكة مردفين عند اكتناف العدو . قال رسول الله (ص) « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والارض ، فلما نزل إلى الارض تغيب عنى ساعة ثم طلع وعلى ثناياه النقع يقول أتاك نصر الله إذ دعوته » . وروى البيهقى عن أبى أمامة بن سهل عن أبيه . قال : يا بنى لقد رأيتنا يوم

بدر وأن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف

وقال ابن اسحاق حدثني والدي حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد الليثي قال إني لأتبع رجلا من المشركين لاضربه فوقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت أن غيري قد قتله . وقال يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله التيمي عن الربيع بن أنس . قال : كان الناس يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار وقد احرق به .

وقال ابن اسحاق : حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء . وقد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عدداً ومدداً لا يضربون . وقال الواقدي حدثني عبد الله بن موسى بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول . لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض معلمين يقتلون ويأسرون . وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره . قال : لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري ، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمترى . قال وحدثني خارجة بن ابراهيم عن أبيه . قال قال رسول الله ﷺ لجبريل : « من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم ؟ » فقال جبريل يامحمد ما كل أهل السماء أعرف

قلت : وهذا الاثر مرسل ، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل كما قاله السهيلي وغيره والله أعلم . وقال الواقدي حدثني اسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال فما أدري كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلمها قد رأيتها يوم بدر . وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عقيل عن أبي بردة بن نيار قال جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهن بين يدي رسول الله ﷺ ، فقلت أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث فاني رأيت رجلا طويلا [قتله] فاخذت رأسه . فقال رسول الله ﷺ « ذاك فلان من الملائكة » وحدثني موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه . قال : كان السائب بن أبي حبيش يحدث في زمن عمر يقول : والله ما أسرني أحد من الناس ، فيقال فمن ؟ يقول لما انهزمت قريش انهزمت معها فادركني رجل اشعر طويل على فرس أبيض فاوثقني رباطا وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطا فنادى في العسكر من أسر هذا ؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ ، فقال من أسرك قلت لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذي رأيت فقال رسول الله ﷺ ، « أسرك ملك من الملائكة » اذهب يا ابن عوف باسيرك . وقال الواقدي حدثني عابد بن يحيى حدثنا أبو الحويرث عن عمارة بن اكيمة عن حكيم بن حزام قال لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بجاد من السماء قد سد الافق فاذا الوادي يسيل نملا فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أيد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمة ولقي الملائكة

[وقال اسحاق بن راهويه حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنى أبى عن محمد بن اسحاق حدثنى أبى عن جبير بن مطعم . قال : رأيت قبل هزيمة القوم — والناس يقتتلون — مثل البجاد الاسود قد نزل من السماء مثل النمل الاسود ، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم] (١) ولما تنزلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله (ص) حين أغفى إغفاءة ثم استيقظ وبشر بذلك أبا بكر وقال « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناياه النقع » يعنى من المعركة ثم خرج رسول الله (ص) من العريش فى الدرع فجعل يحرض على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم حصل لهم السكينة والطمأنينة وقد حصل النعاس الذى هو دليل على الطمأنينة والثبات والايمان ، كما قال (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه) وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن ، ولهذا قال ابن مسعود : النعاس فى المصاف من الايمان ، والنعاس فى الصلاة من النفاق وقال الله تعالى [إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين]. قال الامام احمد : حدثنا يزيد ابن هارون ثنا محمد بن اسحاق حدثنى الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال — حين التقى القوم — اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح وكذا ذكره ابن اسحاق فى السيرة ورواه النسائى من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى ، ورواه الحاكم من حديث الزهرى أيضا ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الاموى حدثنا أسباط بن محمد القرشى عن عطية عن مطرف فى قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال قال أبو جهل : اللهم [اعن] أعز الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم) قال أقبلت عير أهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله (ص) يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة فاسرعوا اليها لكيلا يغلب عليها النبى (ص) وأصحابه فسبقت العير رسول الله (ص) ، وكان الله قد وعدهم احدى الطائفتين ، وكانوا يحبون أن يلقوا العير ، وسار رسول الله (ص) بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم . فنزل النبى (ص) والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملة دعصة فاصاب المسلمون ضعف شديد وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا ! فامطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا فاذهب الله عنهم رجز الشيطان فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه والمؤمنين بالف من

(١) ما بين المربعين سقط من المصرية .

الملائكة . فكان جبريل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء ابليس فى جند من الشياطين ومعه ذريته وهم فى صورة رجال من بنى مدلج والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جار لكم فلما اصطف الناس قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله ص يديه فقال « يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الارض أبداً » . فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين . وأقبل جبريل إلى ابليس فلما رآه ـ وكانت يده فى يد رجل من المشركين ـ انتزع ابليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل ياسراقة أما زعمت أنك لنا جار ؟ قال إنى أرى مالا ترون ، إنى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة رواه البيهقى فى الدلائل .

[وقال الطبرانى حدثنا مسعدة بن سعد العطار ثنا ابراهيم بن المنذر الحزامى ثنا عبد العزيز بن عمران ثنا هشام بن سعد عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الانصارى عن رفاعة بن رافع قال : لما رأى أبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص اليه ، فتشبث به الحارث بن هشام وهو يظن أنه سراقة بن مالك ، فوكز فى صدر الحارث ثم خرج هاربا حتى ألقى نفسه فى البحر ورفع يديه فقال : اللهم إنى أسألك نظرتك إياى وخاف أن يخلص القتل اليه . وأقبل أبو جهل فقال يامعشر الناس لا يهولنكم خذلان سراقة بن مالك فانه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهولنكم قتل شيبة وعتبة والوليد فإنهم قد عجلوا ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم بالجبال ، فلا ألفين رجلا منكم قتل رجلا ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم اياكم ورغبتهم عن اللات والعزى . ثم قال أبو جهل متمثلا :

ما تنقمُ الحربُ الشموسُ مني بازلُ عامينِ حديثٌ سنّي

لمثل هذا ولدتنى أمي] (١)

و روى الواقدى عن موسى بن يعقوب الزمعى عن أبى بكر بن أبى سليمان عن أبى حثمة سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك ، فألح عليه فقال حكيم التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتا وقع من السماء إلى الارض مثل وقعة الحصاة فى الطست ، وقبض النبى ص القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا قال الواقدى وحدثنا اسحاق بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد ابن عبد الله عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير سمعت نوفل بن معاوية الديلى يقول : انهزمنا يوم بدر

(١) ما بين المربعين لم يرد بالمصرية

ونحن نسمع صوتا كوقع الحصى فى الطاس فى افئدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشد الرعب علينا .

وقال الاموى حدثنا أبى ثنا ابن أبى اسحاق حدثنى الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بمالا نعرف فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقللهم فى أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسول الله (ص) خفقة فى العريش ثم انتبه فقال « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر لعمامته آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع أتاك نصر الله وعدته » وأمر رسول الله (ص) فأخذ كفا من الحصى بيده ثم خرج فاستقبل القوم فقال « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها ثم قال لاصحابه « احملوا فلم تكن إلا الهزيمة » فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم . وقال زياد عن ابن اسحاق ثم إن رسول الله (ص) أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال « شدوا » فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم . وقال السدى الكبير قال رسول الله (ص) لعلى يوم بدر « أعطنى حصباء من الارض » فناوله حصباء عليها تراب فرمى به فى وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه من ذلك التراب شئ ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله فى ذلك (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم ان هذه الآية نزلت فى ذلك يوم بدر .وقد فعل عليه السلام مثل ذلك فى غزوة حنين كما سيأتى فى موضعه إذا انتهينا اليه إن شاء الله وبه الثقة . وذكر ابن اسحاق أن رسول الله (ص) لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضا ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الانصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكر راجعة من المشركين إلى النبى (ص) . قال ابن اسحاق . ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله (ص) – فيما ذكر لى – فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له « كأنى بك ياسعد تكره ما يصنع القوم ؟ » قال أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله باهل الشرك . فكان الاثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال . قال ابن اسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس أن النبى (ص) قال لاصحابه يومئذ « إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ومن لقى أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) فلا يقتله ، فانه إنما خرج مستكرها » فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل

آباءنا وأبناءنا واخواننا ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنه بالسيف . فبلغت رسول الله (ص) فقال لعمر : « يا أبا حفص » قال عمر : والله إنه لاول يوم كناني فيه رسول الله (ص) بابي حفص ، « أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ » فقال عمر : يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق . فقال أبو حذيفة ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيداً رضى الله عنه .

مقتل ابي البختري بن هشام

قال ابن اسحاق . و إنما نهى رسول الله (ص) عن قتل أبي البختري لانه كان أكف القوم عن رسول الله (ص) وهو بمكة . كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقيه المجذر بن ذياد البلوى حليف الانصار فقال له : إن رسول الله (ص) نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة وهو من بني ليث . قال وزميلي ؟ فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعا لا يتحدث عني نساء قريش بمكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة . وقال أبو البختري وهو ينازل المجذر :

لن يترك [1] ابنُ حرةٍ زميلَه حتى يموتَ أو يرى سبيلَه

قال فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد وقال في ذلك :

إما جهلتَ أو نسيتَ نَسَبي فأثبتِ النسبةَ إني من بلى
الطاعنينَ برماحِ اليَزَني والطاعنينَ [2] الكبشَ حتى ينحني
بشّر بيتم من أبوه البختري أو بشّرنْ بمثلها مني بني
أنا الذي يقال أصلي من بلى أطعنُ بالصعدةِ حتى تنثني
وأعبطُ القِرنَ بعضبٍ مشرفي أرزُمُ للموتِ كإرْزام المري
فلا يرى مجذّراً يفْري فرى

ثم أتى المجذر رسول الله (ص) فقال : والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى ألا أن يقاتلني ، فقاتلته فقتلته .

فصل في مقتل امية بن خلف

قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وحدثنيه أيضا عبدالله

(١) وفي ابن هشام : لن يسلم ابن حرة زميله . (٢) وفي ابن هشام : والضاربين .

ابن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف . قال : كان أمية بن خلف لى صديقا بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلقانى ونحن بمكة فيقول : ياعبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك ؟ قال فاقول نعم ! قال فانى لا أعرف الرحمن فاجعل بينى و بينك شيئا أدعوك به أما أنت فلا تجيبنى باسمك الاول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف قال وكان إذا دعانى يا عبد عمرو لم أجبه ، قال فقلت له يا أبا على اجعل ما شئت . قال فانت عبد الاله قال قلت نعم ! قال فكنت اذا مررت به قال ياعبد الاله فأجيبه فأتحدث معه ، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على وهو آخذ بيده ، قال ومعى أدراع لى قد استلبتها فأنا أحملها فلما رآنى . قال يا عبد عمرو فلم أجبه ، فقال ياعبد الاله فقلت نعم ! قال هل لك فى فأنا خير لك من هذه الادراع التى معك قال قلت نعم ها الله ، قال فطرحت الادراع من يدى وأخذت بيده و بيد ابنه وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط ، أما لكم حاجة فى اللبن ؟ ثم خرجت أمشى بهما . قال ابن اسحاق : حدثنى عبد الواحد بن أبى عون عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف . قال قال لى أمية ابن خلف وأنا بينه و بين ابنه آخذاً بايديهما يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال قلت حمزة قال ذاك الذى فعل بنا الافاعيل . قال عبد الرحمن فوالله إنى لاقودهما إذ رآه بلال معى — وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على الاسلام — فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا . قال قلت أى بلال أسيرىّ ، قال لا نجوت إن نجا ، قال ثم صرخ باعلا صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت إن نجا ، فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة [(١)] وأنا أذب عنه ، قال فاخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط ، قال قلت انج بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أغنى عنك شيئا . قال فهبروهما باسيافهم حتى فرغوا منهما قال فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا فجعنى بادراعى و باسيرىّ . وهكذا رواه البخارى فى صحيحه قريبا من هذا السياق فقال فى الوكالة حدثنا عبد العزيز — هو ابن عبد الله — حدثنا يوسف — هو ابن الماجشون — عن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبدالرحمن بن عوف قال : كاتبت أمية بن خلف كتابا بأن يحفظنى فى صاغيتى [(٢)] بمكة وأحفظه فى صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت الرحمن قال لا أعرف الرحمن ، كاتبنى باسمك الذى كان فى الجاهلية فكاتبته عبد عمرو فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لاحرزه حين نام الناس فابصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس [من] الانصار فقال : أمية بن خلف ؟! لانجوت إن نجا أمية بن خلف فخرج

(١) المسكة بالتحريك السوار : أى جعلونا فى حلقة كالسوار وأحدقوا بنا.

(٢) الصاغية : خاصة الانسان والمائلون اليه.

معه فريق من الانصار فى آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لاشغلهم فقتلوه ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلا ثقيلا ، فلما أدركونا قلت له أبرك فبرك فالقيت عليه نفسى لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك فى ظهر قدمه . سمع يوسف صالحا وابراهيم أباه . تفرد به البخارى من بينهم كلهم . وفى مسند رفاعة بن رافع أنه هو الذى قتل أمية بن خلف .

مقتل أبي جهل لعنه الله

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ويقول :

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدتنى أمي

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله (ص) من عدوه أمر بابى جهل أن يلتمس فى القتلى ، وكان أول من لقى أبا جهل كما حدثنى ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبى بكر أيضا قد حدثنى ذلك قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بنى سلمة سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرجة [١] وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص اليه ، فلما سمعتها جعلته من شأنى فصمدت نحوه ، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها ، قال وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى ، واجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى و إنى لاسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها . قال ابن اسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان . ثم مر بابى جهل ــ وهو عقير ــ معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته ، وتركه و به رمق . وقاتل معوذ حتى قتل ، فمر عبد الله بن مسعود بابى جهل حين أمر رسول الله (ص) أن يلتمس فى القتلى وقد قال لهم رسول الله (ص) ــ فيما بلغنى ــ أنظروا إن خفى عليكم فى القتلى إلى أثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت أنا وهو يوما على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش فى أحدهما جحشا لم يزل أثره به . قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعرفته . فوضعت رجلى على عنقه قال وقد كان ضبث بى [٢] مرة بمكة فآذانى ولكزنى

---

(١) الحرجة الشجر الملتف ، وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه سأل اعرابيا عن الحرجة فقال : هى شجرة من الاشجار لا يوصل اليها

(٢) ضبث : قبض عليه ولزمه .

ثم قلت له : هل أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال وبماذا أخزانى ؟ قال اعمد من رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ قال قلت لله ولرسوله .

قال ابن اسحاق : وزعم رجال من بنى مخزوم أن ابن مسعود كان يقول قال لى : لقـد ارتقيت مرتقى صعباً يارويعى الغنم ، قال ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله (ص) ؛ فقلت : يارسول الله هذا رأس عدو الله . فقال « آلله الذى لا إله غيره ؟ » . وكانت يمين رسول الله (ص) فقلت نعم ! والله الذى لا إله غيره ثم القيت رأسه بين يدى رسول الله (ص) فحمد الله . هكذا ذكر ابن اسحاق رحمه الله . وقد ثبت فى الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون عن صالح بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عبدالرحمن بن عوف . قال . إنى لواقف يوم بدر فى الصف فنظرت عن يمينى وشمالى فاذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة اسنانهما ، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما فغمزنى أحدهما فقال : ياعم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت نعم وما حاجتك اليه ؟ قال أخبرت أنه يسب رسول الله (ص) والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك فغمزنى الآخر فقال لى أيضا مثلها ، فلم أنشب ان نظرت إلى أبى جهـل وهو يجول فى الناس فقلت ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبى (ص) ، فاخبراه فقال « أيكما قتله » قال كل منهما أنا قتلته . قال « هل مسحتما سيفيكما ؟ » قالا : لا . قال فنظر النبى (ص) فى السيفين فقال : « كلاهما قتله » وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ـ والآخر معاذ بن عفراء . وقال البخارى حدثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جـده . قال قال عبد الرحمن : إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن فـكأنى لم آمن بمكانهما إذ قال لى أحـدهما سراً من صاحبه : ياعم أرنى أبا جهل ، فقلت يا ابن أخى ما تصنع به ؟ قال عاهدت الله إن رأيتـه أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لى الآخر سراً من صاحبه مثله ، قال فما سرنى انى بين رجلين مكانهما فأشرت لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء . وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى سليمان التيمى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) « من ينظر ماذا صنع أبو جهل » قال ابن مسعود : أنا يارسول الله فانطلق فوجده قـد ضربه ابنا عفراء حتى برد . قال فأخذ بلحيته قال فقلت أنت أبو جهل ؟ فقال وهل فوق رجل قتلتموه ـ أو قال قتله قومه ـ وعند البخارى عن أبى أسامة عن اسماعيل ابن قيس عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال : هل أخزاك الله ؟ فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال الاعمش عن أبى اسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال انتهيت إلى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد . ومعى سيف ردئ فجعلت أنقف رأسه بسيفى وأذكر نقفا كان ينقف

رأسي بمكة حتى ضعفت يده (١) فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على من كانت الدائرة لنا أو علينا ألست رويعينا بمكة ؟ قال فقتلته ، ثم أتيت النبي ﷺ ، فقلت قتلت أبا جهل ، فقال آلله الذى لا إله إلا هو ؟ فاستحلفني ثلاث مرات ثم قام معي اليهم فدعا عليهم .

وقال الامام احمد حدثنا وكيع ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة قال قال عبد الله انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له ، فقلت الحمد لله الذى أخزاك الله ياعدو الله . قال هل هو إلا رجل قتله قومه فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل فاصبت يده فندر (٢) سيفه فاخذته فضربته حتى قتلته قال ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ ، كأنما أقل من الارض (٣) فاخبرته فقال « آلله الذى لا إله إلا هو ؟ » فرددها ثلاثا ، قال قلت آلله الذى لا إله إلا هو قال فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال « الحمد لله الذى قد أخزاك الله ياعدو الله هذا كان فرعون هذه الامة » وفي رواية أخرى قال ابن مسعود فنفلني سيفه . وقال أبو اسحاق الفزاري عن الثوري عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال أتيت رسول الله ﷺ يوم بدر فقلت قد قتلت أبا جهل فقال « آلله الذى لا إله إلا هو ؟ » فقلت آلله الذى لا إله إلا هو مرتين ــ أو ثلاثا ــ قال فقال النبي ﷺ « الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده » ثم قال « انطلق فأرنيه » فانطلقت فأريته فقال « هذا فرعون هذه الامة » . ورواه أبو داود والنسائي من حديث أبي اسحاق السبيعي به . وقال الواقدي وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال « رحم الله ابني عفراء فهما شركاء في قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر » فقيل يارسول الله ومن قتله معهما ؟ قال « الملائكة وابن مسعود قد شرك في قتله » رواه البيهقي .

[وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن أبي اسحاق قال . لما جاء رسول الله ﷺ البشير يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذى لا إله الا هو لقد رأيته قتيلا ؟ فحلف له فخر رسول الله ﷺ ساجداً] ثم روى البيهقي من طريق أبي نعيم عن سلمة بن رجاء عن الشعثاء ــ امرأة من بني أسد ــ عن عبد الله ابن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جيء برأس أبي جهل . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا سلمة بن رجاء قال حدثتني شعثاء عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ صلى يوم بشر برأس أبي جهل ركعتين .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبي حدثنا هشام أخبرنا مجالد عن الشعبي أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : إني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في

(١) وفي المصرية: صفقت يده . (٢) ندر أى سقط . (٣) أى أحمل من شدة الفرح .

الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال رسول الله (ص) « ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة » . وقال الاموى فى مغازيه سمعت أبى ثنا المجالد بن سعيد عن عامر قال جاء رجل الى رسول الله (ص) : فقال إنى رأيت رجلا جالساً فى بدر و رجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب فى الارض ، فقال رسول الله (ص) « ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وقال البخارى حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال قال الزبير : لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه الا عيناه ، وهو يكنى أبا ذات الكرش ، فقال أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بعنزة فطعنته فى عينه فمات قال هشام فاخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلى عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعتها ، وقد انثنى طرفاها ، قال عروة فسأله إياها رسول الله (ص) فاعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله (ص) أخذها ثم طلبها أبو بكر فاعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فاعطاه اياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل على فطلبها عبد الله بن الزبير وكانت عنده حتى قتل . وقال ابن هشام حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص — ومر به — إنى أراك كأن فى نفسك شيئا أراك تظن أنى قتلت أباك إنى لو قتلته لم أعتذر اليك من قتله ، ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة فاما أبوك فانى مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدت عنه وقصد له ابن عمه على فقتله .

قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدى حليف بنى عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسول الله (ص) فاعطاه جذلا من حطب فقال « قاتل بهذا ياعكاشة » فلما أخذه من رسول الله (ص) هزه فعاد سيفا فى يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله (ص) حتى قتله طليحة الاسدى أيام الردة ، وأنشد طليحة فى ذلك قصيدة منها قوله :

عشيّةَ غادرْتُ ابنَ أقرمَ (١) ثاوياً   وعكّاشةَ الغَنْميّ عندَ مجال

وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتى بيانه . قال ابن اسحاق : وعكاشة هو الذى قال حين بشر رسول الله (ص) أمته بسبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أدع الله أن يجعلنى منهم قال « اللهم اجعله منهم » وهذا الحديث مخرج فى الصحاح والحسان وغيرها . قال ابن اسحاق : وقال رسول الله (ص) — فيما بلغنى — « منا خير فارس فى العرب » قالوا ومن هو يارسول الله ؟ قال « عكاشة بن محصن » فقال ضرار بن الازور ذاك رجل منا يارسول الله ، قال ليس منكم ولكنه

(١) ابن أقرم : هو ثابت بن أقرم الانصارى كما فى ابن هشام .

منا الحلف . وقد روى البيهقي عن الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه عن عمته قالت قال عكاشة بن محصن : انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً فاذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك . وقال الواقدي وحدثني أسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الاشهل عدة قالوا . انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيبا كان في يده من عراجين ابن طاب [1] فقال : اضرب به فاذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة .

رده عليه السلام عين قتادة

قال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو سعد المالينى أخبرنا أبو احمد بن عدى حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الحماني ثنا عبد العزيز بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله ﷺ فقال « لا » فدعاه فغمز حدقته براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيب وفي رواية فكانت أحسن عينيه وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك :

أنا ابنُ الذي سالتْ على الخدّ عينُه ... فرُدَّت بكفِّ المصطفى أيما ردِّ

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشدا قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن فانشده عمر في موضعه حقا :

تلكَ المكارمُ لاقُعبانِ من لبنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

فصل قصة اخرى شبيهة بها

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا محمد بن صالح أخبرنا الفضل بن محمد الشعراني حدثنا ابراهيم بن المنذر أخبرنا عبد العزيز بن عمران حدثني رفاعة بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه رافع بن مالك . قال لما كان يوم بدر تجمع الناس على أبي بن خلف ، فاقبلت اليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت ابطه ، قال فطعنته بالسيف فيها طعنة . ورميت بسهم يوم بدر ، ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لى فما آذاني منها شيء وهذا غريب من هذا الوجه واسناده جيد ولم يخرجوه . ورواه الطبراني من حديث ابراهيم بن المنذر . قال ابن

(١) عذق ابن طاب نخل بالمدينة ، وابن طاب ضرب من الرطب .

هشام ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد فقال · أين مالى ياخبيث فقال عبد الرحمن :

لم يبقَ إلا شكّةٌ ويعبوبٌ   وصارم يقتل ضلالَ الشيب

يعنى لم يبق إلا عدة الحرب ، وحصان وهو اليعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة ، هذا يقوله فى حال كفره . وقد روينا فى مغازى الاموى أن رسول الله ﷺ جعل يمشى هو وأبو بكر الصديق بين القتلى ورسول الله ﷺ يقول « نفلق هاما » فيقول الصديق :

من رجال أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

طرح رؤوس الكفر في بئر يوم بدر

قال ابن اسحاق · وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت : لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا فى القليب ، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأها فذهبوا ليخرجوه فتزايل [لحمه] فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى القليب وقف عليهم فقال · « يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » قالت فقال له أصحابه يارسول الله أتكلم قوما موتى فقال « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » قالت عائشة . والناس يقولون لقد سمعوا ما قلت لهم ، وإنما قال رسول الله ﷺ لقد علموا قال ابن اسحاق : وحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال سمع أصحاب النبى ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول « يا أهل القليب ، ياعتبة بن ربيعة ، وياشيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ــ فعدد من كان منهم فى القليب ــ هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » فقال المسلمون : يارسول الله ﷺ أتنادى قوما قد جيفوا ؟ فقال « ما أنتم باسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى » وقد رواه الامام احمد عن ابن أبى عدى عن حميد عن أنس فذكر نحوه . وهذا على شرط الشيخين قال ابن اسحاق وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ ، قال « يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » .

قلت : وهذا مما كانت عائشة رضى الله عنها تتأوله من الاحاديث كما قد جمع ما كانت تتأوله من الأحاديث فى جزء وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله (وما أنت بمسمع من فى القبور) وليس هو بمعارض له والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم

للاحاديث الدالة نصا على خلاف ما ذهبت اليه رضى الله عنها وأرضاها . وقال البخارى حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع إلى النبى (ص) «أن الميت يعذب فى قبره ببكاء أهله فقالت : رحمه الله ، إنما قال رسول الله (ص) إنه ليعذب بخطيئته وذنبه ، و إن أهله ليبكون عليه الآن » قالت وذاك مثل قوله إن رسول الله (ص) قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال ؛ قال انهم ليسمعون ما أقول و إنما قال إنهم الآن ليعلمون انما كنت أقول لهم حق ، ثم قرأت [إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور] تقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار . وقد رواه مسلم عن أبى كريب عن أبى أسامة به ، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه فى غير ما حديث كما سنقرر ذلك فى كتاب الجنائز من الاحكام الكبير إن شاء الله . ثم قال البخارى حدثى عثمان ثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن عمر قال : وقف النبى (ص) على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا » ثم قال « انهم الآن يسمعون ما أقول لهم » وذكر لعائشة فقالت : إنما قال النبى (ص) إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأت (إنك لا تسمع الموتى) حتى قرأت الآية . وقد رواه مسلم عن أبى كريب عن أبى أسامة . وعن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع كلاهما عن هشام بن عروة .
وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة ثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال ذكر لنا أنس بن مالك عن أبى طلحة أن رسول الله (ص) أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان اذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفه الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان ابن فلان ويا فلان بن فلان يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا » فقال عمر : يارسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال النبى (ص) « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا نقمة وحسرة وندما . وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن سعيد بن أبى عروبه . ورواه الامام احمد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث أنس بن مالك فذكر مثله . فلم يذكر أبا طلحة وهذا اسناد صحيح ، ولكن الاول أصح وأظهر والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رسول الله (ص) ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، ياعتبة بن ربيعة ، ياشيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فانى قد وجدت

ما وعدنى ربى حقا » قال فسمع عمر صوته فقال يارسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى (إنك لا تسمع الموتى) فقال « والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » . ورواه مسلم عن هدبه بن خالد عن حماد بن سلمة به . وقال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

عرفتُ ديارَ زينبَ بالكثيبِ ... كخطّ الوحيِ فى الورقِ القشيب
تداولها الرياحُ وكل جَوْنٍ ... من الوسميّ منهمرٌ سكوب
فامسى رسمُها خَلِقا وأمست ... يباباً بعد ساكنها الحبيب
فدعْ عنك التذكّر كل يوم ... وردَّ حرارةَ القلب (١) الكئيب
وخبّر بالذي لا عيبَ فيه ... بصدقٍ غير اخبارِ الكذوب
بما صنعَ المليكُ غداةَ بدرٍ ... لنا فى المشركين من النصيب
غداةَ كأن جمعَهمُ حِراءٌ ... بدتْ أركانُه جُنحَ الغروب
فلاقيناهمُ منا بجمعٍ ... كأُسْد الغاب مُرْدانٍ وشيب
أمامَ محمدٍ قد وازروهُ ... على الاعداء فى لفحِ الحروب
بأيديهم صوارمُ مرهفاتٌ ... وكل مجرّبٍ خاظي الكعوب
بنو الأوسِ الغطارفُ وازرتْها ... بنو النجّار فى الدِّين الصليب
فغادرْنا أبا جهلٍ صريعاً ... وعتبةَ قد تركْنا بالجبوب (٢)
وشيبةَ قد تركْنا فى رجالٍ ... ذوي حسبٍ إذا نُسبوا حسيب
يناديهم رسولُ الله لمّا ... قذفناهم كباكبَ فى القليب
ألم تجدوا كلامي كان حقاً ... وأمرَ اللهِ يأخذُ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا ... صدقتَ وكنتَ ذا رأيٍ مصيب

قال ابن اسحاق : ولما أمر رسول الله (ص) أن يلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب فى القليب فنظر رسول الله (ص) - فيما بلغنى - فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فاذا هو كئيب قد تغير لونه فقال . « ياحذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء - أو كما قال رسول الله (ص) - فقال : لا والله يا رسول الله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلماً وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك للاسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له أحزننى ذلك فدعا له رسول الله (ص) بخير وقال له خيراً وقال البخارى حدثنا

(١) فى ابن هشام : الصدر الكئيب . (٢) الجبوب اسم للارض لانها تجب أى تحفر .

الحميدى حدثنا سفيان ثنا عمرو عن عطاء عن ابن عباس (الذين بدلوا نعمة الله كفراً) قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو : هم قريش ، ومحمد نعمة الله (وأحلوا قومهم دار البوار) قال : النار يوم بدر . قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

قومي الذين هُمُ آوَوا نبيَّهم ... وصدَّقوه وأهلُ الارض كفار
إلا خصائصَ أقوامٍ هم سلفٌ ... للصالحين من الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولُهُمُ ... لما أتاهم كريمُ الأصل مختار
أهلاً وسهلاً ففي أمنٍ وفي سعةٍ ... نِعم النبيُّ ونعم القسمُ والجار
[فأنزلوه بدارٍ لا يَخافُ بها ... من كان جارَهمُ داراً هي الدار[1]]
وقاسموهم بها الاموالَ إذ قدِموا ... مهاجرين وقسمُ الجاحدِ النار
سِرنا وساروا إلى بدرٍ لحِينهمُ ... لو يعلمونَ يَقينَ العلم ما ساروا
دلّاهمُ بغرورٍ ثم أسلَمهم ... إن الخبيثَ لمَن والاهُ غرّار
وقال إني لكم جارٌ فأوردَهم ... شرَّ الموارد فيه الخزيُ والعار
ثم التقينا فولّوا عن سَراتِهمُ ... من مُنجدين ومنهم فرقةٌ غاروا

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن أبى بكر وعبد الرزاق . قالا : حدثنا اسرائيل عن عكرمة عن ابن عباس . قال : لما فرغ رسول الله صـ من القتلى قيل له عليك العير ليس دونها شئ ، فناداه العباس وهو فى الوثاق : إنه لا يصلح لك . قال لم ؟ قال لان الله وعدك احدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعدك . وقد كانت جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور الف من الملائكة وكان قدر الله السابق فيمن بقى منهم أن سيسلم منهم بشر كثير . ولو شاء الله لسلط عليهم ملكا واحداً فاهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكليه ، وقد كان فى الملائكة جبريل الذى أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط وكن سبعا فيهن من الامم والدواب والاراضى والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات واتبعهن بالحجارة التى سومت لهم كما ذكرنا ذلك فى قصة قوم لوط كما تقدم .

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين و بين تعالى حكمه فى ذلك فقال [فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد و إما فداء حتى تضع الحرب وزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض] الآية . وقال تعالى [قاتلوهم

(١) البيت عن ابن هشام . وقوله فى الذى يليه (الجاحد) فى الاصل الجاهل . وكذا قوله (دلاهمُ) فى الاصل والا هموا والتصحيح عن ابن هشام .

يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء] الآية . فكان قتل أبي جهل على يدى شاب من الانصار ، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له لقد رقيت مرتقى صعبا يارويعي الغنم ، ثم بعد هذا حز رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدى رسول الله فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه والله أعلم .

وقد ذكر ابن اسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلما ولكنه خرج معهم تقية منهم لانه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن اسلامه جماعة منهم ؛ الحارث بن زمعة بن الاسود ، وأبو قيس بن الفاكه [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة [1]] وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج . قال وفيهم نزل قوله تعالى [الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً] وكان جملة الاسارى يومئذ سبعين أسيراً كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله منهم من آل رسول (ص) عمه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمه عقيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث ابن عبد المطلب ، وقد استدل الشافعى والبخارى وغيرهما بذلك على أنه ليس كل من ملك ذا رحم محرم يعتق عليه وعارضوا به حديث الحسن عن ابن سمرة فى ذلك فالله أعلم . وكان فيهم أبو العاص ابن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبى (ص) .

فصل

وقد اختلف الصحابة فى الاسارى أيقتلون أو يفادون على قولين ، كما قال الامام احمد حدثنا على بن عاصم عن حميد عن أنس - وذكر رجل - عن الحسن . قال استشار رسول الله (ص) الناس فى الاسارى يوم بدر فقال « إن الله قد أمكنكم منهم » قال فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم ، قال فاعرض عنه النبى (ص) ، ثم عاد النبى فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق فقال يارسول نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال فذهب عن وجه رسول الله (ص) ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء . قال وأنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم) الآية : انفرد به احمد . وقد روى الامام احمد - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه وكذا على بن المدينى وصححه من حديث عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفى أبو زميل حدثنى

(١) لم يرد فى الاصول وزدناه من ابن هشام عن محمود الامام .

ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله (ص) الى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف ونظر الى المشركين فاذا هم ألف و زيادة فذكر الحديث كما تقدم الى قوله فقتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا ، واستشار رسول الله (ص) أبا بكر وعليا وعمر ، فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وانى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا . فقال رسول الله (ص) « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » قال قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكننى من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله (ص) ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت الى النبى (ص) وأبى بكر وهما يبكيان فقلت : يارسول الله أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله (ص) « للذى عرض علىّ أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة » — لشجرة قريبة — وأنزل الله تعالى [ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم] من الفداء ، ثم أحل لهم الغنائم وذكر تمام الحديث .

وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله (ص) « ما تقولون فى هؤلاء الاسرى ؟ قال فقال أبو بكر : يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم قال وقال عمر : يارسول الله أخرجوك وكذبوك قربهم فاضرب أعناقهم . قال وقال عبد الله بن رواحة : يارسول الله أنظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً . قال فدخل رسول الله (ص) ولم يرد عليهم شيئا . فقال ناس يأخذ بقول أبى بكر ، وقال ناس يأخذ بقول عمر ، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . فخرج عليهم فقال « إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ، و ان الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم قال (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق

قال عبد الله : فقلت يارسول الله إلا سهيل بن بيضاء فانى قد سمعته يذكر الاسلام قال فسكت ، قال فما رأيتنى فى يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال « إلا سهيل بن بيضاء » قال فأنزل الله [ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم] إلى آخر الآيتين وهكذا رواه الترمذى والحاكم من حديث أبى معاوية . وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبى هريرة بنحو ذلك وقد روى عن أبى أيوب الانصارى بنحوه . وقد روى ابن مردويه والحاكم فى المستدرك من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال . لما أسر الاسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الانصار قال وقد أوعدته الانصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبى (ص) فقال « إنى لم أنم الليلة من أجل عمى العباس ، وقد زعمت الانصار أنهم قاتلوه » قال عمر أفآتيهم ؟ قال نعم فأتى عمر الانصار فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا لا والله لا نرسله ، فقال لهم عمر : فان كان لرسول الله رضى ؟ قالوا فان كان له رضى فخذه ، فأخذه عمر فلما صار فى يده قال له عمر : ياعباس أسلم فوالله لئن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه اسلامك . قال واستشار رسول الله (ص) أبا بكر فقال أبو بكر عشيرتك فارسلهم واستشار عمر فقال اقتلهم ، ففاداهم رسول الله (ص) فأنزل الله (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض) الآية . ثم قال الحاكم فى صحيحه هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان الثورى عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن على قال : جاء جبريل إلى النبى (ص) فقال خير أصحابك فى الاسارى إن شاؤا الفداء وإن شاؤا القتل على أن يقتل عاما قابلا منهم مثلهم . قالوا الفداء أو يقتل منا . وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مرسلا عن عبيدة والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق عن ابن أبى نجيح عن عطاء عن ابن عباس فى قوله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) يقول لولا أنى لا أعذب من عصانى حتى اتقدم اليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . وهكذا روى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أيضا واختاره ابن اسحاق وغيره وقال الاعمش سبق منه أن لا يعذب أحداً شهد بدراً . وهكذا روى عن سعد ابن أبى وقاص وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح ، وقال مجاهد والثورى (لولا كتاب من الله سبق) أى لهم بالمغفرة . وقال الوالبى عن ابن عباس سبق فى أم الكتاب الاول أن المغانم وفداء الاسارى حلال لكم ، ولهذا قال بعده (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) وهكذا روى عن أبى هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة والاعمش ، واختاره ابن جرير وقد ترجح هذا

القول بما ثبت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر . وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً ، وحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث الى قومه و بعثت الى الناس عامة » وروى الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ « لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا » ولهذا قال تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فاذن الله تعالى فى أكل الغنائم وفداء الاسارى وقد قال أبو داود حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشى ثنا سفيان بن حبيب ثنا شعبة عن أبى العنبس عن أبى الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة ، وهذا كان أقل ما فودى به أحد منهم من المال ، وأكثر ما فودى به الرجل منهم أربعة آلاف درهم . وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه فى الدنيا والآخرة فقال تعالى (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبهم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم) الآية . وقال الوالبى عن ابن عباس نزلت فى العباس ففادى نفسه بالاربعين أوقية من ذهب قال العباس ؛ فآتانى الله أربعين عبداً — يعنى كلهم يتجر له — قال وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله جل ثناؤه . وقال ابن اسحاق حدثنى العباس بن عبد الله بن معقل [1] عن بعض أهله عن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والاسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبى ﷺ ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال « سمعت أنين عمى العباس فى وثاقه » فاطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق . وكان رجلا موسراً ففادى نفسه بمائة أوقيه من ذهب . قلت . وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابنى أخويه عقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بنى الحارث بن فهر كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى أنه كان قد أسلم فقال له رسول الله ﷺ « أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم باسلامك وسيجزيك » فادعى أنه لا مال عنده قال « فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها إن أصبت فى سفرى فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقثم ؟ » فقال والله إنى لأعلم أنك رسول الله إن هذا شئ ما علمه إلا أنا وأم الفضل رواه ابن اسحاق عن ابن أبى نجيح عن عطاء عن ابن عباس . وثبت فى صحيح البخارى من طريق موسى بن عقبة قال الزهرى حدثنى أنس بن مالك قال إن رجالا من الانصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا ائذن لنا فلنترك لابن اختنا العباس فداءه . فقال « لا والله لا تذرون منه درهما » قال البخارى وقال ابراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن النبى ﷺ أتى بمال من البحرين فقال : « انثروه فى المسجد » فكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ إذ جاءه العباس

(١) كذا فى الحلبية وفى المصرية معقل وفى الخلاصة العباس بن عبد الله بن معبد .

فقال : يارسول الله أعطني إني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال « خذ » فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلي . قال « لا » قال فارفعه أنت علي ، قال « لا » فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه الى قال « لا » قال فارفعه أنت علي قال « لا » فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه ، فما قام رسول الله (ص) وثم منها درهم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن أسباط بن نصر عن اسماعيل بن عبد الرحمن السدي قال : كان فداء العباس وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كل رجل أربعمائة دينار ، ثم توعد تعالى الآخرين فقال (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم) .

فصل

والمشهور أن الاسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين كما ورد في غير ما حديث مما تقدم وسيأتي ان شاء الله ، وكما في حديث البراء بن عازب في صحيح البخاري أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين . وقال موسى بن عقبة . قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الانصار ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعين ، وأسر منهم تسعة وثلاثين . هكذا رواه البيهقي عنه . قال وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين . ثم قال أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم أخبرنا احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق . قال واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلا ، أربعة من قريش وسبعة من الانصار وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلا وقال في موضع آخر : وكان مع رسول الله (ص) أربعون أسيراً ، وكانت القتلى مثل ذلك . ثم روى البيهقي من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث عن عقيل عن الزهري قال : وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر ، ورجل من الانصار وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك ، قال ورواه ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عروة بن الزبير قال قال البيهقي — وهو الاصح — فيما رويناه في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم ، ثم استدل على ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضا من طريق أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : أمر رسول الله (ص) على الرماة يوم أحد عبد الله ابن جبير ، فاصابوا منا سبعين . وكان النبي (ص) وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيرا ، وسبعين قتيلا . قلت والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الالف وقد صرح قتادة بانهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا ، وكأنه أخذه من هذا الذي ذكرناه والله

أعلم . وفى حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الالف ، والصحيح الاول لقوله عليه السلام « القوم ما بين التسعمائة إلى الالف » وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا كما سيأتى التنصيص على ذلك وعلى أسمائهم إن شاء الله ، وتقدم فى حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وقاله أيضا عروة بن الزبير وقتادة واسماعيل والسدى الكبير وأبو جعفر الباقر . وروى البيهقى من طريق قتيبة عن جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله بن مسعود فى ليلة القدر قال : « تحروها لاحدى عشرة بقين فان صبيحتها يوم بدر » . قال البيهقى وروى عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال ليلة تسع عشرة ما شك ، وقال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان قال البيهقى والمشهور عن أهل المغازى أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان . ثم قال البيهقى أخبرنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق ثنا أبو نعيم ثنا عمرو بن عثمان سمعت موسى بن طلحة يقول سئل أبو أيوب الانصارى عن يوم بدر فقال : إما لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت أو لاحدى عشرة بقيت . و إما لسبع عشرة بقيت وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة قباث بن أشيم الليثى من طريق الواقدى وغيره باسنادهم اليه أنه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله ﷺ ، قال وجعلت أقول فى نفسى ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، والله لو خرجت نساء قريش بالتها(1) ردت محمداً وأصحابه . فلما كان بعد الخندق قلت لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد وقد وقع فى نفسى الاسلام ، قال فقدمتها فسألت عنه فقالوا هو ذاك فى ظل المسجد فى ملأ من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فسلمت فقال يا قباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، فقلت أشهد أنك رسول الله فان هذا الامر ما خرج منى إلى أحد قط ولا ترمرمت به إلا شيئا حدثت به نفسى ، فلولا أنك نبى ما أطلعك عليه ، هلم أبايعك على الاسلام فاسلمت (2)] .

فصل

وقد إختلفت الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر فى المغانم من المشركين يومئذ لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة أصناف حين ولى المشركون . ففرقة أحدقت برسول الله ﷺ تحرسه خوفا من أن يرجع أحد من المشركين اليه . وفرقة ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون ، وفرقة جمعت المغانم

(1) فى الاصلين هكذا (بالها) ولعلها بألتها أى بسلاحها (2) ما بين المربعين من الحلبية فقط .

من متفرقات الاماكن . فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم . قال ابن اسحاق . فحدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبى أمامة الباهلى قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله (ص) ، فقسمه بين المسلمين عن بواء ، يقول عن سواء . وهكذا رواه احمد عن محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق به ومعنى قوله على السواء أى ساوى فيها بين الذين جمعوها و بين الذين اتبعوا العدو و بين الذين ثبتوا تحت الرايات لم يخصص بها فريقا منهم ممن ادعى التخصيص بها ، ولا ينفى هذا تخميسها وصرف الخمس فى مواضعه كما قد يتوهمه بعض العلماء منهم أبو عبيدة وغيره والله أعلم . بل قد تنفل رسول الله (ص) سيفه ذو الفقار من مغانم بدر . قال ابن جرير : وكذا اصطفى جملا لابى جهل كان فى أنفه برة من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضا . وقال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو ثنا ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبى سلام عن أبى أمامة عن عبادة بن الصامت قال خرجنا مع النبى (ص) فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون و يقتلون ، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه و يجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله (ص) لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وليس لاحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو لستم باحق به منا نحن نفينا منها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله (ص) خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به ، فانزل الله [يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله و رسوله إن كنتم مؤمنين] فقسمها رسول الله بين المسلمين . وكان رسول الله (ص) إذا أغار فى أرض العدو نفل الربع فاذا أقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الانفال وقد روى الترمذى وابن ماجه من حديث الثورى عن عبد الرحمن ابن الحارث آخره وقال الترمذى هذا حديث حسن . و رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه . وقد روى أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله (ص) من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ، فسارع فى ذلك شبان الرجال و بقى الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جاؤا يطلبون الذى جعل لهم قال الشيوخ : لا تستأثروا علينا فانا كنا ردءا لكم لو انكشفتم لفئتم الينا ، فتنازعوا فانزل الله تعالى [يسألونك

عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين] وقد ذكرنا فى سبب نزول هذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها ههنا ومعنى الكلام أن الانفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله يحكما فيها بما فيه المصلحة للعباد فى المعاش والمعاد ولهذا قال تعالى (قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ثم ذكر ما وقع فى قصة بدر وما كان من الامر حتى انتهى إلى قوله [واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل] الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله فى الانفال الذى جعل مرده اليه وإلى رسوله ﷺ فبينه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى ، وهو قول أبى زيد وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله ﷺ قسم غنائم بدر على السواء بين الناس ، ولم يخمسها ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخا لما تقدم ، وهكذا روى الوالبى عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدى وفى هذا نظر والله أعلم . فان فى سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها فى غزوة بدر فيقتضى أن ذلك نزل جملة فى وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضى نسخ بعضه بعضا ، ثم فى الصحيحين عن على رضى الله عنه أنه قال فى قصة شار فيه اللذين اجتب أسنمتهما حمزة إن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ما يرد صريحا على أبى عبيد أن غنائم بدر لم تخمس والله أعلم . بل خمست كما هو قول البخارى وابن جرير وغيرهما وهو الصحيح الراجح والله أعلم .

فصل

فى رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة وما كان من الامور فى مسيره اليها مؤيداً منصوراً عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وثبت فى الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام ، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقته ووقف على قليب بدر فقرع أولئك الذين سحبوا اليه كما تقدم ذكره ، ثم سار عليه السلام ومعه الاسارى والغنائم الكثيرة وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحده وبه كفر ؛ أحدهما عبد الله بن رواحه إلى أعالى المدينة ، والثانى زيد بن حارثة إلى السافلة . قال أسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سوينا [التراب] على رقية بنت رسول الله ﷺ وكان زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه قد احتبس عندها يمرضها بأمر رسول الله ﷺ ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره فى بدر قال أسامة : فلما قدم أبى زيد بن حارثة جئته وهو

واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الاسود ، وأبو البخترى العاص بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . قال قلت يا أبة أحق هذا ؟ قال إى والله يا بنى وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد أن النبى صلى الله عليه وسلم خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الهيعة فخرجت فاذا زيد قد جاء بالبشارة فوالله ما صدقت حتى رأينا الاسارى . وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بسهمه وقال الواقدى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من بدر العصر بالاثيل فلما صلى ركعة تبسم فسئل عن تبسمه فقال : « مر بى ميكائيل وعلى جناحه النقع فتبسم إلى وقال إنى كنت فى طلب القوم ، وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم ثنييه الغبار فقال يامحمد إن ربى بعثنى اليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى هل رضيت ؟ قال نعم . قال الواقدى قالوا وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الاثيل فجاءا يوم الاحد حين اشتد الضحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحلته يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زمعة بن الاسود ، وأمية بن خلف ، وأسر سهيل بن عمرو . قال عاصم بن عدى فقمت اليه فنحوته فقلت أحقا يا ابن رواحة ؟ فقال إى والله وغداً يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسرى مقرنين ثم تتبع دور الانصار بالعالية يبشرهم داراً داراً والصبيان ينشدون معه يقولون : قتل أبو جهل الفاسق ، حتى إذا انتهى إلى دار بنى أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلى صاح على راحلته قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وقتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البخترى وزمعة بن الاسود ، وأسر سهيل بن عمرو ذو الانياب فى أسرى كثير فجعل بعض الناس لا يصدقون زيداً ويقولون ما جاء زيد بن حارثة إلا فلاًّ حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا . وقدم زيد حين سووا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع ، وقال رجل من المنافقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه ؟ وقال آخر لابى لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون فيه أبداً وقد قتل عليه أصحابه قتل محمد وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدرى ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلاً فقال أبو لبابة : يكذب الله قولك . وقالت اليهود : ما جاء زيد الا فلاً . قال أسامة فجئت حتى خلوت بابى فقلت أحق ما تقول ؟ فقال إى والله حق ما أقول يابنى فقويت نفسى ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لنقدمنك إلى رسول الله إذا قدم فليضربن عنقك ، فقال إنما هو شئ سمعته

من الناس يقولونه . قال يحيى بالاسرى وعليهم شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد شهد معهم بدراً وهم تسع وأربعون رجلا الذين أحصوا . قال الواقدى وهم سبعون فى الاصل مجتمع عليه لا شك فيه قال ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالروحاء رؤوس الناس يهنئونه بما فتح الله عليه . فقال له أسيد بن الحضير : يارسول الله الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك ، والله يارسول الله ما كان تخلفى عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً ، ولكن ظننت أنها عير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت . فقال له رسول الله « صدقت » قال ابن اسحاق ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ومعه الاسارى وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار . فقال راجز من المسلمين – قال ابن هشام [يقال إنه] هو عدى بن أبي الزغباء –

أَقِمْ لها صدورَها يا بسبس ليس بذي الطَّلْحِ لها معرَّسُ

ولا بصحراءِ عميرٍ محبِسُ إن مطايا القوم لا تحبَّسُ

فحملُها على الطريقِ أكيَس قد نصرَ اللهُ وفرَّ الأخنَس

قال ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سَيَر إلى سرحة به فقسم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثنى عاصم بن عمر ويزيد بن رومان ما الذى تهنئوننا به . والله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال . « أى ابن أخى أولئك الملأ » قال ابن هشام : يعنى الاشراف والرؤساء

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن اسحاق حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله على بن أبى طالب كما أخبرنى بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة ابن أبى معيط . قال ابن اسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فمن للصبية يامحمد ؟ قال « النار » وكان الذى قتله عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح أخو بنى عمرو بن عوف كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر . وكذا قال موسى بن عقبة فى مغازيه وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل من الاسارى أسيراً غيره . قال ولما أقبل اليه عاصم بن ثابت قال : يامعشر قريش علام أقتل من بين مَنْ ههنا ؟ قال على عداوتك الله ورسوله . وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن

الشعبي قال . لما أمر النبي ص ، بقتل عقبة قال أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ . قال : « نعم ! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينيّ ستندران ، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فالقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي » قال ابن هشام ويقال بل قتل عقبة على بن أبي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم .

قلت كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغيا وحسداً وهجاء للاسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل . قال ابن هشام : فقالت قتيلة بنت الحارث اخت النضر بن الحارث في مقتل أخيها :

يا راكباً انّ الاثيلَ مظنةٌ من صُبحِ خامسةٍ وأنتَ موفّق
أبلغْ بها ميتًا بانّ تحيةً ما إن تزال بها النجائبُ تخفق
منّي اليكَ وعبرةً مسفوحةً جادتْ بوابلها وأخرى تخنق
هل يسمعنّ النضرُ ان ناديتُه أم كيفَ يسمع ميّتٌ لا ينطق
أمحمد ياخيرَ ضِنْءِ كريمةٍ من قومِها والفحلُ فحلٌ معرق
ما كان ضرَّكَ لو مننتَ وربما منّ الفتى وهو المَغيظُ المحنق
أو كنتَ قابلَ فديةٍ فلينفقن باعزّ ما يغلو به ما ينفق
والنضرُ أقربُ من أسرتَ قرابةً وأحقُّهم ان كان عِتقٌ يعتق
ظلّتْ سيوفُ بنى أبيه تنوشُه لله أرحامٌ هنالك تُشقّق
صبراً يُقادُ الى المنيّةِ متعَبا رسفَ المقيّدِ وهو عانٍ موثق

قال ابن هشام . ويقال والله أعلم أن رسول الله ص لما بلغه هذا الشعر قال « لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه » .

قال ابن اسحاق . وقد تلقى رسول الله ص بهذا الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضي حجامه عليه السلام ومعه زق خمر [1] مملوء حيسا — وهو التمر والسويق بالسمن — هدية لرسول الله ص فقبله منه ووصى به الانصار . قال ابن اسحاق ثم مضى رسول الله ص حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم . قال ابن اسحاق . وحدثني نبيه بن وهب أخو بنى عبد الدار أن رسول الله ص حين أقبل بالاسارى فرقهم بين أصحابه وقال « استوصوا بهم خيراً » قال وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لابيه وأمه في الأسارى ، قال أبو عزيز مربى أخى مصعب بن عمير

(١) كذا في الاصلين . وفي ابن هشام : ولقى رسول الله الخ بحميت مملوء حيسا . والحميت الزق .

ورجل من الأنصار يأسرني فقال شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، قال أبو عزيز فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها فأستحي فاردها فيردها على ما يمسها . قال ابن هشام : وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لأبي اليسر — وهو الذي أسره — ما قال قال له أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعب إنه أخي دونك فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي فقيل لها أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها قلت : وأبو عزيز هذا اسمه زرارة فيما قاله ابن الأثير في غابة الصحابة ، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة . وكان أخا مصعب بن عمير لأبيه ، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير وقد غلط من جعله قتل يوم أحد كافراً ذاك أبو عزة كما سيأتي في موضعه والله أعلم . قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة . قال قدم بالأسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، قال وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، قال تقول سودة والله إني لعندهم إذ أتينا فقيل هؤلاء الأسارى قد أتي بهم ، قالت فرجعت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل قالت فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ، ألا متم كراما ؟ فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت « ياسودة أعلى الله وعلى رسوله تحرضين » قال قلت يارسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت . ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكميته إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر

قال الحافظ البيهقي . أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي ببغداد حدثنا احمد بن سلمان النجاد حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثني حمزة بن العباس ثنا عبدان بن عثمان ثنا عبد الله ابن المبارك أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن عبد الرحمن — رجل من أهل صنعاء — قال أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب . قال جعفر فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى ما في وجوهنا قال إني أبشركم بما يسركم . إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فاخبرني أن الله قد نصر نبيه

وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان . التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كأنى أنظر اليه كنت أرعى لسيدى رجل من بنى ضمرة إبله ، فقال له جعفر : ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاط ؟ قال إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى إن حقا على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعا عند ما يحدث لهم من نعمة ، فلما أحدث الله لى نصر نبيه ﷺ أحدثت له هذا التواضع .

وصول خبر مصاب اهل بدر الى اهاليهم بمكة

قال ابن اسحاق وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعى فقالوا له ما وراءك ؟ قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وزمعة بن الاسود ونبيه ومنبه ، وأبو البختري بن هشام فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان ابن أمية والله ان [1] يعقل هذا ، فسلوه عنى فقالوا ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال هو ذاك جالسا فى الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا . قال موسى بن عقبة . ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل . وذكر السهيلى عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمعت أهل مكة هاتفا من الجن يقول :

أزارَ الحنيفيون بدراً وقيعةً ... سينقضُ منها ركنُ كسرى وقيصرا
أبادتْ رجالاً من لؤيٍّ وابرزتْ ... خرائدَ يضربنَ الترائبَ حُسَّرا
فياويحَ من أمسى عدوَّ محمد ... لقد جارَ عن قصدِ الهدى وتحيّرا

قال ابن اسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غلاما للعباس بن عبدالمطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس واسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه . وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة — وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلا — فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزاً ، قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الاقداح أنحتها فى حجرة زمزم . فوالله إنى لجالس فيها أنحت اقداحى وعندى ام الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل ابو لهب يجر رجليه بشرّ ، حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهرى فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا أبو

(١) كذا فى الحلبية وفى المصرية وابن هشام : والله ان يعقل هذا .

سفيان ـ واسمه المغيرة ـ ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال فقال أبو لهب هلم إلىّ فعندك لعمري الخبر ، قال فجلس اليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس" قال والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ، و يأسروننا كيف شاؤا . وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ، والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شئ . قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت . تلك والله الملائكة . قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة ، قال وثاورته (1) فاحتملنى وضرب بى الارض ثم برك علىّ يضربنى — وكنت رجلا ضعيفا — فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته به ضربة فبلغت فى رأسه شجة منكرة ، وقالت استضعفته إن غاب عنه سيده ، فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته زاد يونس عن ابن اسحاق : فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أنتن . وكانت قريش تتقى هذه العدسة كما تتقى الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش : ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه؟ فقالا إنا نخشى عدوة هذه القرحة ، فقال انطلقا فانا أعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فاسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة . [قال يونس عن ابن اسحاق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت لا تمر على مكان أبى لهب هذا إلا تسترت بثوبها حتى تجوز (2)] .

قال ابن اسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد قال ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا لا تفعلوا يبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسرا كم حتى تستأنسوا بهم لا يأرب (3) عليكم محمد وأصحابه فى الفداء . قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم فى ذلك الوقت وهو تركهم النوح على قتلاهم ، فان البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين . قال ابن اسحاق . وكان الاسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زمعة وعقيل والحارث ، وكان يحب أن يبكى على بنيه قال فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له ـ وكان قد ذهب بصره ـ أنظر هل أحل النحب هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على أبى حكيمة ـ يعنى ولده زمعة ـ فان جوفى قد احترق ، قال فلما رجع اليه الغلام قال إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته قال فذاك حين يقول الاسود :

أتبكي أن أضلَّ لها بعيرٌ ويمنعُها من النومِ السُّهود

(1) كذا فى الحلبية وابن هشام ، وفى المصرية : وبادرته . (2) ما بين المربعين من الحلبية فقط ولم يرد فى المصرية ولا فى ابن هشام .

(3) يأرب قال فى النهاية فى تفسير هذا الخبر : أى يتشددون عليكم .

فلا تبكي على بكرٍ ولكنْ على بدرٍ تقاصرتِ الجدود
على بدرٍ سَراة بني هصيصٍ ومخزومٍ ورهطِ أبي الوليد
وبكّي إن بكيتِ أبا عقيلٍ وبكى حارثاً أسَد الاسود
وبكيهم ولا تُسْمي جميعا وما لأبي حكيمةَ من نديد
ألا قد سادَ بعدهمُ رجالٌ ولولا يومُ بدرٍ لم يسودوا

بعث قريشٍ الى رسول الله (ص) فداءَ اسراهم

قال ابن اسحاق : وكان فى الاسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمى . فقال رسول الله (ص) « إن له بمكة ابنا كيسا تاجراً ذا مال وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسرا كم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه ؛ قال المطلب بن أبى وداعة وهو الذى كان رسول الله (ص) عنى صدقتم لا تعجلوا ، وانسل من الليل وقدم المدينة فاخذ أباه باربعة آلاف درهم فانطلق به .

قلت : وكان هـذا أول أسير فدى ثم بعثت قريش فى فداء أسراهم فقدم مكرز بن حفص بن الاخيف فى فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذى أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم بن عوف فقال فى ذلك :

أسرتُ سُهيلاً فلا ابتغي أسيراً به من جميع الأمم
وخندفُ تعلم أنّ الفتى فتاها سهيلٌ إذا يُظّلم
ضربتُ بذي الشُفرِ حتى انثنى وأكرهتُ نفسى على ذى العَلَم

قال ابن اسحاق : وكان سهيل رجلا أعلم من شفته السفلى . قال ابن اسحاق وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء أخو بنى عامر بن لؤى أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله (ص) : دعنى أنزع ثنية سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبداً ؟ فقال رسول الله (ص) « لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيا » .

قلت : هذا حديث مرسل بل معضل قال ابن اسحاق وقد بلغنى أن رسول الله (ص) قال لعمر فى هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه » قلت : وهـذا هو المقام الذى قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله (ص) ، وارتد من ارتد من العرب ، ونجم النفاق بالمدينة وغـيرها . فقام بمكة فخطب الناس وثبتهم على الدين الحنيف كما سيأتى فى موضعه .

قال ابن اسحاق . فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضائهم قالوا هات الذى لنا قال اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم . وأنشد له ابن اسحاق فى ذلك شعراً أنكره ابن هشام فالله أعلم . قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى

بكر قال : وكان فى الاسارى عمرو بن أبى سفيان صخر بن حرب . قال ابن اسحاق وكانت أمه بنت عقبة بن أبى معيط . قال ابن هشام . بل كانت أمه أخت أبى معيط . قال ابن هشام : وكان الذى أسره على بن أبى طالب قال ابن اسحاق : وحدثنى عبـد الله بن أبى بكر قال فقيل لابى سفيان أفد عمراً ابنك ، قال أيجتمع على دمى ومالى ، قتلوا حنظلة وافدى عمراً ؟ دعوه فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى معاوية معتمراً ومعه مرية له وكان شيخا مسلما فى غنم له بالبقيع فخرج من هنالك معتمراً ولم يظن أنه يحبس بمكة إنما جاء معتمراً ، وقـد كان عهد قريش أن قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليـه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو وقال فى ذلك :

أرهطَ ابن أكّالٍ أَجيبوا دعاءه ... تعاقدتمُ لا تُسلِموا السيّدَ الـكهلا

فإن بني عمرو لئامٌ أذلةٌ ... لئن لم يكفّوا عن أسيرِهم الـكَبْلا

قال فأجابه حسان بن ثابت يقول :

لو كان سعدٌ يومَ مكة مطلَقاً ... لأكثرَ فيكم قبلَ أن يؤسَر القتلا

بعضْبٍ حسامٍ أو بصفراءَ نبعةٍ ... تحنّ إذا ما أنبضتْ تحفِزُ النّبلا

قال ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله (ص) فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكوا به صاحبهم فأعطاهم النبي فبعثوا به إلى أبى سفيان فخلى سبيل سعد . قال ابن اسحاق وقد كان فى الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أميـة ختن رسول الله (ص) ، وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام . وكان الذى أسره خراش بن الصمة أحـد بنى حرام . قال ابن اسـحاق وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خـديجة هى التى سألت رسول الله (ص) أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحى ، وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية ـ أو أم كلثوم من عتبة بن أبى لهب ، فلما جاء الوحى قال أبو لهب . اشغلوا محمـداً بنفسه ، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله (ص) ، قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنـه ومشوا إلى أبى العاص فقالوا فارق صاحبتك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت ، قال لا والله اذا لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش ؛ وكان رسول الله (ص) ، يثنى عليـه فى صهره فيما بلغنى . قلت : الحديث بذلك فى الثناء عليه فى صهره ثابت فى الصحيح كما سيأتى قال ابن اسحاق . وكان رسول الله (ص) ، لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوبا على أمره ، وكان الاسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول

الله ص،) و بين أبى العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما . قلت : إنما حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله فى فداء أبى العاص بمال ، و بعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها قالت فلما رآها رسول الله ص ، رق لها رقة شديدة وقال « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا » . قالوا نعم ! يارسول الله ، فاطلقوه وردوا عليها الذى لها . [قال ابن اسحاق فكان ممن سمى لنا ممن منّ عليه رسول الله ص ، من الاسارى بغير فداء من بنى أمية أبو العاص بن الربيع ، ومن بنى مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أسره بعض بنى الحارث بن الخزرج فترك فى أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه (١)] قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله ص ، قد أخذ عليه أن يخلى سبيل زينب ـ يعنى أن تهاجر إلى المدينة ـ فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتى . وقد ذكر ذلك ابن اسحاق ههنا فاخرناه لانه أنسب والله أعلم . وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبى ص، نفسه وعقيلا ونوفلا ابنى أخويه بمائة أوقية من الذهب . وقال ابن هشام كان الذى أسر أبى العاص أبو أيوب خالد بن زيد . قال ابن اسحاق : وصيفى بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك فى أيدى أصحابه ، فاخذوا عليه ليبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم . قال حسان بن ثابت فى ذلك :

ما كانَ صيفيٌ ليوفي أمانةً ... قفا ثعلبٍ أعيا ببعضِ الموارد

قال ابن اسحاق . وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح كان محتاجا ذا بنات قال يا رسول الله لقد عرفت مالى من مال و إنى لذو حاجة وذو عيال فامنن على ، فمنّ عليه رسول الله ص ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً فقال أبو عزة يمدح رسول الله ص على ذلك :

مَن مبلغٌ عني الرسولَ محمداً ... بأنك حقٌ والمليكُ حميد
وأنت امرؤ تدعو الى الحق والهدى ... عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بُوِّئتَ فينا مباءةً ... لها درجاتٌ سهلة وصعود
فإنك مَن حاربتَه لمحاربٌ ... شقيٌّ ومَن سالمتَه لسعيد
ولكن إذا ذُكِّرتُ بدراً وأهلَه ... تأوَّبُ ما بي، حسرة وقعود

قلت . ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله فرجع اليهم

(١) ما بين المربعين مقدم فى الحلبية ومؤخر فى المصرية

فلما كان يوم أحد أسر أيضا ، فسأل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يمن عليه أيضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدا مرتين » ثم أمر به فضربت عنقه كما سيأتى فى غزوة أحد ويقال إن فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وهذا من الامثال التى لم تسمع إلا منه عليه السلام .

قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال جلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية فى الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر . قال ابن هشام : والذى أسره رفاعة بن رافع أحد بنى زريق . قال ابن اسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر عن عروة فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ما أن فى العيش [بعدهم] خير ، قال له عمير صدقت ، أما والله لولا دين على ليس عندى قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله فان لى فيهم علة ابنى أسير فى أيديهم . قال فاغتنمها صفوان بن أمية فقال : على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسعنى شئ ويعجز عنهم . فقال له عمير : فاكتم على شأنى وشأنك ، قال سأفعل . قال ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم فى عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحا السيف . فقال هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر وهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوحشا سيفه قال فادخله على ، قال فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها وقال لمن كان معه من الانصار أدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه رسول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال « أرسله ياعمر ، أدن ياعمير » فدنا ثم قال أنعم صباحا ـ وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسول الله « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير بالسلام تحية أهل الجنة » قال أما والله يامحمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال « فما جاء بك ياعمير؟ » قال جئت لهذا الاسير الذى فى أيديكم فاحسنوا فيه ، قال « فما بال السيف فى عنقك » قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا ؟ قال « أصدقنى ما الذى جئت له ؟ » قال ما جئت إلا لذلك ، قال « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن

تقتلني له والله حائل بينك و بين ذلك » فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله ﷺ « فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره » ففعلوا ثم قال : يارسول الله إني كنت جاهداً على اطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فاقدم مكة فادعوهم إلى الله و إلى رسوله و إلى الاسلام لعل الله يهديهم ، و إلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول ابشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره عن اسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً قال ابن اسحاق فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الاسلام و يؤذي من خالفه أذى شديداً فاسلم على يديه ناس كثير . قال ابن اسحاق . وعمير بن وهب ــ أو الحارث بن هشام ــ هو الذي رأى عدو الله ابليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفر هاربا وقال إني بريء منكم إني أرى مالا ترون ، وكان ابليس يومئذ في صورة سراقة بن مالك بن جعشم أمير مدلج .

فصل

ثم إن الامام محمد بن اسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر وهو من أول سورة الانفال إلى آخرها فاجاد وأفاد ، وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثمّ ولله الحمد والمنة .

فصل

ثم شرع ابن اسحاق في تسمية من شهد بدراً من المسلمين فسرد أسماء من شهدها من المهاجرين أولا ، ثم أسماء من شهدها من الانصار أوسها وخزرجها إلى أن قال فجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والانصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون رجلا . ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا . وقد سردهم البخاري في صحيحه مرتبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله ﷺ ثم بأبي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وذلك من كتاب الاحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي وغيره بعد البداءة بإسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله ﷺ .

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف الألف

أبى بن كعب النجارى سيد القراء ، الارقم بن أبى الارقم وأبو الارقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم المخزومى ، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان . أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم ، كذا قال موسى بن عقبة . وقال الاموى . سواد بن رزام ابن ثعلبة بن عبيد بن عدى سك فيه ، وقال سلمة بن الفضل عن ابن اسحاق ؛ سواد بن رزيق بن ثعلبة ، وقال ابن عائذ سواد بن زيد ، أسير بن عمرو الانصارى أبو سليط ، وقيل أسير بن عمرو بن أمية بن لوذان بن سالم بن ثابت الخزرجى ، ولم يذكره موسى بن عقبة ، أنس بن قتادة بن ربيعة ابن خالد بن الحارث الاوسى ، كذا سماه موسى بن عقبة ، و[سماه] الاموى فى السيرة أنيس .

[قلت : وأنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم لما روى عمر بن شبة النميرى حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن أبيه عن ثمامة بن أنس قال قيل لأنس بن مالك أشهدت بدراً ؟ قال وأين أغيب عن بدر لا أم لك ؟ ! وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عبد الله الانصارى ثنا أبى عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس : شهدت بدراً ؟ قال لا أم لك وأين أغيب عن بدر ؟ قال محمد بن عبد الله الانصارى خرج أنس بن مالك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهو غلام يخدمه قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه هكذا قال الانصارى ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازى][1] . أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أنسة الحبشى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . أوس بن ثابت بن المنذر النجارى ، أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجى . وقال موسى ابن عقبة أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجى أخو عبادة بن الصامت ، إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بنى عدى بن كعب .

حرف الباء

بجير بن أبى بجير حليف بنى النجار ، بحاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوى حليف الانصار ، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان

(١) ما بين المربعين من المصرية فقط

ابن رشدان بن قيس بن جهيمة الجهنى حليف بنى ساعدة وهو أحد العينين هو وعدى بن أبى الزغباء كما تقدم ، بشر بن البراء بن معرور الخزرجى الذى مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد ابن ثعلبة الخزرجى والد النعمان بن بشير ويقال إنه أول من بايع الصديق ، بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الاوسى رده عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، تميم مولى خراش بن الصمة ، تميم مولى بنى غنم بن السلم . وقال ابن هشام :هو مولى سعد بن خيثمة .

حرف الثاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، ثابت بن ثعلبة و يقال لثعلبة هـذا الجذع بن زيد بن الحارث بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة ابن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجارى ، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار النجارى ، ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد بن مالك بن غنم بن عدى بن النجار النجارى ، ثابت بن هزال الخزرجى ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو ابن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الاوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجارى (١) ثعلبة بن عمرو بن محصن الخزرجى ، ثعلبة بن عنمة بن عدى بن نابئ السلمى ، ثقف بن عمرو من بنى حجر آل بنى سليم وهو من حلفاء بنى كثير بن غنم بن دودان بن أسد .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الاشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجارى ، جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى أحد الذين شهدوا العقبة

[قلت : فاما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى أيضا فذكره البخارى فيهم فى مسند عن سعيد بن منصور عن أبى معاوية عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر وقال كنت أمتح لاصحابى الماء يوم بدر . وهذا الاسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد ذكرت لمحمد بن عمر ـ يعنى الواقدى ـ هذا الحديث فقال هـذا وهم من أهل العراق وأنكر أن يكون جابر شهد بدراً

(١) كذا فى الاصل ونحسبه مكرراً كما فى الاصابة ونظم أسماء أهل بدر

وقال الامام احمد بن حنبل حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ص ، تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أحدا منعني أبي فلما قتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ص ، عن غزاة . ورواه مسلم عن أبي خيثمة عن روح [1]]. جبار بن صخر السلمي ، جبر بن عتيك الانصاري ، جبير بن إياس الخزرجي .

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي ، الحارث بن أوس بن معاذ بن اخي سعد بن معاذ الأوسي ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الاوس رده عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن حزمة بن عدى بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبني زعورا ابن عبد الاشهل ، الحارث بن الصمة الخزرجي رده عليه السلام لانه كسر من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عرفجة الاوسي ، الحارث ابن قيس بن خلدة أبو خالد الخزرجي ، الحارث بن النعمان بن أمية الانصاري . حارثة بن سراقة النجاري أصابه سهم غرب وهو في النظارة فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الانصاري ، حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد بن عبدالعزى بن قصي . حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الاشجعي من بني دهمان هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن اسحاق . وقال الواقدي حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود كذا ذكره ابن عائذ في مغازيه وقال ابن أبي حاتم حاطب بن عمرو ابن عبد شمس سمعته من أبي وقال هو رجل مجهول ، الحباب بن المنذر الخزرجي ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ . حبيب بن أسود مولى بني حرام من بني سلمة وقال موسى بن عقبة حبيب بن سعد بدل أسود ، وقال ابن أبي حاتم حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج أنصاري بدري حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري أخو عبد الله بن زيد الذي أرى النداء ، الحصين ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ص .

حرف الخاء

خالد بن البكير أخو إياس المتقدم ، خالد بن زيد أبو أيوب النجاري ، خالد بن قيس بن مالك ابن العجلان الانصاري ، خارجة بن الحمير حليف بني خنساء من الخزرج وقيل اسمه حارثة بن الحمير وسماه ابن عائذ خارجة فالله أعلم . خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق ، خباب بن الارت حليف بني زهرة وهو من المهاجرين الاولين وأصله من بني تميم ويقال من خزاعة ، خباب مولى

(١) ما بين المربعين عن النسخة المصرية فقط

عتبة بن غزوان من المهاجرين الاولين ، خراش بن الصمة السلمى ، حبيب بن اساف بن عتبة الخزرجى ، خريم بن فاتك ذكره البخارى فيهم ، خليفة بن عدى الخزرجى ، خليد بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الانصاري السلمى ، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى السهمى قتل يومئذ فتأيمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خوات بن جبير الانصارى ضرب له بسهمه وأجره لم يشهدها بنفسه ، خولى بن أبى خولى العجلى حليف بنى عدى من المهاجرين الاولين ، خلاد بن رافع ، وخلاد بن سويد ، وخلاد بن عمرو ابن الجموح الخزرجيون .

حرف الذّال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجى ، ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة من غبشان بن سليم ابن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بنى خزاعة حليف لبنى زهرة قتل يومئذ شهيداً قال ابن هشام . واسمه عمير و إنما قيل له ذو الشمالين لانه كان أعسراً .

حرف الرّاء

رافع بن الحارث الاوسى ، رافع بن عنجدة قال ابن هشام : هى أمه ، رافع بن المعلى بن لوذان الخزرجى قتل يومئذ . ربعى بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقبة ربعى بن أبى رافع ، ربيع بن إياس الخزرجى ، ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف لبنى عبد شمس بن عبد مناف وهو من المهاجرين الاولين ، رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجى ، رفاعة ابن رافع الزرقى أخو خلاد بن رافع ، رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر الأوسى أخو أبى لبابة ، رفاعة ابن عمرو بن زيد الخزرجى

حرف الزّاى

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، زياد بن عمرو وقال موسى بن عقبة زياد بن الاخرس بن عمرو الجهنى . وقال الواقدى زياد بن كعب ابن عمرو بن عدى بن رفاعة بن كليب بن برذعة بن عدى بن عمرو بن الزبعرى بن رشدان بن قيس بن جهينة ، زياد بن لبيد الزرقى ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجى ، زيد بن أسلم بن ثعلبة ابن عدى بن عجلان بن ضبيعة ، زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضى الله عنه ، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، زيد بن سهل بن الاسود بن حرام النجارى أبو طلحة رضى الله عنه .

حرف السين

سالم بن عمير الاوسى ، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجى ، سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ، السائب بن عثمان بن مظعون الجمحى شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس بن عائد [1] الخزرجى ، سبرة ابن فاتك ذكره البخارى ، سراقة بن عمرو النجارى ، سراقة بن كعب النجارى أيضا ، سعد بن خولة مولى بنى عامر بن لؤى من المهاجرين الاولين ، سعد بن خيثمة الاوسى قتل يومئذ شهيداً ، سعد بن الربيع الخزرجى الذى قتل يوم أحد شهيداً . سعد بن زيد بن مالك الاوسى وقال الواقدى سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى ، سعد بن سهيل بن عبد الاشهل النجارى ، سعد بن عبيد الانصارى ، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى أبو عبادة وقال ابن عائذ أبو عبيدة ، سعد بن معاذ الاوسى وكان لواء الأوس معه ؛ سعد بن عبادة بن دليم الخزرجى ذكره غير واحد منهم عروة والبخارى وابن أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدراً ، ووقع فى صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور النبى ص فى ملتقى النفير من قريش فقال سعد بن عبادة كأنك تريدنا يارسول الله الحديث والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ ، والمشهور أن سعد بن عبادة رده من الطريق قيل لاستنابته على المدينة وقيل لذعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر حكاه السهيلى عن ابن قتيبة فالله أعلم سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب الزهرى أحد العشرة ، سعد بن مالك أبو سهل قال الواقدى تجهز ليخرج فمرض فمات قبل الخروج ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ابن عم عمر بن الخطاب يقال قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله ص بسهمه وأجره ، سفيان ابن بشر بن عمرو الخزرجى ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسى ، سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة ، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة . سليم بن الحارث النجارى ، سليم بن عمرو السلمى ، سليم بن قيس بن فهد الخزرجى ، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجارى ، سماك بن أوس ابن خرشة أبو دجانة ويقال سماك بن خرشة ، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجى وهو أخو بشير بن سعد المتقدم ؛ سهل بن حنيف الأوسى . سهل بن عتيك النجارى . سهل بن قيس السلمى ، سهيل ابن رافع النجارى الذى كان له ولاخيه موضع المسجد النبوى كما تقدم ، سهيل بن وهب الفهرى وهو ابن بيضاء وهى أمه ، سنان بن أبى سنان بن محصن بن حرثان من المهاجرين حليف بنى عبد شمس ابن عبد مناف ، سنان بن صيفى السلمى ، سواد بن زريق بن زيد الانصارى وقال الاموى سواد ابن رزام ، سواد بن غزية بن أهيب البلوى ، سويبط بن سعد بن حرملة العبدرى ، سويد بن

(١) كذا فى الاصابة وفى المصرية ابن عيشة وفى الروض عبسة بالمهملة .

مخشى أبو مخشى الطائى حليف بنى عبد شمس وقيل اسمه أزيد بن حمير

حرف الشين

شجاع بن وهب بن ربيعة الاسدى أسد بن خزيمة حليف بنى عبد شمس من المهاجرين الاولين شماس بن عثمان المخزومى قال ابن هشام واسمه عثمان بن عثمان و إنما سمى شماسا لحسنه وشبهه شماساً كان فى الجاهلية ، شقران مولى رسول الله ص . قال الواقدى لم يسهم له وكان على الأسرى فاعطاه كل رجل ممن له فى الأسرى شيئا فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصاد

صهيب بن سنان الرومى من المهاجرين الاولين : صفوان بن وهب بن ربيعة الفهرى أخو سهيل بن بيضاء قتل شهيداً يومئذ ، صخر بن أمية بن خنساء السلمى .

حرف الضاد

ضحاك بن حارثة بن زيد السلمى ، ضحاك بن عبد عمرو النجارى ، ضمرة بن عمرو الجهنى وقال موسى بن عقبة : ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الانصار وهو أخو زياد بن عمرو .

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التيمى أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله ص ، بسهمه وأجره ، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين وهو أخو حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خنساء السلمى . طفيل بن النعمان بن خنساء السلمى ابن عم الذى قبله . طليب بن عمير بن وهب بن أبى كبير بن عبد بن قصى ذكره الواقدى .

حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسى ذكره البخارى

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح الانصارى الذى حمته الدبر حين قتل بالرجيع ، عاصم بن عدى ابن الجد بن عجلان رده عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره ، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجى عاقل بن البكير أخو إياس وخالد وعامر ، عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجارى ، عامر بن الحارث الفهرى كذا ذكره سلمة عن ابن اسحاق وابن عائذ وقال موسى بن عقبة وزياد

عن ابن اسحق عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعه بن مالك العنزى حليف بنى عدى من المهاجرين ، عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلوى القضاعى حليف بنى سالم بن مالك بن سالم بن غنم . قال ابن هشام ويقال عمر بن سلمة ، عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ابن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين . عامر بن فهيرة مولى أبى بكر . عامر بن مخلد النجارى . عائذ بن ماعص بن قيس الخزرجى ، عباد بن بشر بن وقش الأوسى ، عباد بن قيس بن عامر الخزرجى ، عباد بن قيس بن عيشه الخزرجى أخو سبيع المتقدم ، عباد ابن الخشخاش القضاعى ، عبادة بن الصامت الخزرجى ، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس ، عبد الله بن أميه بن عرفطه ، عبد الله بن ثعلبه بن خزمة أخو بحاث المتقدم ، عبد الله بن جحش ابن رئاب الاسدى ، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسى ، عبد الله بن الجد بن قيس السلمى ، عبد الله بن حق بن أوس الساعدى وقال موسى بن عقبة والواقدى وابن عائذ عبد رب بن حق ، وقال ابن هشام عبد ربه بن حق ، عبد الله بن الحمير حليف لبنى حرام وهو أخو خارجة بن الحمير من أشجع ، عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجى ، عبد الله بن رواحة الخزرجى ، عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجى الذى أرى النداء (١) ، عبد الله بن سراقه العدوى لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقدى ولا ابن عائذ وذكره ابن اسحاق وغيره ، عبد الله بن سلمة بن مالك العجلان حليف الانصار ، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بنى زعورا ، عبد الله بن سهيل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركين ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم . عبد الله بن طارق بن مالك القضاعى حليف الاوس (٢) . عبدالله بن عامر من بلى ذكره ابن اسحاق . عبدالله بن عبد الله ابن أبى بن سلول الخزرجى وكان أبوه رأس المنافقين ، عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمى ، عبد الله بن عبس ، عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة بن كعب أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، عبد الله بن عرفطة بن عدى الخزرجى ، عبد الله بن عمر بن حرام السلمى أبو جابر ، عبدالله بن عمير بن عدى الخزرجى ، عبد الله بن قيس بن خالد النجارى ، عبد الله ابن قيس بن صخر بن حرام السلمى عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار جعله النبى ص مع عدى بن أبى الزغباء على النفل يوم بدر ، عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعود الهذلى حليف بنى زهرة من

(١) فى الاصابة : عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله . (٢) وفى الاصابة : عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوى حليف بنى ظفر .

المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مطعون الجمحى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمى ، عبد الله بن أنيسة بن النعمان السلمى ، عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجى ، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القضاعى البلوى . عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهرى أحد العشرة رضى الله عنهم ، عبس بن عامر بن عدى السلمى ، عبيد بن التيهان أخو أبو الهيثم بن التيهان و يقال عتيك بدل عبيد ، عبيد بن ثعلبة من بنى غنم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العجلان بن عامر ، عبيد بن أبى عبيد ، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحصين والطفيل وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة رضى الله عنه ، عتبان بن مالك بن عمرو الخزرجى ؛ عتبة ابن ربيعة بن خالد بن معاوية البهرانى حليف بنى أمية بن لوذان ، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمى ، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الأولين ، عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله ص ، يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، عثمان بن مظعون الجمحى أبو السائب أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين ، عدى بن أبى الزغباء الجهنى وهو الذى أرسله رسول الله (ص) ، و بسبس بن عمرو بين يديه عيناً ، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان ، عصيمة حليف لبنى الحارث بن سوار من أشجع وقيل من بنى أسد بن خزيمة ، عطية بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجى ، عقبة بن عامر بن نابى السلمى ، عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجى أخو سعد بن عثمان . عقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى وقع فى صحيح البخارى أنه شهد بدراً وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازى ولهذا لم يذكروه ، عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدى أسد خزيمة حليف لبنى عبد شمس وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين ، عقبة بن وهب بن كلدة حليف بنى غطفان ، عكاشة بن محصن الغنمى من المهاجرين الأولين وممن لا حساب عليه ، على بن أبى طالب الهاشمى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضى الله عنه ، عمار بن ياسر العنسى المذحجى من المهاجرين الأولين ، عمارة بن حزم بن زيد النجارى ، عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الاربعة وأحد الشيخين المقتدى بهم رضى الله عنهما ، عمر ابن عمرو بن إياس من أهل اليمن حليف لبنى لوذان بن عمرو بن سالم وقيل هو أخو ربيع وورقة ، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر أبو حكيم ، عمرو بن الحارث بن زهير ابن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر الفهرى ، عمرو بن سراقة العدوى من المهاجرين ، عمرو بن أبى سرح الفهرى من المهاجرين وقال الواقدى وابن عائذ معمر

بدل عمرو . عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم وهو في بني حرام . عمرو بن الجموح بن حرام الأنصاري ، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم ذكره الواقدي والأموي ، عمرو بن قيس بن مالك بن عدي بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر أبو حرجة ولم يذكره موسى بن عقبة [1] ، عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره موسى بن عقبة . عمرو ابن معبد بن الازعر الأوسي ، عمرو بن معاذ الأوسي أخو سعد بن معاذ . عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمي ، عمير بن حرام بن الجموح السلمي ذكره ابن عائذ والواقدي ، عمير بن الحمام بن الجموح بن عم الذي قبله قتل يومئذ شهيداً ، عمير بن عامر بن مالك ابن الخنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازني ، عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وسماه الأموي وغيره عمرو بن عوف وكذا وقع في الصحيحين في حديث بعث أبي عبيدة إلى البحرين ، عمير بن مالك بن أهيب الزهري أخو سعد بن أبي وقاص قتل يومئذ شهيداً ، عنترة مولى بني سليم وقيل إنه منهم فالله أعلم ، عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النجاري وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً ، عويم بن ساعدة الانصاري من بني أمية ابن زيد ، عياض بن غنم الفهري من المهاجرين الأولين رضي الله عنهم أجمعين

حرف الغين

غنام بن أوس الخزرجي ذكره الواقدي وليس بمجمع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي ، فروة بن عمرو بن ودفة [2] الخزرجي .

حرف القاف

قتادة بن النعمان الأوسي قدامة بن مظعون الجمحي من المهاجرين أخو عثمان وعبد الله ، قطبة ابن عامر بن حديدة السلمي . قيس بن السكن النجاري ، قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد المازني كان على الساقة يوم بدر . قيس بن محصن بن خالد الخزرجي ، قيس بن مخلد بن ثعلبة النجاري .

حرف الكاف

كعب بن حمان ويقال جمار ويقال جماز وقال ابن هشام كعب بن عبشان ويقال كعب بن مالك

---

(١) والذي في الاصابة عمرو بن قيس بن حرب بن عدي بن مالك بن سالم بن عوف بن مالك الانصاري الخزرجي (٢) وقال السهيلي ويقال ودفة بالذال المعجمة .

ابن ثعلبة بن جماز وقال الاموى كعب بن ثعلبة بن حبالة بن غنم الغسانى من حلفاء بنى الخزرج بن ساعدة ، كعب بن زيد بن قيس النجارى ، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمى ، كلفة بن ثعلبة أحد البكائين ذكره موسى بن عقبة ، كناز بن حصين بن يربوع أبو مرثد الغنوى من المهاجرين الأولين

حرف الميم

مالك بن الدخشم و يقال ابن الدخشن الخزرجى ، مالك بن أبى خولى الجعفى حليف بنى عدى ، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدى ، مالك بن قدامة الأوسى ، مالك بن عمرو أخو ثقف بن عمرو وكلاهما مهاجرى وهما من حلفاء بنى تميم بن دودان بن أسد ، مالك بن قدامة الأوسى ، مالك بن مسعود الخزرجى ، مالك بن ثابت بن نميلة المزنى حليف لبنى عمرو بن عوف ، مبشر بن عبد المنذر ابن زنبر الأوسى أخو أبى لبابه و رفاعة قتل يومئذ شهيداً ، المجدر بن زياد البلوى مهاجرى ، محرز ابن عامر النجارى ، محرز بن نضله الاسدى حليف بنى عبد شمس مهاجرى ، محمد بن مسلمة حليف بنى عبد الأشهل ، مدلج و يقال مدلاج بن عمرو أخو ثقف بن عمرو مهاجرى ، مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين وقيل اسمه عوف ، مسعود بن أوس الانصارى النجارى ، مسعود بن خلدة الخزرجى ، مسعود بن ربيعة القارى حليف بنى زهرة مهاجرى ، مسعود بن سعد و يقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث . مسعود بن سعد بن قيس الخزرجى ، مصعب بن عمير العبدرى مهاجرى كان معه اللواء يومئذ ، معاذ بن جبل الخزرجي ، معاذ بن الحارث النجارى وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجى ، معاذ بن ماعص الخزرجى أخو عائذ ، معبد بن عباد بن قشير بن الفدم بن سالم بن غنم و يقال معبد بن عبادة بن قيس وقال الواقدى قشعر بدل قشير وقال ابن هشام قشعر أبو حميصة ، معبد بن قيس بن صخر السلمى أخو عبد الله بن قيس ، معتب بن عبيد بن إياس البلوى القضاعى ، معتب بن عوف الخزاعى حليف بنى مخزوم من المهاجرين ، معتب بن قشير الأوسى ، معقل بن المنذر السلمى ، معمر بن الحارث الجمحى من المهاجرين ، معن بن عدى الأوسى ، معوذ بن الحارث الجمحى وهو ابن عفراء أخو معاذ بن عوف ، معوذ بن عمرو بن الجموح السلمى لعله أخو معاذ بن عمرو ، المقداد بن عمرو البهرانى وهو المقداد بن الاسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال المحمود ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ ، مليل بن وبرة الخزرجى ، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدى ، المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجى ، المنذر ابن محمد بن عقبة الانصارى من بنى جحجبى ، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب ، نعمان بن عبد عمرو النجارى وهو أخو الضحاك . نعمان بن عمرو بن رفاعه النجارى ، نعمان بن عصر بن الحارث حليف لبنى الأوس ، نعمان ابن مالك بن ثعلبة الخزرجى و يقال له قوقل ، نعمان بن يسار مولى لبنى عبيد ويقال نعمان بن سنان . نوفل بن عبيد الله بن نضلة الخزرجى

حرف الهاء

هانئ بن نيار أبو بردة البلوى خال البراء بن عارب . هلال بن أمية الواقفى وقع ذكره فى أهل بدر فى الصحيحين فى قصة كعب بن مالك ولم يذكره أحد من أصحاب المغازى ، هلال بن المعلى الخزرجى أخو رافع بن المعلى

حرف الواو

واقد بن عبد الله التميمى حليف بنى عدى من المهاجرين ، وديعة بن عمرو بن جراد الجهنى ذكره الواقدى وابن عائذ ، ورقة بن إياس بن عمرو الخزرجى أخو ربيع بن اياس ، وهب بن سعد ابن أبى سرح ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدى فى بنى عامر بن لؤى ولم يذكره ابن اسحاق

حرف الياء

يزيد بن الاخنس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمى قال السهيلى شهد هو وأبوه وابنه يعنى بدراً ولا يعرف لهم نظير فى الصحابة ولم يذكرهم ابن اسحاق والأكثرون لكن شهدوا معه بيعة الرضوان . يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجى وهو الذى يقال له ابن قسحم وهى أمه قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمى ، يزيد بن المنذر بن سرح السلمى وهو أخو معقل بن المنذر .

باب الكنى

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجارى وقال ابن هشام ابو الاعور الحارث بن ظالم وقال الواقدى أبو الاعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم ، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان تقدم . أبو حبة بن عمرو بن ثابت أحد بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف الانصارى . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه مهشم ، أبو الحمراء مولى الحارث

ابن رفاعة بن عفراء ، أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجاري ، أبو سبرة مولى أبي رهم بن عبد العزى من المهاجرين ، أبو سنان بن محصن بن حرثان أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين ، أبو الضياح ابن النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة رجع من الطريق وقتل يوم خيبر رجع لجرح أصابه من حجر فضرب له بسهمه ، أبو عقبة من حلفاء بني جحجبي ، أبو كبشة مولى رسول الله ص ، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم ، أبو مرثد الغنوي كناز بن حصين تقدم ، أبو مسعود البدري عقبة بن عمرو تقدم ، أبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسي .

فصل

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلا منهم رسول الله ص ، كما قال البخاري حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا أبو اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول حدثني أصحاب محمد ص ، ورضي عنهم ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة قال البراء لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن . ثم رواه البخاري من طريق اسرائيل وسفيان الثوري عن أبي اسحاق عن البراء نحوه قال ابن جرير . وهذا قول عامة السلف إنهم كانوا ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا وقال أيضا حدثنا محمود ثنا وهب عن شعبة عن أبي اسحاق عن البراء . قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين والانصار نيفاً وأربعين ومائتين . هكذا وقع في هذه الرواية وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي ثنا أبو مالك الجنبي عن الحجاج — وهو ابن أرطاة — عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلا . وكان الانصار مائتين وستة وثلاثين رجلا . وكان حامل راية النبي ص ، علي بن أبي طالب . وحامل راية الأنصار سعد بن عبادة وهذا يقتضي أنهم كانوا ثلثمائة وستة رجال قال ابن جرير : وقيل كانوا ثلثمائة وسبعة رجال .

قلت . وقد يكون هذا عد معهم النبي ص ، والأول عدهم بدونه فالله أعلم . وقد تقدم عن ابن اسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلا . وأن الأوس أحد وستون رجلا . والخزرج مائة وسبعون رجلا وسردهم . وهذا مخالف لما ذكره البخاري ولما روى عن ابن عباس فالله أعلم وفي الصحيح عن أنس أنه قيل له شهدت بدراً . فقال وأين أغيب ؟ وفي سنن أبي داود عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام أنه قال . كنت أميح(١) لاصحابي الماء يوم بدر وهذان لم يذكرهما البخاري ولا الضياء فالله أعلم .

(١) الميح النزول إلى البئر وملء الدلو منها وذلك إذا قل ماؤها ومنه قولهم :

أيها المائح دلوي دونكا   إني رأيت الناس يحمدونكا

قلت : وفى الذين عدهم ابن اسحاق فى أهل بدر من ضرب له بسهم فى مغنمها وأنه لم يحضرها تخلف عنها لعذر أذن له فى التخلف بسببها وكانوا ثمانية أو تسعة وهم ، عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ بمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضا فضرب له بسهمه وأجره وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر رده رسول الله ﷺ من الروحاء حين بلغه خروج النفير من مكة فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية رده رسول الله ﷺ أيضا من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدى : وأجره ، وخوات بن جبير لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الصياح بن ثابت خرج مع رسول الله ﷺ فأصاب ساقه فصيل حجر فرجع وضرب له بسهمه وأجره قال الواقدى وسعد أبو مالك تجهز ليخرج فمات وقيل إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره . وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا من المهاجرين ستة وهم : عبيدة بن الحارث ابن المطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعمير بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص الزهرى قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة ويقال إنه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره فبكى فأذن له فى الذهاب فقتل رضى الله عنه ، وحليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعى ، وصفوان بن بيضاء ، وعاقل بن البكير الليثى حليف بنى عدى ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ ، ومن الانصار ثمانية وهم : حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فمات ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، ويزيد بن الحارث - ويقال ابن فسحم - وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلى بن لوذان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضى الله عن جميعهم ، وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدم . قال ابن اسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بعزجة - ويقال سبحة - وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليعسوب وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل احداهما للمهاجرين على بن أبى طالب ، والتى للانصار يحملها سعد بن عبادة . وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الانصار سعد بن معاذ .

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الالف وقد نص عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا . وقال الواقدى كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا وهذا التحديد يحتاج إلى دليل وقد تقدم فى بعض الاحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف فلعله عدد أتباعهم معهم والله أعلم . وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخارى عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر

سبعون وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له :

فأقامَ بالعطَن المعطَّن منهم سبعونَ عُتبةُ منهمُ والأسود

وقد حكى الواقدي الاجماع على ذلك وفيما قاله نظر ، فان موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا خلاف ذلك وهما من أئمة هـذا الشأن فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما وإن كان قولهما مرجوحا بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم وقد سرد أسماء القتلى والاسارى ابن اسحاق وغيره وحرر ذلك الحافظ الضياء في أحكامه جيداً وقـد تقدم في غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الاسود بن عبد الاسد المخزومي ، وأول من فر وهو خالد بن الأعلم الخزاعي — أو العقيلي — حليف بني مخزوم وما أفاده ذلك فانه أسر وهو القائل في شعره :

ولسنا على الأعقابِ تدمَى كلومُنا ولكنْ على أقدامنا يقطرُ الدم

فما صـدق في ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث قتلا صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الاسارى ، وقد اختلف في أيهما قتل أولا على قولين وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الاسارى مجاناً بلا فداء منهم أبو العاص بن الربيع الأموي ، والمطلب بن حنطب ابن الحارث المخزومي ، وصيفي بن أبي رفاعة كما تقدم ، وأبو عزة الشاعر ، ووهب بن عمير بن وهب الجمحي كما تقدم ، وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منـه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لئلا يحابيه لكونه عمه مع أنه قد سأله الذين أسروه من الانصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، وقال لا تتركوا منه درهما ، وقـد كان فداؤهم متفاوتا فأقل ما أخذ أربعمائة ، ومنهـم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب . قال موسى بن عقبة وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب ، ومنهـم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم قال قال داود ثنا عكرمة عن ابن عباس قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال فجاء غلام يوما يبكي إلى أمه فقالت ما شأنك ؟ فقال ضربني معلمي فقالت الخبيث يطلب بدخل بدر والله لا تأتيه أبداً . انفرد به احمـد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله ولله الحمد والمنة .

فصل في فضل من شهد بدراً من المسلمين

قال البخاري في هذا الباب حدثنا عبد الله بن محمـد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فان يك في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تـكن الاخرى فترى ما أصنع فقال « ويحك أو هبلت أو جنة واحدة هي ؟ إنهـا جنان كثيرة وإنه في جنـة الفردوس » تفرد به

البخارى من هذا الوجه وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس وأن حارثة كان في النظارة وفيه « أن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » وفى هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فان هذا الذى لم يكن فى بحبحة القتال ولا فى حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد إنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التى هى أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التى أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها فاذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفاً فى نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعُدداً ثم روى البخارى ومسلم جميعاً عن اسحاق بن راهويه عن عبد الله بن ادريس عن حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب قصة حاطب بن أبى بلتعة و بعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسول الله (ص) فى ضرب عنقه فانه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فقال رسول الله (ص) « قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ولفظ البخارى « أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ـ أو قد غفرت لكم ـ » فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم . وروى مسلم عن قتيبة عن الليث عن أبى الزبير عن جابر أن عبداً لحاطب جاء رسول الله (ص) يشكو حاطبا قال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله (ص) « كذبت لا يدخلها إنه شهد بدراً والحديبية » ، وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا أبو بكر بن عياش حدثنى الاعمش عن أبى سفيان عن جابر قال قال رسول الله (ص) « لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية » تفرد به احمد وهو على شرط مسلم ، وقال الامام احمد حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى (ص) « قال إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ورواه أبو داود عن احمد بن سنان وموسى بن اسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به . وروى البزار فى مسنده ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو حذيفة ثنا عكرمة عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) « إنى لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله » ثم قال لا نعلمه روى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه . قلت : وقد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم . وقال البخارى فى باب شهود الملائكة بدراً حدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى عن أبيه — وكان أبوه من أهل بدر — قال جاء جبريل إلى النبى (ص) فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال وكذلك من شهد بدراً من الملائكة انفرد به البخارى .

قدوم زينب بنت الرسول (ص) من مكة الى المدينه

قال ابن اسحاق ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله - يعنى كما تقدم - بعث رسول (ص) زيد بن حارثة ورجلا من الانصار مكانه فقال كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها فتأتيانى بها ، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر - أو شيعه [1] - فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بابيها فخرجت تجهز : قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال حدثت عن زينب أنها قالت بينا أنا أتجهز لقيتنى هند بنت عتبة فقالت يا ابنة محمد ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بابيك قالت فقلت ما أردت ذلك . فقالت أى ابنة عم لا تفعلى إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فان عندى حاجتك فلا تضطنى منى فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال ، قالت والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت ولكنى خفتها فانكرت أن أكون أريد ذلك . قال ابن اسحاق فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدم اليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهى فى هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى وكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهرى فروعها هبار بالرمح وهى فى الهودج وكانت حاملا فيما يزعمون فطرحت وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهما فتكركر الناس عنه وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش فقال يا أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف فاقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذ خرجت بابنته اليه علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا إن ذلك عن ذل أصابنا و إن ذلك ضعف منا ووهن ولعمرى مالنا بحبسها من أبيها من حاجة وما لنا من ثورة . ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرا والحقها بابيها ، قال ففعل . وقد ذكر ابن اسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذمهم على ذلك :

أفى السِّلم أعياراً جفاءً وغِلظةً ... وفى الحرب اشباهُ النساءِ العوارِكِ

وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ما قتل منهم الذين قتلوا . قال ابن اسحاق : فاقامت ليال حتى إذا هدأت الاصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها ليلا على رسول الله (ص) . وقد روى البيهقى فى الدلائل من طريق عمر بن عبد الله بن عروة

(١) قوله أو شيعه أى أو نحوا من شهر حكاه فى النهاية تفسيراً لهذا الخبر .

ابن الزبير عن عروة عن عائشة فذكر قصة خروجها وردهم لها ووضعها ما في بطنها وإن رسول الله (ص) بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجيء معه فتلطف زيد فاعطاه راعيا من مكة فاعطى الخاتم لزينب فلما رأته عرفته فقالت من دفع اليك هذا ؟ قال رجل في ظاهر مكة فخرجت زينب ليلا فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة قال فكان رسول الله (ص) يقول « هي أفضل بناتي أصيبت في » قال فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين فاتى عروة فقال ما حديث بلغني أنك تحدثه ؟ فقال عروة والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب واني انتقص فاطمة حقا هو لها وأما بعد ذلك أن لا أحدث به أبداً . قال ابن اسحاق فقال في ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خيثمة أخو بني سالم ابن عوف . قال ابن هشام هي لأبي خيثمة

أتاني الذي لا يقدرُ الناسُ قدْره ... لزينبَ فيهم من عُقوق ومأثم

واخراجها لم يُخْزَ فيها محمد ... على مأقطٍ وبيننا عِطرُ مَنْشِمِ

وأمسى أبو سفيانَ من حِلفِ ضَمْضَمٍ ... ومن حربنا في رغم أنفٍ ومَنْدَم

قرنَّا ابنَه عمراً ومولى يمينه ... بذي حلَقٍ جَلْدِ الصلاصل مُحكم

فاقسمتُ لا تنفكّ منا كتائبٌ ... سراة خميسٍ في لُهَام مسوَّم

نزوع قريشَ الكفرِ حتى نعلّها ... بخاطمةٍ فوقَ الأنوف بمِيسم

ننزلهم أكنافَ نجدٍ ونخلةٍ ... وإن يُتْهِموا بالخيلِ والرَّجْل نتهم

يدى الدهر حتى لا يعوّج سربُنا ... ونلحقُهم آثارَ عادٍ وجُرهم

ويندم قومٌ لم يطيعوا محمداً ... على أمرهم وأىّ حين تندُّم

فأبلغ أبا سفيانَ إما لقيتَه ... لئن أنتَ لم تُخلِصْ سجوداً وتسلم

فأَبشر بخزيٍ في الحياة معجّل ... وسِرْبالِ قارٍ خالداً في جهنم

قال ابن اسحاق : ومولى يمين أبي سفيان الذي عناه الشاعر هو عامر بن الحضرمي . وقال ابن هشام إنما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي فاما عامر بن الحضرمي فانه قتل يوم بدر . قال ابن اسحاق وقد حدثني يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبدالله بن الاشج عن سليمان بن يسار عن أبي اسحاق الدوسي عن أبي هريرة . قال . بعث النبي (ص) سرية أنا فيها فقال « إن ظفرتم بهبار بن الاسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار » فلما كان الغد بعث الينا فقال « إني قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لاحد أن يحرق بالنار الا الله عز وجل ، فان ظفرتم بهما فاقتلوهما » تفرد به ابن اسحاق وهو على شرط السنن [1] ولم يخرجوه

(١) كذا في المصرية وفي الحلبية على شرط الشيخين .

وقال البخارى حدثنا قتيبة ثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبى هريرة أنه قال بعثنا رسول الله (ص) فى بعث فقال « إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار ثم قال حين أردنا الخروج « إنى أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وأن النار لا يعذب بها إلا الله ، فان وجدتموها فاقتلوهما » وقد ذكر ابن اسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة حتى اذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص فى تجارة لقريش . فلما قفل من الشام لقيته سرية فاخذوا ما معه وأعجزهم هربا وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فاجارته ، فلما خرج رسول الله (ص) لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله (ص) أقبل على الناس فقال « أيها الناس هل سمعتم الذى سمعت » قالوا نعم ! قال « أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجير على المسلمين أدناهم » ثم انصرف رسول الله (ص) فدخل على ابنته زينب فقال « أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له » قال وبعث رسول الله (ص) يحثهم على رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئا فاخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة فاعطى كل انسان ما كان له ثم قال . يا معشر قريش هل بقى لاحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا لا جزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيا كريما ، قال فانى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعنى عن الاسلام عنده ألا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق : فحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال رد عليه رسول الله (ص) زينب على النكاح الاول فلم يحدث شيئا ، وهذا الحديث قد رواه الامام احمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن اسحاق ؛ وقال الترمذى ليس باسناده بأس ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين . وقال السهيلى لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت وفى لفظ ردها عليه رسول الله (ص) بعد ست سنين ، وفى رواية بعد سنتين بالنكاح الاول رواه ابن جرير وفى رواية لم يحدث نكاحا وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء فان القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر فان كان قبل الدخول تعجلت الفرقة وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فان أسلم فيها استمر على نكاحها وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها وزينب رضى الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله (ص) وهاجرت بعد بدر بشهر وحرم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان فمن قال ردها عليه بعد ست سنين أى من حين هجرتها فهو صحيح ومن قال بعد سنتين أى من حين حرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا ، وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها فى

هذه المدة التى أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها فكيف ردها عليه بالنكاح الأول ؟ فقال قائلون يحتمل أن عدتها لم تنقض وهذه قصة بعين يتطرق اليها الاحتمال ، وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الاول الذى رواه احمد والترمذى وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله (ص) رد بنته على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد . قال الامام احمد هذا حديث ضعيف واه ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمى والعرزمى لا يساوى حديثه شيئا والحديث الصحيح الذى روى أن النبى (ص) أقرها على النكاح الاول وهكذا قال الدارقطنى لا يثبت هذا الحديث والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله (ص) ردها بالنكاح الاول وقال الترمذى هذا حديث فى اسناده مقال والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت فى العدة وهو قول مالك والاوزاعى والشافعى واحمد واسحاق . وقال آخرون بل الظاهر انقضاء عدتها ، ومن روى أنه جدد لها نكاحا فضعيف ففى قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر اسلام زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لا ينفسخ بمجرد ذلك بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت اسلام زوجها أى وقت كان وهى امرأته ما لم تتزوج وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله أعلم . ويستشهد لذلك بما ذكره البخارى حيث قال نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن حدثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من رسول الله (ص) والمؤمنين ، كانوا مشركى أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونه ، ومشركى أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه . فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر فاذا طهرت حل لها النكاح : فان هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه وإن هاجر عبد منهم أو أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد هذا لفظه بحروفه . فقوله فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضى أنها كانت تستبرئ بحيضة لا تعتد بثلاثة قروء ، وقد ذهب قوم إلى هذا وقوله فان هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت اليه يقتضى أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها ترد إلى زوجها الاول ما لم تنكح زوجا غيره كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبى (ص) وكما ذهب اليه من ذهب من العلماء والله أعلم .

ما قيل من الاشعار في بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن اسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وأنكرها ابن هشام :

أَلَمْ تَرَ أمراً كان من عَجَبِ الدهر ... وللحين أسبابٌ مبيَّنةُ الأمْر

وما داك الا أن قوماً أقادهم ... فخاوا تواص بالعقوق و بالكفر

عشيةَ راحوا نحو بدرٍ بجمعهم ... وكانوا رُهوناً للركيّة من بدر

وكنّا طلبنا العيرَ لم نبغ غيرها ... فساروا الينا فالتقينا على قدْر

فلما التقينا لم تكنْ مثنويةٌ ... لنا غيرَ طعنٍ بالمثقّفة السُّمر

وضربٍ ببيض يختلي الهامَ حدُّها ... مشهّرةِ الالوانِ بيّنة الأُثْر

ونحن تركنا عُتبةَ الغيِّ ثاوياً ... وشَيبةَ في قتلى تُجَرْجَمُ في الجَفْر

وعمروٌ ثوى فيمن ثوى من حُماتهم ... فشُقّت جيوبُ النائحات على عمرو

جيوبُ نساءٍ من لؤيّ بن غالب ... كرام تفرّعن الذوائبَ من فهر

أولئك قومٌ قُتّلوا في ضلالهم ... وخلّوا لواءً غير محتضرِ النصر

لواءُ ضلالٍ قاد ابليسُ أهلَهُ ... فخاسَ بهم إن الخبيثَ إلى غدر

وقال لهم إذ عاينَ الأمرَ واضحاً ... برئتُ اليكم ما بيَ اليومَ من صبر

فاني أرى مالا ترَوْنَ وإني ... أخافُ عقابَ الله واللهُ ذو قَسر

فقدّمهم للحَيْنِ حتى تورّطوا ... وكان بما لم يُخبِرِ القومُ ذا خُبر

فكانوا غداةَ البئر الفاً وجمعُنا ... ثلاثَ مئينٍ كالمسدّمة الزُّهر

وفينا جنودُ الله حينَ يمدُّنا ... بهم في مقامٍ ثَمّ مستوضَحِ الذكر

فشدّ بهم جبريلُ تحت لوائنا ... لدى مأزقٍ فيه مناياهمُ تجري

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمداً . وقال علي بن أبي طالب وأنكرها ابن هشام :

ألم ترَ أن الله أبلى رسولَهُ ... بلاءَ عزيزٍ ذي اقتدارٍ وذي فضل

بما أنزلَ الكفّارَ دارَ مذلّة ... فلاقَوا هواناً من أسارٍ ومن قتل

فأمسى رسولُ الله قد عزّ نصرُه ... وكان رسولُ الله أُرسِلَ بالعدل

فجاء بفرقانٍ من الله مُنزَلٍ ... مبيّنةٌ آياتُه لذوي العقل

فآمنَ أقوامٌ بذاك وأيقنوا ... فأمسَوا بحمد الله مجتمعي الشَّمل

وأنكر أقوام فزاغت قلوبُهم ... فزادهمُ ذو العرش خَبلاً على خَبل

وأمكنَ منهم يومَ بدرٍ رسولَه ... وقوماً غضاباً فعلُهم أحسنُ الفعل

بأيديهمُ بيضٌ خفافٌ عصوا بها ... وقد حادثوها بالجِلاءِ وبالصّقل

فكم تركوا من ناشئٍ ذي حميّةٍ ... صريعاً ومن ذي نجدةٍ منهمُ كهل

تبيتُ عيونُ النائحات عليهمُ تجودُ بإسبالِ الرَّشاشِ وبالوبل
نوائحُ تنعي عُتبةَ الغيِّ وابنَه وشيبةَ تنعاه وتنعي أبا جهل
وذا الرِّجل تنعي وابنَ جدعان فيهم مسلَّبةً حرَّى مبينةَ الثُّكل
ثوى منهمُ في بئرِ بدرٍ عِصابة ذوو نجَدات في الحروبِ وفي المحل
دعا الغيُّ منهم من دعا فأجابه وللغيِّ أسبابٌ مرمَّقةُ الوصل
فأضحَوا لدى دار الجحيم بمعزلٍ عن الشَّغْب والعُدوان في أسفلِ السفل(١)

وقد ذكر ابن اسحاق نقيضها من الحارث أيضا تركناها قصداً وقال كعب بن مالك

عجبتُ لأمرِ الله والله قادر على ما أرادَ ليس لله قاهر
قضى يومَ بدرٍ أن نلاقيَ معشراً بغَوا وسبيلُ البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفَروا من يليهمُ من الناس حتى جمعُهم متكاثر
وسارت الينا لا تحاول غيرَنا بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامر
وفينا رسولُ الله والأوسُ حولَه له معقِلٌ منهم عزيزٌ وناصر
وجمعُ بني النجّار تحت لوائه يمشّون في الماذيِّ والنقعُ ثائر
فلما لقيناهم وكلٌّ مجاهدٌ لأصحابه مستبسلُ النفس صابر
شهدنا بأنّ اللهَ لا ربَّ غيره وأنّ رسولَ الله بالحقّ ظاهر
وقد عُرِّيَتْ بيضٌ خِفافٌ كأنها مقاييسُ يُزْهيها لعينيكَ شاهر
بهنّ أبدْنا جمعَهم فتبدّدوا وكان يلاقي الحينَ من هو فاجر
فكبَّ أبو جهلٍ صريعاً لوجهه وعتبةُ قد غادرتُهُ وهو عاثر
وشيبةُ والتَّيْمي غادرتُ في الوغى وما منهمُ إلا بذي العرش كافر
فأمسوا وقودَ النارِ في مستقَرِّها وكلٌّ كفورٍ في جهنم صائر
تلظّى عليهمْ وهي قد شبَّ حمْيُها بزُبَرِ الحديدِ والحجارةِ ساجر
وكان رسول الله قد قال أَقبلوا فولَّوا وقالوا إنما أنتَ ساحر
لأمرٍ أراد الله أن يهلِكوا به وليس لأمرٍ حمَّهُ اللهُ زاجر

وقال كعب في يوم بدر:

ألاهل أتى غسّانَ في نأيِ دارها وأُخبرُ شيءٍ بالأُمور عليمُها
بأنْ قد رمتنا عن قِسِيٍّ عداوةٍ معدٌّ معاً جُهّالُها وحليمُها

---

(١) كذا في المصرية وفي ابن هشام والحلبية: في أشغل الشغل.

لأنّا عبدنا اللهَ لم نرجُ غيره رجاءَ الجنانِ إذ أتانا زعيمها
نبيٌّ له فى قومه إرثُ عزّةٍ وأعراقُ صِدقٍ هذّبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا أسودُ لقاءٍ لا يرجّى كليمها
ضربناهمُ حتى هوى فى مكرّنا لمنخرِ سوءٍ من لؤيٍّ عظيمها
فولّوا ودُسناهم ببيضٍ صوارم سواءٌ علينا حلْفُها وصميمُها

وقال كعب أيضا .

لعمرُ أبيكما يا ابنَيْ لؤيٍّ على زهوٍ لديكم وانتخاءِ
لِما حامتْ فوارسُكم ببدرٍ ولا صَبَروا به عند اللقاء
وردْناهُ ونورُ الله يجلو دُجى الظلماءِ عنّا والغطاء
رسولُ الله يَقْدُمنا بأمرٍ من أمر الله أُحكم بالقضاء
فما ظفرتْ فوارسُكم ببدرٍ وما رجعوا اليكم بالسواء
فلا تَعجَلْ أبا سفيان وارقُبْ جيادَ الخيلِ تطلعُ من كِداء
بنصرِ الله روحِ القُدْس فيها وميكالٌ فيا طِيبَ الملاء

وقال حسان بن ثابت قال ابن هشام ويقال هى لعبد الله بن الحارث السهمى :

مستشعري حَلَقِ الماذيِّ يَقْدُمُهم جَلْدُ النَّحيزة ماضٍ غيرُ رعديد
أعني رسولَ إله الخلقِ فضّله على البريّةِ بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن تَحْمُوا دمارَكمُ وماءَ بدرٍ زعمتم غيرَ مورود (١)
مستعصمين بحبلٍ غيرِ مُنْجَذِمٍ مستحكمٍ من حبالِ الله ممدود
فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نتْبعه حتى المماتِ ونصرٍ غيرِ محدود
وافٍ وماضٍ شهابٌ يُستضاء به بدرٌ أنارَ على كل الأماجيد

وقال حسان بن ثابت أيضا :

ألا ليتَ شعري هل أتى أهلَ مكةٍ إبادتُنا الكفّارَ فى ساعة العُسر
قتلنا سَراةَ القومِ عند مجالنا فلم يرجعوا إلا بقاصِمةِ الظهر
قتلنا أبا جهلٍ وعتبةَ قَبْلَه وشيبةَ يكبو لليدين وللنَّحْر
قتلنا سويداً ثم عتبةَ بعده وطعمةَ أيضاً عندَ ثائرة القَتْر

---

(١) وبعده فى ابن هشام :

ثم وردناه لم نسمع لقولكم حتى شربنا رواءً غير تصريد

فكم قد قتلنا من كريم مُسَوَّدٍ ... له حَسَبٌ فى قومه نابهُ الذِّكر
تركناهموا للعاويات يَنُبْنَهم (١) ... ويَصْلون ناراً بعدُ حاميةَ القعر
لعمرُك ما حامتْ فوارسُ مالكٍ ... وأشياعُهم يومَ التقينا على بدر

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فى يوم بدر فى قطع رجله فى مبارزته هو وحمزة وعلى مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأنكرها ابن هشام :

سَتَبلغُ عنا أهلَ مكةَ وقعةٌ ... يهبّ لها مَن كانَ عن ذاك نائيا
بعتبةَ إذ ولى وشيبة بعده ... وما كانَ فيها بكرُ عُتبةَ راضيا
فإن تقطعوا رجلي فإنِّي مسلمٌ ... أرجّي بها عَيْشاً من الله دانيا
مع الحورِ أمثالِ التماثيل أُخلِصَت ... من الجنةِ العُليا لمن كان عاليا
وبعتُ بها عيشاً تعرَّفتُ صفوه ... وعاجلتُه حتى فقدتُ الأدانيا
فأكرمني الرحمنُ من فضلِ منّه ... بثوبٍ من الاسلام غطَّى المساويا
وما كان مكروهاً إليَّ قتالُهم ... غداةَ دعا الأكفاءَ من كان داعيا
ولم يبغِ إذ سألوا النبيَّ سواءنا ... ثلاثتَنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهمُ كالأُسْد تخطُر بالقنا ... نقاتلُ فى الرحمنِ من كان عاصيا
فما برحتْ أقدامُنا من مَقامِنا ... ثلاثتَنا حتى أُزيروا المنائيا (٢)

وقال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارث بن هشام على فراره يوم بدر وتركه قومه لا يقاتل دونهم :

تبلَتْ فؤادَك فى المنام خَريدةٌ ... تَشْفِى الضجيعَ ببارِدٍ بسّام
كالمسكِ تخلطُه بماءِ سحابةٍ ... أو عاتقٍ كدمِ الذّبيح مدام
نفجُ الحقيبةِ بوصُها متنضِّد ... بلهاءُ غيرُ وشيكةَ الاقسام
بُنِيت على قطَنٍ أجمَّ كأنه ... فضلاً إذا قَعدتْ مداكُ رخام
وتكاد تكسَل أن تَجيءَ فراشَها ... فى جسم خُرْعُبةٍ وحُسْنِ قوام
أما النهارُ فلا أفترُ ذكرها ... والليلُ توزِعني بها أحلامي
أقسمتُ أنساها وأتركُ ذِكرها ... حتى تغيَّب في الضريح عظامي
بل مَنْ لِعاذلةٍ تلوم سفاهةً ... ولقد عصيتُ على الهوى لُوّامي

(١) ينبنهم معناه يأتونهم مرة بعد مرة . وفى رواية ينشنهم أى يتناولنهم . (٢) قال الخشنى فى غريب السيرة : المنائيا ، أراد المنايا فزاد الهمزة وقد تكون منقلبة من الياء الزائدة فى منية

بكرت إليّ بسحرةٍ بعد الكرى ... وتقاربٍ من حادثِ الأيام
زعمت بأن المرءَ يكرب عمره ... عَدَمٌ لمعتكرٍ من الإصرام
إن كنتِ كاذبةَ الذي حدّثتِني ... فنجوتُ منجى الحارث بن هشام
تركَ الأحبةَ أن يقاتلَ دونهم ... ونجا برأسِ طِمرّة ولجام
يذر العناجيجَ الجيادَ بقفرةٍ ... مرّ الدموك بمحصدٍ ورجام
ملأت به الفرجَين فارمدّت به ... وثوى أحبتُه بشرّ مقام
وبنو أبيه ورهطُه في معركٍ ... نَصرَ الإلهُ به ذوي الاسلام
طحنتهمُ والله ينفذُ أمره ... حربٌ يَشبّ سعيرُها بضرام
لولا الإلهُ وجريُها لتركنَهُ ... جَزَرَ السّباع ودُسنه بحوام
من بين مأسورٍ يُشدّ وثاقَه ... صقرٍ إذا لاقى الأسنةَ حام
ومجدّلٍ لا يستجيبُ لدعوةٍ ... حتى تزولَ شوامخُ الأعلام
بالعار والذلّ المبين إذا رأى ... بيضَ السيوف تسوقُ كلَّ هُمام
بيدي أغرَّ إذا انتمى لم يُخزِه ... نسبُ القِصار سَمَيْدعٍ مقدام
بيض إذا لاقت حديداً صمّمت ... كالبرقِ تحتَ ظِلال كل غمام

قال ابن هشام تركنا في آخرها ثلاث أبيات أقذع فيها. قال ابن هشام فأجابه الحارث بن هشام أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال :

القوم (١) أعلم ما تركتُ قتالَهم ... حتى رموا فرسي (٢) بأشقرَ مزبد
وعرفتُ أني إن أقاتل واحداً ... أقتَل ولا يَنكِ عدوّي مشهدي
فصددتُ عنهم والأحبّةُ فيهمُ ... طَمعاً لهم بعقابِ يومٍ مفسد

وقال حسان أيضا :

ياحارِ قد عوّلتَ غيرُ معوّل ... عند الهياجِ وساعةَ الإحساب
إذ تمتطي سَرْحَ اليدين نجيبةً ... مرطى الجراء طويلةَ الاقراب
والقومُ خلفك قد تركتَ قتالَهم ... ترجو النّجاء وليسَ حينَ ذهاب
ألاّ عطفتَ على ابن أمك إذ ثوى ... قَعصَ الأسنّة ضائعَ الاسلاب
عجِلَ المليكُ له فاهلكَ جمعَهُ ... بشنارِ مُخزيةٍ وسوءِ عذاب

---

(١) في ابن هشام : الله أعلم . (٢) كذا في الحلبية ، وفي ابن هشام : حتى حبوا مهرى ، وفي السهيلي ، علوا مهرى . وقوله في البيت الثالث « يوم مفسد » الذي في الشواهد يوم مرصد .

وقال حسان أيضا :

لقد علمتْ قريشٌ يومَ بدرٍ ... غداةَ الأسرِ والقتلِ الشديد
بأنا حينَ تشتجرُ العوالي ... حماةُ الحربِ يومَ أبي الوليد
قتلنا ابنَيْ ربيعةَ يومَ سارا ... إلينا في مضاعَفةِ الحديد
وفرّ بها حكيمٌ يومَ جالتْ ... بنو النجّار تخطرُ كالأسود
وولّتْ عندَ ذاك جموعُ فِهْرٍ ... وأسلمَها الحويرثُ من بعيد
لقد لاقيتُموا ذلاً وقتلاً ... جهيزاً نافذاً تحتَ الوريد
وكلُّ القومِ قد ولّوا جميعاً ... ولم يَلْوُوا على الحَسَبِ التليد

وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ترثى عبيدة بن الحارث بن المطلب :

لقد ضمّن الصفراءُ مجداً وسؤدداً ... وحِلماً أصيلاً وافرَ اللبِّ والعقل
عُبيدةُ فابكيهِ لأضيافِ غُربةٍ ... وأرملةٍ تهوي لأشعثَ كالجذل
وبكّيه للأقوامِ في كلِّ شَتْوةٍ ... إذا احمرَّ آفاقُ السماءِ من المحل
وبكّيه للأيتامِ والريحُ زفزفٌ ... وتشبيبِ قِدْرٍ طالما أزبدتْ تغلي
فإن تصبحِ النيرانُ قد ماتَ ضوؤها ... فقد كان يذكيهنَّ بالحطبِ الجزل
لطارقِ ليلٍ أو لملتمسِ القِرى ... ومستنبحٍ أضحى لديه على رِسْل

وقال الاموى فى مغازيه حدثنى سعيد بن قطن قال قالت عاتكة بنت عبد المطلب فى رؤياها التى رأت وتذكر بدراً :

ألمّا تكنْ رؤياي حقاً ويأتيكمْ ... بتأويلها فلٌّ من القومِ هاربُ
رأى فأتاكم باليقينِ الذي رأى ... بعينيه ما تفري السيوفُ القواضب
فقلتم ولم أكذبْ عليكم وإنما ... يكذّبني بالصدقِ من هو كاذب
وما جاء إلا رهبةَ الموتِ هاربا ... حكيمٌ وقد أعيتْ عليه المذاهب
أقامت سيوفُ الهندِ دون رؤوسِكم ... وخطّيةٌ فيها الشَّبا والتغالب
كأنّ حريقَ النارِ لمعُ ظُباتها ... إذا ما تعاطتها الليوثُ المشاغب
ألا بأبي يومَ اللقاءِ محمداً ... إذا عضَّ من عُونِ الحروبِ الغوارب
مَرَى بالسيوفِ المرهفاتِ نفوسَكم ... كفاحاً كما تَمري السحابَ الجنائب
فكم بردتْ أسيافُه من مليكةٍ ... وزعزعَ وِردٌ بعد ذلك صالب
فما بالُ قتلى في القليبِ ومثلُهم ... لدى ابنِ أخي أسرى له مايضارب

فكانوا نساءً أم أتى لنفوسهم ... من الله حَيْن ساق والحَيْن جالب
فكيف رأى عند اللقاءِ محمداً ... بنو عمه والحربُ فيها التجارب
ألم يَغْشكم ضربا يحارُ لوقعه الـــ ... ـجبانُ وتبدو بالنهار الكواكب
حلفتُ لئن عادوا لَنَصْطلِيَنَّهم ... بحاراً تردى حجرتيها المقانب
كأنَّ ضياءَ الشمس لَمْعُ ظُباتها ... لها من شعاع النور قَرنٌ وحاجب

وقالت عاتكة أيضا فيما نقله الاموى :

هلاَّ صبرتمْ للنبي محمدٍ ... ببدرٍ ومن يغشَى الوغى حقُّ صابر
ولم ترجعوا عن مرهفات كأنها ... حريقٌ بأيدي المؤمنين بواتر
ولم تصبروا للبيض حتى أخذتموا ... قليلاً بأيدي المؤمنين المشاعر
ووليتموا نفراً وما البطلُ الذي ... يقاتلُ من وقع السلاح بنافر
أتاكم بما جاء النبيُّون قبلَه ... وما ابنُ أخي البرِّ الصدوقُ بشاعر
سيكفي الذى ضيَّعتموا من نبيِّكم ... وينصرُهُ الحيَّانِ عمرو وعامر

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله ﷺ ويرثى أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه وهو بعد على دين قومه إذ ذاك :

ألا إن عيني أنفدتْ دمعَها سكْبا ... تبكّي على كعب وما إن ترى كعبا
ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا ... وأرداهم ذا الدهرُ واجترحوا ذنبا
وعامرُ تبكي للملمَّات غدوةً ... فياليت شعري هل أرى لهما قُربا[1]
فيا أخوَيْنا عبدَ شمسٍ ونوفلٍ ... فدىً لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تُصبحوا من بعد وُدٍّ وإلفة ... أحاديثَ فيها كلُّكم يشتكي النَّكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ ... وحرب أبي يكسومَ إذ ملئوا الشِّعبا[2]
فلولا دفاعُ الله لا شيءٌ غيره ... لأصبحتُمُ لا تمنعون لكم سرْبا
فما إن جَنينا في قريشٍ عظيمةً ... سوى أن حَمَيْنا خيرَ من وطئَ التربا
أخا ثقةٍ في النائباتِ مُرَزَّءا ... كريماً ثناهُ لا بخيلاً ولا ذرِبا
يُطيفُ به العافون يَغشَونَ بابه ... يؤمّون نهراً لا نَزُوراً ولا صربا

(١) واورد ابن هشام بعد هذا البيت :

هما أخواى لم يعدوا لغيَّة ... تعد ولن يستام جارهما غصبا

(٢) كذا في الاصلين ، وفي ابن هشام : وجيش أبي يكسوم إذ ملأ الشعبا .

فواللهِ لا تنفكّ نفسي حزينةً تململُ حتى تصدُقوا الخزرجَ الضّربا

فصل

وقد ذكر ابن اسحاق اشعارا من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مرداس أخى بنى محارب بن فهر وقد أسلم بعد ذلك ، والسهيلى فى روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك :

عجبتُ لفخرِ الأوسِ والحَيْنُ دائرٌ عليهم غداً والدهرُ فيه بصائر
ونخرِ بني النجّار إن كان معشرٌ أصيبوا ببدرٍ كلّهم ثَمّ صائر
فان تكُ قتلى غودرتْ من رجالنا فانّا رجالاً بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجُرْدُ العناجيجُ وسْطَكم بني الأوسِ حتى يشفيَ النفسَ ثائر
ووسْطُ بني النجّار سوف نكُرُّها لها بالقَنا والدارعينَ زوافر
فنتركُ صرعى تعصِبُ الطيرُ حولَهم وليسَ لهم إلا الامانيّ ناصر
وتبكيهمُ من أرضِ يثربَ نسوةٌ لهنّ بها ليلٌ عن النومِ ساهر
وذلك أنّا لا تزالُ سيوفُنا بهنّ دمٌ ممن يحاربْنَ مائر
فانْ تظفروا فى يومِ بدرٍ فانما بأحمدَ أمسى جَدُّكم وهو ظاهر
وبالنفَرِ الأخيار هم أولياؤه يحامون فى اللأواء والموتُ حاضر
يُعدّ أبو بكرٍ وحمزةُ فيهمُ ويدعى عليٌّ وسْطَ من أنتَ ذاكر
أولئك لامن نتّجتْ من ديارها بنو الأوسِ والنجّار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤيِّ بن غالبٍ إذا عُدّتِ الانسابُ كعب وعامر
هم الطاعنون الخيلَ فى كل مَعركٍ غداةَ الهياجِ الأطيَبُونَ الاكابر

فاجابه كعب بن مالك بقصيدته التى أسلفنا ها وهى قوله :

عجبتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قادر على ما أرادَ ليسَ للهِ قاهر

قال ابن اسحاق : وقال أبو بكر واسمه شداد بن الاسود بن شعوب .

قلت : وقد ذكر البخارى أنه خلف على امرأة أبى بكر الصديق حين طلقها الصديق وذلك حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر :

تحيّي بالسلامةِ أمُّ بكرٍ وهل لي بعدَ قومي من سلام
فماذا بالقليبِ قليبِ بدرٍ من القَيْنات والشَّرْبِ الكرام

وماذا بالقليب قليب بدرٍ من الشِّيزَى تكلَّلُ بالسنام
وكم لك بالطويّ طويّ بدر من الحومات والنَّعَم المُسام
وكم لك بالطوى طوى بدر من الغايات والدسع العظام
وأصحاب الكريم أبي علي أخيّ الكأس الكريمة والندام
وانكَ لو رأيتَ أبا عقيل وأصحابَ الثنيَّة من نعام
إذاً لظللتَ من وجدٍ عليهم كأمّ السَّقب جائلة المرام
يخبّرنا الرسول لَسوف نحيا وكيف حياةُ أصداءٍ وهام

قلت وقد أورد البخارى بعضها فى صحيحه ليعرف به حال قائلها. قال ابن اسحاق وقال أمية بن أبى الصلت يرثى من قتل من قريش يوم بدر :

ألاّ بكيتِ على الكرا م بني الكرام أولي الممادح
كَبُكَا الحمام على فرو ع الأَيك فى الغُصُن الجوانح
يبكين حرّاً مستكيـ ـناتٍ يرُحْن مع الروائح
أمثالهُنّ الباكيا تُ المعولاتُ من النوائح
مَن يبكِهم يبكي على حُزنٍ ويصدُقُ كل مادح
ماذا ببدر والعقنـ ـقَل من مرازبةٍ جحاجح
فمدافع البرقين فالـ ـحنّان من طرَفِ الأواشح
شُمْطٍ وشبانٍ بها ليلٍ مغاويرٍ وحاوح
ألاّ ترون لِما أرى ولقد أبان لكل لامح
أنْ قد تغيّر بطنُ مكـ ـة فهي موحشةُ الأباطح
من كل بِطْريقٍ لبطـ ـريقٍ نقي الودّ واضح
دُعْموصِ أبواب الملو كِ وجائبٍ للخرق فاتح
ومن السَّراطمة الخلا جمة الملاوثة المناجح
القائلينَ الفاعلـ ـينَ الآمرينَ بكل صالح
المطعمينَ الشحمَ فو قَ الخبز شحماً كالأنافح
نُقُلَ الجفانِ مع الجفا نِ إلى جفانٍ كالمناضح
ليست بأصفارٍ لمن يعفو ولا رحٍّ رحارح
للضيف ثم الضيف بعـ ـد الضيف والبُسُط السلاطح

وَهْبَ المئينَ من المئـ ـين إلى المئين من اللواقح
سوق المؤبَّل للمؤبـــل صادرات عن بلادح
لِكرامهم فوق الكرا م مزيةٌ وَزْنُ الرواجح
كتثاقل الارطال بالـ ـقسطاس بالايدي الموائح
خذلتْهموا فئة وهم يحمون عورات الفضائح
الضاربين التقدميـّـة بالمهنّدة الصفائح
ولقد عناني صوتُهم من بين مستسقٍ وصائح
لله درّ بني عـلى أيّمٍ منهم وناكح
إن لم يُغيروا غارة شعواءَ تحجُر كل نابح
بالمقربات المبعِدا تِ الطامحات مع الطوامح
مُرداً على جُردٍ إلى أُسْدٍ مكالبةٍ كوالح
ويلاقِ قِرنٌ قِرنَه مَشْيَ المُصافح للمصافح
بزهاء ألفٍ ثم ألـ ـفٍ بين ذي بدن ورامح

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ .(١)

قلت : هـذا شعر المخذول المعكوس المنكوس الذى حمله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من أبى جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللئام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله و رسوله وحبيبه وخليله فخر البشر ومنْ وجهه أنور من القمر ذى العلم الا كمل والعقل الاشمل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق والسابق إلى الخيرات وفعل المكرمات و بذل الالوف والمئات فى طاعة رب الأرض والسموات ، وكذلك بقية أصحابه الغر الكرام الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والاسلام رضى الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام . وما تعاقبت الليالى والايام وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردها ابن اسحاق رحمه الله خوف الاطالة وخشية الملالة وفيما أوردنا كفاية ولله الحمد والمنة . وقد قال الأموى فى مغازيه سمعت أبى حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهلية . قال سليمان فذكر ذلك الزهرى فقال : عفا عنه إلا قصيدتين ؛ كلمة أمية التى ذكر فيها أهل بدر ، وكلمة الاعشى التى يذكر فيها الاخوص . وهـذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا متروك والله أعلم .

(١) يوجد فى بعض هذه القصائد اختلاف وتحريف اعتمدنا فى تصحيحه على ابن هشام والخشنى .

قال ابن اسحاق : وكان فراغ رسول الله صـ ـ من بدر فى عقب شهر رمضان ـ أو فى شوال ـ ولما قدم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ـ أو ابن أم مكتوم الأعمى ـ قال ابن اسحاق : فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فاقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى فى اقامته تلك جل الاسارى من قريش .

فصل

غزوة بني سليم سنة ثنتين من الهجرة

قال السهيلى : والقرقرة الأرض الملساء ، والكدر طير فى ألوانها كدرة . قال ابن اسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير و يزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ وكان من أعلم الانصار ـ حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، فخرج فى مائتى راكب من قريش لتبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل فاتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه و بطن له من خبر الناس ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا فى أصوار من نخل بها ووجدوا رجلا من الانصار وحليفا له فى حرث لهما فقتلوهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله صـ ـ فى طلبهم . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر ، قال ابن اسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه و وجد أصحاب رسول الله صـ ـ أزواداً كثيرة قد القاها المشركون يتخففون منها وعامتها سويق ، فسميت غزوة السويق . قال المسلمون : يارسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال نعم . قال ابن اسحاق وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلام بن مشكم اليهودى :

وإنى تخيرت المدينة واحداً ... لحلف فلم أندم ولم أتلوم
سقانى فروانى كميتا مدامة ... على عجل منى سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن ... لافرجه أبشر بعز ومغنم

تأمل فإن القوم سر وإنهم　　صريح لؤى لا شماطيط جرهم
وما كان إلا بعض ليلة راكب　　أتى ساعيا من غير خلة معدم

فصل

فى دخول على بن أبى طالب رضى الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وذلك فى سنة ثنتين بعد وقعة بدر لما رواه البخارى ومسلم من طريق الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن على بن أبى طالب قال : كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر ، وكان النبى (ص) أعطانى شارفا مما أفاء الله من الخمس يومئذ فلما أردت ابتنى فاطمة بنت النبى (ص) واعدت رجلا صواغا من بنى قينقاع أن يرتحل معى فنأتى بإذخر فاردت أن أبيعه من الصواغين فاستعين به فى وليمة عرسى فبينا أنا أجمع لشارفيّ من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاى مناختان إلى جنب حجرة رجل من الانصار حتى جمعت ما جمعت ، فاذا أنا بشارفى قد أجبت أسنمتهما و بقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما ، فلم أملك عينى حين رأت المنظر فقلت من فعل هذا ؟ قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو فى هذا البيت وهو فى شرب من الانصار وعنده قينته وأصحابه ، فقالت فى غنائها :

* ألا ياحمز للشُّرُف النواء

فوثب حمزة إلى السيف فاجب أسنمتهما و بقرخوا صرهما وأخذ من أكبادهما ، قال على فانطلقت حتى أدخل على النبى (ص) وعنده زيد بن حارثة فعرف النبى (ص) الذى لقيت فقال مالك ؟ فقلت يا رسول الله ما رأيت كاليوم عدا حمزة على ناقتى فاجب أسنمتهما و بقرخوا صرهما وها هو ذا فى البيت معه شرب فدعا النبى (ص) بردائه فارتداه ثم انطلق يمشى واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذى فيه حمزة فاستأذن عليه فاذن له فطفق النبى (ص) يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر حمزة إلى النبى (ص) ثم صعد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال حمزة : وهل أنتم الا عبيداً لابى فعرف النبى (ص) أنه ثمل فنكص رسول الله (ص) على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا معه . هذا لفظ البخارى فى كتاب المغازى وقد رواه فى أماكن أخر من صحيحه بالفاظ كثيرة وفى هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خمست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الاموال من أن الخمس انما نزل بعد قسمتها وقد خالفه فى ذلك جماعة منهم البخارى وابن جرير وبينا غلطه فى ذلك فى التفسير وفيما تقدم والله أعلم . وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضى الله عنهم قبل أن تحرم الخمر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتى وذلك

قبل تحريم الخمر والله أعلم وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبادة السكران مسلوبة لا تأثير لها لا في طلاق ولا اقرار ولا غير ذلك كما ذهب اليه من ذهب من العلماء كما هو مقرر فى كتاب الاحكام وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن أبيه عن رجل سمع عليا يقول : أردت أن أخطب الى رسول الله ﷺ ابنته فقلت ما لى من شئ ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها اليه فقال « هل لك من شئ ؟ » قلت لا قال « فأين درعك الحطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قال هى عندى قال فأعطنيها قال فأعطيتها اياه هكذا رواه احمد فى مسنده وفيه رجل مبهم وقد قال أبو داود حدثنا اسحاق بن اسماعيل الطالقانى ثنا عبدة ثنا سعيد عن ايوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما تزوج على فاطمة رضى الله عنهما قال له رسول الله ﷺ . أعطها شيئا قال ما عندى شئ . قال أين درعك الحطمية ؟ ورواه النسائى عن هارون بن اسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبى عروبة عن أيوب السختيانى به وقال أبو داود حدثنا كثير بن عبيد الحمصى ثنا أبو حيوة عن سعيد بن أبى حمزة حدثنى عيلان بن أنس من أهل حمص حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن رجل من أصحاب النبى ﷺ أن عليا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئا فقال يا رسول الله ليس لى شئ فقال له النبى ﷺ « اعطها درعك » فأعطاها درعه ثم دخل بها . وقال البيهقى فى الدلائل . أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن على قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ ، قلت لا ، قالت فقد خطبت فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك ، فقلت وعندى شئ أتزوج به ؟ فقالت انك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك . قال فوالله ما زالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ فلما أن قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة فقال رسول الله ﷺ « ما جاء بك ألك حاجة ؟ فسكت فقال لعلك جئت تخطب فاطمة ، فقلت نعم ! فقال « وهل عندك من شئ تستحلها به » فقلت لا والله يا رسول الله فقال « ما فعلت درع سلحتكها » فوالذى نفس على بيده أنها لحطمية ما قيمتها أربعة دراهم فقلت عندى . فقال قد زوجتكها فابعث اليها بها فاستحلها بها ، فان كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : فولدت فاطمة لعلى حسنا وحسينا ومحسنا — مات صغيراً — وأم كلثوم وزينب ثم روى البيهقى من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن على قال جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل وقربة ووسادة أدم حشوها اذخر . ونقل البيهقى عن كتاب المعرفة لابى عبد الله بن منده أن عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى .

قلت فعلى هذا يكون دخوله بها فى أوائل السنة الثالثة من الهجرة فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير فيكون ذلك كما ذكرناه فى أواخر السنة الثانية والله أعلم .

فصل

جمل من الحوادث سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين ، فكان ممن توفى فيها الشهداء يوم بدر وهم أربعة عشر ما بين مهاجرى وأنصارى تقدم تسميتهم ، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفى بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العزى ابن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم ، ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله ص ، قد توفيت وساووا عليها التراب . وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبى ص ، له بذلك . ولهذا ضرب له بسهمه فى مغانم بدر وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوجه بأختها الاخرى أم كلثوم بنت رسول الله ص ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين ويقال إنه لم يغلق أحد على ابنتى نبى واحدة بعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد فى صلاة الحضر على ما سلف ، وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم وفيها فرضت الزكاة ذات النصب وفرضت زكاة الفطر وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود بنى حارثة وصانعوا المسلمين وأظهر الاسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم فى الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من انحل بالكلية فبقى مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله فى كتابه .

قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله ص ، المعاقل وكانت معلقة بسيفه قال ابن جرير وقيل إن الحسن بن على ولد فيها ، قال وأما الواقدى فانه زعم أن ابن أبى سبرة حدثه عن اسحاق بن عبد الله عن أبى جعفر أن على بن أبى طالب بنى بفاطمة فى ذى الحجة منها قال فان كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الاول باطل .

تم الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية

ويليه الجزء الرابع وأوله سنة ثلاث من الهجرة

فهرست
الجزء الثالث
من كتاب البداية والنهاية

أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

البداية والنهاية

الجزء الرابع

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

بيروت - لبنان

مكتبة المعارف
ص . ب : ١٧٦١ - ١١
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثلاث من الهجرة

فى أولها كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذى أمر . قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله (ص) من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريباً منها ثم غزا نجداً يريد غطفان وهى غزوة ذى أمر . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان . قال ابن اسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ثم رجع ولم يلق كيداً . وقال الواقدى : بلغ رسولَ الله (ص) أن جمعاً من غطفان من بنى ثعلبة بن محارب تجمعوا بذى أمر يريدون حربه ، فخرج اليهم من المدينة يوم الخميس لثنتى عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فغاب أحد عشر يوما وكان معه أربعمائة وخمسون رجلا ، وهربت منه الاعراب فى رءوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله (ص) فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف وذلك بمرأى من المشركين ، واشتغل المشركون فى شئونهم ، فبعث المشركون رجلا شجاعا منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد ، فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول الله (ص) بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك منى اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريلُ فى صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله (ص) ، فقال : من يمنعك منى ؟ قال لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله (ص) سيفه فلما رجع الى أصحابه فقالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرت الى رجل طويل فدفع فى صدرى فوقعت لظهرى فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله والله لا أكثر عليه جمعاً ،

وجعل يدعو قومه الى الاسلام . قال : ونزل فى ذلك قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسُطوا اليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم ﴾ الآية . قال البيهقى : وسيأتى فى غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه فلعلهما قصتان ، قلت : ان كانت هذه محفوظة فهى غيرها قطعاً لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم بل استمر على دينه ولم يكن عاهد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يقاتله . والله أعلم

غزوة الفُرُع من بُحران

قال ابن اسحاق : فأقام بالمدينة ربيعاً الاول كله أو الا قليلا منه ثم غدا يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحاق : حتى بلغ بُحران وهو معدن بالحجاز من ناحية الفُرُع . وقال الواقدى : انما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . فالله أعلم

خبر يهود بنى قينقاع فى المدينة

وقد زعم الواقدى انها كانت فى يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة فالله أعلم وهم المرادون بقوله تعالى ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ﴾ قال ابن اسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى قينقاع . قال وكان من حديثهم ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جمعهم فى سوقهم ثم قال : يامعشر يهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم . فقالوا : يامحمد انك ترى انا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس . قال ابن اسحاق : فحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعن عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزلت هؤلاء الآيات الا فيهم ﴿ قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد * قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ﴾ يعنى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقريش ﴿ فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار ﴾ قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد . قال ابن هشام فذكر عبد الله بن جعفر [بن عبد الرحمن] بن المسور بن مخرمة عن أبى عون قال كان أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ هنالك منهم فجعلوا

يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم و بين بنى قينقاع . قال ابن اسحاق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله (ص) حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبىّ ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يامحمد أحسن فى موالىَّ وكانوا حلفاء الخزرج قال فأبطأ عليه رسول الله (ص) فقال يامحمد أحسن فى موالى فأعرض عنه قال فأدخل يده فى جيب درع النبى (ص) قال ابن هشام وكان يقال لها ذات الفضول فقال له رسول الله (ص) أرسلنى وغضب رسول الله (ص) حتى رأوا لوجهه ظللاً ثم قال ويحك أرسلنى قال لا والله لاأرسلك حتى تحسن فى موالىَّ أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعونى من الأحمر والاسود تحصدهم فى غداة واحدة انى والله امرؤ أخشى الدوائر . قال فقال له رسول الله (ص) هم لك . قال ابن هشام واستعمل رسول الله (ص) فى محاصرته اياهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته اياهم خمس عشرة ليلة . قال ابن اسحاق وحدثنى أبى عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله (ص) تشبث بأمرهم عبد الله بن أبىّ وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت الى رسول الله (ص) ، وكان من بنى عوف له من حلفهم مثل الذى لهم من عبدالله بن أبى فخلعهم الى رسول الله (ص) وتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم وقال يارسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وابرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم قال وفيه وفى عبدالله بن أبى نزلت الآيات من المائدة ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ الآيات حتى قوله ﴿ فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ يعنى عبد الله ابن أبىّ الى قوله ﴿ومن يتولَّ اللهَ ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون﴾ يعنى عبادة بن الصامت . وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير

سرية زيد بن حارثة

الى عير قريش صحبة أبى سفيان أيضاً وقيل صحبة صفوان * قال يونس عن بكير عن ابن اسحاق وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر . قال ابن اسحاق وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التى كانوا يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة وهى عُظم تجارتهم واستأجروا رجلاً من بكر ابن وائل يقال له فرات بن حيان يعنى العجلى حليف بنى سهم ليدلهم على تلك الطريق . قال ابن

اسحاق فبعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة فلقيهم على ماء يقال له القردة فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله (ص) فقال فى ذلك حسان بن ثابت :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كافواه المخاض الاوارك

بايدى رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقاً وأيدى الملائك

اذا سلكت للغور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك

قال ابن هشام وهذه القصيدة فى أبيات لحسان وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث . وقال الواقدى كان خروج زيد بن حارثة فى هذه السرية مستهل جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم ابن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه واجتمع بكنانة بن أبى الحقيق فى بنى النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم فشربوا وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الاموال فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله (ص) فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الاموال وأعجزهم الرجال وإنما أسروا رجلا أو رجلين وقدموا بالعير فخمسها رسول الله فبلغ خمسها عشرين ألفاً وقسم أربعة أخماسها على السرية وكان فيمن أسر الدليل فرات بن حيان فأسلم رضى الله عنه . قال ابن جرير : وزعم الواقدى أن فى ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله (ص) وادخلت عليه فى جمادى الآخرة منها

مقتل كعب بن الأشرف

وكان من بنى طىء ثم أحد بنى نبهان ولكن أمه من بنى النضير . هكذا ذكره ابن اسحاق قبل جلاء بنى النضير وذكره البخارى والبيهقى بعد قصة بنى النضير والصحيح ما ذكره ابن اسحاق لأن فان بنى النضير انما كان أمرها بعد وقعة أحد وفى محاصرتهم حرمت الخمر كما سنبينه بطريقه ان شاء الله . قال البخارى فى صحيحه قتل كعب بن الاشرف حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله (ص) من لكعب بن الأشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال يارسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال نعم . قال فأذن لى أن أقول شيئاً قال قل . فأتاه محمد بن مسلمة فقال ان هذا الرجل قد سألنا صدقة وانه قد عنانا وانى قد أتيتك أستسلفك . قال وأيضاً والله لتملنه . قال إنا قد اتبعناه فلانحب أن ندعه حتى ننظر الى أى شىء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا قال نعم ارهنونى قلت أى شىء تريد قال ارهنونى

نساءكم فقالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة . قال سفيان يعنى السلاح . فواعده أن يأتيه ليلا فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم الى الحصن فنزل اليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ وقال غير عمرو قالت أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم .قال انما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة . ان الكريم لو دعى الى طعنة بليل لاجاب قال ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين فقال اذا ماجاء فانى مائل بشعره فأشمه فاذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه وقال مرة ثم أشمكم فنزل اليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ما رأيت كاليوم ريحاً أى أطيب وقال غير عمرو قال عندى أعطر نساء العرب وأجمل العرب قال عمرو فقال أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال نعم . فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لى ؟ قال نعم . فلما استمكن منه قال دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي (ص) فاخبروه . وقال محمد ابن اسحاق كان من حديث كعب بن الأشرف وكان رجلا من طيئ ثم أحد بنى نبهان وأمه من بنى النضير أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رَواحة قال والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها . فلما تيقن عدو الله الخبر خرج الى مكة فنزل على المطلب بن أبى وداعة بن صبيرة السهمى وعنده عاتكة بنت ابى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته وأكرمته وجعل يحرض على قتال رسول الله (ص) وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر فذكر ابن اسحاق قصيدته التى أولها :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ولمثل بدر تستهل وتدمع

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضى الله عنه ومن غيره . ثم عاد الى المدينة فجعل يشبب بنساء المسلمين ويهجو النبي (ص) وأصحابه . وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الاشرف أحد بنى النضير أو فيهم قد آذى رسول الله (ص) بالهجاء وركب الى قريش فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك أديننا أحب الى الله أم دين محمد وأصحابه ، وأينا أهدى فى رأيك وأقرب الى الحق ؟ إنا نطعم الجزور الكوماء ونسقى اللبن على الماء ونطعم ماهبَّت الشمال . فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلا . قال فأنزل الله على رسوله (ص) : ﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ﴾ وما بعدها . قال موسى ومحمد بن اسحاق : وقدم المدينة يعلن بالعداوة ويحرّض الناس على الحرب ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله (ص) وجعل يشبب بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من

نساء المسلمين . قال ابن اسحاق : فقال رسول الله (ص) كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة من لابن الاشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الاشهل : أنا لك به يارسول الله أنا أقتله، قال فافعل إن قدرت على ذلك ، قال فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لايأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله (ص) فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال يارسول الله قلت لك قولا لا أدرى هل أفي لك به ام لا . قال : إنما عليك الجهد . قال : يارسول الله ، إنه لابد لنا أن نقول ، قال : فقولوا مابدا لكم فأنتم في حل من ذلك . قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل . وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الأشهل والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الاشهل وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثه ، قال فقدموا بين أيديهم الى عدو الله كعب سلكان ابن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً — وكان أبو نائلة يقول الشعر — ثم قال : ويحك يا ابن الاشرف أني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني ، قال أفعل . قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا . فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك ياابن سلامة أن الأمر يصير الى ما أقول ، فقال له سلكان : انى قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك ، قال ترهنوني أبناءكم ؟ قال لقد أردت أن تفضحنا ، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة مافيه وفاء ، وأراد سلكان أن لاينكر السلاح إذا جاءوا بها . فقال : ان في الحلقة لوفاء . قال : فرجع سلكان إلى اصحابه فاخبرهم خبره ، وامرهم ان يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه ، فاجتمعوا عند رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله (ص) الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال : «انطلقوا على اسم الله . اللهم أعنهم» ثم رجع رسول الله (ص) الى بيته وهو في ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا الى حصنه ، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : أنت امرؤ محارب وان أصحاب الحرب لاينزلون في هذه الساعة ، قال انه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله اني لأعرف في صوته الشر . قال : يقول لها كعب لو دعي الفتى لطعنة أجاب ، فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا : هل لك يا ابن الاشرف أن تماشي الى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال إن شئتم . فخرجوا فمشوا ساعة . ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال مارأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودي رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ! فاختلفت

عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولاً فى سيفى فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلاّ أوقدت عليه نار ، قال فوضعته فى ثُنتيهِ ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدوّ الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح فى رجله أو فى رأسه اصابه بعض سيوفنا ، قال فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بُعاث حتى أسندنا فى حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله ص آخر الليل وهو قائم يصلى فسلمنا عليه فخرج الينا فأخبرناه بقتل عدوّ الله وتفل رسول الله ص على جرح صاحبنا ورجعنا الى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه . قال ابن جرير : وزعم الواقدى أنهم جاءوا برأس كعب بن الاشرف الى رسول الله ص . قال ابن اسحاق : وفى ذلك يقول كعب بن مالك :

فغودر منهمُ كعب صريعاً   فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته   بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا   الى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر   ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام : وهذه الابيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير ستأتى . قلت : كان قتل كعب ابن الاشرف على يدى الأوس بعد وقعة بدر، ثم ان الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبى الحقيق بعد وقعة أحد كما سيأتى بيانه ان شاء الله وبه الثقة . وقد أورد ابن أسحاق شعر حسان بن ثابت :

لله درُّ عصابة لاقيتهم   ياابن الُحقيق وأنت ياابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم   مرحاً كأسد فى عرين مغرف
حتى أتوكم فى محل بلادكم   فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
مستبصرين لنصر دين نبيهم   مستصغرين لكل أمر مجحف

قال محمد بن اسحاق : وقال رسول الله ص « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الأوسى على ابن سنينة — رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم — فقتله ، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدوّ الله أقتلته ؟ أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله . قال محيصة : فقلت والله لقد أمرنى بقتله من لوأمرنى بقتلك لضربت عنقك ، قال فوالله إن كان لأول اسلام حويصة وقال والله لوأمرك محمد بقتلى لتقتلنى ؟ قال : نعم ، والله لوأمرنى بضرب عنقك لضربتها . قال : فوالله ان ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة . قال ابن اسحاق : حدثنى بهذا الحديث مولى لبنى

حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها . وقال فى ذلك محيصة :

يلومُ ابنُ أمٍ لو أُمرتُ بقتلهِ لطبَّقتُ ذِفراه بأبيضَ قاربِ
حسامٍ كلونِ الملحِ أُخلِصَ صقلُه متى ما أصوِّبْهُ فليسَ بكاذبِ
وما سرَّني أني قتلتُك طائعاً وأنّ لنا مابينَ بُصرَى ومأربِ

وحكى ابن هشام عن أبى عبيدة عن أبى عمرو المدنى أن هذه القصة كانت بعد مقتل بنى قريظة فان المقتول كان كعب بن يهوذا لما قتله محيصة عن أمر رسول الله ص ، يوم بنى قريظة قال له أخوه حويصة ماقال فرد عليه محيصة بما تقدم فأسلم حويصة يومئذ . فالله أعلم

﴿ تنبيه ﴾ : ذكر البيهقى والبخارى قبله خبر بنى النضير قبل وقعة أحد والصواب ايرادها بعد ذلك كما ذكر ذلك محمد بن اسحاق وغيره من أئمة المغازى ، وبرهانه أن الخمر حرمت ليالى حصار بنى النضير وثبت فى الصحيح انه اصطبح الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيداً فدل على أن الخمر كانت اذ ذاك حلالا وانما حرمت بعد ذلك فتبين ما قلناه من أن قصة بنى النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم

﴿ تنبيه آخر ﴾ :خبر يهود بنى قينقاع بعد وقعة بدر كما تقدم وكذلك قتل كعب بن الاشرف اليهودى على يدى الاوس وخبر بنى النضير بعد وقعة أحد كما سيأتى وكذلك مقتل أبى رافع اليهودى تاجر أهل الحجاز على يدى الخزرج وخبر يهود بنى قريظة بعد يوم الاحزاب وقصة الخندق كما سيأتى

غزوة أُحُد فى شوال سنة ثلاث

﴿فائدة﴾ ذكرها المؤلف فى تسمية أُحُد قال سمى أحد أحداً لتوحده من بين تلك الجبال وفى الصحيح « أحد جبل يحبنا ونحبه » قيل معناه أهله وقيل لأنه كان يبشره بقرب أهله اذا رجع من سفره كما يفعل المحب وقيل على ظاهره كقوله ﴿ وإنّ منها لما يهبط من خشية الله ﴾ وفى الحديث عن أبى عبس بن جبر « أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة ، وعير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار » قال السهيلى مقويا لهذا الحديث وقد ثبت أنه عليه السلام قال « المرء مع من أحب » وهذا من غريب صنع السهيلى فان هذا الحديث انما يراد به الناس ولا يسمى الجبل امرءاً . وكانت هذه الغزوة فى شوال سنة ثلاث قاله الزهرى وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق ومالك قال ابن اسحاق للنصف من شوال وقال قتادة يوم السبت الحادى عشر منه قال مالك وكانت الوقعة فى أول النهار وهى على المشهور التى أنزل الله فيها قوله تعالى [وإذ غدوت من أهلك تبوِّئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم * اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل

المؤمنون * ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين] الآيات وما بعدها الى قوله [ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب] وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله فى كتاب التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة ، ولنذكر ههنا ملخص الوقعة مما ساقه محمد بن اسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رح وكان من حديث أُحد كما حدثنى محمد ابن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث عن يوم أُحد وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت . قالوا أو من قال منهم : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة . فقالوا : يامعشر قريش ، ان محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً ، ففعلوا . قال ابن اسحاق : ففيهم كما ذكر لى بعض أهل العلم أنزل الله تعالى [ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون] قالوا : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله (ص) حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى قد منّ عليه رسول الله (ص) يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة وكان فى الاسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، انك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا فقال : ان محمداً قد منّ علىّ فلا أريد أن أظاهر عليه . قال : بلى ، فأعنا بنفسك فلك الله ان رجعت أن أغنيك وان قتلت أن أحمل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يسير فى تهامة ويدعو بنى كنانة ويقول :

أيا بَني عبدَ مناةِ الرزامِ أنتم حُماةٌ وأبوكُم حام
لا يعدوني نصرُكم بعدَ العامِ لا تسلموني لا يحلّ إسلامَ

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح الى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويقول :

يا مالِ مالِ الحسَبِ المقدَّم أنشُدُ ذا القُربى وذا التذمُّم
من كانَ ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وسْطَ البلدَ المحرَّم
عندَ حطيمِ الكعبةِ المعظَّم

قال : ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشياً يقال له وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها فقال له : أخرج مع الناس ، فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فانت عتيق . قال : فخرجت قريش بحدها وحديدها وجدها وأحابيشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وأن لا يفروا ، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب وهو قائد الناس ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة وخرج عكرمة بن أبى جهل بزوجته ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجته فاطمة بنت الوليد ابن المغيرة وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم ابنه عبد الله بن عمرو وذكر غيرهم ممن خرج بامرأته قال : وكان وحشي كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به تقول ويهاً أبا دسمة اشف واشتف . يعنى تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب . قال : فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله (ص) والمسلمون قال لهم قد رأيت والله خيراً رأيت بقراً تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلماً ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة . وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعاً عن أبى كريب عن أبى أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبى بردة عن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « رأيتُ فى المنام أنى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفاً فانقطع صدره فاذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فاذا هو ماجاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها أيضاً بقراً والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد واذا الخير ماجاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر » وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : تنفل رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار يوم بدر قال ابن عباس وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد وذلك ان رسول الله (ص) لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيه أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدراً تخرج يارسول الله اليهم نقاتلهم بأحد ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر فما زالوا برسول الله (ص) حتى لبس أداته ثم ندموا وقالوا يارسول الله أقم فالرأى رأيك . فقال لهم ماينبغى لنبى أن يضع أداته بعد مالبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . قال وكان قال لهم يومئذ قبل أن يلبس الاداة انى رأيت أنى فى درع حصينة فأولتها المدينة وأنى مردف كبشاً

وأوّلته كبش الكتيبة ورأيت أن سيفي ذا الفقار فل فأولته فلاً فيكم ورأيت بقراً يذبح فبقر والله خير »
رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به . وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس مرفوعاً قال : رأيت فيما يرى النائم كأني مردف كبشاً وكأن ضبة سيفي انكسرت فأولت أني أقتل كبش القوم وأولت كسر ضبة سيفي قتل رجل من عترتي . فقتل حمزة وقتل رسول الله (ص) طلحة وكان صاحب اللواء . وقال موسى بن عقبة رح ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب وسار أبو سفيان بن حرب في جمع قريش وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر حتى نزلوا ببطن الوادي الذي قبلي أحد وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدراً قد ندموا على مافاتهم من السابقة وتمنوا لقاء العدو ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدراً بقدوم العدو عليهم وقالوا : قد ساق الله علينا أمنيتنا ثم ان رسول الله (ص) أرى ليلة الجمعة رؤيا فأصبح فجاءه نفر من أصحابه فقال لهم « رأيت البارحة في منامي بقراً تذبح والله خير ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ضبته . أو قال : به فلول فكرهته وهما مصيبتان ورأيت أني في درع حصينة وأني مردف كبشاً » . فلما أخبرهم رسول الله (ص) برؤياه ، قالوا : يا رسول الله ، ماذا أولت رؤياك ؟ قال : أولت البقر الذي رأيت بقراً فينا وفي القوم وكرهت ما رأيت بسيفي . ويقول رجال كان الذي رأى بسيفه الذي أصاب وجهه فان العدو أصاب وجهه يومئذ وقصموا رباعيته وخرقوا شفته يزعمون أن الذي رماه عتبة بن أبي وقاص وكان البقر من قتل من المسلمين يومئذ . وقال أوّلت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله الله وأوّلت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام فان دخل علينا القوم في الازقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وكانوا قد سكوا أزقة المدينة بالبنيان حتى [صارت] كالحصن . فقال الذين لم يشهدوا بدراً : كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه الله الينا وقرب المسير وقال رجل من الانصار : متى نقاتلهم يا رسول الله اذا لم نقاتلهم عند شعبنا ؟ وقال رجال ماذا نمنع اذا لم نمنع الحرب بروع ؟ وقال رجال قولا صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة بن عبد المطلب قال : والذي أنزل عليك الكتاب لنجادلنهم . وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة وهو أحد بني سالم : يا نبي الله لا تحرمنا الجنة فوالذي نفسي بيده لأدخلنها . فقال له رسول الله (ص) : بم ؟ قال : بأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف . فقال له رسول الله (ص) : صدقت . واستشهد يومئذ . وأبى كثير من الناس إلا الخروج الى العدو ولم يتناهوا الى قول رسول الله (ص) ورأيه ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك ولكن غلب القضاء والقدر وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدراً قد علموا الذي سبق

لاصحاب بدر من الفضيلة فلما صلى رسول الله (ص) الجمعة وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والجهاد ثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلأمته فلبسها ثم أذن فى الناس بالخروج فلما رأى ذلك رجال من ذوى الرأى قالوا: أمرنا رسول الله (ص) أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحى من السماء فقالوا يارسول الله أمكث كما أمرتنا فقال: ما ينبغى لنبى اذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج الى العدو أن يرجع حتى يقاتل وقد دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس اذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا. قال: فخرج رسول الله (ص) والمسلمون فسلكوا على البدائع وهم ألف رجل والمشركون ثلاثة آلاف فمضى رسول الله (ص) حتى نزل بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبىّ ابن سلول فى ثلثمائة فبقى رسول الله (ص) فى سبعمائة قال البيهقى رح هذا هو المشهور عند أهل المغازى أنهم بقوا فى سبعمائة مقاتل قال والمشهور عن الزهرى أنهم بقوا فى أربعمائة مقاتل كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن اصبغ عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى وقيل عنه بهذا الاسناد سبعمائة فالله أعلم. قال موسى بن عقبة وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد وكان معهم مائة فرس وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة قال ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة ثم ذكر الوقعة كما سيأتى تفصيلها ان شاء الله تعالى. وقال محمد بن اسحاق لما قص رسول الله (ص) رؤياه على أصحابه قال لهم ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشرّ مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبىّ ابن سلول مع رأى رسول الله (ص) فى أن لايخرج اليهم فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر: يارسول الله أخرج بنا الى أعدائنا لايرون أنّا جبنّا عنهم وضعفنا فقال عبد الله ابن أبىّ يارسول الله لاتخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه. فلم يزل الناس برسول الله (ص) حتى دخل فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من بنى النجار يقال له مالك بن عمرو فصلى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله (ص) ولم يكن لنا ذلك فلما خرج عليهم قالوا يارسول الله ان شئت فاقعد فقال ماينبغى لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل. فخرج رسول الله (ص) فى ألف من أصحابه. قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم قال ابن اسحاق حتى اذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبىّ بثلث الناس وقال أطاعهم وعصانى ماندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس. فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى والد جابر بن عبد الله فقال: ياقوم اذكركم الله أن لاتخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم. قالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلمناكم

ولكننا لا نرى أن يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه (ص) . قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى [وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون] يعنى انهم كاذبون فى قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لاخفاء ولا شك فيه وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ الآية وذلك أن طائفة قالت نقاتلهم وقال آخرون لانقاتلهم كما ثبت وبين فى الصحيح . وذكر الزهرى أن الانصار استأذنوا حينئذ رسول الله (ص) فى الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة فقال لاحاجة لنا فيهم . وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بنى سلمة وبنى حارثة لما رجع عبد الله بن أبىّ وأصحابه همتا ان تفشلا فثبتهما الله تعالى ، ولهذا قال ﴿ اذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ قال جابر بن عبد الله ما أحب أنها لم تنزل والله يقول ﴿ والله وليهما ﴾ كما ثبت فى الصحيحين عنه . قال ابن اسحاق ومضى رسول الله (ص) حتى سلك فى حرة بنى حارثة فذب فرسٌ بذنبه فأصاب كُلاّب سيف فاستله فقال رسول الله (ص) لصاحب السيف شم سيفك أى اغمده فانى أرى السيوف ستسل اليوم . ثم قال النبى (ص) لاصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كثب (أى من قريب) من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث أنا يارسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك به فى مال لمربع بن قيظى وكان رجلا منافقاً ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله ومن معه من المسلمين قام يحثى فى وجوههم التراب ويقول ان كنتَ رسول الله فانى لا أحل لك أن تدخل فى حائطى . قال ابن اسحاق وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من التراب فى يده ثم قال والله لو أعلم أنى لاأصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (ص) لاتقتلوه ، فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر ، وقد بدر اليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الاشهل قبل نهى رسول الله (ص) ، فضربه بالقوس فى رأسه فشجه ومضى رسول الله (ص) حتى نزل الشعب من أُحُد فى عدوة الوادى وفى الجبل وجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لايقاتلنّ أحد حتى آمره بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع فى زروع كانت بالصمغة من قناة كانت للمسلمينَ فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله (ص) عن القتال أتُرعى زروع بنى قيلة ولما نضارب ؟ وتعبأ رسول الله (ص) للقتال وهو فى سبعمائة رجل وأمر على الرماة يومئذ عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلاً فقال انضح الخيل عنا بالنبل لايأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك

لانؤتين من قبلك . وسيأتى شاهد هذا فى الصحيحين ان شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق وظاهر رسول الله (ص) بين درعين يعنى لبس درعاً فوق درع ودفع اللواء الى مصعب بن عمير أخى بنى عبد الدار قلت وقد رد رسول الله (ص) جماعة من الغلمان يوم أحد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم منهم عبد الله بن عمر كما ثبت فى الصحيحين قال عُرضتُ على النبى (ص) يوم أُحد فلم يجزنى وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازنى وكذلك رد يومئذ أسامة بن زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعَرابة بن أوس بن قيظى ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلى ، وهو الذى يقول فيه الشماخ : —

اذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ تلقَّاها عَرابةُ باليمين

ومنهم ابن سعيد بن خيثمة ذكره السهيلى أيضاً وأجازهم كلهم يوم الخندق وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة فقيل يارسول الله ان رافعاً رام فأجازه فقيل يارسول الله فان سمرة يصرع رافعاً فأجازه . قال ابن اسحاق رح وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل بن هشام وقال رسول الله (ص) : من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بنى ساعدة فقال وما حقه يارسول الله؟ قال أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى . قال أنا آخذه يارسول الله بحقه فأعطاه اياه . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد وعفان قالا حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا ثابت عن النبى أن رسول الله (ص) أخذ سيفاً يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف فأخذ قوم فجعلوا ينظرون اليه فقال من يأخذه بحقه فأحجم القوم فقال أبو دجانة سماك : أنا آخذه بحقه . فأخذه ففلق به هام المشركين ورواه مسلم عن أبى بكر عن عفان به . قال ابن اسحاق وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب وكان له عصابة حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه سيقاتل ، قال فلما أخذ السيف من يد رسول الله (ص) أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفين قال : فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار من بنى سلمة قال : قال رسول الله (ص) حين رأى أبا دجانة يتبختر : انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن . قال ابن اسحاق وقد قال أبو سفيان لاصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال يا بنى عبد الدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ماقد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا و بينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ؟ ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع . وذلك الذى أراد أبو سفيان . قال فلما التقى الناس ودنا بعضهم من

بعض قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال فقالت هند فيما تقول :

وَيهاً بني عبدِ الدارْ   ويهاً حماةَ الأدبار   ضرباً بكلِّ بتَّار

وتقول أيضاً :

ان تُقبلوا نُعانقْ   ونفرشْ النمارقْ

أو تُدْبروا نفارقْ   فراقَ غيرِ وامقْ

قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان أبا عامر عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة وكان قد خرج الى مكة مباعدا لرسول الله (ص) معه خمسون غلاما من الاوس وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر وكان يعد قريشاً أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبوعامر فى الاحابيش وعبدان أهل مكة فنادى : يامعشر الاوس أنا أبوعامر قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق . وكان يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله (ص) الفاسق . فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديداً ثم أرضخهم بالحجارة . قال ابن اسحاق فأقبل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس قال ابن هشام وحدثنى غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله (ص) السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه وسألته اياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركنى والله لأنظرن مايصنع فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدنى خليلي   ونحنُ بالسّفحِ لدى النخيل

أن لا أقومَ الدهرَ فى الكيول   أضربْ بسيفِ الله والرسولِ

وقال الاموى حدثنى أبو عبيد فى حديث النبى (ص) أن رجلا أتاه وهو يقاتل به فقال لعلك ان أعطيتك تقاتل فى الكيول ؟ قال لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذى عاهدني خليلى   ان لا أقوم الدهرَ في الكُيُول

وهذا حديث يروى عن شعبة ورواه اسرائيل كلاهما عن أبى اسحاق عن هند بنت خالد أو غيره يرفعه الكيول يعنى مؤخر الصفوف سمعته من عدة من أهل العلم ولم أسمع هذا الحرف إلا فى هذا الحديث . قال ابن هشام فجعل لايلقى أحداً إلا قتله وكان فى المشركين رجل لايدع جريحاً إلا ذفف عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين

فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله . ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت الله ورسوله أعلم . وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام بذلك . قال ابن اسحاق قال أبو دجانة رأيت انساناً يحمس الناس حمساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرضه طلبه منه عمر فأعرض عنه ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه فوجدا في أنفسهما من ذلك ثم عرضه الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه اليه فأعطى السيف حقه قال فزعموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين فلما رأيت مثل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاوزت فاذا رجل من المشركين جمع اللأمة يجوز المسلمين وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم . قال واذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لأمته فمضيت حتى كنت من ورائه ثم قمت أقدّر المسلم والكافر ببصري فاذا الكافر أفضلهما عدة وهيأة . قال فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربه بالسيف فبلغت وركه وتفرق فرقتين ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دجانة

مقتل حمزة رضي الله عنه

قال ابن اسحاق وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحه وهو حامل اللواء وهو يقول :

انّ على أهلِ اللواءِ حقّا أن يخضُبوا الصّعْدَةَ أو تَنْدَقّا

فحمل عليه حمزة فقتله ثم مر به سباع بن عبد العزّى الغُبشاني وكان يكنى بأبي نيار فقال حمزة: هلم اليّ يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله فقال وحشي غلام جبير بن مطعم والله اني لانظر لحمزة يهد الناس بسيفه مايليق شيئاً يمرُّ به مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمني اليه سباع فقال حمزة هلم يا ابن مقطعة البظور فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثُنّتِه حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوي فغُلب فوقع وأمهلته حتى اذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيتُ الى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره . قال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن الفضل بن عَياش بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري

قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الخيار أحد بنى نوفل بن عبد مناف فى زمان معاوية فأدربنا مع الناس فلما مررنا بحمص وكان وحشى مولى جبير قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال عبيد الله بن عدى : هل لك فى أن نأتى وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال قلت له: ان شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر فان تجداه صاحياً تجدا رجلا عربياً وتجدا عنده بعض ماتريدان وتصيبا عنده ماشئتما من حديث تسألانه عنه وان تجداه وبه بعض مابه فانصرفا عنه ودعاه . قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طنفسة له واذا شيخ كبير مثل البغاث ، واذا هو صاح لابأس به ، فلما انتهينا اليه سلمنا عليه ، فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدى فقال : ابنٌ لعدى بن الخيار أنت ؟ قال نعم . قال أما والله مارأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التى أرضعتك بذى طوى فإنى ناولتكها وهى على بعيرها فأخذتك بعرضيك فلمعت لى قدماك حتى رفعتك اليها فوالله ماهو إلا أن وقفتَ علىّ فعرفتهما . قال فجلسنا اليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتله ؟ فقال : أما إنى سأحدثكما كما حدثتُ رسول الله (ص) حين سألنى عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش الى أحد قال لى جبير : إن قتلت حمزة عمّ محمد بعمى فأنت عتيق . قال فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قلّ ما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هداً مايقوم له شىء فوالله إنى لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى إذ تقدمنى اليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال هلم إلىّ يا ابن مقطعة البظور ، قال فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال وهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوى فغلب وتركته واياها حتى مات ثم أتيته فأخذت حربتى ثم رجعت الى العسكر وقعدت فيه ولم يكن لى بغيره حاجة إنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله (ص) مكة هربت الى الطائف فمكثت بها فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله (ص) ليسلموا تعيّت علىّ المذاهب فقلت ألحقُ بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل : ويحك انه والله لايقتل أحداً من الناس دخل فى دينه وشهد شهادة الحق ، قال فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله (ص) المدينة فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآنى قال لى أوحشى أنت ؟ قلت نعم يارسول الله . قال اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة ؟ قال فحدثته كما حدثتكما، فلما فرغت من حديثى قال ويحك غيّب عنى وجهك فلا أرينك ، قال فكنت

أتنكب برسول الله (ص) حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله عز وجل، فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائما وبيده السيف وما أعرفه فتهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده فهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه، وشدّ عليه الانصاري بالسيف فربك أعلم أينا قتله، فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله (ص) وقتلت شر الناس. قلت: الانصاري هو أبو دجانة سماك بن خَرَشة كما سيأتي في مقتل أهل اليمامة. وقال الواقدي في الردة: هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني. وقال سيف بن عمرو: هو عدي ابن سهل وهو القائل:

ألم ترَ أني ووحشيَّهم قتلتُ مُسيلمةَ المفتَتِن
ويسألني الناسُ عن قتله فقلتُ ضَربتُ، وهذا طعن

والمشهور أن وحشياً هو الذي بدره بالضربة وذفف عليه أبو دجانة، لما روى ابن اسحاق عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن ابن عمر قال: سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول: قتله العبد الأسود. وقد روى البخاري قصة مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال خرجت مع عبد الله بن عدي بن الخيار. فذكر القصة كما تقدم. وذكر أن عبيد الله بن عدي كان معتجراً عمامة لا يرى منه وحشي إلا عينيه ورجليه فذكر من معرفته له ما تقدم، وهذه قيافة عظيمة كما عرف مجزز المدلجي أقدام زيد وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما. وقال في سياقته: فلما أن صف الناس للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فقال له. ياسباع ياابن أم أنمار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله؟ ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب، قال وكمنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه قال فكان ذلك آخر العهد به، الى أن قال: فلما قبض رسول الله (ص) وخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرج الى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة، قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال فاذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس، قال فرميته بحربتي فاضعها بين ثدييه حتى خرجت من كتفيه، قال ووثب اليه رجل من الانصار فضربه بالسيف على هامته، قال عبد الله بن الفضل فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول. فقالت جارية على ظهر البيت: واأمير المؤمنناه قتله العبد الاسود، قال ابن هشام فبلغني أن وحشياً لم يزل يحدّ في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول: قد قلت إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة. قلت:

وتوفى وحشى بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب بحمص وكان أول من لبس الثياب المدلوكة .
قال ابن اسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله (ص) حتى قتل وكان الذى قتله ابن قمئة الليثى وهو يظن أنه رسول الله (ص) فرجع الى قريش فقال قتلت محمداً . قلت وذكر موسى بن عقبة فى مغازيه عن سعيد بن المسيب أن الذى قتل مصعباً هو أبىّ بن خلف فالله أعلم . قال ابن اسحاق فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله (ص) اللواء علىّ بن أبى طالب . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : كان اللواء أولا مع على بن أبى طالب ، فلما رأى رسول الله (ص) لواء المشركين مع عبد الدار قال نحن أحق بالوفاء منهم أخذ اللواء من على بن أبى طالب فدفعه الى مصعب بن عمير ، فلما قتل مصعب أعطى اللواء علىّ بن أبى طالب . قال ابن اسحاق : وقاتل على بن أبى طالب ورجال من المسلمين . قال ابن هشام وحدثنى مسلمة بن علقمة المازنى . قال : لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله (ص) تحت راية الانصار وأرسل الى على أن قدم الراية فقدم على وهو يقول : أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبى طلحة وهو صاحب لواء المشركين . هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة ؟ قال نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه . فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال انه استقبلنى بعورته فعطفتنى عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله . وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صفين مع بسر ابن ابى أرطاة لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه . وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على فى بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع على أيضاً . ففى ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفى كلّ يوم فارسٌ غيرُ منتهٍ ... وعورته وسْط العجاجة باديه
يكفُّ لها عنه علىٌّ سنانه ... ويضحك منها فى الخلاء معاويه

وذكر يونس عن ابن اسحاق أن طلحة بن أبى طلحة العبدرى حامل لواء المشركين يومئذ دعا الى البراز فأحجم عنه الناس فبرز اليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الارض فألقاه عنه وذبحه بسيفه فأثنى عليه رسول الله (ص) ، قال « ان لكل نبىّ حواريا وحواريّ الزبير » وقال : لو لم يبرز اليه لبرزت أنا اليه لما رأيت من احجام الناس عنه . وقال ابن اسحاق فقتل أبا سعد بن أبى طلحة سعد بن ابى وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فقتل نافع بن أبى طلحة وأخاه الجلاس كلاهما يشعره سهماً فيأتى أمه سلافة فيضع رأسه فى حجرها فتقول يابنى من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى يقول خذها وأنا ابن أبى الأقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركا أبداً ولا

بسه ولهذا حماه الله منه يوم الرجيع كما سيأتي . قال ابن اسحاق : والتقى حنظلة بن أبي عامر واسمه عمرو ويقال عبد عمرو بن صيفي وكان يقال لابي عامر في الجاهلية الراهب لكثرة عبادته فسماه رسول الله (ص) الفاسق لما خالف الحق وأهله وهرب من المدينة هرباً من الاسلام ومخالفة للرسول عليه السلام وحنظلة الذي يعرف بحنظلة الغسيل لانه غسلته الملائكة كما سيأتي هو وأبو سفيان صخر بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الاوس وهو الذي يقال له ابن شعوب فضربه شداد فقتله فقال رسول الله (ص) « ان صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه » فسئلت صاحبته قال الواقدي : هي جميلة بنت أبيّ ابن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة . فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة فقال رسول الله (ص) : كذلك غسلته الملائكة . وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله في صدره وقال ذنبان أصبتهما ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنتَ وصولا للرحم براً بالوالد . قال ابن اسحاق وقال ابن شعوب في ذلك :

لأحمينّ صاحبي ونفسي ... بطعنةٍ مثلِ شعاعِ الشمسِ

وقال ابن شعوب :

ولولا دفاعي يا ابنَ حربٍ ومَشهدي ... لألفيتَ يوم النعفِ غيرَ مجيبِ

ولولا مكرّي المهر بالنعفِ فرفرتْ ... عليه ضباعٌ أو ضراءُ كليبِ

وقال أبو سفيان :

ولو شئتُ نجّتني كُمَيْتٌ طِمِرّةٌ ... ولم أحملِ النعماءَ لابنِ شعوبِ

وما زال مهري مزجَرَ الكلبِ منهمُ ... لدنْ غدوةٍ حتى دنتْ لغروبِ

أقاتلهم وأدّعي يالغالبٍ ... وأدفعهم عني بركنٍ صليبِ

فبكّي ولا ترعي مقالةَ عاذلٍ ... ولا تسأمي من عبرةٍ ونحيبِ

أباكِ واخواناً له قد تتابعوا ... وحقّ لهم من عبرةٍ بنصيبِ

وسلّي الذي قد كان في النفسِ إنني ... قتلت من النجّار كلّ نجيبِ

ومن هاشمٍ قرماً كريماً ومُصعباً ... وكان لدى الهيجاءِ غير هيوبِ

فلو أنني لم أشفِ نفسيَ منهم ... لكانت شجىً في القلبِ ذاتَ ندوبِ

فآبوا وقد أودى الجلابيبُ منهمُ ... بهم خدبٌ من مُغبطٍ وكئيبِ

أصابهمُ مَنْ لم يكنْ لدمائهم ... كفاءً ولا في خطّةٍ بضريبِ

فأجابه حسان بن ثابت :

ذكرتَ القرومَ الصِّيدَ من آلِ هاشمٍ ... ولستَ لزورٍ قلتَه بمصيبِ

أتعجبُ أن أقصَدْت حمزةَ منهمُ   نجيباً وقد سمَّيْتَه بنجيب
ألم يقتلوا عَمراً وعتبةَ وابنَه   وشيبة والحجّاجَ وابنَ حبيب
غداةَ دعا العاصي عَلياً فراعَهُ   بضربةِ عَضْبٍ بَلَّهُ بخضيب

فصل

قال ابن اسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها . وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال : والله لقد رأيتنى أنظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة على العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا ان محمداً قد قتل فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد منهم ، فحدثنى بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به وكان اللواء مع صواب غلام لبنى أبي طلحة حبشى وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فاخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزرت — يعنى اللهم هل أعذرت — فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فخرتم باللواءِ وشرُّ فخرٍ   لواءٌ حينَ رُدَّ الى صواب
جعلتم فخركم فيه لعبدٍ   وألأم من يطا عُفْرَ التراب
ظننتم ، والسفيهُ له ظنونٌ   وما إنْ ذاكَ من أمرِ الصَّواب
بأنَّ جِلادَنا يومَ التقينا   بمكةَ بيعُكمْ حُمْرَ العِياب
أقرَّ العينَ ان عُصبتْ يَداه   وما أن تُعصَبانِ على خِضَاب

وقال حسان أيضاً فى رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

إذا عضلٌ سيقتْ إلينا كأنها   جِدايةُ شركٍ مُعْلَمَاتُ الحواجب
أقمنا لهم طعناً مُبيراً منكِّلاً   وحزْناهمُ بالضربِ من كل جانب
فلولا لواءُ الحارثية أصبحوا   يُباعونَ فى الاسواقِ بيْعَ الجلائب

قال ابن اسحاق فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله ص، فدثّ بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبي وقاص فحدثنى حميد الطويل عن

أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبي (ص) يوم أحد وشج في وجهه فجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله فأنزل الله [ليس لك من الأمر شيء أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم فانهم ظالمون] قال ابن جرير في تاريخه حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أحمد ابن الفضل حدثنا أسباط عن السدي قال أتى ابن قمئة الحارثي فرمى رسول الله (ص) بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل الى الصخرة وجعل رسول الله (ص) يدعو الناس : اليّ عباد الله، اليّ عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يقف أحد الا طلحة وسهل بن حنيف فحماه طلحه فرمى بسهم في يده فيبست يده وأقبل أبيّ بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبي (ص) فقال بل أنا أقتله فقال يا كذاب أين تفر فحمل عليه فطعنه النبي (ص) في جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً فوقع يخور خُوار الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة فما يجزعك ؟ قال : أليس قال لاقتلنك لو كانت تجمع ربيعة ومضر لقتلتهم . فلم يلبث الا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح وفشا في الناس أن رسول الله (ص) قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبيّ فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان ، ياقوم ان محمداً قدقتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ، فقال أنس ابن النضر ياقوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد (ص) اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله (ص) يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله (ص) وفرح رسول الله (ص) حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله (ص) ذهب عنهم الحزن فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عز وجل في الذين قالوا ان محمداً قد قتل فارجعوا الى قومكم : [وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل] الآيه فأقبل ابو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا اليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمهم أبو سفيان فقال رسول الله (ص) « ليس لهم أن يعلونا ، اللهم ان تقتل هذه العصابة لاتعبد في الارض » . ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ: أعلُ هبل حنظله بحنظله ويوم أحد بيوم بدر . وذكر تمام القصة. وهذا غريب جداً وفيه نكارة . قال ابن هشام : وزعم ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله (ص) فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وان عبد الله بن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع رسول الله (ص) في حفرة

من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله (ص.) ثم ازدرده فقال من مس دمه دمي لم تمسه النار قلت وذكر قتادة ان رسول الله (ص.) لما وقع لشقه أغمي عليه فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه فأفاق وهو يقول كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فأنزل الله {ليس لك من الامر شيء} الآية رواه ابن جرير وهو مرسل وسيأتي بسط هذا في فصل وحده قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار كما قال الله تعالى [ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بإذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين * اذ تُصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم] الآية قال الامام أحمد حدثنا [عبدالله حدثني أبي حدثني] سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أحد قال فأنكرنا ذلك فقال بيني و بين من أنكر ذلك كتاب الله ان الله يقول في يوم أحد { ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بإذنه } يقول ابن عباس والحس القتل {حتى اذا فشلتم } الى قوله { ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين } وانما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي (ص.) أقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا نغنم فلا تشركونا . فلما غنم النبي (ص.) وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله (ص.) فهم هكذا (وشبك بين أصابع يديه) والتبسوا فلما أخلّ الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي (ص) فضرب بعضهم بعضاً فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله وأصحابه أولُ النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار انما كان تحت المهراس ، وصاح الشيطان : قتل محمد ! فلم يشك فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله (ص.) بين السعدين نعرفه بتكفئه اذا مشى قال ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال فرقى نحونا وهو يقول اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله . ويقول مرة أخرى اللهم انه ليس لهم أن يعلونا حتى انتهى الينا فمكث ساعة فاذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : أعلُ هبل أعل هبل ، مرتين (يعني آلهته) ، أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب ألا أجيبه؟ قال بلى قال فلما قال اعل هبل قال : الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان يا ابن الخطاب قد أنعمت

عينها ، فمادعنها ـ أو فمال عنها ـ فقال أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب؟ فقال عمر : هذا رسول الله (ص) ، وهذا أبو بكر وها انا ذا عمر ، قال فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر ، الأيام دول وان الحرب سجال . قال فقال عمر : لا سواء ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار . قال انكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا اذن وخسرنا . ثم قال أبو سفيان : اما أنكم سوف تجدون فى قتلاكم مثلة ولم يكن ذلك عن رأى سراتنا . قال ثم أدركته حمية الجاهلية فقال اما انه ان كان ذلك لم نكرهه . وقد رواه ابن أبى حاتم والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى الدلائل من حديث سليمان بن داود الهاشمى به وهذا حديث غريب وهو من مرسلات ابن عباس وله شواهد من وجوه كثيرة سنذكر منها ماتيسر ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وهو المستعان . قال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء قال : لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبى (ص) جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال : لاتبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا . فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن فى الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : عهد إلىَّ النبى (ص) أن لاتبرحوا . فأبوا ، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلا وأشرف أبو سفيان فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال لاتجيبوه . فقال أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ فقال لاتجيبوه . فقال أفى القوم ابن الخطاب ؟ فقال إن هؤلاء قُتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت ياعدوَّ الله ، أبقى الله عليك مايخزيك . فقال أبو سفيان : أعلُ هُبل . فقال النبى (ص) : أجيبوه ، قالوا مانقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سفيان : لنا العُزّى ولا عُزّى لكم . فقال النبى (ص) أجيبوه ، قالوا مانقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى . وهذا من افراد البخارى دون مسلم . وقال الامام أحمد :

حدثنا موسى حدثنا زهير حدثنا أبو اسحاق أن البراء بن عازب قال : جعل رسول الله (ص) على الرماة يوم أحد ـ وكانوا خمسين رجلا ـ عبد الله بن جبير ، قال ووضعهم موضعاً وقال : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، قال فهزموهم ، قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة ، أى قوم ، الغنيمة ، ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ماقال لكم رسول الله (ص) ؟ قالوا : إنّا والله لنأتينّ الناس فلنصيبنّ من الغنيمة ! فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذى يدعوهم الرسول فى أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله (ص) غير اثنى عشر رجلا فأصابوا

منا سبعين رجلا ، وكان رسول الله (ص) وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً وسبعين قتيلا ، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ؟ ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله (ص) أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ، أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ، أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله ياعدو الله ، إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك مايسوءك . فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني . ثم أخذ يرتجز : أعل هبل أعل هبل . فقال رسول الله (ص) : ألا تجيبونه قالوا يارسول الله ومانقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجل . قال : إن العزى لنا ولا عزى لكم ؟ قال رسول الله (ص) ألا تجيبونه ؟ قالوا : يارسول الله مانقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . ورواه البخاري من حديث زهير وهو ابن معاوية مختصراً وقد تقدم روايته له مطولة من طريق اسرائيل عن أبي اسحاق . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت وعلي ابن زيد عن أنس بن مالك أن المشركين لما رهقوا النبي (ص) وهو في سبعة من الانصار ورجل من قريش ، قال : من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ فجاء رجل من الانصار فقاتل حتى قتل . فلما رهقوه أيضاً قال : من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة ، حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله (ص) ، ما أنصفنا أصحابنا . ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به . وقال البيهقي في الدلائل : باسناده عن عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله (ص) يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلا من الانصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة أنا يارسول الله . فقال : كما أنت ياطلحة ، فقال رجل من الانصار : فأنا يارسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله (ص) ومن بقي معه ، ثم قتل الانصاري فلحقوه ، فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله (ص) مثل قوله . فقال رجل من الانصار : فأنا يارسول الله ، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة أنا يارسول فيحبسه فيستأذنه رجل من الانصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوهما ، فقال رسول الله (ص) : من لهؤلاء ؟ فقال طلحة أنا ، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله فقال حس ، فقال لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جو السماء . ثم صعد رسول الله (ص) الى أصحابه وهم مجتمعون . وروى البخاري عن عبد الله بن أبي شيبة عن وكيع عن اسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي (ص) يوم أحد . وفي الصحيحين من حديث موسى بن اسماعيل عن

معتمر بن سليمان عن ابيه عن أبي عثمان النهدى قال : لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك الأيام التى يقاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما . وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هاشم بن هاشم السعدى سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نثل لى رسول الله (ص) كنانته يوم أحد وقال : ارم فداك أبي وأمي . وأخرجه البخارى عن عبد الله بن محمد عن مروان به . وفى صحيح البخارى من حديث عبد الله بن شداد عن على بن أبي طالب قال ماسمعت النبي (ص) جمع أبويه لاحد الا لسعد بن مالك فانى سمعته يقول يوم أحد : ياسعد ارم فداك أبي وأمي . قال محمد بن اسحاق حدثنى صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله (ص) . قال سعد فلقد رأيت رسول الله (ص) يناولنى النبل ويقول : ارم فداك أبي وأمي . حتى انه ليناولنى السهم ليس له نصل فأرمى به . وثبت فى الصحيحين من حديث ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبي (ص) وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال مارأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقال أحمد حدثنا عفان أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا طلحة كان يرمى بين يدى النبي (ص) يوم أحد والنبي (ص) خلفه يترس به وكان رامياً وكان اذا رمى رفع رسول الله (ص) شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا بأبى أنت وأمى يارسول الله لايصيبك سهم ، نحرى دون نحرك . وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدى رسول الله (ص) ويقول : انى جلد يارسول الله ، فوجهنى فى حوائجك ومرنى بما شئت . وقال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ص) وأبو طلحة بين يدى رسول الله (ص) مجوّب عليه بحجفة له وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول : انثرها لابى طلحة . قال ويُشرف النبي (ص) ينظر الى القوم فيقول أبو طلحة بأبى أنت وأمى لاتشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وانهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم . ولقد وقع السيف من يدى أبى طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً . قال البخارى وقال لى خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى من يدى مراراً يسقط وآخذه ويسقط فآخذه . هكذا ذكره البخارى معلقاً بصيغة الجزم ويشهد له قوله تعالى [ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم

يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ ، قل ان الامر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال الى مضاجعهم و ليبتلى الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور * ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم] . قال البخارى : حدثنا عبدان أخبرنا أبوحمزة عن عثمان بن موهب قال جاء رجل حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال من هؤلاء القعود قال هؤلاء قريش قال من الشيخ قالوا ابن عمر فأتاه فقال انى سائلك عن شيء أتحدثنى . قال أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم ان عثمان بن عفان فر يوم أحد . قال نعم . قال فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال نعم . قال فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال نعم . قال فكبر . قال ابن عمر : تعال لاخبرك ولأبين لك عما سألتنى عنه : أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت النبى (ص) وكانت مريضة فقال له رسول الله (ص) ان لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فانه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ماذهب عثمان الى مكة فقال النبى (ص) بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان . اذهب بهذا الآن معك . وقد رواه البخارى أيضا فى موضع آخر والترمذى من حديث أبى عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب به . وقال الاموى فى مغازيه عن ابن اسحاق حدثنى يحيى بن عباد عن أبيه عن جده سمعت رسول الله (ص) يقول ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم الى المنقى دون الأعوص ، وفر عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الانصار حتى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة مما يلى الاعوص فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله (ص) قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة . والمقصود أن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع فى بدر ، منها حصول النعاس حال التحام الحرب و هذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله و تأييده وتمام توكلها على خالقها و بارئها . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى فى غزوة بدر : [إذ يغشيكم النعاس أمنة منه] الآية وقال هاهنا [ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم] يعنى المؤمنين الكمل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس فى الحرب من الايمان والنعاس فى الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ﴾ الآية . ومن ذلك أن رسول الله (ص) استنصر يوم أحد كما استنصر يوم بدر بقوله : « إن تشأ لاتعبد فى الأرض » كما قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قالا حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله (ص) كان يقول يوم أحد : « اللهم إنك ان تشأ لاتعبد فى الارض » ورواه مسلم

عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد عن حماد بن سلمة به . وقال البخاري : حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبي (ص) يوم أحد : «أرأيت إن قُتلتُ فأين أنا ؟ قال في الجنة ، فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قُتل » . ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر رضي الله عنهما وأرضاهما

فصل

فيما لقي النبي (ص) يومئذ من المشركين قبحهم الله

قال البخاري : ما أصاب النبي (ص) من الجراح يوم أحد * حدثنا اسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه سمع أبا هريرة قال: قال رسول الله (ص) « اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه — يشير الى رباعيته — اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق حدثنا مخلد بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : « اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله » (ص). وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله(ص) قال يوم أحد وهو يسلت الدم عن وجهه وهو يقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته ، وهو يدعو الى الله » فأنزل الله [ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون] . ورواه مسلم عن القعنبي عن حماد بن سلمة به ، ورواه الامام أحمد عن هشيم ويزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله(ص) كسرت رباعيته وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم » فأنزل الله تعالى [ليس لك من الأمر شيء] وقال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن أبي حازم انه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي (ص) فقال : أما والله اني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله (ص) ومن كان يسكب الماء وبما دووي ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تغسله وعليّ يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا ابن المبارك عن اسحاق عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل في سبيل الله دونه وأراه قال حمية ، قال فقلت كن طلحة حيث فاتني مافاتني ، فقلت يكون رجلا من قومي أحب الي ، وبيني وبين المشركين رجل

لأعرفه وأنا أقرب الى رسول الله (ص) منه وهو يخطف المشى خطفاً لا أخطفه فاذا هو أبوعبيدة بن الجراح فانتهينا الى رسول الله (ص) وقد كسرت رباعيته وشج فى وجهه وقد دخل فى وجنته حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله (ص) «عليكما صاحبكما» يريد طلحة وقد نزف فلم نلتفت الى قوله قال: وذهبت لانزع ذلك من وجهه، فقال: أقسم عليك بحقى لما تركتنى، فتركته فكره تناولها بيده فيؤذى رسول الله (ص) فازم عليها بفيه فاستخرج احدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبت لاصنع ماصنع فقال أقسمت عليك بحقى لما تركتنى. قال ففعل مثل ما فعل فى المرة الاولى فوقعت ثنيته الاخرى مع الحلقة فكان أبوعبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس هتما. فأصلحنا من شأن رسول الله (ص) ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الجفار فاذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة واذا قد قطعت اصبعه فأصلحنا من شأنه. وذكر الواقدى عن ابن أبى سبرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن أبى الحويرث عن نافع بن جبير قال: سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحداً فنظرت الى النبل تأتى من كل ناحية ورسول الله (ص) وسطها كل ذلك يصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهرى يومئذ يقول: دلونى على محمد لا نجوت ان نجا، ورسول الله (ص) الى جنبه ما معه أحد فجاوزه، فعاتبه فى ذلك صفوان بن أمية، فقال والله مارايته، أحلف بالله انه منا ممنوع خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص اليه. قال الواقدى: ثبت عندى أن الذى رمى فى وجنتى رسول الله (ص) بن قمئة، والذى رمى فى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبى وقاص، وقد تقدم عن ابن اسحاق نحو هذا وان الرباعية التى كسرت له عليه السلام هى اليمنى السفلى. قال ابن اسحاق: وحدثنى صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقاص قال: ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبى وقاص وان كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً فى قومه، ولقد كفانى فيه قول رسول الله (ص) «اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله». وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عثمان الجزرى عن مقسم أن رسول الله (ص) دعا على عتبة بن أبى وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال «اللهم لايحول عليه الحول حتى يموت كافراً» فما حال عليه الحول حتى مات كافراً الى النار. وقال أبو سليمان الجوزجانى حدثنا محمد بن الحسن حدثنى ابراهيم بن محمد حدثنى ابن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن حزم عن أبيه عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله (ص) داوى وجهه يوم أحد بعظم بال. هذا حديث غريب رأيته فى أثناء كتاب المغازى للأموى فى وقعة أحد. ولما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله (ص) ما نال رجع وهو يقول: قتلت محمداً. وصرخ الشيطان أزب العقبة يومئذ بأبعد صوت: ألا ان محمداً قد قتل! فحصل بهتة عظيمة فى المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك وصمموا على القتال عن حوزة الاسلام حتى يموتوا على

مامات عليه رسول الله (ص)، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره، وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين * وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها، وسنجزي الشاكرين * وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين * يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين] . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير ولله الحمد. وقد خطب الصديق رضي الله عنه في أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله (ص)، فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم] الآية. قال: فكأن الناس لم يسمعوها قبل ذلك، فما من الناس أحد إلا يتلوها. وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه قال: مر رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه. فقال له: يا فلان، أشعرت أن محمداً قد قتل. فقال الأنصاري: إن كان محمد (ص) قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم. فنزل [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] الآية. ولعل هذا الأنصاري هو أنس بن النضر رضي الله عنه وهو عم أنس بن مالك. قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن عمه غاب عن قتال بدر، فقال غبت عن أول قتال قاتله النبي (ص) للمشركين، لئن الله أشهدني قتالا للمشركين ليرين ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أعتذر إليك عما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد: أنا معك. قال سعد: فلم أستطع أصنع ما صنع، فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، قال: فكنا نقول: فيه وفي أصحابه نزلت [فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر] . ورواه الترمذي عن عبد بن حميد والنسائي عن إسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي: حسن، قلت: بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه. وقال أحمد حدثنا بهز وحدثناهاشم قالا حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال

أنس : عمى (قال هاشم : أنس بن النضر) سميتُ به ولم يشهد مع رسول الله (ص) يوم بدر . قال فشق عليه وقال : أول مشهد شهده رسول الله (ص) غبت عنه ، ولئن أرانى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله (ص) ليرينّ الله ما أصنع . قال فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله (ص) يوم أحد ، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة أجده دون أحُد . قال فقاتلهم حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية . قال فقالت أخته عمتى الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية [من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدّلوا تبديلا] قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد . ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن المبارك وزاد النسائى وابو داود وحماد بن سلمة أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذى حسن صحيح . وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال كان أبيّ بن خلف أخو بنى جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله (ص) . فلما بلغتْ رسولَ الله (ص) حلفته قال : بل أنا أقتله ان شاء الله . فلما كان يوم أحد أقبل أبىّ فى الحديد مقنعاً وهو يقول : لانجوت إن نجا محمد . فحمل على رسول الله (ص) يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار يقى رسول الله (ص) بنفسه فقُتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله (ص) ترقوة أبىّ بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحربة فوقع الى الارض عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خُوار الثور فقالوا له : ما أجزعك ؟ انما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله (ص) أنا أقتل أبياً ، ثم قال والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون فمات الى النار فسحقاً لأصحاب السعير . وقد رواه موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى عن سعيد بن المسيّب نحوه . وقال ابن اسحاق لما أُسند رسول الله (ص) فى الشعب أدركه أبىّ بن خلف وهو يقول : لانجوتُ ان نجوتَ . فقال القوم : يارسول الله يعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله (ص) : دعوه ! فلما دنا منه تناول رسول الله (ص) الحربة من الحارث بن الصمة فقال بعض القوم كما ذُكر لى فلما اخذها رسول الله (ص) انتفض انتفاضة تطاير نا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله (ص) فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً .

ذكر الواقدى عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله ابن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك . قال الواقدى وكان ابن عمر يقول : مات أبىّ بن خلف ببطن رابغ ، فانى لاسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل اذا أنا بنار تأججت فهبتها واذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش فاذا رجل يقول : لاتسقه ، فانه قتيل رسول الله (ص) ، هذا أبىّ بن خلف . وقد ثبت فى الصحيحين كما تقدم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن

أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص.) « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله » ورواه البخارى من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس « اشتد غضب الله على من قتله رسول الله بيده فى سبيل الله » وقال البخارى وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابراً قال : لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبى (ص.) ينهوننى والنبى (ص.) لم ينه ، وقال النبى (ص.) لا تبكه أو ما تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع . هكذا ذكر هذا الحديث هٰهنا معلقاً وقد أسنده فى الجنائز عن بندار عن غندر عن شعبة . ورواه مسلم والنسائى من طرق عن شعبة به وقال البخارى حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم أن عبد الرحمن ابن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى كفن فى بردة إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدا رأسه ، وأُراه قال وقتل حمزة هو خير منى ثم بُسط لنا من الدنيا ما بسط (أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا) وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا . ثم جعل يبكى حتى برد الطعام . انفرد به البخارى وقال البخارى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا الأعمش عن شقيق عن خباب بن الأرت قال : هاجرنا مع النبى (ص.) نبتغى وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطى بها رجلاه خرج رأسه فقال لنا النبى (ص.) غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الأذخر . ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به . وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ ابليس لعنة الله عليه : أى عباد الله أخراكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم فبصر حذيفة فاذا هو بأبيه اليمان فقال : أى عباد الله أبى أبى . قال قالت فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله مازال فى حذيفة بقية خير حتى لقى الله عز وجل . قلت كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا فى الآطام مع النساء لكبرهما وضعفهما فقالا انه لم يبق من آجالنا إلا ظمء حمار فنزلا ليحضرا الحرب فجاء طريقهما ناحية المشركين فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ . وتصدق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ولم يعاتب أحداً منهم لظهور العذر فى ذلك

فصل قال ابن اسحاق : وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته فردها رسول الله (ص.) بيده فكانت أحسن عينيه وأحدّهما . وفى الحديث عن جابر بن عبدالله

أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سالت على خده فردها رسول الله (ص) مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدّهما وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى . وروى الدارقطني باسناد غريب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة ابن النعمان قال : أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما رسول الله (ص) فأعادهما مكانهما و بصق فيهما فعادتا تبرقان . و المشهور الاول أنه أصيبت عينه الواحدة . ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلا :

أنا ابنُ الذي سالت على الخدّ عينُه ... فرُدت بكفّ المصطفى أحسنَ الرد

فعادتْ كما كانت لأول أمرها ... فيا حُسْنَها عيناً ويا حُسْنَ ما خَدّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تلك المكارمُ لا قَعبانِ من لبنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته رضي الله عنه

فصل قال ابن هشام : وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد ابن أبي زيد الانصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها ياخالة أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار أنظر مايصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله (ص) وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (ص) فقمت أباشر القتال وأذبُّ عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح الي . قالت فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت لها من أصابك بهذا قالت ابن قمئة أقمأه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله (ص) أقبل يقول دلوني على محمد لا نجوتُ ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله (ص) فضربني هذه الضربة . ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان . قال ابن اسحاق وترس أبو دجانة دون رسول الله (ص) بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله (ص) رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده . قال ابن اسحاق وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بأيديهم فقال فما يجلسكم قالوا قتل رسول الله (ص) قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله (ص) . ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك . حدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه

الا أخته. عرفته ببنانه. قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم ان عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة او أكثر أصابه بعضها في رجله فعرج

فصل قال ابن اسحاق: وكان أول من عرف رسول الله (ص) بعد الهزيمة وقول الناس قُتل رسول الله (ص) – كما ذكر لي الزهري – كعبُ بن مالك قال: رأيت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي: يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله (ص). فأشار رسول الله (ص) أن انصت. قال ابن اسحاق فلما عرف المسلمون رسول الله (ص) نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين فلما أسند رسول الله (ص) في الشعب أدركه ابيّ بن خلف (فذكر قتله عليه السلام أبياً كما تقدم) قال ابن اسحاق: وكان ابيّ بن خلف كما حدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله (ص) بمكة فيقول: يامحمد ان عندي العودَ – فرساً – أعلفه كل يوم فَرَقاً من ذرة أقتلك عليه. فيقول رسول الله (ص): بل أنا أقتلك ان شاء الله. فلما رجع الى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم فقال: قتلني والله محمد. فقالوا له ذهب والله فؤادك، والله انْ بك بأس. قال انه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك. فوالله لو بصق عليَّ لقتلني. فمات عدو الله بسرَف وهم قافلون به الى مكة. قال ابن اسحاق فقال حسان بن ثابت في ذلك:

لقد ورِثَ الضلالةَ عن أبيهِ أُبَيٌّ يومَ بارزه الرسولُ
أتيتَ اليه تحملُ رِمَّ عَظْمٍ وتُوعِده وانتَ به جَهول
وقد قَتلتْ بنو النجّار منكم أميةَ اذ يغوّث ياعَقيل
وتَبَّ ابنا ربيعةَ اذْ أطاعا أبا جَهْلٍ لأمّهما الهُبول
وأفلتَ حارثٌ لمّا شُغلْنا بأسْرِ القومِ، أُسرتِهِ فَليل

وقال حسان بن ثابت أيضاً:

ألا مَن مبلغٌ عني أُبيّاً فقد ألقيت في سحق السعير
تُمنّي بالضلالةِ من بعيدٍ وتُقسِم إنْ قَدَرتَ مع النُذور
تمنّيكَ الامانيَّ من بعيدٍ وقولُ الكفرِ يرجعُ في غرور
فقد لاقتْك طعنةُ ذي حِفاظٍ كريمِ البيتِ ليسَ بذي فُجور
له فضلٌ على الأحياءِ طُرّاً اذا نابتْ مُلِمّاتُ الأمور

قال ابن اسحاق: فلما انتهى رسول الله (ص) الى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته ماءً من المهراس فجاء بها الى رسول الله (ص) ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه وغسل

عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول «اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه» وقد تقدم شواهد ذلك من الاحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية . قال ابن اسحاق : فبينا رسول الله (ص.) في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل قال ابن هشام فيهم خالد بن الوليد قال ابن اسحاق فقال رسول الله (ص.) اللهم انه لاينبغي لهم أن يعلونا . فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ونهض النبي (ص.) الى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدن رسول الله (ص.) ظاهرَ بين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله (ص.) يقول يومئذ « أوجب طلحة » حين صنع برسول الله (ص.) يومئذ ماصنع . قال ابن هشام وذكر عمر مولى عفرة ان رسول الله (ص.) صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعوداً . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل أَتِيٌّ لايُدرى من هو يقال له قُزمان فكان رسول الله (ص.) يقول اذا ذُكر « انه لمن أهل النار » قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بني ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم ياقزمان فأبشر . قال بماذا أبشر فوالله ان قاتلت الا عن أحساب قومي ولولا ذلك ماقاتلت . قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه . وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر كما سيأتي ان شاء الله . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن المسيب عن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله (ص.) خيبر فقال لرجل ممن يدّعي الاسلام « هذا من أهل النار » فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديداً وأصابته جراحة فقيل يارسول الله الرجل الذي قلت انه من أهل النار قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات فقال النبي (ص.) «الى النار» فكاد بعض القوم يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل فانه لم يمت ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي (ص.) بذلك فقال الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله » ثم أمر بلالا فنادى في الناس «انه لايدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ». وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به قال ابن اسحاق وكان ممن قتل يوم أحد مُخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الفيطون فلما كان يوم أحد قال يامعشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا ان اليوم يوم السبت . قال لاسبت لكم . فأخذ سيفه وعدته وقال ان أصبت فالى محمد يصنع فيه ما شاء . ثم غدا الى رسول الله (ص.) فقاتل معه حتى قتل . فقال رسول الله (ص.) فيما بلغنا « مخيريق خير يهود » قال السهيلي جعل

رسول الله (ص) أموال مخيريق - وكانت سبع حوائط - أوقافاً بالمدينة لله قال محمد بن كعب القرظى وكانت أول وقف بالمدينة . وقال ابن اسحاق وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن أبى سفيان مولى ابن أبى أحمد عن أبى هريرة أنه كان يقول حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فاذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول اصيرم بنى عبد الاشهل عمرو بن ثابت ابن وقش قال الحصين فقلت لمحمود بن أسد كيف كان شأن الاصيرم ؟ قال كان يأبى الاسلام على قومه فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل فى عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة قال فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه فقالوا ما جاء بك ياعمرو أحدب على قومك أم رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفى وغدوت مع رسول الله (ص) فقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى . فلم يلبث أن مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله (ص) فقال « انه من أهل الجنة » . قال ابن اسحاق وحدثنى أبى عن أشياخ من بنى سلمة قالوا كان عمرو بن الجموح رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله (ص) المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا ان الله قد عذرك فأتى رسول الله (ص) وقال ان بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله انى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة فقال رسول الله (ص) « اما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك » وقال لبنيه « ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة » فخرج معه فقتل يوم أحد رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثنى صالح بن كيسان - والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله (ص) يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدما وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً . وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . وذكر موسى ابن عقبة أن الذى بقر عن كبد حمزة وحشى فحملها الى هند فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فالله أعلم .

قال ابن اسحاق ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحنُ جزيناكم بيومِ بدرِ ... والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سُعُرِ
ما كانَ لي عن عُتبةٍ من صبرِ ... ولا أخي وعمِّهِ وبكرِ
شفيتُ نفسي وقضيتُ نَذْري ... شفيتَ وحشيُّ غليلَ صدري
فشكرُ وحشيٍّ عليَّ عُمري ... حتى ترمَّ أعظمي في قبري

قال فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر ... يابنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر ... م الهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي وعلي صقري
اذ رام شيب وأبوك غدري ... فخضبا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر

قال ابن اسحاق وكان الحليس بن زبان أخو بني الحارث بن عبد مناة ـ وهو يومئذ سيد الاحابيش ـ مر بأبي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول : ذق عقق . فقال الحليس يابني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما . فقال : ويحك اكتمها عني فانها كانت زلة . قال ابن اسحاق : ثم ان أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت ، ان الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، أعل هبل (أي ظهر دينك) . فقال رسول الله (ص) لعمر « قم ياعمر فأجبه فقل : الله أعلى وأجل ، لاسواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار » فقال له أبو سفيان : هلم الي ياعمر . فقال رسول الله (ص) لعمر : ائته فانظر ما شأنه . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن . قال أنت عندي أصدق من ابن قمئة وأبر . قال ابن اسحاق : ثم نادى أبو سفيان : انه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ما رضيت وما سخطت ، وما نهيت ولا أمرت . قال : ولما انصرف أبو سفيان نادى : ان موعدكم بدر العام المقبل . فقال رسول الله (ص) لرجل من أصحابه : قل نعم هو بيننا وبينك موعد . قال ابن اسحاق ثم بعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب فقال : أخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة . والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لاناجزنهم . قال علي : فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة

دعاء النبي (ص) يوم أحد

قال الامام احمد حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن ابن رفاعة الزرقي عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله (ص) « استووا حتى أثني على ربي عز وجل » فصاروا خلفه صفوفاً فقال « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت

ولا مانع لما أعطيت ولا مقرّب لما باعدت ولا مبعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهم انى أسألك النعيم المقيم الذى لايحول ولا يزول. اللهم انى أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف . اللهم انى عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر مامنعتنا . اللهم حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا ، وكرّه الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين . اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به

فصل . قال ابن اسحاق وفرغ الناس لقتلاهم فحدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة المازنى أخو بنى النجار أن رسول الله (ص) قال : من رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد ابن الربيع أفى الاحياء هو أم فى الاموات ؟ فقال رجل من الانصار : أنا . فنظر فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق ، قال فقال له : ان رسول الله (ص) أمرنى أن أنظر أفى الاحياء أنت أم فى الاموات قال : أنا فى الاموات فأبلغ رسول الله (ص) سلامى وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول لكم : انه لاعذر لكم عند الله ان خُلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف . قال ثم لم أبرح حتى مات وجئت النبى (ص) فأخبرته خبره

قلت : كان الرجل الذى التمس سعداً فى القتلى محمد بن سلمة فيما ذكره محمد بن عمر الواقدى وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه فلما قال ان رسول الله أمرنى أن أنظر خبرك أجابه بصوت ضعيف وذكره . وقال الشيخ أبو عمر فى الاستيعاب كان الرجل الذى التمس سعداً أبىّ كعب فالله أعلم . وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضى الله عنه وهو الذى آخى رسولُ الله (ص) بينه وبين عبد الرحمن بن عوف . قال ابن اسحاق : وخرج رسول الله (ص) فيما بلغنى يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه ، فحدثنى محمد ابن جعفر بن الزبير أن رسول الله (ص) قال حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفية وتكون سُنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلا منهم » فلما رأى المسلمون حزن رسول الله (ص) وغيظه على

من فعل بعمه مافعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب . قال ابن اسحاق فحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب ، وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس ان الله أنزل فى ذلك [وانْ عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين] الآية . قال : فعفا رسول الله ص. وصبر ونهى عن المثلة . قلت : هذه الآية مكيه وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلتئم هذا فالله أعلم . قال وحدثنى حميد الطويل عن الحسن عن سمره قال : ما قام رسول الله ص. فى مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثله . وقال ابن هشام : ولما وقف النبى (ص) على حمزة قال « لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت قط موقفاً أغيظ الىّ من هذا » ثم قال « جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله » قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الاسد أخوى رسول الله ص. من الرضاعة أرضعتهم ثلاثتهم ثويبة مولاة أبى لهب

الصلاة على حمزه وقتلى أحد

وقال ابن اسحاق وحدثنى من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : « أمر رسول الله (ص) بحمزة فسجى ببرده ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » وهذا غريب وسنده ضعيف . قال السهيلى : ولم يقل به أحد من علماء الامصار . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا عطاء بن السائب عن الشعبى عن ابن مسعود قال : ان النساء كن يوم أُحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبرّ أنه ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله [منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم] فلما خالف أصحاب رسول الله (ص) وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله (ص) فى تسعة - سبعة من الانصار واثنين من قريش وهو عاشرهم - فلما رهقوه قال : رحم الله رجلا ردّهم عنا ... فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة فقال رسول الله (ص) لصاحبيه : ماأنصفنا أصحابنا ، فجاء أبو سفيان فقال : أُعلُ هبل ! فقال رسول الله (ص): قولوا الله أعلى وأجلّ ، فقالوا الله أعلى وأجلّ . فقال أبوسفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم ، فقال رسول الله (ص): قولوا الله مولانا ولا مولى لكم . ثم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، يوم لنا ويوم علينا ، ويوم نُساء ويوم نُسر ، حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان ، فقال رسول الله (ص): لاسواء ، أما قتلانا فأحياء يرزقون وقتلاكم فى النار يعذبون . قال أبو سفيان : قد كانت فى القوم مُثلة وإن كانت لعن غير ملأ منا ، ما أمرت ولانهيت ولا أحببت ولا كرهت ،

ولا ساءنى ولا سرنى ، قال فنظروا فاذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله (ص) : أأكلت شيئاً ؟ قالوا لا ، قال ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة فى النار ، قال فوضع رسول الله (ص) حمزة فصلى عليه وجىء برجل من الانصار فوضع الى جنبه فصلى عليه فرفع الانصارى وترك حمزة وجىء بآخر فوضعه الى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة » تفرد به أحمد وهذا اسناد فيه ضعف أيضاً من جهة عطاء بن السائب فالله أعلم . والذى رواه البخارى أثبت حيث قال : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله (ص) كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فاذا أشير له الى أحدهما قدمه فى اللحد وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به وقال أحمد حدثنا محمد يعنى ابن جعفر حدثنا شعبة سمعت عبد ربه يحدث عن الزهرى عن ابن جابر عن جابر ابن عبد الله عن النبى (ص) أنه قال فى قتلى أحد : فان كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة ولم يصل عليهم وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته بيسير كما قال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا زكريا بن عدى أخبرنا ابن المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عقبة بن عامر قال : صلى رسول الله (ص) على قتلى أحد بعد ثمانى سنين كالمودع للاحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : انى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض وانى لأنظر اليه من مقامى هذا وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال : فكان آخر نظرة نظرتها الى رسول الله (ص) . ورواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث يزيد بن أبى حبيب به نحوه . وقال الأموى حدثنى أبى حدثنا الحسن بن عمارة عن حبيب بن أبى ثابت قال : قالت عائشة : خرجنا من السحر بمخرج رسول الله (ص) الى أحد نستطلع الخبر حتى اذا طلع الفجر اذا رجل محتجر يشتد ويقول :

لبث قليلاً يشهد الهيجا حمل

قال : فنظرنا فاذا أسيد بن حضير ، ثم مكثنا بعد ذلك فاذا بعير قد أقبل ، عليه امرأة بين وسقين قالت فدنونا منها فاذا هى امرأة عمرو بن الجموح فقلنا لها ما الخبر قالت دفع الله عن رسول الله (ص) واتخذ من المؤمنين شهداء ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخى وزوجى . وقال ابن اسحاق : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر اليه وكان

أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله (ص) لابنها الزبير بن العوام: القهـا فارجعها لاترى مابأخيها فقال لها: يا أمه ان رسول الله (ص) يأمرك أن ترجعى. قالت ولمَ وقد بلغنى انه مثـل بأخى وذلك فى الله فماأرضانا ماكان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله. فلما جاء الزبير الى رسول الله (ص) وأخبره بذلك قال خل سبيلها، فأتته فنظرت اليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت.

قال ابن اسحاق: ثم أمر به رسول الله (ص) فدفن ودفن معه ابن اخته عبـد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب وكان قد مثل به غير انه لم ينقر عن كبده رضى الله عنهما. قال السهيلى: وكان يقال له المجدع فى الله قال وذكر سعد انه هو وعبد الله بن جحش دَعيا بدعوة فاستجيبت لهما فدعا سعد أن يلقى فارساً من المشركين فيقتله و يستلبه فكان ذلك ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاه فارس فيقتله و يجدع أنفه فى الله فكان ذلك وذكر الزبير بن بكار ان سيفه يومئذ انقطع فأعطاه رسول الله (ص) عرجوناً فصار فى يد عبدالله بن جحش سيفاً يقاتل به ثم بيع فى تركة بعض ولده بمائتى دينار وهذا كما تقدم لعكاشة فى يوم بدر. وقد تقدم فى صحيح البخارى أيضاً ان رسول الله (ص) كان يجمع بين الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد بل فى الكفن الواحد وانما أرخص لهم فى ذلك لما بالمسلمين من الجراح التى يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحد و يقدم فى اللحد أكثرهما أخذاً للقرآن وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين فى اللحد الواحد كما جمع بين عبدالله بن عمرو بن حرام والدجابر و بين عمرو بن الجموح لانهما كانا متحابين ولم يغسلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم كما روى ابن اسحاق عن الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير أن رسول الله (ص) لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال: أنا شهيد على هؤلاء انه مامن جريح يجرح فى سبيل الله إلا و الله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك. قال وحدثنى عمى موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم (ص) مامن جريح يجرح فى الله إلا و الله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون الدم و الريح ريح المسك وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من غير هذا الوجه. وقال الامام احمد حدثنا على بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أمر رسول الله (ص) يوم أحد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود وقال ادفنوهم بدمائهم وثيابهم. رواه أبو داود وابن ماجه من حديث على بن عاصم به. وقال الامام أبو داود فى سننه: حدثنا القعنبى أن سليمان بن المغيرة حدثهم عن حميد بن هلال عن هشـام بن عامر أنه قال: جاءت الانصار الى رسول الله (ص) يوم أحد فقالوا قد أصابنا قرح وجهد فكيف تأمر فقال: احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد. قيل: يارسول الله فأيهم يقدم؟ قال: أكثرهم قرآنا. ثم رواه من حديث الثورى عن أيوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر فذكره وزاد واعمقوا. قال ابن اسحاق: وقد

احتمل ناس من المسلمين قتلاهم الى المدينة فدفنوهم بها ثم نهى رسول الله (ص) عن ذلك وقال : ادفنوهم حيث صرعوا . وقد قال الامام احمد حدثنا على بن اسحاق حدثنا عبد الله وعتاب حدثنا عبد الله حدثنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المدينى حدثنى أبي سمعت جابر بن عبد الله يقول: استشهد أبي بأحد فارسلنى اخواتى اليه بناضح لهن فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه فى مقبرة بنى سلمة . فقال فجئته وأعوان لى فبلغ ذلك نبى الله وهو جالس بأحد فدعانى فقال : والذى نفسى بيده لايدفن إلا مع اخوته فدفن مع أصحابه بأحد . تفرد به احمد . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الاسود بن قيس عن نبيح عن جابر بن عبد الله أن قتلى أحد حملوا من مكانهم فنادى منادى النبى (ص) أن ردوا القتلى الى مضاجعهم . وقد رواه أبو داود والنسائى من حديث الثورى والترمذى من حديث شعبة والنسائى أيضا وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينه كلهم عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزى عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله (ص) من المدينة الى المشركين يقاتلهم وقال لى أبي عبد الله ياجابر لاعليك أن تكون فى نظارى أهل المدينة حتى تعلم الى مامصير أمرنا فانى والله لولا أنى أترك بنات لى بعدى لاحببت أن تقتل بين يدى . قال : فبينا أنا فى النظارين إذ جاءت عمتى بأبي وخالى عادلتهما على ناضح فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا إذ لحق رجل ينادى : ألا ان النبى (ص) يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها فى مصارعها حيث قتلت فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا فبينا أنا فى خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءنى رجل فقال ياجابر بن عبدالله والله لقد أثار أباك عمالُ معاوية فبدا فخرج طائفة منه . فاتيته فوجدته على النحو الذى دفنته لم يتغير إلامالم يدع القتل أو القتيل ، ثم ساق الامام قصة وفائه دين أبيه كما هو ثابت فى الصحيحين . وروى البيهقى من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم اليهم فأتيناهم فأخرجناهم فاصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً . وفى رواية ابن اسحاق عن جابر قال: فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس . وذكر الواقدى أن معاوية لما أراد أن يجرى العين نادى مناديه من كان له قتيل بأحد فليشهد ، قال جابر فحفرنا عنهم فوجدت أبي فى قبره كأنما هو نائم على هيئته ووجدنا جاره فى قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه فازيلت عنه فانبعث جرحه دماً ، ويقال انه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .

وقد قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال : لما حضر أحد دعانى أبي من الليل فقال لى ما أرانى إلا مقتولا فى أول من يقتل من أصحاب النبى (ص) وانى لا أترك بعدى أعز علىّ منك غير نفس رسول الله (ص) وأن علىّ ديناً فاقض

واستوص باخواتك خيرا ، فأصبحنا وكان أول قتيل فدفنت معه آخر فى قبره ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فاذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه . وثبت فى الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عن الثوب ويبكى فنهاه الناس فقال رسول الله تبكيه أو لاتبكيه ، لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه . وفى رواية أن عمته هى الباكية . وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحاق حدثنا فيض بن وثيق البصرى حدثنا أبو عبادة الانصارى عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ياجابر ألا أبشرك ؟ قال بلى بشرك الله بالخير ، فقال : أشعرت أن الله أحيا أباك فقال تمنّ علىّ عبدى ماشئت أعطكه . قال يارب عبدتك حق عبادتك أتمنّى عليك أن تردّنى الى الدنيا فأقتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى ، قال : إنه سلف منى أنه اليها لا يرجع » . وقال البيهقى حدثنا أبو الحسن محمد ابن أبى المعروف الاسفرايينى حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر حدثنا على بن المدينى حدثنا موسى بن ابراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الانصارى قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الانصارى ثم السلمى قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « مالى أراك مهتماً ؟ قال : قلت يارسول الله قتل أبى وترك ديناً وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً وقال له ياعبدى سلنى أعطك . فقال : أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق منى القول: أنهم اليها لايرجعون . قال يارب : فأبلغ من ورائى . فأنزل الله [ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون] الآية . وقال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل سمعت جابراً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أبشرك ياجابر ؟ قلت بلى ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله ثم قال له : ماتحب ياعبد الله ماتحب أن أفعل بك ؟ قال : أى رب أحب أن تردنى الى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى » وقد رواه أحمد عن على بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن محمد بن على بن ربيعة السلمى عن ابن عقيل عن جابر ، وزاد : فقال الله إنى قضيت أنهم اليها لايرجعون . وقال أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن عبد الله عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ذكر أصحاب أحد « أما والله لوددت أنى غودرت مع أصحابه بحضن الجبل » يعنى سفح الجبل ، تفرد به أحمد . وقد روى البيهقى من حديث عبد الاعلى بن عبد الله بن أبى فروة عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير عن أبى هريرة

أن رسول الله (ص) حين انصرف من أحد مرّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه فدعا له ثم قرأ [من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه] الآية قال« أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم والذى نفسى بيده لايسلم عليهم أحد الى يوم القيامة إلا ردّوا عليه » وهذا حديث غريب ، وروى عن عبيد بن عمير مرسلا . وروى البيهقى من حديث موسى بن يعقوب عن عباد بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال : كان النبى (ص) يأتى قبور الشهداء فاذا أتى فرضة الشعب قال « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر بعد النبى (ص) يفعله وكان عمر بعد أبى بكر يفعله وكان عثمان بعد عمر يفعله. قال الواقدى : كان النبى (ص) يزورهم كل حول فاذا بلغ نقرة الشعب يقول « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ثم عمر ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تأتيهم فتبكى عندهم وتدعو لهم ، وكان سعد يسلم ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسلمون على قوم يردّون عليكم . ثم حكى زيارتهم عن أبى سعيد وأبى هريرة وعبد الله بن عمر وأم سلمة رضى الله عنهم . وقال ابن أبى الدنيا حدثنى ابراهيم حدثنى الحكم بن نافع حدثنا العطاف بن خالد حدثتنى خالتى قالت : ركبت يوماً الى قبور الشهداء — وكانت لاتزال تأتيهم — فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله ان أصلى وما فى الوادى داع ولا مجيب إلا غلاماً قائماً آخذاً برأس دابتى فلما فرغت من صلاتى قلت هكذا بيدى « السلام عليكم » قالت فسمعت ردّ السلام علىّ يخرج من تحت الارض أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقنى وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرّت كل شعرة منى . وقال محمد بن اسحاق عن اسماعيل بن أمية عن أبى الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال النبى (ص) « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد . فقال الله عز وجل : أنا ابلغهم عنكم فأنزل الله فى الكتاب قوله تعالى [ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون] . وروى مسلم والبيهقى من حديث أبى معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرّة عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فقال : اما إنا قد سالنا عن ذلك رسول الله (ص) فقال « ارواحهم فى جوف طير خضر تسرح فى ايها شاءت ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش ، قال فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة ، فقال : اسألونى ماشئتم . فقالوا يا ربنا وما نسألك ونحن نسرح فى الجنة فى أيها شئنا ،

ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا الى أجسادنا فى الدنيا نقتل فى سبيلك مرة أخرى . قال : فلما رأى أنهم لايسألون إلا هذا تركوا

فصل فى عدد الشهداء . قال موسى بن عقبة جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والانصار تسعة وأربعون رجلا وقد ثبت فى الحديث الصحيح عند البخارى عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلا فالله أعلم . وقال قتادة عن أنس قتل من الانصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس انه كان يقول قارب السبعين يوم أحد ويوم بئر معونة ويوم مؤتة ويوم اليمامة . وقال مالك عن يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب قتل من الانصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ويوم جسر أبى عبيد سبعون وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن اسحاق فى قتلى أحد ويشهد له قوله تعالى [أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا] يعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وعن ابن اسحاق قتل من الانصار ـ لعله من المسلمين ـ يوم أحد خمسة وستون أربعة من المهاجرين حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان والباقون من الانصار وسرد أسماءهم على قبائلهم وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام وسرد ابن اسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا . وعن عروة كان الشهداء يوم أحد أربعة أو قال سبعة وأربعين وقال موسى بن عقبة تسعة وأربعون وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا وقال عروة تسعة عشر وقال ابن اسحاق اثنان وعشرون وقال الربيع عن الشافعى ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عزّة الجمحى وقد كان فى الاسارى يوم بدر فمن عليه رسول الله (ص) بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله فلما أسر يوم أحد قال يا محمد امنن على لبناتى وأعاهد أن لا أقاتلك فقال له رسول الله (ص) لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمداً مرتين ثم أمر به فضربت عنقه . وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله (ص) « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين »

فصل قال ابن اسحق ثم انصرف رسول الله (ص) الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش كما ذكر لى فلما لقيت الناس نعى اليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله (ص) « ان زوج المرأة منها لبمكان » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها . وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا اسحاق بن محمد الفروى حدثنا عبد الله بن عمر عن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش عن أبيه عن حمنة بنت جحش انه

قيل لها : قتل أخوك . فقالت : رحمه الله وانا لله وانا اليه راجعون . فقالوا : قتل زوجك قالت : واحزناه . فقال رسول الله (ص) : « ان للزوج من المرأة لشعبة ماهى لشئ » قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عون عن اسماعيل عن محمد عن سعد بن أبى وقاص قال : مرّ رسول الله (ص) بامرأة من بنى دينار وقد أصيب روجها وأخوها وأبوها مع رسول الله (ص) بأحد فلما نُعوا لها قالت : مافعل رسول الله (ص) ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر اليه ، قال : فأشير لها اليه حتى اذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل . قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير وهو ههنا القليل . قال امرؤ القيس :

لَقتلُ بني أَسَدٍ ربَّهم   ألا كُلُّ شيءٍ خلاهُ جَلَل

أى صغير وقليل . قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله (ص) الى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: « اغسلى عن هذا دمه يابنيَّة ، فوالله لقد صدقنى فى هذا اليوم » وناولها على بن أبى طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم . فقال رسول الله (ص): « لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجانة » وقال موسى بن عقبة فى موضع آخر: ولما رأى رسول الله (ص) سيف على مخضباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف » وروى البيهقى عن سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء على بن أبى طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة : هاك السيف حميداً فانها قد شفتنى ، فقال رسول الله (ص) : « لئن كنت أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث ابن الصمة » قال ابن هشام : وسيف رسول الله (ص) هذا هو ذو الفقار ، قال . وحدثنى بعض أهل العلم عن ابن أبى نجيح قال : نادى منادٍ يوم أحد لاسيف الا ذو الفقار ، قال : وحدثنى بعض أهل العلم ان رسول الله (ص) قال لعلى : « لايصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا » قال ابن اسحاق : ومرّ رسول الله (ص) بدار بنى عبد الاشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله (ص) ثم قال : « لكن حمزة لابواكى له » فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير الى دار بنى عبد الاشهل أمرا نساءهن أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله (ص) . فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن بعض رجال بنى عبد الاشهل قال : لما سمع رسول الله (ص) بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن فى باب المسجد يبكين فقال : « ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن » قال : ونهى رسول الله (ص) يومئذ عن النوح فيما قال ابن هشام ، وهذا الذى ذكره منقطع ومنه مرسل وقد أسنده الامام أحمد فقال: حدثنا زيد بن الحباب حدثنى أسامة بن

زيد حدثني نافع عن ابن عمر ان رسول الله (ص) لما رجع من أحد فجعل نساء الانصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله (ص) : « ولكن حمزة لا بواكي له » قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : « فهن اليوم اذاً يبكين يندبن حمزة » وهذا على شرط مسلم . وقد رواه ابن ماجه عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثي عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) مرَّ بنساء بني عبد الاشهل يبكين هلكاهن يوم أحد فقال رسول الله (ص) : « لكن حمزة لا بواكي له » فجاء نساء الانصار يبكين حمزة فاستيقظ رسول الله (ص) فقال : « ويحهن ما انقلبن بعد ، مرهن فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله (ص) أزقة المدينة اذا النوح والبكاء في الدور قال : « ماهذا » قالوا : هذه نساء الانصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكي له » واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة فمشوا الى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة فقالوا : والله لا تبكين قتلى الانصار حتى تبكين عم النبي (ص) . فانه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا ان الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة فلما سمع رسول الله (ص) قال : « ماهذا » فأخبر بما فعلت الانصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال : « ماهذا أردت ، وما أحب البكاء » ونهى عنه . وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير سواء . قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله (ص) وتحزين المسلمين وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق فور المرجل وقالت اليهود : لو كان نبياً ماظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ، وقال المنافقون مثل قولهم وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين يعني فيمن قتل منهم فقال : « واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم » الايات كلها كما تكلمنا على ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة

خروج النبي (ص) بأصحابه

على ما بهم من القرح والجراح في اثر ابي سفيان

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد وذكره رجوعه عليه السلام الى المدينة : وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله (ص) فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم

تبتروهم فقد بقى منهم رءوس يجمعون لكم ، فأمر رسول الله (ص.) — وبهم أشد القرح — بطلب العدوّ ليسمعوا بذلك وقال : لاينطلقنّ معى إلا من شهد القتال . فقال عبد الله بن أبىّ : أنا راكب معك . فقال لا ، فاستجابوا لله ولرسوله على الذى بهم من البلاء فانطلقوا . فقال الله في كتابه :
[الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم]
قال وأذن رسول الله (ص.) لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالمقام فى المدينة على اخواته ، قال وطلب رسول الله (ص.) العدو حتى بلغ حمراء الاسد . وهكذا روى ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة ابن الزبير سواء . وقال محمد بن اسحاق فى مغازيه : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذّن مؤذن رسول الله (ص.) فى الناس بطلب العدوّ وأذّن مؤذنه ألاّ يخرجنّ أحد إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد الله فأذن له . قال ابن اسحاق : وإنما خرج رسول الله (ص.) مرهباً للعدوّ ليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم . قال ابن اسحاق رحمه الله : فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلا من بنى عبد الاشهل قال : شهدت أحداً أنا وأخ لى فرجعنا جريحين ، فلما أذّن مؤذن رسول الله (ص.) بالخروج فى طلب العدو قلت لأخى وقال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله (ص.) ؟ والله مالنا من دابة نركبها وما منّا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله (ص.) وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان اذا غُلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون . قال ابن اسحاق : فخرج رسول الله (ص.) حتى انتهى الى حمراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة . قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر معبد بن أبى معبد الخزاعى وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عَيبة رسول الله (ص.) بتهامة صَفْقَتهم معه لايخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك مرّ برسول الله (ص.) وهو مقيم بحمراء الأسد فقال : يامحمد أما والله لقد عز علينا ماأصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج من عند رسول الله (ص.) بحمراء الأسد حتى لقى أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله (ص.) وأصحابه وقالوا : أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرّن على بقيتهم فلنفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ماصنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط . قال ويلك ماتقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل . قال فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل شأفتهم ، قال فانى أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد

حملني ما رأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر . قال وما قلت ؟ قال قلت :

كادت تُهدُّ من الأصواتِ راحلتي إذ سالتِ الارضُ بالجُرْدِ الأبابيل
تُردَى بأُسْد كِرامٍ لاتنابلةٍ عند اللقاء ولا مِيلٍ معازيل
فظلْتُ عَدْواً أظنّ الارضَ مائلةً لما سَمَوا برئيسٍ غيرِ مخذول
فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكمُ اذا تغطمطتِ البطحاء بالجيل
إني نذيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحيةً لكل ذي أرْبَةٍ منهم ومعقول
من جيشِ أحمدَ لا وخشٌ قنابلُه وليسَ يوصَف ما أنذرتُ بالقِيل

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومرَّ به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا المدينة ،قال: ولم ؟ قالوا نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها اليه واحمل لكم ابلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ اذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم. قال : فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله (ص) وهو بحمراء الأسد فاخبروه بالذي قال أبو سفيان ،فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكذا قال الحسن البصري . وقد قال البخاري حدثنا أحمد بن يونس أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد (ص) حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . تفرد بروايته البخاري وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها [الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم] قالت لعروة :يا ابن أختي كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصاب رسول الله (ص) ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال من ينهب في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير . هكذا رواه البخاري وقد رواه مسلم مختصراً من وجه عن هشام وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدي جميعاً عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طريقه عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم في مستدركه من طريق أبي سعيد عن هشام ابن عروة به ورواه من حديث السدي عن عروة وقال في كل منهما صحيح ولم يخرجاه . كذا قال . وهذا السياق غريب جداً فان المشهور عند أصحاب المغازي ان الذين خرجوا مع رسول الله (ص) الى حمراء الاسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقي الباقون . وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : ان الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع الى مكة وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون في ذي القعدة المدينة فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة وانهم قدموا بعد وقعة أحد وكان اصاب المسلمين

القرح واشتكوا ذلك الى رسول الله (ص) واشتد عليهم الذى أصابهم وإن رسول الله (ص) ندب الناس لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا متعبين وقال لنا ترتحلون الآن فتأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام قابل فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال انى ذاهب وإن لم يتبعنى أحد فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة فى سبعين رجلا فساروا فى طلب أبى سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله [الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم] وهذا غريب أيضاً وقال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع الى المدينة فقال لهم صفوان بن أمية لا تفعلوا فان القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان فارجعوا فرجعوا فقال النبى (ص) وهو بحمراء الاسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة « والذى نفسى بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب » قال : وأخذ رسول الله (ص) فى وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الملك بن مروان لأمه عائشة بنت معاوية وأبا عزة الجمحى وكان رسول الله (ص) قد أسره ببدر ثم منّ عليه فقال يا رسول الله أقلنى ، فقال : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير ، فضرب عنقه . قال ابن هشام : وبلغنى عن ابن المسيب أنه قال : قال رسول الله (ص) « ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ، فضرب عنقه » وذكر ابن هشام أن معاوية بن المغيرة بن أبى العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاث فبعث رسول الله (ص) بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجدانه فى مكان كذا وكذا فاقتلاه ففعلا رضى الله عنهما . قال ابن اسحاق : ولما رجع رسول الله (ص) الى المدينة كان عبد الله بن أبى كما حدثنى الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر له شرفا فى نفسه وفى قومه وكان فيهم شريفاً اذا جلس رسول الله (ص) يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون ثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره . فلقيه رجال من الانصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قمت أشدد أمره فوثب الى رجال من أصحابه يجبذوننى ويعنفوننى لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره . قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله (ص) . قال : والله ما أبغى

أن يستغفر لى . ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن فى قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله [واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم] قال الى تمام ستين آية. وتكلم عليها ، وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية . ثم شرع ابن اسحاق فى ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته فذكر من المهاجرين أربعة حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان رضى الله عنهم ومن الانصار الى تمام خمسة وستين رجلا واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام ثم سمى ابن اسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا على قبائلهم أيضاً . قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عزة الجمحى كما ذكره الشافعى وغيره وقتله رسول الله (ص.) صبراً بين يديه أمر الزبير — ويقال عاصم بن ثابت بن أبى الافلح — فضرب عنقه

فصل

فيما تقاول به المؤمنون والكفار فى وقعة أحد من الاشعار

وانما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الاسلام ليكون أبلغ فى وقعها من الاسماع والافهام وأقطع لشبهة الكفرة الطغام . قال الامام محمد بن اسحاق رحمه الله وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة بن أبى وهب المخزومى وهو على دين قومه من قريش فقال :

ما بالُ همٍّ عميدٍ باتَ يطرقني ... بالودِ من هندَ اذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هندٌ وتعذلني ... والحربُ قد شغلت عني مواليها
مهلاً فلا تعذليني ان من خلُقي ... ما قد علمتِ وما ان لستُ أخفيها
مساعفٌ لبني كعبٍ بما كُلِفوا ... حمّالُ عبءٍ وأثقالٍ أعانيها
وقد حملتُ سلاحي فوق مُشْتَرِفٍ ... ساطٍ سبوحٍ اذا يجري يباريها
كأنه اذ جرى عيرٌ بفدفدةٍ ... مكدّمٌ لاحقٌ بالعُونِ يحميها
من آلِ أعوجَ يرتاحُ النديُّ له ... كجذعِ شعراءَ مستعلٍ مراقيها
أعددتُه ورقاقَ الحدِّ منتخلاً ... ومارناً لخطوبٍ قد ألاقيها
هذا وبيضاءُ مثلُ النِّهيِ محكمةٌ ... لطّت عليَّ فما تبدو مساويها
سُقْنا كنانةَ من أطرافِ ذي يمنٍ ... عرضَ البلادِ على ما كانَ يزجيها
قالتْ كنانةُ أنّى تذهبونَ بنا ... قلنا النخيلَ فأمُّوها ومن فيها

نحن الفوارسُ يوم الجرّ من أُحدٍ ... هابتْ معدٌّ فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضِراباً وطعناً صادقاً خَذِماً ... مما يرون وقد ضُمّت قواصيها
ثُمّتَ رحنا كأنّا عارضٌ بَرِدٌ ... وقام هامُ بني النجّار يبكيها
كأن هامَهم عند الوغى فِلَقٌ ... من قَيْضِ رُبْدٍ نفتْه عن أداحيها
أو حنظلٌ دعدعتْه الريحُ في غُصُنٍ ... بالٍ تَعاوَرُه منها سوافيها
قد نبذل المالَ سحّاً لا حسابَ له ... ونطعنُ الخيلَ شزْراً في مآقيها
وليلةٍ يصطلي بالفرثِ جازرُها ... يختصّ بالنَّقَرى المثرين داعيها
وليلةٍ من جُمادى ذاتِ أنديةٍ ... جَرْبا جُماديّةٍ قد بتُّ أسريها
لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... من القَريسِ ولا تَسْري أفاعيها
أوقدتُ فيها لذي الضرّاء جاحمةً ... كالبرقِ ذاكيةَ الأركانِ أحميها
أورثني ذلكم عمرٌو ووالدُه ... من قبلِه كان بالمثنى يُغاليها
كانوا يُبارون أنواءَ النجومِ فما ... دنّتْ عن السَّورةِ العُليا مساعيها

قال ابن اسحاق فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال (قال ابن هشام : وتروى ابن مالك وغيره . قلت وقول ابن اسحاق أشهر وأكثر والله أعلم) :

سُقتم كنانةَ جهلاً من سفاهتكم ... الى الرسول فجندُ الله مُخزيها
أوردتموها حياضَ الموتِ ضاحيةً ... فالنارُ موعدُها والقتلُ لاقيها
جمّعتموهم أحابيشاً بلا حَسَبٍ ... أئمةَ الكفرِ غرّتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيلِ الله إذ قَتلتْ ... أهلَ القليبِ ومَن ألقيتَه فيها
كم من أسيرٍ فككناه بلا ثمنٍ ... وجزِّ ناصيةٍ كنّا مواليها

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبي وهب المخزومي أيضاً :

ألا هل أتى غسّانَ عنّا ودونَهم ... من الأرضِ خَرْقٌ سيرُه متنعنعُ
صحارى وأعلامٌ كأنّ قتامَها ... من البُعدِ نقعٌ هامدٌ متقطّعُ
تظلّ به البُزْلُ العراميسُ رُزَّحاً ... ويخلو به غيثُ السنين فيمرعُ
به جِيَفُ الحسرى يلوحُ صليبُها ... كما لاحَ كتّانُ التجّارِ الموضّعُ
به العِينُ والآرامُ يمشين خِلْفةً ... وبيضُ نعامٍ قيضُه يتقلّعُ
مجالدُنا عن ديننا كلُّ فخمةٍ ... مُدرّبةٍ فيها القوانسُ تلمعُ
وكلُّ صموتٍ في الصِّوانِ كأنّها ... اذا لُبستْ نهيٌ من الماء مُترعُ

ولكن ببدرٍ سائلوا من لقيتمُ   من الناس والأنباءُ بالغيبِ تنفع
وانّا بأرض الخوفِ لو كانَ أهلُها   سِوانا لقد أجلوا بليلٍ فأقشعوا
اذا جاء منّا راكبٌ كان قولُه   أعِدّوا لما يزجي ابنُ حربٍ ويجمع
فمها يهمّ الناسُ مما يكيدُنا   فنحن له من سائر الناس أوسع
فلو غيرُنا كانت جميعاً تكيدُه البريّةُ قد أعطوا يداً وتوزّعوا
نُجالدُ لاتبقى علينا قبيلةٌ   من الناس إلاّ أن يهابوا ويفظعوا
ولما ابتنوا بالعِرضِ قالت سُراتنا   علامَ إذا لم نمنع العِرضَ نزرع
وفينا رسولُ الله نتّبعُ أمره   اذا قال فينا القولَ لانتظلع
تدلّى عليه الروحُ من عند ربه   ينزَّل من جوّ السماء ويُرفع
نُشاوره فيما نريد وقصرُنا   اذا ما اشتهى أنّا نطيع ونسمع
وقال رسولُ الله لمّا بدوا لنا   ذروا عنكمُ هَوْلَ المنيّات واطمعوا
وكونوا كمن يَشري الحياةَ تقرُّباً   الى مَلِكٍ يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا أسيافكمْ وتوكّلوا   على الله إن الأمرَ لله أجمع
فسِرْنا اليهم جهرةً في رحالهم   ضُحَيّا علينا البيضُ لانتخشع
بملمومةٍ فيها السنوّر والقنا   اذا ضربوا أقدامها لاتورّع
فجئنا الى موجٍ من البحر وسْطُه   أحابيشُ منهم حاسرٌ ومُقنّع
ثلاثةُ آلافٍ ونحن نصيّة   ثلاثُ مئينٍ إن كثُرنا فأربع
نُغاورهم تجري المنيّةُ بيننا   نشارعُهم حوضَ المنايا ونشرع
تَهادى قسيُّ النَّبع فينا وفيهمُ   وما هو إلا اليثربيّ المقطع
ومنجوفةٌ حرميّةٌ صاعدية   يذرّ عليها السمّ ساعة تصنع
تَصوبُ بأبدان الرجال وتارةً   تمرّ بأعراضِ البِصارِ تُقعقع
وخيلٌ تراها بالفضاء كأنها   جرادُ صَبا في قَرّةٍ يتريّع
فلمّا تلاقينا ودارت بنا الرحا   وليس لأمرٍ حمّه اللهُ مَدفع
ضربناهمُ حتى تركنا سَراتَهم   كأنهمُ بالقاع خُشبٌ مصرع
لدن غدوةٍ حتى استفقْنا عشيةً   كأنّ ذُكانا حرُّ نارٍ تلفّع
وراحوا سِراعاً موجَعين كأنهم   جهامٌ هراقتْ ماءه الريحُ مُقلِع
ورحنا وأُخرانا بطاءٌ كأننا   أسودٌ على لحمٍ ببيشةَ ظُلّع

فنلنا ونال القومُ منّــا وربما فَعلنا، ولـكن ما لدى الله أوسع
ودارتْ رَحانا واستدارت رحاهمُ وقد جعلوا، كلٌّ من الشرّ يشبع
ونحن أناسٌ لانرى القتلَ سُبّةً على كل من يحمي الذمارَ ويمنع
جِلادٌ على رَيْبِ الحوادث لانرى على هالكٍ عيناً لنا الدهرَ تدمع
بنو الحربِ لانعيا بشيء نقولُه ولا نحنُ مما جرَّت الحربُ نجزع
بنو الحربِ إن نظفرْ فلسنا بفُحَّشٍ ولا نحن مِن أظفارِها نتوجع
وكنّا شهاباً يتقي الناسُ حرَّه ويُفرِج عنه مَن يليه ويسفع
فخرتَ عليَّ ابن الزِّبَعْرَى وقد سرى لكم طلبٌ من آخِرِ الليل متبع
فسلْ عنك في عليا مَعَدٍ وغيرها من الناس من أخزى مقاماً وأشنع
ومن هو لم يتركْ له الحربُ مفخراً ومن خدُّه يومَ الكريهة أضرع
شددْنا بحول الله والنصرِ شَدّةً عليكم وأطرافُ الأسنّةِ شرَّع
تَكُرُّ القنا فيكم كأنَّ فروعَها عزالى مَزادٍ ماؤُها يتهزَّع
عمدْنا الى أهلِ اللواءِ ومن يُطِرْ بذكْرِ اللواءِ فهو فى الحمدِ أسرع
فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا أبى اللهُ إلا أمرَه وهو أصنَع

قال ابنُ اسحاق: وقال عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى فى يوم أُحُد وهو يومئذ مشرك بعد:

يا غُرابَ البَين أسمعتَ فقلْ إنما تَنطق شيئاً قد فُعلْ
إن للخير وللشرّ مَدًى وكلا ذلك وَجهٌ وقَبلْ
والعطيّاتُ خِساسٌ بينهم وسواءٌ قبرُ مُثرٍ ومُقِلّ
كلُّ عيش ونعيمٍ زائلٌ وبناتُ الدهر يلعبن بكل
أبلغا حسّانَ عني آيةً فقريضُ الشعر يشفي ذا الغُلَل
كم ترى بالجرّ من جمجمةٍ وأكفٍّ قد أُترّت ورِجِل
وسرابيل حِسانٍ سرّيت عن كماةٍ أُهلكوا فى المنتزَل
كم قتلنا من كريم سيّدٍ ماجدِ الجدّين مِقدامٍ بطل
صادقِ النجدة قرْمٍ بارعٍ غيرِ ملتاثٍ لدى وقْع الأسل
فسلِ المِهراسَ ما ساكنُهُ بين أقحافٍ وهامٍ كالحَجَل
ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا جَزَعَ الخزرج من وقْع الاسل
حين حكّت بقباءٍ بركها واستحرّ القتلُ فى عبدِ الاشل

ثم خفّوا عند ذاكم رُقّصاً   رَقَصَ الحفّان يعلو فى الجبل
فقتلنا الضِّعفَ من أشرافهم   وعدلنا مَيل بدرٍ فاعتدل
لا ألوم النفسَ الا أننا   لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوفِ الهندِ تعلو هامَهم   عَلَلاً تعلوهمُ بعدَ نَهَلْ

قال ابن اسحاق : فأجابه حسّان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبتْ بابنِ الزِّبعرى وقعةٌ   كانَ منا الفضلُ فيها لو عدل
ولقدْ نلتمْ ونلْنا منكمُ   وكذاكَ الحربُ أحيانا دُول
نضعُ الاسيافَ فى أكتافكم   حيثُ نهوى عَلَلاً بعد نَهَل
نخرجُ الأصبحَ من أستاهكم   كسلاحِ النيِّبِ يأكلْنَ العصل
إذْ تولّونَ على أعقابكم   هرَباً فى الشِّعبِ أشباهَ الرسَل
إذ شددنا شدّةً صادقةً   فأجأناكم الى سفحِ الجبل
بخناطيلَ كأشداقِ الملا   من يلاقوهُ منَ الناسِ يهل
ضاقَ عنا الشِّعبُ إذ نجزعهُ   وملأنا الفرطَ منهُ والرجل
برجالٍ لستمُ أمثالهَم   أيّدوا جبريلَ نصراً فنزل
وعلونا يومَ بدرٍ بالتقى   طاعةِ الله وتصديقِ الرُسُل
وقتلنا كلَّ رأسٍ منهم   وقتلنا كلَّ جحجاحٍ رفل
وتركنا فى قريشٍ عورةً   يومَ بدرٍ وأحاديثِ المثل
ورسولُ اللهِ حقاً شاهداً   يومَ بدرٍ والتنابيلِ الهبل
فى قريشٍ من جموعٍ جمعوا   مثل ما يُجمعُ فى الخصبِ الهمل
نحنُ لا أمثالكم وُلْدُ أستها   نحضرُ البأسَ إذا البأسُ نزل

قال ابن اسحق وقال كعب يبكى حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضى الله عنهم :

نشجتَ وهلْ لكَ من منشجٍ   وكنتَ متى تذَّكرْ تلجج
تذكُّرِ قومٍ أتاني لهم   أحاديثُ فى الزمنِ الأعوج
فقلبكَ من ذكرهم خافقٌ   من الشوقِ والحزَنِ المنضج
وقتلاهمُ فى جِنانِ النعيمِ   كرامُ المداخلِ والمخرج
بما صبروا تحتَ ظلِّ اللواءِ   لواءِ الرسولِ بذي الأضوج
غداةَ أجابتْ بأسيافها   جميعاً بنو الاوسِ والخزرج

وأشياعُ احمدَ إذ شايعوا | على الحقِّ ذي النورِ والمنهج
فما برحوا يضربونَ الكماةَ | ويمضونَ فى القسطلِ المرهج
كذلكَ حتى دعاهُم مليكٌ | الى جنّةٍ دوحةِ المولج
وكلهمُ ماتَ حرَّ البلاءِ | على ملّةِ اللهِ لم يحرج
كحمزةَ لما وفى صادقاً | بذى هبّةٍ صارمٍ سلجج
فلاقاهُ عبدُ بني نوفلٍ | يبربرُ كالجملِ الأدعج
فأوجرَهُ حربةً كالشهابِ | تلهّبُ فى اللهبِ الموهج
ونعمانُ أوفى بميثاقهِ | وحنظلةُ الخيرِ لم يحنج
عن الحقِ حتى غدتْ روحُه | الى منزلٍ فاخرِ الزبرج
أولئكَ لا مَن ثوى منكمُ | من النارِ فى الدركِ المرتج

قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد وهى على روىّ قصيدة أمية بن أبى الصلت فى قتلى المشركين يوم بدر . قال ابن هشام : ومن أهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسان والله أعلم :

يا مىُّ قومي فاندبي | بسحيرةٍ شجوَ النوائح
كالحاملاتِ الوقرِ بالثقلِ الملحّاتِ الدوالح
المعولاتِ الخامشاتِ وجوهَ حُرّاتٍ صحائح | وكأنَّ سيلَ دموعها الانصابُ تُخضبُ بالذبائح
ينقضنَ أشعاراً لهنَّ هناكَ باديةَ المسائح | وكأنها أذنابُ خيلٍ بالضحى شمسٌ روامح
من بينِ مشرورٍ ومجزورٍ يذعذعُ بالبوارح | يبكينَ شجوَ مسلّباتٍ كدحتهن الكوادح
ولقد أصابَ قلوبَها مجلٌ له جلبٌ قوارح | إذ أقصدَ الحدَثانُ من كنّا نرجّي إذ نشايح
أصحابَ أحدٍ غالهُم دهرٌ ألمَّ له جوارح | من كان فارسَنا وحامينا اذا بُعثَ المسالح
ياحمزُ لا واللهِ لا أنساكَ ماصرَّ اللقائح | لمناخِ أيتامٍ وأضيافٍ وأرملةٍ تلامح
ولما ينوبُ الدهرُ فى حربٍ لحربٍ وهي لاقح | يافارساً يامِدرَهاً ياحمزُ قد كنتَ المصامح
عنّا شديداتِ الخطوبِ إذا ينوبُ لهنَّ فادح | ذكّرتني أسدَ الرسولِ وذاكَ مِدرَهُنا المنافح
عنا وكان يُعدُّ إذ عُدَّ الشريفونَ الجحاجح | يعلو القُماقمَ جهرةً سبطَ اليدين أغرُّ واضح
لا طائشٌ رعشٌ ولا ذو علّةٍ بالحملِ آنح | بحرٌ فليس يغبُّ جاراً منه سَيْبٌ أو منادح
أودى شبابُ أولى الحفائظِ والثقيلونَ المراجح | المطعمونَ اذا المشاتي ما يصفّقهن ناضح
لحمَ الجلادِ وفوقه من شحمهِ شُطَبٌ شرائح | ليدافعوا عن جارِهم ما رامَ ذو الضغنِ المكاشح
لهفي لشبّانٍ رُزئناهمْ كأنّهمُ المصابح | شُمٌّ بطارقةٌ غطارفةٌ خضارمةٌ مسامح

المشترونَ الحمدَ بالأموالِ انَّ الحمدَ رابح والجامزونَ بلُجْمهم يوماً إذا ماصاحَ صائح
مَن كان يرمي بالنواقرِ من زمانٍ غيرِ صالح ما أن تزالَ رِكابُه يرسمن فى غُبْرٍ صحاصح
راحتْ تبارى وهو فى ركبٍ صدورهمُ رواشح حتى تئوبَ له المعالي ليس من فوزِ السفائح
ياحمزُ قد أوحدتني كالعُودِ شذَّ به الكوافح أشكو اليكَ وفوقك التُّربُ المكوَّرُ والصفائح
من جندلٍ يُلقيه فوقَك إذ أجاد الصرحَ ضارح في واسعٍ يحشُونه بالتُّرب سوَّته الماسح
فعزاؤنا أنَّا نقول وقولُنا بُرَحٌ بوارح مَن كان أمسى وهو عما أوقعَ الحدثانِ جانح
فليأتِنا فلتبكِ عيناه لِهلكانا النوافح القائلينَ الفاعلينَ ذوي السماحة والمادح
من لايزال ندى يديه له طوالَ الدهرِ مائح

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان. قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك يبكي حمزة وأصحابه:

طرقتْ همومُك فالرقاد مسهَّد وجزعتَ أن سُلخ الشبابُ الاغيد
ودعتْ فؤادَك للهوى ضمرية فهواكَ غَوري وصحْوُك مُنجد
فدعِ التمادي فى الغِوايه سادراً قد كنتَ فى طلب الغواية تفند
ولقد أنَى لك أن تناهى طائعاً أو تستفيقَ اذا نهاكَ المرشد
ولقد هُددتَ لفقْدِ حمزةَ هدةً ظلّتْ بناتُ الجوفِ منها ترعد
ولو انّه فُجعتْ حِراء بمثلِه لرأيتَ راسي صخرها يتبدد
قرم تمكّن فى ذؤابة هاشم حيثُ النبوَّة والندى والسؤدد
والعاقر الكومَ الجلادَ اذا غدتْ ريحٌ يكادُ الماءُ منها يجمد
والتارك القِرنَ الكميَّ مجدَّلا يومَ الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل فى الحديد كأنه ذو لِبدةٍ شثْنُ البراثنِ أربد
عمُّ النبيِّ محمدٍ وصفيّه وَرَدَ الحِمامَ فطاب ذاكَ المورد
وأتى المنيةَ معلَماً فى أسرةٍ نَصروا النبيَّ ومنهمُ المستشهد
ولقد إخال بذاك هنداً بشّرت لتُميت داخلَ غصّةٍ لاتبرد
مما صبَحْنا بالعقنقل قومَها يوماً تغيّبَ فيه عنها الأسعد
وببئر بدرٍ إذ يردُّ وجوههم جبريلُ تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبي سَراتهم قسمين نقتل مَن نشاءُ ونطرد
فأقام بالعَطن المعطَّن منهم سبعون عُتبةُ منهم والاسود

وابنَ المغيرة قد ضربْنا ضربةً فوقَ الوريد لها رشاشٌ مزبد
وأميَّةَ الجمحيُّ قوَّم مَيْلَه عضبٌ بأيدي المؤمنين مهنّد
فأتاكَ فلّ المشركين كأنهم والخيلُ تثفنهم نعام شرّد
شتّان من هو فى جهنم ثاوياً أبداً ومن هو فى الجنان مخلد

قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن رَواحة يبكى حمزة وأصحابه يوم أحد . قال ابن هشام : وأنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك فالله أعلم :

بكتْ عيني وحقَّ لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويل
على أسَد الإله غداة قالوا أحمزةُ ذاكمُ الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الاركانُ هُدَّت وأنت الماجد البَرُّ الوَصول
عليك سلامُ ربّك فى جنان مخالطُها نعيمٌ لا يزول
ألا يا هاشمَ الأخيار صبراً فكلُّ فعالكم حسَنٌ جميل
رسولُ الله مصطبرٌ كريم بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مُبلغٌ عني لُؤيّاً فبعدَ اليوم دائلةٌ تدول
وقبل اليوم ماعرفوا وذاقوا وقائعَنا بها يشفى الغليل
نسيتُم ضرْبَنا بقليب بدر غداةَ أتاكمُ الموت العجيل
غداةَ ثوى أبو جهل صريعاً عليه الطيرُ حائمة تجول
وعتبةُ وابنُه خرّا جميعاً وشَيبةُ عضّه السيفُ الصقيل
ومتركُنا أميّةَ مجلعبّا وفى حَيزومه لدنٌ نبيل
وهامَ بني ربيعة سائلوها ففي أسيافنا منها فلول
ألا يا هند فابكي لا تملّي فأنتِ الوالهُ العَبرى الهبول
ألا يا هند لاتُبدي شماتاً بحمزةَ إنّ عزّكمُ ذليل

قال ابن اسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب وهى أم الزبير عمّة النبي (ص) ورضى الله عنهم أجمعين :

أسائلة أصحابَ أُحْد مخافة بنات أَبي من أعجَم وخبير
فقال الخبير إنّ حمزةَ قد ثوى وزير رسول الله خيْرُ وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوةً الى جَنّة يحيا بها وسرور

فذلك ماكنّا نرجّي ونرتجى لحمزة يوم الحشر خيرَ مصير
فوالله لاأنساكُ ماهبّت الصَّبا بكاءً وحزناً مَحْضَري ومسيرى
على أسد الله الذى كان مِدرهاً يذودُ عن الاسلام كلّ كَفور
فياليت شِلْوي عند ذاك وأعظُمي لدى أضبُع تعتادنى ونسور
أقول وقد أعلى النعىّ عشيرتى جزى الله خيراً من أخٍ ونصيرْ

قال ابن اسحاق : وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكى زوجها والله أعلم ولله الحمد والمنة :

ياعينُ جودى بفيضٍ غير إبساس على كريم من الفتيان لبّاس
صعبِ البديهة ميمونٍ نقيبتُه حمّال ألويةٍ ركّاب أفراس
أقول لما أتى الناعى له جَزِعا أودى الجوادُ وأودى المُطْعِم الكاسى
وقلتُ لمّا خلت منه مجالسُه لايبعدُ الله منا قُرب شماس

قال فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال :

اقْنَيْ حياءك فى ستر وفى كَرَمٍ فانما كان شمّاسٌ من الناس
لاتقتلي النفسَ إذ حانت منيّته فى طاعة الله يومَ الروع والباس
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبرى فذاق يومئذٍ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان حين رجعوا من أُحُد :

رجعتُ وفى نفسى بلابلُ جمّة وقد فاتنى بعضُ الذى كان مطلبى
من أصحاب بدرٍ من قريش وغيرهم بني هاشمٍ منهم ومنْ أهلِ يثرب
ولكننى قد نِلتُ شيئاً ولم يكن كما كنتُ أرجو فى مسيري ومركبى

وقد أورد ابن اسحاق فى هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الاطالة وخوف الملالة وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد . وقد أورد الاموى فى مغازيه من الاشعار أكثر مما ذكره ابن اسحاق كما جرت عادته و لا سيما ههنا فمن ذلك ماذكره لحسان بن ثابت أنه قال : أنه قال فى غزوة أحد فالله أعلم :

طاوَعوا الشيطانَ اذ اخزاهمُ فاستبان الخِزى فيهم والفشلْ
حين صاحوا صيحةً واحدةً مع أبى سفيان قالوا اعلُ هُبل
فأجبناهم جميعاً كلُّنا ربّنا الرحمن أعلى وأجَلّ
أثبتوا تستعملوها مرّةً من حياضِ الموتِ والموتُ نَهل
واعلموا أنّا اذا ما نَضَحَتْ عن خيال الموت قِدْرٌ تشتعل

وكأن هذه الابيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبعرى والله أعلم

اخر الكلام على وقعة احد

فصل قد تقدم ما وقع فى هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا ، ومن أشهرها وقعة أحد كانت فى النصف من شوال منها ، وقد تقدم بسطها ولله الحمد

وفيها فى أحد توفى شهيداً أبو يعلى ويقال أبو عمارة أيضاً حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) الملقب بأسد الله وأسد رسوله وكان رضيع النبى (ص) هو وأبو سلمة بن عبد الاسد أرضعتهم ثويبة مولاة أبى لهب كما ثبت ذلك فى الحديث المتفق عليه ، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضى الله عنهم فانه كان من الشجعان الابطال ومن الصديقين الكبار وقتل معه يومئذ تمام السبعين رضى الله عنهم أجمعين

وفيها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله (ص) بعد وفاة أختها رقية وكان عقده عليها فى ربيع الاول منها وبنى بها فى جمادى الآخرة منها كما تقدم فيها ذكره الواقدى

وفيها قال ابن جرير : ولد لفاطمة بنت رسول الله (ص) الحسن بن على بن أبى طالب قال : وفيها علقت بالحسين رضى الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

فى المحرم منها كانت سرية أبى سلمة بن عبد الاسد أبى طليحة الاسدى فانتهى الى ما يقال له قطن. قال الواقدى : حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعى عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة وغيره قالوا : شهد أبو سلمة أحداً فجرح جرحاً على عضده فاقام شهراً يداوى فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة دعاه رسول الله (ص) فقال : اخرج فى هذه السرية فقد استعملتك عليها وعقد له لواء وقال : سر حتى تأتى أرض بنى أسد فأغر عليهم ، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، وخرج معه فى تلك السرية خمسون ومائة فانتهى الى أدنى قطن وهو ماء لبنى أسد وكان هناك طليحة الاسدى وأخوه سلمة ابنا خويلد وقد جمعا حلفاء من بنى أسد ليقصدوا حرب النبى (ص) فجاء رجل منهم الى النبى (ص) فأخبره بما تمالأوا عليه

فبعث معه أبا سلمة فى سريته هذه . فلما انتهوا الى أرضهم تفرقوا وتركوا نعما كثيراً لهم من الابل والغنم فأخذ ذلك كله أبو سلمة و أسر منهم معه ثلاثة مماليك وأقبل راجعاً الى المدينة فأعطى ذلك الرجل الاسدى الذى دلهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صفى النبى (ص) عبداً وخمس الغنيمة وقسمها بين أصحابه ثم قدم المدينة . قال عمر بن عثمان فحدثنى عبد الملك بن عبيد عن عبد الرحمن ابن سعيد بن يربوع عن عمر بن أبى سلمة قال : كان الذى جرح أبى أبو اسامة الجشمى فمكث شهراً يداويه فبرأ فلما برأ بعثه رسول الله (ص) فى المحرم يعنى من سنة أربع الى قطن فغاب بضع عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الاولى . قال عمر : واعتدت أمى حتى خلت اربعة أشهر وعشر ثم تزوجها رسول الله (ص) ودخل بها فى ليال بقين من شوال فكانت أمى تقول : ما بأس بالنكاح فى شوال و الدخول فيه ، قد تزوجنى رسول الله (ص) فى شوال وبنى فيه . قال : وماتت أم سلمة فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين رواه البيهقى . قلت سنذكر فى أواخر هذه السنة فى شوالها تزويج النبى (ص) بأم سلمة و ما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمه فى النكاح و مذاهب العلماء فى ذلك ان شاء الله تعالى و به الثقة

غزوة الرجيع

قال الواقدى : وكانت فى صفر يعنى سنة أربع بعثهم رسول الله (ص) الى أهل مكة ليخبروه قال والرجيع على ثمانية أميال من عسفان . قال البخارى : حدثنى ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهرى عن عمرو بن أبى سفيان الثقفى عن أبى هريرة قال : بعث النبى (ص) سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا الى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ألا نقتل منكم رجلاً فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهما هذا أول الغدر فابى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى اذا

أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث يستحدُّ بها فاعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله . وكانت تقول ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قِطف عنب وما بمكة يومئذ من ثمره وانه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف اليهم فقال: لولا أن تروا أن مابي جزع من الموت لزدت . فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو . ثم قال: اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً . ثم قال:

ولستُ أبالي حينَ أُقتل مسلماً على أي شقٍّ كانَ في الله مصرعي
وذلكَ في ذاتِ الإله وإنْ يشأ يبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ ممزّعِ

قال: ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبْر فحمته من رُسلهم فلم يقدروا منه على شيء . وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول: الذي قتل خبيباً هو أبو سَرْوَعة قلت واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك وله حديث في الرضاع وقد قيل ان أبا سروعة وعقبة أخوان فالله أعلم

هكذا ساق البخاري في كتاب المغازي من صحيحه قصة الرجيع ورواه أيضاً في التوحيد وفي الجهاد من طرق عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان وأسد بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ومنهم من يقول عمر بن أبي سفيان والمشهور عمرو . وفي لفظ للبخاري بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح وساق بنحوه وقد خالفه محمد ابن اسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك ولنذكر كلام ابن اسحاق ليعرف مابينهما من التفاوت والاختلاف على أن ابن اسحاق امام في هذا الشأن غير مدافع كما قال الشافعي رحمه الله من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق . قال محمد بن اسحاق حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا يارسول الله ان فينا إسلاما فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام . فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من أصحابه وهم مَرْثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب قال ابن اسحاق وهو أمير القوم وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي وعاصم بن ثابت بن أبي الاقلح أخو بني عمرو بن عوف وخبيب بن عدي أخو بني جَحْجَبَى ابن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر وعبد الله بن طارق حليف بني

ظفر رضى الله عنهم هكذا قال ابن اسحاق أنهم كانوا ستة وكذا ذكر موسى بن عقبة وسماهم كما قال ابن اسحاق وعند البخارى أنهم كانوا عشرة وعنده أن كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح فالله أعلم . قال ابن اسحاق فخرجوا مع القوم حتى اذا كانوا على الرجيع لماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهدأة غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف قد غشوهم، فاخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم إنا والله مانريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لانقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، وقال عاصم بن ثابت والله أعلم ولله الحمد والمنة :

ماعلّتي وأنا جَلْدٌ نابلُ   والقوسُ فيها وَترٌ عنابلُ

تزلُّ عن صفحتها المعابلُ   الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلُ

وكلُّ ماحمّ الالهُ نازل   بالمرءِ والمرءُ إليه آيل

إن لم أقاتلكم فامّي هابل

وقال عاصم أيضاً :

أبو سليمانَ وريشُ المقعدِ   وضالةٌ مثلُ الجحيمِ الموقَد

اذاالنواحي افترشتُ لم أُرعدِ   ومجنأ من جلد ثورٍ أجرد

ومؤمن بما على محمد

وقال أيضاً :

أبو سليمانَ ومِثلي راما   وكانَ قومي مَعْشَرا كِراماً

قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحباه . فلما قتل عاصم أرادتْ هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن سهيل وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرتْ على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر فمنعته الدّبْر فلما حالت بينهم و بينه قالوا دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به .وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا تنجساً فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته . قال ابن اسحاق : وأما خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة وأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعوهم بها حتى اذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة

حتى قتلوه فقبره بالظهران . وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة . قال ابن اسحاق : فابتاع خبيباً حجير بن أبى اهاب التميمى حليف بنى نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل وكان أبو اهاب أخا الحارث بن عامر لامه ليقتله بابيه . قال : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس الى التنعيم وأخرجه من الحرم ليقتله واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك فى أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى جالس فى أهلى . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمدا قال : ثم قتله نسطاس . قال : وأما خبيب بن عدى فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أنه حدث عن ماوية مولاة حجير بن أبى اهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندى خبيب حبس فى بيتى فلقد اطلعت عليه يوما وان فى يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم فى أرض الله عنباً يؤكل قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح انهما قالا : قالت قال لى حين حضره القتل ابعثى الىّ بحديدة أتطهر بها للقتل . قالت فأعطيت غلاماً من الحى الموسى فقلت له أدخل بها على هذا الرجل البيت فقالت فوالله ان هو الا أن ولى الغلام بها اليه فقلت ما ذا صنعت اصاب والله الرجل ثأره يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديده الى . ثم خلى سبيله . قال ابن هشام : ويقال ان الغلام ابنها . قال ابن اسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به الى التنعيم ليصلبوه ، وقال لهم : ان رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى انما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين (١)

---

(١) يوجد على الهامش فى هذا المكان مانصه «حاشية بخط المصنف . قال السهيلى : وانما صارت سنة لانهـا فعلت فى زمن النبى ص ، واستحسنت من صنيعه ، قال وقد صلاها زيد بن حارثة فى حياة النبى ص ، ثم ساق باسناده من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : بلغنى أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلا من الطائف واشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء ، فال به الى خربة فاذا بها قتلى كثيرة ، فلما هم بقتله قال له زيد : دعنى حتى أصلّى ركعتين . فقال : صلّ ركعتين فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا . قال فصليت ثم جاء ليقتلنى فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا صارخ يقول لاتقتله ،

قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه . وكان معاوية ابن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلقيني الى الارض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه . وفى مغازى موسى بن عقبة : أن خبيبا وزيد بن الدثنة قتلا فى يوم واحد وأن رسول الله (ص) سمع يوم قتلا وهو يقول وعليكما أو عليك السلام خبيب قتلته قريش . وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه فما زاده إلا ايماناً وتسليما . وذكر عروة وموسى بن عقبة انهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها فى قدمه فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن اسحاق فى قصة زيد بن الدثنة فالله أعلم . قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيبا . قال ابن اسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عقبة بن الحارث قال سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيباً لأنا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله . قال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهرى القوم فذكر ذلك لعمر وقيل إن الرجل مصاب ، فسأله عمر فى قدمة قدمها عليه فقال : ياسعيد ماهذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين مابى من بأس ولكنى كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غشى على .

فهاب وذهب ينظر فلم يرشيئا ، ثم جاء ليقتلنى فقلت : يا أرحم الراحمين ، فسمع أيضا الصوت يقول لاتقتله ، فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا أنا بفارس على فرس فى يده حربة فى رأسها شعلة من نار فطعنه بها حتى أنفذه فوقع ميتا ، ثم قال : لما دعوت الله فى المرة الاولى كنت فى السماء السابعة ولما دعوته فى المرة الثانية كنت فى السماء الدنيا ولما دعوته فى الثالثة أتيتك . قال السهيلى : وقد صلاها حجر بن عدى ابن الادبر حين حمل الى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد ابن أبيه وفيه أنه خرج عليه وأراد خلعه ، وفى الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين ، فلما دخل على معاوية قال : السلام عليك ياأمير المؤمنين . قال أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله . فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله . قال وقد عاتبت عائشة معاوية فى قتله فقال : انما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعينى وحجراً فانى سألقاه على الجادة يوم القيامة . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبى سفيان ؟ قال حين غاب مثلك من قومى . اه من الهامش

فزادته عند عمر خيرا . وقد قال الاموى حدثنى أبى قال : قال ابن اسحاق و بلغنا أن عمر قال: من سره أن ينظر الى رجل نسيج وحده فلينظر الى سعيد بن عامر . قال ابن هشام : أقام خبيب فى أيديهم حتى انسلخت الاشهر الحرم ثم قتلوه . وقد روى البيهقى من طريق ابراهيم بن اسماعيل حدثنى جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية أن رسول الله ص، كان بعثه عيناً وحده قال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته فوقع الى الارض ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ثم التفت فلم أر شيئاً فكأنما بلعته الارض فلم تُذكر لخبيب رمة حتى الساعة . ثم روى ابن اسحاق عن محمد بن أبى محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين : ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لاهم أقاموا فى أهلهم ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله فيهم ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ﴾ وما بعدها . وأنزل الله فى أصحاب السرية ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ . قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الشعر فى هذه الغزوة قول خبيب حين اجمعوا على قتله (قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له) :

لقد جمع الاحزابُ حولى وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهمُ مبدي العداوة جاهدٌ ... عليَّ لأني فى وثاق بمضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقُرِّبْتُ من جذعٍ طويلٍ ممنّع
الى الله أشكو غُربتى ثم كُربتى ... وماأرصدَ الاعداءُ لى عندمصرعى
فذا العرش صبّرْني على ما يُراد بى ... فقد بَضَعوا لحمي وقد ياس مطمعى
وذلك فى ذات الاله وإن يشأ ... يباركْ على أوصال شِلوٍ ممزع
وقد خيروني الكفرَ والموتُ دونه ... وقد هَمَلتْ عيناي من غير مجزع
وما بى حذارُ الموت انى لميّتٌ ... ولكن حُذاري جَحْمُ نار ملفع
فوالله ما أرجو اذا متّ مسلماً ... على أي جَنْب كان فى الله مضجعى
فلستُ بمبدٍ للعدوّ تخشّعاً ... ولا جزَعا انى الى الله مرجعى

وقد تقدم فى صحيح البخارى بيتان من هذه القصيدة وهما قوله :

فلستُ أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي شِقٍّ كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ ... يباركْ على أوصالِ شِلوٍ ممزع

وقال حسان بن ثابت يرثى خبيباً فيما ذكره ابن اسحاق :

ما بالُ عينِك لا ترقا مدامعُها ... سحّاً على الصدر مثلَ اللؤلؤ الفلق
على خُبيبٍ فتى الفتيان قد علموا ... لا فشلٍ حينَ تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيبُ جزاك الله طيّبة ... وجنّةُ الخلد عند الحور في الرُّفُق
ما ذا تقولون إن قال النبي لكم ... حين الملائكةُ الابرارُ في الافق
فيمَ قتلتمْ شهيدَ الله في رجلٍ ... طاغٍ قد اوعث في البلدان والرُّفق

قال ابن هشام : تركنا بعضها لانه أقذع فيها ، وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع من بنى لحيان فيما ذكره ابن اسحاق ، والله أعلم ولله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة

ان سرّك الغدرُ صِرفا لا مِزاجَ له ... فأت الرجيعَ فَسَلْ عن دار لحيان
قومٌ تواصوا بأكل الجار بينهم ... فالكلبُ والقردُ والانسان مِثْلان
لو ينطقُ التيْسُ يوماً قام يخطبُهم ... وكان ذا شرف فيهم وذا شان

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هُذيلا و بنى لحيان على غدرهم بأصحاب الرجيع رضى الله تعالى عنهم أجمعين :

لعمري لقد شانت هذيلَ بنَ مدركٍ ... أحاديثُ كانت فى خبيب وعاصم
أحاديثُ لحيانٍ صُلُوا بقبيحها ... ولحيانُ جرّامون شرَّ الجرائم
أناسٌ همُ من قومهم فى صميمهم ... بمنزلةِ الزمعانِ دُبْرَ القوادم
هم غدروا يوم الرجيع وأسلمت ... أمانتهم ذا عفّة ومكارم
رسولَ رسول الله غدراً ولم تكن ... هذيل توقّى منكَرات المحارم
فسوف يرون النصرَ يوماً عليهم ... بقتل الذى تحميه دون الحرائم
أبابيلُ دَبْرٍ شُمّسٍ دون لحمه ... حمتْ لحم شهّادٍ عظيم الملاحم
لعل هذيلا أن يروا بمصابه ... مصارع قتلى أو مقاما لمأتم
ونُوقِعُ فيها وقعةً ذاتُ صولةٍ ... يوافى بها الرُّكبانُ أهلَ المواسم
بأمر رسول الله ان رسوله ... رأى رأيَ ذى حزمٍ بلحيان عالم
قبيّلةٌ ليس الوفاء يهمّهم ... وإن ظُلموا لم يدفعوا كفَّ ظالم
اذا الناس حلّوا بالفضاء رأيتهم ... بمجرى مسيل الماء بين المخارم
محلهمُ دارُ البوار ورأيهم ... اذا نابهم أمرٌ كرأي البهائم

وقال حسان رضى الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرجيع ويسميهم بشعره كما ذكره ابن اسحاق رحمه الله تعالى :

صلى الإلهُ على الذين تتابعوا ... يوم الرجيع فأكرِموا واثيبوا
رأسُ السريّةِ مرثدٌ وأميرُهم ... وابنُ البكير إمامُهم وخبيب
وابنٌ لطارقَ وابنُ دثنةَ منهم ... وافاه ثَمّ حِمامه المكتوب
والعاصم المقتولُ عند رجيعهم ... كَسَبَ المعالي انه لكسوب
منع المقادةَ أن ينالوا ظهره ... حتى يُجالد إنه لنجيب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

سرية عمرو بن أمية الضمري

قال الواقدي : حدثني ابراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف (وزاد بعضهم على بعض) قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة : ما أحد يغتال محمداً فانه يمشي في الاسواق فندرك ثارنا . فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له : إن أنت وفيتني خرجت اليه حتى أغتاله ، فاني هاد بالطريق خرّيت ، معي خنجر مثل خافية النسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعيراً ونفقه وقال : اطو أمرك فاني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه الى محمد . قال قال العربي لا يعلمه أحد . فخرج ليلا على راحلته فسار خمساً وصبح ظهر الحي يوم سادسه ثم أقبل يسأل عن رسول الله (ص) حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه الى بني عبد الاشهل فخرج الاعرابي يقود راحلته حتى انتهى الى بني عبد الاشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله (ص) فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده . فلما دخل ورآه رسول الله (ص) قال لاصحابه ان هذا الرجل يريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريده . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله (ص) : أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحني على رسول الله (ص) كأنه يساره فجبذه أسيد بن حضير وقال : تنح عن رسول الله (ص) وجذب بداخل ازاره فاذا الخنجر فقال : يارسول الله هذا غادر . فأسقط في يد الاعرابي وقال : دمي دمي يا محمد . وأخذه أسيد بن حضير يلببه فقال له النبي (ص) اصدقني ما أنت وما أقدمك فان صدقتني نفعك الصدق وان كذبتني فقد اطلعتُ على ما هممتَ به . قال العربي فأنا آمن ؟ قال وأنت آمن . فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ثم دعا به من الغد فقال قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله الا الله وأني رسول الله فقال أشهد أن لا إله الا الله وانك

أنت رسول الله والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت ثم اطلعتَ على ماهممتُ به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان . فجعل النبي (ص) يتبسم وأقام أياماً ثم استأذن النبي (ص) فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر وقال رسول الله (ص) لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة ابن أسلم بن حريش أخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فان أصبتما منه غرة فاقتلاه . قال عمرو فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بعيرنا وقال لي صاحبي : ياعمرو هل لك في أن نأتي مكة فنطوف بالبيت سبعاً ونصلي ركعتين فقلت [أنا أعلم بأهل مكة منك انهم اذا أظلموا رشوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و[1]] اني أعرف بمكة من الفرس الابلق . فأبى عليّ فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعاً وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال : عمرو بن أمية واحزناه . فنذر بنا أهل مكة فقالوا ماجاء عمرو في خير . وكان عمرو فاتكا في الجاهلية . فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل . قال عمرو فدخلت في غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا في الجبل وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يختلي لفرسه حشيشا فقلت لسلمة بن أسلم اذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا ، قال فخرجت اليه فطعنته طعنة تحت الثدي بخنجري فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت الى مكاني فدخلت فيه] وقلت لصاحبي لاتتحرك ، فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك ؟ قال عمرو بن أمية الضمري . فقال أبو سفيان قد علمنا أنه لم يأت لخير . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فانه كان بآخر رمق فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [الى التنعيم] فقال صاحبي ياعمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدى ننزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال هو ذاك مصلوب حوله الحرس . فقلت أمهلني وتنح عني فان خشيت شيئا فانحُ الى بعيرك فاقعد عليه فأت رسول الله (ص) فأخبره الخبر ودعني فاني عالم بالمدينة . ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا في أثري فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها يعني صوتها ثم أهلت عليه التراب برجلي فاخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا وكنت لا أدرى مع بقاء نفسي فانطلق صاحبي الى البعير فركبه وأتى النبي (ص) فأخبره وأقبلت حتى أشرفت على الغليل غليل ضجنان فدخلت في غار معي قوسي وأسهمي وخنجري فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بني الدئل بن بكر أعور طويل يسوق غنما ومعزى فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت رجل من

---

(١) هذه الزيادة وما بعدها من الطبري ٣ : ٣٢

بنى بكر فقال وأنا من بنى بكر ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

فلستُ بمسلم مادمتُ حيّاً ولستُ أدينُ دِينَ المسلمينا

فقلت فى نفسى والله أنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قمت اليه فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط ثم خرجت حتى هبطت فلمــا أسهلت فى الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان الاخبار فقلت استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشددته وثاقاً ثم أقبلت به الى النبى (ص) فلما قدمت المدينة أتى صبيان الانصار وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون هذا عمرو فاشتد الصبيان الى النبى (ص) فأخبروه وأتيته بالرجل قد ربطت ابهامه بوتر قوسى فلقد رأيت النبى (ص) وهو يضحك ثم دعا لى بخير . وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام رواه البيهقى . وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم ير له رمة ولاجسداً فلعله دفن مكان سقوطه والله أعلم . وهذه السرية انما استدركها ابن هشام على ابن اسحاق وساقها بنحو من سيــاق الواقدى لها لــكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية فى هذه السرية جبار بن صخر . فالله أعلم ولله الحمد

سرية بئر معونة

وقد كانت فى صفر منها وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال انها كانت بعد الخندق . قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال بعث رسول الله (ص) سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيّان من بنى سُليم رِعْل وذكوان عند بئر يقال لها بئر مَعُونة فقال القوم والله ما إياكم أردنا وانما نحن مجتازون فى حاجة للنبى (ص) فقتلوهم فدعا النبى (ص) عليهم شهراً فى صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنُت . ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بنحوه . ثم قال البخارى حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زُرَيع حدثنا سعيد عن قتــادة عن أنس بن مالك ان رِعْلا وذكوان وعُصيّة وبنى لحيان استمدوا رسول الله (ص) على عدو فأمدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبى (ص) فقنت شهراً يدعو فى الصبح على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصيّة وبنى لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآناً ثم ان ذلك رفع « بلغوا عنا قومنا أنَّا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » ثم قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا همام عن اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة حدثنى أنس ابن مالك ان النبى (ص) بعث حراماً (أخاً لأم سُليم) فى سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر ابن الطفيل خير رسول الله (ص) بين ثلاث خصال فقال يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر أو

أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف فطُعن عامر فى بيت أم فلان فقال غدَّة كغدة البكر فى بيت امرأة من آل فلان، ائتونى بفرسى فمات على ظهر فرسه فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج ورجل من بنى فلان فقال كونا قريباً حتى آتيهم فان آمنونى كنتم قريباً وان قتلونى أتيتم أصحابكم فقال أتؤمنونى حتى أبلغ رسالة رسول الله (ص) فجعل يحدثهم وأومأوا الى رجل فأتاه من خلفه فطعنه قال همام أحسبه حتى أنفذه بالرمح فقال الله أكبر فزتُ ورب الكعبة فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج وكان فى رأس جبل فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ «انا لقد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا» فدعا النبى (ص) ثلاثين صباحاً على رعل وذكوان وبنى لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله . وقال البخارى : حدثنا حِبَّان حدثنا عبد الله أخبرنى معمر حدثنى ثمامة بن عبد الله بن أنس انه سمع أنس بن مالك يقول لما طعن حرام بن ملحان — وكان خاله — يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه وقال فزتُ ورب الكعبة . وروى البخارى عن عبيد بن اسماعيل عن أبى أسامة عن هشام بن عروة أخبرنى أبى قال لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمرى قال له عامر بن الطفيل من هذا وأشار الى قتيل فقال له عمرو بن أمية هذا عامر بن فهيرة قال لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى انى لأنظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع فأتى النبى (ص) خبرهم فنعاهم فقال : ان أصحابكم قد أصيبوا وانهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا اخبر عنا اخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ومنذر بن عمرو وسمى به منذر . هكذا وقع فى رواية البخارى مرسلا عن عروة وقد رواه البيهقى من حديث يحيى بن سعيد عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة فساق من حديث الهجرة وأدرج فى آخره ما ذكره البخارى ههنا فالله أعلم . وروى الواقدى عن مصعب بن ثابت عن أبى الاسود وعن عروة فذكر القصة وشأن عامر ابن فهيرة واخبار عامر بن الطفيل انه رفع الى السماء وذكر ان الذى قتله جبار بن سلمى الكلابى قال ولما طعنه بالرمح قال فزتُ ورب الكعبة ثم سأل جبار بعد ذلك : مامعنى قوله فزت قالوا يعنى بالجنة فقال صدق والله ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك. وفى مغازى موسى بن عقبة عن عروة انه قال لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون ان الملائكة وارته وقال يونس عن ابن اسحاق فأقام رسول الله (ص) يعنى بعد أحد بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ثم بعث أصحاب بئر معونة فى صفر على رأس أربعة أشهر من أحد فحدثنى أبى اسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على رسول الله (ص) بالمدينة

فعرض عليه الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد وقال : يامحمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك. فقال (ص) : انى أخشى عليهم أهل نجد. فقال أبو براء أنا لهم جار . فبعث رسول الله (ص) المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المعنق ليموت فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين فيهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بنى عدى بن النجار وعروة ابن أسماء بن الصلت السلمى ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر فى رجال من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سُليم فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (ص) الى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوا الى مادعاهم وقالوا : لن نُخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سُليم ـ عُصيّة ورِعلا وذكوان والقارة ـ فأجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار فانهم تركوه به رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار من بنى عمرو بن عوف ، فلم ينبئهما بمصاب القوم الا الطير تحوم حول العسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأناً فأقبلا لينظرا ماذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماذا ترى؟ فقال أرى ان نلحق برسول الله (ص) فنخبره الخبر فقال الانصارى لكنى لم أكن لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لأخبر عنه الرجال ، فقاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو أسيراً فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فيما زعم. قال وخرج عمرو بن أمية حتى اذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا فى ظل هو فيه وكان مع العامريين عهد من رسول الله (ص) وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية وقد سألهما حين نزلا ممن أنتما قالا من بنى عامر فأمهلهما حتى اذا ناما عدا عليهما وقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله (ص) فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله (ص) أخبره بالخبر فقال رسول الله (ص) : « لقد قتلتَ قتيلين لأدِيَنّهما » ثم قال رسول الله (ص) : « هذا عمل أبى براء ، قد كنتُ لهذا كارهاً متخوّفاً » فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما أصاب أصحابَ رسول الله (ص) بسببه وجواره ، فقال حسان بن ثابت فى اخفار عامر أبا براء ويحرض بنى أبى براء على عامر :

بنى أمّ البنينَ ألم يرُعْكم   وأنتم منْ ذوائبِ أهلِ نَجْدِ

تهكّمُ عامرٍ بأبي بَراء ليُخفِرَه وما خطأٌ كَعَمد
ألا أَبلغْ ربيعةَ ذا المساعي فماأحدثتَ فى الحَدَثان بعدي
أبوكَ أبو الحروبِ أبو براءٍ وخالُكَ ماجدٌ حَكَمُ بنُ سعد

قال ابن هشام : أم البنين أم أبى براء وهى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه فى فخذه فأشواه ووقع عن فرسه وقال : هذا عمل أبى براء ، إن أمت فدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيى

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى نحو سياق محمد بن اسحاق ، قال موسى وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل مرثد بن أبى مرثد

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة ـ فيما ذكره ابن اسحاق رحمه الله ـ والله أعلم :

على قتلى معونةَ فاستهلّي بدمع العينِ سَحّاً غير نَزْر
على خيلِ الرسولِ غداةَ لاقوا ولاقتْهم مَناياهم بقَدْر
أصابهمُ الفناءُ بعقدِ قوم تُخُوِّنَ عقدُ حبلهمُ بغدر
فيالهفي لمنذرَ إذ تولى وأعنَقَ فى منيّته بصبر
وكائنْ قد أُصيبَ غداةَ ذاكُم من ابيضَ ماجدٍ من سرّ عمرو

غزوة بنى النضير
وفيها سورة الحشر

فى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بنى النضير . وحكى البخارى عن الزهرى عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد ، وقد أسنده ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهرى به ، وهكذا روى حنبل بن اسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقّى عن مطرف بن مازن اليمانى عن معمر عن الزهرى فذكر غزوة بدر فى سابع عشر رمضان سنة ثنتين ، قال ثم غزا بنى النضير ثم غزا أحداً فى شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنة أربع . وقال البيهقى : وقد كان الزهرى يقول هى قبل أحد ، قال وذهب آخرون الى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضاً . قلت : هكذا ذكر ابن اسحاق كما تقدم فانه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك الرجلين من بنى عامر ولم يشعر بعهدهما الذى معهما من رسول الله (ص) ولهذا قال له رسول الله

(ص) « لقدْ قتلتَ رجلين لأَدِيَنَّهما » . قال ابن اسحاق ثم خرج رسول الله (ص) الى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذى كان (ص) أعطاهما وكان بين بنى النضير و بين بنى عامر عهد وحلف فلما أتاهم (ص) قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه (ورسول الله (ص) الى جنب جدار من بيوتهم قاعد) فمن رجلٌ يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة و يريحنا منه . فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ورسول الله (ص) فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى فأتى رسولَ الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً الى المدينة فلما استلبث النبىَّ (ص) أصحابُه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحابُ رسول الله (ص) حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، قال الواقدى فبعث رسول الله (ص) محمد بن مَسلمة يأمرهم بالخروج من جواره و بلده فبعث اليهم أهلُ النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصرة فقويت عند ذلك نفوسهم وحمى حيىُّ بن أحطب و بعثوا الى رسول الله (ص) أنهم لايخرجون و نابذوه بنقض العهود فعند ذلك أمر النـــاس بالخروج اليهم ، قال الواقدى فحاصروهم خمس عشرة ليلة . وقال ابن اسحاق : وأمر النبى (ص) بالتهيُّؤ لحربهم والمسير اليهم . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك فى شهر ربيع الاول . قال ابن اسحاق فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر حينئذ ، وتحصنوا فى الحصون فأمر رسول الله (ص) بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه أن يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب مَن صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها ، قال وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبىّ ووديعة ومالك وسويد وداعس قد بعثوا الى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ماحملت الابل من أموالهم الا الحلقة وقال العوفى عن ابن عباس أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه وسقاً رواه البيهقى وروى من طريق يعقوب بن محمد عن الزهرى عن ابراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة ان رسول الله (ص) بعثه الى بنى النضير وأمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاث ليال . وروى البيهقى وغيره انه كانت لهم ديون مؤجلة فقال رسول الله (ص) ضعوا وتعجلوا . وفى صحته نظر والله أعلم . قال ابن اسحاق فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان من أشراف

من ذهب منهم الى خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وحيي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها . فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث انهم استُقْبِلُوا بالنساء والابناء والاموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ماروئي مثله لحى من الناس فى زمانهم . قال وخلوا الاموال لرسول الله (ص) يعنى النخيل والمزارع فكانت له خاصة يضعها حيث شاء فقسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار الا ان سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقراً فأعطاهما (وأضاف بعضهم اليهما الحارث بن الصمة حكاه السهيلى) . قال ابن اسحاق ولم يُسلم من بنى النضير الا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما . قال ابن اسحاق وقد حدثنى بعض آل يامين ان رسول الله (ص) قال ليامين : ألم تر مالقيتُ من ابن عمك وما همَّ به من شأني؟ فجعل يامين لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله لعنه الله . قال ابن اسحاق فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكمالها يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم ثم شرع ابن اسحاق يفسرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطة فى كتابنا التفسير ولله الحمد . قال الله تعالى : [سبح لله مافى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذىأخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار ولولا أن كتب عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار وذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله ولنجزى الفاسقين] . سبح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة وأخبر انه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز وهو منيع الجناب فلا ترام عظمته وكبرياؤه وانه الحكيم فى جميع ماخلق وجميع ماقدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله (ص) وعباده المؤمنين فى ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه وما كان من السبب المفضى لقتالهم كما تقدم حتى حاصرهم المؤيد بالرعب والرهب مسيرة شهر ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركابهم على انهم لايصحبون شيئاً من السلاح اهانة لهم واحتقاراً فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار . ثم ذكر تعالى انه لو لم يصبهم الجلاءُ وهو التسيير والنفى من جوار الرسول من المدينة لأصابهم ماهو أشد منه من العذاب الدنيوى وهو القتل مع ما ادخر لهم فى الآخرة من العذاب الاليم المقدر لهم . ثم ذكر

تعالى حكمة ماوقع من تحريق نخلهم وترك مابقى لهم وان ذلك كله سائغ فقال ماقطعتم من لينة وهو جيد التمر أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ان الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدراً فلا حرج عليكم فيه ولنعم مارأيتم من ذلك وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد انما هو اظهار للقوة واخزاء للكفرة الفجرة . وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة عن الليث عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله (ص) حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فأنزل الله [ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين] . وعند البخارى من طريق جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان بن ثابت :

وهانَ على سَراة بني لؤيّ ... حريقٌ بالبُويرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدامَ الله ذلك من صَنيعٍ ... وحرّقَ فى نواحيها السعير

ستعلم أيّنا منها بستْرٍ ... وتعلمُ أيّ أرضينا نُضير

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الاشرف فالله أعلم

لقد خزيَتْ بغدرتها الحبور[1] ... كذاك الدهرُ ذو صَرْفٍ يدور

وذلك أنهم كفروا بربّ ... عظيمٍ أمرُهُ أمرٌ كبيرُ

وقد أُوتوا معاً فهماً وعِلماً ... وجاءهُمُ من الله النذير

نذيرٌ صادق أدّى كتاباً ... وآياتٍ مبيِّنة تنير

فقالوا ما أتيتَ بأمرِ صِدق ... وأنتَ بمنكر منا جدير

فقال بلى لقد أدّيتُ حقاً ... يصدّقنى به الفَهِم الخبير

فمن يتبعه يُهدَ لكلّ رُشدٍ ... ومن يكفُرْ به يُخزَ الكفور

فلما أُشرِبوا غدراً وكفراً ... وجدّ بهم عن الحق النَّفور

أرى الله النبيّ برأي صدق ... وكانَ اللهُ يحكم لا يجور

فأيّده وسلّطه عليهم ... وكان نصيرُهُ نِعْمَ النصير

فغُودِرَ منهم كعبٌ صريعاً ... فذلّتْ بعد مَصرعه النضير

على الكفّين ثَمَّ وقد عَلَتْهُ ... بأيدينا مشهَّرة ذكور

بأمر محمد إذ دسّ ليلا ... الى كعبٍ أخا كعبٍ يسير

فماكَرَهُ فأنزله بمكر ... ومحمودٌ أخو ثقة جسور

(١) الحبور جمع حبر ، وهم علماء اليهود . من هامش الاصل

فتلكَ بنو النضير بدار سوء   أبارَهمُ بما اجترموا المبير
غداةَ أتاهمُ فى الزحف رهواً   رسولُ الله وهو بهم بصير
وغسّانُ الحماةُ مؤازروه   على الاعداء وهو لهم وزير
فقال السّلم ويحكمُ فصدّوا   وحالفَ أمرَهم كذب وزور
فذاقوا غِبَّ أمرهم وبالاً   لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلَوا عامدين لقَينقاع   وغُودر منهم نخلٌ ودور

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها لسمال اليهودى ، فتركناها قصداً . قال ابن اسحاق : وكان مما قيل فى بنى النضير قول ابن لقيم العبسى ، ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف الاشجعى :

أهلي فداء لامرئٍ غيرِ هالك   أحلّ اليهود بالحسِيّ المزنّم
يَقيلون فى جَمر العضاه وبُدّلوا   أهيضبَ عوداً بالوَديّ المكمم
فإن يكُ ظنّي صادقاً بمحمد   تروا خيلَه بين الصّلا ويرمرم
يؤمّ بها عمرو بنَ بهثة إنهم   عدد وما حيٌّ صديق كجرم
عليهنّ أبطالٌ مساعيرُ فى الوغى   يهزّون أطراف الوشيج المقوّم
وكلٌّ رقيق الشّفرتين مهنّدٌ   تُوورثن من أزمان عاد وجُرهم
فمن مبلغٌ عنّى قريشاً رسالةً   فهل بعدهم فى المجد من متكرّم
بأنّ أخاكم فاعلمنّ محمدا   تليدُ الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحقّ تجسم أمورُكم   وتسمو من الدنيا الى كل معظم
نبيٌّ تلافته من الله رحمةٌ   ولا تسألوه أمرَ غيبٍ مرجَّم
فقد كانَ فى بدرٍ لعمريَ عبرةٌ   لكم ياقريشُ والقَليب الملمّ
غداةَ أتى فى الخزرجية عامداً   إليكم مطيعاً للعظيم المكرّم
مُعاناً بروح القُدُس ينكى عدوه   رسولاً من الرحمن حقا بمعلم
رسولا من الرحمن يتلو كتابه   فلما أنار الحقُّ لم يتلعثم
أرى أمرَه يزداد فى كل موطن   علوّاً لأمرٍ حمّه اللهُ مُحكَمِ

قال ابن اسحاق وقال على بن أبى طالب ، وقال ابن هشام قالها رجل من المسلمين ولم أر أحداً يعرفها لعلى :

عرفتُ ومن يعتدلْ يعرفِ   وأيقنتُ حقاً ولم أصدفِ

عن الكلِم المحكم اللاء من — لدى الله ذي الرأفة الأرأف
رسائلُ تُدرَسُ فى المؤمنين — بهن اصطفى أحمدَ المصطفى
فأصبحَ أحمد فينا عزيزاً — عزيز المقامة والموقف
فيا أيها المُوعِدُوهُ سَفاهاً — ولم يأتِ جوراً ولم يعنُف
ألستم تخافون أدنى العذابِ — وما آمنُ الله كالأخوف
وان تُصرعوا تحت أسيافه — كمصرع كعبٍ أبى الأشرف
غداةَ رأى اللهُ طغيانه — وأعرضَ كالجمل الأجنف
فأنزلَ جبريلَ فى قتله — بوحيٍ الى عبده ملطف
فدسَّ الرسول رسولاً له — بأبيضَ ذي هبّةٍ مرهَف
فباتت عيونٌ له مُعوِلات — متى يُنعَ كعبٌ لها تذرف
وقلن لأحمدَ ذَرْنا قليلا — فإنا من النَّوحِ لم نشتف
فخلاهمُ ثم قال اظعنوا — دُحوراً على رَغم الآنُف
وأجلى النضيرَ الى غُربة — وكانوا بدارٍ ذوي زُخرف
الى أذرعاتٍ رِدافاً وهمْ — على كلِّ ذي دبرٍ أعجف

وتركنا جوابها أيضاً من سماك اليهودى قصداً

ثم ذكر تعالى حكم الفيء وأنه حكم بأموال بنى النضير لرسول الله (ص) وملكها له فوضعها رسول الله (ص) حيث أراد الله تعالى كما ثبت فى الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله (ص) خاصة فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل مابقى فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله عز وجل. ثم بين تعالى حكم الفيء وأنه للمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان على منوالهم وطريقتهم ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دُولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب. قال الامام احمد حدثنا عارم وعفان قالا حدثنا معتمر سمعت أبى يقول حدثنا أنس بن مالك عن نبى الله (ص) أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أوكما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال: فجعل يرد بعد ذلك. قال: وان أهلى أمرونى أن آتى نبى الله (ص) فاسأله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبى الله (ص) أعطاه أم أيمن أوكما شاء الله. قال: فسألت النبى (ص) فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى وجعلت تقول: كلا والله الذى لا إله إلا هو لا أعطيكهن وقد أعطانيهن أوكما قالت. فقال النبى (ص) لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال

ويقول لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا حتى أعطاها حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به . ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا الى بنى النضير فى الباطن كما تقدم ووعدوهم النصر فلم يكن من ذلك شىء بل خذلوهم أحوج ما كانوا اليهم وغروهم من أنفسهم فقال [ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد أنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون] ثم ذمهم تعالى على جبنهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ثم ضرب لهم مثلا قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين

قصة عمرو بن سعدى القرظى

حين مر على ديار بنى النضير وقد صارت يباباً ليس بها داع ولا مجيب وقد كانت بنو النضير أشرف من بنى قريظة حتى حداه ذلك على الاسلام وأظهر صفة رسول الله (ص) من التوراة . قال الواقدى حدثنا ابراهيم بن جعفر عن أبيه قال : لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو ابن سعدى فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها وفكر ثم رجع الى بنى قريظة فوجدهم فى الكنيسة فنفخ فى بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : ياأباسعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل وكان لايفارق الكنيسة وكان يتأله فى اليهودية . قال رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها ، رأيت منازل اخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل . ولا والتوراة ماسلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة وقد أوقع قبل ذلك بابن الاشرف ذى عزهم ثم بيته فى بيته آمنا وأوقع بابن سنينة سيدهم وأوقع ببنى قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فحصرهم فلم يخرج انسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب . ياقوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمداً والله انكم لتعلمون انه نبى قد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان أبو عمير وابن حراش وهما أعلم يهود جاءانا يتوكفان قدومه وأمرانا باتباعه جاءانا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا هذه ، فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم ، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء . فقال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته فى كتاب باطا التوراة التى نزلت على موسى ليس فى المثانى الذى أحدثنا ، قال فقال له كعب بن أسد : مايمنعك

يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال أنت يا كعب . قال كعب فلم والتوراة ما حلت بينك وبينه قط ، قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ماتقاولا فى ذلك الى أن قال عمرو ما عندي فى أمره إلا ماقلت : ماتطيب نفسي أن أصير تابعاً . رواه البيهقى

غزوة بنى لحيان

ذكرها البيهقى فى الدلائل ، وانما ذكرها ابن اسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه فى جمادى الاولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبنى قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقى والله أعلم . وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره قالوا : لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله (ص) طالباً بدمائهم ليصيب من بنى لحيان غرة ، فسلك طريق الشام ليرى انه لايريد بنى لحيان ، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رؤس الجبال ، فقال رسول الله (ص) : « لو انا هبطنا عسفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة » فخرج فى مائتى راكب حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم ثم انصرفا ، فذكر أبو عياش الزرقى ان رسول الله (ص) صلى بعسفان صلاة الخوف . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثورى عن منصور عن مجاهد عن ابن عياش قال : كنا مع رسول الله (ص) بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله (ص) صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم . ثم قالوا تأتى الآن عليهم صلاة هى أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم . قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر [واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة] قال فحضرت فأمرهم رسول الله (ص) فأخذوا السلاح فصففنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعاً ثم رفع فرفعنا جميعا ثم سجد بالصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا فى مكانهم ثم تقدم هؤلاء الى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء قال ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ثم سجد الصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف . قال فصلاها رسول الله (ص) مرتين مرة بأرض عسفان ومرة بأرض بنى سليم . ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه . وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائى عن الفلاس عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن

محمد بن المثنى و بندار عن غندر عن شعبة ثلاثتهم عن منصور به . وهذا اسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه واحد منهما لكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال غزونا مع رسول الله (ص) قوماً من جهينة فقاتلوا قتالا شديداً فلما أن صلى الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم فأخبر جبريل رسول الله (ص) بذلك وذكر لنا رسول الله (ص) قال : « وقالوا انه ستأتيهم صلاة هي أحب اليهم من الاولاد » فذكر الحديث كنحو ماتقدم

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا هشام عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : « صلى رسول الله (ص) بأصحابه الظهر بنخل فهمّ به المشركون ثم قالوا دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحب اليهم من أبنائهم ، قال فنزل جبريل على رسول الله (ص) فأخبره فصلى بأصحابه صلاة العصر فصفهم صفين بين أيديهم رسول الله والعدو بين يدي رسول الله (ص) ، فكبّر وكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونهم والآخرون قيام فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونه والآخرون قيام فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون ، وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن أبي الزبير عن جابر وقال الامام أحمد ثنا عبد الصمد حدثنا سعيد بن عبيد الهُنائي حدثنا عبد الله بن شقيق حدثنا أبو هريرة أن رسول الله (ص) نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون إن لهؤلاء صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر فأجمعوا أمركم فميلوا عليهم ميلة واحدة . وإن جبريل أتى رسول الله (ص) وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلي ببعضهم ويقدم الطائفة الاخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ثم تأتي الاخرى فيصلون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله (ص) ولرسول الله ركعتان . ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الصمد به وقال الترمذي حسن صحيح . قلت إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خيبر وإلا فهو من مرسلات الصحابي ولا يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم . ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبي داود الطيالسي أمر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر أنها واحدة . بقي الشأن في أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ، فان من العلماء منهم الشافعي من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق فانهم أخروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازي : إن غزوة بني لحيان التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بني قريظة . وقد ذكر الواقدي بأسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله (ص) الى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بأزائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا فأطلعه الله على

ما فى أنفسنا من الهمّ به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف . قلت : وعمرة الحديبية كانت فى ذى القعدة سنة ست بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتى . وفى سياق حديث أبى عياش الزرقي مايقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت فى هذه الغزوة يوم عسفان فاقتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاها والله أعلم . وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها فى كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

غزوة ذات الرقاع

قال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجداً يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر . قال ابن هشام : ويقال عثمان بن عفان ، قال ابن اسحاق فسار حتى نزل نخلاً وهى غزوة ذات الرقاع . قال ابن هشام لانهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع ، وقال الواقدى بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض . وفى حديث أبى موسى : انما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر . قال ابن اسحاق : فلقى بها جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله (ص) بالناس صلاة الخوف ، وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف ههنا عن عبد الوارث بن سعيد التنورى عن يونس بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله وعن عبد الوارث عن أيوب عن أبى الزبير عن جابر وعن عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ولكن لم يذكر فى هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا مكان وفى كون غزوة ذات الرقاع التى كانت بنجد لقتال بنى محارب وبنى ثعلبة بن غطفان قبل الخندق نظر . وقد ذهب البخارى الى أن ذلك كان بعد خيبر واستدل على ذلك بأن أبا موسى الاشعرى شهدها كما سيأتى وقدومه انما كان ليالى خيبر صحبة جعفر وأصحابه وكذلك أبو هريرة وقد قال صليت مع رسول الله (ص) فى غزوة نجد صلاة الخوف ، ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر انما أجازه رسول الله (ص) فى القتال أول ماأجازه يوم الخندق. وقد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال : غزوتُ مع رسول الله (ص) قبل نجد فذكر صلاة الخوف ، وقول الواقدى انه عليه السلام خرج الى ذات الرقاع فى أربعمائة ويقال سبعمائة من اصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس فيه نظر ، ثم لايحصل به نجاة من أن صلاة الخوف انما شرعت بعد الخندق لان الخندق كان فى شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل فى شوال سنة أربع ، فتحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبى موسى وأبى هريرة فلا .

قصة غورث بن الحارث

قال ابن اسحاق فى هذه الغزوة : حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلا من بنى محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا بلى وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل الى رسول الله (ص) وهو جالس ، وسيف رسول الله (ص) فى حجره . فقال يا محمد ، أنظر الى سيفك هذا ؟ قال : نعم ، فأخذه ثم جعل يهزه ويهم ، فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أما تخافنى ؟ قال : لا ، ما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يدى السيف . قال : لا ، يمنعني الله منك . ثم عمد الى سيف النبى (ص) فرده عليه فأنزل الله عز وجل [يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم اذ همّ قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون] . قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن رومان أنها انما أنزلت فى عمرو بن جحاش أخى بنى النضير وماهمّ به . هكذا ذكر ابن اسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدرى رأس الفرقة الضالةوهو وان كان لايتهم بتعمد الكذب فى الحديث إلا أنه ممن لا ينبغى أن يروى عنه لبدعته ودعائه اليها ، وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد . فقد أورد الحافظ البيهقى ها هنا طرقا لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهى ثابتة فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سنان بن أبى سنان وأبى سلمة عن جابر أنه غزا مع رسول الله (ص) غزوة نجد فلما قفل رسول الله (ص) أدركته القائلة فى واد كثير العضاه فتفرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله (ص) تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه . قال جابر : فنمنا نومة فاذا رسول الله (ص) يدعونا فأجبناه واذا عنده اعرابى جالس فقال رسول الله (ص) : ان هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتاً فقال من يمنعك منى ؟ قلت : الله . فقال من يمنعك منى ؟ قلت الله . فشام السيف وجلس ولم يعاقبه رسول الله (ص) وقد فعل ذلك ، وقد رواه مسلم أيضاً عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عفان عن أبان عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله (ص) حتى إذا كنا بذات الرقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله (ص) فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله (ص) معلق بشجرة ، فأخذ سيف رسول الله فاخترطه وقال لرسول الله (ص) تخافنى ؟ قال : لا . قال فمن يمنعك منى ؟ قال : الله يمنعنى منك قال : فهدده أصحاب رسول الله (ص) فأغمد السيف وعلقه . قال : ونودى بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين قال : فكانت لرسول الله (ص) أربع ركعات وللقوم ركعتان . وقد علقه البخارى بصيغة الجزم عن أبان به . قال البخارى وقال مسدد

عن أبي عوانة عن أبي بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث . وأسند البيهقي من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين غره فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال من يمنعك منى قال الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال : جئتكم من عند خير الناس . ثم ذكر صلاة الخوف وانه صلى أربع ركعات بكل طائفة ركعتين . وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن أبي حثمة ، وحديث الزهري عن سالم عن أبيه في صلاة الخوف بنجد وموضع ذلك كتاب الاحكام . والله أعلم

قصة الذي أصيبت امرأته يومئذ

قال محمد بن اسحاق حدثني عمي صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل فاصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله ﷺ ، قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دما فخرج يتبع إثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلا فقال من رجل يكلأنا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار . فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فلما خرجا الى فم الشعب قال الانصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله ، فاضطجع المهاجري فنام وقام الانصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فانتزعه ووضعه وثبت قائما قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائما قال ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت قال: فوثب الرجل فلما رآهما عرف أنه قد نذرا به فهرب قال: ولما رأى المهاجري ما بالانصاري من الدماء قال سبحان الله أفلا أهببتني أول ما رماك قال كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على الرمي ركعت فآذنتك وأيم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها . هكذا ذكره ابن اسحاق في المغازي وقد رواه أبو داود عن أبي توبة عن عبد الله بن المبارك عن ابن اسحاق به . وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن ابيه حديث صلاة

الخوف بطوله قال وكان رسول الله (ص) قد أصاب فى محالهم نسوة ، وكان فى السبى جارية وضيئة وكان زوجها يحبها فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبته ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن اسحاق .قال الواقدى وكان جابر بن عبد الله يقول بينا أنا مع رسول الله (ص) اذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله (ص) ينظر اليه فأقبل اليه أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه فى يدى الذى أخذ فرخه فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك فقال رسول الله (ص) أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه فوالله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه

قصة جمل جابر

قال محمد بن اسحاق : حدثنى وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله (ص) الى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لى ضعيف فلما قفل رسول الله (ص) جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف حتى أدركنى رسول الله (ص) فقال : مالك ياجابر ؟ قلت يارسول الله أبطأ بى جملى هذا . قال : أنخه ، قال فأنخته وأناخ رسول الله (ص) ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك أو اقطع عصا من شجرة ففعلت فأخذها رسول الله (ص) فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب فركبت فخرج والذى بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة . قال : وتحدثت مع رسول الله (ص) فقال : أتبيعنى جملك هذا ياجابر ؟ قال : قلت بل أهبه لك قال : لا ولكن بعنيه ، قال : قلت فسُمْنيه ، قال : قد أخذته بدرهم ، قال قلت : لا اذاً تغبننى يارسول الله ، قال : فبدرهمين ، قال : قلت لا ، قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله (ص) حتى بلغ الاوقية ، قال فقلت : أفقد رضيتَ ؟ قال : نعم ، قلت فهو لك ، قال : قد أخذته ثم قال : ياجابر هل تزوجت بعد ، قال قلت : نعم يارسول الله ، قال : أثيباً أم بكراً ، قال : قلت بل ثيباً ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ، قال : قلت يارسول الله ان أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رءوسهن فتقوم عليهن . قال : أصبتَ ان شاء الله ، أما انا لو جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها ، قال : فقلت والله يارسول الله مالنا نمارق ، قال : انها ستكون فاذا أنت قدمت فاعمل عملا كيساً ، قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله (ص) بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله (ص) دخل و دخلنا . قال : فحدثتُ المرأة الحديث وما قال لى رسول الله (ص) ، قالت : فدونك فسمع وطاعة فلما أصبحتُ أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله (ص) ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله (ص)

فرأى الجمل فقال : ماهذا ، قالوا : يارسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعيت له ، قال فقال : ياابن أخي خذ برأس جملك فهو لك ، قال : ودعا بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية ، قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، قال : فوالله مازال ينمي عندي ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا. يعني يوم الحرة . وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمري عن وهب بن كيسان عن جابر بنحوه . قال السهيلي : في هذا الحديث اشارة الى ما كان أخبر به رسول الله (ص) جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكلمه فقال له تمنّ عليّ . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى [ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم] وزادهم على ذلك في قوله [للذين أحسنوا الحسنى وزيادة] ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فرد عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم فقال [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون] والروح للانسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال : فلذلك اشترى رسول الله (ص) من جابر جمله وهو مطيته فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك . قال ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه . وهذا الذي سلكه السهيلي هاهنا اشارة غريبة وتخيل بديع والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد ترجم الحافظ البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظاهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبد الله رضي الله عنه .وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير في كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الاحكام والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وجاء تقييده بغيرها كما سيأتي ومستبعد تعداد ذلك والله أعلم

غزوة بدر الآخرة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا اليها من أحد كما تقدم . قال ابن اسحاق : ولما رجع رسول الله (ص) الى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجباً ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول . قال ابن اسحاق فنزل رسول الله (ص) بدراً وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول قد بلغ عسفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يامعشر قريش انه لايصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا . فرجع الناس فسماهم أهل مكة

جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق . قال وأتى مخشى بن عمرو الضمرى وقد كان وادع النبى ص ، فى غزوة ودان على بنى ضمرة فقال : يامحمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضمرة وان شئت رددنا اليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يامحمد مالنا بذلك من حاجة . ثم رجع رسول الله ص الى المدينة ولم يلق كيداً . قال ابن اسحاق وقد قال عبد الله بن رواحة يعنى فى انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك قال ابن هشام وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك :

وَعَدْنا أبا سفيانَ بدراً فلم نجد ... لميعاده صِدقاً وما كان وافيا
فأقسمُ لو لاقيْتَنا فلقِيتَنا ... لأُبتَ دمياً وافتقدت المواليا
تركْنا به أوصال عتبةَ وابنَه ... وعمرا أبا جهل تركناه ثاويا
عصيْتُم رسولَ الله افٍ لدينكم ... وأمركم السّيّء الذي كان غاويا
فإنى وان عنَّفتمونى لقائل ... فِدى لرسول الله أهلى وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيْره ... شهاباً لنا فى ظُلمة الليل هاديا

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دعوا فَلَجاتِ الشام قد حالَ دونها ... جِلادٌ كأفواه المخاض الأوارك
بأيدىْ رجالٍ هاجروا نحو ربِّهم ... وأنصارِه حقّاً وايدي الملائك
اذا سلكتْ للغورِ من بطن عالجٍ ... فقولا لها ليس الطريق هنالك
أقمنا على الرسِّ النَّزوعَ ثمانيا ... بأرعنَ جرّارٍ عريض المبارك
بكل كُميْتٍ جَوْزُه نصفُ خَلْقِه ... وقُبٍّ طِوالٍ مُشرفات الحوارك
ترى العرفجَ العاميَّ تذرِي أصولَه ... مناسِمُ اخفافِ المطيّ الرواتك
فان تلقَ فى تطوافنا والتماسنا ... فراتَ بنَ حيّانٍ يكنْ رهْنَ هالك
وان تلقَ قيسَ بنَ أمرىءْ القيس بعده ... يزدْ فى سَواد لونه لون حالك
فأبلغ أبا سفيان عنى رسالةً ... فانّك من غرِّ الرجال الصعالك

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم فيما بعد ذلك :

أحسّانُ إنا ياابنَ آكلة الفغا ... وجدِّك نغتال الخُروقَ كذلك
خرجنا وما تنجو اليعافيرُ بيننا ... ولو وألتْ منا بشد مدارك
اذا ما انبعثْنا من مُناخٍ حسبْتَه ... مدمَّنَ أهل الموسم المتعارك
أقمتَ على الرسِّ النزوعَ تُريدنا ... وتتركُنا فى النخل عند المدارك

على الزرع تمشى خيلُنا وركابُنا ... فما وطئتْ ألصقنَه بالدكادك
أقمنا ثلاثاً بين سَلعٍ وفارعٍ ... بِجُرْدِ الجيادِ والمطيِّ الرواتك
حسبتم جِلادَ القوم عند فنائكم ... كأخذكم بالعين أرطال آنك
فلا تبعثِ الخيلَ الجيادَ وقل لها ... على نحوِ قولِ المعصِم المتماسك
سَعِدتم بها وغيرُكم كانَ أهلَها ... فوارسُ من أبناء فِهرِ بنِ مالك
فانك لا في هجرةٍ إن ذكرتَها ... ولا حُرمات دِينها أنتَ ناسك

قال ابن هشام: تركنا منها أبياتاً لاختلاف قوافيها، وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهرى وابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله (ص) استنفر النـاس لموعد أبى سفيان وانبعث المنافقون فى الناس يثبطونهم فسلم الله أولياءه، وخرج المسلمون صحبة رسول الله (ص) الى بدر وأخفوا معهم بضائع وقالوا إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر ثم ذكر نحو سياق ابن اسحاق فى خروج أبى سفيان الى مجنة ورجوعه وفى مقاولة الضمرى، وعرض النبى (ص) المنـابذة فأبى ذلك. قال الواقدى: خرج رسول الله (ص) اليهـا فى ألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن رَواحة. وكان خروجه اليهـا فى مستهل ذى القعدة يعنى سنة أربع، والصحيح قول ابن اسحاق أن ذلك فى شعبان من هذه السنة الرابعة ووافق قول موسى بن عقبة أنهـا فى شعبان لـكن قال فى سنة ثلاث وهذا وهم فان هذه تواعدوا اليهـا من أحد وكانت أحد فى شوال سنة ثلاث كما تقدم والله أعلم. قال الواقدى: فأقاموا ببدر مدة الموسم الذى كان ينعقد فيها ثمانية أيام فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين. وقال غيره: فانقلبوا كما قال الله عز وجل: ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾

فصل

فى جملة من الحوادث الواقعة سنة اربع من الهجرة

قال ابن جرير: وفى جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضى الله عنه يعنى من رقية بنت رسول الله (ص) وهو ابن ست سنين فصلى عليه رسول الله (ص) ونزل فى حفرته والده عثمان بن عفان رضى الله عنه. قلت: وفيه توفى أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى وأمه برّة بنت عبد المطلب عمة رسول الله

(ص) وكان رضيع رسول الله (ص) ارتضعا من ثويبة مولاة أبي لهب . وكان اسلام أبي سلم وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والارقم بن أبي الارقم قديماً في يوم واحد ، وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة الى أرض الحبشة ثم عاد الى مكة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة الى المدينة وتبعته أم سلمة الى المدينة كما تقدم ، وشهد بدراً وأحداً ومات من آثار جرح جُرحه بأحد رضي الله عنه وأرضاه ، له حديث واحد في الاسرجاع عند المصيبة سيأتي في سياق تزويج رسول الله (ص) بأم سلمة قريباً . قال ابن جرير : وفي ليال خلون من شعبان منها ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله (ص) ورضي الله عنهم . قال وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله (ص) زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية . وقد حكى أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني انه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استغربه وقال لم أره لغيره . وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم واحسانها اليهم . وأصدقها ثنتي عشرة أوقية ونشا ودخل بها في رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها . قال أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . قال ابن الأثير في الغابة : وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أُحد . قال أبو عمر : ولا خلاف انها ماتت في حياة رسول الله (ص) ، وقيل لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضي الله عنها ، وقال الواقدي في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله (ص) أم سلمة بنت أبي أمية . قلت : وكانت قبله عند زوجها أبي اولادها أبي سلمة بن عبد الاسد وقد كان شهد أحداً كما تقدم وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ ، ثم خرج في سرية فغنم منها نعما ومغنماً جيدا ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الاولى من هذه السنة ، فلما حلت في شوال خطبها رسول الله (ص) الى نفسها بنفسه الكريمة وبعث اليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً فتذكر أنها امرأة غيرى أي شديدة الغيرة وانها مصبية أي لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون الى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقال : أما الصبية فالى الله والى رسوله أي نفقتهم ليس اليك ، وأما الغيرة فادعو الله فيذهبها ، فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ماقالت له : قم فزوّج النبي (ص) تعني قد رضيت وأذنت . فتوهم بعض العلماء انها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة وقد كان إذ ذاك صغيراً لايلي مثله العقد ، وقد جمعتُ في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك ولله الحمد والمنة . وان الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو أكبر ولدها وساغ هذا لان أباه ابن عمها فللابن ولاية أمه اذا كان

سبباً لها من غير جهة البنوة بالاجماع . وكذا اذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض البنوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده وخالفه الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله. ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه وهو كتاب النكاح من الاحكام الكبير إن شاء الله

قال الامام أحمد : حدثنا يونس حدثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة ابن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ص ، فقال : لقد سمعت من رسول الله ص قولا سررت به ، قال : « لايصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا فعل به » . قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفى أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها . ثم رجعت الى نفسي فقلت : من أين لي خير من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ص ، وأنا أدبغ إهاباً لي فغسلت يدي من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبني الى نفسي ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله مابي أن لا تكون بك الرغبة ، ولكني امرأة بي غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال . فقال : أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ماذكرت من العيال فانما عيالك عيالي ؛ فقالت : فقد سلمت لرسول الله ص . فقالت أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه رسول الله ص . وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عمر بن أبي سلمة عن أمه أم سلمة عن أبي سلمة به . وقال الترمذي حسن غريب . وفي رواية للنسائي عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن قدامة الجمحي عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة به .

وقال ابن اسحاق : ثم انصرف رسول الله ص ـ يعني من بدر الموعد ـ راجعاً الى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولي تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع . وقال الواقدي : وفي هذه السنة يعني سنة أربع أمر رسول الله ص زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود . قلت : فثبت عنه في الصحيح أنه قال تعلمته في خمسة عشر يوماً والله أعلم

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجندل في ربيع الأول منها

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل . قال ابن هشام فى ربيع الاول ، – يعنى من سنة خمس – واستعمل على المدينة سباع بن عُرفُطة الغفارى ، قال ابن اسحاق : ثم رجع الى المدينة قبل أن يصل اليها ولم يلقَ كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن اسحاق . وقد قال محمد بن عمر الواقدى باسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدنو الى أدانى الشام ، وقيل له ان ذلك مما يفزع قيصر ، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يظلمون من مرّ بهم ، وكان لها سوق عظيم وهم يريدون أن يدنوا من المدينة . فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فخرج فى ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بنى عذرة يقال له مذكور هادٍ خريت . فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بنى تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب فى كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياما ، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن سلمة رجلا منهم فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن أصحابه فقال هربوا أمس ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فاسلم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة . قال الواقدى : وكان خروجه عليه السلام الى دومة الجندل فى ربيع الآخر [1] سنة خمس . قال : وفيه توفيت أم سعد بن عبادة وابنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة وقد قال أبو عيسى الترمذى فى جامعه : حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أم سعد ماتت والنبى صلى الله عليه وسلم غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضى أنه عليه السلام غاب فى هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدى رحمه الله

غزوة الخندق أو الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الاحزاب فقال تعالى [يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا * إذ

(١) في تاريخ ابن جرير عن الواقدي أنه في ربيع الاول .

جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلىَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديداً * واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبيّ يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون إلا فِرارا * ولو دُخلتْ عليهم من أقطارها ثم سُئلوا الفتنةَ لَأتوْها وما تلبّثوا بها إلا يسيرا * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا * قل لن ينفعكم الفِرارُ إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تُمتّعون إلا قليلا * قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أوأراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليّاً ولا نصيرا * قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلمّ الينا ولا يأتون البأس إلا قليلا * أشحةً عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يُغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبطَ الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا * يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودّوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن أنبائكم ولوكانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا * لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا * ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا * ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إنْ شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما * وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا] وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات فى التفسير ولله الحمد والمنة ، ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

وقد كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن اسحاق وعروة ابن الزبير وقتادة والبيهقى وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى أنه قال : ثم كانت وقعة الاحزاب فى شوال سنة أربع . وكذلك قال الامام مالك بن أنس فيما رواه احمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه . قال البيهقى : ولا اختلاف بينهم فى الحقيقة لان مرادهم ان ذلك بعد مضيّ أربع سنين وقبل استكمال خمس ، ولاشك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المسلمين الى بدر العام القابل ، فذهب النبى (ص) وأصحابه كما تقدم فى شعبان سنة أربع

ورجع أبو سفيان بقريش لجدب ذلك العام فلم يكونوا ليأتوا الى المدينة بعد شهرين ، فتعين أن الخندق فى شوال من سنة خمس والله أعلم . وقد صرح الزهرى بان الخندق كانت بعد أحد بسنتين ولا خلاف أن أحداً فى شوال سنة ثلاث الا على قول من ذهب الى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الاول الى آخرها كما حكاه البيهقى . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوى وقد صرح بان بدراً فى الاولى ، وأحداً فى سنة ثنتين ، و بدر الموعد فى شعبان سنة ثلاث ، والخندق فى شوال سنة أربع . وهذا مخالف لقول الجمهور فان المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الاول سنة الهجرة ، فصارت الاقوال ثلاثة والله أعلم . والصحيح قول الجمهور أن أحداً فى شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم . فاما الحديث المتفق عليه فى الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال : عُرضتُ على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزنى ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فاجازنى ، فقد أجاب عنها جماعة من العلماء منهم البيهقى بانه عرض يوم أحد فى أول الرابعة عشرة ، ويوم الاحزاب فى أواخر الخامسة عشرة . قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه فى يوم الاحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التى يجاز لمثلها الغلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال : ان هذا الفرق بين الصغير والكبير . ثم كتب به الى الآفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء والله أعلم

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن اسحاق وغيره . قال ابن اسحاق : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس . فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة ومن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظى والزهرى وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا وبعضهم يحدث مالا يحدث بعض . قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق النضرى وحيى بن أخطب النضرى وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس الوائلى وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يامعشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله فيهم [ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين

آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا] الآيات . فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله (ص) ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب النبي (ص) وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رُخيلة بن نويره ابن طريف بن سُحْمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله (ص) وما أجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة قال ابن هشام : يقال ان الذي أشار به سلمان . قال الطبري والسهيلي : أول من حفر الخنادق منوشهر بن أيرج بن أفريدون وكان في زمن موسى عليه السلام . قال ابن اسحاق : فعمل فيه رسول الله (ص) ترغيباً للمسلمين في الاجر ، وعمل معه المسلمون ، وتخلف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف ، ومنهم من يتسللُ خفية بغير اذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام . وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى [إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم * لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، ألا ان لله ما في السماوات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم]

قال ابن اسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى احكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعيل سماه رسول الله (ص) عمراً ، فقالوا فيما يقولون :

سمّاه من بعد جُعيلٍ عَمْرًا ... وكانَ للبائس يوماً ظَهرا

وكانوا اذا قالوا عمراً قال معهم رسول الله (ص) عمرا ، واذا قالوا ظهراً قال لهم ظهرا . وقد قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً قال : خرج رسول الله (ص) الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال : « اللهم ان العيش عيش الآخره ، فاغفر الأنصارَ والمهاجره » فقالوا مجيبين له :

نحنُ الّذين بايَعوا محمّدا ... على الجهادِ مابَقينا أبَدا

وفى الصحيحين من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس نحوه . وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن أنس بنحوه . وقال البخارى حدثنا أبو مَعْمَر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال : جعل المهاجرون والانصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا   على الاسلام مابقينا أبدا

قال يقول النبى (ص) مجيباً لهم «اللهم انه لاخير الا خير الآخره ، فبارك فى الانصار والمهاجره» قال يؤتون بملء كفى من الشعير فيصنع لهم باهالة سنخة توضع بين يدى القوم والقوم جياع ، وهى بشعة فى الحلق ولها ريح منتن . وقال البخارى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : كنا مع رسول الله (ص) فى الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا ، فقال رسول الله (ص) : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والانصار » . ورواه مسلم عن القعنبى عن عبد العزيز به . وقال البخارى : حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا شعبة عن أبى اسحاق عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله (ص) ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبر بطنه يقول :

والله لولا اللهُ ما اهتدينا   ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلنْ سَكِينةً علينا   وثبِّتِ الاقدامَ إن لاقينا
إنّ الأُلى قد بَغَوا علينا   إذا أرادوا فِتنةً أبينا

ورفع بها صوته : أبينا ، أبينا . ورواه مسلم من حديث شعبة به . ثم قال البخارى : حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة حدثنى ابراهيم بن يوسف حدثنى أبى عن أبى اسحاق عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله (ص) رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى الترابُ جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رَواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا   ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلنْ سَكِينةً علينا   وثبّتِ الاقدامَ إن لاقينا
ان الأُلى قدَ بغوا علينا   وإن أرادوا فِتنةً أبينا

ثم يمد صوته بآخرها . وقال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد ابن عبيد الصفار حدثنا اسماعيل بن الفضل البجلى حدثنا ابراهيم بن يوسف البلخى حدثنا المسيب ابن شريك عن زياد بن أبى زياد عن أبى عثمان عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب فى

الخندق وقال: بسمِ الله وبه هُدينا ولو عبدْنا غيرَه شَقينا
يا حبّذا ربًّا وحبَّ دِينا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان حدثنا شعبة عن مُعاوية ابن قرة عن أنس ان رسول الله (ص) قال وهم يحفرون الخندق : « اللهم لاخير الا خير الآخره ، فأصلح الانصار والمهاجره » وأخرجاه فى الصحيحين من حديث غندر عن شعبة

قال ابن اسحاق وقد كان فى حفر الخندق أحاديث بلغتني من الله فيها عبرة فى تصديق رسول الله (ص) وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون . فمن ذلك ان جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كُدْيَة ، فشكوها الى رسول الله (ص) فدعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب ماترد فأساً ولا مسحاة . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه . وقد قال البخاري رحمه الله حدثنا خلاّد بن يحيى حدثنا عبدالواحد ابن أيمن عن أبيه قال : أتيت جابراً فقال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْية شديدة فجاؤا النبى (ص) فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق ، فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذَواقا فأخذ النبى (ص) المعول فضرب فعاد كثيباً أهْيَلَ أوأهْيَمَ فقلت يارسول الله ائذن لى الى البيت ، فقلت لامرأتى رأيت بالنبى (ص) شيئاً ماكان فى ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت عندى شعير وعَنَاق ، فذبحتُ العناق وطحَنَتِ الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ثم جئت النبى (ص) والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافى قد كادت أن تنضَج فقلت طعيِّم لى فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان . قال كم هو ؟ فذكرت له ، فقال كثير طيب ، قل لها لاتنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى ، فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار . فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبى (ص) بالمهاجرين والانصار ومن معهم . قالت هل سألك ؟ قلت نعم فقال ادخلوا ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمّر البرمة والتنور اذا أخذ منه ويقرّب الى أصحابه ، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبزَ ويغرف حتى شبعوا وبقى بقية قال : كلى هذا وأهدى ، فان الناس أصابتهم مجاعة . تفرد به البخارى . وقد رواه الامام أحمد عن وكيع عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أيمن الحبشي مولى بنى مخزوم عن جابر بقصة الكدية وربط الحجر على بطنه الكريم . ورواه البيهقى فى الدلائل عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر بقصة الكدية والطعام وطوله أتم من رواية البخارى قال فيه : لما علم النبى (ص) بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً قوموا الى جابر فقاموا ، قال فلقيت من

الحياء مالا يعلمه إلا الله وقلت جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق. ودخلت على امرأتى أقول : افتضحت جاءك رسول الله (ص) بالخندق أجمعين ، فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت الله ورسوله أعلم . قال فكشفت عنى غماً شديداً ، قال فدخل رسول الله (ص) فقال خدمى ودعينى من اللحم . وحمل رسول الله (ص) يثرد ويغرف اللحم ويخمر هذا ويحمر هذا فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا ، ثم قال رسول الله (ص) كلى واهدى فلم تزل تأكل وتهدى يومها . وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر به وأبسط أيضاً ، وقال فى آخره : وأخبرنى أنهم كانوا ثمانمائة أو قال ثلثمائة . وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن أبى الزبير عن جابر . فذكر القصة بطولها فى الطعام فقط وقال وكانوا ثلثمائة . ثم قال البخارى : حدثنى عمرو بن على حدثنا أبو عاصم حدثنا حنظلة بن أبى سفيان عن أبى الزبير حدثنا ابن ميناء سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حفر الخندق رأيت من النبى (ص) خمصاً فانكفأت الى امرأتى فقلت هل عندك شىء فانى رأيت برسول الله (ص) خمصاً شديداً . فأخرجت لى جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها فطحنت ففرغت الى فراغى وقطعتها فى برمتها ثم وليت الى رسول الله (ص) فقالت لاتفضحنى برسول الله (ص) وبمن معه فجئته فساررته فقلت يارسول الله ذبحت بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله (ص) فقال : يا أهل الخندق ان جابراً قد صنع سؤراً فحيهلا بكم ، فقال رسول الله (ص) لاتنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء . فجئت وجاء رسول الله (ص) يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت بك وبك . فقلت قد فعلت الذى قلت . فأخرجت لنا عجيناً فبسق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبسق وبارك ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معكِ واقدحى من برمتك ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا كما هو . ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبى عاصم به نحوه . وقد روى محمد بن اسحاق هذا الحديث وفى سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال حدثنى سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال : عملنا مع رسول الله (ص) فى الخندق وكانت عندى شويهة غير جد سمينة قال فقلت والله لو صنعناها لرسول الله (ص) قال وأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله (ص) فلما أمسينا وأراد رسول الله (ص) الانصراف عن الخندق قال وكنا نعمل فيه نهاراً فاذا أمسينا رجعنا الى أهالينا فقلت يارسول الله انى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فانا أحب أن تنصرف معى الى منزلى قال وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله (ص) وحده . قال فلما أن قلت ذلك قال نعم ثم أمر صارخاً فصرخ أن

انصرفوا مع رسول الله (ص) الى بيت جابر بن عبد الله . قال قلت انا لله وانا اليه راجعون . قال فاقبل رسول الله (ص) وأقبل الناس معه فجلس وأخرجناها اليه قال فبرك وسمى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها . والعجب أن الامام احمد انما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق عنه عن جابر مثله سواء . قال محمد بن اسحاق وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعتني أمي عمرة بنت رواحة فاعطتني حفنة من تمر في ثوبي ثم قالت أى بنية اذهبي الى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . قالت فاخذتها وانطلقت بها فمررت برسول الله (ص) وأنا ألتمس أبي وخالي فقال تعالى يا بنية ماهذا معك قالت قلت يارسول الله هذا تمر بعثتني به أمي الى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال هاتيه قالت فصببته في كفي رسول الله (ص) فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لانسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أن هلم الى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب . هكذا رواه ابن اسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد .

قال ابن اسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله (ص) قريب مني فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال قلت : نعم . قال : أما الاولى فان الله فتح بها علي اليمن وأما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق . قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن اسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في مغازيه ، وذكره أبو الاسود عن عروة ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكديمي وفي حديثه نظر . لكن رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده فذكر حديثاً فيه أن رسول الله (ص) خط الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال : واحتق المهاجرون والانصار في سلمان فقال رسول الله (ص) سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من الانصار في أربعين ذراعاً فحفرنا حتى اذا بلغنا الندى ظهرت لنا صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان الى رسول الله (ص) ، وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها فجاء

فاخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لا بتيها ـ يعنى المدينة ـ حتى كأنها مصباح فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله (ص) وسألوه عن ذلك النور ، فقال : لقد أضاء لى من الاولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فاخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فابشروا ، واستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صادق . قال : ولما طلعت الاحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايماناً وتسليما . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل فيهم [واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا] وهذا حديث غريب . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا هارون بن ملول حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال لما أمر رسول الله (ص) بالخندق تخندق على المدينة قالوا يا رسول الله انا وجدنا صفاة لا نستطيع حفرها فقام النبي (ص) وقمنا معه فلما أتاها أخذ المعول فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال فتحت فارس ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال فتحت الروم ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال : جاء الله بحمير أعواناً وأنصارا . وهذا أيضا غريب من هذا الوجه وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقى فيه ضعف فالله أعلم . وقال الطبرانى أيضا : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى سعيد بن محمد الجرمى حدثنا أبو تميلة حدثنا نعيم بن سعيد الغرى أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال : احتفر رسول الله (ص) الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع فلما رأى ذلك رسول الله (ص) قال : هل دللتم على رجل يطعمنا أكلة ؟ قال رجل نعم . قال أما لا فتقدم فدلنا عليه . فانطلقوا الى [بيت] الرجل فاذا هو فى الخندق يعالج نصيبه منه فارسلت امرأته أن جيء فان رسول الله (ص) قد أتانا فجاء الرجل يسعى وقال : بأبى وأمى وله معزة ومعها جديها فوثب اليها فقال النبي (ص) الجدى من ورائها فذبح الجدى وعمدت المرأة الى طحينة لها فعجنتها وخبزت فادركت القدر وثردت قصعتها فقربتها الى رسول الله (ص) وأصحابه فوضع رسول الله (ص) اصبعه فيها وقال بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا فاكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقى ثلثاها فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا الينا بعدتكم فذهبوا

فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ثم قام ودعا لربة البيت وسمت عليها وعلى أهل بيتها، ثم مشوا الى الخندق فقال: اذهبوا بنا الى سلمان، واذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها، فقال رسول الله (ص): دعونى فأكون أول من ضربها. فقال: بسم الله. فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال الله اكبر قصور فارس ورب الكعبة. فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم، ثم قال الحافظ البيهقى: أخبرنا على بن احمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا هوذة حدثنا عوف عن ميمون بن استاذ الزهرى حدثنى البراء بن عازب الانصارى قال لما كان حين أمرنا رسول الله (ص) بحفر الخندق عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لاتأخذ فيها المعاول فشكوا ذلك الى رسول الله (ص) فلما رآها أخذ المعول وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله اكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر قصورها الحمر ان شاء الله، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال الله اكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصر المدائن الابيض، ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة.

وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن استاذ هذا وهو بصرى روى عن البراء وعبد الله بن عمرو وعنه حميد الطويل والجريرى وعوف الاعرابى قال أبو حاتم عن اسحاق بن منصور عن ابن معين كان ثقة وقال على بن المدينى كان يحيى بن سعيد القطان لايحدث عنه. وقال النسائى حدثنا عيسى بن يونس حدثنا ضمرة عن أبى زرعة السيبانى عن أبى سكينة رجل من البحرين عن رجل من أصحاب النبى (ص) قال لما أمر رسول الله (ص) بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبى (ص) وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال [وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم] فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسى قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله (ص) برقة ثم ضرب الثانية وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلمات الله وهو السميع العليم فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فرآها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر الثلث الباقى وخرج رسول الله (ص) فأخذ رداءه وجلس فقال سلمان: يارسول الله رأيتك حين ضربت لاتضرب ضربة الا كانت معها برقة قال رسول الله (ص): ياسلمان رأيت ذلك؟ قال أى والذى بعثك بالحق يارسول الله قال فانى حين ضربت الضربة الاولى رفعت لى مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعينى فقال له من حضره من أصحابه يارسول الله ادع أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم

ونخرب بأيدينا بلادهم فدعا بذلك قال ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لى مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعينى قالوا يارسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم فدعا ثم قال ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعينى . ثم قال رسول الله ﷺ « دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم » هكذا رواه النسائى مطولا وانما روى منه أبو داود دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم عن عيسى بن محمد الرملى عن ضمرة بن ربيعة عن أبى زرعة يحيى بن أبى عمرو السيبانى به ثم قال ابن اسحاق وحدثنى من لاأتهم عن أبى هريرة انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده افتتحوا مابدا لكم فوالذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك . وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً وقد وصل من غير وجه ولله الحمد فقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنى عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى . وقد رواه البخارى منفرداً به عن يحيى بن بكير وسعيد بن عفير كلاهما عن الليث به وعنده قال أبو هريرة فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فتلت فى يدى . وهذا اسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرجوه . وفى الصحيحين اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله . وفى الحديث الصحيح ان الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها

فصل

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب أحد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فوق الآطام . قال ابن

هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قلت وهذا معنى قوله تعالى[إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وقد زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا] قال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا عبيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة [اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار] قالت ذلك يوم الخندق . قال موسى بن عقبة ولما نزل الاحزاب حول المدينه أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم . قال ابن اسحاق وخرج حيي بن اخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقدهم وعهدهم فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي فاستأذن عليه فابى أن يفتح له فناداه ويحك يا كعب افتح لى . قال ويحك ياحيي انك امرؤ مشئوم وانى قد عاهدت محمداً فلست بناقض مابينى و بينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . قال ويحك افتح لى أكلمك . قال ما أنا بفاعل . قال والله ان أغلقت دونى الا خوفاً على جشيشتك ان آكل معك منها . فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام قال وما ذاك قال جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من رومه وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لايبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه . فقال كعب جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شىء ويحك ياحيي فدعنى وما أنا عليه فانى لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا وقد تكلم عمرو بن سعد القرظى فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ذكرهم ميثاق رسول الله (ص) وعهده ومعاقدتهم اياه على نصره وقال : اذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه . قال ابن اسحاق فلم يزل حيي بكعب يفتله فى الذورة والغارب حتى سمع له ـ يعنى فى نقض عهد رسول الله (ص) وفى محاربته مع الاحزاب ـ على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن ادخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك . فنقض كعب بن أسد العهد وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله (ص) قال موسى بن عقبة وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم ان هم رجعوا ولم يناجزوا محمدا ، قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلا من أشرافهم . فنازلهم حيي على ذلك . فعند ذلك نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد الا بنى سعنة أسد وأسيد وثعلبة فانهم خرجوا الى رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق : فلما انتهى الخبر الى رسول (ص) الله والى المسلمين بعث سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا احق مابلغنا عنهم فان كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد المسلمين وان كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال فخرجوا حتى أتوهم . قال موسى

ابن عقبة فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم الى الموادعة وتجديد الحلف فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم (يريدون بنى النضير) ونالوا من رسول الله (ص) فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ انا والله ماجئنا لهذا ولما بيننا أكبر من المشاتمة . ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال انكم قد علمتم الذى بيننا وبينكم يابنى قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بنى النضير أو أمرَّ منه . فقالوا اكلت أير أبيك . فقال غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن. وقال ابن اسحاق : نالوا من رسول الله (ص) وقالوا من رسول الله؟ لاعهد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم لما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله (ص) فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارَةُ أى كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله (ص) : الله أكبر ابشروا يامعشر المسلمين . قال موسى بن عقبة ثم تقنع رسول الله (ص) بثوبه حين جاءه الخبر عن بنى قريظة فاضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع وعرفوا انه لم يأته عن بنى قريظة خير . ثم انه رفع رأسه وقال ابشروا بفتح الله ونصره . فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمى بالنبل والحجارة قال سعيد بن المسيب قال رسول الله (ص) : اللهم انى أسألك عهدك ووعدك اللهم ان تشأ لاتعبد . قال ابن اسحاق وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لايأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط . وحتى قال أوس بن قيظى : يارسول الله ان بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه فأذن لنا أن نرجع الى دارنا فانها خارج من المدينة . قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى [واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا * واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا]

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله (ص) مرابطاً وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ولم يكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله (ص) كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن الزهرى الى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المرى وهما قائدا غطفان واعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة ، فلما أراد رسول الله (ص) أن يفعل ذلك بعث الى السعدين فذكر لهما ذلك ، واستشارهما فيه ، فقالا : يارسول الله أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : بل

شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذاك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمرٍ مَّا . فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله ولا نعرفه وهم لايطمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلا قِرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي (ص) : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا . قال فأقام النبي (ص) وأصحابه محاصرين ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش — منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس أحد بني عامر بن لؤيّ ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني محارب بن فهر — تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيؤوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون مَن الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج عليّ بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : ياعمرو انك كنتَ عاهدت الله لايدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا أخذتها منه ، قال أجل . قال له عليّ : فاني أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام . قال : لاحاجة لي بذلك . قال : فاني أدعوك الى النزال . قال له : لِمَ يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك . قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك . فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا فقتله عليّ رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة . قال ابن اسحاق وقال عليّ بن أبي طالب في ذلك :

نصرَ الحجارةَ من سفاهة رأيه ‎ ‎ ‎ ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصواب
فصدرتُ حين تركتُه متجدّلا ‎ ‎ ‎ كالجذع بين دكادكٍ وروابي
وعففتُ عن أثوابه ولو انني ‎ ‎ ‎ كنتُ المقطَّرَ بزَّني أثوابي
لا تحسبنَّ الله خاذلَ دينِه ‎ ‎ ‎ ونبيِّه يا معشرَ الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعليّ . قال ابن هشام : وألقى عكرمة

رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال فى ذلك حسان بن ثابت :

فرّ وألقى لنا رمحه لعلّك عكرم لم تفعل
وولّيت تعدو كعدو الظّليـ ـم ما ان يجوّر عن المعدل
ولم تلو ظهرك مستأنساً كأنّ قفاك قفا فرعل

قال ابن هشام : الفراعل صغار الضباع . وذكر الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة عن ابن اسحاق فى موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام علىّ بن أبى طالب فقال : أنا لها يانبى الله . فقال : انه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إلىّ رجلا ؟ فقام علىّ فقال : أنا يارسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجّع موقف القرن المناجز
ولذاك إني لم أزل متسرّعاً قبل الهزاهز
انّ الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

قال فقام علىّ رضى الله عنه فقال : يارسول الله أنا . فقال : انه عمرو ، فقال وان كان عمراً . فأذن له رسول الله (ص) فمشى اليه حتى أتى وهو يقول :

لاتعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
فى نيّة وبصيرة والصدق منجى كل فائز
إني لأرجو أن أقيـ ـم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علىّ ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علىّ بن أبى طالب . فقال : ياابن أخى من أعمامك من هو أسن منك فانى أكره أن أهريق دمك ؟ فقال له علىّ : لكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علىّ مغضباً واستقبله علىّ بدرقته فضربه عمرو فى درقته فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه علىّ على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله (ص) التكبير فعرفنا أن علياً قد قتله . فثمّ يقول علىّ :

أعلىّ تقتحم الفوارس هكذا عنّي وعنهم أخّروا أصحابي
اليوم يمنعنى الفرار حفيظتى ومصمّم فى الرأس ليس بنابي

الى أن قال : عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدت ربَّ محمد بصواب

الى آخرها . قال ثم أقبل عليٌّ نحو رسول الله (ص) ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب: هلاَّ استلبته درعه فانه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقاني بسوءته فاستحييت ابن عمى أن أسلبه ، قال وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق

وذكر ابن اسحاق فيما حكاه عن البيهقى أن علياً طعنه فى ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات فى الخندق ؛ وبعث المشركون الى رسول الله (ص) يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال هو لكم لانأكل ثمن الموتى . وقال الامام أحمد حدثنا نصر بن باب حدثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلا من المشركين فأعطوا بجيفته مالا ، فقال رسول الله (ص) ادفعوا اليهم جيفته فانه خبيث الجيفة خبيث الدية ، فلم يقبل منهم شيئاً . وقد رواه البيهقى من حديث حماد بن سلمة عن حجاج وهو ابن ارطاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : أن رجلا من المشركين قتل يوم الاحزاب فبعثوا الى رسول الله (ص) أن ابعث الينا بجسده ونعطيهم اثنى عشر ألفا فقال رسول الله (ص) « لاخير فى جسده ولافى ثمنه » . وقد رواه الترمذى من حديث سفيان الثورى عن ابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وقال غريب . وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين انما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومى حين قتل وعرضوا عليه الدية فقال : « انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته . فلا أرب لنا فى ديته ولسنا نمنعكم أن تدفنوه » وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى فسأل المبارزة فخرج اليه الزبير بن العوام فضربه فشقه باثنتين حتى فلَّ فى سيفه فلاًّ وانصرف وهو يقول :

انى امرؤ أحمى وأحتمى[(١)] عن النبىِّ المصطفى الأمِّى

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط فى الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول : قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب . فنزل اليه علىٌّ فقتله وطلب المشركون رمته من رسول الله (ص) بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئا ومكنهم من أخذه اليهم وهذا غريب من وجهين . وقد روى البيهقى من طريق حماد بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان فى الاطم ومعى عمر بن أبى سلمة فجعل يطأطىء لى فاصعد على ظهره فأنظر قال فنظرت الى أبى وهو يحمل مرَّة هاهنا ومرة هاهنا فما يرتفع له شىء الا أتاه فلما أمسى جاءنا الى الاطم قلت ياأبة رأيتك اليوم وما تصنع قال ورأيتنى يابنى قلت نعم قال فدى لك أبى

(١) كذا بالنسخ .

وأمى . قال ابن اسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الانصارى أخو بنى حارثة أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن . قالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت فمر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفى يده حربته يرفل بها ويقول :

لبِّثْ قليلاً يشهدِ الهيجا جَمَلْ لا بأسَ بالموتِ إذا حانَ الأجل

فقالت له أمه الحق بنى فقد والله أخرت . قالت عائشة فقلت لها ياأم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى . قالت وخفتُ عليه حيث أصاب السهم منه . فرُمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل . قال ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال رماه حيان بن قيس بن العرقة أحد بنى عامر بن لؤى فلما أصابه قال خذها منى وأنا ابن العرقة ، فقال له سعد عرق الله وجهك فى النار اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها فانه لاقوم أحب الى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا و بينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقرعينى من بنى قريظة . قال ابن اسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما أصاب سعداً يومئذ الا أبو أسامة الجشمى حليف بنى مخزوم ، وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبى جهل :

أعكرمُ هلاّ لُمتني إذ تقولُ لي فِداكَ بآطامِ المدينـةِ خالدُ
ألستُ الذي ألزمتُ سعداً مَريشة لها بين أثنـاءِ المرافقِ عانِد
قضى نحبَه منها سعيدٌ فأعولت عليه مع الشمطِ العذارى النواهدُ
وأنتَ الذي دافعتَ عنهُ وقد دعا عُبيدةُ جمعاً منهمُ إذ يكابد
على حين ماهم جائر عنْ طريقهِ وآخرُ مرعوبٌ عن القصدِ قاصد

قال ابن اسحاق والله أعلم أى ذلك كان . قال ابن هشام و يقال ان الذى رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان قلت وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ فى بنى قريظة أقر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتى بيانه فحكم بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم حتى قال له رسول الله (ص.) لقد حكمتَ فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة . قال ابن اسحاق وحدثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت مابيننا و بين رسول الله (ص.) وليس بيننا و بينهم أحد يدفع عنا

ورسول الله (ص) والمسلمون فى نحور عدوهم لايستطيعون أن ينصرفوا عنهم الينا اذ أتانا آت فقلت ياحسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل رسول الله (ص) وأصحابه فانزل اليه فاقتله . قال يغفر الله لك يابنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت ياحسان انزل فاستلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل . قال مالى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب .

قال موسى بن عقبة وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم فى مثل الحصن من كتائبهم فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة وأخذوا بكل ناحية حتى لايدرى أتم أم لا قال ووجهوا نحو منزل رسول الله (ص) كتيبة غليظة فقاتلوهم يوماً الى الليل فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبى (ص) ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا فانكفأت الكتيبة مع الليل فزعموا أن رسول الله (ص) قال شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم وفى رواية وقبورهم ناراً . فلما اشتد البلاء نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح فلما رأى رسول الله (ص) ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول « والذى نفسى بيده ليفرجن عنكم ماترون من الشدة وانى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله الىَّ مفاتيح الكعبة وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقن كنوزهما فى سبيل الله »

وقد قال البخارى : حدثنا اسحاق حدثنا روح حدثنا هشام عن محمد عن عبيدة عن علىّ عن النبى (ص) أنه قال يوم الخندق «ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن هشام بن حسان عن محمد ابن سيرين عن عبيدة عن على به ورواه مسلم والترمذى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أبى حسان الاعرج عن عبيدة عن على به وقال الترمذى حسن صحيح. ثم قال البخارى حدثنا المكىّ بن ابراهيم حدثنا هشام عن يحيى عن أبى سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ماغربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال : يارسول الله ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبى (ص) والله ماصليتها فنزلنا مع رسول الله (ص) بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . وقد رواه البخارى أيضا ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة به وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت حدثنا هلال عن عكرمه عن ابن عباس قال قاتل النبى (ص) عدواً فلم يفرغ منهم حتى أخر العصر عن وقتها فلما رأى ذلك قال « اللهم من حبسنا عن الصلاة

الوسطى فاملأ بيوتهم ناراً واملأ قبورهم ناراً » ونحو ذلك تفرد به احمد وهو من رواية هلال بن خباب العبدى الكوفى وهو ثقة يصحح له الترمذى وغيره . وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الاحاديث على كون الصلاة الوسطى هى صلاة العصر كما هو منصوص عليه فى هذه الاحاديث وألزم القاضى الماوردى مذهب الشافعى بهذا لصحة الحديث وقد حررنا ذلك نقلا واستدلالا عند قوله تعالى : [حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين] . وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والاوزاعى وقد بوب البخارى ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله (ص) يوم أمرهم بالذهاب الى بنى قريظة ـ كما سيأتى ـ « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » وكان من الناس من صلى العصر فى الطريق ومنهم من لم يصل إلا فى بنى قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحداً من الفريقين واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم فى حصار تستر سنة عشرين فى زمن عمر حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقتراب فتح الحصن . وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور منهم الشافعى هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك فانها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلهذا أخروها يومئذ وهو مشكل قال ابن اسحاق وجماعة ذهبوا الى أن النبى (ص) صلى صلاة الخوف بعسفان وقد ذكرها ابن اسحاق وهو امام فى المغازى قبل الخندق وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق فالله أعلم . وأما الذين قالوا ان تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس فهو مشكل إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع فى وقت العشاء من رواية أبى هريرة وأبى سعيد قال الامام حدثنا يزيد وحجاج قالا حدثنا ابن أبى ذئب عن المقبرى عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوىّ من الليل حتى كفينا وذلك قوله [وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً] قال فدعا رسول الله (ص) بلالا فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصليها فى وقتها ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حجاج فى صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا وقد رواه النسائى عن الفلاس عن يحيى القطان عن ابن أبى ذئب به قال شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس فذكره . وقال أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو الزبير عن نافع بن جبير عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله (ص) يوم الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ماشاء الله قال فأمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا مؤمل يعنى ابن اسماعيل حدثنا حماد يعنى ابن سلمة عن عبد الكريم يعنى ابن أبى المخارق

عن مجاهد عن جابر بن عبد الله ان النبى (ص) شغلى يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء ثم قال « ما على وجه الارض قوم يذكرون الله فى هذه الساعة غيركم » تفرد به البزار وقال لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبى عبيدة عن عبد الله

فصل فى دعائه عليه السلام على الأحزاب

قال الامام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا الزبير - يعنى ابن عبد الله - حدثنا ربيح بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال : قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ، قال « نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » قال فضرب الله وجوه أعدائه بالريح . وقد رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن أبى عامر - وهو العقدى - عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى سعيد فذكره وهذا هو الصواب . وقال الامام أحمد حدثنا حسين عن ابن أبى ذئب عن رجل من بنى سلمة عن جابر ابن عبد الله ان النبى (ص) أتى مسجد الاحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ولم يصلّ قال ثم جاء ودعا عليهم وصلى . وثبت فى الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى أوفى قال : دعا رسول الله (ص) على الاحزاب فقال « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب . اللهم اهزمهم وزلزلهم . وفى رواية اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم . وروى البخارى عن قتيبة عن الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة ان رسول الله (ص) كان يقول « لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شيء بعده » وقال ابن اسحاق وأقام رسول الله (ص) وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم واتيانهم اياهم من فوقهم ومن أسفل منهم . قال ثم ان نعيم بن مسعود ابن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع ابن ريث بن غطفان أتى رسول الله (ص) فقال : يارسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال رسول الله (ص) « انما أنت فينا رجل واحد ، فخذّل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة » فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديماً فى الجاهلية فقال : يابنى

قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا صدقت لست عندنا بمتهم . فقال لهم ان قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لاتقدرون على أن تحولوا منه الى غيره وان قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه. وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه . قالوا لقد أشرت بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً ، وانه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني . قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم . فأرسل اليهم ان نعم . فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان انكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس الي ولا أراكم تتهموني . قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا عني قالوا نفعل . ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم ماحذرهم . فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنيع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم انا لسنا بدار مقام هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لانعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم مالم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه ، فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا الى بني قريظة : انا والله لاندفع اليكم رجلا واحداً من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، مايريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا الى قريش وغطفان انا والله مانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم ،

وهذا الذى ذكره ابن اسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة. وقد أورده عنه البيهقى فى الدلائل فانه ذكر ما حاصله أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث، فاتفق أنه مرَّ برسول الله (ص) ذات يوم عشاء، فأشار اليه أن تعال، فجاء فقال: ماوراءك؟ فقال: انه قد بعثت قريش وغطفان الى بنى قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا اليهم فيناجزوك، فقالت قريظة نعم فأرسلوا الينا بالرهن. وقد ذكر فيما تقدم: أنهم انما نقضوا العهد على يدى حيى بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة، قال فقال له رسول الله (ص): إنى مُسرٌّ اليك شيئا فلا تذكره، قال: انهم قد أرسلوا إلىَّ يدعوننى الى الصلح وأردُّ بنى النضير الى دورهم وأموالهم؛ فخرج نعيم بن مسعود عامداً الى غطفان. وقال رسول الله (ص) «الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا» فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم، فبادر القوم وأرسلوا الى بنى قريظة عكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلّت اليهود بالسبت، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا. قلت: وقد يحتمل أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا الى رسول الله (ص) يريدون منه الصلح على أن يرد بنى النضير الى المدينة والله أعلم

قال ابن اسحاق: فلما انتهى الى رسول الله (ص) ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جمعهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا. قال ابن اسحاق: فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله (ص) وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخى، قال فكيف كنتم تصنعون؟ قال والله لقد كنا نجتهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الارض ولحملناه على أعناقنا، قال فقال حذيفة: يا ابن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله (ص) بالخندق وصلى رسول الله (ص) هوياً من الليل ثم التفت الينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - فشرط له رسول الله (ص) الرجعة - أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد، فلما لم يقم أحد دعانى، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى، فقال: ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا، قال فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يامعشر قريش لينظر امرؤ من جليسه. قال حذيفة فأخذتُ بيد الرجل الذى كان الى جنبى فقلت من أنت؟ قال فلان ابن فلان؛ ثم قال: يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ماترون ماتطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فانى مرتحل، ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به

على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله (ص) إلىّ لاتحدث شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت الى رسول الله (ص) وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحّل فلما رآني أدخلني الى رجليه وطرح عليّ طرف المرط ثم ركع وسجد وانى لفيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر . وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم ، وهذا منقطع من هذا الوجه . وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه من حديث الاعمش عن ابراهيم ابن يزيد التيمي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركت رسول الله (ص) قاتلت معه وأبليت ، فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله (ص) ليلة الاحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله (ص) ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال ائتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ . قال فمضيت كأنما أمشي في حمّام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يُصْلي ظهره بالنار فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله (ص) : لاتذعرهم عليّ ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت كأنما أمشي في حمام فأتيت رسول الله (ص) . فأصابني البرد حين رجعت وقررت فأخبرت رسول الله (ص) وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أبرح نائما حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله (ص) : قم يانومان !

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطا من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله (ص) فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة لاتمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافّون قعود وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذراريناوما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا اصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي (ص) ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله (ص) رجلا رجلا حتى أتى عليّ وما عليّ جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتي مايجاوز ركبتي قال : فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال : من هذا ؟ فقلت حذيفة فقال حذيفة ! فتقاصرت للارض فقلت : بلى يارسول الله كراهية أن أقوم فقمت فقال انه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قرّاً قال : فخرجت فقال رسول الله (ص) « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته » قال فوالله

ما خلق الله فزعا ولا قرا فى جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئا . قال فلما وليت قال : ياحذيفة لاتحدثن فى القوم شيئاً حتى تأتينى . قال : فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد واذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتى أبيض الريش فأضعه فى كبد قوسى لأرميه به فى ضوء النار فذكرت قول رسول الله (ص) «لاتحدثن فيهم شيئا حتى تأتينى» فأمسكت ورددت سهمي الى كنانتي ثم انى شجعت نفسى حتى دخلت العسكر فاذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . واذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا فوالله انى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم وفرشهم الريح تضرب بها ثم انى خرجت نحو رسول الله (ص) . فلما انتصفت بى الطريق أو نحو من ذلك اذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه . قال فرجعت الى رسول الله (ص) وهو مشتمل فى شملة يصلى فوالله ما عدا أن رجعت راجعنى القر وجعلت أقرقف فأومأ الىّ رسول الله (ص) بيده وهو يصلى فدنوت منه فأسبل علىّ شملته ، وكان رسول الله (ص) اذا حزبه أمر صلى . فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أنى تركتهم يرحلون قال وأنزل الله تعالى [يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا] يعنى الآيات كلها الى قوله [ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا] أى صرف الله عنهم عدوهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التى بعثها الله اليهم وكفى الله المؤمنين القتال أى لم يحتاجوا الى منازلتهم ومبارزتهم بل صرفهم القوى العزيز بحوله وقوته . لهذا ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : كان رسول الله (ص) يقول : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فلا شئ بعده . وفى قوله [وكفى الله المؤمنين القتال] اشارة الى وضع الحرب بينهم وبينهم ، وهكذا وقع ولم ترجع قريش بعدها الى حرب المسلمين كما قال محمد بن اسحاق رحمه الله ، فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله (ص) فيما بلغنا : لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم . قال : فلم تغز قريش بعد ذلك وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة وهذا بلاغ من ابن إسحاق . وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيي عن سفيان حدثني أبو اسحاق سمعت سليمان بن صرد رضى الله يقول قال رسول الله (ص) : الآن نغزوهم ولا يغزوننا . وهكذا رواه البخارى من حديث إسرائيل وسفيان الثورى كلاهما عن أبى اسحاق السبيعى عن سليمان بن صرد به قال ابن اسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بنى عبد الاشهل وهم سعد بن معاذ ــ وستأتى وفاته مبسوطة ــ

وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو وعبد الله بن سهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة الجشميان السلميان وكعب بن زيد النجاري أصابه سهم غرب فقتله قال : وقتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه ابن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمن كبير كما تقدم وعمرو بن عبد ود العامري قتله على بن أبي طالب . قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهري أنه قال : قَتل عليٌّ يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود ويقال عمرو بن عبد

فصل في غزوة بني قريظة

وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعدَّ الله لهم فى الآخرة من العذاب الاليم وذلك لكفرهم ونقضهم العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله (ص) وممالأتهم الاحزاب عليه فما أجدى ذلك عنهم شيئاً وباؤا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة فى الدنيا والآخرة وقد قال الله تعالى [وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شىء قديرا] . قال البخارى حدَّثنا محمد بن مقاتل حدَّثنا عبد الله حدَّثنا موسى بن عقبة عن سالم ونافع عن عبد الله أن رسول الله (ص) كان اذا قفل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيكبر ثم يقول « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده »

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول (ص) الله انصرف عن الخندق راجعاً الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله (ص) كما حدثنى الزهرى معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَقد وضعتَ السلاح يارسول الله ؟ قال نعم ، فقال جبريل : ما وضعتِ الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، ان الله يأمرك يامحمد بالمسير الى بنى قريظة ، فأنى عامد اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله (ص) مؤذناً فأذن فى الناس : منْ كان سامعاً مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

وقال البخاري : حدثني عبد الله بن أبي شيبة حدثنا ابن نُمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما رجع النبي (ص) من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعناه ! فاخرج اليهم ، قال فالى أين ؟ قال هاهنا وأشار الى بني قريظة ، فخرج النبي (ص) .

وقال أحمد : وحدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله (ص) لما فرغ من الاحزاب دخل المغتسل ليغتسل وجاء جبريل فرأيته من خلل الباب قد عصّب رأسه الغبار ، فقال: يامحمد أوضعتم أسلحتكم ؟ فقال: وضعنا أسلحتنا فقال : انا لم نضع أسلحتنا بعد انهَدْ الى بني قريظة ، ثم قال البخاري : حدثنا موسى حدثنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك قال كأني أنظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غَنْم موكبَ جبريل حين سار رسول الله (ص) الى بني قريظة . ثم قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد بن اسماء حدثنا جويرية بن اسماء عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) يوم الاحزاب : « لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي لم يُرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي (ص) فلم يعنف واحداً منهم . وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به . وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن خالد بن علي حدثنا بشر بن حرب عن أبيه حدثنا الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ان مالك أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله (ص) لما رجع من طلب الاحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستجمر ، فتبدى له جبريل عليه السلام فقال : عذيرك من محارب ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد ، قال فوثب النبي (ص) فزعاً فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر الا في بني قريظة . قال : فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس فاختصم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : ان رسول الله (ص) عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بني قريظة فانما نحن في عزيمة رسول الله (ص) فليس علينا اثم وصلى طائفة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاءوا بني قريظة احتسابا فلم يعنف رسول الله (ص) واحداً من الفريقين . ثم روى البيهقي من طريق عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله (ص) كان عندها فسلم علينا رجل ونحن في البيت فقام رسول الله (ص) فزعاً وقمت في أثره فاذا بدحية الكلبي ، فقال : هذا جبريل أمرني أن أذهب الى بني قريظة وقال : قد وضعتم السلاح لكنا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الاسد وذلك حين رجع رسول الله (ص) من الخندق فقام رسول الله (ص) فزعاً وقال لاصحابه : عزمت عليكم أن لا تصلوا

صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : ان رسول الله (ص) لم يرد أن تدعوا الصلاة فصلوا ، وقالت طائفة : والله إنا لفي عزيمة رسول الله (ص) ، وما علينا من إثم ، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً وتركت طائفة ايماناً واحتساباً ولم يعنف رسول الله (ص) واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله (ص) فمرّ بمجالس بينه وبين بني قريظة فقال هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا مرّ علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج ، فقال ذلك جبريل أرسل الى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب فحاصرهم النبي (ص) وأمر أصحابه أن يستروه بالجحف حتى يسمع كلامهم ، فناداهم يا اخوة القردة والخنازير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فحاشا ، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم ونساؤهم . ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها . وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الاجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف . فقالت طائفة من العلماء : الذين أخروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوها في بني قريظة هم المصيبون ، لان أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعاً . قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصلّ العصر إلا في بني قريظه ولو بعد أيام . وهذا القول منه ماش على قاعدته الاصلية في الاخذ بالظاهر . وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون لانهم فهموا أن المراد انما هو تعجيل السير الى بني قريظة لاتأخير الصلاة فعملوا بمقتضى الادلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم باعادة الصلاة في وقتها التي حولت اليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخروا فعذروا بحسب مافهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه . وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا فلا إشكال على من أخرّ ولا على من قدّم أيضاً والله أعلم

ثم قال ابن اسحاق : وقدّم رسول الله (ص) عليّ بن أبي طالب ومعه رايته وابتدرها الناس . وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري : فبينا رسول الله (ص) في مغتسله كما يزعمون قد رجّل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لأمته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز فخرج اليه رسول الله (ص) ، فقال له جبريل : غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟ قال نعم . فقال جبريل : لكنا لم نضعه منذ نزل بك العدوّ وما زلت في طلبهم حتى هزمهم الله — ويقولون ان على وجه جبريل لأثر الغبار — فقال له جبريل : ان الله قد أمرك بقتال بني قريظة فأنا عامد اليهم بمن معي

من الملائكة تزلزل بهم الحصون فاخرج بالناس ، فخرج رسول الله (ص) في أثر جبريل فمر على مجلس بنى غنم وهم ينتظرون رسول الله (ص) فسألهم فقال : مر عليكم فارس آنفا ؟ قالوا مرَّ علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة ديباج عليه اللأمة ، فذكروا أن رسول الله (ص) قال : ذاك جبريل ، وكان رسول الله (ص) يشبّه دحية الكلبي بجبريل ، فقال الحقوني ببني قريظة فصلوا فيهم العصر ، فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا الى بني قريظة فحانت صلاة العصر وهم بالطريق فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله (ص) أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة . وقال آخرون : هي الصلاة ، فصلى منهم قوم وأخّرت طائفة الصلاة حتى صلوها في بني قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله (ص) من عجل منهم الصلاة ومن أخرها فذكروا أن رسول الله (ص) لم يعنف واحداً من الفريقين . قال فلما رأى عليٌّ بن أبي طالب رسول الله (ص) مقبلا تلقاه وقال : ارجع يارسول الله فان الله كافيك اليهود ، وكان عليٌّ قد سمع منهم قولا سيئاً لرسول الله (ص) وأزواجه رضى الله عنهن فكره أن يسمع ذلك رسول الله (ص) ، فقال رسول الله (ص) : لم تأمرني بالرجوع ؟ فكتمه ماسمع منهم فقال : أظنك سمعت فيَّ منهم أذى فامض فان أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت ، فلما نزل رسول الله (ص) بحصنهم وكانوا في أعلاه نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم حتى أسمعهم فقال : أجيبوا يا معشر يهود يا اخوة القردة قد نزل بكم خزى الله عز وجل ، فحاصرهم رسول الله (ص) بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ورد الله حيي بن أخطب حتى دخل حصن بني قريظة وقذف الله في قلوبهم الرعب واشتد عليهم الحصار فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر — وكانوا حلفاء الانصار — فقال أبو لبابة لاآتيهم حتى يأذن لي رسول الله (ص) ، فقال له رسول الله (ص) قد أذنت لك ، فأتاهم أبو لبابة فبكوا اليه وقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فانه لاطاقة لنا بالقتال ، فأشار أبو لبابة بيده الى حلقه وأمرّ عليه اصابعه ، يريهم انما يراد بهم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سقط في يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة فقال والله لا أنظر في وجه رسول الله (ص) حتى أحدث لله توبة نصوحا يعلمها الله من نفسي ، فرجع الى المدينة فربط يديه الى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة ، فقال رسول الله (ص) حين غاب عليه أبو لبابة : أمافرغ أبو لبابة من حلفائه ، فذكر له مافعل ؟ فقال : لقد أصابته بعدى فتنة ولوجاءني لاستغفرت له وإذ قد فعل هذا فلن أحركه من مكانه حتى يقضى الله فيه مايشاء . وهكذا رواه ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة وكذا ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهرى ومثل رواية أبي الاسود عن عروة . قال ابن اسحاق ونزل رسول الله (ص) على بئر من آبار بني قريظة

من ناحية أموالهم يقال لها بئر انى فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف فى قلوبهم الرعب وقد كان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا أن رسول الله (ص) غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد : يامعشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا بما شئتم منها . قالوا وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لانفارق حكم التوراة أبداً ولانستبدل به غيره . قال فاذا أبيتم علىّ هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنجدن النساء والابناء . قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم؟ قال : فان أبيتم علىّ هذه فالليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة . قالوا أنفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا إلامن قد علمت فاصابه مالم يخف عنك من المسخ فقال : مابات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازماً . ثم انهم بعثوا الى رسول الله (ص) أن ابعث الينا أبا لبابه بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره فى أمرنا . فارسله رسول الله (ص) فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرقّ لهم وقالوا ياأبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده الى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابه : فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله (ص) حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده وقال : لاأبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت . وعاهد الله أن لا أطأ بنى قريظة أبداً ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً . قال ابن هشام وأنزل الله فيما قال سفيان بن عيينه عن اسماعيل ابن أبى خالد عن عبد الله بن أبى قتادة [يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون] . قال ابن هشام : أقام مرتبطا ست ليال تأتيه امرأته فى وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلى ثم يرتبط حتى نزلت توبته فى قوله تعالى [وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم] . وقول موسى بن عقبة انه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به والله أعلم . وذكر ابن اسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو فى بيت أم سلمة فجعل يبتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبى لبابة فاستأذنته أن تبشره فاذن لها فخرجت فبشرته فثار الناس اليه يبشرونه وأرادوا أن يحلوه من

رباطه فقال والله لايحلني منه إلا رسول الله (ص) فلما خرج رسول الله (ص) الى صلاة الفجر حله من رباطه رضي الله عنه وأرضاه. قال ابن اسحاق ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هدل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله (ص) وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله (ص) وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما رآه قال من هذا؟ قال أنا عمرو ابن سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله (ص) وقال لا اغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لاتحرمني اقالة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله (ص) بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب لم يدر أين توجه من الارض الى يومه هذا فذكر شأنه لرسول الله (ص) فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه. قال وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة فاصبحت رمته ملقاة ولم يدر أين ذهب فقال رسول الله (ص) فيه تلك المقالة والله أعلم أي ذلك كان. قال ابن اسحاق فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله (ص) فتواثبت الاوس فقالوا: يارسول الله انهم كانوا موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ماقد علمت يعنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله ابن أبيّ كما تقدم. قال ابن اسحاق فلما كلمته الاوس قال رسول الله (ص): يامعشر الاوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى. قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله (ص) قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده وكانت تداوي الجرحى فلما حكمه في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما جميلا ثم أقبلوا معه الى رسول الله (ص) وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله (ص) انما ولاك ذلك لتحسن فيهم. فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لاتأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني عبد الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل اليهم سعد عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله (ص) والمسلمين قال رسول الله (ص) قوموا الى سيدكم فأما المهاجرون من قريش فيقولون انما أراد الانصار واما الانصار فيقولون قد عم رسول الله (ص) المسلمين فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله (ص) قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت قالوا نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله (ص) وهو معرض عن رسول الله (ص) اجلالا له فقال رسول الله (ص) نعم قال سعد فاني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء. قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص

الليثى قال قال رسول الله (ص) لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . وقال ابن هشام حدثنى من أثق به من أهل العلم ان على بن أبى طالب صاح وهم محاصرو بنى قريظة يا كتيبة الايمان وتقدم هو والزبير بن العوام وقال والله لأذوقن ماذاق حمزة أولأقتحم حصنهم فقالوا يامحمد ننزل على حكم سعد بن معاذ . وقد قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم سمعت أبا امامة بن سهل سمعت أبا سعيد الخدرى قال نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ قال فأرسل رسول الله (ص) الى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله (ص) : قوموا الى سيدكم أو خيركم . ثم قال ان هؤلاء نزلوا على حكمك قال نقتل مقاتلتهم ونسبى ذريتهم قال فقال رسول الله (ص) قضيت بحكم الله . وربما قال قضيت بحكم الملك وفى رواية الملك . أخرجاه فى الصحيحين من طرق عن شعبة وقال الامام أحمد حدثنا حجين ويونس قالا حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله انه قال رمى يوم الاحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله فحسمه رسول الله (ص) بالنار فانتفخت يده فنزفه فحسمه أخرى فانتفخت يده فنزفه فلما رأى ذلك قال اللهم لاتخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد فأرسل اليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم يستعين بهم المسلمون فقال رسول الله (ص) أصبت حكم الله فيهم وكانوا أربعمائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات . وقد رواه الترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن الليث به وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير عن هشام أخبرنى أبى عن عائشة قالت لما رجع رسول الله (ص) من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال قد وضعت السلاح فوالله ماوضعتها أخرج اليهم . قال رسول الله (ص) فأين قال هاهنا وأشار الى بنى قريظة فخرج رسول الله (ص) اليهم . قال هشام فأخبرنى أبى انهم نزلوا على حكم النبى (ص) فرد الحكم فيهم الى سعد قال فانى أحكم أن تقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية وتقسم أموالهم . قال هشام قال أبى فأخبرت ان رسول الله (ص) قال لقد حكمت فيهم بحكم الله . وقال البخارى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة رماه فى الأكحل فضرب النبى (ص) خيمة فى المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول الله (ص) من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح والله ماوضعته أخرج اليهم. قال النبى (ص) فأين فأشار الى بنى قريظة فأتاهم رسول الله (ص) فنزلوا على حكمه فرد الحكم الى سعد قال فانى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم قال هشام فأخبرنى أبى عن عائشة أن سعداً قال اللهم انك تعلم انه

ليس أحد أحب الىّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه اللهم فانى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان بقى من حرب قريش شىء فأبقنى له حتى أجاهدهم فيك وان كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتى فيها . فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفى المسجد خيمة من بنى غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا أهل الخيمة ماهذا الذى يأتينا من قبلكم فاذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منها . وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن نمير به . قلت كان دعا أولا بهذا الدعاء قبل أن يحكم فى بنى قريظة ولهذا قال فيه ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة فاستجاب الله له فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أىّ قرار دعا ثانياً بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضى الله عنه وأرضاه. وسيأتى ذكر وفاته قريباً ان شاء الله. وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولا جداً وفيه فوائد فقال حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرتنى عائشة قالت خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وئيد الارض ورائى فاذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه، قالت فجلست الى الارض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فانا أتخوف على أطراف سعد، قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول :

لبّثْ قليلاً يدركِ الهيجا جَمَلْ ما أحسنَ الموتَ إذا حانَ الأجل

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة فاذا نفر من المسلمين فاذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبغة له تعنى المغفر فقال عمر : ما جاء بكِ والله انك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوّز فما زال يلومنى حتى تمنيت أن الارض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل السبغة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيدالله فقال : ياعمر ويحك انك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوز أو الفرار الا الى الله عز وجل. قالت: ويرمى سعداً رجل من قريش يقال له ابن العرقة وقال خذها وأنا ابن العرقة فاصاب أكحله فقطعه فدعا اللهَ سعد فقال : اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية قالت فرقأ كلمه وبعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا فى صياصيهم ورجع رسول الله (ص) الى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد فى المسجد قالت : فجاء جبريل وان على ثناياه لنقع الغبار فقال : أقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، أخرج الى بنى قريظة فقاتلهم . قالت : فلبس رسول الله (ص) لأمته وأذن فى الناس بالرحيل أن يخرجوا فمر على بنى غنم، وهم جيران المسجد حوله فقال : من مرّ بكم ؟ قالوا : مر بنا دحية الكلبى - وكان دحية الكلبى تشبه لحيته وسنه ووجهه

جبريل عليه السلام ـ فأتاهم رسول الله (ص) فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله (ص) فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فاشار اليهم أنه الذبح قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله (ص) انزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأتى به على حمار عليه اكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت قالت ولا يرجع اليهم شيئاً ولا يلتفت اليهم حتى اذا دنا من دورهم التفت الى قومه فقال : قد آن لى أن لا أبالى فى الله لومة لائم . قالت : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله (ص) . قوموا الى سيدكم فانزلوه قال عمر : سيدنا الله ، قال : انزلوه ، فانزلوه . قال رسول الله (ص) : أحكم فيهم ، فقال سعد : فانى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله (ص) : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله ثم دعا سعد فقال : اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها وان كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى اليك قالت : فانفجر كلمه وكان قد برئ حتى لا يرى منه الا مثل الخرص ورجع الى قبته التى ضرب عليه رسول الله (ص) قالت عائشة : فحضره رسول الله (ص) وأبو بكر وعمر قالت : فوالذى نفس محمد بيده انى لاعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى وكانوا كما قال الله «رحماء بينهم» قال علقمة : فقلت يا أمه فكيف كان رسول الله (ص) يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان اذا وجد فانما هو آخذ بلحيته . وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة ، وفيه التصريح بدعاء سعد مرتين مرة قبل حكمه فى بنى قريظة ومرة بعد ذلك كما قلناه أولا ولله الحمد والمنة وسنذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله فى ذلك رضى الله عنه وأرضاه بعد فراغنا من القصة . قال ابن اسحاق : ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله (ص) بالمدينة فى دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار قلت : هى نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبدالله بن عامر بن كريز ، ثم خرج (ص) الى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم اليه ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة . والمكثر لهم يقول كانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة . قلت : وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبى الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعمائة فالله أعلم . قال ابن اسحاق : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله (ص) ارسالا : يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفى كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعى لا ينزع ومن ذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل . فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم وأتى بحيي بن أخطب وعليه حلة له فقاحية [1] قد شقها

(١) قال ابن هشام «فقاحية : ضرب من الوشي» .

عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل. فلما نظر الى رسول الله (ص) قال أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل . ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، انه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل. ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبى :

لعمرُكَ مالامَ ابنُ أخطبَ نفسَه ولكنّهُ مَنْ يَخذلِ اللهُ يُخذلِ

لجاهدَ حتى أبلغَ النفسَ عُذْرها وقلقلَ يبغي العزَّ كلَّ مقلقلِ

وذكر ابن اسحاق قصة الزبير بن باطا وكان شيخاً كبيراً قد عمى وكان قد منَّ يوم بعاث على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفنى ياأبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك فقال له ثابت أريد أن أكافئك فقال : ان الكريم يجزى الكريم فذهب ثابت الى رسول الله (ص) فاستطلقه فاطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال شيخ كبير لا أهل ولا ولد فما يصنع بالحياة فذهب الى رسول الله (ص) فاستطلق له امرأته وولده فأطلقهم له ثم جاءه فقال أهل بيت بالحجاز لامال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت الى رسول الله (ص) فاستطلق مال الزبير بن باطا فأطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال له ياثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى حي كعب بن أسد ؟ قال : قتل . قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حيي بن أخطب ؟ قال قتل ، قال : فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا : عزال بن شموال ؟ قال : قتل . قال فما فعل المجلسان ؟ — يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة — قال : ذهبوا قتلوا ، قال فانى أسألك ياثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم فوالله مافى العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر لله فيلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة ، فقدمه ثابت فضربت عنقه ، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الاحبة » قال « يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً فيها مخلداً » قال ابن اسحاق « فيلة » بالفاء والياء المثناة من أسفل وقال ابن هشام بالقاف والباء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح البعير الذى يستقى عليه الماء لسقى النخل ، وقال أبو عبيدة : معناه افراغة دلو .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) قد أمر بقتل كل من انبت منهم . فحدثنى شعبة بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى قال . كان رسول الله (ص) قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من انبت منهم وكنتُ غلاماً فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى . ورواه أهل السنن الاربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى نحوه . وقد استدل به من ذهب من العلماء الى أن انبات الشعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ بل هو بلوغ فى أصح قولى الشافعى . ومن العلماء من يفرق بين صبيان أهل الذمة فيكون بلوغاً فى حقهم دون غيرهم لان المسلم قد يتأذى بذلك

لمقصد . وقد روى اسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله (ص) رفاعة بن شموال ، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يارسول الله ان رفاعة يزعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل . فأجابها الى ذلك فأطلقه . قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت والله انها لعندى تحدث معى تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله (ص) يقتل رجالها فى السوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت أنا والله ، قالت قلت لها : ويلك مالك ؟ قالت أقتل ! قلت ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت فانطلق بها فضربت عنقها ، وكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل . وهكذا رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . قال ابن اسحاق : هى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته ، يعنى فقتلها رسول الله (ص) به . قال ابن اسحاق : فى موضع آخر وسماها نباتة امرأة الحكم القرظى . قال ابن اسحاق : ثم ان رسول الله (ص) قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم سهمين للفرس وسهما لراكبه وسهماً للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين . قال وكان أول فئ وقعت فيه السهمان وخمس . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) سعيد بن زيد بسبايا من بنى قريظة الى نجد فابتاع بها خيلا وسلاحا . وكان رسول الله (ص) قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بنى عمرو بن قريظة وكان عليها حتى توفى عنها وهى فى ملكه ، وقد كان رسول الله (ص) عرض عليها الاسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسر رسول الله (ص) باسلامها وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفى عليه الصلاة والسلام ، ثم تكلم ابن اسحاق على ما نزل من الآيات فى قصة الخندق من أول سورة الاحزاب ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى تفسيرها ولله الحمد والمنة . وقد قال ابن اسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بنى قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجى طرحت عليه رحا فشدخته شدخاً شديداً فزعموا أن رسول الله (ص) قال : « إن له لأجر شهيدين . قلت : كان الذى ألقى عليه الرحى تلك المرأة التى لم يقتل من بنى قريظة امرأة غيرها كما تقدم والله أعلم . قال ابن اسحاق : ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان من بنى أسد بن خزيمة ورسول الله (ص) محاصر بنى قريظة فدفن فى مقبرتهم اليوم

وفاة سعد بن معاذ رضى الله عنه

قد تقدم أن حبان بن العرقة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكحله ، فحسمه رسول الله (ص) كياً بالنار فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله أن لايميته حتى يقر عينه من بنى قريظة ،

و ذلك حين نقضوا ما كان بينهم و بين رسول الله (ص) من العهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الاحزاب ، فلما ذهب الاحزاب وانقشعوا عن المدينه وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة فى الدنيا والآخرة وسار اليهم رسول الله (ص) ليحاصرهم كما تقدم فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أبابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله (ص) فيحكم فيهم بما أراه الله فرد الحكم فيهم الى رئيس الاوس وكانوا حلفاءهم فى الجاهلية وهو سعد بن معاذ فرضوا بذلك ويقال بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لما يرجون من حنوه عليهم واحسانه وميله اليهم ولم يعلموا بأنهم أبغض اليه من أعدادهم من القردة والخنازير لشدة ايمانه وصديقيّته رضى الله عنه وأرضاه ، فبعث اليه رسول الله (ص) ، وكان فى خيمة فى المسجد النبوى فجئ به على حمار تحته اكاف قد وطئ تحته لمرضه ولما قارب خيمة الرسول (ص) أمر عليه السلام من هناك بالقيام له قيل لينزل من شدة مرضه ، وقيل توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ فى نفوذ حكمه والله أعلم ، فلما حكم فيهم بالقتل والسبى وأقر الله عينه وشفى صدره منهم وعاد الى خيمته من المسجد النبوى صحبة رسول الله (ص) دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة واختار الله له ما عنده فانفجر جرحه من الليل فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيدا . حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى قال حدثنى من شئت من رجال قومى : أن جبريل أتى رسول الله (ص) حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق فقال : يامحمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال فقام رسول الله (ص) سريعاً يجر ثوبه الى سعد فوجده قد مات رضى الله عنه ، هكذا ذكره ابن اسحاق رحمه الله . وقد قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبى وشعيب بن الليث قالا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل الى رسول الله (ص) فقال : من هذا العبد الصالح الذى مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش ؟ قال فخرج رسول الله (ص) فاذا سعد بن معاذ ، قال فجلس رسول الله (ص) على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس اذ قال « سبحان الله » مرتين ، فسبح القوم ، ثم قال « الله أكبر الله أكبر » فكبر القوم ، ثم قال رسول الله (ص) « عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه فى قبره حتى كان هذا حين فرج له »

وروى الامام احمد والنسائى من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر قال قال رسول الله (ص) لسعد يوم مات وهو يدفن : سبحان الله لهذا

الصالح الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء شـدد عليه ثم فرج الله عنه . وقال محمد بن اسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله (ص) سبح رسول الله (ص) فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يارسول الله مم سبحت ؟ قال لقـد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه . وهكذا رواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق به قال ابن هشام ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله (ص) ان للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا لـكان سعد بن معاذ . قلت : وهذا الحديث قد رواه الامام احمد حدثنا يحيى عن شعبة عن سعد ابن ابراهيم عن نافع عن عائشة عن النبى (ص) قال : ان للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ . وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين إلا أن الامام احمد رواه عن غندر عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن انسان عن عائشة به ورواه الحافظ البزار عن نافع عن ابن عمر قال: حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا داود عن عبد الرحمن حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص) لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون الف ملك الى الارض لم يهبطوا قبل ذلك ولقد ضمه القبر ضمة . ثم بكى نافع . وهذا اسناد جيد لـكن قال البزار رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسـلا ثم رواه البزار عن سليمان بن سيف عن أبى عتاب عن سكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) لقد نزل لموت سعد ابن معاذ سبعون الف ملك ما وطئ الارض قبلها وقال حين دفن سبحان الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد وقال البزار حدثنا اسماعيل بن حفص عن محمد بن فضيل حدثنا عطاء ابن السائب عن مجاهد عن ابن عمر قال اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ فقيل انما يعنى السرير ورفع أبويه على العرش قال تفتحت أعواده قال : ودخل رسول الله (ص) قبره فاحتبس فلما خرج قيل له يارسول الله ماحبسك قال ضم سعد فى القبر ضمة فدعوت الله فـكشف عنه قال البزار تفرد به عطاء بن السـائب . قلت : وهو متكلم فيه . وقد ذكر البيهقى رحمه الله بعد روايته ضمة سعد رضى الله عنه فى القبر أثراً غريبا فقال حدثنا أبو عبـد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا احمد ابن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثنى أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله (ص) فى هذا ؟ فقالوا ذكر لنا أن رسول الله (ص) سئل عن ذلك فقال : كان يقصّر فى بعض الطهور من البول . وقال البخارى حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الفضـل بن مساور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : سمعت النبى (ص) يقول : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ . وعن الاعمش حدثنا أبو صالح عن جابر عن النبى (ص) مثله فقال رجل لجابر فان البراء بن عازب يقول : اهتز السرير انه كان بين هذين الحيين ضغائن سمعت النبى (ص) يقول

اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ورواه مسلم عن عمرو الناقد عن عبد الله بن ادريس وابن ماجه عن على بن محمد عن أبى معاوية كلاهما عن الأعمش به وليس عندهما زيادة قول الاعمش عن أبى صالح عن جابر وقال احمد حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله (ص) يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن عبد بن حميد والترمذى عن محمود بن غيلان كلاهما عن عبد الرزاق به وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أبو نضرة سمعت أبا سعيد عن النبى (ص) اهتز العرش لموت سعد بن معاذ . ورواه النسائى عن يعقوب بن ابراهيم عن يحيى به وقال احمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد قال قتادة حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله (ص) قال وجنازته موضوعة اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن محمد بن عبدالله الازدى عن عبد الوهاب به وقد روى البيهقى من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن البصرى قال اهتز عرش الرحمن فرحا بروحه .

وقال الحافظ البزار حدثنا زهير بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال لما حملت جنازة سعد قال المنافقون ما أخف جنازته وذلك لحكمه فى بنى قريظة فسئل رسول الله (ص) فقال لا ولكن الملائكة تحملته اسناد جيد . وقال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول أهديت للنبى (ص) حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال أتعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين ثم قال رواه قتادة والزهرى سمعنا أنسا عن النبى (ص) وقال احمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد هو ابن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أكيدر دومة أهدى الى رسول الله (ص) جبة وذلك قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها فعجب الناس منها فقال والذى نفسى بيده لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذه . وهذا اسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه وانما ذكره البخارى تعليقاً وقال احمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال محمد وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم قال دخلت على أنس بن مالك فقال لى من أنت ؟ قلت أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ فقال انك بسعد لشبيه ثم بكى وأكثر البكاء وقال رحمة الله على سعد كان من أعظم الناس وأطولهم ثم قال بعث رسول الله (ص) جيشاً الى اكيدر دومة فأرسل الى رسول الله (ص) بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب فلبسها رسول الله (ص) فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون اليها فقال رسول الله (ص) أتعجبون منها لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن مما ترون . وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذى حسن صحيح . قال ابن اسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد

ابن معاذ و فى ذلك يقول رجل من الانصار :

وما اهتزّ عرشُ الله من موتِ هالكٍ سمعنا به إلا لِسَعدِ أبي عمرو

قال : وقالت أمه يعنى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية حين احتمل سعد على نعشه تندبه :

ويلُ أم سعدٍ سعدا صرامةً وحدّا
وسؤدداً ومجْدا وفارساً مُعدّا
سدّ به مسدّا يقدّها ما قدّا

قال : يقول رسول الله ص « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » قلت : كانت وفاته بعد انصراف الاحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، اذ كان قدوم الاحزاب فى شوال سنة خمس كما تقدم فاقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله ص لحصار بنى قريظة فاقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل فيكون ذلك فى أواخر ذي القعدة أو أوائل ذى الحجة من سنة خمس والله أعلم . وهكذا قال محمد بن اسحاق : ان فتح بنى قريظة كان فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة قال : وولى تلك الحجة المشركون . قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثى سعد بن معاذ رضى الله عنه :

لقد سجمتْ من دمع عيني عبرة وحقّ لعيني أن تفيضَ على سعدِ
قتيلٌ ثوى فى معركٍ فُجعتْ به عيونُ ذواري الدمع دائمة الوجد
على ملّة الرحمن وارثُ جنّة مع الشهداء وفْدُها أكرمُ الوفد
فان تكُ قد ودّعتنا وتركتنا وأمسيتَ فى غبراءَ مظلمةِ اللحد
فأنت الذى يا سعدُ أُبتَ بمشهد كريم وأثوابِ المكارم والحمد
بحكمك فى حَيَّيْ قُريظة بالذى قضى اللهُ فيهم ما قضيتَ على عمد
فوافقَ حكمُ الله حكمَكَ فيهمُ ولم تعفُ اذ ذُكِّرتَ ما كان من عهد
فان كان ريبُ الدهر أمضاكَ فى الألى شَرَوا هذه الدنيا بجنّاتها الخلد
فنعم مصيرُ الصادقين اذا دُعوا الى الله يوماً للوجاهةِ والقصد

فصل الأشعار في الخندق وبني قريظة

قال البخارى : حدثنا حجاج بن منهال حدّثنا شعبة حدّثنا عدى بن ثابت أنه سمع البراء ابن عازب قال قال النبى (ص) لحسان : اهجهم أو هاجهم وجبريل معك . قال البخارى : وزاد ابراهيم بن طهمان عن الشيبانى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال قال النبى (ص) يوم قريظة لحسان بن ثابت : أهجُ المشركين فان جبريل معك . وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التى ذكرها البخارى يوم بنى قريظة . قال ابن اسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر فى يوم الخندق (قلت : وذلك قبل اسلامه) :

وُمشفقةٍ تظنّ بنا الظُّنونا وقد قُدْنا عَرندسةً طَحُونا

كأن زَهاءَها أُحُدٌ اذا ما بدتْ أركانُه للناظرينا

ترى الأبدانَ فيها مسبَغاتٍ على الأبطالِ واليَلَبَ الحصينا

وجُرداً كالقِداحِ مسوّماتٍ نؤمّ بها الغُواةَ الخاطئينا

كأنهم اذا صالوا وصُلنا بباب الخندقين مُصافحونا

أناسٌ لا نرى فيهمْ رَشيداً وقد قالوا ألسنا راشدينا

فأحجرناهمُ شهراً كريتاً وكنّا فوقهمْ كالقاهرينا

نُراوحهم ونغدو كلّ يوم عليهم فى السّلاح مدججينا

بأيدينا صوارمُ مرهَفاتٌ نقدُّ بها المفارقَ والشئونا

كأنّ وميضَهنّ مُعرَّياتٍ اذا لاحت بأيدي مُصْلِتينا

وميضُ عقيقةٍ لمعتْ بليلٍ ترى فيها العقائقَ مستبينا

فلولا خندقٌ كانوا لديه لدمّرْنا عليهم أجمعينا

ولكن حالَ دونهمُ وكانوا به من خوفِنا متعوِّذينا

فان نرحلْ فإنا قد تركْنا لدى أبياتِكم سَعْداً رهينا

اذا جنّ الظلامُ سمعتَ نوحاً على سَعدٍ يرجّعنَ الحنينا

وسوف نزوركم عمّا قريبٍ كما زرْناكمُ متوازرينا

بجمعٍ من كنانةَ غيرِ عُزلٍ كأُسْدِ الغابِ اذ حَمَتِ العرينا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بنى سلمة رضى الله عنه فقال :

وسائلةٍ تُسائلُ ما لقينا ... ولو شهدتْ رأتنا صابرينا
صَبَرْنا لا نرى لله عدلاً ... على ما نابَنا متوكِّلينا
وكان لنا النبيُّ وزيرَ صدقٍ ... به نعلو البريّةَ أجمعينا
نقاتلُ مَعشراً ظلموا وعقّوا ... وكانوا بالعداوة مُرْصدينا
نعالجهم إذا نهضوا إلينا ... بضرب يُعجلُ المتسرِّعينا
ترانا فى فضافضَ سابغاتٍ ... كغُدران الملا مُتَسَرْبلينا
وفى أيماننا بيضٌ خِفافٌ ... بها نشفى مِراحَ الشاغبينا
بباب الخندقين كأنَّ أُسْداً ... شوابكهنّ يحمين العَرينا
فوارسُنا اذا بكروا وراحوا ... على الأعداء شُوساً معلمينا
لننصرَ أحمداً والله حتى ... نكونَ عبادَ صدقٍ مخلصينا
ويعلمَ أهلُ مكةَ حين ساروا ... وأحزابٌ أتوا متحزِّبينا
بأن الله ليس له شريكٌ ... وأن الله مولى المؤمنينا
فاما تقتلوا سعداً سفاهاً ... فانّ اللهَ خيرُ القادرينا
سيُدخله جناناً طيباتٍ ... تكونُ مقامةً للصالحينا
كما قد ردّكم فلاً شريداً ... بغيظكمُ خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيراً ... وكِدْتم أن تكونوا دامرينا
بريحٍ عاصفٍ هبتْ عليكم ... فكُنْتم تحتها متكمّهينا

قال ابن اسحاق وقال عبد الله بن الزبعرى السهمى فى يوم الخندق (قلت وذلك قبل أن يسلم)

حيِّ الديارَ محا معارفَ رسمها ... طولُ البلى وتراوحُ الاحقاب
فكأنما كَتبَ اليهودُ رسومَها ... الا الكنيفَ ومعقدَ الأطناب
قفراً كأنك لم تكن تلهو بها ... فى نعمةٍ بأوانسٍ أتراب
فاترك تذكُّرَ ما مضى من عيشةٍ ... ومحلَّةٍ خَلقِ المقام يَباب
واذكر بلاء معاشرٍ واشكرهمُ ... ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصابِ مكةَ عامدين ليثربٍ ... فى ذى غياطلَ جحفلٍ جَبْجاب
يَدَعُ الحزُونَ مَناهجاً معلومةً ... فى كل نَشْزٍ ظاهرٍ وشِعاب
فيها الجيادُ شوازبٌ مجنوبةٌ ... قُبُّ البطون لواحقُ الاقراب

من كل سلهبةٍ وأجردَ سلهبٍ كالسيدِ بادرَ غفلةَ الرقّاب
جيشٌ عيينةُ قاصدٌ بلوائه فيه وصخرٌ قائد الاحزاب
قرمانِ كالبدرَيْن أصبحَ فيهما غيثُ الفقير ومعقلُ الهُرّاب
حتى اذا وَرَدوا المدينةَ وارتدَوا للموتِ كلَّ مجرَّبٍ قضّاب
شهراً وعشراً قاهرين محمداً وصِحابُهُ فى الحرب خيرُ صِحاب
نادَوا برحلتهم صبيحةَ قُلتمُ كدنا نكون بها مع الخيّاب
لولا الخنادقُ غادروا من جمعِهم قتلى لطيرٍ سُغّبٍ وذئاب

قال فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسم دارسة المقام يبابِ متكلم لمحاورٍ بجواب
قفرٌ عفا رهمُ السحابِ رسومَه وهبوبُ كل مُطِلّةٍ مِرباب
ولقد رأيتُ بها الحلولَ يَزينُهم بيضُ الوجوه ثواقبُ الاحساب
فدعِ الديارَ وذِكْرَ كلِّ خريدةٍ بيضاءَ آنسةِ الحديثِ كَعاب
واشكُ الهمومَ الى الإلهِ وماترى من معشرٍ ظَلموا الرسولَ غضاب
ساروا بأجمعِهم اليه وألّبوا أهلَ القرى وبوادِيَ الأعراب
جيشٌ عيينةُ وابنُ حربٍ فيهم مُتخمِّطون بحلبةِ الأحزاب
حتى اذا وردوا المدينة وارتجَوا قَتْلَ الرسول ومغنَمَ الاسلاب
وغدَوا علينا قادرين بأيْدِهِم رُدوا بغيظهمُ على الأعقاب
بهبوبِ معصفةٍ تُفرِّق جَمْعَهم وجنودُ ربِّك سيّدُ الأرباب
فكفى الالهُ المؤمنينَ قتالَهم وأثابَهم فى الأجرِ خيرَ ثواب
من بعدِ ماقَنِطوا ففرَّقَ جَمْعَهم تنزيلُ نصرِ مليكِنا الوهّاب
وأقرَّ عينَ محمدٍ وصِحابِهِ وأذلَّ كل مكذِّبٍ مرتاب
عاتي الفؤادِ موقَّعٌ ذي ريبةٍ فى الكفرِ ليس بطاهرِ الاثواب
علِقَ الشقاءُ بقلبِه ففؤادِه فى الكفرِ آخرُ هذه الأحقاب

قال وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً فقال :

أبقى لنا حَدَثُ الحروبِ بقيةً من خيرِ نحلةِ ربِّنا الوهّاب
بيضاء مشرفة الذُرى ومعاطناً حُمَّ الجذوعِ غزيرةَ الاحلاب
كاللوبِ يُبذَل جمُّها وحَفيلُها للجارِ وابنِ العمِّ والمنتاب

ونزائعاً مثلَ السراج نمى بها ... علفُ الشعير وجزّةُ المقضاب
عرّى الشّوى منها وأردف نحضُها ... جردُ المتونِ وسائرُ الآراب
قُوداً تُراح الى الصّباح اذا غدتْ ... فعلَ الضّراءِ تُراحُ للكُلّاب
وتحوطُ سائمةَ الديارِ وتارةً ... تُردي العِدى وتئوبُ بالاسلاب
حُوشُ الوحوش مطارةً عند الوغى ... عُبْسُ اللقاءِ مُبينة الأنجاب
عُلِفتْ على دَعَةٍ فصارت بُدّناً ... دُخْسَ البَضيع خفيفةَ الأقصاب
يغدون بالزغفِ المضاعَفِ شكُّه ... وبمترَصَاتٍ فى الثّقافِ صِياب
وصوارمٍ نَزَعَ الصيا قلُ غُلْبَها ... وبكلّ أروعَ ماجدِ الانساب
يصلُ اليمينَ بمارنٍ متقاربٍ ... وَكِلَتْ وقيعتُه الى خَبّاب
وأغرَّ أزرقَ فى القناة كأنه ... فى طُخْيةِ الظلماء ضوءُ شهاب
وكتيبةٍ ينفى القِران قتيرُها ... وتردُّ حدّ قَواجِزِ النشّاب
جأْوَى ململةً كأنّ رماحَها ... فى كل مَجمَعَةٍ صريمةِ غابِ
تأوي الى ظلّ اللواءِ كأنه ... فى صعدة الخطّيّ فيُّ عُقاب
أعيَتْ أبا كربٍ وأعيتْ تُبّعاً ... وأبتْ بسالتُها على الأعراب
ومواعظٍ من ربّنا نُهدى بها ... بلسانِ أزهرَ طيّبِ الاثواب
عُرِضتْ علينا فاشتهينا ذِكْرَها ... من بعدِ ماعُرِضَتْ على الأحزاب
حِكماً يراها المجرمون بزعمهم ... حَرِجاً ويفهمُها ذوو الألباب
جاءت سَخِينةُ كي تغالبَ ربَّها ... فليُغلبنّ مُغالِبُ الغَلّاب

قال ابن هشام: حدثنى من أثق به حدثنى عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن رسول الله (ص) قال له لما سمع منه هذا البيت: لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا. قلت ومراده بسخينة قريش وانما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذى لايتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادى فالله أعلم. قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك أيضاً:

من سرّهُ ضربٌ يُمَعْمِعُ بعضُه ... بعضاً كمعمعةِ الإباء المحْرَق
فليأتِ مأسدةً تسنّ سيوفَها ... بين المذادِ وبينَ جِذْعِ الخندق
دَربوا بضَرْبِ المُعْلَمين وأسلموا ... مهجاتِ أنفسهم لربِّ المشرق
فى عُصبةٍ نَصَرَ الالهُ نبيَّه ... بهمُ وكانَ بعبدِه ذا مرفق
فى كل سابغةٍ تخطّ فضولُها ... كالنّهيِ هبّتْ ريحُه المترقرق

بيضاءَ مُحْكَمَةٍ كأنّ قَتيرَها حَدَقُ الجنادبِ ذاتِ شكٍّ موثقِ
جدلاءَ يحفزها نجادُ مهنّدٍ صافي الحديدةِ صارمٍ ذي رونقِ
تلكمْ مع التقوى تكونُ لباسَنا يوم الهياج وكلَّ ساعةِ مصدقِ
نَصِلُ السيوفَ اذا قَصُرنَ بخطْونا قُدُماً ونُلحقها اذا لم تلحقِ
فترى الجماجمَ ضاحياً هاماتُها بَلْهَ الأكفّ كأنّها لم تخلقِ
نلقى العدوَّ بفخمةٍ ملمومةٍ تنفي الجموعَ كقصدِ رأسِ المشرقِ
ونُعدُّ للاعداءِ كلَّ مقلّصٍ وردٍ ومحجولِ القوائمِ أبلقِ
تردي بفرسانٍ كأنّ كُماتَهم عند الهياج أسودُ طلٍّ ملثقِ
صُدُقٍ يعاطون الكُماةَ حُتوفَهم تحتَ العِمايةِ بالوشيجِ المزهقِ
أمرَ الإلهُ بربطها لعدوّه فى الحرب ان الله خيرُ موفقِ
لتكونَ غيظاً للعدوّ وحيّطاً للدارِ إنْ دلفت خيولُ النزّقِ
ويعيننا اللهُ العزيزُ بقوّةٍ منهُ وصدقِ الصّبرِ ساعةَ نلتقي
ونطيعُ أمرَ نبيّنا ونجيبه واذا دعا لكريهةٍ لم نُسبقِ
ومتى ينادَى للشدائدِ نأتِها ومتى نرى الحوماتِ فيها نُعنقِ
من يتّبع قولَ النبي فإنه فينا مُطاعُ الأمرِ حقٌّ مصدّقِ
فبذاك ينصُرنا ويُظهرُ عزّنا ويصيبنا من نيلِ ذاك بمرفقِ
إن الذين يكذّبون محمداً كفروا وضلّوا عن سبيلِ المتقي

قال ابن اسحاق: وقال كعب بن مالك أيضاً:

لقد علم الأحزابُ حين تألّبوا علينا وراموا دِيننا ما نوادعُ
أضاميمُ من قيس بن غيلان أصفقتْ وخندفُ لم يدروا بما هو واقعُ
يذودوننا عن ديننا ونذودهم عن الكفر والرحمنُ راءٍ وسامعُ
اذا غايظونا فى مقامٍ أعاننا على غيظهم نصرٌ من الله واسعُ
وذلك حفظُ الله فينا وفضلُه علينا ومَن لم يحفظِ اللهُ ضائعُ
هدانا لِدين الحق واختاره لنا ولله فوق الصانعين صانعُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له — يعنى طويلة — قال ابن اسحاق: وقال حسان بن ثابت فى مقتل بنى قريظة:

لقد لقيتْ قُرَيظةُ ماساءها وما وجَدَتْ لذلٍّ من نصيرِ

أصابهمُ بلاءٌ كان فيه ... سِوى ماقد أصابَ بني النضير
غداةَ أتاهمُ يهوي اليهم ... رسولُ الله كالقمر المنير
له خيل مجنّبةٌ تَعادى ... بفرسانٍ عليها كالصقور
تركناهمْ وما ظفروا بشيء ... دِماؤهمُ عليها كالعبير
فهم صرعى تحومُ الطير فيهم ... كذاك يُدانُ ذو العَنَدِ الفجور
فأنذرْ مثلَها نُصْحاً قريشاً ... من الرحمن إنْ قَبِلتْ نذيرى

قال وقال حسان بن ثابت أيضاً فى بني قريظة :

تعاقد معشرٌ نصروا قُريشاً ... وليسَ لهم ببلدتهم نصير
همُ أوتوا الكتابَ فضيّعوه ... وهم عُمْيٌ من التوراة بورُ
كفرتم بالقرانِ وقد أتيتم ... بتصديقِ الذي قالَ النذير
فهان على سَراة بني لؤيٍّ ... حريقٌ بالبُويرة مستطير

فأجابه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

ادام الله ذلكَ من صَنيعٍ ... وحرّق فى طوائفها السعيرُ
ستعلم اينا منها بنُزهٍ ... وتعلم أي أرْضَينا تَضير
فلو كان النخيلُ بها ركاباً ... لقالوا لامُقامَ لكُم فسيروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدم فى صحيح البخارى بعض هذه الابيات . وذكر ابن اسحاق جواب حسان فى ذلك لجبل بن جوال الثعلبى تركناه قصداً .
قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكى سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بنى قريظة :

ألا يالقومي هل لما حُمَّ دافعٌ ... وهل مامضى من صالحِ العيش راجع
تذكّرتُ عصراً قد مضى فتهافتَتْ ... بناتُ الحشا وانْهلَّ مني المدامع
صبابةُ وَجدٍ ذكّرتنيَ إخوةً ... وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعدٌ فأضحَوا فى الجنان وأوحشَتْ ... منازلُهم فالأرضُ منهم بلاقع
وفَوا يومَ بدرٍ للرسول وفوقَهم ... ظلالُ المنايا والسيوفُ اللوامع
دعا فأجابوه بحقٍّ وكلّهم ... مطيعٌ له فى كل أمرٍ وسامع
فما نَكَلوا حتى توالَوا جماعةً ... ولا يقطعُ الآجالَ الا المصارع
لأنّهمُ يرجُون منه شفاعةً ... اذا لم يكن إلا النبيّون شافع
فذلك يا خيرَ العباد بلاؤنا ... إجابتُنا للهِ والموت ناقع

لنا القَدَمُ الأوْلى اليكَ وخلْفَنا لأوّلنا في ملّةِ الله تابع
ونعلم أن المُلْكَ لله وحدَه وان قضاءَ الله لا بُدّ واقع

مقتل أبي رافع اليهودي

قال ابن اسحاق : ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة وكان سلام بن أبي الحقيق – وهو أبو رافع – فيمن حزّب الاحزاب على رسول الله (ص) وكانت الأوس قبل أحُد قد قتلت كعب بن الاشرف فاستأذن الخزرج رسول الله (ص) في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله لرسوله (ص) أن هذين الحيين من الانصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله (ص) تصاول الفحلين لاتصنع الاوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله (ص) الا وقالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله (ص). فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الاوس مثل ذلك . قال : ولما أصابت الاوسُ كعبَ بن الاشرف في عداوته لرسول الله (ص) قالت الخزرج والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا . قال : فتذاكروا مَن رجل لرسول الله (ص) في العداوة كابن الاشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا الرسول (ص) في قتله فأذن لهم فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس و أبو قتادة الحارث ابن ربعي وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم فخرجوا وأمّر عليهم رسول الله (ص) عبد الله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله قال : وكان في علية له اليها عجلة قال : فأسندوا اليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوفاً أن يكون دونه مجاولة تحول بيننا و بينه . قال : فصاحت امرأته فنوهت بنا فابتدرناه وهو على فراشه باسيافنا فوالله مايدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله (ص) فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل .قال فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطني قطني أي حسبي حسبي. قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر قال فوقع من الدرجة فوثبت يده وثباً شديداً وحملناه حتى نأتي به منهراً من عيونهم فندخل فيه فاوقدوا النيران واشتدّوا

فى كل وجه يطلبونا حتى اذا يئسوا رجعوا اليه فاكتنفوه وهو يقضى قال فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل فى الناس قال : فوجدتها ـ يعنى امرأته ـ ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه وتحدثهم وتقول :أما والله قد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسى وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد . ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه فقالت : فاظ واله يهود ، فما سمعت كلمة كانت ألذ على نفسى منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله (ص) فأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده فى قتله كلنا يدّعيه . قال فقال : هاتوا أسيافكم . فجئنا بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله أرى ، فيه أثر الطعام . قال ابن اسحاق : فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لله درُّ عصابةٍ لاقيتَهم ... يا ابنَ الحقيقِ وأنتَ يا ابنَ الأشرف
يسرُون بالبيضِ الخِفافِ اليكمُ ... مَرَحاً كأُسْدٍ فى عرينٍ مغرف
حتى أتوْكم فى محلِّ بلادِكم ... فسقوكم حتفاً ببيضٍ ذُفَّف
مستبصِرين لنصرِ دينِ نبيِّهم ... مستصغرينَ لكلِّ أمرٍ مجحِفِ

هكذا أورد هذه القصة الامام محمد بن اسحاق رحمه الله . وقد قال الامام أبو عبد الله البخارى حدثنا اسحاق بن نصر حدّثنا يحيى بن آدم حدّثنا ابن أبى زائدة عن أبيه عن أبى اسحاق عن البراء بن عازب قال : بعث النبى (ص) رهطا الى أبى رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله . قال البخارى : حدّثنا يوسف بن موسى حدّثنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء قال : بعث رسول الله (ص) الى أبى رافع اليهودي رجالا من الانصار وأمّر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله (ص) ويعين عليه وكان فى حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فانى منطلق متلطف للبواب لعلى أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاغاليق على وتد قال : فقمت الى الاقاليد وأخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان فى علالى له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علىّ من داخل فقلت ان القوم سدروا لى لم يخلصوا الىّ حتى أقتله . فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت أبا رافع . قال من هذا . فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش فما أغنيت شيئاً وصاح فخرجتُ من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ماهذا الصوت

ياأبا رافع فقال لأمك الويل ان رجلا فى البيت قتل بالسيف . قال فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت صبيب السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره فعرفت أنى قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة حتى انطلقتُ حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال أنعى أبا رافع ناصر أهل الحجاز فانطلقت الى أصحابى فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبى (ص) فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلى فمسحها فكأنما لم اشتكها قط . قال البخارى حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الاودى حدثنا شريح حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى اسحاق سمعت البراء قال بعث رسول الله (ص) الى أبى رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة فى ناس معهم فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله ابن عتيك امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فانظر قال : فتلطفت حتى أدخل الحصن ففقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه قال : فخشيت أن أعرف قال : فغطيت رأسى وجلست كأنى أقضى حاجة فقال : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه . فدخلت ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ثم رجعوا الى بيوتهم فلما هدأت الاصوات ولا أسمع حركة خرجت قال ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن فى كوة فأخذته ففتحت به باب الحصن قال قلت ان نَذِرَ بى القوم انطلقت على مهل ثم عمدت الى أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت الى أبى رافع فى سلم فاذا البيت مظلم قد طفئ سراجه لم أدر أين الرجل فقلت ياأبا رافع قال من هذا فعمدت نحو الصوت فاضربه وصاح فلم تغن شيئاً قال ثم جئته كأنى أغيثه فقلت مالك ياأبا رافع وغيرت صوتى قال لاأعجبك لأمك الويل دخل علىّ رجل فضربنى بالسيف قال فعمدت اليه أيضا فأضربه اخرى فلم تغن شيئاً فصاح وقام أهله ثم جئت وغيرت صوتى كهيئة المغيث فاذا هو مستلق على ظهره فاضع السيف فى بطنه ثم انكفئ عليه حتى سمعت صوت العظم ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فاسقط منه فانخلعت رجلى فعصبتها ثم أتيت أصحابى أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله (ص) فانى لاأبرح حتى أسمع الناعية فلما كان فى وجه الصبح صعد الناعية فقال أنعى أبا رافع قال فقمت أمشى مابى قلبه فادركت أصحابى قبل أن يأتوا رسول الله (ص) فبشرته . تفرد به البخارى بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة ثم قال : قال الزهرى قال أبىّ بن كعب فقدموا على رسول الله (ص) وهو على المنبر فقال أفلحت الوجوه قال أفلح وجهك يارسول الله قال أفتكتموه قالوا نعم قال ناولنى السيف فسله فقال اجل هذا طعامه فى ذباب السيف . قلت يحتمل أن عبد الله بن عتيك

لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثبت رجله فلما عصبها استكن مابه لما هو فيه من الامر الباهر ولما أراد المشى أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ثم لما وصل الى رسول الله (ص) واستقرت نفسه ثاوره الوجع فى رجله فلما بسط رجله ومسح رسول الله (ص) ذهب ماكان بها من بأس فى الماضى ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله فى المستقبل جمعا بين هذه الرواية والتى تقدمت والله أعلم . هذا وقد ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه مثل سياق محمد بن اسحاق وسمى الجماعة الذين ذهبوا اليه كما ذكره ابن اسحاق وابراهيم وأبو عبيد

مقتل خالد بن سفيان الهذلي

ذكره الحافظ البيهقى فى الدلائل تلو مقتل أبى رافع . قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن اسحاق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال : دعانى رسول الله (ص) فقال : انه قد بلغنى ان خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى وهو بعرنة فائته فاقتله . قال قلت يارسول الله انعته لى حتى أعرفه . قال اذا رأيته وجدت له قشعريرة قال فخرجت متوشحاً سيفى حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلا وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لى رسول الله (ص) من القشعريرة فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بينى وبينه محاولة تشغلنى عن الصلاة فصليت وأنا أمشى نحوه أومئ برأسى للركوع والسجود فلما انتهيت اليه قال : من الرجل؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال أجل انا فى ذلك قال فمشيت معه شيئاً حتى اذا أمكننى حملت عليه السيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه فلما قدمت على رسول الله (ص) فرآنى قال أفلح الوجه قال قلت قتلته يارسول الله قال صدقت قال ثم قام معى رسول الله (ص) فدخل فى بيته فأعطانى عصا فقال : امسك هذه عندك ياعبد الله بن أنيس . قال فخرجت بها على الناس فقالوا ماهذه العصا ؟ قال قلت أعطانيها رسول الله (ص) وأمرنى أن أمسكها قالوا أولا ترجع الى رسول الله (ص) فتسأله عن ذلك . قال فرجعت الى رسول الله (ص) فقلت يارسول الله لم أعطيتنى هذه العصا ؟ قال آية بينى وبينك يوم القيامة ان أقل الناس المتخصرون يومئذ . قال فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى اذا مات أمر بها فضمت فى كفنه ثم دفنا جميعاً ثم رواه الامام احمد عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن ادريس عن محمد ابن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن بعض ولد عبد الله بن انيس — أو قال عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس — عن عبد الله بن انيس فذكر نحوه . وهكذا رواه أبو داود عن أبى معمر عن عبد الوارث عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر عن عبد الله بن انيس عن أبيه فذكر نحوه

ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن انيس عن أبيه فذكره. وقد ذكر قصة عروة بن الزبير وموسى بن عقبة فى مغازيهما مرسلة فالله أعلم. قال ابن هشام وقال عبد الله بن أنيس فى قتله خالد بن سفيان:

تركتُ ابنَ ثورٍ كالحوار وحوله | نوائحُ تفري كلَّ جيبٍ مُعدَّد
تناولتُه والظعْنُ خلفي وخلفَه | بأبيضَ من ماء الحديد المهنَّد
عجومٍ لهام الدارعين كأنه | شهابٌ غضىً من مُلهبٍ متوقد
أقول له والسيفُ يعجم رأسه | أنا ابن أنيسٍ فارسٌ غيرُ قعدد
أنا ابنُ الذى لم يُنزلِ الدهرُ قِدرَه | رحيبٌ فِناءُ الدار غيرِ مزنّدِ
وقلتُ له خذْها بضربةِ ماجدٍ | خفيفٍ على دينِ النبيِّ محمد
وكنتُ اذا همَّ النبي بكافر | سبقتُ اليه باللسانِ وباليد

قلت عبد الله بن انيس بن حرام أبو يحيى الجهنى صحابى مشهور كبير القدر كان فيمن شهد العقبة وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك وتأخر موته بالشام الى سنة ثمانين على المشهور وقيل توفى سنة أربع وخمسين والله أعلم. وقد فرق على بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن انيس ابى عيسى الانصارى الذى روى عن النبي ﷺ أنه دعا يوم أحد باداوة فيها ماء فحل فمها وشرب منها كما رواه أبو داود والترمذى من طريق عبد الله العمرى عن عيسى بن عبد الله بن انيس عن أبيه ثم قال الترمذى وليس اسناده يصح وعبد الله العمرى ضعيف من قبل حفظه

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي

قال محمد بن اسحاق بعد مقتل أبى رافع وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن راشد مولى حبيب ابن اوس الثقفى عن حبيب بن اوس حدثنى عمرو بن العاص من فيه قال: لما انصرفنا يوم الاحزاب عن الخندق جمعتُ رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله أنى أرى أمر محمد يعلو الامور علواً منكراً وانى لقد رأيت أمراً فما ترون فيه. قالوا وما رأيت قال رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فانا ان نكن تحت يديه أحب الينا من أن نكون تحت يدى محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: ان هذا لرأى. قلت: فاجمعوا لنا مانهدى له فكان أحب مايهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده إذ جاءه عمرو بن

أمية الضمري وكان رسول الله ص قد بعثه اليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لاصحابي : هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحبا بصديقي هل أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيراً . قال ثم قربته اليه فأعجبه واشتهاه . ثم قلت له أيها الملك اني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لاقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت الارض لدخلت فيها فرقا . ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه . قال أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى فتقتله ؟ قال قلت أيها الملك أكذاك هو ؟ قال ويحك ياعمرو أطعني واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده قال قلت افتبايعني له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي اسلامي ثم خرجت عامداً الى رسول الله ص لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت أين أبا سليمان ؟ فقال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبي أذهب والله أسلم فحتى متى ؟ قال قلت والله ماجئت الا لاسلم . قال فقدمنا المدينة على النبي ص ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت يارسول الله اني أبايعك على أن تغفر لي ماتقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر . قال فقال رسول الله ص : ياعمرو بايع فان الاسلام يجبُّ ما كان قبله وان الهجرة تجبُّ ما كان قبلها . قال فبايعته ثم انصرفت . قال ابن اسحاق وقد حدثني من لا أتهم ان عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن ابي الزبعري السهمي :

أنشدُ عثمانَ بن طلحةَ خلفنا ... وملقى نعالِ القوم عند المقبل
وما عقدَ الآباءُ من كلِّ حِلفة ... وما خالدٌ من مثلها بمحلل
أمفتاحَ بيتٍ غير بيتك تبتغي ... وما تبتغي من بيت مجد مؤثل
فلا تأمننَّ خالداً بعد هذه ... وعثمان جاءا بالدُّهيم المعضل

قلت كان اسلامهم بعد الحديبية وذلك ان خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتي بيانه فكان ذكر هذا الفصل في اسلامهم بعد ذلك أنسب ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للامام محمد بن اسحاق رحمه الله تعالى لأن أول ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشي كان بعد وقعة الخندق ، الظاهر انه ذهب بقية سنة خمس . والله أعلم

فصل في تزويج النبي (ص) بأم حبيبة

ذكر البيهقى بعد وقعة الخندق من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة ﴾ قال هو تزويج النبى (ص) بأم حبيبة بنت أبى سفيان فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين . ثم قال البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أحمد بن نجدة حدثنا يحيى بن عبد الحميد أنبأنا ابن المبارك عن معمر عن الزهرى عن عروة عن أم حبيبة انها كانت عند عبد الله بن جحش وكان رحل الى النجاشى فمات وان رسول الله (ص) تزوج بأم حبيبة وهى بأرض الحبشة وزوجها اياه النجاشى ومهرها أربعة آلاف درهم وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهزها من عنده وما بعث رسول الله (ص) بشىء . قال وكان مهور أزواج النبى (ص) أربعمائة . قلت والصحيح ان مهور أزواج النبى (ص) كانت ثنتى عشرة أوقية ونشاً والوقية أربعون درهما والنش النصف وذلك يعدل خمسمائة درهم . ثم روى البيهقى من طريق ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة ان عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانيا فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله (ص) زوجها منه عثمان بن عفان رضى الله عنه

قلت أما تنصر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه وذلك على أثر ماهاجر مع المسلمين الى أرض الحبشة استزله الشيطان فزين له دين النصارى فصار اليه حتى مات عليه لعنة الله وكان يعير المسلمين فيقول لهم أبصرنا وصأصأتم وقد تقدم شرح ذلك فى هجرة الحبشة . وأما قول عروة ان عثمان زوجها منه فغريب لأن عثمان كان قد رجع الى مكة قبل ذلك ثم هاجر الى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم والله أعلم . والصحيح ما ذكره يونس عن محمد بن اسحاق قال بلغنى ان الذى ولى نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص . قلت وكان وكيل رسول الله (ص) فى قبول العقد أصحمة النجاشى ملك الحبشة كما قال يونس عن محمد بن اسحاق حدثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين قال بعث رسول الله (ص) عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى فزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان وساق عنه أربعمائة دينار

وقال الزبير بن بكار حدثنى محمد بن الحسن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن اسماعيل بن عمرو أن أم حبيبة بنت أبى سفيان قالت : ماشعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشى جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فاستأذنت علىّ فأذنت لها فقالت : ان الملك يقول لك ان رسول الله (ص) كتب إلى أن أزوجكه فقلت بشرك الله بالخير وقالت يقول لك

الملك وكلى من يزوجك . قالت : فأرسلت الى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين من فضة كانتا على وخواتيم من فضة فى كل أصابع رجلى سروراً بما بشرتنى به . فلما أن كان من العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا وخطب النجاشى وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذى بشر به عيسى بن مريم . أما بعد فان رسول الله ص طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان فاجبت الى مادعا اليه رسول الله ص وقد أصدقها أربعمائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدى القوم . فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمده واستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .أما بعد فقد أجبت الى مادعا اليه رسول الله ص وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله لرسول الله ص ودفع النجاشى الدنانير الى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فان من سنة الانبياء اذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج . فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا . قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشى بعد الخندق انما كان فى قصية أم حبيبة فالله أعلم . لكن قال الحافظ البيهقى ذكر أبو عبد الله ابن منده أن تزويجه عليه السلام بام حبيبة كان فى سنة ست وان تزويجه بأم سلمة كان فى سنة أربع . قلت وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المثنى وابن البرقى وان تزويج أم حبيبة كان فى سنة ست وقال بعض الناس سنة سبع . قال البيهقى هو أشبه قلت قد تقدم تزويجه عليه السلام بام سلمة فى أواخر سنة أربع وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ويحتمل أن يكون بعده وكونه بعد الخندق أشبه لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشى فهو فى قضيتها والله أعلم . وقد حكى الحافظ ابن الاثير فى الغابة عن قتادة أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة الى المدينة خطبها رسول الله ص وتزوجها . وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد اسلام أبيها بعد الفتح واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليمانى عن أبى زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس أن ابا سفيان قال يارسول الله ثلاث أعطنيهن . قال نعم . قال تؤمرنى على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال نعم . قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك . قال نعم . قال وعندى أحسن العرب واجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها . الحديث بتمامه . قال ابن الاثير وهذا الحديث مما أنكر على مسلم لان ابا سفيان لما جاء يجدد العقد قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثنت عنه فراش النبى ص فقال والله ما أدرى أرغبت بى عنه أو به عنى ؟ قالت بل هذا فراش رسول الله ص وأنت رجل مشرك . فقال والله لقد أصابك بعدى يابنية شر

وقال ابن حزم هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار وهذا القول منه لايتابع عليه . وقال آخرون أراد ان يجدد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه . وقال بعضهم لانه اعتقد انفساخ نكاح ابنته باسلامه . وهذه كلها ضعيفة والاحسن فى هذا أنه أراد ان يزوجه ابنته الاخرى عزة لما رأى فى ذلك من الشرف له واستعان باختها امحبيبة كما فى الصحيحين وانما وهم الراوى فى تسميته ام حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً . قال أبو عبيد القاسم بن سلام توفيت أم حبيبه سنه أربع وأربعين وقال ابو بكر بن أبى خيثمة توفيت قبل معاويه لسنة وكانت وفاة معاوية فى رجب سنه ستين

تزويجه بزينب بنت جحش

ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الاسدية أم المؤمنين وهى بنت أميمه بنت عبد المطلب عمه رسول الله ص ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه قال قتادة والواقدى وبعض أهل المدينة تزوجها عليه السلام سنة خمس زاد بعضهم فى ذى القعدة قال الحافظ البيهقى تزوجها بعد بنى قريظه وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده تزوجها سنة ثلاث والاول أشهر وهو الذى سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ فى سبب تزويجه اياها عليه السلام حديثا ذكره احمد بن حنبل فى مسنده تركنا إيراده قصداً لئلا يضعه من لايفهم على غير موضعه وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : [واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا] . [ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً]

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية فالمراد بالذى أنعم الله عليه هاهنا زيد بن حارثة مولى رسول الله ص أنعم الله عليه بالاسلام وأنعم عليه رسول الله ص بالعتق وزوجه بابنة عمه زينب بنت جحش . قال مقاتل بن حيان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وخمسين مداً وعشرة أمداد من تمر فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكو الى رسول الله ص فكان ص يقول له : اتق الله وامسك عليك زوجك . قال الله [وتخفى فى نفسك ما الله مبديه] قال على بن الحسين زين العابدين والسدى : كان الله قد علم أنها ستكون من أزواجه فهو الذى كان فى نفسه عليه السلام . وقد تكلم كثير من السلف ها هنا بآثار

عربية و بعضها فيه نظر تركناها. قال الله تعالى [فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها] ، ذلك أن زيداً طلقها فلما انقضت عدتها بعث اليها رسول الله (ص) يخطبها الى نفسها ثم تزوجها وكان الذى زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى كما ثبت فى صحيح البخارى عن أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبى (ص) فتقول : زوجكن أهليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات . وفى رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس قال : كانت زينب تفخر على نساء النبى (ص) وتقول : أنكحنى الله من السماء . وفيها أنزلت آية الحجاب [يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه] الآية. وروى البيهقى من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو زينب فجعل رسول الله (ص) يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال أنس : فلو كان رسول الله (ص) كاتماً شيئاً لكتم هذه فكانت تفخر على أزواج النبى (ص) تقول : زوجكن أهليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات ثم قال : رواه البخارى عن أحمد عن محمد بن أبى بكر المقدمى عن حماد بن زيد ، ثم روى البيهقى من طريق عفان عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو الى رسول الله (ص) من زينب بنت جحش فقال النبى (ص) : أمسك عليك أهلك فنزلت [وتخفى فى نفسك ما الله مبديه] ثم قال البخارى عن محمد بن عبد الرحيم عن معلى بن منصور عن محمد مختصراً وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال : كانت زينب تقول للنبى (ص) انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد تعنى عبد المطلب فانه أبو أبى النبى (ص) وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب وانى أنكحنيك الله عز وجل من السماء وان السفير جبريل عليه السلام . وقال الامام أحمد حدثنا هاشم - يعنى ابن القاسم - حدثنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبى (ص) لزيد اذهب فاذكرها على فانطلق حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها ان رسول الله (ص) ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى . وقلت يا زينب أبشرى أرسلنى رسول الله (ص) بذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربى عز وجل ثم قامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله (ص) فدخل عليها بغير إذن قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله (ص) اطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله (ص) واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدرى أنا أخبرته والقوم قد خرجوا أو أخبر . قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بينى وبينه ونزل

الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به [لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم] الآية ، وكذا رواه مسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة

نزول الحجاب صبيحة عرس زينب

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين وذلك وفق الرأي العمري . قال البخاري : حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله (ص) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا وجلسوا يتحدثون فاذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر وجاء النبي (ص) ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت النبي (ص) أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني و بينه فأنزل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي] الآية ، وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر . ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس نحوه . وقال البخاري : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بني على النبي (ص) بزينب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طعامكم ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي (ص) فانطلق الى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أهلك بارك الله لك ؟ فتقرّى حجر نسائه كلهن ويقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي (ص) فاذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون وكان النبي (ص) شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فخرج حتى اذا وضع رجله في أسكفة الباب واخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب ، تفرد به البخاري من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن اسحاق هو ابن نصر عن عبد الله بن بكير السهمي عن حميد بن أنس بنحو ذلك ، وقال « رجلان » بدل ثلاثة فالله أعلم

قال البخاري : وقال ابراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول الله (ص) ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيساً ثم حطته في تور فقالت اذهب الى رسول الله (ص) وأخبره ان هذا منا له قليل قال أنس والناس يومئذ في ..

جهد فجئت به فقلت يارسول بعثتْ بهذا أم سليم اليك وهي تقرئك السلام و تقول ان هذا منـا له قليل فنظر اليه ثم قال ضعه فى ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لى فلاناً وفلاناً فسمى رجالا كثيرا قال ومن لقيتَ من المسلمين فدعوت من قال لى و من لقيتُ من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس . فقلت يا أبا عثمان كم كانوا قال كانوا زهاء ثلثمائة . قال أنس فقال لى رسول الله (ص) جيء فجئت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله ثم قال ليتحلق عشرة عشرة ويسموا وليأكل كل انسان مما يليه فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لى رسول الله (ص) ارفعه قال فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فلا أدرى أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته قال وتخلف رجال يتحدثون فى بيت رسول الله (ص) وزوج رسول الله (ص) التى دخل بها معهم مولية وجهها الى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله (ص) وكان أشد الناس حياء ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً فقام رسول الله (ص) فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله (ص) حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا فى الحجرة فمكث رسول الله (ص) فى بيته يسيرا وأنزل الله القرآن فخرج وهو يقرأ هذه الآية [يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لايستحيى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيما . ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما] قال أنس فقرأهن علىَّ قبل الناس وأنا أحدَثُ الناس بهن عهدا . وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان عن الجعد أبى عثمان به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد أبى عثمان به وقد روى هذا الحديث البخارى والترمذى والنسائى من طرق عن أبى بشر الاحمسى الكوفى عن أنس بنحوه ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى نضرة العبدى عن أنس بنحوه ولم يخرجوه . ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهرى عن أنس نحو ذلك . قلت : كانت زينب بنت جحش رضى الله عنها من المهاجرات الاول وكانت كثيرة الخير والصدقة وكان اسمها أولا برة فسماها النبى (ص) زينب وكانت تكنى بأم الحكم قالت عائشة رضى الله عنها مارأيت امرأة قط خيراً فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة . وثبت فى الصحيحين كما سيأتى فى حديث الافك عن عائشة انها قالت وسأل رسول الله (ص) عن زينب بنت جحش

وهي التي كانت تساميني من نساء النبي (ص) فعصمها الله بالورع فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري، ماعلمت الا خيرا . وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا محمود بن غيلان حدثنا الفضل بن موسى الشيباني حدثنا طلحة بن يحيي بن طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول الله (ص) أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا قالت فكنا نتطاول أينا أطول يداً قالت فكانت زينب أطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتصدق . انفرد به مسلم . قال الواقدي وغيره من أهل السير والمغازي والتواريخ توفيت سنة عشرين من الهجرة وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت بالبقيع وهي أول امرأة صنع لها النعش

سنة ست من الهجرة

قال البيهقي كان يقال في المحرم منها سرية محمد بن مسلمة قبل نجد وأسروا فيها ثمامة بن أثال اليمامي قلت : لكن في سياق ابن اسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه شهد ذلك وهو انما هاجر بعد خيبر فيؤخر الى مابعدها والله أعلم . وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لحيان على الصحيح قال ابن اسحاق وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة وولي تلك الحجة المشركون يعني في سنة خمس كما تقدم . قال ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهري ربيع وخرج في جمادى الاولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة الى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه وأظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم والمقصود انه عليه السلام لما انتهى الى منازلهم هربوا من بين يديه فتحصنوا في رؤوس الجبال فمال الى عسفان فلقي بها جمعاً من المشركين وصلى بها صلاة الخوف . وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهنالك ذكرها البيهقي والاشبه ماذكره ابن اسحاق انها كانت بعد الخندق وقد ثبت انه صلى بعسفان يوم بني لحيان فلتكتب هاهنا وتحول من هناك اتباعا لامام أصحاب المغازي في زمانه وبعده كما قال الشافعي رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق . وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان :

لو أنَّ بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عُصَباً في دارهم ذاتَ مصدق
لقوا سَرعاناً يملأ السَّربَ رَوْعُه أمامَ طَحونٍ كالمجرّة فيلق
ولكنّهم كانوا وباراً تتبّعتْ شعابَ حجازٍ غيرِ ذي متنفّق

غزوة ذي قرد

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله (ص) المدينة فلم يقم بها إلا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى فى خيل من غطفان على لقاح النبى (ص) بالغابة وفيها رجل من بنى غفار ومعه امرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح . قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ كل قد حدث فى غزوة ذى قرد بعض الحديث ـ أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الاكوع الاسلمى غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم فاشرف فى ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد فى آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم فجعل يردهم بالنبل ويقول :

خُذْها وأنا ابنُ الاكوع　　اليوم يومُ الرضَّع

فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فاذا أمكنه الرمى رمى ثم قال :

خذها وأنا ابن الأكوع　　اليومَ يومُ الرضع

قال فيقول قائلهم : أويكعنا هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله (ص) صياح ابن الاكوع فصرخ بالمدينة : الفزع الفزع . فترامت الخيول الى رسول الله (ص) فكان أول من انتهى اليه من الفرسان المقداد بن الاسود ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن ظهير ـ يشك فيه ـ وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة أخو بنى أسد بن خزيمة وأبو قتادة الحارث بن ربعى أخو بنى سلمة وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بنى زريق قال : فلما اجتمعوا الى رسول الله (ص) أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال : أخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس وقد قال النبى (ص) لابى عياش فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالقوم قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بى خمسين ذراعاً حتى طرحنى فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من زريق أن رسول الله (ص) أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة وكان ثامناً قال وبعض الناس يعد سلمة بن الاكوع ثامنا ويطرح أسيد بن ظهير فالله أعلم أى ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الاكوع يومئذ فارسا قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة وكان يقال له الاخرم ويقال له قمير وكانت الفرس التى تحته لمحمود بن مسلمة وكان يقال للفرس ذو اللمة

فلما انتهى الى العدو قال لهم : قفوا معشر بنى اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والانصار قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آرية من بنى عبد الاشهل أى رجع الى مربطه الذى كان فيه بالمدينة

قال ابن اسحاق ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره قال ابن هشام وقد ذكر غير واحد من أهل العلم انه قد قتل معه أيضا وقاص بن محرز المدلجى . قال ابن اسحاق وحدثنى بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزا كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال لها الجناح فقتل محرز واستلب جناح والله أعلم . قال ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة وغشاه برده ثم لحق بالناس وأقبل رسول الله (ص) فى المسلمين . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم فاذا حبيب مسجى ببرد أبى قتادة فاسترجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله (ص) ليس بأبى قتادة ولكنه قتيل لأبى قتادة ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه قال وادرك عكاشه بن محصن او بارا وابنه عمرو بن او بار وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض اللقاح قال وسار رسول الله (ص) حتى نزل بالجبل من ذى قرد وتلاحق به الناس فاقام عليه يوما وليلة وقال له سلمة بن الاكوع يارسول الله لوسرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت باعناق القوم فقال رسول الله (ص) فيما بلغنى : انهم الآن ليغبقون فى غطفان فقسم رسول الله (ص) فى أصحابه فى كل مائة رجل جزورا وأقاموا عليها ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة قال واقبلت امرأة الغفارى على ناقة من ابل النبى (ص) حتى قدمت عليه المدينة فاخبرته الخبر فلما فرغت قالت يارسول الله انى قد نذرت لله أن أنحرها ان نجانى الله عليها قال فتبسم رسول الله (ص) ثم قال « بئسما جزيتيها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لانذر فى معصية الله ولافيما لاتملكين انما هى ناقة من ابلى فارجعى الى أهلك على بركة الله » قال ابن اسحاق والحديث فى ذلك عن أبى الزبير المكى عن الحسن البصرى .

هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة بما ذكر من الاسناد والسياق . وقد قال البخارى رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خيبر غزوة ذى قرد وهى الغزوة التى أغاروا على لقاح النبى (ص) قبل خيبر بثلاث حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبى عبيد سمعت سلمة بن الاكوع يقول خرجت قبل أن يؤذن بالاولى وكانت لقاح النبى (ص) ترعى بذى قرد قال فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح النبى (ص) فقلت من أخذها قال غطفان قال فصرخت ثلاث صرخات واصباحاه قال فاسمعت مابين لابتى المدينة ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلى وكنت رامياً وأقول أنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة قال وجاء النبى (ص) والناس فقلت يارسول الله قد حميت

القوم الماء وهم عطاش فابعث اليهم الساعة . فقال « يا ابن الاكوع ، ملكت فأسجح » ثم رجعنا وردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به ورواه البخارى عن أبي عاصم السهلي عن يزيد بن أبي عبيدة عن مولاه سلمة بنحوه

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثني اياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ ، فخرجت أنا ورباح غلام النبي ﷺ بظهر رسول الله ﷺ ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أنديه مع الابل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على ابل رسول الله ﷺ ، فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه فى خيل فقلت يارباح اقعد على هذا الفرس فالحقه بطلحة وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أغير على سرحه . قال : وقمت على تل فجعلت وجهى من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات : ياصباحاه ! قال : ثم اتبعت القوم معى سيفى ونبلى فجعلت أرميهم وأعقر بهم وذلك حين يكثر الشجر فاذا رجع إلى فارس جلست له فى أصل شجرة ثم رميت فلا يقبل إلى فارس إلا عقرت به فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الاكوع والبوم يوم الرضع

قال : فالحق برجل منهم فارميه وهو على راحلته فيقع سهمى فى الرجل حتى انتظم كتفه فقلت

خذها وانا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع

فاذا كنت فى الشجر أحرقتهم بالنبل فاذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرديتهم بالحجارة فما زال ذاك شأني وشأنهم اتبعهم وارتجز حتى ماخلق الله شيئا من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهرى فاستنقذته من أيديهم ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله ﷺ ، حتى اذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزارى مدداً لهم وهم فى ثنية ضيقة ثم علوت الجبل فأنا فوقهم فقال عيينة ماهذا الذى أرى ؟ قالوا لقينا من هذا البرح مافارقنا بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بايدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة لولا أن هذا يرى أن وراءه طلباً لقد تركـكم ، ليقم اليه نفر منكم . فقام اليه نفر منهم أربعة فصعدوا فى الجبل فلما أسمعتهم الصوت قلت أتعرفوننى قالوا ومن أنت قلت أنا ابن الاكوع والذى كرم وجه محمد لايطلبنى رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتنى . فقال رجل منهم انى أظن . قال فما برحت مقعدى ذلك حتى نظرت الى فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر واذا أولهم الاخرم الاسدى وعلى أثره ابو قتادة فارس رسول الله ﷺ ، وعلى أثره المقداد بن الاسود الكندى فولى المشركون مدبرين وأنزل من الجبل

فأخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أخرم ائذن القوم ـ يعني احذرهم ـ فإني لا آمن أن يقتطعوك فاتئد حتى يلحق رسول الله (ص) وأصحابه . قال : ياسلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة . قال فخليت عنان فرسه فيلحق بعبد الرحمن ابن عيينة ويعطف عليه عبد الرحمن ، فاختلفا طعنتين فعقر الاخرم بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله فتحول عبد الرحمن على فرس الاخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة وقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة على فرس الاخرم . ثم انى خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي (ص) شيئا ويعرضون قبل غيبوبة الشمس الى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد فأرادوا أن يشربوا منه فابصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا في الثنية ثنية ذي بئر وغربت الشمس وألحق رجلا فارميه فقلت : خذها وأنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع . قال فقال يا ثكل أم أكوع بكرة . فقلت نعم أي عدو نفسه . وكان الذي رميته بكرة وأتبعته سهما آخر فعلق به سهمان ويخلفون فرسين فجئت بهما أسوقهما الى رسول الله (ص) وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ذو قرد واذا بنبي الله (ص) في خمسمائة واذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفتُ فهو يشوي لرسول الله (ص) من كبدها وسنامها فأتيت رسول الله (ص) فقلت يارسول الله خلني فأنتخب من أصحابك مائة فآخذ على الكفار بالعشوة فلايبقى منهم مخبر إلاقتلته . فقال أكنت فاعلا ذلك ياسلمة ؟ قال قلت نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله (ص) حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ثم قال : انهم يقرون الآن بأرض غطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزوراً فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هرابا فلما أصبحنا قال رسول الله (ص) خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة ، فاعطاني رسول الله (ص) سهم الفارس والراجل جميعاً ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين الى المدينة فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفي القوم رجل من الانصار كان لا يُسبق جعل ينادي: هل من مسابق ، ألا رجل يسابق الى المدينه ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله (ص) مردفي فقلت له : اما تكرم كريما ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا الا رسول الله (ص) قال قلت : يارسول الله بأبي أنت وأمي خلني فلاسابق الرجل . قال : ان شئت . قلت أذهبْ اليك فطفر عن راحلته وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة ثم انى ربطت عليه شرفا أو شرفين يعني استبقيت من نفسي ثم انى عدوت حتى ألحقه فاصك بين كتفيه بيدي قلت سبقتك والله أو كلمة نحوها قال فضحك وقال : انْ أظن . حتى قدمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه وعنده فسبقته الى المدينة فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا الى خيبر . ولأحمد هذا السياق . ذكر البخاري والبيهقي هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر وهو أشبه مما ذكره ابن اسحاق والله أعلم فينبغي

تأخيرها الى أوائل سنة سبع من الهجرة فان خيبر كانت فى صفر منها

وأما قصة المرأة التى نجت على ناقة النبى (ص) ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن اسحاق بروايته عن أبى الزبير عن الحسن البصرى مرسلا . وقد جاء متصلا من وجوه أخر

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن ابى قلابة عن ابى المهلب عن عمران بن حصين قال : كانت العضباء لرجل من بنى عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت العضباء معه . قال فمر به رسول الله (ص) وهو فى وثاق ورسول الله (ص) على حمار عليه قطيفة فقال يامحمد علام تأخذونى وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله (ص) نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف قال وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبى (ص) . وقال فيما قال مسلم فقال رسول الله (ص) لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح قال ومضى رسول الله (ص) ، فقال يامحمد انى جائع فاطعمنى وانى ظمآن فاسقنى فقال رسول الله (ص) هذه حاجتك ثم فدى بالرجلين وحبس رسول الله (ص) العضباء لرحله . قال ثم ان المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به وكانت العضباء فيه وأسروا امرأة من المسلمين . قال وكانوا اذا نزلوا أراحوا ابله بأفنيتهم قال فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نوموا فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء فأتت على ناقة ذلول مجرسة فركبتها ثم وجهتها قبل المدينة قال ونذرت ان الله انجاها عليها لتنحرنها فلما قدمت المدينة عرفت الناقة فقيل ناقة رسول الله (ص) ، قال وأخبر رسول الله (ص) بنذرها أو أتته فأخبرته فقال بئس ماجزيتيها أو بئس ماجزتها ان أنجاها الله عليها لتنحرنها . قال ثم قال رسول الله (ص) لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لايملك ابن آدم . ورواه مسلم عن أبى الربيع الزهرانى عن حماد بن زيد

قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الاشعار فى غزوة ذى قرد قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لو لا الذى لاقتْ ومسَّ نسورَها ... بجنوبِ سايةَ أمسِ فى التَّقواد
للقينكم يحملْنَ كلَّ مدجَّج ... حامي الحقيقة ماجدِ الاجداد
ولسرَّ أولادَ اللقيطة ِانّنا ... سَلَمٌ غداةَ فوارسِ المقداد
كنّا ثمانيةً وكانوا جحفلا ... لجباً فشكوا بالرماح بداد
كنّا من القوم الذين يَلُونَهم ... ويقدّمونَ عنانَ كلِّ جواد
كلاّ وربِّ الراقصاتِ الى مِنًى ... يَقطعْنَ عرضَ مخارمِ الأطواد
حتى نُبيلَ الخيلَ فى عرَصاتكم ... ونئوبَ بالملِكَاتِ والأولاد
رَهْواً بكلِّ مُقلَّصٍ وطمرَّةٍ ... فى كلِّ معترَكٍ عطفْنَ وَرَادِ

أفنى دوابرَها ولاحَ مُتُونَها   يومٌ تقـادُ به ويومُ طراد
فكذاك إن جيـادَنا ملبونةٌ   والحربُ مُشْعَلَةٌ بريح غواد
وسيوفُنا بِيضٌ الحدائد تجتلى   جُنَنَ الحديدِ وهامةَ المرتاد
أخَذَ الاله عليهمُ لحرامه   ولعزّةِ الرحمنِ بالأسداد
كانوا بدارٍ ناعمين فبُدّلوا   أيامَ ذي قَرَدٍ وجوهَ عِنـاد

قال ابن اسحاق فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقسمين امام رسول الله (ص) على حسان وحلف لايكلمه أبداً وقال انطلقَ الى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد. فاعتذر اليه حسان بأنه وافق الروى اسم المقداد، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد :

اذا أردتمُ الاشدَّ الجلْدا   أو ذا غَناءٍ فعليكم سعدا
سعدَ بنَ زيدٍ لايهدُّ هدّاً

قال فلم تقع منه بموقع. وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قرد :

أظنَّ عيينـةُ اذ زارها   بأنْ سوفَ يهدم فيها قصورا
فأكذبتُ ما كنتَ صدّقته   وقلتم سنغنم أمراً كبيرا
فعفتُ المدينةَ اذ زرتها   وآنستُ للأُسْدِ فيها زئيرا
وولّوا سِراعا كشدِّ النعام   ولم يكشِفوا عن مُلطٍّ حصيرا
أميرٌ علينا رسولُ المليك   أحببْ بذاك الينا أميرا
رسولٌ يصدِّق ماجاءه   ويتلو كِتاباً مضيئاً منيرا

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين :

أيحسبُ أولادُ اللقيطة أننـا   على الخيلِ لسنا مثلَهم فى الفوارس
وإنّا أناسٌ لانرى القتلَ سُبّةً   ولا ننثنى عندَ الرماح المداعس
وإنا لنَقري الضيفَ من قمع الذرى   ونضربُ رأسَ الأبلج المتشاوس
نردّ كماةَ المُعلَمين اذا انتحَوا   بضربٍ يسلّي نخوةَ المتقاعس
بكل فتى حامي الحقيقة ماجدٍ   كريم كسرحان الغضَاة مخالس
يذودون عن أحسابهم وبلادهم   ببيضٍ تقدّ الهامَ تحت القوانس
فسائلْ بنى بدرٍ اذا ما لقيتَهم   بما فعـل الإخوانُ يوم التمارس
اذا ماخرجتم فاصدُقوا من لقيتمُ   ولا تكتُموا أخبارَكم فى المجالس
وقولوا زَللنا عن مخالبِ خادرٍ   به وَحَرٌ فى الصدر ما لم يمارس

غزوة بني المصطلق من خزاعة

قال البخاري وهي غزوة المريسيع . قال محمد بن اسحاق وذلك في سنة ست . وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الافك في غزوة المريسيع هكذا رواه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة انها كانت في سنة أربع . والذي حكاه عنه وعن عروة انها كانت في شعبان سنة خمس . وقال الواقدي كانت لليلتين من شعبان سنة خمس في سبعمائة من أصحابه . وقال محمد بن اسحاق بن يسار بعد ما أورد قصة ذي قرد فأقام رسول الله (ص) بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ويقال نميلة بن عبد الله الليثي قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا : بلغ رسول الله (ص) ان بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث التي تزوجها رسول الله (ص) بعد ذلك فلما سمع بهم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله (ص) أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه وقال الواقدي خرج رسول الله (ص) لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه الى بني المصطلق وكانوا حلفاء بني مدلج فلما انتهى اليهم دفع راية المهاجرين الى أبي بكر الصديق ويقال الى عمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة ، ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى في الناس أن قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله (ص) المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد . وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال كتبت الى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله (ص) على بني المصطلق وهم غارون في أنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم فأصاب يومئذ ـ أحسبه قال ـ جويرية بنت الحارث . وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك وكان بذلك الجيش قال ابن اسحاق وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابة أصابه رجل من الانصار وهو يرى انه من العدو فقتله خطأ

وذكر ابن اسحاق أن أخاه مقيس بن صبابة قدم من مكة مظهراً للاسلام فطلب دية أخيه هشام من رسول الله (ص) لانه قتل خطأ فاعطاه ديته ثم مكث يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع

مرتداً الى مكة وقال فى ذلك :

شفى النفسَ ان قد باتَ بالقاع مسنداً ... يضرِّجُ ثوبيه دماءُ الاخادع
وكانت همومُ النفس من قبلِ قتله ... تُلمُّ فتحميني وِطاءَ المضاجع
حللتُ به وِتري وأدركتُ ثُؤْرتي ... وكنتُ الى الاوثان أولَ راجع
ثأرتُ به فِهراً وحمّلتُ عَقلَهُ ... سراةَ بنى النجّار أربابَ فارع

قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الاربعة الذين أهدر رسول الله (ص) يوم الفتح دماءهم وان وجدوا معلقين باستار الكعبة . قال ابن اسحاق فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى: يامعشر الانصار وصرخ جهجاه :يامعشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أُبىّ بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد ابن أرقم غلام حدث فقال أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما أعدُّنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال الاول « سمن كلبك يأ كلك » أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا مافعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم . فسمع ذلك زيد ابن أرقم فمشى به الى رسول الله (ص) فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال مر به عباد ابن بشر فليقتله . فقال رسول الله (ص) : فكيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا ولكن آذن بالرحيل . وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله (ص) يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أُبىّ بن سلول الى رسول الله (ص) حين بلغه أن زيد بن أرقم بلّغه ما سمع منه فحلف بالله ماقلت ما قال ولا تكلمت به وكان فى قومه شريفاً عظيماً فقال من حضر رسول الله (ص) من الانصار من أصحابه يارسول الله عسى ان يكون الغلام أوهم فى حديثه ولم يحفظ ماقال الرجل حدباً على ابن أُبىّ ودفعا عنه . فلما استقل رسول الله (ص) وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يارسول الله والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها . فقال له رسول الله (ص): أوما بلغك ماقال صاحبكم ؟ قال أى صاحب يارسول الله ؟ قال عبد الله بن أُبىّ . قال وما قال قال زعم أنه ان رجع الى المدينة اخرج الأعز منها الاذل قال فانت والله يارسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يارسول الله ارفق فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه فانه ليرى انك قد استلبته ملكا . ثم مشى رسول الله (ص) بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم

يلبثوا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما . وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالامس من حديث عبد الله بن أبىّ ثم راح رسول الله (ص) بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقعاء فلما راح رسول الله (ص) هبت على الناس ريح شديدة فآذتهم وتخوفوها فقال رسول الله (ص) : لا تخوفوها فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين مات ذلك اليوم . وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدى . وروى مسلم من طريق الاعمش عن أبى سفيان عن جابر نحو هذه القصة الا أنه لم يسم الذى مات من المنافقين قال هبت ريح شديدة والنبى (ص) فى بعض أسفاره فقال هذه لموت منافق فلما قدمنا المدينة اذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين . قال ابن اسحاق ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبىّ ومن كان على مثل أمره فأخذ رسول الله (ص) بأذن زيد بن أرقم وقال هذا الذى أوفى لله باذنه . قلت وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية عن اعادته هاهنا وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم ولله الحمد والمنة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك وبالله التوفيق . قال ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن سلول أتى رسول الله (ص) فقال يارسول الله انه بلغنى أنك تريد قتل عبدالله بن أبىّ فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمر لى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى وانى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر الى قاتل عبد الله بن أبىّ يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله (ص) بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا . وجعل بعد ذلك اذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه فقال رسول الله (ص) لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم كيف ترى ياعمر أما والله لو قتلته يوم قلت لى لارعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . فقال عمر قد والله علمتُ لامر رسول الله (ص) أعظم بركة من أمرى . وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان ابنه عبد الله رضى الله عنه وقف لابيه عبد الله بن أبىّ بن سلول عند مضيق المدينة فقال قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله (ص) فى ذلك فلما جاء رسول الله (ص) استأذنه فى ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة . قال ابن اسحاق وأصيب يومئذ من بنى المصطلق ناس وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين مالكا وابنه . قال ابن هشام وكان شعار المسلمين : يامنصور أمت أمت

قال ابن اسحق وكان رسول الله (ص) أصاب منهم سبياً كثيراً فقسمهم فى المسلمين وقال

البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرني اسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز أنه قال دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست اليه فسألته عن العزل فقال أبو سعيد خرجنا مع رسول الله (ص) في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العروبة وأحببنا العزل وقلنا نعزل ورسول (ص) بين أظهرنا قبل أن نسأله فسألناه عن ذلك فقال : ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا كائنة وهكذا رواه . قال ابن اسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله (ص) سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس ابن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله (ص) لتستعينه في كتابتها قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت . فدخلت عليه فقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعتُ في السهم لثابت ابن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي . قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت وما هو يارسول الله قال أقضي عنك كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يارسول الله قد فعلتُ . قالت : وخرج الخبر الى الناس أن رسول الله (ص) قد تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس أصهار رسول الله (ص) فارسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها . ثم ذكر ابن اسحاق قصة الافك بتمامها في هذه الغزوة وكذلك البخاري وغير واحد من أهل العلم وقد حررت طرق ذلك كله في تفسير سورة النور فليلحق بكماله الى ها هنا وبالله المستعان

وقال الواقدي حدثنا حرام عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت جويرية بنت الحارث رأيت قبل قدوم النبي (ص) بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله (ص) فلما سُبينا رجوت الرؤيا قالت : فأعتقني رسول الله (ص) وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى . قال الواقدي : ويقال ان رسول الله (ص) جعل صداقها عتق أربعين من بني المصطلق . وذكر موسى بن عقبة عن بني المصطلق أن أباها طلبها وافتداها ثم خطبها منه رسول الله (ص) فزوجه إياها

قصة الإفك

وهذا سياق محمد بن اسحاق حديث الافك : قال ابن اسحاق حدثني لزهرى عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة قال الزهرى : وكل قد حدثنى بهذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت كل الذى حدثنى القوم. قال ابن اسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبى بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الافك ما قالوا ، فكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه وكل كان عنها ثقة فكلهم حدث عنها بما سمع قالت : كان رسول الله (ص) اذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كان غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه فخرج بى رسول الله (ص). قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق لم يهجهن اللحم فيثقلن وكنت اذا رُحل لى بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين كانوا يرحلون لى فيحملونى ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله (ص) من سفره ذلك وجه قافلا حتى اذا كان قريباً من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذّن مؤذن فى الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار فلما فرغت انسلّ من عنقى ولا أدرى فلما رجعتُ الى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل فرجعت الى مكانى الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحلون لى البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به فرجعت الى العسكر وما فيه داع ولا مجيب قد انطلق الناس . قالت فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى وعرفت أن لو افتُقدت لرجع الناس الى قالت فوالله انى لمضطجعة إذ مرّ بى صفوان بن المعطل السلمى وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس فرأى سوادى فأقبل حتى وقف على وقد كان يرانى قبل أن يُضرب علينا الحجاب فلما رآنى قال : إنا لله وإنا اليه راجعون ظعينة رسول الله (ص). ؟ وأنا متلففة فى ثيابى . قال ماخلفك يرحمك الله ؟ قالت فما كلمته . ثم قرب الىّ البعير فقال اركبى واستأخر عنى . قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس فوالله ما أدركنا الناس وما افتُقدت حتى أصبحت ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى فقال أهل الافك ماقالوا وارتج العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى

شديدة لايبلغني من ذلك شيء . وقد انتهى الحديث الى رسول الله (ص) ، والى أبوىَّ لايذكرون لى منه قليلا ولا كثيراً إلا أني قد أنكرت من رسول الله (ص) ، بعض لطفه بى كنت اذا اشتكيت رحمنى ولطف بى فلم يفعل ذلك بى فى شكواى ذلك فانكرت ذلك منه، كان اذا دخل علىَّ وعندى أمى[1] تمرّضنى قال كيف تيكم ؟ لايزيد على ذلك قالت حتى وجدت فى نفسى فقلت يارسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لى : لو أذنت لى فانتقلت الى امى فمرضتنى قال لاعليك قالت فانقلبت الى أمى ولا علم لى بشيء مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوماً عرباً لانتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الاعاجم نعافها ونكرهها انما كنا نخرج فى فسح المدينة وانما كانت النساء يخرجن فى كل ليلة فى حوائجهن فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح ابنة ابى رهم بن المطلب قالت فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح (ومسطح لقب واسمه عوف) قالت فقلت بئس لعمرو الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين وقد شهد بدراً قالت أو ما بلغك الخبر يابنت أبى بكر قالت قلت وما الخبر فاخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك قلت أو قد كان هذا قالت نعم والله لقد كان قالت فوالله ماقدرت على أن أقضى حاجتى ورجعت فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى قالت وقلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً قالت أى بنية خفنى عليك الشأن فوالله لقلَّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها قالت وقد قام رسول الله (ص) فخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس مابال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق والله ماعلمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه الا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى ؛ قالت وكان كبرُ ذلك عند عبد الله بن أبىّ بن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله (ص) ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصينى فى المنزلة عنده غيرها فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمنة فاشاعت من ذلك ما أشاعت تضارنى لاختها فشقيت بذلك فلما قال رسول الله (ص) ، تلك المقالة قال أسيد بن حضير يارسول الله ان يكونوا من الاوس نكفيكهم وان يكونوا من اخواننا من الخزرج فمرنا أمرك فوالله انهم لأهل أن تضرب أعناقهم قالت فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك يُرى رجلا صالحاً فقال كذبت لعمر الله ماتضرب أعناقهم أما والله ماقلت هذه المقالة الا انك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ماقلت هذا . فقال أسيد بن حضير كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين قالت وتساور الناس حتى كاد

---

(١) فى سيرة ابن هشام : هى أم رومان ، واسمها زينب بنت عبد دهمان احد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة

يكون بين هذين الحيين من الاوس والخزرج شر، ونزل رسول الله (ص) فدخل عليّ فدعا عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما فأما أسامة فأثنى خيراً وقاله ثم قال يارسول الله أهلك • وما نعلم منهم الا خيرا وهذا الكذب والباطل . وأما علي فانه قال يارسول الله ان النساء لكثير وانك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فانها ستصدقك. فدعا رسول الله (ص) بريرة يسألها قالت فقام اليها عليّ فضربها ضرباً شديداً ويقول : أصدقي رسول الله (ص) . قالت فتقول والله ما أعلم الا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيئاً الا انى كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله . قالت ثم دخل عليّ رسول الله (ص) وعندي أبواي وعندي امرأة من الانصار وأنا أبكي وهي تبكي فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياعائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله وان كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده . قالت فوالله ان هو الا أن قال لي ذلك فقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئاً وانتظرت أبويّ أن يجيبا عني رسول الله (ص) فلم يتكلما .قالت وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل الله فيّ قرآناً يقرأ به ويُصلى به، ولكني كنت أرجو أن يرى النبي (ص) في نومه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي ويخبر خبراً وأما قرآناً ينزل فيّ فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك قالت فلما لم أر أبويّ يتكلمان قلت لهما ألا تجيبان رسول الله (ص) ؟ فقالا والله ماندري بما نجيبه . قالت ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الايام قالت فلما استعجما عليّ استعبرت فبكيت ثم قلت والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبدا والله انى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم انى منه بريئة لأقولن مالم يكن ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني قالت ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت ولكن سأقول كما قال أبو يوسف [فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون]، قالت فوالله مابرح رسول الله (ص) مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بثوبه ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت والله ما فزعت وما باليت قد عرفت انى بريئة وان الله غير ظالمي وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ماسري عن رسول الله (ص) حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ماقال الناس . قالت ثم سري عن رسول الله (ص) فجلس وانه ليتحدر من وجهه مثل الجمان في يوم شات فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : أبشري ياعائشة قد أنزل الله عز وجل براءتك . قالت قلت الحمد لله . ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم

وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين عن الزهرى . وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر حد القذف لحسان ومن معه رواه أبو داود فى سننه . قال ابن اسحاق وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاقَ حسّانُ الذي كان أهلَهُ ... وحمنة اذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوجَ نبيِّهم ... وسخطةَ ذي العرش الكريم فأترحوا
وآذَوا رسولَ الله فيها فجللوا ... مخازيَ تبقى عمّموها وفضّحوا
وصُبَّتْ عليهم محصَداتٌ كأنها ... شآبيبُ قَطرٍ فى ذرا المزْن تسفح

وقد ذكر ابن اسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء من أصحاب جهجاه كما تقدم أوله هى :

أمسى الجلابيبُ قد عزّوا وقد كثُروا ... وابنُ الفريعةِ أمسى بَيْضَةَ البَلَدِ
قد ثكلتْ أُمه من كنتَ صاحبَه ... أو كان منتشبا فى بُرثُن الاسد
ما لقتيلى الذي أعدو فآخذه ... من دِيَّةٍ فيه يُعطاها ولا قَوَد
ما البحر حين تهبّ الريح سامِيَةً ... فيغطئِلّ ويرمى العَبْرَ بالزبد
يوما بأغلبَ منى حينَ تُبصرنى ... مِلْغَيْظِ أفرِي كفَرْيِ العارض البرد
أما قريش فانى لا أُسالمها ... حتى يُنيبوا من الغيّات للرشَد
ويتركوا اللاتَ والعزى بمعزلةٍ ... ويسجُدوا كلُّهم للواحدِ الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسولُ لهم ... حقٌّ فيُوفوا بحقّ الله والوكَد

قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول :

تلقَّ ذُبابَ السيف عني فانني ... غلامٌ اذا هُوجيتُ لستُ بشاعر

وذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقاً فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ماهذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله هل علم رسول الله (ص) بشىء من ذلك ؟ قال لا . فاطلقه ثم أتوا كلهم رسول الله (ص) فقال ابن المعطل : يا رسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضربته . فقال رسول الله (ص) : يا حسان أتشوهت على قومى أن هداهم الله . ثم قال : أحسن ياحسان فيما أصابك . فقال : هى لك يا رسول الله . فعوضه منها بيرحاء التى تصدق بها أبو طلحة وجاريةً قبطية يقال لها سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن . قال : وكانت عائشة تقول سئل عن ابن المعطل فوجد رجلا حصورا مايأتى النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : ثم قال حسان ابن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة :

حَصانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بِريبة — وتُصبحُ غَرْثَى من لُحُومِ الغوافل
عقيلةُ حيّ من لؤيّ بن غالبٍ — كرامِ المساعي مجدُهم غيرُ زائل
وانّ الذي قد قيلَ ليس بلائطٍ — بكَ الدهرَ بل قيلُ أمرئٍ بيَ ماحل
فان كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتُم — فلا رفعت سوطى اليّ أناملى
فكيف وودّى ماحييتُ ونُصرتى — لآلِ رسول الله زَينِ المحافل
وان لهم عزاً ترى الناسَ دونه — قِصاراً وطالَ العزُّ كل التطاول

ولنكتب هاهنا الآيات من سورة النور وهى من قوله تعالى [ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيراكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ـ الى ـ مغفرة ورزق كريم] وما أوردناه هنالك من الاحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف وبالله التوفيق

غزوة الحديبية

وقد كانت فى ذى القعدة سنة ست بلا خلاف . وممن نص على ذلك الزهرى ونافع مولى ابن عمر وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق بن يسار وغيرهم . وهو الذى رواه ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة انها كانت فى ذى القعدة سنة ست . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا اسماعيل ابن الخليل على على بن مسهر أخبرنى هشام بن عروة عن أبيه قال خرج رسول الله (ص) الى الحديبية فى رمضان وكانت الحديبية فى شوال . وهذا غريب جدا عن عروة . وقد روى البخارى ومسلم جميعا عن هدبة عن همام عن قتادة أن أنس بن مالك أخبره ان رسول الله (ص) اعتمر أربع عمر فى ذى القعدة الا العمرة التى مع حجته عمرة من الحديبية فى ذى القعدة وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة ومن الجعرانة فى ذى القعدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته . وهذا لفظ البخارى . وقال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة رمضان وشوال وخرج فى ذى القعدة معتمرا لا يريد حربا قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى . قال ابن اسحاق واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب وخرج رسول الله (ص) بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس انه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له . قال ابن اسحاق وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه قالا خرج رسول الله (ص) عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنه وكان الناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله

فيما بلغني يقول كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة . قال الزهرى وخرج رسول الله (ص) حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر [1] بن سفيان الكعبي فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لاتدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموا الى كراع الغميم قال فقال رسول الله (ص) ياويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذى أرادوا وان أظهرني الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لاأزال أجاهد على هذا الذى بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله ابن أبي بكر ان رجلا من أسلم قال أنا يارسول الله فسلك بهم طريقاً وعرا أجرل بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين فأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادى قال رسول الله قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها . قال ابن شهاب فأمر رسول الله (ص) الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض فى طريق يخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش . وخرج رسول الله (ص) حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال ماخلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لاتدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها . ثم قال للناس انزلوا . قيل له يارسول الله ما بالوادى ماء ينزل عليه . فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به فى قليب من تلك القلب فغرزه فى جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن . قال ابن اسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم ان الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله (ص) ناجية بن جندب [2] سائق بدن رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله (ص) فالله أعلم أى ذلك كان . ثم استدل ابن اسحاق للاول ان جارية من الانصار جاءت البئر وناجية أسفله يميح فقالت :

يا أيها المائح دلوي دونكا ... إني رأيت الناس يحمدونكا

يثنون خيراً ويمجدونكا

---

(١) قال ابن هشام : ويقال « بسر » (٢) تمامه عند ابن هشام : ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن أبي حارثة

فأجابها فقال :

قد علمتْ جاريةٌ يمانيه انى أنا المائحُ واسمى ناجيه
وطعنةٍ ذاتِ رشاشٍ واهيه طعنتُها عندَصُدور العاديه

قال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله (ص) أتاه بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وانما جاء زائراً للبيت ومعظما لحرمته . ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقالوا : يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ، وان محمداً لم يأت لقتال انما جاء زائراً لهذا البيت . فاتهموهم وجبهوهم وقالوا وإن جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب . قال الزهرى : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله (ص) ، مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص بن الاخيف أخا بنى عامر بن لؤى فلما رآه رسول الله (ص) مقبلا قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله (ص) وكلمه قال له رسول الله (ص) نحوا مما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله (ص) ثم بعثوا بحليس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الاحابيش وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه رسول الله (ص) قال : ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله (ص) اعظاما لما رأى فقال لهم ذلك . قال فقالوا له : اجلس فانما أنت اعرابى لا علم لك . قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له ؟ والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أولا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه كف عنا حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به . قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا الى رسول الله (ص) عروة بن مسعود الثقفى فقال : يا معشر قريش انى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد وانى ولد وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله (ص) فجلس بين يديه ثم قال يامحمد أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا ، وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال وأبو بكر الصديق رضى الله عنه خلف رسول الله (ص) فقال : امصص بظر اللات

أفمن تنكشف عنه؟ قال من هذا يامحمد ؟ قال هذا ابن أبي قحافة . قال اما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ولكن هذه بهذه قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله (ص) وهو يكلمه والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله (ص) في الحديد ، قال : فجعل يقرع يده اذ يتناول لحية رسول الله (ص) ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله (ص) قبل أن لاتصل اليك قال فيقول عروة ويحك ما أفظك وأغلظك . قال : فتبسم رسول الله (ص) فقال له عروة من هذا يامحمد؟ قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة قال أى غُدَر وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس . قال الزهرى فكلمه رسول الله (ص) بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً فقام من عند رسول الله (ص) وقد رأى مايصنع به أصحابه لايتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ورجع الى قريش فقال : يامعشر قريش انى قد جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه وانى والله ما رأيت ملكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ولقد رأيت قوماً لايسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم . قال ابن اسحاق وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دعا خراش بن أمية الخزاعى فبعثه الى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ماجاء له فعقروا به جمل رسول الله (ص) وأرادوا قتله فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق وحدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين أمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله (ص) ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا فأتى بهم رسول الله (ص) فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله (ص) بالحجارة والنبل ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ماجاء له فقال يارسول الله انى أخاف قريشاً على نفسى وليس بمكة من بنى عدى أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى عثمان ابن عفان فدعا رسول الله (ص) عثمان بن عفان فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله (ص) فانطلق عثمان حتى أتى أباسفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله (ص) ما أرسله به فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله (ص) إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله (ص) . واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله (ص) والمسلمين أن عثمان قد قتل . قال ابن اسحاق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله (ص) قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لانبرح حتى نناجز القوم . ودعا رسول الله (ص) الى البيعة وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة

وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله (ص) على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله (ص) لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله (ص) الناس و لم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بنى سلمة وكان جابر بن عبد الله يقول والله لكأنى أنظر اليه لاصقاً بإبط ناقته قد ضبأ اليها يستتر من الناس . ثم أتى رسولَ الله (ص) أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل . قال ابن هشام وذكر وكيع عن اسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى أن أول من بايع رسول الله (ص) بيعة الرضوان أبو سنان الاسدى . قال ابن هشام وحدثنى من أثق به عمن حدثه باسناد له عن ابن أبى مليكة عن ابن عمر أن رسول الله (ص) بايع لعثمان فضرب باحدى يديه على الاخرى . وهذا الحديث الذى ذكره ابن هشام بهذا الاسناد ضعيف لكنه ثابت فى الصحيحين . قال ابن اسحاق : قال الزهرى ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بنى عامر بن لؤى الى رسول الله (ص) وقالوا آت محمداً وصالحه ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لاتتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله (ص) مقبلا قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل الى رسول الله (ص) تكلم فأطال الكلام و تراجعا ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال ياأبا بكر أليس برسول الله ؟ قال بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى قال أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى. قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا قال ابو بكر ياعمر الزم غَرْزَه فانى اشهد انه رسول الله قال عمر وانا اشهد انه رسول الله . ثم أتى رسولَ الله (ص) فقال يارسول الله ألست برسول الله قال بلى قال اولسنا بالمسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا قال انا عبد الله ورسوله لن اخالف أمره ولن يضيعنى . وكان عمر رضى الله عنه يقول مازلت أصوم واتصدق واصلى واعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمته يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً . قال ثم دعا رسول الله (ص) على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال فقال سهيل لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم قال فقال رسول الله (ص) اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . قال فقال سهيل : لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك . ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . قال فقال رسول الله (ص) : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لااسلال ولااغلال وانه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة فقالوا نحن فى عقد محمد وعهده

و تواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لاتدخلها بغيرها . قال : فبينا رسول الله (ص) يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد قد انفلت الى رسول الله (ص) ، وقد كان أصحاب رسول الله (ص) قد خرجوا وهم لايشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله (ص) ، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله (ص) فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه وقال : يا محمد قد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت لجعل ينتره بتلبيبه ويجره يعنى يرده الى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنونى فى دينى ! فزاد ذلك الناس الى ما بهم . فقال رسول الله (ص) « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجا . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وانا لانغدر بهم » قال : فوثب عمر ابن الخطاب مع أبى جندل يمشى الى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فانما هم المشركون وانما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدنى قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه . قال : فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية . فلما فرغ رسول الله (ص) من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبى وقاص ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلى بن أبى طالب ، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة

وكان رسول الله (ص) مضطرباً فى الحل[1] وكان يصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام الى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه فى ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله (ص) قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله (ص) « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ! قال « والمقصرين » قالوا : يا رسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكوا . وقال عبد الله بن أبى نجيح : حدثني مجاهد عن ابن عباس أن رسول

(١) اى ضاربا خيامه خارج منطقة الحرم

الله (ص) أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا لابى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ بذلك المشركين

هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفى سياق البخارى كما سيأتى مخالفة فى بعض الأماكن لهذا السياق كما ستراها ان شاء الله وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ونذكر فى الاحاديث الصحاح والحسان ما فيه . . . . . . ان شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان

قال البخارى : حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثنا صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله (ص) عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله (ص) الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : أتدرون ماذا قال ربكم ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قال الله تعالى : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى ، فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال مُطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بى . وهكذا رواه فى غير موضع من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهرى ، وقد روى عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن أبى هريرة

وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبى (ص) أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى (ص) فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا . انفرد به البخارى

وقال ابن اسحاق فى قوله تعالى [فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً] : صلح الحديبية . قال الزهرى : فما فتح فى الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلهم بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد فى الاسلام يعقل شيئاً الا دخل فيه ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان دخل فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزهرى أن رسول الله (ص) خرج الى الحديبية فى ألف وأربع مائة رجل فى قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف

وقال البخارى : حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا ابن فُضَيل حدثنا حُصين عن سالم عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسولُ الله (ص) بين يديه رَكوة فتوضأ منها ثم أقبل الناسُ نحوه فقال رسول الله (ص) : مالكم ؟ قالوا : يارسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب الا ما فى ركوتك . فوضع النبى (ص) يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ،

قال : فشربنا وتوضأنا . فقلنا لجابر كم كنتم يومئذ ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر به

وقال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مائة . فقال لى سعيد : حدثنى جابر كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبى (ص) يوم الحديبية . تابعه أبو داود حدثنا قرة عن قتادة . تفرد به البخارى

ثم قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو سمعت جابراً قال : قال لنا رسول الله (ص) يوم الحديبية « أنتم خير أهل الأرض » وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة . وقد روى البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر قال : إن عبداً لحاطب جاء يشكوه فقال يارسول الله ليدخلن حاطب النار . فقال رسول الله (ص) « كذبت لا يدخلها ، شهد بدرا والحديبية » رواه مسلم . وعند مسلم أيضا من طرق ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول أخبرتنى أم ميسر أنها سمعت رسول الله (ص) يقول عند حفصة « لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » فقالت حفصة : بلى يارسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة [وإن منكم إلا واردها] فقال رسول الله (ص) قد قال تعالى [ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا]

قال البخارى : وقال عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة حدثنى عبد الله ابن أبى أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين . تابعه محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا شعبة . هكذا رواه البخارى معلقا عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المثنى عن أبى داود عن اسحق بن ابراهيم عن النضر بن شميل كلاهما عن شعبة به

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن مروان والمسور بن مخرمة قالا : خرج النبى (ص) عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأشعر وأحرم منها . تفرد به البخارى وسيأتى هذا السياق بتمامه

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب اليه ابن اسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة ، وهو والله أعلم انما قال ذلك تفقهاً من تلقاء نفسه من حيث ان البدن كن سبعين بدنة وكل منها عن عشرة على اختياره فيكون المهلون سبع مائة ، ولا يلزم أن يهدى كلهم ولا أن يحرم كلهم أيضا ، فقد ثبت أن رسول الله (ص) بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة ولم يحرم أبو قتادة

حتى قتل ذلك الحمار الوحشي فأكل منه هو وأصحابه وحملوا منه الى رسول الله ص.) في أثناء الطريق فقال : هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار اليها ؟ قالوا : لا . قال : فكلوا مابقي من الحمار . وقد قال البخاري : حدّثنا شعبة بن الربيع حدثنا علي بن المبارك عن يحيى عن عبد الله ابن أبي قتادة أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبي ص.) عام الحديبية فأحرم أصحابي ولم أحرم

وقال البخاري حدثنا محمد بن رافع حدثنا شبابة بن سوّار الفزاري حدثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها . حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا طارق عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا اليها العام المقبل فعميت علينا . وقال البخاري أيضاً حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطلقت حاجاً فررت بقوم يصلون ، فقلت ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع النبي ص.) بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد : حدثني أبي انه كان فيمن بايع رسول الله ص.) تحت الشجرة ، قال : فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها . ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد لم يعلموها ، وعلمتموها أنتم ! فأنتم أعلم ؟ ورواه البخاري ومسلم من حديث الثوري وأبي عوانة وشبابة عن طارق . وقال البخاري حدّثنا سعيد حدثني أخي عن سليمان عن عمرو بن يحيى عن عبّاد بن تميم قال : لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن زيد : على ما يبايع ابنُ حنظلة الناسُ قيل له على الموت ، فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ص.) ، وكان شهد معه الحديبية . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به . وقال البخاري : حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد قلت لسلمة بن الاكوع : على أي شيء بايعتم رسول الله ص.) يوم الحديبية ؟ قال : على الموت . ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبي عبيد . وفي صحيح مسلم عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم . وفي الصحيح عن معقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ص.) وهو يبايع الناس ، وكان أول من بايع رسولَ الله ص.) يومئذ أبو سنان وهو وهب بن محصن أخو عكاشة بن محصن وقيل سنان بن أبي سنان

وقال البخاري : حدّثني شجاع بن الوليد سمع النّضر بن محمد حدثنا صخر بن الربيع عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك ، ولكنّ عمرُ يوم الحديبية أرسل عبد الله الى فرس له عند رجل من الانصار أن يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول الله ص.) يبايع عند الشجرة ، وعمر لايدري بذلك ، فبايعه عبد الله ، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول

الله (ص)، وهي التي تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر. وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد ابن مسلم حدثنا عمر بن محمد العمري أخبرني نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي (ص) يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجرة فاذا الناس محدقون بالنبي (ص) فقال ياعبد الله أنظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله (ص) فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع. تفرد به البخاري من هذين الوجهين

سياق البخاري لعمرة الحديبية

قال في كتاب المغازي: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتني معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه، قالا خرج النبي (ص) عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة، وسار النبي (ص) حتى اذا كان بغدير الاشطاط أتاه عينه قال: إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال: أشيروا أيها الناس علي أترون أن أميل الى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فان يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين. قال أبو بكر: يارسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لانريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه. قال امضوا على اسم الله. هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا

وقال في كتاب الشهادات[1]: حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا خرج رسول الله (ص) زمن الحديبية حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي (ص): إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي (ص) حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت. فقالوا: خلأت القصواء خلأت القصواء، فقال رسول الله (ص): ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لايسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه تبرضاً فلم يلبثه الناس

(١) هو في (كتاب الشروط)

حتى نزحوه ، وشُكى الى رسول الله (ص) العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة ـ وكانوا عيبة نصح رسول الله (ص) من أهل تهامة ـ فقال : إنى تركت كعب ابن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت . فقال النبى (ص) : انا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وان قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس ، فان أظهر فان شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا ، وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ولينفذن أمر الله . قال بديل : سأبلغهم ماتقول ، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأى منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال رسول الله (ص) ، فقام عروة بن مسعود فقال : أىْ قوْمِ ، ألست بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أولستم بالولد ؟ قالوا بلى قال : فهل تتهمونى ؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون انى استنفرت أهلَ عكاظ فلما بلّحوا علىّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى . قال : فان هذا قدعرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعونى آتيه ، فقالوا : ائته ، فأتاه ، فجعل يكلم النبى (ص) فقال النبى (ص) نحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك . أى محمد أرأيت ان استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وان تكن الاخرى فانى والله لا أرى وجوها وانى لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك . فقال له أبو بكر : امصص بظر اللات ، أنحن نفرّ عنه وندعه ؟ قال من ذا ؟ قالوا أبو بكر . قال أما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبى (ص) ، فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله (ص) ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية رسول الله (ص) ، ضرب يده بنعل السيف وقال له : أخر يدك عن لحية رسول الله (ص) . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا قالوا المغيرة بن شعبة . فقال أى غدر ألست أسعى فى غدرتك ؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبى (ص) : أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شيء . ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله (ص) بعينيه قال فوالله ماتنخم رسول الله (ص) نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدّون اليه النظر تعظيما له . فرجع عروة الى أصحابه فقال : أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر

وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له ، وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بنى كنانة دعونى آتيه . فقالوا ائته . فلما أشرف على النبي (ص) وأصحابه قال رسول الله (ص) : هذا فلان وهو من قوم يعظمون البُدْن فابعثوها له . فبعثت له واستقبله الناس يلبون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ماينبغى لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت . فلما رجع الى أصحابه قال : رأيت البُدْن قد قُلدت وأشعرت ، فما أرى أن يُصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مِكرز بن حفص فقال دعونى آتيه . قالوا ائته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله (ص) هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي (ص) فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . قال معمر فأخبرنى أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله (ص) : لقد سهل لكم من أمركم . قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل فقال هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي (ص) الكاتب فقال النبي (ص) : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدرى ماهو ولكن أكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لانكتبها الا باسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي (ص) اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم انك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله (ص) والله انى لرسول الله وان كذبتمونى . اكتب محمد بن عبد الله . قال الزهرى : وذلك لقوله لايسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله ، الا أعطيتهم اياها ؟ فقال له النبي (ص) : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به . قال سهيل : والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضُغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب . فقال سهيل وعلى أنه لايأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا . قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده الىّ فقال النبي (ص) انا لم نقض الكتاب بعد . قال فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي (ص) : فأجزه لى . قال ما أنا بمجيزه لك . قال : بلى فافعل قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بلى قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أى معشر المسلمين أردُّ الى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت – وكان قد عذب عذاباً شديداً فى الله – فقال عمر رضى الله عنه فأتيت رسول الله (ص) فقلت : ألست نبى الله حقاً ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق

وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا اذن . قال : انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى . قلت : أولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال : بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قال قلت لا . قال : فانك آتيه ومطوف به . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقاً . قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال : قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا اذن . قال . أيها الرجل انه لرسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق. قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام . فقلت لا . قال فانك آتيه ومطّوف به . قال الزهرى قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً . قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله (ص) لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا . قال فوالله ماقام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس . فقالت أم سلمة : يانبىّ الله أتحب ذلك اخرج ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن - حتى بلغ - بعصم الكوافر] فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك . فتزوج احداهما معاوية بن أبى سفيان والاخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبى (ص) الى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا : العهدَ الذى جعلت لنا. فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله انى لأرى سيفك هذا يافلان جيدا . فاستله الآخر فقال : أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه . فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله (ص) حين رآه « لقد رأى هذا ذُعرا » فلما انتهى الى النبى (ص) قال : قُتل والله صاحبى وانى لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال : يانبى الله قد والله أوفى اللهُ ذمتك ، قد رددتنى اليهم ثم أنجانى الله منهم . فقال النبى (ص) « ويل امه مسعر حرب لو كان له أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده اليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر . قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبى بصير ، فجعل لايخرج من قريش رجل قد أسلم الا لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله مايسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش الى النبى (ص) تناشده بالله والرحم لمّا أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبى (ص) اليهم فأنزل الله تعالى [وهو الذى كف أيديهم عنكم

وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم حتى بلغ الحمية حمية الجاهلية] وكانت حميتهم انهم لم يقروا أنه نبى الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست فى رواية ابن اسحاق عن الزهرى ، فقد رواه عن الزهرى عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومعمر ومحمد بن اسحاق كلهم عن الزهرى عن عروة عن مروان ومسور ، فذكر القصة

وقد رواه البخارى فى أول كتاب الشروط عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى عن عروة[(١)] عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة عن أصحاب رسول الله (ص) فذكر القصة .وهذا هو الاشبه فان مروان ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وقال البخارى : حدثنا الحسن بن اسحاق حدثنا محمد بن سابق حدثنا مالك بن مغول سمعت أبا حصين قال قال أبو وائل : لما قدم سهيل بن حنيف من صفين أتيناه نستخبره فقال : اتهموا الرأى ، فلقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله (ص) أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا أسيافنا عن عواتقنا لامر يقطعنا الا أسهلن بنا الى أمر نعرفه ، قبل هذا الامر ما نسد منها خصماً الا انفجر علينا خصم ماندرى كيف نأتى له[(٢)]

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله (ص) كان يسير فى بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر بن الخطاب عن شىء فلم يجبه رسول الله (ص) ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب ثكلتك أمك ياعمر نزرت رسول الله (ص) ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك . قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فىّ قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بى ، قال فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فىّ قرآن ، فجئت رسول الله (ص) فسلمت عليه فقال « لقد أنزلت علىّ الليلة سورة لهى أحب الىّ مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ [انا فتحنا لك فتحاً مبيناً] . قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكمالها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل

---

(١) فى صحيح البخارى (دار الطباعة العامرة ١٣١٥ ج ٣ ص ١٧٢) : عقيل عن ابن شهاب عن عروة (٢) كان جماعة اتهموا سهل بن حنيف بأنه قصر فى القتال يوم صفين فقال لهم اتهموا رأيكم ولا تتهمونى ، فانى لا اقصر وقت الحاجة ، كنا زمن النبى (ص) لا نلبس السلاح لامر يشتد علينا الا افضى بنا سلاحنا الى سهولة ، وأما أمر صفين فنحن لا نسد منه جانبا حتى ينفجر علينا منه جانب آخر فلا يمكننا اصلاحه وتلافيه

فصل في السرايا

التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقى عن الواقدى :

فى ربيع الاول منها أو الآخر بعث رسول الله (ص) عكاشة بن محصن فى أربعين رجلا الى . . . . . فهربوا منه ونزل على مياههم وبعث فى آثارهم وأخذ منهم مائتى بعير فاستاقها الى المدينة

وفيها كان بعث أبى عبيدة بن الجراح الى ذى القصة بأربعين رجلا أيضاً فساروا اليهم مشاة حتى أتوها فى عماية الصبح فهربوا منه فى رءوس الجبال فأسر منهم رجلا فقدم به على رسول الله (ص) وبعثه محمد بن مسلمة فى عشرة نفر وكمن القوم لهم حتى باتوا .... أصحاب محمد بن مسلمة كلهم وافلت هو جريحا

وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالجموم فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بنى سليم فأصابوا منها نعما وشاءً وأسروا . . . . وكان فيهم زوج حليمة هذه فوهبه رسول الله (ص) لزوجها وأطلقهما

وفيها كان بعث زيد بن حارثة أيضا فى جمادى الاولى الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فهربت منه الأعراب فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ثم رجع بعد أربع ليال

وفيها خرج زيد بن حارثة فى جمادى الاولى الى العيص

قال وفيها أخذت الاموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع فاستجار بزينب بنت رسول الله (ص) فأجارته . وقد ذكر ابن اسحاق قصته حين أخذت العير التى كانت معه وقتل أصحابه وفر هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله (ص) قد هاجرت بعد بدر ولما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح فأجاره لها رسول الله (ص) وأمر الناس بردّ ما أخذوا من عيره فردّوا كل شىء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها الى مكة وأدّى الى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم وخرج من مكة راجعا الى المدينة فردّ عليه رسول الله (ص) زوجته بالنكاح الاول ولم يحدث نكاحا ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك . وكان بين اسلامه وهجرتها ست سنين ويروى سنتين . وقد بينا أنه لامنافاة بين الروايتين وان اسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين وكان اسلامه فى سنة ثمان فى سنة الفتح لا كما تقدم فى كلام الواقدى من أنه سنة ست فالله أعلم

وذكر الواقدى فى هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبى أقبل من عند قيصر قد أجازه بأموال

وخلع ، فلما كان بحسمى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئا ، فبعث اليهم رسول الله (ص) زيد بن حارثة أيضا رضى الله عنه

قال الواقدى حدثني عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال خرج على رضى الله عنه فى مائة رجل الى أن نزل الى حى من بنى أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسولَ الله (ص) أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فسار اليهم بالليل وكمن بالنهار وأصاب عيناً لهم فأقر له أنه بعث الى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر

قال الواقدى رحمه الله تعالى وفى سنة ست فى شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ، وقال له رسول الله (ص) ان هم أطاعوا فتزوّج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الاصبغ الكلبية وهى أم أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف

قال الواقدى فى شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهرى الى العُرَنيين الذين قتلوا راعى رسول الله (ص) واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله (ص) فى آثارهم كرز بن جابر فى عشرين فارسا فردّوهم وكان من أمرهم ما أخرجه البخارى ومسلم من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رهطاً من عُكْل وعُرَينة — وفى رواية من عكل أو عرينة — أتَوْا رسول الله (ص) فقالوا : يارسول الله انا أناس أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة . فأمر لهم رسول الله (ص) بذودٍ وراعٍ وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا بناحية الحرّة قتلوا راعى رسول الله (ص) واستاقوا الذود وكفروا بعد اسلامهم ، فبعث النبى (ص) فى طلبهم فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم فى الحرّة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة فبلغنا أن رسول الله (ص) كان اذا خطب بعد ذلك حَضَّ على الصدقة ونهى عن المُثْلة . وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك . وفى رواية مسلم عن معاوية بن قرة عن أنس أن نفراً من عُرينة أتوا رسول الله (ص) فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع فى المدينة الموم — وهو البرسام — فقالوا هذا الموم قد وقع يارسول الله ، لو أذنت لنا فرجعنا الى الابل . قال نعم فاخرجوا فكونوا فيها . فخرجوا فقتلوا الراعيين وذهبوا بالابل . وعنده سار من الانصار قريب عشرين فأرسلهم اليهم وبعث معهم قائفاً يقتصّ أثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم . وفى صحيح البخارى من طريق أيوب عن أبى قلابه عن أنس أنه قال قدم رهط من عكل فأسلموا واجتووا المدينة فأتوا رسول الله (ص) فذكروا ذلك له فقال الحقوا بالابل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها ما شاء الله ، فقتلوا الراعى واستاقوا الابل ، فجاء الصريخ الى رسول الله (ص) فلم ترتفع الشمس حتى أُتى بهم فأمر بمسامير فأحميت فكواهم بها وقطع

أيديهم وأرجلهم وألقاهم فى الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحمهم . وفى رواية عن أنس قال فلقد رأيت أحدهم يكدم الارض بفيه من العطش . قال أبو قلابة فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله (ص) . وقد روى البيهقى من طريق عثمان بن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن سليمان عن محمد بن عبيد الله عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله (ص) لما بعث فى آثارهم قال «اللهم عمّ عليهم الطريق» ، واجعلها عليهم أضيق من مسك جمل قال فعمّى الله عليهم السبيل فأدركوا فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم . وفى صحيح مسلم انما سملهم لانهم سملوا أعين الرعاء

فصل فيما وقع من الحوادث فى هذه السنة

أعنى سنة ست من الهجرة فيها نزل فرض الحج كما قرره الشافعى رحمه الله زمن الحديبية فى قوله تعالى [وأتموا الحج والعمرة لله] ولهذا ذهب الى أن الحج على التراخى لا على الفور ، لأنه (ص) لم يحج إلا فى سنة عشر . وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى [وأتموا الحج والعمرة لله] وإنما فى هذه الآية الأمر بالاتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة بما فيه كفاية

وفى هذه السنة حرّمت المسلمات على المشركين تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته علينا ، فنزل قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن ، فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن] الآية

وفى هذه السنة كانت غزوة المريسيع التى كان فيها قصة الافك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كما تقدم

وفيها كانت عمرة الحديبية وما كان من صدّ المشركين رسول الله (ص) وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأمن الناس فيهن بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً فى أماكنه ولله الحمد والمنة . وولى الحج فى هذه السنة المشركون

قال الواقدى وفيها فى ذى الحجة منها بعث رسول الله (ص) ستة نفر مصطحبين حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية وشجاع بن وهب بن أسد بن جذيمة شهد بدراً الى الحارث بن أبى شمر الغسانى يعنى ملك عرب النصارى ، ودحية بن خليفة الكلبى الى قيصر وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامرى الى هوذة ابن على الحنفى ، وعمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمه ابن الحرّ

سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر في اولها

قال شعبة عن الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فى قوله [وأثابهم فتحاً قريباً] قال خيبر . وقال موسى بن عقبة لما رجع رسول الله (ص) من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج الى خيبر وهى التى وعده الله إياها . وحكى موسى عن الزهرى أن افتتاح خيبر فى سنة ست ، والصحيح ان ذلك فى أول سنة سبع كما قدمنا : قال ابن اسحاق . ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرَّم ، ثم خرج فى بقية المحرم الى خيبر . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عروة عن مروان والمسور قالا : انصرف رسول الله (ص) عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة فى ذى الحجة فأقام بها حتى سار الى خيبر فنزل بالرجيع واد بين ... غطفان فتخوّف أن تمدهم غطفان حتى أصبح فغدا عليهم . قال البيهقى وبمعناه رواه الواقدى عن شيوخه فى خروجه أول سنة سبع من الهجرة . وقال عبد الله بن ادريس عن اسحق حدَّثني عبد الله بن أبى بكر قال : لما كان افتتاح خيبر فى عقيب المحرم وقدم النبى (ص) فى آخر صفر قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى . وقد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا حسيم يعنى ابن عراك عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينـة فى رهط من قومه والنبى (ص) فى خيبر وقد استخلف سباع بن عرفطة يعنى الغطفانى على المدينة قال فانتهيت اليه وهو يقرأ فى صلاة الصبح فى الركعة الأولى كهيعص وفى الثانية ويل للمطففين ، فقلت فى نفسى ويل لفلان اذا اكتال بالوافى واذا كال كال بالناقص قال فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبى (ص) خيبر قال فكلم المسلمين فأشركونا فى سهامهم . وقد رواه البيهقى من حديث سليمان بن حرب عن وهيب عن خيثم بن عراك عن أبيه عن نفر من بنى غفار قال ان أبا هريرة قدم المدينة فذكره . قال ابن اسحاق وكان رسول الله (ص) حين خرج من المدينة الى خيبر سلك على عصر وبنى له فيها مسجداً ثم على الصهباء ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين ان يمدّوا أهل خيبر ، كانوا لهم مظاهرين على رسول الله (ص) فبلغنى ان غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه حتى اذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حساً ظنوا أن القوم قد خالفوا

اليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أموالهم وأهليهم وخلوا بين رسول الله (ص) وبين خيبر.
وقال البخارى حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن بُشير أن سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله (ص) عام خيبر حتى اذا كانوا بالصهباء ـ وهى من أدنى خيبر ـ صلى العصر ثم دعا بالازواد فلم يؤت إلا بالسويق فأمر به فثرّى فأكل وأكلنا ثم قام الى المغرب فمضمض ثم صلى ولم يتوضأ. وقال البخارى: حدّثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم بن اسماعيل عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الاكوع: قال خرجنا مع رسول الله (ص) الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر: ياعامر ألا تسمعنا من هنيهاتك ـ وكان عامر رجلا شاعراً ـ فنزل يحدو بالقوم يقول:

لا هُمَّ لولا أنتَ مااهتدَيْنا ... ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا

فاغفرْ فداءً لك ما أبقينا ... وألقِيَنْ سَكينةً علينا

وثبِّتِ الاقدامَ إنْ لاقينا ... إنا اذا صِيح بنا أبينا

وبالصياح عوّلوا علينا

فقال رسول الله (ص) من هذا السائق قالوا عامر بن الاكوع قال يرحمه الله. فقال رجل من القوم وجبت يانبى الله لولا امتعتنا به. فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة. ثم ان الله فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم أوقدوا نيرانا كثيرة فقال رسول الله (ص) ما هذه النيران على أى شىء توقدون قالوا على لحم قال على أى لحم قالوا لحم الحمر الانسية قال النبى (ص) اهريقوها واكسروها فقال رجل يارسول الله أو نهريقها ونغسلها فقال أو ذاك. فلما تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودى ليضربه فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه فلما قفلوا قال سلمة رآنى رسول الله (ص) وهو آخذ بيدى قال مالك قلت فداك أبى وأمى زعموا أن عامراً حبط عمله قال النبى (ص) كذب من قاله ان له لأجرين ـ وجمع بين اصبعيه ـ أنه لجاهد مجاهد قل عربى مشى بها مثله. ورواه مسلم من حديث حاتم بن اسماعيل وغيره عن يزيد بن أبى عبيد مثله. ويكون منصوباً على الحالية من نكرة وهو سائغ اذا دلت على تصحيح معنى كما جاء فى الحديث فصلى وراءه رجل قياما. وقد روى ابن اسحاق قصة عامر بن الاكوع من وجه آخر فقال حدثنى: محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم بن نصر بن دهر الاسلمى أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله (ص) يقول فى مسيره الى خيبر لعامر بن الاكوع وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع: انزل يا ابن الاكوع فخذ لنا من هناتك فقال فنزل يرتجز لرسول الله (ص):

والله لولا الله ما اهتدينا　　ولا تصدقنا ولا صلينا
انا اذا قوم بغوا علينا　　وان أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينــة علينا　　وثبت الاقدام ان لاقينا

فقال رسول الله (ص) يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب وجبت يارسول الله لو أمتعتنا به. فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخارى . قال ابن اسحاق : وحدثنى من لاأتهم عن عطاء بن أبى مروان الأسلمى عن أبيه عن أبى معتب بن عمرو أن رسول الله (ص) لما أشرف على خيبر قال لاصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيها ، أقدموا بسم الله . وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . وقد رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن العطاردى عن يونس بن بكير عن ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن صالح بن كيسان عن أبى مروان الأسلمى عن أبيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله (ص) الى خيبر حتى اذا كنا قريباً وأشرفنا عليها قال رسول الله (ص) للناس قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر مافيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن اسحاق وحدثنى من لاأتهم عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله (ص) اذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح فان سمع أذاناً أمسك وان لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر ليلا فبات رسول الله (ص) حتى أصبح لم يسمع أذانا فركب وركبنا معه وركبت خلف أبى طلحة وان قدمى لتمس قدم رسول الله (ص) ، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوا رسول الله (ص) والجيش قالوا : محمد والخميس معه ! فأدبروا هرابا ، فقال رسول الله (ص) : الله أكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال ابن اسحاق حدثنا هرون عن حميد عن أنس بمثله

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن رسول الله أتى خيبر ليلا وكان اذا أتى قوماً بليل لم يغربهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله (ص) : خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرد به دون مسلم

وقال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا أبو عيينة حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن

أنس بن مالك قال : صبحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحي فلما بصروا بالنبي (ص) قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله (ص) : الله أكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادى النبي (ص) : ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فانها رجس . تفرد به البخاري دون مسلم

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال لما أتى النبي (ص) خيبر فوجدهم حين خرجوا الى زرعهم ومساحيهم فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا الى حصنهم فقال النبي (ص) الله اكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين

وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال (ص) الصبح قريب من خيبر بغلس ، ثم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . فخرجوا يسعون بالسكك فقتل النبي (ص) المقاتلة وسبى الذرية وكان فى السبى صفية فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي (ص) فجعل عتقها صداقها . قال عبد العزيز ابن صهيب لثابت يا أبا محمد أأنت قلت لأنس ما أصدقها ، فحرك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخارى ومسلم النهى عن لحوم الحمر الاهلية من طرق تذكر فى كتاب الاحكام

وقد قال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو طاهر الفقيه أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسى حدثنا محمد بن حميد الابيوردى حدثنا محمد بن الفضل عن مسلم الاعور الملائى عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله (ص) يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بنى قريظة والنضير على حمار ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن ليف وتحته اكاف من ليف . وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذى عن على بن حجر عن على بن مسهر ، وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان وعن عمر بن رافع عن جرير كلهم عن مسلم وهو ابن كيسان الملائى الاعور الكوفى عن أنس به . وقال الترمذى لا نعرفه الا من حديثه وهو يضعف . قلت والذى ثبت فى الصحيح عند البخارى عن أنس ان رسول الله (ص) أجرى فى رقاق خيبر حتى انحسر الازار عن فخذه ، فالظاهر انه كان يومئذ على فرس لا على حمار . ولعل هذا الحديث ان كان صحيحا محمول على انه ركبه فى بعض الايام وهو محاصرها والله أعلم

وقال البخارى حدثنا محمد بن سعيد الخزاعى حدثنا زياد بن الربيع عن أبى عمران الجونى قال نظر أنس الى الناس يوم الجمعة فرأى طيالسة فقال كأنهم الساعة يهود خيبر . وقال البخاري : حدثنا

عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الاكوع قال : كان عليّ بن أبي طالب تخلف عن رسول الله (ص) في خيبر وكان رَمِداً فقال أنا أتخلف عن النبي (ص) ؟ فلحق به . فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : لأعطين الراية غداً (أو ليأخذن الراية غداً) رجل يحبه الله ورسوله يُفتح عليه . فنحن نرجوها . فقيل هذا عليّ فأعطاه ففتح عليه . وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن حاتم به . ثم قال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله (ص) قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غَدَوْا على النبي (ص) كلهم يرجو أن يعطاها فقال : أين عليّ بن أبي طالب ؟ فقالوا هو يارسول يشتكي عينيه ، قال فأرسل اليه فأتى فبصق رسول الله (ص) في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال عليّ : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال (ص) أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم . وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة به . وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه ، قال عمر فما أحببت الامارة إلا يومئذ ، فدعا علياً فبعثه ثم قال : اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت . قال علي : على ما أقاتل الناس ؟ قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ه لفظ البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا مصعب بن المقدام وجحش بن المثنى قالا حدثنا اسرائيل حدثنا عبد الله بن عصمة العجلي سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية فهزها ثم قال : من يأخذها بحقها ؟ فجاء فلان فقال أنا ، قال : امض ، ثم جاء رجل آخر فقال امض ، ثم قال النبي (ص) : والذي كرم وجه محمد لاعطينها رجلا لا يفر فقال هاك ياعلي . فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها . تفرد به أحمد واسناده لابأس به ، وفيه غرابة وعبد الله بن عصمة ويقال ابن أعصم وهكذا يكنى بأبي علوان العجلي وأصله من اليمامة سكن الكوفة وقد وثقه ابن معين ، وقال أبو زرعة لابأس به ، وقال أبو حاتم شيخ ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال يخطئ كثيراً وذكره في الضعفاء ، وقال يحدث عن الاثبات مما لايشبه حديث الثقات حتى يسبق الى القلب أنها موهومة أو موضوعة

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق : حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن أبيه عن سلمة بن عمرو بن الاكوع رضى الله عنه قال : بعث النبي (ص) أبا بكر رضى الله عنه الى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد . ثم بعث عمر رضى الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح . فقال رسول الله (ص) : لاعطين الراية غداً رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه وليس بفرّار . قال سلمة فدعا رسول الله (ص) على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو يومئذ أرمد فتفل فى عينيه ثم قال : خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك ، فخرج بها والله يصول[1] يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب فقال اليهودى : غلبتم وما أنزل على موسى ، فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا الاصم أنبأنا العطاردى عن يونس بن بكير عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة أخبرنى أبى قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس ،فقال رسول الله (ص) : لادفعن لوائى غداً الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ان يرجع حتى يفتح الله له ، فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً ، فصلى رسول الله (ص) صلاة الغداة ثم دعا باللواء وقام قائماً فما منا من رجل له منزلة من رسول الله (ص) إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل حتى تطاولتُ أنا لها ورفعت رأسى لمنزلة كانت لى منه ، فدعا على بن أبى طالب وهو يشتكى عينيه قال فمسحها ثم دفع اليه اللواء ففتح له ، فسمعت عبدالله بن بريدة يقول : حدثنى أبى أنه كان صاحب مرحب

قال يونس قال ابن اسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحىً منه فقتلته

ثم روى البيهقى عن يونس بن بكير عن المسيب بن مسلمة الازدى حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله (ص) ربما اخذته الشقيقة [2] فلبث اليوم واليومين لايخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس ، وان أبا بكر أخذ راية رسول الله (ص) ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشد من القتال الاول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله (ص) فقال لاعطينها غداً [3] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله

(١) فى نسخة يساج

(٢) الشقيقة : نوع من صداع يعرض فى مقدم الرأس والى أحد جانبيه

(٣) يظهر سقوط « رجلا » كما تقدم فى الاحاديث السابقة

يأخذها عنوة . وليس ثمّ عليٌّ ، فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطري ، فقال رسول الله (ص) : مالك ؟ قال : رمدتُ بعدك ، قال ادنُ مني فتفل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرْحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمتْ خيبرُ أني مرحبٌ شاكٍ سلاحي بطلٌ مجرَّبُ
اذا الليوثُ أقبلتْ تلهَّبُ وأحجمتْ عن صَولة المغلَّب

فقال عليّ رضي الله عنه :

أنا الذي سمَّتْني أُمّي حَيْدَرَه كليثِ غاباتٍ شديدِ القَسْوَره
أُكيلُكُمْ بالصاع كَيْلَ السندره (١)

قال فاختلفا ضربتين ، فبدره علي بضربة فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه ووقع في الاضراس ، وأخذ المدينة

وقد روى الحافظ البزّار عن عباد بن يعقوب عن عبد الله بن بكر عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قصة بعث أبي بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث علي فكان الفتح على يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة وفي اسناده من هو متهم بالتشيع والله أعلم

وقد روى مسلم والبيهقي واللفظ له من طريق عكرمة بن عمار عن اياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة قال : فلم نمكث الا ثلاثاً حتى خرجنا الى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

والله لولا أنتَ ما اهتدَيْنا ولا تصدَّقنا ولا صلّينا
ونحنُ من فضلكَ ما استغنيْنا فأنزلنْ سَكينةً علينا
وثبّتِ الأقدامَ إن لاقينا

قال فقال رسول الله (ص) : من هذا القائل ؟ فقالوا عامر . فقال غفر لك ربك . قال وما خصّ رسول الله (ص) قط أحداً به الا استشهد . فقال عمر وهو على جمل : لولا متعتنا بعامر . قال فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمتْ خيبرُ أني مرحب شاكي السلاحِ بطل مجرَّب

---

(١) السندرة : مكيال واسع . أراد : اقتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً

اذا الحروبُ أقبلتْ تَلهّبُ

قال فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خيبر انى عامر   شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر فذهب يسفل له فرجع على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله (ص) يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه . قال فأتيت رسول الله (ص) وأنا أبكى فقال مالك ؟ فقلت قالوا ان عامراً بطل عمله . فقال من قال ذلك ؟ فقلت نفر من أصحابك . فقال كذب أولئك بل له الاجر مرتين . قال وأرسل رسول الله (ص) الى على رضى الله عنه يدعوه وهو أرمد وقال لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله . قال فجئت به أقوده قال فبصق رسول الله (ص) فى عينه فبرأ فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبر انى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرب

اذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له علىّ وهو يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره   كليث غاباتٍ كريه المنظره

أوفيهمُ بالصاع كَيْلَ السندره

قال فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح . هكذا وقع فى هذا السياق ان علياً هو الذى قتل مرحباً اليهودى لعنه الله

وقال أحمد حدثنا حسين بن حسن الاشقر حدثنى قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن جده عن على قال : لما قتلت مرحباً جئت برأسه الى رسول الله (ص)

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى أن الذى قتل مرحبا هو محمد بن مسلمة . وكذلك قال محمد بن اسحاق حدثنى عبد الله بن سهل أحد بنى حارثة عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهودى من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر انى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب   اذا الليوث أقبلت تلهّب

إن حمایَ لَلحمى لايقرب

قال فأجابه كعب بن مالك :

قد علمتْ خيبر انى كَعْبُ   مفرّج الغَماء جريٌّ صُلْبُ

اذ شبّت الحربُ وثارَ الحربُ   معي حُسامٌ كالعقيق عضْبُ
يطأكمو حتى يذلّ الصعبُ   بكفّ ماضٍ ليسَ فيه عَيْبُ

قال وجعل مرحب يرتجز ويقول : هل من مبارز . فقال رسول الله (ص) من لهذا . فقال محمد بن مسلمة أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور والثائر قتلوا أخي بالامس . فقال قم اليه اللهم أعنه عليه . قال فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمْرِية [١] من شجر العُشَر [٢] المسد فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها. كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه مادونه حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم مافيها فنن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت فاستله وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله

وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن ابن اسحاق بنحوه .

قال ابن اسحاق : وزعم بعض الناس ان محمداً ارتجز حين ضربه وقال :

قد علمت خيبر انى ماضِ   حُلوٌ اذا شئتُ وسُمٌّ قاضِ

وهكذا رواه الواقدى عن جابر وغيره من السلف ان محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحباً ثم ذكر الواقدى ان محمداً قطع رجلى مرحب فقال له أجهز عليَّ . فقال لا ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة . فمر به على وقطع رأسه فاختصما فى سلبه الى رسول الله (ص) فأعطى رسول الله (ص) محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته . قال وكان مكتوباً على سيفه :

هذا سيفُ مَرْحَبْ   من يَذُقْهُ يَعْطَبْ

ثم ذكر ابن اسحاق ان أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول هل من مبارز . فزعم هشام ابن عروة ان الزبير خرج له فقالت أم صفيّة بنت عبد المطلب يقتل ابنى يارسول الله فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله فالتقيا فقتله الزبير . قال فكان الزبير اذا قيل له والله ان كان سيفك يومئذ صارما يقول والله ما كان بصارم ولكنى أكرهته

وقال يونس عن ابن اسحاق عن بعض أهله عن أبى رافع مولى رسول الله (ص) قال : خرجنا مع على الى خيبر بعثه رسول الله (ص) برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على باب الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه . وفى هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر . ولكن

(١) هى الشجرة العظيمة القديمة التى اتى عليها عمر طويل

(٢) هو شجر له صمغ يقال له سُكر العُشَر

روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر الباقر عن جابر ان علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وانه جرّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا . وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلا وكان جهدهم أن أعادوا الباب

وقال البخاري حدّثنا مكي بن ابراهيم حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ماهذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي (ص.) فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل قال : التقى النبي (ص.) والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا ، فمال كل قوم الى عسكرهم ، وفي المسلمين رجل لايدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه ، فقيل يارسول ما أجزأ منا أحد ما اجزأ فلان . قال انه من أهل النار . فقالوا أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لاتبعنه فاذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فجاء الرجل الى النبي (ص.) فقال : أشهد أنك رسول الله . قال وما ذاك ؟ فأخبره فقال : ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وانه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وأنه من أهل الجنة . رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب عن أبي حازم عن سهل فذكره مثله أو نحوه

ثم قال البخاري : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله (ص.) لرجل ممن معه يدّعي الاسلام هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة حتى كاد بعض الناس يرتاب . فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يارسول الله صدّق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه . فقال قم يافلان فاذن أنه لايدخل الجنة إلا مؤمن ، وأن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الايمان والشهادة في ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قالا وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال ما تريدون قالوا نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي . فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله (ص.) فقال الى ماتدعو ؟ قال أدعوك الى الاسلام الى أن تشهد أن لا إله

إلا الله وأنى رسول الله وأن لاتعبدوا إلا الله . قال فقال العبد فماذا يكون لى ان شهدت بذلك وآمنت بالله قال رسول الله (ص) الجنة إن مت على ذلك . فأسلم العبد فقال يانبى الله أن هذه الغنم عندى أمانة . فقال رسول الله (ص) أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا فان الله سيؤدى عنك أمانتك . ففعل فرجعت الغنم الى سيدها فعرف اليهودى أن غلامه قد أسلم . فقام رسول الله (ص) فوعظ الناس فذكر الحديث فى اعطائه الراية علياً ودنوه من حصن اليهود وقتله مرحباً وقتل مع على ذلك العبد الأسود فاحتمله المسلمون الى عسكرهم فادخل فى الفسطاط فزعموا أن رسول الله (ص) اطلع فى الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال : لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام فى قلبه حقاً وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين

وقد روى الحافظ البيهقى من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد عن جابر بن عبد الله قال كنا مع رسول الله (ص) فى غزوة خيبر فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة

ثم قال البيهقى حدثنا محمد بن محمد بن محمد الفقيه حدثنا أبو بكر القطان حدثنا أبو الازهر حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رجلا أتى رسول الله (ص) فقال يارسول الله انى رجل أسود اللون قبيح الوجه لامال لى فان قاتلت هؤلاء حتى اقتل أدخل الجنة؟ قال نعم فتقدم فقاتل حتى قتل فأتى عليه رسول الله (ص) وهو مقتول فقال : لقد حسّن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك وقال لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبته عليه يدخلان فيما بين جلده وجبته . ثم روى البيهقى من طريق ابن جريج أخبرنى عكرمة بن خالد عن ابن أبى عمار عن شداد ابن الهاد أن رجلا من الأعراب جاء رسول الله (ص) فآمن به واتبعه فقال أهاجر معك فأوصى به النبى (ص) بعض أصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله (ص) فقسمه وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه اليه فقال ما هذا ؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله (ص) فقال ما على هذا اتبعتك ولكنى اتبعتك على أن أرمى هاهنا وأشار الى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال ان تصدق الله يصدقك . ثم نهضوا الى قتال العدو فأتى به رسول الله (ص) يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار فقال النبى (ص) . هو هو؟ قالوا نعم . قال صدق الله فصدقه . وكفنه النبى (ص) فى جبة النبى (ص) ثم قدمه فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته : اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فى سبيلك قتل شهيداً وأنا عليه شهيد . وقد رواه النسائى عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه

فصـــل

قال ابن اسحاق : وتدنى رسول الله (ص) الأموال يأخذها مالامالا ويفتتحها حصناً حصناً وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحىً منه فقتلته ثم القموص حصن بنى أبى الحقيق . وأصاب رسول الله (ص) منهم سبايا منهن صفيـة بنت حيى بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق و بنتى عم لها فاصطفى رسول الله (ص) صفية نفسه وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله (ص) صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها . قال وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين وأكل الناس لحوم الحمر فذكر نهى رسول الله (ص) إياهم عن أكلها . وقد اعتنى البخارى بهذا الفصـل فأورد النهى عنها من طرق جيدة وتحريمها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الائمة الأربعة . وقد ذهب بعض السلف منهم ابن عباس الى إباحتها وتنوعت أجوبتهم عن الاحاديث الواردة فى النهى عنها فقيل لأنها كانت ظهراً يستعينون بها فى الحمولة وقيل لأنها لم تكن خمست بعد وقيل لأنها كانت تأكل العذرة يعنى جلالة والصحيح أنه نهى عنها لذاتها فان فى الاثر الصحيح أنه نادى منادى رسول الله (ص) ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فانها رجس فاكفئوها والقدور تفور بها . وموضع تقرير ذلك فى كتاب الاحكام . قال ابن اسحاق : حدثنى سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله ولم يشهد جابر خيبر أن رسول الله (ص) حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم فى لحوم الخيل . وهذا الحديث أصله ثابت فى الصحيحين من حديث حمـاد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن على عن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله (ص) يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص فى الخيل . لفظ البخارى

قال ابن اسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبى نجيح عن مكحول أن النبى (ص) نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم . وهذا مرسل . وقال ابن إسحاق وحدثني يزيد بن أبى حبيب عن أبى مرزوق مولى تجيب عن حنش الصنعانى قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فينا خطيباً فقال: أيها الناس انى لا أقول فيكم الا ماسمعت من رسول الله (ص) يقول فينا يوم خيبر قام فينا رسول الله (ص) فقال : لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره يعنى اتيان الحبالى من السبى لايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم

الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى اذا أعجفها ردها فيه ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوما من فىء المسلمين حتى اذا أخلقه رده فيه . وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن اسحاق . ورواه الترمذى عن حفص بن عمر و الشيبانى عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ربيعة بن سليم عن بشر بن عبيد الله عن رويفع بن ثابت مختصراً وقال حسن

وفى صحيح البخارى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم . وقد حكى ابن حزم عن على وشريك بن الحنبل أنهما ذهبا الى تحريم البصل والثوم النىء . والذى نقله الترمذى عنهما الكراهة فالله أعلم . وقد تكلم الناس فى الحديث الوارد فى الصحيحين من طريق الزهرى عن عبد الله والحسن ابنى محمد بن الحنفية عن أبيهما عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله (ص) نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الاهلية . هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره عن الزهرى وهو يقتضى تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر وهو مشكل من وجهين : أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثم نساء يتمتعون بهن اذ قد حصل لهم الاستغناء بالسباء عن نكاح المتعة . الثانى : أنه قد ثبت فى صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة عن معبد عن أبيه أن رسول الله (ص) أذن لهم فى المتعة زمن الفتح ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : أن الله قد حرمها الى يوم القيامة فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حرمت فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد . ومع هذا فقد نص الشافعى على أنه لا يعلم شيئاً أبيح ثم حرم ثم أبيح ثم حرم غير نكاح المتعة وما حداه على هذا رحمه الله الا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه (١)

وقد حكى السهيلى وغيره عن بعضهم أنه ادّعى أنها أبيحت ثلاث مرات وحرمت ثلاث مرات وقال آخرون أربع مرات وهذا بعيد جداً والله أعلم . واختلفوا أى وقت أول ما حرمت فقيل فى خيبر وقيل فى عمرة القضاء وقيل فى عام الفتح وهذا يظهر وقيل فى أوطاس وهو قريب من الذى قبله وقيل فى تبوك وقيل فى حجة الوداع رواه أبو داود

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث على رضى الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير وانما المحفوظ فيه مارواه الامام أحمد : حدّثنا سفيان عن الزهرى عن الحسن وعبد الله ابنى محمد

---

(١) بياض بالاصل بمقدار سطر

عن أبيهما ـ وكان حسن أرضاهما فى أنفسهما ـ أن علياً قال لابن عباس: ان رسول الله (ص.) نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية زمن خيبر. قالوا فاعتقدنا الراوى ان قوله خيبر ظرف المنهى عنهما وليس كذلك انما هو ظرف للنهى عن لحوم الحمر، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفا وانما جمعه معه لأن علياً رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية كما هو المشهور عنه، فقال له أمير المؤمنين على: انك امرؤ تائه أن رسول الله (ص.) نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية يوم خيبر، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقده فى ذلك من الاباحة. والى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى تغمده الله برحمته آمين. ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب [اليه] من [اباحة] الحمر والمتعة، أما النهي عن الحمر فتأوله بأنها كانت حمولتهم وأما المتعة فانما كان يبيحها عند الصرورة فى الاسفار، وحمل النهى على ذلك فى حال الرفاهية والوجدان وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز الى زمن ابن جريج وبعده. وقد حكى عن الامام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس وهى ضعيفة وحاول بعض من صنف فى الحلال نقل رواية عن الامام بمثل ذلك ولا يصح أيضاً والله أعلم. وموضع تحرير ذلك فى كتاب الاحكام وبالله المستعان

قال ابن اسحاق: ثم جعل رسول الله (ص.) يتدنى الحصون والاموال فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدثه بعض من أسلم أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله (ص.) فقالوا يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شىء فلم يجدوا عند رسول الله (ص.) شيئاً يعطيهم إياه فقال: اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ليس بيدى شىء أعطيهم اياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غنى وأكثرها طعاماً وودكاً. فغدا الناس ففتح عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكا منه(١)

قال ابن اسحاق: ولما افتتح رسول الله (ص.) من حصونهم ما افتتح وحاز من الاموال ما حاز انتهوا الى حصنهم الوطيح والسلالم وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً فحاصرهم رسول الله (ص.) بضع عشر ليلة. قال ابن هشام: وكان شعارهم يوم خيبر يا منصور أمت أمت

قال ابن اسحاق: وحدثنى بريدة بن سفيان الاسدى الاسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليسر كعب بن عمرو قال: انى لمع رسول الله (ص.) بخيبر ذات عشية اذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم فقال رسول الله (ص.) من رجل يطعمنا من هذه الغنم قال أبو اليسر

---

(١) الودك: دَسَم اللحم ودُهنه الذى يستخرج منه

فقلت أنا يارسول الله قال فافعل .قال فخرجت أشتد مثل الظليم فلما نظر الى رسول الله (ص) مولياً قال اللهم أمتعنا به قال فأدركت الغنم وقد دخلت أولها الحصن فأخذت شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدى ثم جئت بهما أشتد كأنه ليس معى شىء حتى ألقيتهما عند رسول الله (ص) فذبحوهما فأكلوهما فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله (ص) موتا وكان اذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال امتعوا بى لعمرى حتى كنت من آخرهم . وقال الحافظ البيهقى فى الدلائل أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهانى حدثنا أبو سعيد بن الاعرابى حدثنا سعدان بن نصر حدثنا أبو معاوية عن عاصم الاحول عن أبى عثمان النهدى أو عن أبى قلابة قال لما قدم النبى (ص) خيبر قدم والثمرة خضرة قال فأسرع الناس اليها فحموا فشكوا ذلك اليه فأمرهم أن يقرسوا الماء فى الشنان[1] ثم يحدرونه عليهم اذا أتى الفجر و يذكرون اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عقل . قال البيهقى ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولا وعنه بين صلاتى المغرب والعشاء . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى و بهز قالا حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال حدثنا عبد الله بن مغفل قال دلى جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت لاأعطى أحدا منه شيئاً قال فالتفت فاذا رسول الله (ص) يتبسم . وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا شعبة عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل قال كنا نحاصر قصر خيبر فألقى الينا جراب فيه شحم فذهبت فأخذته فرأيت النبى (ص) فاستحييت وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة ورواه مسلم أيضاً عن شيبان بن فروخ عن عثمان ابن المغيرة . وقال ابن اسحق وحدثنى من لا اتهم عن عبد الله بن مغفل المزنى قال أصبت من فىء خيبر جراب شحم قال فاحتملته على عنقى الى رحلى وأصحابى قال فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها وأخذ بناحيته وقال هلم حتى تقسمه بين المسلمين قال وقلت لاوالله لا أعطيكه قال وجعل يجاذبنى الجراب قال فرآنا رسول الله (ص) ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم خل بينه و بينه قال فأرسله فانطلقت به الى رحلى وأصحابى فأكلناه . وقد استدل الجمهور بهذا الحديث على الامام مالك فى تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين لأن الله تعالى قال وطعام الذين أوتو الكتاب حل لكم قال لكم قال وليس هذا من طعامهم فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالا لهم والله أعلم . وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لايخمس و يعضد ذلك مارواه الامام أبو داود حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية حدثنا اسحاق الشيبانى عن محمد بن أبى مجالد عن عبد الله بن أبى أوفى قال قلت كنتم تخمسون الطعام فى عهد رسول الله (ص) فقال أصبنا طعاما يوم خيبر وكان الرجل يجىء فيأخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف . تفرد به أبو داود وهو حسن .

---

(١) الشنان : الاسقية الخلقة ، وهى اشد تبريداً للماء من الجدد

ذكر قصة صفية بنت حيي النضرية

كان من شأنها أنه لما أجلى رسول الله (ص) يهود بني النضير من المدينة كما تقدم فذهب عامتهم الى خيبر وفيهم حيي بن أخطب و بنو ابى الحقيق وكانوا ذوى أموال وشرف فى قومهم وكانت صفية اذ ذاك طفلة دون البلوغ ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بنى عمها فلما زفت اليه وادخلت اليه بنى بها ومضى على ذلك ليالى رأت فى منامها كأن قمر السماء قد سقط فى حجرها فقصت رؤياها على ابن عمها فلطم وجهها وقال أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك. فما كان الا مجيء رسول الله (ص) وحصاره إياهم فكانت صفية فى جملة السبى وكان زوجها فى جملة القتلى. ولما اصطفاها رسول الله (ص) وصارت فى حوزه وملكه كما سيأتى و بنى بها بعد استبرائها وحلها وجد أثر تلك اللطمة فى خدها فسألها ماشأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضى الله عنها وأرضاها قال البخارى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال: صلى النبى (ص) الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال: الله أكبر خربت خيبر، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. فخرجوا يسعون فى السكك فقتل النبى (ص) المقاتلة وسبى الذرية، وكان فى السبى صفية فصارت الى دحية الكلبى ثم صارت الى النبى (ص) فجعل عتقها صداقها. ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن زيد وله طرق عن أنس. وقال البخارى: حدثنا آدم عن شعبة عن عبد العزيز ابن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سبى النبى (ص) صفية فأعتقها وتزوجها. قال ثابت لأنس ما أصدقها قال أصدقها نفسها فأعتقها تفرد به البخارى من هذا الوجه. وقال البخارى حدثنا عبدالغفار بن داود حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح. وحدثنا أحمد بن عيسى حدثنا ابن وهب أخبرنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك قال: قدمنا خيبر فلما فتح (ص) الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها النبى (ص) لنفسه فخرج بها حتى بلغ بها سد الصهباء حلت فبنى بها رسول الله (ص) ثم صنع حيساً فى نطع صغير ثم قال لى. آذن من حولك فكانت تلك وليمته على صفية. ثم خرجنا الى المدينة فرأيت النبى (ص) يحوى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب. تفرد به دون مسلم. وقال البخارى حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير أخبرنى حميد أنه سمع أنساً يقول: أقام رسول الله (ص) بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبنى عليه بصفية فدعوت المسلمين الى وليمته وما كان فيها من خبز ولحم وما كان فيها الا أن أمر بلالا بالانطاع فبسطت فألقى عليها التمر والاقط والسمن فقال المسلمون احدى أمهات المؤمنين أو

ماملكت يمينه ؟ فقالوا ان حجبها فهي احدى أمهات المؤمنين وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه . فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب . انفرد به البخارى . وقال أبوداود حدثنا مسدد حدثنا حماد بن زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : صارت صفية لدحية الكلبي ثم صارت لرسول الله (ص.) . وقال أبو داود حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: جمع السبي - يعنى بخيبر - فجاء دحية فقال: يارسول الله اعطنى جارية من السبي قال: اذهب فخذ جارية. فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى رسول الله (ص.) فقال يانبي الله أعطيت دحية قال يعقوب صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ماتصلح الا لك قال ادعوا بها فلما نظر اليها النبي (ص.) قال خذ جارية من السبي غيرها وان رسول الله (ص.) اعتقها وتزوجها . وأخرجاه من حديث ابن علية . وقال أبو داود حدثنا محمد بن خلاد الباهلي حدثنا بهز بن أسد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس قال وقع فى سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله (ص.) بسبعة أرؤس ثم دفعها الى أم سلمة تصنعها وتهيئها قال حماد وأحسبه قال وتعتد فى بيتها صفية بنت حيي . تفرد به أبوداود

قال ابن اسحاق فلما افتتح رسول الله (ص.) القموص حصن بنى أبى الحقيق أتى بصفية بنت حيي ابن أخطب وأخرى معها فمر بهما بلال - وهو الذى جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صاحت و صكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله (ص.) قال: أعزبوا عنى هذه الشيطانة . وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله (ص.) قد اصطفاها لنفسه . وقال رسول الله (ص.) لبلال فيما بلغنى حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يابلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما . وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق أن قمرا وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ماهذا الا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله (ص.) وبها أثر منه ، فسألها ماهذا ، فأخبرته الخبر . قال ابن اسحاق وأتى رسول الله بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله عنه فجحد ان يكون يعلم مكانه . فأتى رسول الله (ص.) رجل من اليهود فقال لرسول الله (ص.) انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله (ص.) لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أقتلك ؟ قال نعم . فأمر رسول الله (ص.) بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله (ص.) الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستأصل ماعنده . وكان الزبير يقدح بزنده فى صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

فصل

قال ابن اسحاق وحاصر رسول الله (ص) أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم حتى اذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ففعل ، وكان رسول الله (ص) قد حاز الاموال كلها الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم الا ما كان من ذينك الحصنين ، فلما سمع أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله (ص) ان يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله (ص) وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أخو بني حارثة . فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله (ص) يعاملهم في الاموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله (ص) على النصف على أنا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، وعامل أهل فدك بمثل ذلك

فتح حصونها وقسمة أرضها

فصل

قال الواقدي لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ الى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله (ص) ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال يا أبا القاسم تؤمني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة وتخرج الى أهل الشق فان أهل الشق قد هلكوا رعباً منك قال فأمنه رسول الله على أهله وماله فقال له اليهودي انك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك ، ان لهم تحت الارض دبولاً يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون الى قلعتهم . فأمر رسول الله (ص) بقطع دبولهم فخرجوا فقاتلوا أشد القتال وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة وافتتحه رسول الله (ص) وكان آخر حصون النطاة . وتحول الى الشق وكان به حصون ذوات عدد فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبي فقام رسول الله (ص) على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أشد القتال فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا الى البراز فبرز اليه الحباب بن المنذر فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده وفر اليهودي راجعاً فاتبعه الحباب فقطع عرقوبه وبرز منهم آخر فقام اليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي فنهض اليه أبو دجانة فقتله وأخذ سلبه وأحجموا عن البراز فكبر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبو دجانة فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاماً وهرب من كان فيه من المقاتلة وتقحموا الجزر كأنهم الضباب حتى صاروا الى حصن البزاة بالشق وتمنعوا أشد الامتناع فزحف اليهم رسول الله (ص) وأصحابه فتراموا ورمى معهم رسول الله (ص) بيده الكريمة حتى أصاب نبلهم بنانه عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفاً من الحصا فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساخ في الارض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد . قال الواقدي :

ثم تحول رسول الله (ص) الى أهل الاخبية والوطيح والسلالم حصنى أبى الحقيق وتحصنوا أشد التحصن وجاء اليهم كل من كان انهزم من النطاة الى الشق فتحصنوا معهم فى القموص و فى الكتيبة وكان حصناً منيعاً وفى الوطيح والسلالم وجعلوا لا يطلعون من حصونهم حتى هم رسول الله (ص) أن ينصب المنجنيق عليهم فلما أيقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله (ص) أربعة عشر يوما نزل اليه ابن أبى الحقيق فصالحه على حقن دمائهم ويسيرهم ويخلون بين رسول الله (ص) وبين ما كان لهم من الارض والاموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البز الا ما كان على ظهر انسان يعنى لباسهم فقال رسول الله (ص) وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتم شيئاً فصالحوه على ذلك

قلت ولهذا لما كتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذى كان فيه أموال جزيلة تبين انه لا عهد لهم فقتل ابنى أبى الحقيق وطائفة من أهله بسبب نقض العهود منهم والمواثيق

وقال الحافظ البيهقى حدثني أبو الحسن على بن محمد المقرى الاسفرايني حدثنا الحسن بن محمد ابن اسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبيد الله بن عمر فيما يحسب أبو سلمة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم الى قصرهم فغلب على الأرض والزرع والنخل فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله (ص) الصفراء والبيضاء ويخرجون منها واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يُغَيِّبوا شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكا فيه مال وحلى لحيى بن أخطب وكان احتمله معه الى خيبر حين أجليت النضير فقال رسول الله (ص) حينئذ : ما فعل مسك حيى الذى جاء به من النضير فقال أذهبته النفقات والحروب فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك فدفعه رسول الله (ص) الى الزبير فمسه بعذاب وقد كان حيى قبل ذلك دخل خربة فقال قد رأيت حيياً يطوف فى خربة هاهنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك فى الخربة فقتل رسول الله (ص) ابنى أبى الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب وسبى رسول الله (ص) نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بالنكث الذى نكثوا وأراد اجلاءهم منهما فقالوا يامحمد دعنا نكون فى هذه الارض نصلحها ونقوم عليها ولم يكن لرسول الله (ص) ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشيء مابدا لرسول الله (ص) وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرصها عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا الى رسول الله (ص) شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال يا أعداء الله تطعمونى السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الى ولأنتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملنى بغضى إياكم وحبى إياه على أن لا أعدل عليكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض . قال فرأى رسول الله (ص)

بعين صفية خضرة فقال ياصفية ما هـذه الخضرة فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت كأن قمراً وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني وقال تتمنين ملك يثرب . قالت وكان رسول الله (ص) من أبغض الناس الىّ قتل زوجي وأبي فما زال يعتذر إلي ويقول ان أباك ألّب علىّ العرب وفعل ما فعل حتى ذهب ذلك من نفسي . وكان رسول الله (ص) يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير فلما كان في زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه فقال عمر : من كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها فقسمها بينهم . فقال رئيسهم لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله (ص) وأبو بكر فقال عمر : أتراني سقط على قول رسول الله (ص) كيف بك إذا وقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً . وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية . وقد رواه أبو داود مختصراً من حديث حماد بن سلمة . قال البيهقي وعلقه البخاري في كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أره في الأطراف فالله أعلم . وقال أبو داود وحدثني سليمان بن داود المهري حدثنا ابن وهب أخبرني أسامة بن زيد الليثي عن نافع عن عبد الله بن عمر قال : لما فتحت خيبر سألت يهود رسول الله (ص) أن نقرهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله (ص) أقركم فيها على ذلك ما شئنا فكانوا على ذلك وكان التمر يقسم على السهمان من نصف خيبر ويأخذ رسول الله (ص) الخمس وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين وسقا من شعير . فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل الى أزواج النبي (ص) فقال لهن : من أحب منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لهـا أصلها وأرضها وماؤها ومن الزرع مزرعة عشرين وسقاً من شعير فعلنا ومن أحب أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا . وقد روى أبو داود من حديث محمد بن اسحاق حدثني نافع عن عبد الله بن عمر أن عمر قال أيها الناس ان رسول الله (ص) عامل يهود خيبر على أن يخرجهم اذا شاء فمن كان له مال فليلحق به فاني مخرج يهود . فأخرجهم وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره قال مشيت أنا وعثمان بن عفان الى رسول الله (ص) فقلنا أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد. قال جبير بن مطعم ولم يقسم النبي (ص) لبني عبد شمس وبني نوفل شيئا. تفرد به دون مسلم . وفي لفظ أن رسول الله (ص) قال : ان بني هاشم وبني عبـد المطلب شيء واحد، انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسـلام . قال الشافعي دخلوا معهم في الشعب وناصروهم في إسلامهم جاهليتهم . قلت وقد ذم أبو طالب بني عبد شمس ونوفلا حيث يقول :

جزى اللهُ عنّا عبد شمسٍ ونوفَلا عقوبة شرٍّ عاجلاً غيرَ آجلِ

وقال البخاري حدثنا الحسن بن اسحاق ثنا محمد بن ثابت ثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قسم رسول الله (ص) يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما . قال فسره نافع فقال : اذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، و إن لم يكن معه فرس فله سهم . وقال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر أخبرني زيد عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذى نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس ببّانا[1] ليس لهم شئ ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبي (ص) خيبر ، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها . وقد رواه البخاري أيضا من حديث مالك وأبو داود عن احمد بن حنبل عن ابن مهدى عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر به . وهذا السياق يقتضى أن خيبر بكمالها قسمت بين الغانمين . وقد قال أبو داود ثنا ابن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : بلغنى أن رسول الله (ص) افتتح خيبر عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها [على الجلاء] بعد القتال ، و بهذا قال الزهرى خمس رسول الله (ص) خيبر ثم قسم سائرها على من شهدها وفيما قاله الزهرى نظر فان الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم و إنما قسم نصفها بين الناس كما سيأتي بيانه وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الامام مخير فى الأراضى المغنومة إن شاء قسمها و إن شاء أرصدها لمصالح المسلمين و إن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه فى الحاجات والمصالح . قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا حدثنى سفيان عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن أبى حثمة قال : قسم رسول الله (ص) خيبر نصفين ؛ نصفا لنوائبه ونصفا بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما . تفرد به أبو داود ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلا فعين نصف النوائب الوطيح والكتيبة والسلالم وما حيز معها ، ونصف المسلمين الشق والنطاة وما حيز معها وسهم رسول الله (ص) فيما حيز معهما . وقال أيضاً حدثنا حسين بن على ثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار مولى الأنصار عن رجال من أصحاب رسول الله (ص) ، أن رسول الله (ص) لما ظهر على خيبر فقسمها على ستة وثلاثين سهما ، جمع كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله (ص) وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثانى لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس . تفرد به أبو داود . قال أبو داود حدثنا محمد بن عيسى ثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصارى سمعت أبي

(١) بتشديد الباء الثانية كما فى النهاية والمصباح .

يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري ـ وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن ـ قال قسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله ص على ثمانية عشر سهما ، وكان الجيش الفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما تفرد به أبو داود . وقال مالك عن الزهري أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي ص افتتح بعض خيبر عنوة . ورواه أبو داود ثم قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم ابن وهب حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوة و بعضها صلحا والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح . قلت لمالك وما الكتيبة ؟ قال أرض خيبر وهي أربعون الف عذق . قال أبو داود والعذق النخلة . والعذق العرجون . ولهذا قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا حرمي ثنا شعبة ثنا عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر . حدثنا الحسن ثنا قرة بن حبيب ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال ماشبعنا ـ يعني من التمر ـ حتى فتحنا خيبر . وقال محمد بن اسحاق : كانت الشق والنطاة في سهمان المسلمين الشق ثلاثة عشر سهما ونطاة خمسة أسهم قسم الجميع على الف وثمانمائة سهم ودفع ذلك الى من شهد الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله فضرب له بسهمه ، قال وكان أهل الحديبية الفا وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس لكل فرس سهمان فصرف الى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، و زيد المائتا فارس أربعمائة سهم لخيولهم . وهكذا رواه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن صالح بن كيسان أنهم كانوا الفا وأربعمائة معها مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله ص معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان الشق مع عاصم بن عدى

قال ابن اسحاق : وكانت الكتيبة خمسا لله تعالى وسهم النبي ص وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وطعمة أزواج النبي ص ، وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فدك ، منهم محيصة بن مسعود أقطعه رسول الله ص ، ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير ، قال وكان واديها اللذان قسمت عليه يقال لهما وادي السرير ووادي خاص . ثم ذكر ابن اسحاق تفاصيل الاقطاعات منها فأجاد وأفاد رحمه الله . قال وكان الذي ولى قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية ابن خنساء أخو بني سلمة و زيد بن ثابت رضي الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خرص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة فخرصها سنتين ، ثم لما قتل رضي الله عنه كما سيأتي في يوم مؤتة ولي بعده جبار بن صخر رضي الله عنه وقد قال البخاري حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن عبد المجيد بن سهيل عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة

أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر فجاء بتمر جنيب ، فقال رسول الله ﷺ « أكل تمر خيبر هكذا ؟ » قال لا والله يارسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة ، فقال « لا تفعل بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا » . قال البخارى وقال الدراوردى عن عبد المجيد عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله ﷺ بعث أخا بنى عدى من الأنصار الى خيبر وأمره عليها ، وعن عبد المجيد عن أبى صالح السمان عن أبى سعيد وأبى هريرة مثله .

قلت . كان سهم النبى ﷺ الذى أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكمالها وهى طائفة كبيرة من أرض خيبر نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بنى النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ثم يجعل مابقى مجعل مال الله يصرفه فى الكراع والسلاح ومصالح المسلمين ، فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبى ﷺ ـ أو أكثرهن ـ أن هذه الأراضى تكون موروثة عنه ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله ﷺ « نحن معشر الأنبياء لانورث ، ماتركناه فهو صدقة » ولما طلبت فاطمة وأزواج النبى ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلمه اليهم ؛ وذكر لهم قول رسول الله ﷺ « لانورث ماتركنا صدقة » وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ ، والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب الى أن أصل من قرابتى ، وصدق رضى الله عنه وأرضاه فانه البار الراشد فى ذلك التابع للحق ، وطلب العباس وعلى على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث أن ينظرا فى هذه الصدقة وأن يصرفا ذلك فى المصارف التى كان النبى ﷺ يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصديق ذلك ورأى أن حقا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ وأن لايخرج من مسلكه ولا عن سننه . فتغضبت فاطمة رضى الله عنها عليه فى ذلك ووجدت فى نفسها بعض الموجدة ولم يكن لها ذلك والصديق من قد عرفت هى والمسلمون محله ومنزلته من رسول الله ﷺ وقيامه فى نصرة النبى ﷺ فى حياته وبعد وفاته فجزاه الله عن نبيه وعن الاسلام وأهله خيراً ، وتوفيت فاطمة رضى الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدد على البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوض أمر هذه الصدقة الى على والعباس وثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ففعل عمر رضى الله عنه ذلك وذلك لكثرة اشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته ، فتغلب على على عمه العباس فيها ثم تساوقا يختصمان الى عمر وقدما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسمها بينهما فينظر كل منهما فيما لاينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث وقال انظرا فيها وأنتما جميع فان عجزتما عنها فادفعاها الى ، والذى تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضى فيها قضاء غير هذا فاستمرا فيها ومن

بعدها الى ولدها الى أيام بنى العباس تصرف فى المصارف التى كان رسول الله (ص) يصرفها فيها : أموال بنى النضير وفدك وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر .

فصل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فرضخ (١) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الغنيمة ولم يسهم لهم . قال أبو داود حدثنا احمد بن حنبل ثنا بشر بن المفضل عن محمد بن زيد حدثنى عمير مولى آبى اللحم قال : شهدت خيبر مع سادتى فكلموا فىّ رسول الله (ص) فأمر بى فقلدت سيفا ، فاذا أنا أجره ، فأخبر أنى مملوك فأمر لى بشىء من طريق المتاع ورواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن بشر بن المفضل به [وقال الترمذى حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن على بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد] عن محمد بن زيد بن المهاجر عن منقذ عن عمير به .

وقال محمد بن اسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ لهن [من الفىء] : لم يضرب لهن بسهم حدثنى سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبى الصلت عن امرأة من بنى غفار قد سماها لى قالت أتيت رسول الله (ص) فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا يارسول الله قد أردنا أن نخرج معك الى وجهك هذا ــ وهو يسير الى خيبر ــ فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال « على بركة الله » قالت فخرجنا معه ، قالت وكنت جارية حدثة السن فأردفنى رسول الله (ص) على حقيبة رحله ، [قالت فوالله لنزل رسول الله (ص) الى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله ، قالت] واذا بها دم منى وكانت أول حيضة حضتها ، قالت فتقبضت الى الناقة واستحيت . فلما رأى رسول الله (ص) مابى ورأى الدم قال « مالك ؟ لعلك نفست » قالت قلت نعم ، قال « فاصلحى من نفسك ثم خذى إناء من ماء فاطرحى فيه ملحا ثم اغسلى ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك » قالت فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفىء ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها وعلقها بيده فى عنقى فوالله لاتفارقنى أبداً . وكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها ، قالت وكانت لا تطهر من حيضها إلا جعلت فى طهورها ملحا وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت . وهكذا رواه الامام احمد وأبو داود من حديث محمد بن اسحاق به . قال شيخنا أبو الحجاج المزى فى أطرافه ورواه الواقدى عن أبى بكر بن أبى سبرة عن سليمان بن سحيم عن أم على بنت أبى الحكم عن أمية (٢) بنت أبى الصلت عن النبى (ص) به . وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى ثنا رافع بن سلمة

(١) قال السهيلى : أصل الرضخ (بالمعجمة) أن تكسر من الشىء الرطب كسرة فتعطيها وأما الرضح بالحاء المهملة فكسر اليابس (٢) وفى الاصابة : أن اسمها أمة أو أمامة أو أمينة أو أمية وقال فى موضع أميمة بنت قيس بن أبى الصلت .

الأشجعي حدثني حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه قالت : خرجنا مع رسول الله (ص) في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت فبلغ النبي (ص) أن معه نساء ، قالت فأرسل الينا فدعانا . قالت فرأينا في وجهه الغضب فقال « ما أخرجكن و بأمر من خرجتن ؟ » قلنا خرجنا نناول السهام ونسقي السويق ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشعر فنعين به في سبيل الله قال قمن فانصرفن ، قالت فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها ياجدة وما الذي أخرج لكن ؟ قالت تمرا .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا ! والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي وفي كتابي عن أبي عبدالله الحافظ أن عبدالله الأصبهاني أخبره حدثنا الحسين ابن الجهم ثنا الحسين بن الفرج ثنا الواقدي حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير عن أبيه عن جده عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله (ص) الى خيبر ومعي زوجتي وهي حبلى فنفست في الطريق ، فأخبرت رسول الله (ص) ، فقال لي « انقع لها تمراً فاذا انغمر فأمر به لتشربه » ففعلت فما رأت شيئا تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أجدى النساء ولم يسهم لهن ، فأجدى زوجتي و ولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

ذكر قدوم جعفر بن ابي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون

قال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ثنا أبو اسامة ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبي (ص) ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين اليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهم أبو بردة والآخر أبو رهم ، إما قال في بضع و إما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي ، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبي (ص) حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة ، ودخلت أسماء بنت عميس ـ وهي ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبي (ص) زائرة ، وقد كانت هاجرت الى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت أسماء ابنة عميس ، قال عمر الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء نعم ! قال سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله (ص) منكم ، فغضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله (ص) يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار ـ أوفي أرض ـ البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله (ص) ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت للنبي (ص) وأسأله ، و والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي (ص) قالت : يانبي الله إن عمر قال كذا وكذا قالت قال « فما قلت

له ؟ » قالت قلت كذا وكذا ، قال « ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة . ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » قالت فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي (ص) قال أبو بردة قالت أسماء فلقد رأيت أبا موسى وأنه ليستعيد هذا الحديث مني وقال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي (ص) « إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام اذا لقي العدو ـ أو قال الخيل ـ قال لهم إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم » . وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن براد عن أبي أسامة به . ثم قال البخاري قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا حفص بن غياث ثنا بريد بن [عبد الله بن] أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قدمنا على النبي (ص) بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا . تفرد به البخاري دون مسلم ورواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث بريد به . وقد ذكر محمد بن اسحاق أن رسول الله (ص) بعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبي (ص) خيبر . قال وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله (ص) يوم فتح خيبر فقبل رسول الله (ص) بين عينيه والتزمه وقال « ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » . وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح عن الشعبي مرسلا وأسنده البيهقي من طريق حسن بن حسين العرني عن الأجلح عن الشعبي عن جابر قال لما قدم رسول الله (ص) من خيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقاه وقبل جبهته وقال « والله ما أدري بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » ثم قال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا الحسين بن أبي اسماعيل العلوي ثنا احمد بن محمد البيروتي ثنا محمد بن احمد بن أبي طيبة حدثني مكي بن ابراهيم الرعيني ثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله (ص) ، فلما نظر جعفر اليه حجل ـ قال مكي يعني مشى على رجل واحدة ـ إعظاما لرسول الله (ص) ، فقبل رسول الله (ص) بين عينيه . ثم قال البيهقي : في إسناده من لا يعرف الى الثوري .

قال ابن اسحاق وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة الى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلا ، وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم : جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، وامرأته أسماء بنت عميس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامرأته أمينة (١)

(١) كذا في ابن هشام وفي الاصابة : أميمة بنت خلف بن أسعد الخ وقال يقال أمينة وهمينة

بنت خلف بن أسعد ، وولداه سعيد ، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد ابن العاص ، ومعيقيب بن أبي فاطمة وكان الى آل سعيد بن العاص ، قال وأبو موسى الأشعري عبدالله ابن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي ، وجهم بن قيس ابن عبد شرحبيل العبدري ، وقد ماتت امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنا عمرو ، وابنته خزيمة ماتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزهري ، وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وقد هلكت بها امرأته ريطة بنت الحارث رحمها الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان الجمحي ، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ، ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدوي ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدي ، والحارث بن عبد شمس بن لقيط الفهري .

قلت : ولم يذكر ابن اسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري وأخويه أبا بردة وأبا رهم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى ولم يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخاري . وكأن ابن اسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك والله أعلم قال وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد حررهاهنا شيئا كثيراً حسنا . قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان سمعت الزهري وسأله اسماعيل بن أمية قال أخبرني عنبسة بن سعيد أن أبا هريرة أتى رسول الله (ص) وسأله — يعني أن يقسم له — فقال بعض بني سعيد بن العاص لا تعطه ، فقال أبو هريرة هذا قاتل ابن قوقل فقال : وا عجبا لوبر تدلى من قدوم الضأن . تفرد به دون مسلم . قال البخاري ويذكر عن الزبيدي عن الزهري أخبرني عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال : بعث رسول الله (ص) أبانا على سرية من المدينة قبل نجد ، قال أبو هريرة فقدم أبان وأصحابه على النبي (ص) بخيبر بعد ما افتتحها ، وأن حزم خيلهم لليف . قال أبو هريرة فقلت يارسول الله لاتقسم لهم ، فقال أبان وأنت بهذا ياوبر تحدر من رأس ضأل . وقال النبي (ص) « يا أبان اجلس » ولم يقسم لهم ، وقد أسند أبو داود هذا الحديث عن سعيد بن منصور عن اسماعيل بن عياش عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحو ثم قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد أخبرني جدي وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أن أبان بن سعيد أقبل الى النبي (ص) فسلم عليه ، فقال أبو هريرة يارسول الله هذا قاتل ابن قوقل ، فقال أبان لأبي هريرة : وا عجبا لك ياوبر تردى من قدوم ضأل تنعى علي امرءاً أكرمه الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده ؟ هكذا رواه منفرداً به هاهنا وقال في الجهاد بعد

حديث الحميدى عن سفيان عن الزهرى عن عنبسة بن سعيد عن أبى هريرة قال : أتيت رسول الله (ص.) وهو بخيبر بعد ما افتتحها ، فقلت يارسول الله أسهم لى ، فقال بعض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له ، فقلت يارسول الله هـذا قاتل ابن قوقل الحديث . قال سفيان حدثنيه السعيدى ـ يعنى عمرو بن يحيى بن سعيد ـ عن جده عن أبى هريرة بهذا . ففى هذا الحديث التصريح من أبى هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم فى أول هذه الغزوة . رواه الامام احمد من طريق عراك بن مالك عن أبى هريرة وأنه قدم على رسول الله (ص.) بعد ما افتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا فى أسهامهم ، قال الامام احمد حدثنا روح ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمار بن أبى عمار قال : ماشهدت مع رسول الله (ص.) مغنما قط إلا قسم لى ، إلا خيبر فانها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جاآبين الحديبية وخيبر . وقد قال البخارى حدثنا عبد الله ابن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن مالك بن أنس حدثنى ثور حدثنى سالم مولى [عبد الله] بن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الابل والبقر والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله (ص.) الى وادى القرى ومعه عبد له يقال له مدعم أهداه له بعض بنى الضبيب فبينما هو يحط رحل رسول الله (ص.) إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس هنيئا له الشهادة فقال رسول الله (ص.) « كلا والذى نفسى بيده إن الشملة التى أصابها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله (ص.) بشراك أو شراكين فقال : هذا شئ كنت أصبته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شراك أو شراكين من نار » .

قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي ظهر

قال البخارى : رواه عروة عن عائشة عن النبى (ص.). ثم قال حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث حدثنى سعيد عن أبى هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله (ص.) شاة فيها سم هكذا أورده هاهنا مختصراً . وقد قال الامام احمد حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبى (ص.) شاة فيها سم ، فقال رسول الله (ص.) « اجمعوا لى من كان هاهنا من يهود » فجمعوا له فقال النبى (ص.) « إنى سائلكم عن شئ فهل أنتم صادق عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله (ص.) « من أبوكم ؟ » قالوا أبونا فلان ، فقال رسول الله (ص.) « كذبتم بل أبوكم فلان » قالوا صدقت وبررت فقال « هل أنتم صادقى عن شئ اذا سألتكم عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا ، فقال رسول الله (ص.) « من أهل النار ؟ » فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها ، فقال لهم رسول الله (ص.) « والله لا نخلفكم فيها

أيضاً » ثم قال لهم « هل أنتم صادقى عن شىء إذا سألتكم ؟ » فقالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال « هل جعلتم فى هـذه الشاة سما » فقالوا نعم ! قال « ماحملكم على ذلك ؟ » قالوا أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك و إن كنت نبيا لم يضرك . وقـد رواه البخارى فى الجزية عن عبـد الله بن يوسف ، وفى المغازى أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث به . وقال البيهقى أنبأنا أبوعبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم حدثنا سـعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهرى عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبـد الرحمن عن أبى هريرة أن امرأة من يهود أهـدت لرسول الله (ص) شاة مسمومة فقال لأصحابه « أمسكوا فانها مسمومة » وقال لها « ماحملك عـلى ماصنعت ؟ » قالت أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطلعك الله عليـه ، و إن كنت كاذبا أريح الناس منك . قال فما عرض لها رسول الله (ص) . رواه أبوداود عن هارون بن عبـد الله عن سعيد بن سليمان به . ثم روى البيهقى عن طريق عبد الملك بن أبى نضرة عن أبيه عن جابر بن عبـد الله نحو ذلك . وقال الامام احمـد حدثنا شريح ثنا عباد عن هـلال ـ هو ابن خباب ـ عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله (ص) شاة مسمومة، فأرسل اليها فقال « ماحملك على ماصنعت ؟ » قالت أحببت ـ أو أردت ـ إن كنت نبياً فان الله سيطلعك عليـه ، و إن لم تـكن نبياً أريح الناس منك . قال فـكان رسول الله (ص) اذا وجد من ذلك شيئا احتجم ، قال فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئا فاحتجم . تفرد به احمد واسناده حسن . وفى الصحيحين من حديث شعبة عن هشام ابن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله (ص) بشاة مسمومة فأكل منها ، فجئ بها الى رسول الله (ص) فسألها عن ذلك ؟ قالت أردت لأقتلك ، فقال « ما كان الله ليسلطك على » أو قال « على ذلك » قالوا ألا تقتلها قال « لا » قال أنس فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله (ص) . وقال أبو داود حدثنا سليمان بن داود المهرى ثنا ابن وهب أخـبرنى يونس عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبدالله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية [1] ثم أهدتها لرسول الله (ص) ، فأخذ رسول الله صلى الله عليـه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله (ص) « ارفعوا أيديكم » وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المرأة فدعاها فقال لها « أسممت هـذه الشاة ؟ » قالت اليهودية من أخبرك ؟ قال « أخبرتنى هـذه التى فى يدى » وهى الذراع ، قالت [نعم] قال « فما أردت بذلك ؟ » قالت قلت إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن لم تـكن نبيا استرحنا منك . فعفا عنها رسول الله (ص) ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم النبى (ص) على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة

(١) صلى اللحم يصليه صليا شواه فى النار كأصلاه وصلاه . عن القاموس .

وهو مولى لبنى بياضة من الأنصار . ثم قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة أن رسول الله (ص) أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر ، قال فمات بشر ابن البراء بن معرور ، فأرسل الى اليهودية فقال « ماحملك على الذى صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله (ص) فقتلت ولم يذكر أمر الحجامة . قال البيهقى ورويناه من حديث حماد ابن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة . قال ويحتمل أنه لم يقتلها فى الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها . وروى البيهقى من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت الى رسول الله (ص) شاة مصلية بخيبر فقال « ماهذه ؟ » قالت هدية ، وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل ، قال فأكل وأصحابه ثم قال « امسكوا » ثم قال للمرأة « هل سممت ؟ » قالت من أخبرك هذا ؟ قال « هذا العظم » لساقها وهو فى يده ، قالت نعم قال « لم ؟ » قالت أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . قال فاحتجم رسول الله (ص) على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا . ومات بعضهم . قال الزهرى فأسلمت فتركها النبى (ص) . قال البيهقى هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه . وذكر ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة وكذلك موسى بن عقبة عن الزهرى قالوا : لما فتح رسول الله (ص) خيبر وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهى ابنة أخى مرحب لصفية شاة مصلية وسمتها ، وأكثرت فى الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة الى رسول الله (ص) ، فدخل رسول الله (ص) على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو أحد بنى سلمة ، فقدمت اليهم الشاة المصلية فتناول رسول الله (ص) الكتف وانتهش منها ، وتناول بشر عظما فانتهش منه ، فلما استرط رسول الله (ص) لقمته استرط بشر بن البراء مافى فيه ، فقال رسول الله (ص) « ارفعوا أيديكم فان كتف هذه الشاة يخبرنى أنى نعيت (١) فيها » فقال بشر بن البراء والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت فما منعنى أن ألفظها الا أنى أعظمتك أن أبغضك طعامك ، فلما أسغت مافى فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لاتكون استرطتها وفيها بغى فلم يقم بشر من مكانه حتى عادلونه كالطيلسان وماطله وجعه حتى كان لايتحول حتى يحول . قال الزهرى قال جابر واحتجم رسول الله (ص) يومئذ حجمه مولى بنى بياضة بالقرن والشفرة وبقى رسول الله (ص) بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى توفى فيه فقال « مازلت أجد من الأكلة التى أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً حتى كان هذا أوان انقطاع أبهرى » فتوفى رسول الله (ص) شهيداً .

---

(١) نعاه له نعيا ونعيا أخبره بموته والنعى الناعى .

وقال محمد بن اسحاق . فلما اطمأن رسول الله (ص) أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو أحب الى رسول الله (ص) ؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله (ص) ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله (ص) فلفظها ثم قال « إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم » ثم دعا بها فاعترفت ، فقال « ماحملك على ذلك ؟ » قالت بلغت من قومى مالم يخف عليك ، فقلت إن كان كذابا استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبر . قال فتجاوز عنها رسول الله (ص) ، ومات بشر من أكلته التى أكل .

قال ابن اسحاق وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى قال : كان رسول الله (ص) قد قال فى مرضه الذى توفى فيه — ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور — « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر » . قال ابن هشام : الأبهر العرق المعلق بالقلب . قال فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله (ص) مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحرانى قالا ثنا أبو غياث سهل بن حماد ثنا عبد الملك بن أبى نضرة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى أن يهودية أهدت الى رسول الله (ص) شاة سميطا ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمسكوا فان عضوا من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة » فأرسل الى صاحبتها « أسممت طعامك ؟ » قالت نعم قال « ماحملك على ذلك ؟ » قالت إن كنت كذابا أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقا علمت أن الله سيطلعك عليه . فبسط يده وقال « كلوا بسم الله » قال فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر أحداً منا . ثم قال لا يروى عن عبد الملك بن أبى نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة والله أعلم . وذكر الواقدى أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى فى منامه رؤيا ورسول الله (ص) محاصر خيبر فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله (ص) فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله (ص) خيبر وجده قد افتتحها ، فقال : يامحمد اعطنى ماغنمت من حلفائى — يعنى أهل خيبر — فقال له رسول الله (ص) « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة فلقيه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع فى غير شئ ، والله ليظهرن محمد على مابين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبى الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بنى هارون ، إنه لمرسل ، ويهود لا تطاوعنى على هذا . ولنا

منه ذبحان ؛ واحد بيثرب وآخر بخيبر . قال الحارث : قلت لسلام بملك الأرض ؟ قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه .

فصل

قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله (ص.) من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهلها ليال ثم انصرف راجعا الى المدينة . ثم ذكر من قصة مدعم وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس هنيئا له الشهادة فقال رسول الله (ص.) « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » . وقد تقدم في صحيح البخاري نحو ماذكره ابن اسحاق والله أعلم . وسيأتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى . قال الامام احمد : حدثنا يحيي بن سعيد عن محمد بن يحيي بن حبان عن أبي عمرة عن زيد بن خالد الجهني أن رجلا من أشجع من أصحاب رسول الله (ص.) توفي يوم خيبر ، فذكر ذلك للنبي (ص.) فقال « صلوا على صاحبكم » فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال « إن صاحبكم غل في سبيل الله » ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود مايساوي درهمين وهكذا رواه أبوداود والنسائي من حديث يحيي بن سعيد القطان . ورواه أبوداود بشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثتهم عن يحيي بن سعيد الأنصاري به وقد ذكر البيهقي أن بني فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله (ص.) مرجعه من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث اليهم يواعدهم موضعاً معيناً فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب ؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب وتقدم أن رسول الله (ص.) لما حلت صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سد الصهباء في أثناء طريقه الى المدينة ؛ وأولم عليها بحيس ، وأقام ثلاثة أيام يبني عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مد عليها الحجاب وهو مردفها وراءه رضي الله عنها . وذكر محمد بن اسحاق في السيرة قال : لما أعرس رسول الله (ص.) بصفية بخيبر ـ أو ببعض الطريق ـ وكانت التي جملتها الى رسول الله (ص.) ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله (ص.) في قبة له وبات أبو أيوب متوشحاً بسيفه يحرس رسول الله (ص.) ويطيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله (ص.) مكانه قال « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك ، فزعموا أن رسول الله (ص.) قال « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » . ثم قال حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر وأن رسول الله (ص.) كان أولهم استيقاظا فقال « ماذا صنعت بنا يابلال ؟ » قال

يارسول الله أخـذ بنفسى الذى أخـذ بنفسك ، قال « صدقت » ثم اقتاد ناقته غـير كثير ثم نزل فتوضأ وصـلى كما كان يصليها قبـل ذلك . وهكذا رواه مالك عن الزهرى عن سعيد مرسلا وهذا مرسل من هذا الوجه . وقد قال أبو داود حدثنا احمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) حـين قفل من غزوة خيبر، فسار ليلة حتى اذا أدركنا الـكرى عرس وقال لبلال « اكلأ لنا الليـل » قال فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ النبى (ص) ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله (ص) أولهم استيقاظا ففزع رسول الله (ص) وقال « يابلال » قال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك بأبى أنت وأمى يارسول الله ، قال فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضأ رسول الله (ص) فأمر بلالا فأقام الصلاة وصلى لهم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال « من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى يقول « وأقم الصلاة لذكرى » قال يونس وكان ابن شهاب يقرأها كذلك . وهكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى عن عبد الله بن وهب به وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر . وفى حديث شعبة عن جامع بن شداد عن عبـد الرحمن بن أبى علقمة عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففى رواية عنه أن بلالا هو الذى كان يكلؤهم ، وفى رواية عنه أنه هو الذى كان يكلؤهم . قال الحافظ البيهقى : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال وفى حديث عمران بن حصين وأبى قتادة نومهم عن الصـلاة وفيه حديث الميضاة فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة . قال وذكر الواقدى فى حـديث أبى قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال وروى زافر بن سليمان عن شعبة عن جامع بن شـداد عن عبـد الرحمن عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك فالله أعلم . ثم أورد البيهقى مارواه صاحب الصحيح من قصة عوف الاعرابى عن أبى رجاء عن عمران بن حصين فى قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السطيحتين وكيف أخذوا منهما ماء روى الجيش بكماله ولم ينقص ذلك منهما شيئا . ثم ذكر مارواه مسلم من حديث ثابت البنانى عن عبد الله بن رباح عن أبى قتادة وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصـلاة وتـكثير الماء من تلك الميضاة . وقـد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . وقال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا عبد الواحد عن عاصم عن أبى عثمان عن أبى موسى الأشعرى قال : لما غزا رسول الله (ص) خيبراً ، وقال لما توجه رسول الله (ص) الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا الله ، فقال رسول الله (ص) « أربعوا عـلى أنفسكم إنـكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنـكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » وأنا خلف دابة رسول الله (ص) فسمعنى وأنا أقول لاحول ولا قوة إلا بالله ، فقال « ياعبد الله بن قيس » قلت لبيك يارسول الله قال « ألا ادلك عـلى كلمة من كنز

الجنة » قلت بلى يارسول الله فداك ابى وأمى قال «لاحول ولا قوة إلا بالله » . وقد رواه بقية الجماعة من طرق عن عبد الرحمن بن مل أبى عثمان النهدى عن أبى موسى الأشعرى ، والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر فان أبا موسى إنما قدم بعد فتح خيبر كما تقدم .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) ـ فيما بلغنى ـ قد أعطى ابن لقيم العبسى حين افتتح خيبر مابها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر فى صفر ، فقال ابن لقيم فى فتح خيبر .

رُميتْ نطاةُ من الرسول بفيلقٍ شهباء ذاتِ مناكب وفقار (١)
واستيقنتْ بالذلّ لمّا شيعت ورجالُ أسلمَ وسْطَها وغفار
صَبَحَتْ بنى عمرو بنِ زرعةَ غدوةً والشقُّ أظلمَ أهلُه بنهار
جرّت بأبطحها الذيولَ فلم تدعْ إلا الدجاجَ تصيحُ بالأسحار
ولكلّ حصنٍ شاغلٍ من خيلهم من عبدِ الأشهل أو بنى النجّار
ومهاجرينَ قد اعلموا سيماهُمُ فوقَ المغافرِ لم ينوا لفرار
ولقد علمتَ ليغلبنَّ محمدٌ وليثوينَّ بها الى أصفار
فرّتْ يهودٌ عندَ ذلك فى الوغى تحتَ العَجاجِ غمائمَ الأبصار

فصل

من استشهد بخيبر من الصحابة

على ماذكره ابن اسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازى .

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكثم بن سخبرة الأسدى مولى بنى أمية ، وثقيف بن عمرو ورفاعة بن مسروح حلفاء بنى أمية ، وعبد الله بن الهبيب بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بنى سعد ابن ليث حليف بنى أسد وابن أختهم ، ومن الأنصار بشر بن البراء بن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله (ص) كما تقدم ، وفضيل بن النعمان السلميّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق الزّرقى ، ومحمود بن مسلمة الأشهلى ، وأبو ضياح حارثة بن ثابت بن النعمان العمرى ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقة ، وأوس القائد (٢) وأنيف بن حبيب ، وثابت

---

(١) سماه فى الاصابة لقيم الدجاج وأورد له هذا البيت الأول هكذا :

رميت مطاه من الرسول بفتون شهباء ذات مذاكر وحفار

ونطاة حصن بخيبر وقيل عين ماء بقرية منها وقيل هو اسم لأرض خيبر وقد تقدم ذكره .

(٢) قال فى الاصابة : أوس بن فائد وقيل ابن فاتك وقيل ابن الفاتك وفى الأصل الفارض .

ابن أثلة وطلحة ،وعمارة بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكوع ثم سلمة بن عمرو بن الأكوع أصابه طرف سيفه فى ركبته فقتله رحمه الله كما تقدم ، والأسود الراعى . وقد أفرد ابن اسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها فى أوائل الغزوة ولله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : وممن استشهد بخيبر فيما ذكره ابن شهاب من بنى زهرة مسعود بن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بنى عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضى الله عنهم أجمعين .

خبر الحجاج بن علاط البهزي

قال ابن اسحاق : ولما فتحت خيبر كلم رسول الله (ص) الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى فقال : يارسول الله إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة ـ وكانت عنده له منها معوض بن الحجاج ـ ومالا متفرقا فى تجار أهل مكة ، فأذن لى يارسول الله فأذن له ، فقال إنه لابد لى يارسول من أن أقول ، قال قل ، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الأخبار و يسألون عن أمر رسول الله (ص) وقد بلغهم أنه قد سار الى خيبر وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفا ومنعة و رجالا ، وهم يتحسسون الأخبار من الركبان ، فلما رأونى قالوا الحجاج بن علاط ـ قال ولم يكونوا علموا باسلامى ـ عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمد فانه قد بلغنا أن القاطع قد سار الى خيبر وهى بلد يهود و ريف الحجاز ؟ قال قلت قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر مايسركم ، قال فالتبطوا بجنبى ناقتى يقولون إيه ياحجاج ؟ قال قلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقد قتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد أسراً وقالوا لانقتله حتى نبعث به الي مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة] وقالوا . قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم ، قال قلت أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى ماهنالك قال فقاموا فجمعوا لى ما كان لى كأحث جمع سمعت به ، قال وجئت صاحبتى فقلت مالى وكان عندها مال موضوع فلعلى ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال فلما سمع العباس ابن عبد المطلب الخبر وماجاءه عنى أقبل حتى وقف الى جنبى وأنا فى خيمة من خيم التجار ، فقال يا حجاج ماهذا الذى جئت به ؟ قال قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال نعم ! قال قلت فاستأخر حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف حتى أفرغ ، قال حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لى بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ على حديثى يا أبا الفضل فانى أخشى الطلب ثلاثا ثم قل ماشئت قال افعل قلت فانى والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم ـ يعنى صفية بنت حيى ـ وقد افتتح خيبر وانتثل مافيها وصارت له ولأصحابه، قال ماتقول

ياحجاج ؟ ! قال قلت أى والله فا كتم عنى ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقا عليه من أن أغلب عليه ، فاذا مضت ثلاث فاظهر أمرك فهو والله على ماتحب ، قال حتى اذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال كلا والله الذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر ونزل عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم ومافيها وأصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر ؟ قال الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ، فقالوا ياللعباد لله انفلت عدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك . هكذا ذكر ابن اسحاق هذه القصة منقطعة ، وقد أسند ذلك الامام احمد بن حنبل فقال حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر سمعت ثابتا يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله (ص) خيبر قال الحجاج بن علاط يارسول الله إن لى بمكة مالا وإن لى بها أهلا وإنى أريد أن آتيهم أفأنا فى حل إن انا نلت منك أو قلت شيئا ؟ فأذن له رسول الله (ص) أن يقول ماشاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعى لى ما كان عندك فانى أريد أن أشترى من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم . قال وفشى ذلك بمكة فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحا وسرورا ، قال وبلغ الخبر العباس فعقر وجعل لايستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرنى عثمان الخزرجى عن مقسم قال : فأخذ ابنا يقال له قثم واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول .

حبي قثم شبهُ ذى الأنف الأشم بني ذي النعم برغم من زعم

قال ثابت عن أنس . ثم أرسل غلاماً له الى حجاج بن علاط فقال ويلك ماجئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خير مماجئت به ، فقال حجاج بن علاط : اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له فليخل لى فى بعض بيوته لآتيه فان الخبر على مايسره ، فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال أبشر يا أبا الفضل ، قال فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فأخبره ماقال حجاج فأعتقه ، قال ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله (ص) قد افتتح خيبر وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله فى أموالهم ، واصطفى رسول الله (ص) صفية بنت حيي واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يعتقها وتكون زوجه أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته ، قال ولكنى جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فاذهب به فاستأذنت رسول الله (ص) فأذن لى أن أقول ماشئت ، فاخف على ثلاثا ثم اذكر مابدا لك . قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى أو متاع فجمعته ودفعته اليه ثم انشمر به ، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال مافعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت لايحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذى بلغك ، قال أجل لايحزننى الله ولم

يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خيبر على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله (ص) صفية لنفسه ، فان كانت لك حاجة فى زوجك فالحقى به . قالت : أظنك والله صادقا ؟ قال فانى صادق والأمر على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل ، قال لم يصبنى إلا خير بحمد الله ، أخبرنى الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألنى أن أخفى عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شئ هاهنا ثم يذهب ، قال فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر ، فسر المسلمون ورد ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين . وهذا الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائى عن اسحاق بن ابراهيم عن عبد الرزاق به نحوه . ورواه الحافظ البيهقى من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان عن زيد بن المبارك عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه . وكذلك ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول يظهر محمد وأصحابه ، ومنهم من يقول يظهر الحليفان ويهود خيبر ، وكان الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى قد أسلم وشهد مع رسول الله (ص) فتح خيبر ، وكان تحته أم شيبة أخت عبد الدار بن قصى ، وكان الحجاج مكثرا من المال ، وكانت له معادن أرض بنى سليم ، فلما ظهر رسول الله (ص) على خيبر استأذن الحجاج رسول الله (ص) فى الذهاب الى مكة يجمع أمواله فأذن له نحو ما تقدم والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ومما قيل من الشعر فى غزوة خيبر قول حسان :

بئسَ ما قاتلتْ خيابرُ عمّا ... جمعوا من مزارع ونخيل
كرهوا الموتَ فاستبيحَ حماهم ... وأقرّوا فعل الذميم الذليل
أمن الموت يهربون فانّ المو ... ت موتُ الهزال غير جميل

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى :

ونحن وردْنا خيبراً وفروضَه ... بكلّ فتى عاري الأشاجعِ مِزودِ
جوادٍ لدى الغايات لا واهنَ القوى ... جرئٍ على الأعداءِ فى كل مشهد
عظيمِ رمادِ القدر فى كل شتوة ... ضروب بنصل المشرفيّ المهنّد
يرى القتلَ مدحاً إن أصابَ شهادة ... من الله يرجوها وفوزاً بأحمد
يذود ويحمي عن ذمار محمد ... ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره من كل أمرٍ يريبه ... يجود بنفس دون نفس محمد

يصدّق بالأنباء بالغيب مخلصاً يريدُ بذاك العزَّ والفوزَ فى غــد

فَصْلٌ

مروره (ص) بوادي القرى ومحاصرة اليهود ومصالحتهم

قال الواقدى . حدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة [قال خرجنا مع رسول الله (ص) من خيبر الى وادى القرى وكان رفاعة بن] زيد بن وهب الجذامى قد وهب لرسول الله (ص) عبداً أسود يقال له مدعم وكان يرحل لرسول الله (ص)، فلما نزلنا بوادى القرى انتهينا الى يهود وقدم اليها ناس من العرب ، فبينا مدعم يحط رحل رسول الله (ص) وقد استقبلتنا يهود بالرمى حين نزلنا ولم نكن على تعبية . وهم يصيحون فى آطامهم فيقبل سهم عائر فأصاب مدعما فقتله ، فقال الناس هنيئا له بالجنة . فقال النبى (ص) « كلا والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فلما سمع بذلك الناس جاء رجل الى رسول الله (ص) بشراك أو شراكين . فقال النبى (ص) « شراك من نار أو شراكان من نار » . وهذا الحديث فى الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبى الغيث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه

قال الواقدى . فعبى رسول الله أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة . وراية الى الحباب بن المنذر ، وراية الى سهل بن حنيف ، وراية الى عباد بن بشر ، ثم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله ، قال فبرز رجل منهم فبرز اليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز اليه علىّ فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا كل ماقتل منهم رجلا دعى من بقى منهم الى الاسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلى بأصحابه ثم يعود فيدعوهم الى الاسلام والى الله عزوجل ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسى وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيراً وأقام رسول الله (ص) بوادى القرى أربعة أيام فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل فى أيدى اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ماوطئ به رسول الله (ص) خيبر وفدك ووادى القرى صالحوا رسول الله (ص) على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادى القرى لأنهما داخلتان فى أرض الشام ، ويرى أن مادون وادى القرى الى المدينة حجاز ، ومن وراء ذلك من الشام ، قال ثم انصرف رسول الله (ص) راجعاً الى

المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادى القرى وغنمه الله عز وجل .

قال الواقدى : حدثنى يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة عن الحارث ابن عبد الله بن كعب عن أم عمارة قالت سمعت رسول الله (ص) بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت فذهب رجل من الحى فطرق أهله فوجد ما يكره ، فخلى سبيلها ولم يهجر وضن بزوجته أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله (ص) فرأى ما يكره .

فصل

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله (ص) لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع . وقد ورد فى بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالها ، وفى بعضها وقال لهم النبى (ص) « نقركم ما شئنا » . وفى السنن أنه كان يبعث عليهم عبدالله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمنهم إياه ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب الاحكام إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن اسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله (ص) يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرنى أن رسول الله (ص) افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله (ص) فقال : « إن شئتم دفعت اليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم فأقركم ما أقركم الله » فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله (ص) يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم فى الخرص ، فلما توفى الله نبيه (ص) أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله (ص) حتى توفى ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله (ص) قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت ، فأرسل الى يهود فقال : إن الله أذن لى فى إجلائكم . وقد بلغنى أن رسول الله (ص) قال « لا يجتمعن فى جزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهد من رسول الله (ص) فليأتنى به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء ، فاجلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله (ص) .

قلت : قد ادعى يهود خيبر فى أزمان متأخرة بعد الثلثمائة أن بأيديهم كتابا من رسول الله (ص) فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اغتر بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال باسقاط الجزية عنهم ، من شافعية الشيخ أبو على بن خيرون وهو كتاب مزور مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة فى كتاب مفرد ، وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب فى كتبهم كان

الصباغ فى مسائله ، والشيخ أبى حامد فى تعليقته ، وصنف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد تحركوا به بعد السبعمائة وأظهروا كتابا فيه نسخة ماذكره الأصحاب فى كتبهم ، وقد وقفت عليه فاذا هو مكذوب ، فان فيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان مات قبل زمن خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبى سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفى آخره وكتبه على بن أبوطالب وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فانها إنما شرعت أول ماشرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا فى حدود سنة تسع والله أعلم .

ثم قال ابن اسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير ابن العوام والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال فعدى على تحت الليل وأنا نائم على فراشى ففدعت [1] يداى من مرفقى ، فلما استصرخت على صاحباى فأتيانى فسألانى من صنع هذا بك ؟ فقلت لا أدرى فأصلحا من يدى ثم قدما بى على عمر ، فقال هذا عمل يهود خيبر . ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله (ص) كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصارى قبله لانشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به فانى مخرج يهود فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذى بخيبر وقد كان وقفه فى سبيل الله وشرط فى الوقف ما أشار به رسول الله (ص) كما هو ثابت فى الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته و بنيه .

قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : جماع أبواب السرايا التى تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية و إن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازى .

سرية أبي بكر الصديق الى بني فزارة

قال الامام احمد : حدثنا بهز ثنا عكرمة بن عمار ثنا أياس بن سلمة حدثنى أبى قال : خرجنا مع أبى بكر [ابن] أبى قحافة وأمره رسول الله (ص) علينا فغزونا بنى فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا على الماء من مر قبلنا ، قال سلمة ثم نظرت الى عنق من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو فى آثارهم فخشيت أن يسبقونى الى الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم و بين الجبل ، قال فجئت بهم أسوقهم الى أبى بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، قال فنفلنى أبو بكر بنتها ،

(١) الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم الى انسيها .

قال فما كشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أ كشف لها ثوبا ، قال فلقيني رسول الله (ص.) في السوق فقال لي « ياسلمة هب لي المرأة » قال فقلت والله يارسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا ، قال فسكت رسول الله (ص.) وتركني حتى اذا كان من الغد لقيني رسول الله (ص.) في السوق فقال « ياسلمة هب لي المرأة » قال فقلت يارسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا ، قال فسكت رسول الله (ص.) وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله (ص) في السوق فقال « ياسلمة هب لي المرأة لله أبوك » قال قلت يارسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يارسول الله ، قال بعث بها رسول الله (ص.) الى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله (ص.) بتلك المرأة . وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به .

سرية عمر بن الخطاب الى تربة وراء مكة بأربعة اميال

ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله (ص.) بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين راكبا ومعه دليل من بني هلال وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار ، فلما انتهوا الى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعاً الى المدينة ، فقيل له هل لك في قتال خثعم ؟ فقال إن رسول الله (ص.) لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

سرية عبد الله بن رواحة الى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق ابراهيم بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهري أن رسول الله(ص.) بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً فيهم عبد الله بن رواحة الى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بخيبر ، و بلغ رسول الله (ص) أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم ، فأتوه فقالوا أرسلنا اليك رسول الله (ص.) ليستعملك على خيبر فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة نيار وهي من خيبر على ستة أميال ندم يسير ابن رزام فأهوى بيده الى سيف عبد الله بن رواحة ، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى استمكن من يسير ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يسير و في يده مخراش من شوحط فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجة مأمومة . وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شداً ولم يصب من المسلمين أحد ، و بصق رسول الله (ص.) في شجة عبد الله بن رواحة فلم تقيح ولم تؤذه حتى مات .

سرية اخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدي باسناده أن رسول الله (ص.) بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً .

الى بنى مرة من أرض فدك فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيما ، وقاتل قتالا شديداً ، ثم لجأ الى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كر راجعاً الى المدينة .

قال الواقدى : ثم بعث اليهم رسول الله (ص) غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدرى ، وكعب بن عجرة ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بنى مرة وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط فى يده وندم على ما فعل وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ من بنى سلمة عن رجال من قومه أن رسول الله (ص) بعث غالب بن عبد الله الكلبى الى أرض بنى مرة فأصاب مرداس بن نهيك [حليفا لهم من الحرقة فقتله أسامة . قال ابن اسحاق : فحدثنى محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعنى مرداس بن نهيك -] فلما شهرنا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم ننزع عنه حتى قتلناه . فلما قدمنا على رسول الله (ص) أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله » فقلت يارسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل ، قال « فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » فوالذى بعثه بالحق ما زال يرددها على حتى تمنيت أن ما مضى من اسلامى لم يكن ، وأنى أسلمت يومئذ ولم أقتله . فقلت إنى أعطى الله عهداً أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبداً ، فقال : « بعدى يا أسامة » فقلت بعدك . قال الامام احمد . حدثنا هشيم بن بشير أنبأنا حصين عن أبى ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يحدث قال بعثنا رسول الله (ص) الى الحرقة من جهينة ، قال فصبحناهم وكان منهم رجل اذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، واذا أدبروا كان حاميتهم ، قال فغشيته أنا ورجل من الأنصار ، فلما تغشيناه قال لا إله إلا الله فكف عنه الأنصارى وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قال قلت يارسول الله إنما كان متعوذاً من القتل ، قال فكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ . وأخرجه البخارى ومسلم من حديث هشيم به نحوه .

وقال ابن اسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهنى عن جندب بن مكيث الجهنى قال : بعث رسول الله (ص) غالب بن عبد الله الكلبى كلب ليث الى بنى الملوح بالكديد وأمره أن يغير عليهم وكنت فى سريته ، فمضينا حتى اذا كنا بالقديد[1] لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثى فأخذناه فقال : إنى إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضيرك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك ، قال فأوثقه رباطا وخلف عليه رويجلا أسود كان معنا وقال : أمكث معه حتى نمر عليك فان نازعك فاحتز رأسه . ومضينا حتى

(١) مكان قريب من مكة

أتينا بطن الكديد فنزلنا عشية بعد العصر ، فبعثني أصحابي اليه فعمدت الى تل يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحا على التل فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التل مارأيته في أول النهار فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك ؟ فنظرت فقالت والله ما أفقد منها شيئا ، قال فناوليني قوسي وسهمين من نبلي فناولته فرماني بسهم في جنبي أو قال في جبيني فنزعته فوضعته ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعته فوضعته ولم أتحرك ، فقال لامرأته أما والله لقد خالطه سهماي ولو كان ريبة لتحرك ، فاذا أصبحت فابتغي سهمي فخذيهما لاتمضغهما على الكلاب ، قال فأمهلنا حتى اذا راحت روايحهم وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل ، شننا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به وخرج صريخ القوم الى قومهم بقربنا ، قال وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وأتانا صريخ الناس فجاءنا مالا قبل لنا به ، حتى اذا لم يكن بيننا و بينهم الا بطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء ماء مارأينا قبل ذلك مطراً ولا حالا ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفا ينظرون الينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجدبها أو نحدوها — شك النفيلي — فذهبنا سراعا حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حدرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا . وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن اسحاق في روايته عبد الله بن غالب ، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم . وذكر الواقدي هذه القصة باسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلا . ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير ابن سعد أيضا الى ناحية خيبر فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نعما كثيراً ، وكان بعثه في هذه السرية باشارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حسيل بن نويرة وهو الذي كان دليل النبي (ص) الى خيبر قاله الواقدي .

سرية بني حدرد الى الغابة

قال يونس عن محمد بن اسحاق : كان من حديث قصة أبي حدرد وغزوته الى الغابة ماحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حدرد قال : تزوجت امرأة من قومي فأصدقتها مائتي درهم ، قال فأتيت رسول الله (ص) أستعينه على نكاحي فقال « كم أصدقت ؟ » فقلت مائتي درهم ، فقال « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد مازدتم ، والله ماعندي ما أعينك به » فلبثت أياما ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس — أو قيس بن رفاعة — في بطن عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيسا على محاربة رسول الله (ص) ، وكان ذا اسم وشرف في جشم ، قال فدعاني رسول الله (ص) ورجلين من المسلمين فقال « اخرجوا الى هذا الرجل

حتى تأتوا منه بخبر وعلم » وقدم لنا شارفا عجفاء فحمل عليه أحدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال « تبلغوا على هذه » فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من الحاضر مع غروب الشمس فكمنت فى ناحية وأمرت صاحبى فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبرت وشددت فى العسكر فكبرا وشدا معى ، فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئا وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح فى ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله فى عنقه فقال : والله لأتبعن أثر راعينا ولقد أصابه شر ، فقال نفر ممن معه والله لا تذهب نحن نكفيك ، فقال لا إلا أنا ، قالوا نحن معك . قال والله لا يتبعنى منكم أحد ، وخرج حتى مر بى فلما أمكننى نفحته بسهم فوضعته فى فؤاده ، فوالله ما تكلم فوثبت اليه فاحتززت رأسه ثم شددت ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباى وكبرا ، فوالله ما كان إلا النجا ممن كان فيه عندك [(١)] بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم ؛ واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها الى رسول الله (ص) ، وجئت برأسه أحمله معى ، فأعطانى من تلك الابل ثلاثة عشر بعيراً فى صداقى فجمعت إلى أهلى .

السرية التي قتل فيها محلم بن جثامة عامر بن الاضبط

قال ابن اسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن عبد الله بن أبى حدرد عن أبيه قال : بعثنا رسول الله (ص) الى أضم فى نفر من المسلمين منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن ربعى ومحلم ابن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن أضم مر بنا عامر بن الأضبط الاشجعى على قعود له معه متيع له و وطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشئ كان بينه و بينه وأخذ بعيره ومتيعه ، فلما قدمنا على رسول الله (ص) أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن [يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً] هكذا رواه الامام احمد عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد عن أبيه فذكره .

قال ابن اسحاق : حدثنى محمد بن جعفر سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضمرى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه وعن جده قالا – وكانا شهدا حنينا – قالا : فصلى رسول الله (ص) صلاة الظهر فقام الى ظل شجرة فقعد فيه فقام اليه عيينة بن بدر فطلب بدم عامر بن الأضبط الاشجعى وهو سيد

(١) كذا فى الأصول والذى فى ابن هشام : فوالله ما كان الا النجاء ممن فيه عندك عندك الخ .

عامر هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً وخمسين اذا رجعنا الى المدينة ؟ » فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي ، فقال رجل من بني ليث يقال له ابن مكيتل وهو قصير من الرجال فقال : يارسول الله ما أجد لهذا القتيل شبها في غرة الاسلام إلا كغنم وردت فشر بت [1] اولاها فنفرت أخراها استن اليوم وغير غدا ، فقال رسول الله (ص) « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيرا الآن وخمسين اذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محلم بن جثامة إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله (ص) قال فجاء رجل طوال ضرب اللحم في حلة قد تهيأ فيها للقتل فقام بين يدى النبي (ص) فقال النبي (ص) « اللهم لا تغفر لحلم » قالها ثلاثا ، فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن اسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك . وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد ابن سلمة عن ابن اسحاق ، وروراه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الاحمر عن ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه فذكر بعضه ، والصواب كما رواه ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة [2] عن أبيه وعن جده وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وعن عبد الرحمن بن الحارث عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن اسحاق : حدثني سالم أبو النضر أنه قال لم يقبلوا الدية حتى قام الاقرع بن حابس فخلا بهم وقال يامعشر قيس سألكم رسول الله (ص) قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله (ص) فيغضب الله لغضبه ويلعنكم رسول الله (ص) فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لتسلمنه إلى رسول الله (ص) أو لآتين بخمسين من بني تميم كلهم يشهدون أن القتيل كافر ماصلى قط فلايطلن دمه ، فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية . وهذا منقطع معضل وقد روى ابن اسحاق عمن لا يتهم عن الحسن البصري أن محلما لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له « أمنته ثم قتلته ؟ » ثم دعا عليه ، قال الحسن فوالله ما مكث محلم الا سبعاً حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله (ص) فقال ان الأرض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم مابينكم لما أراكم منه »

وقال ابن جرير ثنا وكيع ثنا جرير عن ابن اسحاق عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله (ص) محلم بن جثامة مبعثاً فلقيهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الاسلام ـ وكانت بينهم هنة في الجاهلية ـ فرماه محلم بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله (ص) فتكلم فيه عيينة والاقرع فقال الاقرع : يارسول

(١) في ابن هشام : فرميت (٢) كذا في الاصل والخلاصة وفي ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

الله من اليوم وغير غدا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائى فجاء محلم فى بردين فجلس بين يدى رسول الله (ص) ليستغفر له فقال رسول الله (ص) « لا غفر الله لك » فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت له سابعة حتى مات فدفنوه فلفظته الأرض فجاءوا النبى (ص) فذكروا ذلك له فقال « إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » ثم طرحوه فى جبل فالقوا عليه من الحجارة ونزلت [يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا] الآية وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهرى ورواه شعيب عن الزهرى عن عبد الله ابن وهب عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة إلا انه لم يسم محلم بن جثامة ولا عامر بن الاضبط وكذلك رواه البيهقى عن الحسن البصرى بنحو هذه القصة وقال وفيه نزل قوله تعالى [يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا] الآية .

قلت . وقد تكلمنا فى سبب نزول هذه الآية ومعناها فى التفسير بما فيه الكفاية ولله الحمد والمنة .

سرية عبد الله بن حذافة السهمي

ثبت فى الصحيحين من طريق الاعمش عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن على بن أبى طالب قال : استعمل النبى (ص) رجلا من الانصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال فاغضبوه فى شئ فقال اجمعوا لى حطباً فجمعوا فقال أوقدوا ناراً فاوقدوا ثم قال ألم يأمركم رسول الله (ص) أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟ قالوا بلى قال فادخلوها قال فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا إنما فررنا إلى رسول الله (ص) من النار ، قال فسكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبى (ص) ذكروا ذلك له فقال « لودخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة فى المعروف » وهذه القصة ثابتة أيضاً فى الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد تكلمنا على هذه بما فيه كفاية فى التفسير ولله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرة القضاء

ويقال القصاص ورجحه السهيلى ويقال عمرة القضية فالاولى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية والثانى من قوله تعالى (والحرمات قصاص) والثالث من المقاضاة التى كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ثم يأتى فى العام القابل ولا يدخل مكة الا فى جلبان (١) السلاح وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام وهذه العمرة هى المذكورة فى قوله تعالى فى سورة الفتح المباركة [لقد صدق الله رسوله

(١) الجلبان بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الادم يوضع فيه السيف وقيل القوس والسيف ونحوه .

الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون] الآية .
وقد تكلمنا عليها مستقصى فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية وهى الموعود بها فى قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له ألم تكن تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال « بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال لا قال « فانك آتيه ومطوف به » وهى المشار اليها فى قول عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدى رسول الله (ص) الى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله اليومَ نَضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله

أى هذا تأويل الرؤيا التى كان رآها رسول الله (ص) جاءت مثل فلق الصبح .

قال ابن اسحاق . فلما رجع رسول الله (ص) من خيبر الى المدينة أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالا يبعث فيما بين ذلك سراياه ثم خرج من ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التى صدوه عنها . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الديلى ويقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله (ص) فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست فاقتص رسول الله (ص) منهم فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع ، بلغنا عن ابن عباس أنه قال فأنزل الله تعالى فى ذلك [والحرمات قصاص] وقال معتمر بن سليمان عن أبيه فى مغازيه لما رجع رسول الله (ص) من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذى القعدة فنادى فى الناس أن تجهزوا للعمرة فتجهزوا وخرجوا الى مكة .

وقال ابن اسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك وهى سنة سبع فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمداً فى عسرة وجهد وشدة . قال ابن اسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن عباس قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه فلما دخل رسول الله (ص) المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال « رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة اطواف ومشى سائرها فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله (ص) إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها . وقال البخارى ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد ـ هو ابن زيد ـ عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم رسول الله (ص) وأصحابه فقال المشركون إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حمى يثرب فأمرهم النبى (ص)

أن يرملوا الا شواط الثلاث وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الابقاء عليهم . قال أبو عبد الله ورواه أبو سلمة ـ يعني حماد بن سلمة ـ عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس قال : لما قدم النبي (ص) لعامهم الذي استأمن قال « ارملوا ليرى [المشركون قوتكم » و] المشركين من قبل قعيقعان . ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد وأسند البيهقي طريق حماد بن سلمة . وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا اسماعيل بن أبي خالد سمع بن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله (ص) سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله (ص) » وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله (ص) حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خلّوا بني الكفّار عن سبيله ... خلّوا فكلُّ الخيرِ في رسوله
يارِبّ إني مؤمنٌ بقيله ... أعرِفُ حقّ الله في قبوله
نحنُ قتلناكم على تأويله ... كما قتلناكم على تنزيله
ضَرْباً يزيلُ الهامَ عن مقيلِهِ ... ويُذهِلُ الخليلَ عن خليله

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله الى آخر الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم ـ يعني يوم صفين ـ قاله السهيلي قال ابن هشام والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين والمشركون لم يقروا بالتنزيل وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، وفيما قاله ابن هشام نظر فان الحافظ البيهقي روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس قال : لما دخل النبي (ص) مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه وفي رواية وهو آخذ بغرزه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ... قد نزَّلَ الرحمنُ في تنزيله
بأن خيرَ القتل في سبيله ... نحنُ قتلناكم على تأويله

وفي رواية بهذا الاسناد بعينه :

خلوا بني الكفّار عن سبيله ... اليومَ نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهامَ عن مَقيله ... ويذهل الخليلَ عن خليله

يارب إني مؤمنٌ بقيله

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ان رسول الله (ص) دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بمحجنه . قال ابن هشام من غير علة ، والمسلمون

يشتدون حوله وعبد الله بن رواحة يقول :

بسمِ الذي لادينَ إلادينه ... بسم الذي محمدٌ رسوله

خلوا بنى الكفار عن سبيله

قال موسى بن عقبة عن الزهرى : ثم خرج رسول الله (ص) من العام القابل من عام الحديبية معتمراً فى ذى القعدة سنة سبع وهو الشهر الذى صده المشركون عن المسجد الحرام حتى إذا بلغ يأجج وضع الاداة كلها الحجف والمجان والرماح والنبل ودخلوا بسلاح الراكب السيوف و بعث رسول الله (ص) بين يديه جعفر بن أبى طالب الى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحارث فزوجها العباس رسول الله (ص) فلما قدم رسول الله (ص) أمر أصحابه قال « اكشفوا عن المناكب واسعوا فى الطواف » ليرى المشركون جلدهم وقوتهم وكان يكايدهم بكل ما استطاع فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله (ص) وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدى رسول الله (ص) متوشحا بالسيف وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله ... أنا الشَّهيدُ أنه رسوله
قد أنزلَ الرحمنُ فى تنزيله ... فى صُحُفٍ تُتلى على رسوله
فاليوم نضربُكم على تأويله ... كما ضربْنا كم على تنزيله
ضرباً يزيلُ الهامَ عن مَقيله ... ويُذهِلُ الخليلَ عن خليله

قال : وتغيب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله (ص) غيظاً وحنقاً ، ونفاسة وحسداً . وخرجوا الى الخندمة فقام رسول الله (ص) بمكة وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى و رسول الله (ص) فى مجلس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب بن عبد العزى : ننا شدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فقال سعد بن عبادة : كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لايخرج ، ثم نادى رسول الله (ص) سهيلا وحويطباً فقال : « إنى قد نكحت فيكم امرأة ، لا يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا » فقالوا نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا ، فأمر رسول الله (ص) أبا رافع فأذن بالرحيل ،و ركب رسول الله (ص) حتى نزل ببطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله (ص) أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة وقد لقيت ميمونة ومن معها عناء

وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، فقدمت على رسول الله (ص) بسرف فبنى بها ثم أدلج فسار حتى أتى المدينة ، وقدر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله (ص) . ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل فى تلك العمرة [الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص] فاعتمر رسول الله (ص) فى الشهر الحرام الذى صدّ فيه . وقد روى ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير نحواً من هذا السياق ؛ ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ففى صحيح البخارى من طريق فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) خرج معتمرا ، فحال كفار قريش بينه و بين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا إلا سيوفا ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا ، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثا أمروه أن يخرج فخرج . وقال الواقدى : حدثنى عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء و إنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل فى الشهر الذى صدهم فيه المشركون وقال أبو داود ثنا النفيلى ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن عمرو بن ميمون سمعت أبا حاضر الحيرى يحدث أن ميمون بن مهران قال : خرجت معتمرا عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة و بعث معى رجال من قومى بهدى ، قال فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم ، قال فنحرت الهدى مكانى ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لاقضى عمرتى فأتيت ابن عباس فسألته فقال : أبدل الهدى فان رسول الله (ص) أمر أصحابه أن يبدلوا الهدى الذى نحروا عام الحديبية فى عمرة القضاء . تفرد به أبو داود من حديث أبى حاضر عثمان بن حاضر الحيرى عن ابن عباس فذكره . وقال الحافظ البيهقى أنبأنا الحاكم أنبأنا الاصم ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثنى عمرو بن ميمون قال : كان أبى يسأل كثيراً أهل كان رسول الله (ص) أبدل هديه الذى نحر حين صده المشركون عن البيت ؟ ولا يجد فى ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حاضر الحيرى عن ذلك فقال له : على الخبير سقطت ، حججت عام ابن الزبير فى الحصر الأول فاهديت هديا فحالوا بيننا و بين البيت ، فنحرت فى الحرم و رجعت الى اليمن وقلت لى برسول الله (ص) أسوة ، فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عباس فسألته عما نحرت علىّ بدله أم لا ؟ قال نعم فابدل ، فان رسول الله (ص) وأصحابه قد أبدلوا الهدى الذى نحروا عام صدهم المشركون فأبدلوا ذلك فى عمرة القضاء ، فعزت الابل عليهم فرخص لهم رسول الله (ص) فى البقر .

وقال الواقدى : حدثنى غانم بن أبى غانم عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : جعل رسول الله (ص) ناجية بن جندب الأسلمى على هديه يسير بالهدى أمامه يطلب الرعى فى الشجر معه أربعة

فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله (ص) في عمرة القضية ستين بدنة . فحدثني محمد بن نعيم المجمر عن أبيه عن أبي هريرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها . قال الواقدي وسار رسول الله (ص) يلبي والمسلمون معه يلبون ، ومضى محمد بن مسلمة بالخيل الى مر الظهران فيجد بها نفراً من قريش ، فسألوا محمد بن مسلمة ؟ فقال هذا رسول الله (ص) يصبح هذا المنزل غدا إن شاء الله ، ورأوا سلاحا كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فاخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخيل ، ففزعت قريش وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وإنا على كتابنا وهدنتنا ففيم يغزونا محمد في أصحابه ؟ ونزل رسول الله (ص) مر الظهران ؛ وقدم رسول الله (ص) السلاح الى بطن يأجج حيث ينظر الى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الاحنف في نفر من قريش حتى لقوه ببطن يأجج ورسول الله (ص) في أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا يامحمد ماعرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لاتدخل إلا بسلاح المسافر السيوف في القرب ، فقال النبي (ص) « إني لا أدخل عليهم السلاح » فقال مكرز بن حفص : هذا الذي تعرف به البر والوفاء ، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة . فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبي (ص) خرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال وخلوا مكة وقالوا لاننظر اليه ولا إلى أصحابه ، فامر رسول الله (ص) بالهدى أمامه حتى حبس بذي طوى ، وخرج رسول الله (ص) وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم محدقون به يلبون وهم متوشحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذي طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة آخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله ‏ ‏ ‏ ‏ إلى آخره

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله (ص) وأصحابه صبيحة رابعة — يعني من ذي القعدة سنة سبع — فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب ، فامر رسول الله (ص) أن يرملوا الاشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الاشواط كلها إلا الابقاء عليهم . قال الامام احمد : حدثنا محمد بن الصباح ثنا اسماعيل بن زكريا عن عبد الله ابن عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس أن رسول الله (ص) لما نزل مر الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله (ص) أن قريشا تقول : مايتباعثون من العجف ، فقال أصحابه : لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحومه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة ، فقال « لاتفعلوا ولكن اجمعوا لي من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الانطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشى كل واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله (ص) حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطبع بردائه ثم قال « لا يرى القوم فيكم غميزة » فاستلم الركن ثم رمل حتى اذا تغيب بالركن اليماني مشى الى الركن

الأسود ، فقالت قريش : مايرضون بالمشى أما أنهم لينفرون نفر الظباء ، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة . قال أبو الطفيل : وأخبرنى ابن عباس أن رسول الله (ص) فعل ذلك فى حجة الوداع . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أبو داود ثنا أبو سلمة موسى ثنا حماد — يعنى ابن سلمة — أنبأنا أبو عاصم الغنوى عن أبى الطفيل قال قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله (ص) قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا ، قلت ماصدقوا وما كذبوا ؟ قال صدقوا رمل رسول الله (ص) ، وكذبوا ليس بسنة ، إن قريشاً زمن الحديبية قالت دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله (ص) والمشركون من قبل قعيقعان ، فقال رسول الله (ص) لأصحابه « ارملوا بالبيت ثلاثا » قال وليس بسنة . وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريرى وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ثلاثتهم عن أبى الطفيل عامر بن واثلة عن ابن عباس به نحوه . وكون الرمل فى الطواف سنة مذهب الجمهور ، فان رسول الله (ص) رمل فى عمرة القضاء وفى عمرة الجعرانة أيضاً كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبى الطفيل عن ابن عباس فذكره . وثبت فى حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل فى حجة الوداع فى الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب فيم الرملان وقد أطال الله الأسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله (ص) ، وموضع تقرير هذا كتاب الاحكام . وكان ابن عباس فى المشهور عنه لايرى ذلك سنة كما ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال : إنما سعى النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركين قوته . لفظ البخارى . وقال الواقدى : لما قضى رسول الله (ص) نسكه فى القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول (ص) أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبى جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول مايقول ! ! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذى أذهب أبى قبل أن يرى هذا . وقال خالد بن اسيد : الحمد لله الذى أمات أبى ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت . وأما سهيل بن عمرو ورجال معه لما سمعوا بذلك غطوا وجوههم . قال الحافظ البيهقى : قد أكرم الله أكثرهم بالاسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقى من طريق الواقدى أن هذا كان فى عمرة القضاء ، والمشهور أن ذلك كان فى عام الفتح والله أعلم .

قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن اسحاق : حدثنى أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبد المطلب . قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها الى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها رسول الله (ص) وأصدقها عنه أربعمائة درهم وذكر السهيلى أنه لما انتهت اليها خطبة رسول الله (ص) لها وهى راكبة بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله (ص) . قال وفيها نزلت الآية [وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين] وقد روى البخارى من طريق أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة وهو محرم ، و بنى بها وهو حلال ، وماتت بسرف . قال البيهقى : وروى الدار قطنى من طريق أبى الأسود يتيم عروة ومن طريق مطر الورّاق عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة وهو حلال . قال وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرما أى فى شهر حرام كما قال الشاعر :

قتلوا ابنَ عفانَ الخليفةَ مُحْرِماً ... فدعا فلم أرَ مثلَه مخذولا

أى فى شهر حرام .

قلت : وفى هذا التأويل نظر ، لأن الرواية متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ولا سيما قوله تزوجها وهو محرم و بنى بها وهو حلال ، وقد كان فى شهر ذى القعدة أيضا وهو شهر حرام . وقال محمد بن يحيى الذهلى : ثنا عبد الرزاق قال قال لى الثورى : لا يلتفت إلى قول أهل المدينة . أخبرنى عمرو عن أبى الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج وهو محرم ، قال أبو عبد الله قلت لعبد الرزاق روى سفيان الحديثين جميعاً عن عمرو عن أبى الشعثاء عن ابن عباس وابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؟ قال نعم أما حديث ابن خثيم فحدثنا هاهنا ــ يعنى باليمن ــ وأما حديث عمرو فحدثنا ثم ــ يعنى بمكة ــ وأخرجاه فى الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به . وفى صحيح البخارى من طريق الأوزاعى أنبأنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة وهو محرم . فقال سعيد بن المسيب : وهم ابن عباس وإن كانت خالته ، ما تزوجها إلا بعد ما أحل . وقال يونس عن ابن اسحاق حدثنى بقية عن سعيد بن المسيب أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله (ص) نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمته ، إنما قدم رسول الله (ص) مكة فكان الحل والنكاح جميعا فشبه ذلك على ابن عباس . وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن

يزيد بن الأصم العامرى عن خالتــه ميمونة بنت الحارث قالت : تزوجنى رسول الله (ص) ونحن حلال بسرف . لكن قال الترمذى . روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلا أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة . وقال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو عبـد الله الحافظ أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الاصفهانى الزاهد ثنا اسماعيل بن اسحاق القاضى ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا مطر الوراق عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن سليمان بن يسار عن أبى رافع قال : تزوج رسول الله (ص) ميمونة وهو حلال و بنى بها وهو حلال وكنت الرسول بينهما . وهكذا رواه الترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذى حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر و رواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلا ، و رواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلا

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين و يقال سنة ستين رضى الله عنها

ذكر خروجه (ص) من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا اليه حويطب بن عبد العزى بعد مضى أربعة ايام [1] ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم و إنما أراد تأليفهم بذلك فابوا عليه وقالوا بل اخرج عنا ، فخرج وكذلك ذكره ابن اسحاق [1] وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء قال : اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، قالوا لانقر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله قال « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلى ابن أبى طالب « أمح رسول الله » قال لا والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله لا يدخل مكة إلا السيف فى القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد ان يقيم بها ، فلما دخل ومضى الاجل أتوا علياً فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقـد مضى الاجل ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادى يا عم يا عم فتناولها على فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك ، فحملتها فاختصم فيها على و زيد وجعفر فقال على : أنا أخذتها وهى ابنة عمى وقال جعفر : ابنـة عمى وخالتها تحتى ، وقال زيد : ابنة أخى فقضى بها النبى (ص) لخالتها وقال « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعلى « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر « اشبهت خَلْقى وخُلُقى » وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » قال على ألا تتزوج ابنة حمزة ، قال « إنها ابنة أخى من الرضاعة » .

(١—١) كذا فى الاصل وفى سيرة ابن هشام : ثلاثة أيام وأتاه حويطب فى اليوم الثالث .

تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد روى الواقدي قصة أبنة حمزة فقال حدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأمها سلمى بنت عميس كانت بمكة ، فلما قدم رسول الله (ص) كلم علي بن أبي طالب رسول الله (ص) فقال : علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين ؟ فلم ينه النبي (ص) عن إخراجها ، فخرج بها فتكلم زيد بن حارثة وكان وصي حمزة ، وكان النبي (ص) قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال أنا أحق بها ابنة أخي ، فلما سمع بذلك جعفر قال الخالة والدة وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس وقال علي : ألا أراكم تختصمون هي ابنة عمي وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين . وليس لكم اليها سبب دوني وأنا أحق بها منكم فقال النبي (ص) « أنا أحكم بينكم ، أما أنت يازيد فمولى الله ومولى رسول الله ، وأما أنت ياجعفر فتشبه خَلْقي وخُلُقي ، وأنت ياجعفر أولى بها تحتك خالتها ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمتها » فقضى بها لجعفر . قال الواقدي : فلما قضى بها لجعفر قام جعفر فحجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « ما هذا ياجعفر ؟ » فقال يارسول الله كان النجاشي إذا أرضى احداً قام فحجل حوله ، فقال للنبي (ص) تزوجها فقال « ابنة أخي من الرضاعة » فزوجها رسول الله (ص) سلمة بن أبي سلمة ، فكان النبي (ص) يقول « هل جزيت أبا سلمة » .

قلت : لانه ذكر الواقدي وغيره أنه هو الذي زوج رسول الله (ص) بامه أم سلمة ، لانه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ورجع رسول الله (ص) إلى المدينة في ذي الحجة ، وتولى المشركون تلك الحجة . قال ابن هشام : وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى [لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا] [يعني خيبر] .

فصل

ذكر البيهقي هاهنا سرية ابن أبي العوجاء السلمي الى بني سليم ، ثم ساق بسنده عن الواقدي حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري قال : لما رجع رسول الله (ص) من عمرة القضية رجع في ذي الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين فارسا فخرج العين إلى قومه فحذرهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيراً وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم معدون ، فلما أن رأوهم أصحاب رسول الله (ص) ورأوا جمعهم دعوهم إلى الاسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم وقالوا لا حاجة لنا إلى ما دعوتم اليه فرموهم ساعة وجعلت الامداد تأتي حتى أحدقوا بهم من كل جانب ، فقاتل

القوم قتالا شديداً حتى قتل عامتهم ، وأصيب ابن أبى العوجاء بجراحات كثيرة فتحامل حتى رجع الى المدينة بمن بقى معه من أصحابه فى أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدى فى الحجة من هذه السنة ـ يعنى سنة سبع ـ رد رسول الله (ص) ابنته زينب على زوجها أبى العاص بن الربيع وقد قدمنا الكلام على ذلك ، وفيها قدم حاطب بن أبى بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين وقد اسلمتا فى الطريق ، وغلام خصى . قال الواقدى : وفيها اتخذ رسول الله (ص) منبره درجتين ومقعده ، قال والثبت عندنا أنه عمل فى سنة ثمان .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر وأعن بحولك وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

قد تقدم طرف من ذلك فيما ذكره ابن اسحاق بعد مقتل أبى رافع اليهودى [1] وذلك فى سنة خمس من الهجرة ، وانما ذكره الحافظ البيهقى ها هنا بعد عمرة القضاء فروى من طريق الواقدى أنبأنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال عمرو بن العاص : كنت للاسلام مجانبا معاندا ، حضرت بدراً مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحداً فنجوت ، ثم حضرت الخندق فنجوت ، قال فقلت فى نفسى كم أوضع والله ليظهرن محمدا على قريش فلحقت بمالى بالرهط وأقللت من الناس ـ أى من لقائهم ـ فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله (ص) فى الصلح ، ورجعت قريش إلى مكة ، جعلت أقول يدخل محمد قابلا مكة بأصحابه ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شئ خير من الخروج ، وأنا بعد نائى عن الاسلام ، وأرى لو اسلمت قريش كلها لم أسلم ، فقدمت مكة وجمعت رجالا من قومى وكانوا يرون رأيى ويسمعون منى ويقدموننى فيما نابهم ، فقلت لهم كيف أنا فيكم ؟ قالوا ذو رأينا ومدرهنا فى يمن نفسه وبركة أمر ، قال قلت تعلمون أنى والله لارى أمر محمد أمراً يعلو الامور علواً منكراً ، وإنى قد رأيت رأيا قالوا وما هو؟ قلت نلحق بالنجاشى فنكون معه ، فان يظهر محمد كنا عند النجاشى

(١) واسمه سلام بن أبى الحقيق أبو رافع الاعور قتله خمسة من أصحاب رسول الله بخيبر .

نـكون تحت يد النجاشي أحب الينا من أن نـكون تحت يد محمد ، و إن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا ، قالوا هذا الرأى . قال قلت فاجمعوا ما نهديه له ـ وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الأدم ـ فحملنا أدما كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمرى وكان رسول الله (ص) قد بعثه بكتاب كتبه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، [1] فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لاصحابي : هذا عمرو بن أمية ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فاعطانيه فضربت عنقه ، فاذا فعلت ذلك سرت قريش وكنت قد أجزأت عنها حتى قتلت رسول محمد ، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال مرحبا بصديقي أهديت لى من بلادك شيئا ؟ قال قلت نعم أيها الملك أهديت لك أدما كثيراً ثم قدمته فاعجبه وفرق منه شيئا بين بطارقته وأمر بسائره فادخل في موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فاعطنيه فاقتله ، فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر منخراى فجعلت أتلقى الدم بثيابي فاصابني من الذل ما لو انشقت بى الارض دخلت فيها فرقا منه ، ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك ، قال فاستحيا وقال : ياعمرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتي موسى والذى كان يأتي عيسى لتقتله ؟ قال عمرو فغير الله قلبي عما كنت عليه ، وقلت في نفسي عرف هذا الحق والعرب والعجم وتخالف أنت ثم قلت أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قال نعم أشهد به عند الله يا عمرو فأطعني واتبعه فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قلت أتبايعني له على الاسلام ؟ قال نعم فبسط يده فبايعني على الاسلام ، ثم دعا بطست فغسل عني الدم وكساني ثيابا ـ وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم فالقيتها ـ ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سروا بذلك وقالوا هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم كرهت أن أكلمه في أول مرة وقلت أعود اليه ، فقالوا الرأى ما رأيت . قال ففارقتهم وكأني أعمد الى حاجة فعمدت الى موضع السفن فاجد سفينة قد شحنت تدفع ، قال فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا الى الشعبة وخرجت من السفينة ومعي نفقة ، فابتعت بعيراً وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مر الظهران ، ثم مضيت حتى اذا كنت بالهدة فاذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلا وأحدهما داخل في الخيمة والآخر يمسك الراحلتين ، قال فنظرت فاذا خالد بن الوليد ، قال قلت أين تريد ؟ قال محمداً ، دخل الناس في الاسلام فلم يبق أحد به طمع ، والله لو أقمت

(١) هكذا في الاصل ، وفي ابن هشام كان قد جاء في شأن جعفر وأصحابه ، وفي السهيلي أنه جاء بكتاب النبي (ص) وكان فيه دعوته الى الاسلام .

لاخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع فى مغارتها، قلت وأنا الله قد أردت محمداً وأردت الاسلام، فخرج عثمان بن طلحة فرحب بى فنزلنا جميعاً فى المنزل، ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة فما أنس قول رجل لقيناه ببئر أبى عتبة يصيح : يارباح يارباح يارباح، فتفاءلنا بقوله وسررنا، ثم نظر الينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكة المقادة بعد هذين، وظننت أنه يعنينى ويعنى خالد بن الوليد وولى مدبراً الى المسجد سريعاً فظننت أنه بشر رسول الله (ص) بقدومنا فكان كما ظننت، وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا، ثم نودى بالعصر فانطلقنا على أظلعنا عليه، وإن لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفى حياء منه . قال فبايعته على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ولم يحضرنى ما تأخر، فقال « إن الاسلام يجب ما كان قبله، والهجرة تجب ما كان قبلها » قال فوالله ما عدل بى رسول الله (ص) وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه فى أمر حزبه منذ أسلمنا، ولقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة وكان عمر على خالد كالعاتب . قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدى : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب فقال : أخبرنى راشد ولى حبيب بن أبى أوس الثقفى عن مولاه حبيب عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبى حبيب عن راشد عن مولاه حبيب [قال] حدثنى عمرو بن العاص من فيه، فذكر ما تقدم فى سنة خمس بعد مقتل أبى رافع، وسياق الواقدى أبسط وأحسن . قال الواقدى عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبى حبيب وقت لك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال لا إلا أنه قال قبل الفتح، قلت فان أبى أخبرنى ان عمرا وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان، وسيأتى عند وفاة عمرو من صحيح مسلم ما يشهد لسياق اسلامه وكيفية حسن صحبته لرسول الله (ص) مدة حياته، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه فى مدة مباشرته الامارة بعده عليه الصلاة والسلام، وصفة موته رضى الله عنه .

طريق اسلام خالد بن الوليد

قال الواقدى : حدثنى يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال سمعت أبى يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بى ما أراد من الخير قذف فى قلبى الاسلام وحضرنى رشدى، فقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد (ص)، فليس فى موطن أشهده الا انصرف وأنا أرى فى نفسى أنى موضع فى غير شئ، وأن محمداً سيظهر، فلما خرج رسول الله (ص) الى الحديبية خرجت فى خيل من المشركين فلقيت رسول الله (ص) فى أصحابه بعسفان، فقمت بازائه

وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليهم ثم لم يعزم لنا ـ وكانت فيه خيرة ـ فاطلع على ما فى أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا وقلت الرجل ممنوع فاعتزلنا ، وعدل عن سير خيلنا وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريش بالرواح قلت فى نفسى أى شئ بقى ؟ أين أذهب الى النجاشى ! فقد اتبع محمد وأصحابه عنده آمنون ، فاخرج الى هرقل فأخرج من دينى الى نصرانية أو يهودية ، فاقيم فى عجم ، فاقيم فى دارى بمن بقى فانا فى ذلك إذ دخل رسول الله (ص) مكة فى عمرة القضيه فتغيبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبى (ص) فى عمرة القضيه ، فطلبنى فلم يجدنى فكتب الى كتاباً فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ! ومثل الاسلام جهله أحد ؟ وقد سألنى رسول الله (ص) عنك وقال أين خالد ؟ فقلت يأتى الله به ، فقال « مثله جهل الاسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقدمناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك [من] مواطن صالحة . قال فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام وسرنى سؤال رسول الله (ص) عنى ، وأرى فى النوم كأنى فى بلاد ضيقة مجدبة فخرجت فى بلاد خضراء واسعة فقلت إن هذه لرؤيا ، فلما أن قدمت المدينة قلت لاذكرنها لابى بكر ، فقال مخرجك الذى هداك الله للاسلام . والضيق الذى كنت فيه من الشرك ، قال فلما أجمعت الخروج الى رسول الله (ص) قلت من أصاحب الى رسول الله (ص) ؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه إنما نحن كاضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فان شرف محمد لنا شرف ؟ فأبى أشد الاباء فقال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا . فافترقنا وقلت هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية فقال لى مثل ما قال صفوان بن أمية ، قلت فاكتم على قال لا أذكره . فخرجت الى منزلى فأمرت براحلتى فخرجت بها الى أن لقيت عثمان بن طلحة فقلت إن هذا لى صديق فلو ذكرت له ما أرجو ، ثم ذكرت من قتل من آبائه فكرهت أن أذكره ، ثم قلت وما على وأنا راحل من ساعتى فذكرت له ما صار الأمر اليه فقلت إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ، وقلت له نحوا مما قلت لصاحبى فاسرع الاجابة ، وقلت له انى غدوت اليوم وأنا أريد ان اغدو وهذه راحلتى بفج مناخة ، قال فاتعدت أنا وهو يأجج إن سبقنى أقام و إن سبقته أقمت عليه ، قال فادلجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا الى الهدة فنجد عمرو بن العاص بها ، قال مرحباً بالقوم فقلنا و بك ، فقال إلى أين مسيركم ؟ فقلنا وما أخرجك ؟ فقال وما أخرجكم ؟ قلنا الدخول فى الاسلام واتباع محمد (ص) ، قال وذاك الذى أقدمنى ، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنخنا بظهر الحرة

ركابنا فأخبر بنا رسول الله (ص) فسر بنا، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله (ص) فلقيني أخي: فقال اسرع فان رسول الله (ص) قد أخبر بك فسر بقدومك وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتبسم الىّ حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق، فقلت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال «تعال» ثم قال رسول الله (ص) «الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خير» قلت يارسول الله انى قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادعو الله أن يغفرها لى، فقال رسول الله (ص) «الاسلام يجب ما كان قبله» قلت يارسول الله على ذلك، قال «اللهم إغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صدّ عن سبيل الله» قال خالد: وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله (ص)، قال وكان قدومنا فى صفر سنة ثمان، قال والله ما كان رسول الله (ص) يعدل بى أحداً من أصحابه فيما حزبه.

سرية شجاع بن وهب الأسدي الى هوازن

قال الواقدى: حدثنى ابن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن عمر بن الحكم قال بعث رسول الله (ص) شجاع بن وهب فى أربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن وأمره أن يغير عليهم، فخرج وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى جاءهم وهم غارّين، وقد أوعز الى أصحابه أن لا تمعنوا فى الطلب، فاصابوا نعماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا لكل رجل [وزعم غيره أنهم أصابوا سبيا أيضا وأن الامير اصطفى عنهم جارية وضيئة] ثم قدم أهلوهم مسلمين فشاور النبى (ص) أميرهم فى ردهن اليهم، فقال نعم فردوهن وخير التى عنده الجارية فاختارت المقام عنده، وقد تكون هذه السرية هى المذكورة فيما رواه الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) بعث سرية قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر، قال فاصبنا إبلا كثيرا فبلغت سهامنا إثنا عشر بعيراً ونفلنا رسول الله (ص) بعيراً بعيراً أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك، ورواه مسلم أيضا من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه [وقال أبو داود حدثنا هناد حدثنا عبدة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر] قال بعث رسول الله (ص) سرية الى نجد فخرجت فيها فأصبنا نعماً كثيرا فنفلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان، ثم قدمنا على رسول الله (ص) فقسم بيننا غنيمتنا فاصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس وما حاسبنا رسول الله (ص) بالذى أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع فكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنفله.

سرية كعب بن عمير الى بني قضاعة

قال الواقدى : حدثنا محمد بن عبدالله الزهرى قال بعث رسول الله (ص) كعب بن عمير الغفارى في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا الى ذات اطلاح من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً فدعوهم إلى الاسلام فلم يستجيبوا لهم و رشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله (ص) قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا ، فارتث منهم رجل جريح فى القتلى ، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله (ص) ، فهم بالبعثة اليهم فبلغه انهم ساروا إلى موضع آخر .

غزوة مؤتة

وهى سرية زيد بن حارثة فى نحو من ثلاثة آلاف الى ارض البلقاء من أرض الشام .

قال محمد بن اسحاق بعد قصة عمرة القضية . فأقام رسول الله (ص) بالمدينة بقية ذى الحجة ، - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفراً وشهرى ربيع و بعث فى جمادى الاولى بعثه إلى الشام الذين اصيبوا بمؤتة . فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله (ص) بعثه إلى مؤتة فى جمادى الاولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدى : حدثنى ربيعة بن عثمان عن عمرو بن الحكم عن ابيه قال : جاء النعمان ابن فنحص اليهودى فوقف على رسول الله (ص) مع الناس ، فقال رسول الله (ص) « زيد بن حارثة أمير الناس ، فان قتل زيد فجعفر بن أبى طالب ، فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، فان قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم » . فقال النعمان : أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سمّيت من سميت قليلا أو كثيراً أصيبوا جميعاً ؛ ان الانبياء فى بنى اسرائيل كانوا اذا سموا الرجل على القوم فقالوا ان أصيب فلان ففلان : فلو سموا مائة اصيبوا جميعاً ، ثم جعل يقول لزيد اعهد فانك لا ترجع أبدا إن كان محمد نبياً . فقال زيد : أشهد أنه نبى صادق بار . رواه البيهقى .

قال ابن اسحٰق : فلما حضر خروجهم ودع الناس امراء رسول الله (ص) وسلموا عليهم ، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى ، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال أما والله ما بى حبّ الدنيا ولا صبابة بكم . ولكنى سمعت رسول الله (ص) يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار [وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً] فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردّكم الينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسألُ الرحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذاتَ فرغٍ تقذفُ الزبدا
أو طعنةً بيديْ حرّانَ مجهزةٍ ... بحربةٍ تنفذُ الأحشاءَ والكبدا
حتى يُقالَ اذا مرّوا على جَدَثي ... أرشدَهُ اللهُ من غازٍ وقد رشدا

قال ابن اسحق : ثم أن القوم تهيئوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ثم قال :

فثبّتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نصروا
إني تفرّستُ فيكَ الخيرَ نافلةً ... اللهُ يعلمُ أني ثابتُ البصرِ
أنتَ الرسولُ فمن يُحرَمْ نوافلَهُ ... والوجهَ منهُ فقدْ أزرى به القَدَرُ

قال ابن اسحق : ثم خرج القوم وخرج رسول الله (ص) يشيعهم حتى اذا ودعهم وانصرف ؛ قال عبد الله بن رواحة :

خلفَ السلامُ على أمرىءٍ ودّعتُه ... في النّخل خيرُ مشيّعٍ وخليل

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو خالد الاحمر عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله (ص) بعث الى مؤتة فاستعمل زيداً ، فان قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر فابن رواحة ؛ فتخلف ابن رواحة فجمع مع النبي (ص) فرآه فقال « ما خلفك ؟ » فقال اجمع معك « قال لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها » . وقال أحمد ثنا أبو معاوية ثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : بعث رسول الله (ص) عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة ، قال فقدم أصحابه وقال أتخلف فاصلي مع رسول الله (ص) الجمعة ثم ألحقهم ، قال فلما صلى رسول الله (ص) رآه فقال « ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟ » فقال أردت ان أصلي معك الجمعة ثم الحقهم ، فقال رسول الله (ص) « لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما أدركت غدوتهم » . وهذا الحديث قد رواه الترمذى من حديث أبي معاوية عن الحجاج ـ وهو ابن ارطاة ـ ثم علله الترمذى بما حكاه عن شعبة انه قال لم يسمع الحكم عن مقسم الا خمسة احاديث وليس هذا منها .

قلت والحجاج بن أرطاة في روايته نظر والله أعلم ، والمقصود من ايراد هذا الحديث انه يقتضي أن خروج الامراء الى مؤتة كان في يوم جمعة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من ارض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة الف من الروم ، وانضم اليه من لخم وجذام والقين وبهراء و بلى مائة الف منهم عليهم رجل من بلى ، ثم لحد اراشة يقال له مالك بن رافلة ؛ وفي رواية يونس عن ابن اسحاق فبلغهم ان هرقل نزل بمآب في مائة الف من الروم ومائة الف من المستعربة ، فلما بلغ ذلك المسلمين اقاموا

على معان ليلتين ينظرون فى أمرهم ، وقالوا نكتب الى رسول الله (ص.) نخبره بعدد عدونا ، فاما أن يمدنا بالرجال ، و إما ان يأمرنا بأمره فنمضى له ،قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : ياقوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين ، إما ظهور و إما شهادة ، قال فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك :

جَلبْنا الخيلَ من اجأٍ وفرعٍ ... تُغرُّ من الحشيشِ الى العكوم
حذَوْناها من الصَّوّانِ سِبتاً ... أزلَّ كأن صفحتَه أديم
أقامتْ ليلتين على معانٍ ... فأُعقبَ بعد فترتها جُموم
فَرُحْنا والجيادُ مسوَّماتٌ ... تنفَّسُ فى مناخرِها سَموم
فلا وأبى مآبَ لنأتِيَنْها ... وإنْ كانتْ بها عربٌ ورُوم
فعبَّأْنا أعنَّتَها فجاءتْ ... عوابسَ والغُبارُ لها بريم
بذي لجبٍ كأن البِيضَ فيه ... اذا برزت قوانسُها النجوم
فراضيةُ المعيشة طلَّقتْها ... أسنَّتُنا [1] فتنكِحَ أوتئِيم

قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال : كنت يتيما لعبدالله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله انه ليسير ليلتئذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

اذا أدنيتِنى وحملتِ رحلى ... مسيرةَ أربعٍ بعد الحساء
فشأنُكِ أنعمٌ وخلاكِ ذمٌ ... ولا أرجعْ الى أهلى ورائى
وجاءَ المسلمونَ وغادرونى ... بأرض الشام مستنهى [2] الثواء
وردَّكَ كلُّ ذى نسبٍ قريبٍ ... الى الرحمن مُنقطعَ الإخاء
هنالكَ لا أبالىَ طَلْعُ بَعْلٍ ... ولا نخلٍ أسافلُها رُواءُ

قال فلما سمعتهن منه بكيت ، فخفقنى بالدرة وقال : ما عليك يالكع أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل ؟ ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يازيدُ زيدَ اليَعْمَلاتِ الذُبَّلِ ... تطَّاولَ الليلُ هُدِيتَ فانزلِ

(١) فى ابن هشام : أسنتها . (٢) قال السهيلى : مستنهى الثواء مستفعل من النهاية والانتهاء أى حيث انتهى مثواه ، ومن رواه مشتهى الثواء (كما فى الاصل) أى لا أريد رجوعا .

قال ابن اسحاق : ثم مضى النـاس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها فتعبى لهـم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجـلا من بنى عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك . وقال الواقدى : حـدثنى ربيعة بن عثمان عن المقبرى عن أبى هريرة قال : شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا مالا قبل لاحـد به من العدة والسـلاح والكراع والديباج والحرير والذهب ، فبرق بصرى ، فقال لى ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة ؟ قلت نعم ! قال إنك لم تشهد بدراً معنا ، إنا لم ننصر بالـكثرة رواه البيهقى . قال ابن اسحاق ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله (ص) حتى شاط فى رماح القوم ، ثم أخـذها جعفر فقاتل القوم حتى قتل ، فـكان جعفر أول المسلمين عقر فى الاسلام . وقال ابن اسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبـد الله بن الزبير عن أبيه عباد حـدثنى أبى الذى ارضعنى وكان احـد بنى مرة بن عوف وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لـكأنى أنظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنـةُ واقترابُهـا طيبةٌ وباردا شرابها

والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها علىّ إن لاقيتها ضِرَابُها

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبى اسحاق ولم يذكر الشعر ، وقد استدل من جواز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدو كما يقول أبو حنيفة فى الاغنام اذا لم تتبع فى السير و يخشى من لحوق العدو وانتفاعهم بها أنها تذبح وتحرق ليحال بينهم و بين ذلك والله أعلم . قال السهيلى ولم ينكر أحد على جعفر ، فدل على جوازه إلا اذا أمن أخذ العدو له ولا يدخل ذلك فى النهى عن قتل الحيوان عبثا . قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء ، و يقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئـذ ضربة فقطعه بنصفين . قال ابن اسحاق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال حـدثنى أبى الذى ارضعنى وكان أحد بنى مرة بن عوف قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه و يتردد بعض التردد و يقول :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنَّه لتنزلنَّ أو لتـكرهنَّه

إن أجلبَ الناسُ وشدوا الرنَّه مالي أراكِ تـكرهين الجنَّه

قد طالَما قد كنتِ مطمئنّه هل أنتِ إلا نطفةٌ في شِنّه

وقال أيضاً :

يا نفسُ إن لا تُقتَلي تموتي هذا حِمامُ الموتِ قد صَليتِ
وما تمنّيتِ فقد أُعطيتِ إن تفعلي فِعْلَهما هُديتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً ، ثم نزل فلما نزل اتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده فانتهس منه نهسة . ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال وانت في الدنيا ثم ؟ القاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه . قال ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم اخو بني العجلان . فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت قال ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى [1] بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس . قال ابن اسحق : ولما أصيب القوم قال رسول الله (ص) - فيما بلغني - أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، قال ثم صمت رسول الله (ص) حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم قال لقد رفعوا الى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبدالله ابن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت عم هذا ؟ فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى . هكذا ذكر ابن اسحق هذا منقطعاً ، وقد قال البخاري ثنا أحمد بن واقد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن انس بن مالك ان رسول الله (ص) نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، فقال أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فاصيب ، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم . تفرد به البخاري ورواه في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : وما يسرهم أنهم عندنا . وقال البخاري ثنا أحمد بن أبي بكير ثنا مغيرة بن عبدالرحمن المخزومي وليس بالحزامي عن عبد الله بن سعيد عن نافع عن عبد الله بن عمر . قال أمّر رسول الله (ص) في غزوة مؤتة زيد ابن حارثة ، فقال رسول الله (ص) ان قتل زيد فجعفر ، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال عبد الله كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من ضربة ورمية تفرد به البخاري أيضاً . وقال البخاري أيضاً حدثنا احمد ثنا ابن

(١) في السهيلي : المخاشاة المحاجزة وهي مفاعلة من الحشية لانه خشي على المسلمين لقلة عددهم . ثم قال : ومن رواه حاشى بالحاء المهملة فهو من الحشى وهي الناحية . وقيل حاشى بهم انحاز بهم .

وهب عن ابن عمرو عن أبي هلال ـ هو سعيد بن أبي هلال الليثي ـ قالا : وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره ، وهذا أيضاً من أفراد البخاري . ووجه الجمع بين هـذه الرواية والتي قبلها ان ابن عمر اطلع على هدا العدد ، وغيره اطلع على أكثر من ذلك ، وان هـذه في قبله أصيبها قبل أن يقتل ، فلما صرع الى الارض ضربوه أيضاً ضربات في ظهره ، فعد ابن عمر ما كان في قبله وهو في في وجوه الاعداء قبل أن يقتل رضي الله عنه . ومما يشهد لمـا ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي ممسكة اللواء ثم شماله ما رواه البخاري ثنا محمد بن ابي بكر ثنا عمر بن على عن اسمعيل بن أبي خلاد عن عامر قال كان ابن عمر اذا حيّ ابن جعفر قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين . ورواه أيضا في المناقب والنسائي من حديث يزيد بن هرون عن اسمعيل بن أبي خالد ، وقال البخاري ثنا أبو نعيم ثنا سفيان بن اسمعيل عن قيس بن أبي حازم قال سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي الا صفحة يمانية . ثم رواه عن محمد بن المثنى عن يحيي بن اسمعيل حدثني قيس سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة اسياف وصبرت في يدي صفحة يمانية انفرد به البخاري . قال الحافظ أبو بكر البيهقي ثنا ابو نصر بن قتادة ثنا أبو عمرو مطر ثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ثنـا سليمان بن حرب ثنا الاسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال : قدم علينا عبدالله بن رباح الانصاري وكانت الانصار تفقهه ، فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه فقال ابو قتادة فارس رسول الله (ص) قال بعث رسول الله (ص) جيش الامراء وقال عليكم زيد بن حارثة ، وقال ان أصيب زيد فجعفر ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال فوثب جعفر وقال يارسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل زيداً عليّ قال امض فانك لا تدري أي ذلك خير ، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله فصعد رسول الله (ص) المنبر فامر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس على رسول الله (ص) ، فقال اخبركم عن جيشكم هذا ، انهـم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله ابن رواحة فاثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء هو امّر نفسه ثم قال رسول الله (ص) « اللهم انه سيف من سيوفك أنت تنصره » فمن يومئذ سمي خالد سيف الله . ورواه النسائي من حديث عبدالله بن المبارك عن الاسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو انه عليه الصلاة والسلام لما اجتمع اليـه الناس قال باب خير باب خير وذكر الحديث .

وقال الواقد حدثني عبد الجبار بن عمارة بن غزية عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم . قال : لما التقى الناس بمؤتة جلس رسـول الله (ص) على المنبر وكشف الله له ما بينه و بين الشام فهو ينظر

الى معتركهم ، فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فجاء الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ، وحبب اليه الدنيا فقال الآن استحكم الايمان فى قلوب المؤمنين تحبب الى الدنيا ، فمضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله (ص) وقال استغفروا له فقد دخل الجنة وهو شهيد . قال الواقدى وحدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله (ص) ، قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبى طالب فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا فقال الآن حين استحكم الايمان فى قلوب المؤمنين يمنيني الدنيا ، ثم مضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله (ص) وقال استغفروا لاخيكم فانه شهيد دخل الجنة وهو يطير فى الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء فى الجنة ، قال ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضا فشق ذلك على الأنصار فقيل يا رسول الله ما أعتراضُه ؟ قال لما اصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فتشجع واستشهد ودخل الجنة فسرى عن قومه . قال الواقدى وحدثنى عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله (ص) الآن حمى الوطيس قال الواقدى فحدثنى العطاف بن خالد قال لما قتل ابن رواحة مساءبات خالد بن الوليد فلما أصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميمنته ميسرته ، قال فانكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا قد جاءهم مدد ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين ، قال فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم . وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله فى مغازيه فانه قال بعد عمرة الحديبية ثم صدر رسول الله (ص) الى المدينة فمكث بها ستة أشهر ثم إنه بعث جيشاً الى مؤتة وامّر عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب فجعفر بن أبى طالب أميرهم ، فان أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة أميرهم ، فانطلقوا حتى اذا لقوا ابن أبى سبرة الغسانى بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها تنوخ وبهراء فاغلق ابن أبى سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم التقوا على زرع أحمر فاقتتلوا قتالا شديدا ، فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم اخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبدالله بن رواحة فقتل ثم اصطلح المسلمون بعد امراء رسول الله (ص) على خالد بن الوليد المخزومى فهزم الله العدو واظهر المسلمين قال وبعثهم رسول الله (ص) فى جمادى الاولى — يعنى سنة ثمان — قال موسى بن عقبة : وزعموا ان رسول الله (ص) قال مرّ علىّ جعفر فى الملائكة يطير كما يطيرون وله جناحان . قال وزعموا — والله أعلم — أن يعلى بن أمية قدم على رسول الله (ص) بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله (ص) ان شئت فاخبرنى وان شئت أخبرك ، قال اخبرنى يارسول الله قال فاخبرهم رسول الله (ص) خبرهم كله ووصفه لهم ، فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله (ص) « ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معتركهم » فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن اسحاق وفيه مخالفة لما ذكره ابن اسحاق من أن خالد انما

حاش بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط . وموسى بن عقبة والواقدى مصرحان بانهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعا ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه . و رواه البخارى وهذا هو الذى رجحه ومال اليه الحافظ البيهقى بعد حكاية القولين لما ذكر من الحديث .

قلت : و يمكن الجمع بين قول ابن اسحاق و بين قول الباقين وهو أن خالد لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدى الكافرين من الروم والمستعربة . فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدى توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء الى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزموهم بأذن الله والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق حدثنى محمد بن جعفر عن عروة قال لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله ص.) والمسلمون معه [قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ص.) مقبل مع القوم على دابة فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابن جعفر فاتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه] فجعلوا يحثون عليهم بالتراب و يقولون يافرار فررتم فى سبيل الله ، فقال رسول الله ص.) « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل » وهذا مرسل من هذا الوجه. وفيه غرابة ، وعندى أن ابن اسحاق قد وهم فى هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش ، و إنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ص.) للمسلمين وهو على المنبر فى قوله ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك وإنما تلقوهم إ كراماً واعظاماً ، و إنما كان التأنيب وحثى التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . قال الامام احمد حدثنا حسن ثنا زهير ثنا يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنت فى سرية من سرايا رسول الله ص.) فحاص الناس حيصة وكنت فيمن حاص ، فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف و بؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة فتلنا ، ثم قلنا لو عرضنا انفسنا على رسول الله ص.) فان كانت لنا توبة والا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال من القوم ؟ قال قلنا نحن فرارون ، فقال لا بل انتم الكرارون انا فئتكم وانا فئة المسلمين ، قال فاتيناه حتى قبلنا يده . ثم رواه غندر عن شعبة عن يزيد بن أبى زياد عن ابن أبى ليلى عن ابن عمر قال : كنا فى سرية ففررنا فاردنا أن نركب البحر ، فاتينا رسول الله ص.) فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون ، فقال لا بل انتم العكارون رواه الترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن أبى زياد وقال الترمذى حسن لا نعرفه الا من حديثه . وقال احمد حدثنا اسحاق بن عيسى وأسود بن عامر قالا : حدثنا شريك عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالرحمن بن ابى ليلى عن ابن عمر قال : بعثنا رسول

الله (ص) في سرية ، فلما لقينا العدو انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في نفر ليلا فاختفينا ثم قلنا لو خرجنا الى رسول الله (ص) واعتذرنا اليه ، فخرجنا اليه ثم التقيناه قلنا نحن الفرارون يا رسول الله قال « بل أنتم العكارون وانا فئتكم » قال الاسود « وانا فئة كل مسلم » وقال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أم سلمة زوج النبي (ص) قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله (ص) ومع المسلمين ، قالت ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يافرار فررتم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته ما يخرج وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع العدو على ما ذكروه مائتي الف ، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر ، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أيدي اولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله ، ويؤيد ذلك ويشد كله بالصحة ما رواه الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الاشجعي قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ، ومددي من اليمن ليس معه غير سيفه فنحر رجل من المسلمين جزوراً فسأله المددي طائفة من جلده فاعطاه اياه فاتخذه كهيئة الدرقة ، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له اشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يغري بالمسلمين ، وقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقبه فخر وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث اليه خالد بن الوليد يأخذ من السلب ، قال عوف فاتيته فقلت ياخالد اما علمت ان رسول الله (ص) قضى بالسلب للقاتل ؟ قال بلى ولكني استكثرته ، فقلت به ؟ فقلت لتردنه اليه اولا عرفنكها عند رسول الله (ص) ، فابى أن يرد عليه . قال عوف فاجتمعنا عند رسول الله (ص) ، فقصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد فقال رسول الله (ص) « يا خالد رد عليه ما أخذت منه » قال عوف فقلت دونك ياخالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله (ص) وما ذاك فاخبرته فغضب رسول الله (ص) وقال « ياخالد لا ترد عليه هل أنتم تاركوا أمرائي لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره » قال الوليد سألت ثورا عن هذا الحديث فحدثني عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عوف بنحوه . ورواه مسلم وأبو داود من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك به نحوه وهذا يقتضي انهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم ، وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خالدا رضي الله عنه قال اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي الا صفحة يمانية ، وهذا يقتضي انهم اثخنوا فيهم قتلا ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم ، وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم . وهذا هو

اختيار موسى بن عقبة والواقدى والبيهق وحكاه ابن هشام عن الزهرى . قال البيهق رحمه الله : إ[illegible] اختلف أهل المغازى فى فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب الى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهر و على المشركين وأن المشركين انهزموا . قال وحديث أنس بن مالك عن النبى (ص) « ثم أخذها خالد ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن اسحاق أن قطبة بن قتادة العذرى ـ وكان رأس ميمنة المسلمين ـ حمل على مالك بن زافلة ويقال رافلة . وهو أمير أعراب النصارى فقتله وقال يفتخر بذلك :

طعنتُ ابنَ رافلةَ بنَ الاراش ... برمحٍ مضى فيه ثم انحطم

ضربتُ على جيدهِ ضَربةً ... فمال كما مال غُصن السَّلَمْ

وسُقنا نساءَ بنى عمّهِ ... غداةَ رقوقين سَوْقَ النَّعَم

وهذا يؤيد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش اذا قتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه صرح فى شعره بأنهم سبوا من نسائهم وهذا واضح فيما ذكرناه والله اعلم . واما ابن اسحاق فانه ذهب الى أنه لم يكن الا المحاشاة والتخلص من أيدى الروم وسمى هذا نصراً وفتحاً أى باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، فكان مقتضى العادات أن يصطلحوا بالكلية ، فلما تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام فى هذا المقام وهذا متحمل لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام « ففتح الله عليهم » والمقصود أن ابن اسحاق يستدل على ما ذهب اليه فقال : وقد قال فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم قيس بن المحسر اليعمرى يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس يقول :

فواللهِ لا تَنفكُّ نفسي تلومني ... على موقفي والخيلُ قابعةٌ قبل

وقفتُ بها لا مستجيزاً فنافذاً ... ولا مانعاً من كان حُمّ له القتل

على أني آسيتُ نفسي بخالدٍ ... ألا خالدٌ فى القوم ليس له مِثْل

وجاشتْ اليّ النفسُ من نحوجعفرٍ ... بمؤتةَ إذْ لا ينفَعُ النَّابلَ النَّبل

وضمّ إلينا حجرتيهم كليهما ... مهاجِرةٌ لا مشركون ولا عُزْل

قال ابن اسحاق : فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه . قال ابن هشام : واما الزهرى فقال ـ فيما بلغنا عنه ـ أمّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع الى المدينة .

فصل

قال ابن أسحاق . حدثنى عبدالله بن أبى بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر بنت محمد بن

جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عميس قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله (ص) وقد دبغت أربعين منا، وعجنت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم ، فقال رسول الله (ص) « إئتني ببني جعفر » فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه ، فقلت يارسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال « نعم أصيبوا هذا اليوم » قالت فقمت أصيح واجتمع الى النساء وخرج رسول الله (ص) إلى أهله فقال « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » وهكذا رواه الامام أحمد من حديث ابن اسحاق ورواه ابن اسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى عن أم عون بنت محمد بن جعفر عن أسماء فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون . وقال الامام أحمد حدثنا سفيان ثنا جعفر بن خالد عن أبيه عن عبدالله بن جعفر قال : لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي (ص) « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمر يشغلهم : أو أتاهم ما يشغلهم » وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد بن سارة المخزومي المكي عن أبيه عن عبدالله بن جعفر وقال الترمذي حسن . ثم قال محمد بن اسحاق حدثني عبدالرحمن بن القاسم عن ابيه عن عائشة زوج النبي (ص) قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله (ص) الحزن . قالت فدخل عليه رجل فقال يارسول الله [إن النساء] عييننا وفتننا ، قال « أرجع اليهن فاسكتهن » قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت [يقول] وربما ضر التكلف - يعني أهله - [قالت قال فاذهب] فأسكتهن فان أبين فاحثوا في أفواههن التراب » قالت [وقلت في نفسي أبعدك الله فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله (ص)، قالت وعرفت أنه لا يقدر يحثي في أفواههن التراب . إنفرد به ابن اسحاق من هذا الوجه وليس في شيء من الكتب وقال البخاري ثنا قتيبة ثنا عبد الوهاب سمعت يحيى بن سعيد قال أخبرتني عمرة قالت سمعت عائشة تقول : لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله (ص) يعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة وأنا اطلع من صاير الباب - شق - فأتاه رجل فقال : أي رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاءهن ، فامره أن ينهاهن قالت فذهب الرجل ثم أتى فقال والله لقد غلبننا ، فزعمت أن رسول الله (ص) قال « فاحث في أفواههن من التراب » قالت عائشة رضي الله عنها فقلت أرغم الله أنفك ، فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله (ص) من العناء . وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن يحيى بن سعيد الانصاري عن عمرة عنها . وقال الأمام أحمد حدثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله (ص) جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر ، فان قتل أو استشهد

فأميركم عبد الله بن رواحة » فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه وأتى خبرهم النبي (ص) فخرج الى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: « إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيداً أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه » قال ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال « لا تبكوا على أخي بعد اليوم، أدعوا لي بني أخي » قال فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال « ادعوا لي الحلاق » فجيء بالحلاق فحلق رؤسنا، ثم قال « أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي » ثم أخذ بيدي فأشالها وقال « اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات. قال فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح [1] له فقال « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟ » ورواه أبو داود ببعضه، والنسائي في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ثم نهاهم عنه بعدها. ولعله معنى الحديث الذي رواه الامام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله بن شداد عن اسماء أن رسول الله (ص) قال لها لما اصيب جعفر « تسلبي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت » تفرد به أحمد فيحتمل أنه أذن لها في التسلب وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة في الاحداد ثلاثة أيام. ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الاحداد المعتاد والله أعلم. ويروى تسلي ثلاثاً - أي تصبري ثلاثاً - وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم. فاما الحديث الذي قال الامام أحمد حدثنا يزيد ثنا محمد بن طلحة ثنا الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله (ص) اليوم الثالث من قتل جعفر فقال لا تحدي بعد يومك هذا. فانه من أفراد احمد أيضاً وإسناده لا بأس به ولكنه مشكل إن حمل على ظاهره لانه قد ثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميتها أكثر من ثلاثة أيام الا على زوج أربعة أشهر وعشراً » فان كان ما رواه الأمام احمد محفوظا فتكون مخصوصة بذلك أو هو أمر بالمبالغة في الاحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم والله أعلم.

---

(١) في النهاية تفسيرا لهذا الخبر: فهو من افرحه اذا غمه وازال عنه الفرح (ثم قال) وان كان بالجيم فهو من المفرج الذي لا عشيرة له حتى قال لها النبي (ص) أتخافين العيلة وأنا وليهم.

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فآليتُ لا تنفكُّ نفسي حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عيناً من رأى مثله فتى أكرّ وأحمى في الهياج وأصبرا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها فخطبها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فتزوجها فأولم وجاء الناس للوليمة فكان فيهم على بن أبى طالب ، فلما ذهب الناس استأذن على أبا بكر رضى الله عنهما فى أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها على : — على وجه البسط — من القائلة فى شعرها :

فآليت لا تنفك نفسي حزينة عليك ولا ينفك جلدى أغبرا ؟

قالت دعنا منك يا أبا الحسن فانك امرؤ فيك دعابة . فولدت للصديق محمد بن أبى بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله (ص) ذاهب الى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل وتهل وسيأتى فى موضعه ، ثم لما توفى الصديق تزوجها بعده على بن أبى طالب وولدت له أولاداً رضى الله عنه وعنها وعنهم أجمعين .

فصل

قال ابن اسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله (ص) والمسلمون ، قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله (ص) مقبل مع القوم على دابة ، فقال « خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابن جعفر » فأتى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يافرار فررتم فى سبيل الله ! قال فيقول رسول الله (ص) « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله » وهذا مرسل . وقد قال الامام أحمد ثنا أبو معاوية ثنا عاصم عن مورق العجلى عن عبد الله بن جعفر قال كان رسول الله (ص) اذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته ، وأنه قدم من سفر فسبق بى اليه ، قال فحملنى بين يديه ثم قال « جئ باحد بنى فاطمة » إما حسن وإما حسين ، فاردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة . وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث عاصم الاحول عن مورق به . وقال الامام أحمد ثنا روح حدثنا ابن جريج ثنا خالد بن سارة أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتنى وقثم وعبيد الله ابنى العباس ونحن صبيان نلعب اذ مر النبى (ص) على دابة فقال « ارفعوا هذا الى » فحملنى أمامه وقال لقثم « ارفعوا هذا الى » فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحب الى عباس من قثم فما استحى من عمه أن حمل قثما وتركه قال ، ثم مسح على رأسه ثلاثا وقال كلما مسح « اللهم اخلف جعفراً فى ولده » قال

قلت لعبد الله ما عمل قثم ؟ قال استشهد ؟ قال قلت الله ورسوله أعلم بالخير ؟ قال أجل . ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج به . [وهـذا كان بعد الفتح فان العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح فاما الحديث رواه الامام أحمد ثنا اسماعيل ثنا حبيب بن الشهيد عن عبد الله بن أبي مليكة قال قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر اذ تلقينا رسول الله (ص) أنا وأنت وابن عباس ؟ قال نعم فحملنا وتركك . وبهذا اللفظ أخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الاجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه والله أعلم]

فصل

في فضل هؤلاء الامراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم

اما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قصاعة الكلبي القضاعي مولى رسول الله (ص). وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فاغارت عليهم خيل فأخذوه فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ؛ وقيل اشتراه رسول الله (ص) لها فوهبته من رسول الله (ص) قبل النبوة فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله (ص) فاعتقه وتبناه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، وكان رسول الله ص يحبه حباً شديداً ، وكان أول من أسلم من الموالي ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى [وما جعل أدعياءكم أبناءكم] وقوله تعالى [ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله] وقوله تعالى [ما كان محمد أبا أحد من رجالكم] وقوله [وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها] الآية أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى أنعم الله عليه أي بالاسلام ، وأنعمت عليه أي بالعتق ، وقد تكلمنا عليها في التفسير . والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة في القرآن غيره ، وهداه الى الاسلام وأعتقه رسول الله (ص) وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له الحب بن الحب ، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش وآخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه في الامرة على ابن عمه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة كما ذكرناه . وقد قال الامام أحمد والامام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة ـ وهذا لفظه ـ ثنا محمد بن

عبيد عن وائل بن داود سمعت البهى يحدث أن عائشة كانت تقول : ما بعث رسول الله (ص) زيد ابن حارثة فى سرية الا أمّره عليهم، ولو بقى بعد لاستخلفه . ورواه النسائى عن أحمد بن سلمان عن محمد بن عبيد الطنافسى به . وهذا اسناد جيد قوى على شرط الصحيح وهو غريب جدا والله أعلم.

وقال الامام أحمد ثنا سليمان ثنا اسمعيل أخبرنى ابن دينار عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله (ص) بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس فى أمرته ، فقام رسول الله (ص) فقال « ان تطعنوا فى إمرته فقد كنتم تطعنون فى إمرة أبيه من قبل ، وايم الله ان كان لخليقاً للامارة و إن كان لمن أحب الناس الىّ وان هذا لمن أحب الناس الى بعده » واخرجاه فى الصحيحين عن قتيبة عن اسمعيل ـ هو ابن جعفر بن أبى كثير المدنى ـ عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فذكره ورواه البخارى من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر عن عبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر ثم استغربه من هذا الوجه ، وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا عمر بن اسمعيل عن مجالد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت . لما أصيب زيد ابن حارثة وجىء بأسامة بن زيد وأوقف بين يدى رسول الله (ص) فدمعت عينا رسول الله (ص) فأخر ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال « ألاقى منك اليوم ما لقيت منك أمس » وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم . وقد تقدم فى الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول « أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب . ثم أخذها عبد الله بن رواحة فاصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » قال وإن عينيه لتذرفان ، وقال وما يسرهم أنهم عندنا وفى الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة فهم ممن يقطع لهم بالجنة وقد قال حسان بن ثابت يرثى زيد بن حارثة وابن رواحة :

عينُ جُودي بدمعِك المنزورِ ... واذكُرِي فى الرَّخاء أهلَ القبور
واذكرِي مُؤتةً وما كانَ فيها ... يوم راحوا فى وقعة التغوير
حين راحوا وغادروا ثَمّ زيداً ... نعم مأوى الضَّرِيكِ والمأسور
حِبَّ خيرِ الأنامِ طُرّاً جميعاً ... سيِّد الناسِ حُبّه فى الصُّدور
ذاكُم أحمدُ الذى لاسواه ... ذاك حُزنى لهُ معاً وسُرورى
إن زيداً قد كان منّا بأمرٍ ... ليس أمر المكذِّبِ المغرور
ثم جُودى للخزرجىِّ بدمعٍ ... سيِّداً كانَ ثم غيرَ نزور
قد أتانا منْ قتلِهم ما كفانا ... فبِحُزن نَبيتُ غير سرور

واما جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عم رسول الله (ص) وكان أكبر

من أخيه على بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، أسلم جعفر قديماً وهاجر الى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك فى هجرة الحبشة ولله الحمد . وقد قدم على رسول الله (ص) يوم خيبر فقال عليه الصلاة السلام « ما أدرى أنا بأيهما أسر ، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر » وقام اليه واعتنقه وقبل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية « أشبهت خَلقى وخُلقى » فيقال إنه حجل عند ذلك فرحاً كما تقدم فى موضعه ولله الحمد والمنة ولما بعثه الى مؤتة جعل فى الامرة مصلياً — أى نائباً — لزيد بن حارثة ، ولما قتل وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو فى ذلك كله مقبل غير مدبر ، وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للواء فلما فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال إن رجلا من الروم ضرب به بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله ، وقد أخبر عنه رسول الله (ص) بانه شهيد ، فهو ممن يقطع له بالجنة . وجاء بالاحاديث تسميته بذى الجناحين . وروى البخارى عن ابن عمر أنه كان اذا سلم على أبنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا ابن ذى الجناحين ، و بعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما فى الصحيح عن ابن عمر . قالوا لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة وقد تقدم بعض ما روى فى ذلك . قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا على بن حجر ثنا عبد الله بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال (ص) « رأيت جعفراً يطير فى الجنة مع الملائكة » وتقدم فى حديث أنه رضى الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثين سنة . وقال ابن الاثير فى الغابة كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين ، قال وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل إنه كان أسن من على بعشر سنين يقتضى أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره احدى وعشرين سنة ، و يوم مؤتة كان فى سنة ثمان من الهجرة والله أعلم . وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطيار لما ذكرنا ، وكان كريما جواداً ممدحاً ، وكان لكرمه يقال له أبا المساكين لاحسانه اليهم . قال الامام احمد وحدثنا عفان بن وهيب ثنا خالد عن عكرمة عن أبى هريرة قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله (ص) أفضل من جعفر بن أبى طالب وهذا إسناد جيد الى أبى هريرة وكأنه إنما يفضله فى الكرم ، فاما فى الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصديق والفاروق بل وعثمان بن عفان أفضل منه ، واما أخوه على رضى الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو على أفضل منه ، وانما أراد أبو هريرة تفضيله فى الكرم بدليل ما رواه البخارى ثنا

أحمد بن أبي بكر ثنا محمد بن ابراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهني عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ، أن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة وأني كنت ألزم رسول الله (ص.) بشبع بطني خبز لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لاستقرئ الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج الينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها . تفرد به البخاري . وقال حسان ابن ثابت يرثي جعفراً :

ولقدْ بَكيتُ وعزّ مهلكُ جعفرٍ ... حِبِّ النبي على البرية كلها
ولقدجَزعتُ وقلتُ حين نُعيتَ لي ... من للجِلاد لدَى العُقاب وظلها
بالبيض حين تُسلُّ من أغمادِها ... ضرباً وإنهالِ الرماح وعَلِّها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفرٍ ... خير البريّة كلّها وأجلّها
رُزءاً وأكرمها جميعاً محتِدا ... وأعزّها متظلّما وأذلها
للحقّ حين ينوبُ غيرَ تنحّلٍ ... كذباً وأنداها يدا وأقلّها
فُحشاً وأكثرها اذا ما يُجتدى ... فضلاً وأنداها يداً وأبلّها
بالعُرفِ غيرَ محمدٍ لامثلُه ... حيٌّ من أحياءِ البرية كلّها

واما ابن رواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الاكبر بن مالك بن الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج أبو محمد ويقال أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو الانصاري الخزرجي وهو خال النعمان بن بشير ، اخته عمرة بنت رواحة أسلم قديما وشهد العقبة وكان أحد النقباء ليلتئذ لبني الحارث بن الخزرج وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وكان يبعثه على خرصها كما قدمنا وشهد عمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله (ص.) وقيل بغرزها ـ يعني الركاب ـ وهو يقول * خلوا بني الكفار عن سبيله * الأبيات كما تقدم . وكان أحد الامراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدم وقد شجع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في ذلك وشجع نفسه أيضاً حتى نزل بعد ما قتل صاحباه ، وقد شهد له رسول الله (ص.) بالشهادة فهو ممن يقطع له بدخول الجنة . ويروى أنه لما أنشد النبي (ص.) شعره حين ودعه الذي يقول فيه :

فثبتَ اللهُ ما آتاك من حسنٍ ... تثبيت موسى ونصراً كالذي نُصروا

قال له رسول الله (ص.) « وأنت فثبتك الله » قال هشام بن عروة : فثبته الله حتى قتل شهيدا ودخل الجنة . وروى حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى

رسول الله (ص) وهو يخطب فسمعه يقول « اجلسوا » فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبي (ص) ، فقال « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » وقال البخاري فى صحيحه وقال ابن معاذ اجلس بنا نؤمن ساعة . وقد ورد الحديث المرفوع فى ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك فقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد عن عمارة عن زياد النحوى عن أنس قال . كان عبد الله بن رواحة اذا لقى الرجل من أصحابه يقول . تعال نؤمن بربنا ساعة ، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء فقال يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبي (ص) « رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة » وهذا حديث غريب جدا وقال البيهقى ثنا الحاكم ثنا أبو بكر ثنا محمد بن أيوب ثنا أحمد بن يونس ثنا شيخ من أهل المدينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن عبدالله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى نؤمن ساعة . قال أو لسنا بمؤمنين ؟ قال بلى ولكنا نذكر الله فنزداد إيمانا . وقد روى الحافظ أبو القاسم اللاكائى(١) من حديث أبى اليمان عن صفوان بن سليم عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول . قم بنا نؤمن ساعة فنجلس فى مجلس ذكر . وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك فى أول شرح البخارى ولله الحمد والمنة . وفى صحيح البخارى عن أبى الدرداء قال . كنا مع رسول الله (ص) فى سفر فى حر شديد وما فينا صائم إلا رسول الله (ص) وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه ، وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، ومما نقله البخارى من شعره فى رسول الله (ص) :

وفينا رسولُ الله تتلوا كتابه ... إذا انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطع
يبيتَ يجافى جنبه عن فراشِه ... إذا استُثقِلتْ بالمشركين المضاجعُ
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقناتٌ أنّ ما قالَ واقِعُ

وقال البخارى حدثنا عمران بن ميسرة ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عامر عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبدالله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى : واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئا الا قيل لى أنت كذلك ؟ حدثنا قتيبة ثنا خيثمة عن حصين عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه وقد قدمنا مارثاه به حسان بن ثابت مع غيره وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضى الله عنهم :

كفى حزنا أني رجعتَ وجعفرٌ ... وزيدٌ وعبدُ الله فى رمسِ أقبُرِ

(١) كذا فى الاصل وفى الحلبية : اللاكائى والمحفوظ : اللالكائى .

قضوا نَحْبَهم لمّا مضَوا لسبيلهم وخُلّفتُ للبلوى مَعَ المتغيِّر

وسيأتى إن شاء الله تعالى بقية مارثى به هؤلاء الامراء الثلاث من شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضى الله عنهما وأرضاهما .

فصل في من استشهد يوم مؤتة

فمن المهاجرين جعفر بن أبى طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبى ، ومسعود بن الاسود بن حارثة بن نصلة العدوى ، ووهب بن سعد بن أبى سرح ، فهؤلاء أربعة نفر . ومن الانصار عبد الله ابن رواحة ، وعباد بن قيس الخزرجيان ، والحارث بن النعمان بن اساف بن نضلة النجارى ، وسراقة ابن عمرو بن عطية بن خنساء المازنى ، أربعة نفر . فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية على ماذكره ابن اسحاق لكن قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مؤتة مما ذكره ابن شهاب الزهرى أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيان وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى فهؤلاء أربعة من الانصار أيضاً فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلا وهذا عظيم جدا أن يتقاتل جيشان متعاديان فى الدين أحدهما وهو الفئة التى تقاتل فى سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة وعدتها مائتا الف مقاتل ، من الروم مائة الف ، ومن نصارى العرب مائة الف ، يتبارزون و يتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلا وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول لقد اندقت فى يدى يومئذ تسعة أسياف وماصبرت فى يدى الا صفيحة يمانية فماذا ترى قد قتل بهذه الاسياف كلها ؟ ! دع غيره من الابطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تحكموا فى عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن ، فى ذلك الزمان وفى كل أوان . وهذا مما يدخل فى قوله تعالى [وقد كان لكم فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ترونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الابصار] .

حديث فيه فضيلة عظيمة لامراء هذه السرية

وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم . قال الامام العالم الحافظ أبو زرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازى نضر الله وجهه فى كتابه دلائل النبوة ــ وهو كتاب جليل ــ حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى ثنا الوليد ثنا ابن جابر . وحدثنا عبد الرحمن بن

إبراهيم الدمشقي ثنا الوليد وعمرو ـ يعني ابن عبد الواحد ـ قالا : ثنا ابن جابر سمعت سليم بن عامر الخبائري يقول أخبرني أبو أمامة الباهلي سمعت رسول الله (ص) يقول « بينا أنا نائم إذا أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلا وعراً فقالا اصعد ، فقلت لا أطيقه فقالا إنا سنسهله لك قال فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة فقلت ما هؤلاء الاصوات ؟ فقالا عواء أهل النار ثم انطلقا بي فاذا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما فقلت ما هؤلاء ؟ فقالا هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم فقال خابت اليهود والنصارى » قال سليم سمعه من رسول الله (ص) ام من رأيه ؟ « ثم انطلقا بي فاذا قوم أشد شيء انتفاخاً وأنتن شيء ريحاً كأن ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قالا هؤلاء قتلى الكفار ثم انطلقا بي فاذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن شيء ريحاً كان ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الزانون والزواني ثم انطلقا بي فاذا بنساء ينهش ثديهن الحيات فقلت ما بال هؤلاء ؟ قالا هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن البانهن ثم انطلقا بي فاذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت من هؤلاء قالا هؤلاء ذراري المؤمنين ثم أشرفا بي شرفاً فاذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت من هؤلاء ؟ قالا هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة ثم أشرفا بي شرفا آخر فاذا أنا بنفر ثلاثة فقلت من هؤلاء قالا هذا ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

ما قيل من الاشعار في غزوة مؤتة

قال ابن أسحاق . وكان مما بكى به أصحاب مؤتة قول حسان :

تأوبني ليل بيثرب أعسرُ ... وهمٌّ اذا ما نوّم الناس مسهرُ
لذكرى حبيبٍ هيّجت ليَ عَبرة ... سَفوحاً وأسبابُ البكاءِ التذكر
بلى إن فقدانَ الحبيبِ بليّةٌ ... وكم من كريم يبتلا ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا ... شعوباً وخَلْفاً بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا (١) ... بمؤتةَ منهم ذو الجناحين جعفر
وزيدٌ وعبد الله حين تتابعوا (١) ... جميعاً وأسبابُ المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... الى الموتِ ميمونُ النقيبة أزهر
أغرّ كضوء البدر من آل هاشم ... أبيٌّ إذا سِيمَ الظلامةَ مجسر
فطاعنَ حتى مال غيرَ مؤسد ... بمعترك فيه القنا متكسّر

(١-١) في الاصول في الموضعين : تبايعوا والتصحيح من ابن هشام .

فصار مع المستشهدين ثوابُهُ جِنانٌ وملتفُّ الحدائق أخضر
وكنا نرى فى جعفرٍ من محمد وفاءً وأمراً حازماً حين يأمر
ومازالَ فى الاسلامِ من آل هاشمٍ دعائمُ عزٍّ لا يُزَلْن ومفخَر
هُموا جبلُ الاسلامِ والناس حولهم رُضامٌ الى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهر
بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمّه علِيٌّ ومنهم أحمدُ المتخيَّر
وحمزةُ والعبّاسُ منهم ومنهموا عَقيلٌ وماء العُودِ من حيثُ يعصر
بهم تُفرَج اللأْواءُ فى كل مأزقٍ عَماسٍ(١) اذا ماضاق بالناس مُصدَر
همُ أولياءُ الله أنزلَ حُكْمَهُ عليهم وفيهم ذا الكتابُ المطهر

وقال كعب بن مالك رضى الله عنه :

نامَ العيونُ ودمعُ عينِك يَهمِلُ سحّاً كما وَكَفَ الطباب المخضل(٢)
فى ليلة وردتْ علَيّ همومُها طَوراً أخنُّ وتارة أتمهل (٣)
واعتادني حزنٌ فبتُّ كأنني ببناتِ نعشٍ والسّماكِ موكل
وكأنما بينَ الجوانحِ والحشا مما تأوَّبني شهابٌ مدخل
وجداً على النفرِ الّذين تتابعوا يوماً بمؤتةَ أسنَدوا لم ينقلوا
صلى الأله عليهمُ من فتيةٍ وسقى عظامَهُمُ الغمامُ المسبِل
صبروا بمؤتةَ للأله نفوسَهم حذر الردى ومخافةً أن ينكلوا
فمضَوا أمام المسلمين كأنهم فنقٌ عليهنّ الحديدُ المرفَل
إذ يهتدون بجعفرٍ ولوائه قُدام أولهم فنِعْمَ الأول
حتى تفرّجتِ الصفوفُ وجعفرٌ حيثُ التقى وعثُ الصفوف مجدّل
فتغير القمرُ المنير لفقده والشمس قد كُسفت وكادت تأفل
قرمٌ علا بنيانه من هاشمٍ فرعاً أشمّ وسؤدداً ما ينقل
قومٌ بهم عَصَمَ الالهُ عبادَهُ وعليهمُ نزلَ الكتابُ المنزل
فضُلوا المعاشرَ عزّةً وتكرُّما وتغمّدت أحلامُهم من يجهل
لا يطلقون الى السفاه حُباهموا ويرى خطيبَهُمُ بحقٍّ يفصل

(١) العماس المظلم والأعمس الضعيف البصر . (٢) فى الأصل الظباء المخضل وهو تصحيف . والطباب كما فى السهيلى جمع طبابة وهى سير بين خرزتين فى المزادة فاذا كان غير محكم وكف منه الماء . وأيضا جمع طبة وهى شقة مستطيلة . (٣) كذا فى الاصل و فى ابن هشام : أتململ .

بيضُ الوجوه ترى بطونَ أكفّهم   تَنْدى اذا اعتذرَ الزمانُ الممحل
وبهَدْيهم رضيَ الالهُ لخلقه   وبجدِّهم [1] نُصر النبيّ المرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب بعث رسول الله (ص) الى ملوك الآفاق وكتبه اليهم

ذكر الواقدى أن ذلك كان فى آخر سنة ست فى ذى الحجة بعد عمرة الحديبية ، وذكر البيهقى هذا الفصل فى هذا الموضع بعد غزوة مؤتة والله أعلم . ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة و بعد الحديبية لقول أبى سفيان لهرقل حين سأله هل يغدر فقال لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها . وفى لفظ البخارى وذلك فى المدة التى مادّ فيها أبو سفيان رسول الله (ص) . وقال محمد بن اسحاق : كان ذلك ما بين الحديبية و وفاته عليه السلام . ونحن نذكر ذلك هاهنا و إن كان قول الواقدى محتملا والله أعلم. وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المعْنى عن عبد الاعلى عن سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك ان رسول الله (ص) كتب قبل مؤتة الى كسرى وقيصر و إلى النجاشى و إلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشى الذى صلى عليه . وقال يونس ابن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس حدثنى أبو سفيان من فيه إلى فىّ قال : كنا قوماً تجارا وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة ـ هدنة الحديبية ـ بيننا و بين رسول الله (ص) لا نأمن إن وجدنا أمناً ، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلا الا وقد حملنى بضاعة ، وكان وجه متجرنا من الشام غزة من أرض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان فى بلاده من الفرس فأخرجهم منها و رد عليه صليبه الاعظم وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بحمص من الشام فخرج منها يمشى متشكرا إلى بيت المقدس ليصلى فيه تبسط له البسط و يطرح عليها الرياحين ، حتى انتهى إلى ايلياء فصلى بها فاصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء ، فقالت له بطارقته أيها الملك لقد أصبحت مهموماً ؟ فقال أجل ، فقالوا وما ذاك ؟ فقال أريت فى هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر ، فقالوا والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن الا اليهود وهم تحت يديك وفى سلطانك فان كان قد وقع ذلك فى نفسك

(١) كذا فى الاصول وفى ابن هشام : بحدهم بالحاء المهملة .

منهم فابعث فى مملكتك كلها فلا يبقى يهودى الا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم . فأنهم فى ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع اليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والابل يحدثك عن حدث كان ببلاده فاسأله عنه ، فلما انتهى اليه قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذى كان فى بلاده ؟ فسأله فقال هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبى وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن فخرجت من بلادى وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر قال جردوه فاذا هو مختتن فقال هذا والله الذى قد أريت لا ما تقولون ، أعطه ثوبه . انطلق لشأنك . ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له قلب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتى برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه ، قال أبو سفيان فوالله إنى وأصحابى لبغزة اذ هجم علينا فسألنا ممن أنتم ؟ فأخبرناه فساقنا اليه جميعاً فلما انتهينا اليه قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الاغلف - يريد هرقل - قال فلما انتهينا اليه قال أيكم أمس به رحماً ؟ فقلت أنا ، قال ادنوه منى ، قال فأجلسنى بين يديه ثم أمر أصحابى فأجلسهم خلفى وقال : إن كذب فردوا عليه ، قال أبو سفيان فلقد عرفت أنى لو كذبت ما ردوا على ولكنى كنت امرأً سيداً أتكرم وأستحى من الكذب وعرفت أن أدنى ما يكون فى ذلك أن يرووه عنى ثم يتحدثونه عنى بمكة فلم أكذبه ، فقال أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج فيكم ، فزهدت له شأنه وصغرت له أمره ، فقلت سلنى عما بدا لك ؟ قال كيف نسبه فيكم ؟ فقلت محضاً من أوسطنا نسباً ، قال فأخبرنى هل كان من اهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت لا قال فأخبرنى هل له ملك فاسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه ؟ فقلت لا قال فأخبرنى عن اتباعه من هم ؟ فقلت الأحداث والضعفاء والمساكين فاما أشرافهم وذووا الانساب منهم فلا ، قال فأخبرنى عمن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه ؟ قلت ما صحبه رجل ففارقه قال فأخبرنى عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت سجال يدال علينا وندال عليه . قال فأخبرنى هل يغدر فلم أجد شيئاً أغره به إلا هى قلت لا ونحن منه فى مدة ولا نأمن غدره فيها . فوالله ما التفت اليها منى قال فأعاد على الحديث ، قال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبى لا يأخذه الا من أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به فقلت لا ، وسألتك هل كان له ملك فاسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه فقلت لا ، وسألتك عن اتباعه فزعمت أنهم الاحداث والمساكين والضعفاء وكذلك أتباع الأنبياء فى كل زمان ، وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلبا فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال يدال عليكم وتدالون عليه وكذلك يكون حرب الانبياء

ولهم تكون العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر فلئن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه، ثم قال الحق بشأنك قال فقمت وأنا أضرب إحدى يدي على الاخرى وأقول: يا عباد الله لقد أمر [أمر ابن أبي كبشة، وأصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم. قال ابن اسحاق: وحدثني] الزهري قال حدثني أسقف من النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال: قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله (ص) فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فان أبيت فان إثم الاكاريين عليك. قال فلما انتهى اليه كتابه وقرأه أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته ثم كتب الى رجل من اهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله (ص) فكتب اليه إنه النبي الذي ينتظر لا شك فيه فاتبعه، فأمر بعظماء الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم امر بها فاشرحت(١) عليهم واطلع عليهم من علية له وهو منهم خائف فقال: يامعشر الروم إنه قد جاءني كتاب احمد و إنه والله النبي الذي كنا ننتظر ونجد ذكره في كتابنا نعرفه بعلاماته و زمانه فاسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم فنخروا نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم، فخافهم وقال ردوهم على فردوهم عليه فقال لهم يامعشر الروم إني إنما قلت لكم هذه المقاله أختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم في دينكم؟ فلقد رأيت منكم ما سرني فوقعوا له سجدا ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا. وقد روى البخاري قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أخرأ حببنا أن نوردها بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين ومافيهما من الفوائد. قال البخاري قبل الايمان من صحيحه حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ثناشعيب عن الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أن عبد الله بن عباس اخبره أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله (ص) ماد فيها أباسفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسباً، قال ادنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه، فوالله لولا أن يؤثروا عني كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال كيف نسبه فيكم؟ قلت هو فينا ذونسب قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت لا قال فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت بل ضعفاؤهم قال أيزيدون أم ينقصون؟ قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه

(١) كذا بالأصل ولعلها: فأسرجت عليهم.

بعد أن يدخل فيـه ؟ قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالـكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت لا قال فهل يغدر ، قلت لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال ولم يمكنى كلة أدخل فيها شيئا غير هذه الـكلمة ، قال فهل قاتلتموه ؟ قلت نعم قال فـكيف كان قتالـكم إياه ؟ قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه ، قال ماذا يأمركم ؟ قلت يقول اعبدوا الله وحـده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه [من ملك] فذكرت أن لا فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالـكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الـكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبـدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمىّ هاتين . وقـد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منـكم فلو أعلم أنى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله صـ الذى بعث به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فاذا فيه ؛ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعـد ؛ فانى أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك إثم الاريسيين و (يا أهل الـكتاب تعالوا إلى كلة سواء بيننا وبينـكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الـكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات وأخرجنا ، فقلت لاصحابى حين خرجنا لقد أمِرَ أمر ابن أبى كبشة أنه يخافه ملك بنى الاصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علىّ الاسلام قال وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك ؟ قال ابن الناطور : وكان هرقل حزّاء ينظر فى النجوم ، فقال لهم حين سألوه إنى رأيت حين نظرت فى النجوم ملك الختان

قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمم ؟ قالوا ليس يختتن الا اليهود ولا يهمنك شأنهم وا كتب الى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود . فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبرهم عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا ؟ فنظروا اليه فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال هم يختتنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الامة قد ظهر . ثم كتب إلى صاحب له برومية ـ وكان نظيره فى العلم ـ وسار هرقل إلى حمص فلم يرم بحمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبى ﷺ وهو نبى ، فأذن هرقل لعظماء الروم فى دسكرة له بحمص ثم أمر بابوابها فغلقت . ثم اطلع فقال . يامعشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم ؟ فتتابعوا لهذا النبى ، فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم على . وقال إنى إنما قلت مقالتى آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر شأن هرقل . قال البخارى : ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمر عن الزهرى . وقد رواه البخارى فى مواضع كثيرة فى صحيحه بالفاظ يطول استقصاؤها وأخرجه بقيه الجماعه الا ابن ماجه من طرق عن الزهرى . وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولا فى أول شرحنا لصحيح البخارى بما فيه كفاية وذكرنا فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية ولله الحمد والمنة وقال ابن لهيعة عن الاسود عن عروة قال خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً فى نفر من قريش ، بلغ هرقل شأن رسول الله ﷺ فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن رسول الله ﷺ ، فارسل إلى صاحب العرب الذى بالشام فى ملكه يأمره أن يبعث اليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل اليه ثلاثين رجلا منهم أبو سفيان ابن حرب ، فدخلوا عليه فى كنيسه إيلياء التى فى جوفها ، فقال هرقل أرسلت اليكم لتخبرونى عن هذا الذى بمكة ما أمره ؟ قالوا ساحر كذاب وليس بنبى ، قال فاخبرونى من أعلمكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله ، فلما أخبروه ذلك أمر بهم فاخرجوا عنه ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره . قال اخبرنى يا أبا سفيان ؟ فقال هو ساحر كذاب ، فقال هرقل إنى لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال هو والله من بيت قريش ، قال كيف عقله ورأيه ؟ قال لم يعب له رأى قط . قال هرقل هل كان حلافاً كذاباً مخادعاً فى أمره ؟ قال لا والله ما كان كذلك ، قال لعله يطلب ملكا أو شرفاً كان لاحد من اهل بيته قبله ؟ قال ابو سفيان لا ، ثم قال من يتبعه منكم هل يرجع اليكم منهم أحد ؟ قال لا ، قال هرقل هل يغدر اذا عاهد ؟ قال لا إلا أن يغدر مدته هذه . فقال هرقل وما تخاف من مدته هذه ؟ قال إن قومى أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة ، قال هرقل إن كنتم أنتم بدأتم فانتم أغدر ، فغضب ابو سفيان وقال لم يغلبنا الا مرة واحدة وأنا يومئذ غائب وهو يوم

بدر ، ثم غزوته مرتين في بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان والفروج ، فقال هرقل كذاباً تراه أم صادقا فقال بل هو كاذب ، فقال إن كان فيكم نبي فلا تقتلوه فان أفعل الناس لذلك اليهود . ثم رجع أبو سفيان ففي هذا السياق غرابة وفيه فوائد ليست عند ابن اسحاق ولا البخاري . وقد اورد موسى ابن عقبة في مغازيه قريبا مما ذكره عروة بن الزبير والله اعلم . وقال ابن جرير في تاريخه : حدثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم قال إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله (ص) ، والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب الى صغاطر الاسقف فاذكر له أمر صاحبكم فهو والله في الروم أعظم مني وأجوز قولا عندهم مني ، فانظر ماذا يقول لك ؟ قال فجاء دحية فاخبره بما جاء به من رسول الله (ص) الى هرقل وبما يدعو اليه ، فقال صغاطر والله صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه ، ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً ولبس ثياباً بياضاً ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من احمد يدعونا فيه الى الله واني أشهد أن لا اله الا الله وأن احمد عبده ورسوله . قال فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه قال فلما رجع دحية الى هرقل فاخبره الخبر قال قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا ، فصغاطر والله كان أعظم عندهم واجوز قولا مني ! وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن ابيه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبي قال : بعثني رسول الله (ص) الى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت استأذنوا لرسول رسول الله (ص) ، فأتى قيصر فقيل له إن على الباب رجلا يزعم أنه رسول رسول الله ففزعوا لذلك وقال أدخله فادخلني عليه وعنده بطارقته فاعطيته الكتاب فاذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ، فنخر ابن أخ له احمر ازرق سبط فقال لا تقرأ الكتاب اليوم فانه بدأ بنفسه وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم ، قال فقرئ الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث الي فدخلت عليه فسألني فاخبرته ، فبعث الى الاسقف فدخل عليه — وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله — فلما قرأ الكتاب قال الاسقف : هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر . قال قيصر فما تأمرني ؟ قال الاسقف أما أنا فاني مصدقه ومتبعه ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم ! وبه قال محمد بن اسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء اهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروج من ارض الشام الى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي (ص) جمع الروم فقال : يامعشر الروم إني عارض

عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها ؟ قالوا ما هي ؟ قال تعلمون والله ان هذا الرجل لنبي مرسل نجده نعرفه بصفته التي وصف لنا فهلم فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا فقالوا نحن نكون تحت ايدى العرب ونحن أعظم الناس ملكا ، وأكثره رجالا . وأقصاه بلداً ؟ ! قال فهلم أعطيه الجزية كل سنة أكسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه ؛ قالوا نحن نعطى العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمه ملكا ، وأمنعه بلدا ، لا والله لا نفعل هـذا أبدا ، قال فهلم فلأصالحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعني وأرض الشام ، قال وكانت أرض سورية : فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب سورية ، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام . فقالوا نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت أنها أرض سورية الشام لا نفعل هذا أبدا ، فلما أبوا عليه قال أما والله لتودن أنكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال ثم جلس على بغل له فانطلق حتى اذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال : السلام عليك يا أرض سوريه تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل قسطنطينية والله أعلم .

ارساله (ص) الى ملك العرب من النصارى بالشام

قال ابن اسحاق . ثم بعث رسول الله ص شجاع بن وهب أخا بنى أسد بن خزيمة الى المنذر ابن الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب دمشق [1] . قال الواقدى : وكتب معه : سلام على من اتبع الهدى وآمن به ، وادعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك . فقدم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال ومن ينتزع ملكى ؟ إنى سأسير اليه .

بعثه الى كسرى ملك الفرس

وروى البخارى من حديث الليث عن يونس عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ص ، بعث بكتابه مع رجل الى كسرى وأمره أن يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزقه قال فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله ص ، أن يمزقوا كل ممزق . وقال عبد الله بن وهب عن يونس عن الزهرى حدثنى عبد الرحمن بن عبد القارى أن رسول الله ص، قام ذات يوم على المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فانى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الاعاجم فلا تختلفوا على كما اختلفت بنو اسرائيل على عيسى بن مريم » فقال المهاجرون . يا رسول الله إنا لا نختلف عليك فى شىء أبداً فمرنا وابعثنا ، فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى فأمر كسرى بايوانه أن يزين

(١) كذا بالاصل ، وفى ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الاسدى الى الحارث بن شمر الغسانى ملك تخوم الشام . ثم جاء برواية أخرى أنه بعثه الى جبلة بن الأيهم الغسانى .

ثم اذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا اليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فاذا فيه : من محمد بن عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس . قال فاغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع ابن وهب فاخرج ، فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ثم قال : والله ما أبالي على أي الطريقين أكون إذ أديت كتاب رسول الله (ص) . قال ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث الى شجاع ليدخل عليه فالتمس فلم يوجد ، فطلب إلى الحيرة فسبق ، فلما قدم شجاع على النبي (ص) أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله (ص) ، فقال رسول الله (ص) « مزق كسرى ملكه » وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أبي سلمة أن رسول الله (ص) بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى ؟ فلما قرأه مزقه ، فلما بلغ رسول الله (ص) قال « مزق ملكه » وقال ابن جرير[1] حدثنا أحمد بن حميد ثنا سلمة ثنا ابن اسحاق عن زيد بن أبي حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فاني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فان تسلم تسلم وإن أبيت فان إثم المجوس عليك . قال فلما قرأه شقه وقال : يكتب إلي بهذا وهو عبدي ؟ ! قال ثم كتب كسرى الى باذام وهو نائبه على اليمن أن ابعث الى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به ، فبعث باذام قهرمانه - وكان كاتبا حاسباً - بكتاب فارس وبعث معه رجلا من الفرس يقال له خرخرة ، وكتب معهما الى رسول الله (ص) يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى وقال : لأبا ذويه إيت بلاد هذا الرجل وكلمه وائتني بخبره ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه فقال هو بالمدينة ، واستبشر أهل الطائف - يعني وقريش بهما - وفرحوا . وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل ، فخرجا حتى قدما على رسول الله (ص) فكلمه أبا ذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذام يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثني اليك لتنطلق معي ، فان

(١) في ابن جرير اختلاف في الأسماء فانه سمى باذام باذان واباذويه بابويه وخرخرة خرخسرة الى غير ذلك فراجعه في السنة السادسة .

فعلت كتب لك الى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك . ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر اليهما وقال « ويلكما من أمركما بهذا ؟ » قالا أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ولكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي » ثم قال « ارجعا حتى تأتياني غداً » قال وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله . قال فدعاهما فأخبرهما فقالا هل تدرى ما تقول ؟ إنا قد نقمنا عليك ماهو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال « نعم اخبراه ذاك عني وقولا له إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي الى الخف والحافر ، وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الابناء » ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فأخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول وليكونن ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأياً . فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد ؛ فاني قد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم ، فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانطلق الى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال وقد قال باذويه لباذام : ما كلمت أحداً أهيب عندي منه فقال له باذام هل معه شرط ؟ قال لا قال الواقدي رحمه الله وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها .

قلت وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر الحرام وهو قول بعض الشعراء :

قتلوا كسرى بليل محرما   فتولى لم يمتع بكفن

وقال بعض شعراء العرب :

وكسرى إذ تقاسمه بنوه   بأسياف كما اقتسم اللحام

تمخضت المنون له بيوم   أتى ولكل حاملة تمام

وروى الحافظ البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن أبي بكرة أن رجلا من أهل فارس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربي قد قتل الليلة ربك » قال وقيل له - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - إنه قد استخلف ابنته فقال « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » . قال

البيهقى : وروى فى حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ص ، رسل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له : ألا تكفينى أمر رجل قد ظهر بارضك يدعونى الى دينه ، لتكفينه أو لأفعلن بك ، فبعث اليه فقال لرسله « أخبروه أن ربى قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال . قال وروى داود بن أبى هند عن عامر الشعبى نحو هذا . ثم روى البيهقى من طريق أبى بكر بن عياش عن داود بن أبى هند عن أبيه عن أبى هريرة قال أقبل سعد الى رسول الله ص) فقال : « إن فى وجه سعد خبراً » فقال يا رسول الله هلك كسرى » فقال « لعن الله كسرى أول الناس هلا كا فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسول الله (ص) بهلاك كسرى لذينك الرجلين يعنى الاميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وشاع فى البلاد وكان سعد بن أبى وقاص أول من سمع جاء الى رسول الله ص ، فاخبره بوفق إخباره عليه السلام وهكذا بنحو هذا التقدير ذكره البيهقى رحمه الله . ثم روى البيهقى من غير وجه عن الزهرى أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه بلغه أن كسرى بينما هو فى دسكرة ملكه بعث له - أو قيض له - عارض يعرض عليه الحق فلم يفجأ كسرى الا برجل يمشى وفى يده عصاً فقال . يا كسرى هل لك فى الاسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى نعم لا تكسرها ، فولى الرجل فلما ذهب أرسل كسرى الى حجابه فقال من أذن لهذا الرجل على ؟ فقالوا ما دخل عليك أحد ، فقال كذبتم ، قال فغضب عليهم وتهددهم ثم تركهم . قال فلما كان رأس الحول أتى ذلك الرجل ومعه العصا قال يا كسرى هل لك فى الاسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال نعم لا تكسرها ، فلما انصرف عنه دعا حجابه قال لهم كالمرة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له هل لك يا كسرى فى الاسلام قبل أن أكسر العصا فقال لا تكسرها لا تكسرها فكسرها ، فأهلك الله كسرى عند ذلك . وقال الامام الشافعى : انبأ ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال . « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فوالذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » أخرجه مسلم من حديث ابن عيينة واخرجاه من حديث الزهرى به . قال الشافعى ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله (ص) مزقه فقال رسول الله (ص) « يمزق ملكه » وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله (ص) ووضعه فى مسك ، فقال رسول الله (ص) « ثبت ملكه » قال الشافعى وغيره من العلماء ولما كانت العرب تأتى الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوا خوفهم من ملكى العراق والشام الى رسول الله (ص) فقال « اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » قال فباد ملك

الا كاسرة بالكلية و زال ملك قيصر عن الشام بالكلية ، و إن ثبت لهم ملك فى الجلة ببركة دعاء رسول الله (ص) لهم حين عظموا كتابه والله أعلم .

قلت : وفى هذا بشارة عظيمة بان ملك الروم لا يعود أبداً الى أرض الشام . وكانت العرب تسمى قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم ، وكسرى لمن ملك الفرس ، والنجاشى لمن ملك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية ، وفرعون لمن ملك مصر كافراً ، و بطليموس لمن ملك الهند ولهم أعلام أجناس غير ذلك وقد ذكرناها فى غير هذا الموضع والله اعلم . وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبى عوانة عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله (ص) « لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى فى القصر الابيض » وروى اسباط عن سماك عن جابر بن سمرة مثل ذلك وزاد : وكنت أنا وأبى فيهم فأصبنا من ذلك الف درهم .

بعثه (ص) الى المقوقس

صاحب مدينة الاسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : حدثنى الزهرى عن عبد الله بن عبد القارى أن رسول الله (ص) بعث حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندريه فمضى بكتاب رسول الله (ص) اليه ، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرحه الي النبي (ص) ، وأهدى له مع حاطب كسوة و بغلة بسرجها وجاريتين احداهما أم ابراهيم واما الاخرى فوهبها رسول الله (ص) لمحمد بن قيس العبدى . رواه البيهقى ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبى بلتعة قال : بعثنى رسول الله (ص) الى المقوقس ملك الاسكندرية ، قال فجئته بكتاب رسول الله (ص) فانزلنى فى منزله وأقمت عنده ، ثم بعث الى وقد جمع بطارقته وقال : إنى سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عنى قال قلت هلم قال أخبرنى عن صاحبك أليس هو نبي ؟ قلت بل هو رسول الله ، قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده الى غيرها ؟ قال فقلت عيسى ابن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال بلى قلت فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بان يهلكهم الله حيث رفعه الله الى سماء الدنيا ؟ فقال لى : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعث بها معك الى محمد وارسل معك مبذرقة يبذرقونك الى مأمنك ، قال فاهدى الى رسول الله (ص) ثلاث جوار منهن أم ابراهيم ابن رسول الله (ص) ، وواحدة وهبها رسول الله (ص) لحسان بن ثابت الانصارى ، وأرسل اليه بطرف من طرفهم . وذكر ابن اسحاق أنه أهدى الى رسول الله (ص) أربع جوار احداهن مارية أم ابراهيم والاخرى سيرين التى وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قلت : وكان فى جملة الهدية غلام أسود خصى اسمه مابور وخفين ساذجين أسودين و بغلة بيضاء اسمها الدلدل ، وكان مابور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره بادى الأمر فصار يدخل على مارية كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصى حتى قال بعضهم إنه الذى أمر رسول الله (ص) على بن أبى طالب بقتله فوجده خصيا فتركه والحديث فى صحيح مسلم من طريق . . . (١)

قال ابن اسحاق : و بعث سليط بن عمرو بن عبدود أخا بنى عامر بن لؤى إلى هوذه بن على صاحب اليمامة و بعث العلاء بن الحضرمى إلى جيفر بن الجلندى وعمار بن الجلندى الازديين صاحبى عمان (٢)

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقى هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا : بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص الى ذات السلاسل من مشارف الشام فى بلىّ وعبد الله ومن يليهم من قضاعة . قال عروة بن الزبير و بنو بلى أخوال العاص بن وائل ، فلما صار الى هناك خاف من كثرة عدوه فبعث الى رسول الله (ص) يستمده ، فندب رسول الله (ص) المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمر فى جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم اجمعين ، وأمّر عليهم رسول الله (ص) أبا عبيدة بن الجراح . قال موسى بن عقبة فلما قدموا على عمرو قال أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله (ص) أستمده بكم ، فقال المهاجرون بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين ، فقال عمرو إنما أنتم مدد أمددته ، فلما رأى ذلك ابو عبيدة ـ وكان رجل حسن الخلق لين الشيمة ـ قال : تعلم ياعمرو أن آخر ماعهد الى رسول الله (ص) أن قال : « إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » وإنك إن عصيتنى لأطيعنك . فسلم أبو عبيدة الامارة لعمرو بن العاص . وقال محمد بن اسحاق حدثنى محمد ابن عبد الرحمن بن عبدالله بن الحصين التميمى قال : بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص يستنفر العرب الى الاسلام (٣) وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بنى بلى فبعثه رسول الله (ص) اليهم يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بارض جذام يقال له السلاسل ـ و به سميت تلك الغزوة ذات السلاسل ـ قال فلما كان عليه وخاف بعث الى رسول الله (ص) يستمده فبعث اليه أباعبيدة بن الجراح

---

(١) بياض فى الاصل الحلبى والمصرية وفى التيمورية : اقتصر على قوله فى صحيح مسلم .

(٢) ليست هـذه الجملة فى التيمورية وفى ابن هشام أنه بعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين ، وعمرو بن العاص الى جيفر وعبد ابنى الجلندى وسليط الى ثمامة بن أثال وهوذة بن على . (٣) فى ابن هشام : الى الشام وأحسبه خطأ .

فى المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبى عبيدة حين وجهه «لا تختلفا» فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنما جئت مددا لى، فقال له أبو عبيدة لا ولكنى على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه. وكان أبو عبيدة رجلا ليناً سهلا، هيناً عليه أمر الدنيا. فقال له عمرو أنت مددى فقال له أبو عبيدة يا عمرو إن رسول الله (ص) قد قال لى: «لا تختلفا» وإنك إن عصيتنى أطعتك، فقال له عمرو فانى أمير عليك وإنما أنت مدد لى، قال فدونك فصلى عمرو بن العاص بالناس. وقال الواقدى: حدثنى ربيعة بن عثمان عن يزيد بن رومان أن أبا عبيدة لما آب الى عمرو ابن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بلى ودوخها، وكلما انتهى الى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقوا حتى انتهى الى أقصى بلاد بلى وعذرة وبلقين ولقى فى آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة، وتراموا بالنبل ساعة، ورمى يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هرباً فى البلاد وتفرقوا ودوخ عمرو ما هناك أو قام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه. وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن فى ذلك أكثر من ذلك، ولم تكن غنائم تقسم. وقال ابو داود ثنا ابن المثنى ثنا وهب بن جرير ثنا أبى سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب عن عمران بن أبى أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص. قال: احتلمت فى ليلة باردة فى غزوة ذات السلاسل فاشفقت إن اغتسلت أن أهلك، قال فتيممت ثم صليت بأصحابى الصبح فذكروا ذلك لرسول الله (ص). فقال «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» قال فاخبرته بالذى منعنى من الاغتسال وقلت إنى سمعت الله يقول [ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما] فضحك نبى الله (ص) ولم يقل شيئاً. حدثنا محمد بن سلمة ثنا ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد ابن أبى حبيب عن عمران بن أبى انس عن عبد الرحمن بن جبير عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص ــ وكان على سرية ــ فذكر الحديث بنحوه قال فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم صلى بهم فذكر نحوه ولم يذكر التيمم. قال ابو داود: وروى هذه القصة عن الأوزاعى عن حسان بن عطية وقال فيه فتيمم. وقال الواقدى حدثنى أفلح بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رقيش عن أبى بكر بن حزم قال كان عمرو بن العاص حين قفلوا احتلم فى ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد، فقال لاصحابه ما ترون والله احتلمت فان اغتسلت مت، فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم ثم قام فصلى بهم، فكان أول من بعث عوف بن مالك بريداً، قال عوف فقدمت على رسول الله (ص) فى السحر وهو يصلى فى بيته فسلمت عليه فقال رسول الله (ص). «عوف بن مالك؟» فقلت عوف بن مالك يا رسول الله، قال «صاحب الجزور؟» قلت نعم ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً ثم قال «أخبرنى»

فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان من أبى عبيدة وعمرو ومطاوعة أبى عبيدة ، فقال رسول الله (ص) « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » قال ثم أخبرته أن عمراً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ ، فسكت رسول الله (ص) فلما قدم عمرو على رسول الله (ص) سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذى بعثك بالحق إنى لو اغتسلت لمت لم أجد برداً قط مثله . وقد قال تعالى [ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما] قال فضحك رسول الله (ص) ولم يبلغنا أنه قال شيئاً .

وقال ابن اسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن عوف بن مالك الاشجعى قال كنت فى الغزوة التى بعث فيها رسول الله (ص) عمرو بن العاص وهى غزوة ذات السلاسل فصحبت أبا بكر وعمر فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يبعضوها وكنت امرءاً جازراً ، فقلت لهم تعطونى منها عشراً على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا نعم فأخذت الشفرة فجزأتها مكانى وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابى فاطبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أنى لك هذا اللحم ياعوف ؟ فأخبرتهما فقالا لا والله ماأحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن مافى بطونهما منه ، فلما أن قفل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله (ص) فجئته وهو يصلى فى بيته فقلت السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فقال « أعوف بن مالك ؟ » فقلت نعم بأبى أنت وأمى فقال « صاحب الجزور ؟ » ولم يزدنى على ذلك شيئاً . هكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبى حبيب عن عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل . قال الحافظ البيهقى : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبى أيوب عن يزيد بن أبى حبيب عن ربيعة بن لقيط عن مالك بن زهدم أظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه إلا أنه قال : فعرضته على عمر فسألنى عنه فأخبرته فقال قد تعجلت أجرك ولم يأكله. ثم حكى عن أبى عبيدة مثله ولم يذكر فيه أبا بكر وتمامه كنحو ما تقدم . وقال الحافظ البيهقى انبا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم ثنا يحيى ابن أبى طالب ثنا على بن عاصم ثنا خالد الحذاء عن أبى عثمان النهدى سمعت عمرو بن العاص يقول بعثنى رسول الله (ص) على جيش ذات السلاسل وفى القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسى أنه لم يبعثنى على أبى بكر وعمر الا لمنزلة لى عنده ، قال فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله من أحب الناس اليك قال « عائشة » ؟ قلت إنى لست أسألك عن أهلك قال « فأبوها » قلت ثم من ؟ قال « عمر » قلت ثم من ؟ حتى عدد رهطاً قال قلت فى نفسى لا أعود أسأل عن هذا ، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء عن أبى عثمان النهدى واسمه عبد الرحمن بن مل حدثنى عمرو بن العاص أن رسول الله (ص) بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت أى الناس أحب اليك ؟ قال « عائشة » قلت فمن الرجال ؟ قال « أبوها » قلت ثم من ؟ قال « ثم عمر بن الخطاب »

فعدد رجالا . وهذا لفظ البخارى وفى رواية قال عمرو. فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم .

سرية ابي عبيدة الى سيف البحر

قال الامام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال : بعث رسول الله (ص) بعثاً قبل الساحل وأمّر عليهم أباعبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة قال جابر وأنا فيهم ، فخرجنا حتى اذا كنا ببعض الطريق فنى الزاد فأتوا أباعبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كله فكان مزودى تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فنى ولم يكن يصيبنا الا تمرة تمرة ، قال فقلت وما تغنى تمرة ؟ فقال لقد وجدنا فقدها حين فنيت . قال ثم انتهينا الى البحر فاذا حوت مثل الظرب ، قال فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشر ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ثم أمر براحلته فرحلت ثم مر تحتها فلم يصبهما . أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك بنحوه وهو فى الصحيحين أيضاً من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بعثنا رسول الله (ص) فى ثلثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش ،فاصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط قال ونحر رجل ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم ثلاثاً فنهاه أبو عبيدة ، قال وألقى البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر وادّهنا حتى ثابت الينا أجسامنا وصلحت ثم ذكر قصة الضلع . فقوله فى الحديث نرصد عيراً لقريش دليل على أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية والله أعلم والرجل الذى نحر لهم الجزائر هو قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما . وقال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو بكر بن اسحاق ثنا اسمعيل بن قتيبة ثنا يحيى بن يحيى ثنا أبو خيثمة وهو زهير بن معاوية عن أبى الزبير عن جابر قال : بعثنا رسول الله (ص) وأمّر علينا أبا عبيدة نتلقى عيراً لقريش وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة . قال فقلت كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال كنا نمصها كما يمص الصبى ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله ، قال فانطلقنا الى ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فاذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله (ص) وفى سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا ، قال فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد كنا نغرف من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه الفدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم فى عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فاقامها ثم رحّل أعظم بعير منها فمر تحتها وتزودنا من لحمها وشايق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله (ص) فذكرنا ذلك له فقال « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمه تطعمونا ؟ » قال فأرسلنا الى رسول الله (ص) فأكل منه . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس وابو داود عن النفيلى ثلاثتهم عن أبى

حيثمة زهير بن معاوية الجعفي الكوفي عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الانصاري به .

قلت : ومقتضى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ولكن أوردناها هاهنا تبعا للحافظ البيهقي رحمه الله فانه أوردها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح . الله أعلم . وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد الى الحرقات من جهينة فقال حدثنا عمرو بن محمد ثنا هشيم انبأنا حصين بن جندب ثنا أبو ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ﷺ الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله ، فكف الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال « يا أسامة أقتلته بعد ماقال لا اله الا الله ؟ » قلت كان متعوذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف . ثم روى البخاري من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الاكوع قال : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضى الله عنهما . ثم ذكر الحافظ البيهقي هاهنا موت النجاشي صاحب الحبشة على الاسلام ونعي رسول الله ﷺ له الى المسلمين وصلاته عليه . فروى من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى الى الناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات أخرجاه من حديث مالك وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه . وأخرجاه من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصحمة » وقد تقدمت هذه الاحاديث أيضاً والكلام عليها ولله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير فان في صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشي وليس هو بالمسلم ، وزعم آخرون كالواقدي أنه هو والله أعلم . وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن موسى بن عقبة عن أبيه عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال « قد أهديت الى النجاشي أواق من مسك وحلة وإني لأراه قد مات ، ولا أرى الهدية الا سترد علي فان ردت علي — أظنه قال — قسمتها بينكن أو فهي لك » قال فكان كما قال رسول الله ﷺ ، مات النجاشي وردت الهدية فلما ردت عليه أعطى امرأة من نسائه أوقية ، من ذلك المسك ، وأعطى سائره أم سلمة ، وأعطاها الحلة والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . غزوة الفتح الأعظم وكانت فى رمضان سنة ثمان

وقد ذكرها الله تعالى فى القرآن فى غير موضع فقال تعالى [لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى] الآية . وقال تعالى [إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا] .

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن اسحاق حدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه جميعاً قالا : كان فى صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم [فتواثبت خزاعة وقالوا نحن ندخل فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل فى عقد قريش وعهدهم] فمكثوا فى تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرا ثم إن بنى بكر وثبوا على خزاعة ليلا بماء يقال له الوتير وهو قريب من مكة ، وقالت قريش ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد ، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ ، وأن عمرو بن سالم ركب عند ما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوتير حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبره الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشدها إياه :

يارب إنى ناشدٌ محمداً حِلفَ أبيه وأبينا الأتلدا
قد كنتمُو وُلداً وكنا والدا ثُمّتَ أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصرْ رسولَ الله نصراً أبدا وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا
فيهم رسولُ الله قد تجردا إن سيم خسفاً وجهه تربدا
فى فيلقٍ كالبحر يجري مُزبدا إنّ قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضُوا ميثاقكَ المؤكّدا وجعلوا لى فى كداءٍ رَصَدا
وزعموا أن لستُ أدعو أحدا فهم أذلُّ وأقلُّ عددا
هم بيّتونا بالوتير هُجّدا وقتلونا رُكّعاً وسُجّدا

فقال رسول الله ﷺ « نصرت ياعمرو بن سالم » فما برح حتى مرت بنا عنانة فى السماء فقال

رسول الله (ص) « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب » وأمر رسول الله (ص) الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه وسأل الله أن يعمى على قريش خبره حتى يبغتهم فى بلادهم .

قال ابن اسحاق . وكان السبب الذى هاجهم أن رجلا من بنى الحضرمى اسمه مالك بن عباد من حلفاء الاسود بن رزن خرج تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بنى خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بنى الاسود بن رزن الدئلى وهم منخر بنى كنانة وأشرافهم : سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند انصاب الحرم . قال ابن اسحاق : وحدثنى رجل من الدئل قال كان بنو الاسود بن رزن يودون فى الجاهلية ديتين ديتين قال ابن اسحاق : فبينا بنو بكر و خزاعة على ذلك إذ حجز بينهم الاسلام ، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر فى عقد قريش ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله (ص) ، وكانت الهدنة اغتنمها بنو الدئل من بنى بكر وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً من أولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدئلى فى قومه وهو يومئذ سيدهم وقائدهم وليس كل بنى بكر تابعه ، فبيت خزاعة وهم على الوتير ماء لهم فأصابوا رجلا منهم وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حاوزوا خزاعة الى الحرم ، فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة لا إله اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثأركم فلعمرى إنكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم ؟ ولجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء بمكة والى دار مولى لهم يقال له رافع ،وقد قال الاخزر ابن لعط الدئلى فى ذلك :

ألا هل أتى قصوى الأحابيش أننا ... رددنا بنى كعب بأفوق ناصل
حبسناهم فى دارة العبد رافع ... وعند بديل محبساً غير طائل
بدار الذليل الآخذ الضيم بعد ما ... شفينا النفوس منهم بالمناصل
حبسناهم حتى اذا طال يومهم ... نفخنا لهم من كل شعب بوابل
نذبحهم ذبح التيوس كأننا ... أسود نبارى فيهم بالقواصل
هم ظلمونا واعتدوا فى مسيرهم ... وكانوا لدى الانصاب أول قاتل
كأنهم بالجزع إذ يطردونهم ... قفا ثور حفان النعام الجوافل

قال فاجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب وكان يقال له بديل بن أم أصرم فقال :

تفاقد قوم يفخرون ولم ندع ... لهم سيداً يندوهم غير نافل
أمن خيفة القوم الاولى تزدريهم ... تجيز الوتير خائفاً غير آيل
وفى كل يوم نحن نحبوا حباءنا ... لعقل ولا يحبى لنا فى المعاقل

ونحن صبّحنا بالتلاعة [1] دارَكم باسيافنا يسبقْن لَوْمَ العواذل
ونحن منعنا بين بيضٍ وعتودٍ الى خيفِ رضوى من مجرّ القبائل
ويوم الغميم قد تكفتّ ساعياً عبيسَ فجعناه بجلْدٍ حلاحل
أإن أجرت فى بيتها أمُّ بعضِكم بجمموسها تنزُون إن لم نقاتل
كذبتم و بيتِ اللهِ ما إن قتلتموا ولكن تركنا أمركم فى بلابل

قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى سلمة أن رسول الله (ص) قال « كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم يشد فى العقد ويزيد فى المدة » قال ابن اسحاق : ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله (ص) فاخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله (ص) يشد العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا للذى صنعوا ، فلما اتى أبوسفيان بديلاً قال من أين أقبلت يابديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله (ص) فقال : سرت فى خزاعة فى هذا الساحل فى بطن هذا الوادى . قال فعمد أبوسفيان الى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً ، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (ص) طوته ، فقال يابنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أورغبت به عنى ؟ فقالت هو فراش رسول الله (ص) وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه ، فقال يابنية والله لقد أصابك بعدى شر ، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله (ص) فقال ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر أأنا أشفع لكم إلى رسول الله (ص) ؟ فوالله لو لم أجد لكم الا الذر لجاهدتكم به ، ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله (ص) وعندها حسن غلام يدب بين يديهما ، فقال ياعلى إنك أمس القوم بى رحماً وأقربهم منى قرابة ، وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لى الى رسول الله (ص) ، قال ويحك أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله (ص) على أمرما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال يابنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت : والله ما بلغ بنىّ ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على النبى (ص) ، فقال ياأبا الحسن إنى أرى الامور قد اشتدت على فانصحنى ؟ قال والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك ، ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بارضك ، فقال أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟ قال لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان فى المسجد فقال : أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس ، ثم ركب

(١) فى الاصول : بالبلاغة دارهم . والتصحيح عن ابن هشام .

بغيره فانطلق فلما أن قدم على قريش قالوا ما وراءك ؟ قال جئت محمداً فكلمته فوالله مارد على شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً ، ثم جئت عمر فوجدته أعدى عدو ، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم وقد أشار على بأمر صنعته فوالله ما أدرى هل يغنى عنا شيئاً أم لا ؟ قالوا بماذا أمرك ؟ قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت ، قالوا هل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا ويحك مازاد الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلت ، فقال لا والله ما وجدت غير ذلك [(فائدة) ذكرها السهيلى فتكلم على قول فاطمة فى هذا الحديث ؛ وما يجير أحد على رسول الله (ص) على ما جاء فى الحديث « ويجير على المسلمين أدناهم » قال : وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجير واحدا ونفرا يسيرا ، وقول فاطمة فمن يجير عددا من غزو الامام إياهم فليس له ذلك . قال كان سحنون وابن الماجشون يقولان : إن أمان المرأة موقوف على إجازة الامام لقوله لام هانئ « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » قال ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد . وقال أبو حنيفة : لا يجوز أمان العبد وفى قوله عليه السلام « ويجير عليهم أدناهم » ما يقتضى دخول العبد والمرأة والله أعلم][1] وقد روى البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قالت بنو كعب :

اللهم إنى ناشدٌ محمدا حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدا

فانصر هداك الله نصراً عتدا وادعُ عبادَ الله يأتوا مدداً

وقال موسى بن عقبة فى فتح مكة : ثم إن بنى نفاثة من بنى الدئل أغاروا على بنى كعب وهم فى المدة التى بين رسول الله (ص) وبين قريش ، وكانت بنو كعب فى صلح رسول الله (ص) ، وكانت بنو نفاثة فى صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بنى نفاثة وأعانتهم قريش بالسلاح والرقيق واعتزلتهم بنو مدلج ووفوا بالعهد الذى كانوا عاهدوا عليه رسول الله (ص) وفى بنى الدئل رجلان هما سيداهم ؛ سلمى ابن الاسود وكلثوم بن الاسود ، ويذكرون أن ممن أعانهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل ابن عمرو ، فاغارت بنو الدئل على بنى عمرو وعامتهم زعموا نساء وصبيان وضعفاء الرجال فألجؤهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بديل بن ورقاء بمكة ، فخرج ركب من بنى كعب حتى أتوا رسول الله (ص) فذكروا له الذى أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم فى ذلك ، فقال لهم رسول الله (ص) « ارجعوا فتفرقوا فى البلدان » وخرج أبو سفيان من مكة الى رسول الله (ص) وتخوف الذى كان ، فقال : يا محمد اشدد العقد [illegible] المدة ، فقال رسول الله (ص) « ولذلك قدمت ، هل كان من حدث قبلكم ؟ » فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل ، فخرج من عند رسول الله (ص) وأتى أبا بكر فقال : جدد العقد وزدنا فى المدة ؟ فقال أبو بكر : جوارى فى جوار رسول

(١) ما بين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية .

الله (ص)، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر بن الخطاب: ما كان من حلفنا جديد فأخلقه الله. وما كان منه مثبتاً فقطعه الله، وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله. فقال له أبو سفيان جزيت من ذى رحم شراً، ثم دخل على عثمان فكلمه فقال عثمان: جوارى فى جوار رسول الله (ص)، ثم اتبع أشراف قريش يكلمهم فكلهم يقول عقدنا فى عقد رسول الله (ص)، فلما يئس مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله (ص)، فكلمها فقالت إنما أنا امرأة وإنما ذلك إلى رسول الله (ص)، فقال لها فأمرى أحد ابنيك، فقالت إنهما صبيان ليس مثلهما يجير، قال فكلمى عليّاً، فقالت أنت فكلمه، فكلم عليّاً فقال له يا أبا سفيان إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله (ص) يفتات على رسول الله (ص) بجوار، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها فأجر بين عشيرتك، قال صدقت وأنا كذلك، فخرج فصاح ألا إنى قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد، ثم دخل على النبى (ص) فقال: يا محمد إنى قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ولا يرد جوارى؟ فقال « أنت تقول يا أبا حنظلة » فخرج أبو سفيان على ذلك فزعموا — والله أعلم — أن رسول الله (ص) قال حين أدبر أبو سفيان « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعوا بنا الا فجأة » وقدم ابو سفيان مكة فقالت له قريش ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال لا والله لقد أبى علىّ وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك عليهم أطوع منهم له، غير أن على بن أبى طالب قد قال لى التمس جوار الناس عليك ولا تجير أنت عليه وعلى قومك وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها أن لا تخفر جواره فقمت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أنى قد أجرت بين الناس وقلت ما أظن أن تخفرنى؟ فقال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة، فقالوا — مجيبين له — رضيت بغير رضى، وجئتنا بما لا يغنى عنا ولا عنك شيئاً وإنما لعب بك على لعمر الله ما جوارك بجائز وإن إخفارك عليهم لهين، ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت: قبحك الله من وافد قوم فما جئت بخير، قال ورأى رسول الله (ص) سحابا فقال « إن هذه السحاب لتبض بنصر بنى كعب » فمكث رسول الله (ص) ما شاء الله أن يمكث بعد ما خرج أبو سفيان، ثم أخذ فى الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفى ذلك، ثم خرج رسول الله (ص) إلى المسجد أو الى بعض حاجاته، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى، فقال لها يا بنية لم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت فقال أيريد رسول الله (ص) أن يغزو؟ فصمتت فقال يريد بنى الاصفر — وهم الروم — ؟ فصمتت قال فلعله يريد أهل نجد؟ فصمتت قال فلعله يريد قريشا؟ فصمتت قال فدخل رسول الله (ص) فقال له: يارسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً؟ قال نعم قال فلعلك تريد بنى الاصفر؟ قال لا: قال أتريد أهل نجد؟ قال لا، قال فلعلك تريد قريشاً؟ قال نعم، قال أبو

بكر يارسول الله أليس بينك و بينهم مدة ؟ قال « ألم يبلغك ما صنعوا ببنى كعب » ! قال وأذن رسول الله (ص) فى الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش وأطلع الله رسوله (ص) على الكتاب وذكر القصة كما سيأتى . وقال محمد بن اسحاق : حدثنى محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهى تغربل حنطة فقال ما هذا ؟ أمركم رسول الله (ص) بالجهاز؟ قالت نعم فتجهز ، قال والى أين ؟ قالت ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز قال ابن اسحاق : ثم إن رسول الله (ص) أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمر بالجد والتهيؤ وقال « اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها » فتجهز الناس فقال حسان يحرض الناس ويذكر مصاب خزاعة :

عناني ولم أشهدْ ببطحاء مكةٍ ... رجالُ بنى كعبٍ تُحَزُّ رقابها
بأيدى رجال لم يَسُلّوا سيوفَهم ... وقتلى كثيرٍ لم تُجنّ ثيابها
الا ليتَ شعرى هل تنالنّ نُصْرتي ... سهيل بن عمرو حرّها وعقابها
وصفوانَ عوداً حزّ من شفرِ استه ... فهذا أوانُ الحربِ شدّ عصابها
فلا تأمننّا يا ابنَ أمّ مُجالد ... اذا احتلبتْ صِرْفاً وأعصَل نابها
ولا تجزعوا منها فإن سيوفَنا ... لها وقعةٌ بالموت يفتح بابها

قصة حاطب بن أبي بلتعة

قال محمد بن اسحاق : حدثنى محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله (ص) المسير الى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله (ص) من الأمر فى السير اليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لى غيره أنها سارة مولاة لبعض بنى عبدالمطلب وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به ، وأتى رسول الله (ص) الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بنى أبى احمد فاستنزلاها فالتمساه فى رحلها فلم يجدا فيه شيئاً ، فقال لها على : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله (ص) ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض ، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه ، فأتى به رسول الله (ص) فدعا رسول الله (ص) حاطباً فقال « ياحاطب ما حملك على هذا ؟ » فقال : يارسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعنى فلأضرب عنقه

فان الرجل قد نافق ؟ فقال رسول الله (ص) « وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وأنزل الله فى حاطب [يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة] الى آخر القصة . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة مرسلة وقد ذكر السهيلى أنه كان فى كتاب حاطب أن رسول الله قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده . قال وفى تفسير ابن سلام أن حاطبا كتب ؛ إن محمداً قد نفر فاما اليكم وإما الى غيركم فعليكم الحذر . وقد قال البخارى ثنا قتيبة ثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرنى الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبى رافع سمعت علياً يقول : بعثنى رسول الله (ص) أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة ، فقلنا أخرجى الكتاب ، فقالت ما معى ، فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . قال فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله (ص) فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله (ص) فقال « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله لا تعجل على إنى كنت امرأً ملصقا [1] فى قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت اذا فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتى ، ولم أفعله ارتداداً عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال رسول الله (ص) « أما إنه قد صدقكم » فقال عمر : يارسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ؟ فقال « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فانزل الله سورة [يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء] الى قوله [فقد ضل سواء السبيل] وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الامام احمد ثنا حجين ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر ابن عبد الله أن حاطب بن أبى بلتعة كتب الى أهل مكة يذكر أن رسول الله (ص) أراد غزوهم ، فدل رسول الله (ص) على المرأة التى معها الكتاب فأرسل اليها فاخذ كتابها من رأسها وقال « ياحاطب أفعلت ؟ » قال نعم ، قال أما إنى لم أفعله غشاً لرسول الله (ص) ولا نفاقاً ، قد علمت أن الله مظهر رسوله ومتم له أمره غير أنى كنت غريبا بين ظهرانيهم وكانت والدتى معهم فأردت أن أتخذ يدا عندهم ، فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال « أتقتل رجلا من أهل بدر وما يدريك

(١) كذا فى الاصل . وقال السهيلى : كنت عزيزا وفسر العزيز بالغريب .

لعل الله قد اطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم » . تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الامام احمد و إسناده على شرط مسلم ولله الحمد .

فصل

قال ابن اسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله (ص) لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ،حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر الفا . وكذا قال الزهرى وموسى بن عقبة ، فسبعت سليم و بعضهم يقول ألفت سليم وألفت مزينة وفى كل القبائل عدد و إسلام ، وأوعب مع رسول الله (ص) المهاجرون والانصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . وروى البخارى عن محمود عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى نحوه . وقد روى البيهقى من حديث عاصم بن على عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى اخبرنى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله (ص) غزا غزوة الفتح فى رمضان . قال وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك لا أدرى أخرج فى ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج فى رمضان بعد ما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرنى أن ابن عباس قال صام رسول الله (ص) حتى بلغ الكديد ــ الماء الذى بين قديد وعسفان ــ أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر . ورواه البخارى عن عبد الله بن يوسف عن الليث غير أنه لم يذكر الترديد بين شعبان و رمضان . وقال البخارى ثنا على بن عبد الله ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله (ص) فى رمضان ، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بأناء فشرب نهاراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله (ص) فى السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس عن ابن اسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : مضى رسول الله (ص) لسفرة الفتح واستعمل على المدينة أبارهم كلثوم ابن الحصين الغفارى وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه حتى أتى الكديد بين عسفان وأمج فافطر ، ودخل مكة مفطرا فكان الناس يرون آخر الأمرين من رسول الله (ص) الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله . قال البيهقى : فقوله خرج لعشر من رمضان مدرج فى الحديث ، وكذلك ذكره عبدالله بن ادريس عن ابن اسحاق ، ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان عن جابر عن يحيى عن صدقة عن ابن اسحاق أنه قال : خرج رسول الله (ص) لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ثم روى

البيهقى من حديث أبى اسحاق الفزارى عن محمد بن أبى حفصة عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشر خلت من شهر رمضان قال البيهقى : وهذا الادراج وهم إنما هو من كلام الزهرى ، ثم روى من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهرى قال قال : غزا رسول الله (ص) غزوة الفتح – فتح – مكة فخرج من المدينة فى رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانى سنين ونصف سنة من مقدمه المدينة . وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان . وروى البيهقى من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله (ص) خرج فى رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر . فقال الزهرى و إنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث . قال الزهرى فصبح رسول الله (ص) مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، ثم عزاه فى الصحيحين من طريق عبد الرزاق والله أعلم . وروى البيهقى من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن عطية بن قيس عن أبى سعيد الخدرى قال : آذننا رسول الله (ص) بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله (ص) بالفطر فأصبح الناس مرحى منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى اذا بلغنا المنزل الذى نلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين . وقد رواه الامام احمد عن أبى المغيرة عن سعيد بن عبد العزيز حدثنى عطية بن قيس عمن حدثه عن أبى سعيد الخدرى قال : آذننا رسول الله بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواما حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله بالفطر فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر حتى اذا بلغ أدنى منزل يلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ماذكره الزهرى من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة فى ثانى شهر رمضان يقتضى أن مسيرهم كان بين مكة والمدينة فى إحدى عشرة ليلة . ولكن روى البيهقى عن أبى الحسين بن الفضل عن عبد الله بن جعفر عن يعقوب ابن سفيان عن الحسن بن الربيع عن ابن إدريس عن محمد بن اسحاق عن الزهرى ومحمد بن على ابن الحسين وعاصم بن عمر بن قتادة وعمرو بن شعيب وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة فى عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان . قال أبو داود الطيالسى : ثنا وهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن عبد الله قال : خرج رسول الله (ص) عام الفتح صائما حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركبانا وذلك فى شهر رمضان ، فقيل يارسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم و إنما ينظرون كيف فعلت ؟ فدعا رسول الله (ص) بقدح فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض حتى أخبر النبى (ص) أن بعضهم صائم فقال رسول الله (ص)

« أولئك العصاة » وقد رواه مسلم من حديث الثقفي والدراوردي عن جعفر بن محمد . وروى الامام أحمد من حديث محمد بن اسحاق حدثني بشير بن يسار عن ابن عباس قال : خرج رسول الله (ص) عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى اذا كان بالكديد دعا بماء في قعب وهو على راحلته فشرب والناس ينظرون يعلمهم أنه قد أفطر ، فافطر المسلمون ، تفرد به احمد .

فصل

في اسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص) وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله (ص) وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخي أم سلمة أم المؤمنين وهجرتهم الى رسول الله (ص) فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب الى فتح مكة

قال ابن اسحاق · وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله (ص) ببعض الطريق ، قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله (ص) عنه راض فيما ذكره ابن شهاب الزهري قال ابن اسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبدالله بن أبي أمية قد لقيا رسول الله (ص) ايضاً بنيق العُقاب فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت : يارسول الله إن ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال « لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي . وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال » (١) قال فلما خرج اليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بني له فقال : والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الارض ثم نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك النبي (ص) رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذر اليه مما كان مضى منه ·

لعمرُك أني يوم أحملُ رايةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ اللات خيلَ محمد
لكالمُدْلِج الحيرانِ أَظلم ليلُه ... فهذا أواني حين أُهدى وأَهتدي
هداني هادٍ غير نفسي ونالني ... مع الله من طُرِّدتُ كل مطرد
أصدُّ وأنأى جاهداً عن محمد ... وأُدعى وإن لم أنتسبْ من محمد
هموا ما هموا من لم يقلْ بهواهم ... وإن كان ذا رأيٍ يُلَمْ ويُفَنَّد
أريد لأرضيهم ولستُ بلائطٍ ... مع القوم ما لم أُهدَ في كل مقعد
فقل لثقيفٍ لا أريدُ قتالَها ... وقل لثقيفٍ تلك غيري أوعِدي

---

(١) قال السهيلي : يعني حين قال له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك .

فما كنتُ فى الجيش الذى نال عامرٌ وما كان عن جري لساني ولا يدى
قبائلُ جاءتْ من بلادٍ بعيدة نزائعُ جاءت من سِهام وسُرْدُد

قال ابن اسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله (ص) ونالنى مع الله من طردت كل مطرد ، ضرب رسول الله (ص) بيده فى صدره وقال « أنت طردتنى كل مطرد » .

فصل

ولما انتهى رسول الله (ص) الى مر الظهران نزل فيه فاقام كما روى البخارى عن يحيى بن بكير عن الليث ومسلم عن أبى الطاهر عن ابن وهب كلاهما عن يونس عن الزهرى عن أبى سلمة عن جابر قال : كنا مع رسول الله (ص) بمر الظهران نجتنى الكباث ، وإن رسول الله (ص) قال « عليكم بالأسود منه فانه أطيب » قالوا يا رسول الله أكنت ترعى الغنم ؟ قال « نعم وهل من نبى الا وقد رعاها » وقال البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبدالجبار عن يونس بن بكير عن سنان بن اسمعيل عن أبى الوليد سعيد بن مينا قال : لما فرغ أهل مكة ورجعوا أمرهم رسول الله (ص) بالمسير الى مكة ، فلما انتهى الى مر الظهران نزل بالعقبة فارسل الجناة يجتنون الكباث ، فقلت لسعيد وماهو ؟ قال ثمر الأراك قال فانطلق ابن مسعود فيمن يجتنى ، قال فجعل أحدهم اذا أصاب حبة طيبة قذفها فى فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقة ساق ابن مسعود وهو يرقى فى الشجرة فيضحكون فقال رسول الله (ص) « تعجبون من دقة ساقيه فوالذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد » وكان ابن مسعود ما اجتنى من شئ جاء به وخياره الى رسول الله (ص) فقال فى ذلك :

هذا جنايَ وخِيارُه فيه إذ كل جانٍ يدُهُ الى فِيه

و فى الصحيحين عن أنس قال : أنفجنا أرنباً ونحن بمر الظهران فسعى القوم فلغبوا فادركتها فأخذتها فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، و بعث إلى رسول الله (ص) بوركها وفخذيها فقبله . وقال ابن اسحاق : ونزل رسول الله (ص) مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله (ص) ولا يدرون ما رسول الله (ص) فاعل ، وخرج فى تلك الليالى ابو سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام و بديل بن ورقاء يتحسسون الاخبار و ينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به . وذكره ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة أن رسول الله (ص) بعث بين يديه عيوناً خيلا يقتصون العيون وخزاعة لا تدع أحداً يمضى وراءها ، فلما جاء أبو سفيان واصحابه أخذتهم خيل المسلمين وقام اليه عمر يجأ فى عنقه حتى أجاره العباس بن عبد المطلب وكان صاحباً لابى سفيان . قال ابن اسحاق : وقال العباس حين نزل رسول الله (ص) مر الظهران قلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله (ص)

مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش الى آخر الدهر ، قال فجلست على بغلة رسول الله (ص) البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله (ص) يخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة ، قال فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ماخرجت له إذ سمعت كلام أبى سفيان و بديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً . قال يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب ، قال يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة ؟ فعرف صوتى فقال أبو الفضل ؟ قال قلت نعم ، قال مالك فدى لك أبى وأمى ؟ قال قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله (ص) فى الناس فقال واصباح قريش والله ، فما الحيلة فداك أبى وأمى ؟ قال قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله (ص) فأستأمنه لك ، قال فركب خلفى ورجع صاحباه (١) وقال عروة : بل ذهبا الى النبى (ص) فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة . وقال الزهرى وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله (ص) . [قال ابن اسحاق : قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله (ص) وأنا عليها قالوا عم رسول الله (ص) على بغلة رسول الله (ص) ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا ؟ وقام الىّ ؛ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله [الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ؟ و زعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ فى رقبة أبى سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس . وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن عيون رسول الله (ص) أخذوهم بأزمة جمالهم فقالوا من أنتم ؟ قالوا وفد رسول الله (ص) فلقيهم العباس فدخل بهم على رسول الله فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم الى شهادة أن لا اله الا الله فشهدوا وأن محمدا رسول الله فشهد حكيم و بديل وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح ثم سألوه أن يؤمن قريشا فقال : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن – وكانت بأعلا مكة – ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن – وكانت بأسفل مكة – ومن أغلق بابه فهو آمن » قال العباس :] (٢) ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله (ص) وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطئ ، قال فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله (ص) ودخل عليه عمر ، فقال : يارسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى فلأضرب عنقه ؟ قال قلت يا رسول إنى قد أجرته ، ثم جلست الى رسول الله (ص) ، فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة دونى رجل ، فلما أكثر عمر فى شأنه قال قلت : مهلا ياعمر فوالله أن لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت

(١) صاحباه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام . (٢) ما بين المربعين عن المصرية فقط .

أنه من رجال بنى عبدمناف ، فقال مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى الا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب الى رسول الله صـ من إسلام الخطاب [لوأسلم] ، فقال رسول الله « اذهب به ياعباس الى رحلك فاذا أصبحت فأتنى به » قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صـ ، فلما [رآه قال] « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله ؟ » فقال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ » قال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فان فى النفس منها حتى الآن شيئا ، فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك ؟ قال فشهد شهادة الحق فأسلم ، قال العباس فقلت يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا ؟ قال: « نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » [زاد عروة ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهرى] [1] « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صـ ، « ياعباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها » [وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبا سفيان وبديلا وحكيم بن حزام كانوا وقوفا مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعدا لما قال لابى سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فشكى أبوسفيان الى رسول الله صـ ، فعزله عن راية الانصار وأعطاها الزبير بن العوام فدخل بها من أعلا مكة وغرزها بالحجون ، ودخل خالد من أسفل مكة فلقيه بنو بكر وهذيل فقتل من بنى بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهزموا فقتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد] [1] قال العباس : فخرجت بأبى سفيان حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله صـ ، أن أحبسه ، قال ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول سليم فيقول مالى ولسليم ، ثم تمر به القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول مزينة فيقول مالى ولمزينة ، حتى نفدت القبائل ما تمر به قبيلة إلا سألنى عنها فاذا أخبرته قال مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صـ فى كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله ياعباس من هؤلاء ؟ قال قلت هذا رسول الله صـ ، فى المهاجرين والانصار ، قال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما ! قال قلت يأبا سفيان إنها النبوة ، قال فنعم إذن، قال قلت النجاء إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلا صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل

(١ ـ ١) ما بين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية .

لـكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت اليه هند بنت عتبة فاخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم ، فقال أبو سفيان : ويلـكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم ما لا قبل لـكم به ، من دخـل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك ؟ قال ومن أغلق عليـه بابه فهو آمن ، ومن دخـل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد [وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله (ص) لما مر بأبي سفيان قال له : إني لأرى وجوها كثيرة لا أعرفها لقد كثرت هذه الوجوه علي ؟ فقال له رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومك إن هؤلاء صدقوني إذ كذبتموني ونصروني إذ أخرجتموني » ثم شكى اليه قول سعد بن عبادة حين مر عليه فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة . فقال رسول الله : « كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الـكعبة ويوم تـكسى فيه الـكعبة » وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ورأى الناس يجنحون للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة خاف وقال للعباس ما بالهم ؟ قال إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة ، فلما حضرت الصـلاة ورآهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ما يأمرهم بشيء الا فعلوه ؟ قال نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه . وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما توضأ رسول الله (ص) جعلوا يتكففون ، فقال يا عباس ما رأيت كالليلة ولا ملك كسرى وقيصر] (١) . وقد روى الحافظ البيهقي عن الحاكم وغيره عن الاصم عن أحمد بن الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكائي عن ابن اسحاق منقطعة فالله اعلم . على أنه قـد روى البيهقي من طريق أبي بلال الاشعري عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبي سفيان الى رسول الله (ص) قال فذكر القصة الا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله (ص) ، وأنه لما قال له رسول الله (ص) « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان وما تسع داري ؟ فقال « ومن دخل الـكعبة فهو آمن » قال وما تسع الـكعبة ؟ فقال « ومن دخل المسجد فهو آمن » قال وما يسع المسجد فقال « ومن أغلق عليـه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان هذه واسعة . وقال البخاري حدثنا عبيد بن اسمعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن ابيه قال : لما سار رسـول الله (ص) عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله (ص) وأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فاذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان ما هذه كأنها نيران عرفة ؟ فقال بديل بن ورقاء نيران بني

(١) ما بين المربعين لم يرد في النسخة الحلبية .

عمرو ، فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك ، فرآهم ناس من حرس رسول الله (ص) فأدركوهم فأخذوهم فأتوابهم رسول الله (ص) فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس «احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين» فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع رسول الله (ص) ، تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرت كتيبة فقال ياعباس من هذه ؟ قال هذه غفار قال مالى ولغفار ، ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال من هذه ؟ قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : ياعباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهى أقل الكتائب فيهم رسول الله (ص) وأصحابه وراية رسول الله (ص) مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول الله (ص) بأبي سفيان قال . ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال ما قال ؟ قال كذا وكذا فقال « كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » وأمر رسول الله (ص) أن تركز رايته بالحجون . قال عروة اخبرنى نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : هاهنا أمر رسول الله (ص) أن تركز الراية ؟ قال نعم قال وأمر رسول الله (ص) خالد بن الوليد أن يدخل من أعلا مكة من كداء ودخل رسول الله (ص) من كُدَى فقُتِلَ من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حنيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهرى .
وقال ابو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا يحيى بن آدم ثنا ادريس عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران ، فقال له العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فلو جعلت له شيئا ؟ قال « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صفة دخوله (ص) مكة

ثبت فى الصحيحين من حديث مالك عن الزهرى عن أنس أن رسول الله (ص) دخل مكة وعلى رأسه المغفر. فلما نزعه جاءه رجل فقال: إن ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال « اقتلوه » قال مالك ولم يكن رسول الله (ص) فيما نرى والله أعلم محرما . وقال أحمد ثنا عفان ثنا حماد انبأ أبو الزبير عن جابر أن رسول الله (ص) دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء . ورواه أهل السنن الاربعة من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذى حسن صحيح . ورواه مسلم عن قتيبة ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمار الدهنى عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله (ص) دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير احرام وروى مسلم من حديث أبي أسامة عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن

حريث عن أبيه قال : كأنى أنظر الى رسول الله (ص) يوم فتح مكة وعليه عمامة حرقانية سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه . وروى مسلم فى صحيحه والترمذى والنسائى من حديث عمار الدهنى عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله (ص) دخل مكة وعليه عمامة سوداء . وروى أهل السنن الاربعة من حديث يحيي بن آدم عن شريك القاضى عن عمار الدهنى عن أبى الزبير عن جابر قال : كان لواء رسول الله (ص) يوم دخل مكة ابيض . وقال ابن اسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن عائشة : كان لواء رسول الله (ص) يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة من مرط مرجل . وقال البخارى ثنا ابو الوليد ثنا شعبة عن عبد الله بن قرة قال سمعت عبد الله بن معفل يقول : رأيت رسول الله (ص) يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع وقال لولا أن يجتمع الناس حولى لرجعت كما رجع . وقال محمد بن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله (ص) لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة حمراء ، وأن رسول الله (ص) ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل . وقال الحافظ البيهقى أنبا أبو عبد الله الحافظ أنبا دعلج بن احمد ثنا احمد بن على الابار ثنا عبد الله بن أبى بكر المقدسى ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعاً . وقال انبا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر بن بالويه ثنا أحمد بن صاعد ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا جعفر بن عون ثنا اسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن ابن مسعود أن رجلا كلم رسول الله (ص) يوم الفتح فأخذته الرعدة ، فقال « هون عليك فانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » قال وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى ابن زهير عن اسماعيل بن أبى الحارث موصولا . ثم رواه عن أبى زكريا المزكى عن أبى عبد الله محمد ابن يعقوب عن محمد بن عبد الوهاب عن جعفر بن عون عن اسماعيل بن قيس مرسلا وهو المحفوظ وهذا التواضع فى هذا الموطن عند دخوله (ص) مكة فى مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم بخلاف ما اعتمده سفهاء بنى اسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود ـ أى ركع ـ يقولون حطة فدخلوا يزحفون على استاههم وهم يقولون حنطة فى شعرة . وقال البخارى ثنا القاسم بن خارجة ثنا حفص بن ميسرة عن هشام بن عروة عن أبيه أن عائشة أخبرته أن رسول الله (ص) دخل عام الفتح من كداء التى باعلا مكة ، تابعه أبو أسامة ووهب فى كداء . حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه دخل رسول الله (ص) عام الفتح من أعلا مكة من كداء وهو أصح إن أراد أن المرسل أصح من المسند المتقدم انتظم الكلام والا فكداء بالمد هى المذكورة فى الروايتين وهى فى أعلا مكة وكُدَى مقصور فى أسفل مكة وهذا هو المشهور والانسب وقد تقدم أنه عليه السلام

بعث خالد بن الوليد من أعلا مكة ودخل هو عليه السلام من أسفلها من كُدَى وهو فى صحيح البخارى والله أعلم . وقد قال البيهقى أنبا أبو الحسين بن عبدان أنبا أحمد بن عبيد الصفار ثنا عبد الله بن ابراهيم بن المنذر الحزامى ثنا معن ثنا عبد الله بن عمر بن حفص عن نافع عن ابن عمر قال : لما دخل رسول الله (ص) عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل فتبسم إلى أبى بكر وقال : « يا أبا بكر كيف قال حسان ؟ » فأنشده أبو بكر رضى الله عنه :

عَدِمْتُ بنيَّتى إن لم تَرَوْها ... تُثيرُ النَّقعَ من كَنَفي كداء

ينازِعْنَ الأعنَّةَ مسرجاتٍ ... يلطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النساء

فقال رسول الله (ص) « ادخلوها من حيث قال حسان » . وقال محمد بن اسحاق : حدثنى يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبى بكر قالت : لما وقف رسول الله (ص) بذى طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده أى بنية اظهرى بى على أبى قبيس ، قالت وقد كف بصره ، قالت فأشرفت به عليه فقال أى بنية ماذا ترين ؟ قالت أرى سواداً مجتمعا قال تلك الخيل ، قالت وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك السواد مقبلا ومدبراً ، قال أى بنية ذلك الوازع ـ يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدم اليها ـ ثم قالت قد والله انتشر السواد ، فقال قد والله إذن دفعت الخيل فاسرعى بى الى بيتى فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل الى بيته ، قالت وفى عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها قالت فلما دخل رسول الله (ص) مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بابيه يقوده فلما رآه رسول الله (ص) قال « هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ » قال أبو بكر يارسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه . فاجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال اسلم فاسلم ، قالت ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة بياضاً فقال رسول الله (ص) « غيروا هذا من شعره » ثم قام أبو بكر فاخذ بيد اخته وقال : أنشد الله والاسلام طوق أختى ؟ فلم يجبه أحد قال فقال أى أخية احتسبى طوقك فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم القليل . يعنى به الصديق ذلك اليوم على التعيين لان الجيش فيه كثرة ولا يكاد أحد يلوى على أحد مع انتشار الناس ولعل الذى أخذه تأول أنه من حربى والله اعلم . وقال الحافظ البيهقى انبا عبد الله الحافظ انبا أبو العباس الاصم انبا بحر بن نصر انبا ابن وهب اخبرنى ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبى قحافة فأتى به النبى (ص) ، فلما وقف به على رسول الله (ص) قال « غيروه ولا تقربوه سواداً » قال ابن وهب وأخبرنى عمر بن محمد عن زيد بن أسلم أن رسول الله (ص) هنأ أبا بكر باسلام أبيه قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله (ص) حين فرق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كداء ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر

سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدى ، قال ابن اسحاق [من المهاجرين] : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلا قال اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل . قال ابن هشام يقال إنه عمر بن الخطاب ، فقال يارسول الله أتسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟ ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة فقال رسول الله (ص) لعلى « أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن اسحاق أن رسول الله (ص) لما شكى اليه أبو سفيان قول سعد بن عبادة حين مر به ، وقال يأبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ـ يعنى الكعبة ـ فقال النبى (ص) « بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة » وأمر بالراية ـ راية الانصار ـ أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، و يقال إنها دفعت الى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة عن الزهرى دفعها الى الزبير بن العوام فالله اعلم .

[وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة يعقوب بن اسحاق بن دينار ثنا عبد الله بن الدرى الانطاكى ثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد . وحدثنى موسى بن عقبة عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله (ص) الراية يوم فتح مكة الى سعد بن عبادة فجعل يهزها و يقول : اليوم يوم الملحمة يوم تستحل الحرمة . قال فشق ذلك على قريش وكبر فى نفوسهم ، قال فعارضت امرأة رسول الله (ص) فى مسيره وأنشأت تقول :

يا نبيّ الهدى اليكَ لَجاَ حَـيُّ قريشٍ ولاتَ حينَ لجاءِ
حين ضاقتْ عليهمُ سعةُ الأر ض وعاداهمُ آلهُ السماء
[والتقت حلْقتا البطان على القو م ونُودوا بالصَّيْلم الصلعاء [1]]
إن سعداً يريدُ قاصِمةَ الظَّهـ ر بأهل الحُجُون والبطحاء
خزرجيٌّ لو يستطيعُ من الغيـ ظِ رَمانا بالنَّسْرِ والعَوَّاء
[فانهيَنْهُ فانه الاسدُ الاسـ ودُ والليثُ والغٌ فى الدماء]
فلئن أقحمَ اللواءَ ونادى ياحماةَ اللواءِ أهلَ اللواء
لتكونَنَّ بالبطاح قريش بُقعةَ القاعِ فى أكفّ الاماء
[إنه مصلَتٌ يريد لها الرأ يَ صموتٌ كالحيَّةِ الصماء]

قال فلما سمع رسول الله (ص) هذا الشعر دخله رحمة لهم و رأفة بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد ، قال فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا

(١) هذا البيت لم يرد فى الاصل و إنما أورده السهيلى فى الروض الانف ونسب الشعر الى ضرار بن الخطاب . ولم يورد البيتين المشار اليهما بعد هذا بمربعين . مع تحوير بعض الفاظ منها .

يحبيها إذ رغبت اليه واستغاثت به ، وأحب أن لا يغضب سعد فأخذ الراية منه فدفعها الى ابنه قال ابن اسحاق] [١] وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله (ص) أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله (ص) ودخل رسول الله (ص) من أذاخر حتى نزل باعلا مكة فضربت له هنالك قبته . وروى البخاري من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح : يارسول الله أين تنزل غداً ؟ فقال « وهل ترك لنا عقيل من رباع » ثم قال « لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر » . ثم قال البخاري ثنا أبو اليمان ثنا شعيب ثنا أبو الزبير عن عبدالرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « منزلنا إن شاء الله اذا فتح الله ، الخيف حيث تقاسموا على الكفر » وقال الامام أحمد ثنا يونس ثنا ابراهيم - يعني ابن سعد - عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » ورواه البخاري من حديث ابراهيم بن سعد به نحوه . وقال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله ابن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا ، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله (ص) ويصلح منه ، فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، فقالت والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم . ثم قال :

إن يُقبلوا اليومَ فما لي علَّه ... هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّه

وذو غِرارين سريعُ السَّلَّه

قال ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوشوهم شيئاً من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحنيش [٢] بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ وكانا في جيش خالد ، فشذا عنه فسلكا غير طريقه فقتلا جميعاً ، وكان قتل كرز قبل حنيش [٣] قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته ثم قال لامرأته اغلقي على بابي ، قالت فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

---

(١) ما بين الاربعين المروى عن ابن عساكر لم يرد في نسخة دار الكتب المصرية .

(٢) في الاصل حنيش وفي ابن هشام والتيمورية خنيس وقال السهيلي إن الصواب حبيش .

(٣) وفي ابن هشام : أن خنيس بن خالد قتل فأخذه كرز فجعله بين رجليه ثم قاتل عنه حتى قتل .

إنك لو شهدت يوم الخندمه · إذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمه · واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه · ضرباً فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه · لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

قال ابن هشام: وتروى هذه الابيات للرعاش الهذلي، قال وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يابني عبد الرحمن، وشعار الخزرج يابني عبد الله، وشعار الأوس يابني عبيد الله. وقال الطبراني ثنا علي بن سعيد الرازي ثنا أبو حسان الزيادي ثنا شعيب بن صفوان عن عطاء بن السائب عن طاوس عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ، قال: « إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والارض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام وأنه لا يحل لاحد قبلي و إنما حل لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان » فقيل له هذا خالد بن الوليد يقتل؟ فقال « قم يافلان فأت خالد بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل » فأتى الرجل فقال إن النبي ﷺ يقول أقتل من قدرت عليه، فقتل سبعين إنساناً فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فارسل الى خالد فقال « ألم أنهك عن القتل؟ » فقال جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه، فأرسل اليه « ألم آمرك؟ » قال أردت أمراً وأراد الله أمراً فكان أمر الله فوق أمرك، وما استطعت إلا الذي كان. فسكت عنه النبي ﷺ فما رد عليه شيئاً. قال ابن اسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ عهد الى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم غير أنه أهدر دم نفر سماهم و إن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم؛ عبدالله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه فر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ طويلا ثم قال « نعم » فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رآني قد صمت فيقتله » فقالوا يا رسول الله هلا أومأت الينا؟ فقال « إن النبي لا يقتل بالاشارة » وفي رواية « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين » قال ابن هشام: وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان.

قلت: ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته كما سيأتي بيانه. قال ابن اسحاق: وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب.

قلت: ويقال إن اسمه عبدالعزى بن خطل ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سمي عبدالله [1] ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدقاً وبعث معه رجلا من الانصار، وكان معه مولى له فغضب

---

(١) وقال السهيلي: وقد قيل في اسمه هلال وقيل إن هلالا كان أخاه وكان يقال لهما الخطلان.

عليه غضبة فقتله ، ثم ارتد مشركا ، وكان له قينتان فرتنى وصاحبتها فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله (ص) والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، اشترك فى قتله أبو برزة الاسلمى وسعيد بن حريث المخزومى وقتلت إحدى قينتيه واستؤمن للاخرى . قال والحويرث ابن نقيذ بن وهب بن عبد قصى وكان ممن يؤذى رسول الله (ص) بمكة ، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما الى المدينة يلحقهما برسول الله (ص) أول الهجرة نخس بهما الحويرث هذا الجمل الذى هما عليه فقطتا الى الارض ، فلما أهدر دمه قتله على بن أبى طالب ، قال ومقيس بن صبابة لأنه قتل قاتل أخيه خطأ بعد ما أخذ الدية ثم ارتد مشركا ، قتله رجل من قومه يقال له نميلة بن عبدالله قال وسارة مولاة لبنى عبدالمطلب ولعكرمة بن أبى جهل لانها كانت تؤذى رسول الله (ص) وهى بمكة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التى تحملت الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة وكأنها عفى عنها أو هربت ثم أهدر دمها والله أعلم . فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله (ص) فأمنها فعاشت الى زمن عمر فأوطأها رجل فرساً فماتت . وذكر السهيلى أن فرتنى أسلمت أيضاً . قال ابن اسحاق : وأما عكرمة بن أبى جهل فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله (ص) فأمنه فذهبت فى طلبه حتى أتت به رسول الله (ص) فأسلم . وقال البيهقى انبا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمس الفقيه انبا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنبا احمد بن يوسف السلمى ثنا احمد بن المفضل ثنا اسباط بن نصر الهمدانى قال زعم السدى عن مصعب بن سعد عن ابيه قال : لما كان يوم مكة أمن رسول الله (ص) الناس الا أربعة نفر وامرأتين . وقال « اقتلوهم و إن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة » وهم عكرمة بن أبى جهل ، وعبدالله بن خطل ، ومقيس بن صبابة ، وعبدالله ابن سعد بن أبى سرح . فاما عبدالله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق اليه سعيد ابن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله . وأما مقيس فأدركه الناس فى السوق فقتلوه، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصف فقال أهل السفينة لاهل السفينة : أخلصوا فان آلهتكم لا تغنى عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينج فى البحر الا الاخلاص فانه لا ينجى فى البر غيره ، اللهم إن لك على عهداً إن أنت عافيتنى مما أنا فيه أن آتى محمداً حتى أضع يدى فى يده فلأجدنه عفواً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبى سرح فانه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله (ص) الناس الى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبى (ص) ، فقال : يارسول الله بايع عبد الله ، فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رآنى كففت يدى عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا ما يدرينا يارسول الله ما فى نفسك هلا أومأت إلينا بعينك ؟ فقال « إنه لا ينبغى لنبى أن

تـكون له خائنة الأعين » . ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمـد بن المفضل به نحوه . وقال البيهقي انبا أبو عبـد الله الحافظ انبا أبو العباس الاصم انبا أبو زرعة الدمشقي ثنا الحسن بن بشر الـكوفي ثنا الحـكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك قال : أمن رسول الله (ص) الناس يوم فتح مكة الا أربعة ؛ عبد العزى بن خطل ؛ ومقيس بن صبابة . وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأم سارة ، فاما عبد العزى بن خطل فانه قتل وهو متعلق باستار الكعبة ، قال ونذر رجل أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح اذا رآه وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة فأتى به رسول الله (ص) ليشفع له ، فلما أبصر به الانصاري اشتمل على السيف ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله (ص) فجعل يتردد ويكره أن يقدم عليه ، فبسط النبي (ص) فبايعه، ثم قال للانصاري « قد انتظرتك أن توفي بنذرك ؟ » قال يارسول الله هبتك أفلا أومضت الي ؟ قال « إنه ليس للنبي أن يومض » .

وأما مقيس بن صُبَابَة فذكر قصته في قتله رجلا مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعـد ذلك ، قال وأما أم سارة فـكانت مولاة لقريش فأتت النبي (ص) فشكت اليه الحاجة فأعطاها شيئا ، ثم بعث معها رجل بكتاب الى أهل مكة فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة . وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن مقيس بن صبابة قتل أخوه هشام يوم بني المصطلق قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركا فقدم مقيس مظهراً للاسـلام ليطلب دية أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع الى مكة مشركا ، فلما أهدر رسول الله (ص) دمه قتل وهو بين الصفا والمروة وقد ذكر ابن اسحاق والبيهقي شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله :

شفى النفسَ مَن قد باتَ بالقاع مسنَدا … يضرّجُ ثوبَيْه دماءُ الاخادع

وكانت همومُ النفس من قبل قتله … تُلِمُّ وتُنسِيني وطاءَ المضاجع

قتلتُ به فهرا وغرّمتُ عَقله … سَراةَ بني النجّار أربابَ فارع

حلاتُ به نذري وأدركت ثورتي … وكنتُ الى الأوثان أولُ راجع

قلت : وقيل إن القينتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صبابة هـذا وأن ابن عمه قتله بين الصفا والمروة . وقال بعضهم : قتل ابن خطل الزبير بن العوام رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : حدثني سعيد بن أبي هند عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله (ص) باعلا مكة فر إليّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم ـ قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ـ قال ابن اسحاق : وكانت عنـده هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، قالت فدخل علي أخي علي بن أبي طالب فقال والله لأقتلهما فاغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله (ص) وهو باعلا مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة

ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف الى فقال « مرحباً وأهلا بأم هانئ ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي ، فقال « قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا يقتلهما » وقال البخاري ثنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى قال : ما أخبرنا أحد أنه رأى النبي ـ يصلي الضحى غير أم هانئ فانها ذكرت يوم فتح مكة [أن النبي ـ] اغتسل في بيتها ثم صلى ثمان ركعات ، قالت ولم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود . وفي صحيح مسلم من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن أبي هند أن أبا مرة مولى عقيل حدثه أن أم هانئ بنت أبي طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح فرّ اليها رجلان من بني مخزوم فأجارتهما ، قالت فدخل علي عليّ فقال أقتلهما ، فلما سمعته أتيت رسول الله ـ وهو بأعلا مكة فلما رآني رحّب وقال « ما جاء بك ؟ » قلت يا نبي الله كنت أمنت رجلين من أحمائي فأراد علي قتلهما ، فقال رسول الله ـ « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » ثم قام رسول الله ـ الى غسله فسترت عليه فاطمة ثم أخذ ثوبا فالتحف به ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى . وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال « من هذه ؟ » قالت أم هانئ قال « مرحباً بأم هانئ » قالت يا رسول الله زعم ابن أم علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجرتهما ؟ فقال « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » قالت ثم صلى ثماني ركعات وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى وقال آخرون بل كانت هذه صلاة الفتح وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين وهو رد على السهيلي وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانيا بتسليمة واحدة ، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ولله الحمد

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ـ لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ، [فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد] وقال موسى بن عقبة ثم سجد سجدتين ثم انصرف الى زمزم فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ والناس يبتدرون وضوءه والمشركون يتعجبون من ذلك ويقولون ما رأينا ملكا قط ولا سمعنا به ـ يعني مثل هذا ـ وأخر المقام الى مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت . قال محمد بن اسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ـ ،

قام على باب الكعبة فقال : « لا إله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل ، أربعون منها فى بطونها أولادها ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى] الآية كلها ثم قال « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ » قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، قال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم جلس رسول الله (ص) فى المسجد ، فقام اليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟ فقال رسول الله (ص) « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال « هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء »

وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن جدعان عن القاسم بن ربيعه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة . « الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أو العصا فيه مائة من الابل » وقال مرة أخرى « مغلظة فيها أربعون خلفة فى بطونها أولادها ، ألا إن كل مأثرة كانت فى الجاهلية ودم ودعوى » وقال مرة « ومال تحت قدمى هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فانهما أمضيتهما لأهلهما على ما كانت » . وهكذا رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعه بن جوشن الغطفانى عن ابن عمر به . قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى ابراهيم مصورا فى يده الأزلام يستقسم بها فقال « قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن ابراهيم والأزلام ؟ [ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين] ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان أنبا عبدالرحمن عن موسى بن عقبة عن أبى الزبير عن جابر قال : كان فى الكعبة صور فأمر رسول الله (ص) أن يمحوها فبل عمر ثوبا ومحاها به . فدخلها رسول الله (ص) وما فيها منها شئ . وقال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » . وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة . وروى البيهقى عن ابن اسحاق عن عبدالله بن أبى بكر عن على بن عبدالله ابن عباس عن أبيه قال : دخل رسول الله (ص) يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلثمائة صنم فأخذ

قضيبه فجعل يهوى الى الصنم وهو يهوى حتى مر عليها كلها ، ثم يروى من طريق سويد بن [١] عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله (ص) لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنما فأشار الى كل صنم بعصا وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فكان لا يشير الى صنم الا و يسقط من غير أن يمسه بعصاه ، ثم قال وهذا و إن كان ضعيفاً فالذى قبله يؤكده . وقال حنبل بن اسحاق انبا أبو الربيع عن يعقوب القمى ثنا جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى قال : لما افتتح رسول الله (ص) مكة جاءت عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله (ص) تلك نائلة أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبدا » . وقال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل الرواية فى اسناد له عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس] أنه قال : دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبى (ص) يشير بقضيب فى يده الى الاصنام و يقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فما أشار الى صنم منها فى وجهه الا وقع لقفاه ، ولا أشار الى قفاه الا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم الا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعى :

وفى الأصنام مُعتَبَرٌ وعلم ... لمن يرجو الثوابَ أو العقابا

وفى صحيح مسلم عن سنان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبدالله بن رباح عن أبى هريرة فى حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله (ص) حتى أقبل على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى الى صنم الى جنب البيت كانوا يعبدونه وفى يد رسول الله (ص) قوس وهو آخذ بسيتها فلما أتى على الصنم فجعل يطعن فى عينه و يقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر الى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله و يدعو ماشاء أن يدعوا . وقال البخارى ثنا اسحاق بن منصور ثنا عبد الصمد ثنا أبى ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت فأخرج صورة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وفى أيديهما الأزلام ، فقال « قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط » ثم دخل البيت فكبر فى نواحى البيت وخرج ولم يصل . تفرد به البخارى دون مسلم . وقال الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا همام ثنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) دخل الكعبة وفيها ست سوارى ، فقام الى كل سارية ودعا ولم يصل فيه . ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بن يحيى العوذى عن عطاء به . وقال الامام احمد حدثنا هارون بن معروف ثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن بكيراً حدثه عن كريب عن ابن عباس أن رسول الله (ص)

(١) كذا فى الأصل بياض .

حين دخل البيت وجد فيه صورة ابراهيم وصورة مريم فقال « أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة هذا ابراهيم مصوراً فما باله يستقسم ؟ » . وقد رواه البخارى والنسائى من حديث ابن وهب به . وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق أنبا معمر أخبرنى عثمان الخزرجى أنه سمع مقسما يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله (ص) البيت فدعا فى نواحيه ثم خرج فصلى ركعتين . تفرد به احمد وقال الامام احمد : ثنا اسماعيل انبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله (ص) صلى فى البيت ركعتين . قال البخارى وقال الليث ثنا يونس أخبرنى نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أناخ فى المسجد فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد و بلال وعثمان ابن طلحة فمكث فيه نهاراً طويلا ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالا وراء الباب قائما ، فسأله أين صلى رسول الله (ص) ؟ فأشار له الى المكان الذى صلى فيه قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة . ورواه الامام احمد عن هشيم ثنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : دخل رسول الله (ص) ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة و بلال فأمر بلالا فأجاف عليهم الباب فمكث فيه ماشاء الله ثم خرج . قال ابن عمر فكان أول من لقيت منهم بلالا فقلت أين صلى رسول الله (ص) ؟ قال هاهنا بين الاسطوانتين .

قلت : وقد ثبت فى صحيح البخارى وغيره أنه عليه السلام صلى فى الكعبة تلقاء وجهة بابها من وراء ظهره فجعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه و بين الحائط الغربى مقدار ثلاثة أذرع [1] وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل انبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله (ص) صلى فى البيت ركعتين] قال ابن هشام وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا ، فسمع منه ما يغيظه ، فقال الحارث بن هشام . أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا ، فخرج عليهم رسول الله (ص) فقال : « قد علمت الذى قلتم » ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثنى والدى حدثنى بعض آل جبير بن مطعم أن رسول الله (ص) لما دخل مكة أمر بلالا فعلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه

قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة . وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله (ص) بلالا فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى الى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه فان يكن الله يكرهه فسيغيره . وقال يونس بن بكير وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله (ص) أمر بلالا عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين . وقال محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حرب عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه لو جمعت لمحمد جمعاً ؟ فانه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله (ص) بين كتفيه وقال « إذاً يخزيك الله » قال فرفع رأسه فاذا رسول الله (ص) قائم على رأسه فقال : ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة . قال البيهقي وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ـ إجازة ـ أنبأ أبو حامد احمد بن الحسن المقرى أنبأ أحمد بن يوسف السلمي ثنا محمد بن يوسف الفريابي ثنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي السفر عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله (ص) يمشي والناس يطئون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه . لو عاودت هذا الرجل القتال ؟ فجاء رسول الله (ص) حتى ضرب بيده في صدره فقال « إذاً يخزيك الله » فقال أتوب الى الله وأستغفر الله مما تفوهت به . ثم روى البيهقي من طريق ابن خزيمة وغيره عن أبي حامد ابن الشرقي عن محمد بن يحيى الذهلي ثنا موسى بن أعين الجزري ثنا أبي عن اسحاق بن راشد عن سعيد بن المسيب قال : لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله ، قال ثم أصبح أبو سفيان فغدا الى رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) « قلت لهند أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبدالله ورسوله ، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند . وقال البخاري ثنا اسحاق ثنا أبو عاصم عن ابن جريج أخبرني حسن بن مسلم عن مجاهد أن رسول الله (ص) قال « إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحلل لي الا ساعة من الدهر لا ينفر صيدها ولا يعضد شوكها ولا يختلى خلاؤها ولا تحل لقطتها الا لمنشد » فقال العباس بن عبد المطلب الا الأذخر يارسول الله فانه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال « إلا الأذخر فانه حلال » وعن ابن جريج أخبرني عبد الكريم ـ هو ابن مالك الجزري ـ عن عكرمة عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبي (ص) تفرد به البخاري من هذا الوجه الاول وهو مرسل، ومن هذا الوجه الثاني أيضا. وبهذا وأمثاله استدل من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوة ، وللوقعة التي كانت في الخندمة كما تقدم . وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين وهي ظاهرة في

ذلك وهو مذهب جمهور العلماء . والمشهور عن الشافعى أنها فتحت صلحاً لانها لم تقسم ، ولقوله (ص) ليلة الفتح « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » وموضع تقرير هذه المسألة فى كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقال البخارى ثنا سعيد ابن شرحبيل ثنا الليث عن المقبرى عن أبى شريح الخزاعى أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : إئذن لى أيها الامير أحدثك قولا قام به رسول الله (ص) : الغد من يوم الفتح سمعته أذناى ووعاه قلبى وأبصرته عيناى حين تكلم به ؛ أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرا فان أحد ترخص بقتال رسول الله (ص) فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لابى شريح ماذا قال لك عمرو ؟ قال قال أنا أعلم بذلك منك يأبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فارا بدم ، ولا فاراً بجزية . وروى البخارى أيضاً ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد به نحوه . وذكر ابن اسحاق أن رجلا يقاله له ابن الأثوع قتل رجلا فى الجاهلية من خزاعة يقال له أحمر بأساً ، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوع[1] وهو بمكة قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله (ص) « يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل لقد كثر القتل إن نفع لقد قتلتم رجلا لأدينه » قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الاسلمى عن سعيد بن المسيب قال : لما بلغ رسول الله (ص) : ما صنع خراش ابن أمية قال « إن خراشاً لقتال » وقال ابن اسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى شريح الخزاعى قال : لما قدم عمرو بن الزبير[2] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له ياهذا إنا كنا مع رسول الله (ص) حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله (ص) فينا خطيباً فقال « يأيها الناس إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام من حرام الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجراً ، لم تحل لاحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون بعدى ولم تحل لى إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم إن رسول الله (ص) قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم

---

(١) كذا فى الاصل ولم نقف عليه . (٢) قال السهيلى : هذا وهم من ابن هشام وصوابه عمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية وهو الاشدق ويكنى أبا أمية وكان يسمى لطيم الشيطان وكان جبارا شديد البأس حتى خافه عبد الملك على مكة فقتله بحيلة [illegible] كر له خبرا طويلا وهو الذى رعف على منبر رسول الله حتى سال الدم . محمود الامام .

حلها لكم يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع لقد قتلتم قتيلا لأدينه فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين إن شاؤا فدم قاتله وإن شاؤا فعقله » ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة . فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إني كنت شاهداً وكنت غائبا وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك فأنت وشأنك . قال ابن هشام وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جنيدب بن الأكوع قتله بنو كعب فوداه رسول الله ﷺ بمائة ناقة . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال « كفوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر » فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال « كفوا السلاح » فلقي رجل من خزاعة رجلا من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال — فرأيته وهو مسند ظهره الى الكعبة قال — « إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم ، أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية » وذكر تمام الحديث وهذا غريب جدا . وقد روى أهل السنن بعض هذا الحديث فأما ما فيه من أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بني بكر الى العصر من يوم الفتح فلم أره الا في هذا الحديث وكأنه إن صح من باب الاختصاص لهم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير والله أعلم . وروى الامام أحمد عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة ويزيد بن هرون ومحمد بن عبيد كلهم عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن الحارث بن مالك بن البرصاء الخزاعي سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة « لا تغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة » ورواه الترمذي عن بندار عن يحيى بن سعيد القطان به وقال حسن صحيح .

قلت : فإن كان نهياً فلا إشكال ، وإن كان نفياً فقال البيهقي معناه على كفر أهلها وفي صحيح مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مطيع عن أبيه مطيع بن الأسود العدوي قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة « لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم الى يوم القيامة » والكلام عليه كالأول سواء . قال ابن هشام : وبلغني أن رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال « ماذا قلتم ؟ » قالوا لا شيء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله ﷺ « معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم » وهذا الذي علقه ابن هشام قد أسنده الامام احمد بن حنبل في مسنده فقال ثنا بهز وهاشم قالا حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت . وقال هاشم حدثني ثابت البناني ثنا عبد الله بن رباح قال وفدت وفود إلى

معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك فى رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا ، قال هاشم يكثر أن يدعونا إلى رحله ، قال فقلت ألا أصنع طعاماً فادعوهم الى رحلى ؟ قال فأمرت بطعام يصنع فلقيت أبا هريرة من العشاء قال قلت يأبا هريرة الدعوى عندى الليلة قال استبقنى [1] قال هاشم قلت نعم فدعوتهم فهم عندى . فقال أبو هريرة ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يامعشر الانصار قال فذكر فتح مكة قال أقبل رسول الله (ص) فدخل مكة قال فبعث الزبير على أحد المجنبتين و بعث خالدا على المجنبة الأخرى و بعث أبا عبيدة على الحسر وأخذوا بطن الوادى و رسول الله (ص) فى كتيبته وقد وبشت قريش أوباشها ، قال قالوا نقدم هؤلاء فان كان لهم شئ كنا معهم وإن أصيبوا أعطيناه الذى سألنا ، قال أبو هريرة فنظر فرآنى فقال « يأبا هريرة » فقلت لبيك رسول الله ، فقال « اهتف لى بالانصار ولا يأتينى الا أنصارى » فهتفت بهم فجاءوا فأطافوا برسول الله (ص) قال فقال رسول الله (ص) « أترون إلى أوباش قريش واتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداها على الأخرى « أحصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا » قال فقال أبو هريرة فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجه الينا منهم شيئا ، قال فقال أبو سفيان : يارسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم ، قال فقال رسول الله (ص) « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال فغلق الناس أبوابهم ، قال وأقبل رسول الله (ص) إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت قال وفى يده قوس آخذ بسية القوس ، قال فأتى فى طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه قال فجعل يطعن بها فى عينه و يقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » قال ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره و يدعوه ، قال والانصار تحته قال يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته و رأفة بعشيرته قال أبو هريرة : وجاء الوحى وكان اذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله (ص) حتى يقضى . قال هاشم : فلما قضى الوحى رفع رأسه ثم قال « يا معشر الانصار أقلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته و رأفة بعشيرته ؟ » قالوا قلنا ذلك يا رسول الله ، قال « فما اسمى إذا ، كلا إنى عبد الله و رسوله هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم » قال فأقبلوا اليه يبكون و يقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن بالله و رسوله ، قال فقال رسول الله (ص) « إن الله و رسوله يصدقانكم و يعذرانكم » وقد رواه مسلم والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة زاد النسائى وسلام بن مسكين و رواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثتهم عن ثابت عن عبد الله بن رباح الانصارى نزيل البصرة عن أبى هريرة به نحوه . وقال ابن هشام

(١) كذا فى الاصل ولعل الصواب « اسبقتنى أو اسبقى » .

وحدثنى ـ يعنى بعض أهل العلم ـ أن فضالة بن عمير بن الملوح ـ يعنى الليثى ـ أراد قتل النبى (ص) وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله (ص.) « أفضالة ؟ » قال نعم فضالة يارسول الله ، قال « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ » قال لا شئ كنت أذ كر الله ، قال فضحك النبى (ص.) ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شئ أحب الى منه ، قال فضالة فرجعت الى أهلى فررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث ؟ فقال لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلتُ لا ... يأبى عليكِ اللهُ والاسلام
أو ما رأيتِ محمداً وقبيلَه ... بالفتح يوم تُكَسَّر الأصنام
لرأيتِ دينَ الله أضحى بَيِّناً ... والشِّرْكَ يغشى وجهه الاظلام

قال ابن اسحق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : خرج صفوان ابن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن ، فقال عمير بن وهب يانبى الله إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه فى البحر ، فأمنه يا رسول الله صلى الله عليك فقال « هو آمن » فقال يارسول الله فاعطنى آية يعرف بها أمانك ؟ فاعطاه رسول الله (ص.) عمامته التى دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب فى البحر فقال : يا صفوان فداك أبى وأمى الله الله فى نفسك أن تهلكها هذا أمان من رسول الله (ص) وقد جئتك به ، قال ويلك أعزب عنى فلا تكلمنى قال أى صفوان فداك أبى وأمى أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك ؟ قال إنى أخافه على نفسى ، قال هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف على رسول الله (ص.) فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتنى ؟ قال « صدق » قال فاجعلنى بالخيار فيه شهرين ؟ قال « أنت بالخيار أربعة أشهر » ثم حكى ابن اسحاق عن الزهرى أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبى جهل وقد ذهبت وراءه الى اليمن فاسترجعته فاسلم فلما أسلما أقرهما رسول الله (ص) تحتهما بالنكاح الاول . قال ابن اسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسان ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاد عليه :

لا تَعْدَمَنْ رَجلا أحلَّك بغضُه ... نجرانَ فى عيشٍ أحذَّ لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج الى رسول الله (ص.) فأسلم وقال حين أسلم :

يارسولَ المليك إن لسانى ... راتقٌ ما فتقْتُ إذْ أنا بُور
إذ أُباري الشيطانَ فى سَنَنِ الغـيِّ ومَنْ مالَ مِيلُهُ مثبور

آمن اللحمُ والعظامُ لربّي   ثم قلبي الشهيدُ أنتَ النذير
إنني عنك زاجرٌ ثَمَّ حياً   من لؤيٍّ وكلّهم مغرور

قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضاً حين أسلم :

منعَ الرقادَ بلابلٌ وهموم   والليلُ مُعتلجُ الرواقِ بهيم
مما أتاني أن احمدَ لامني   فيه فبتُّ كأنني محموم
يا خيرَ من حملتْ على أوصالها   عيرانةٌ سرحُ اليدين غشوم
إني لمعتذرٌ اليك من الذي   أسديتُ إذْ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خطةٍ   سهمٌ وتأمرني بها مخزوم
وأمدُّ أسبابَ الردى ويقودني   أمرُ الغواةِ وأمرُهم مشؤوم
فاليوم آمنَ بالنبيِّ محمدٍ   قلبي ومخطئُ هذه محروم
مضتِ العداوة وانقضتْ أسبابُها   ودعتْ أواصرُ بيننا وحلوم
فاغفر فدىً لك والديَّ كلاهما   زللي فإنك راحمٌ مرحوم
وعليك من علم المليكِ علامةٌ   نورٌ أغرُّ وخاتمٌ مختوم
أعطاك بعد محبةٍ برهانَهُ   شرفاً وبرهانُ الاله عظيم
ولقد شهدتُ بأن دينك صادقٌ   حقٌّ وأنك في العباد جسيم
واللهُ يشهد أن أحمد مصطفى   مستقبلٌ في الصالحين كريم
قرمٌ علا بنيانُه من هاشم   فرعٌ تمكّن في الذرى وأروم

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزبعرى السهمي من أكبر اعداء الاسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين ، ثم من الله عليه بالتوبة والانابة والرجوع إلى الاسلام والقيام بنصره والذب عنه .

فصل

قال ابن اسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبعمائة ويقول بعضهم ألف ومن بني غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة] ومن مزينة الف وثلاثة نفر وسائرهم من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد . وقال عروة والزهري وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله ﷺ اثنا عشر الفاً فالله اعلم . قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عفت ذات الاصابع فالجواء (١) ... إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحسحاس قفر ... تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس ... خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لَطيفٍ ... يؤرقنى اذا ذهب العشاء
لشعثاء التى (٢) قد تيمته ... فليس لقلبه منها شفاء
كأن خبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الأشربات ذكرن يوماً ... فهن لطيّب الراح الفداء
نوليها الملامة أن ألمنا (٣) ... اذا ما كان مغث أو لحاء (٤)
ونشربها فتتركنا ملوكا ... وأسداً ما ينهنها اللقاء
عدمنا خيلنا أن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات ... على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... يلطمهنّ بالخمر النساء
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم ... يعز (٥) الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا ... يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه ... فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيرت جندا ... هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء
الا أبلغ أبا سفيان عنى ... مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا ... وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

(١) مواضع بالشام وعذراء قرية عند دمشق . (٢) شعثاء بنت سلام بن مشكم اليهودى .
(٣) قال السهيلى : أتينا بما نلام عليه صرفناه الى الخمر . (٤) المغث الضرب باليد واللحاء الملاحاة باللسان . (٥) وفى رواية يعين الله .

هجوت مباركا براً حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء
لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لا تكدره الدلاء (١)

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت . والذى قاله متوجه لما فى اثناء هذه القصيدة مما يدل على ذلك وأبو سفيان المذكور فى البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قال ابن هشام : و بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسول الله ص النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم الى أبى بكر رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : وقال أنس بن زنيم الدئلى يعتذر الى رسول الله ص مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى ـ يعنى لما جاء يستنصر عليهم ـ كما تقدم :

أأنت الذى تهدى معد بأمره بل الله يهديهم وقال لك اشهد
وما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلا اذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال (٢) قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مدركى وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر على كل صرم متهمين ومنجد
تعلم أن الركب ركب عويمر هموا الكاذبون المخلفوا كل موعد
ونبوا رسول الله أنى هجوته فلا حملت سوطى الىّ إذن يدى
سوى أننى قد قلت ويل ام فتية أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد
أصابهموا من لم يكن لدمائهم كفاء فعزت عبرتى وتبلدى
وإنك قد أخبرت أنك ساعيا بعبد بن عبد الله وابنة مهود
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا جميعاً فان لا تدمع العين أكمد
وسلمى وسلمى ليس حى كمثله وأخوته وهل ملوك كأعبد
فانى لا ذنبا فتقت ولا دما هرقت تبين عالم الحق واقصد

قال ابن اسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح :

(١) وقد زاد السهيلى على هذه القصيدة أربعة أبيات . (٢) الخال من برود اليمن وهو من رفيع الثياب ولعله سمى بالخال من الخيلاء اهـ عن السهيلى .

نفى أهل الحبلق [1] كل فج مزينة غدوة وبنو خفاف
ضربناهم بمكة يوم فتح النــبى الخير بالبيض الخفاف
صبحناهم بسبع من سليم وألف من بنى عثمان واف
نطأ أكتافهم ضربا وطعناً ورشقاً بالمريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حفيفاً كما انصاع الفواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماح مقومة الثقاف
فأبنا غانمين بما اشتهينا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منّا مواثقنا على حسن التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهموا غداة الروع منا بانصراف

وقال ابن هشام وقال عباس بن مرداس السلمى فى فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوّم
نصروا الرسول وشاهدوا آياته وشعارهم يوم اللقاء مقدم
فى منزل ثبتت به أقدامهم ضنك كأن الهام فيه الحنتم
جرت سنابكها بنجد قبلها حتى استقام لها الحجاز الأدهم
الله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عرنينه متطلع ثغر المكارم خضرم

وذكر ابن هشام فى سبب اسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنما من حجارة يقال له ضمار فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتا من جوفه وهو يقول :

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مدة قبل الكتاب الى النبى محمد

قال فحرق عباس ضمار ثم لحق برسول الله ـــ ، فأسلم ، وقد تقدمت هذه القصة بكمالها فى باب هواتف الجان مع أمثالها وأشكالها ولله الحمد والمنة .

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح الى بنى جذيمة من كنانة

قال ابن اسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على قال

---

(١) الحبلق أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحبلق الغنم الصغار ولعله أراد أصحاب الغنم . قاله السهيلى .

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب وسُلَيم بن منصور ومدلج بن مرة فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا : قال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يابنى جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح الا الأسار ، وما بعد الأسار الا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال فأخذه رجال من قومه فقالوا ياجحدم أتريد أن تسفك دماءنا ؟ ! إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وآمن الناس ، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد قال ابن اسحاق : فقال حكيم بن حكيم عن أبى جعفر قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر الى رسول الله ﷺ رفع يديه الى السماء ثم قال « اللهم إنى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل أنكر عليه أحد ؟ » فقال نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أما الاول يارسول الله فابنى عبد الله . وأما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة . قال ابن اسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم عن أبى جعفر قال : ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فقال « يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الاموال حتى أنه ليدى ميلغة الكلب ، حتى إذا لم يبق شئ من دم ولا مال إلاوداه بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم على حين فرغ منهم : هل بقى لكم دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا لا ، قال فانى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون . ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال « أصبت وأحسنت » ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائما شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول « اللهم إنى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات . قال ابن اسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الاسلام . قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدينى : لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا صبأنا صبأنا وهذه مرسلات ومنقطعات . وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى - احسبه قال - جذيمة فدعاهم

إلى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلا، قال ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر فقلت والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل أحد من أصحابى أسيره، قال فقدموا على النبى (ص.) فذكروا صنيع خالد فقال النبى (ص.) ورفع يديه « اللهم إنى أبرأ اليك مما صنع خالد » مرتين. ورواه البخارى والنسائى من حديث عبد الرزاق به نحوه قال ابن اسحاق: وقد قال لهم جحدم لما رأى ما يصنع خالد: يابنى جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم مما وقعتم فيه. قال ابن اسحاق. وقد كان بين خالد و بين عبدالرحمن بن عوف - فيما بلغنى - كلام فى ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية فى الاسلام؟ فقال إنما ثأرت أبيك، فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلتُ قاتل أبى، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكه بن المغيرة حتى كان بينهما شر، فبلغ ذلك رسول الله (ص.) فقال « مهلا ياخالد دع عنك أصحابى فوالله لوكان لك أحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته » ثم ذكر ابن اسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد فى خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان فى تجارة الى اليمن ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بنى جذيمة كان هلك باليمن فحملوه الى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بارض بنى جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا الى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفر منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة، فهمت قريش بغزو بنى جذيمة فبعث بنو جذيمة يعتذرون اليهم بانه لم يكن عن ملأ منهم وودوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهم، يعنى فلهذا قال خالد لعبد الرحمن إنما ثأرت أبيك يعنى حين قتلته بنو جذيمة، فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ورد عليه بأنه إنما ثأر بعمه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله، والمظنون بكل منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك وإنما يقال هذا فى وقت المخاصمة فانما أراد خالد بن الوليد نصرة الاسلام وأهله وإن كان قد أخطأ فى أمر واعتقد أنهم ينتقصون الاسلام بقولهم صبأنا صبأنا، ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيتهم، وقتل أكثر الأسرى أيضاً، ومع هذا لم يعزله رسول الله (ص.) بل استمر به أميرا وإن كان قد تبرأ منه فى صنيعه ذلك وودى ما كان جناه خطأ فى دم أو مال ففيه دليل لاحد القولين بين العلماء فى أن خطأ الامام يكون فى بيت المال لا فى ماله والله اعلم. ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة وتأول عليه ما تأول حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أم تميم فقال له عمر بن الخطاب: اعزله فان فى سيفه رهقا فقال الصديق: لا أغمد سيفا سله الله على المشركين

وقال ابن اسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن الزهرى عن ابن أبى حدرد الأسلمى قال . كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد فقال فتى من بنى جذيمة وهو فى سنى وقد جمعت يداه الى عنقه برمّة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى قلت ما تشاء ؟ قال هل أنت آخذ بهذه الرمّة فقائدى الى هذه النسوة حتى أقضى اليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا ما بدا لكم ؟ قال قلت والله ليسير ما طلبت فأخذت برمته فقدته بها حتى وقفته عليهن فقال اسلمى حبيش على نفد العيش .

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفيتكم بالخوانق
ألم يك أهلاً أن ينوّل عاشق تكلّف إدلاجَ السرى والودائق
فلا ذنبَ لى قدقلتُ إذ أهلُنا معا أثيبي بودٍّ قبل إحدى الصفائق
أثيبى بودّ قبلَ أن يشحطَ النوى وينأى الاميرُ بالحبيب المفارق
فأنيَ لا ضيَّعتُ سرَّ أمانة ولا راقَ عيني عنكِ بعدك رائق
سوى أن ما نال العشيرةَ شاغلٌ عن الودّ إلا أن يكونَ التوامُق

قالت : وأنت فحييت عشراً وتسعاً وتراً وثمانية تترى قال ثم انصرفت به فضربت عنقه قال ابن اسحاق : فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الأسلمى عن أشياخ منهم عمن كان حضرها منهم قالوا فقامت اليه حين ضربت عنقه فأكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده . وروى الحافظ البيهقى من طريق الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عبدالملك بن نوفل بن مساحق أنه سمع رجلا من مزينه يقال له ابن عصام عن أبيه قال : كان رسول الله (ص.) اذا بعث سرية قال « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحداً » قال فبعثنا رسول الله (ص.) فى سرية وأمرنا بذلك فخرجنا قبل تهامة فأدركنا رجلا يسوق بظعائن فقلنا له أسلم ، فقال وما الاسلام ؟ فأخبرناه به فاذا هو لا يعرفه ، قال أفرأيتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال قلنا نقتلك ، فقال فهل أنتم منظرى حتى أدرك الظعائن ؟ قال قلنا نعم ونحن مدركوك ، قال فأدرك الظعائن فقال: اسلمى حبيش قبل نفاد العيش . فقالت الاخرى اسلم عشراً وتسعاً وترا وثمانيا تترى ثم ذكر الشعر المتقدم الى قوله : وينأى الامير بالحبيب المفارق ، ثم رجع الينا فقال شأنكم قال فقدمناه فضربنا عنقه قال فانحدرت الاخرى من هودجها فحنت عليه حتى ماتت . ثم روى البيهقى من طريق أبى عبد الرحمن النسائى ثنا محمد بن على بن حرب المروزى ثنا على بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص.) بعث سرية فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم إنى لست منهم إنى عشقت امرأة فلحقتها فدعونى أنظر اليها نظرة ثم اصنعوا بى ما بدا لكم ، قال فاذا امرأة أدماء طويلة فقال لها: اسلمى حبيش قبل نفاد العيش . ثم ذكر البيتين بمعناها . قال فقالت نعم فديتك ، قال فقدموه فضربوا عنقه فجاءت

المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ، فلما قدموا على رسول الله (ص) أخبروه الخبر فقال « أما كان فيكم رجل رحيم »

بعث خالد بن الوليد لهدم العزّى

قال ابن جرير وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ . قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد الى العزى وكانت بيتا بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومضر ، وكان سدنتها وحجابها من بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم ، فلما سمع حاجبها السلمي بمسير خالد بن الوليد اليها علق سيفه عليها ثم اشتد في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

أيا عزّ شدّي شدة لاشوى لها ... على خالد ألقي القناعَ وشمّري

أيا عزّ إن لم تقتلي المرءَ خالداً ... فبوئي بإثم عاجل أو تنصّرى

قال فلما انتهى خالد اليها هدمها ثم رجع الى رسول الله (ص) وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله (ص) ، فقال « ما رأيت ؟ » قال لم أر شيئا فأمره بالرجوع فلما رجع خرجت اليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول .

يا عُزّى كفرانك لا سبحانك ... إني رأيتُ الله قد اهانك

ثم خرب ذلك البيت الذي كانت فيه وأخذ ما كان فيه من الأموال رضي الله عنه وأرضاه ، ثم رجع فأخبر رسول الله (ص) فقال « تلك العزى ولا تعبد أبداً » وقال البيهقي أنبأ محمد بن أبي بكر الفقيه أنبأ محمد بن أبي جعفر أنبأ أحمد بن علي ثنا أبو كريب عن ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله (ص) مكة بعث خالد بن الوليد الى نخلة وكانت بها العزى ، وأتاها وكانت على ثلاث سمرات ، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى رسول الله (ص) فأخبره فقال « ارجع فانك لم تصنع شيئا » فرجع خالد فلما نظرت اليه السدنة وهم حجابها أمعنوا هربا في الجبل وهم يقولون : ياعزى خبليه ياعزى عوريه والا فموتي برغم . قال فأتاها خالد فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها ووجهها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع الى النبي (ص) فأخبره فقال « تلك العزى »

فصل في مدة اقامته عليه السلام بمكة

لاخلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر ، وهذا دليل من قال من العلماء إن المسافر اذا لم يجمع الاقامة فله أن يقصر ويفطر الى ثماني عشر يوما في أحد القولين وفي القول الآخر كما هو مقرر في موضعه . قال البخاري ثنا أبو نعيم ثنا سفيان ح وحدثنا قبيصة ثنا

سفيان عن يحيى بن أبي اسحاق عن أنس بن مالك قال أقمنا مع رسول الله (ص) عشرا يقصر الصلاة وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة عن يحيى بن أبي اسحاق الحضرمي البصري عن أنس به نحوه . قال البخاري ثنا عبدان ثنا عبد الله انبأ عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال : أقام رسول الله (ص) تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين . ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر زاد البخاري وأبو حصين كلاهما وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عاصم بن سليمان الاحول عن عكرمة عن ابن عباس به وفي لفظ لابي داود سبعة عشر يوما وحدثنا أحمد بن يونس ثنا أحمد بن شهاب عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال أقمنا مع رسول الله (ص) في سفر تسع عشرة نقصر الصلاة . قال ابن عباس : فنحن نقصر ما بقينا بين تسع عشرة ، فاذا زدنا أتممنا وقال أبو داود ثنا ابراهيم بن موسى ثنا ابن علية ثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن عمران بن حصين قال : غزوت مع رسول الله (ص) وشهدت معه الفتح فأقام ثماني عشر ليلة لا يصلي الا ركعتين يقول « يا أهل البلد صلوا أربعاً فانا سفر » وهكذا رواه الترمذي من حديث علي بن زيد بن جدعان وقال هذا حديث حسن . ثم رواه من حديث محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : أقام رسول الله (ص) عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم قال رواه غير واحد عن ابن اسحاق لم يذكروا ابن عباس . وقال ابن ادريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري ومحمد بن علي ابن الحسين وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا : أقام رسول الله (ص) بمكة خمس عشرة ليلة .

فصل فيما حكم عليه السلام بمكة من الاحكام

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلم عن مالك بن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي (ص) وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد الى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة ، وقال عتبة إنه ابني ، فلما قدم رسول الله (ص) مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة فاقبل به الى رسول الله (ص) وأقبل معه عبد بن زمعة فقال سعد بن أبي وقاص : هذا ابن اخي عهد الى أنه ابنه ، قال عبد بن زمعة يارسول الله هذا أخي هذا ابن زمعة ولد على فراشه ، فنظر رسول الله (ص) الى ابن وليدة زمعة فاذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص ، فقال رسول الله (ص) « هو لك هو أخوك ياعبد بن زمعة من أجل أنه ولد على فراشه » وقال رسول الله (ص) « احتجبي منه ياسودة » لما رأى من شبه عتبة ابن أبي وقاص . قال ابن شهاب قالت عائشة قال رسول الله (ص) « الولد للفراش وللعاهر الحجر » قال ابن شهاب وكان أبو هريرة يصرح بذلك . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذي

جميعاً عن قتيبة عن الليث به . وابن ماجه من حديثه وانفرد البخارى بروايته له من حديث مالك عن الزهرى . ثم قال البخارى ثنا محمد بن مقاتل أنبأ عبد الله أنا يونس عن ابن شهاب اخبرنى عروة ابن الزبير أن امرأة سرقت فى عهد رسول الله (ص) فى غزوة الفتح ففزع قومها الى أسامة بن زيد يستشفعونه قال عروة : فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله (ص) وقال « أتكلمنى فى حد من حدود الله ؟ » فقال أسامة استغفرلى يا رسول الله ، فلما كان العشى قام رسول الله (ص) خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فانما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم أمر رسول الله (ص) بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت ، قالت عائشة : كانت تأتى بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله (ص). وقد رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة به وفى صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهنى قال : أمرنا رسول الله (ص) بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ثم لم يخرج حتى نهى عنها . وفى رواية فقال « ألا إنها حرام حرام من يومكم هذا الى يوم القيامة » وفى رواية فى مسند احمد والسنن أن ذلك كان فى حجة الوداع فالله أعلم . وفى صحيح مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يونس بن محمد عن عبد الواحد بن زياد عن أبى العميس عن أياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه أنه قال · رخص لنا رسول الله (ص) عام أوطاس فى متعة النساء ثلاثا ثم نهانا عنه . قال البيهقى : وعام أوطاس هو عام الفتح فهو وحديث سبرة سواء .

قلت : من أثبت النهى عنها فى غزوة خيبر قال إنها أبيحت مرتين ، وحرمت مرتين ، وقد نص على ذلك الشافعى وغيره . وقد قيل إنها أبيحت وحرمت أكثر من مرتين فالله أعلم . وقيل إنها إنما حرمت مرة واحدة وهى هذه المرة فى غزوة الفتح ، وقيل إنها إنما أبيحت للضرورة فعلى هذا اذا وجدت ضرورة أبيحت وهذا رواية عن الامام احمد وقيل بل لم تحرم مطلقا وهى على الاباحة هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة وموضع تحرير ذلك فى الأحكام .

فصل

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج أنبأ عبد الله بن عثمان بن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الاسود رأى رسول الله (ص) يبايع الناس يوم الفتح ، قال جلس عند قرن مستقبله فبايع الناس على الاسلام والشهادة قلت وما الشهادة ؟ قال أخبرنى محمد بن الاسود ابن خلف أنه بايعهم على الايمان بالله وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله تفرد به احمد وعند البيهقى فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الاسلام والشهادة . وقال ابن

جرير ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله (ص) على الاسلام فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا قال فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لحدثها لما كان من صنيعها بحمزة [فهى تخاف أن يأخذها رسول الله (ص) بحدثها ذلك ، فلما دنين من رسول الله (ص) ليبايعهن قال « بايعننى على أن لا تشركن بالله شيئاً » فقالت هند والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه من الرجال ؟ « ولا تسرقن » فقالت والله إنى كنت أصبت من مال أبى سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدرى أ كان ذلك علينا حلالا أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهدا لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل ، فقال رسول الله (ص) « و إنك لهند بنت عتبة ؟ » قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ثم قال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل تزنى الحرة ؟ ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » قالت قد ربيناهم صغاراً حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كبارا [1] فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق ثم قال « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت والله إن إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أمثل ثم قال « ولا يعصيننى » فقالت فى معروف ، فقال رسول الله (ص) لعمر « بايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » فبايعهن عمر وكان رسول الله (ص) لا يصافح النساء ولا يمس الا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه وثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لا والله ما مست يد رسول الله (ص) يد امرأة قط وفى رواية ما كان يبايعهن الا كلاما و يقول « إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة » وفى الصحيحين عن عائشة أن هنداً بنت عتبة امرأة أبى سفيان أتت رسول الله (ص) فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى و يكفى بنى فهل على من حرج اذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك و يكفى بنيك [2]] [وروى البيهقى من طريق يحيى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت يا رسول الله ما كان مما على وجه الارض أخباء أو خباء - الشك من أبى بكر - أحب الى من أن يذلوا من أهل أخبائك - أو خبائك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الارض أهل أخباء أو خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك فقال رسول الله (ص) « وأيضا والذى نفس محمد بيده » قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل على حرج أن اطعم من الذى له ؟ قال « لا بالمعروف » ورواه البخارى عن يحيى بن بكير بنحوه وتقدم ما يتعلق باسلام أبى سفيان] [3]

---

(١) هذه رواية السهيلى وفى الاصول . أفتقتلهم كباراً فأنت وهم أعلم . (٢) ما بين المربعين لم يرد فى نسخة دار الكتب المصرية . (٣) ما بين المربعين عن النسخة التيمورية ولم يرد فى غيرها .

وقال أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال قال رسـول الله (ص) يوم فتح مـكة : « لاهجرة ولـكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم الا فانفروا » ورواه البخارى عن عثمان بن أبي شيبة ومسـلم عن يحيى بن يحيى عن جرير . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا وهب ثنا ابن طاوس عن أبيه عن صفوان بن أمية أنه قيل له إنه لا يدخل الجنة الا من هاجر فقلت له لا أدخل منزلى حتى أسأل رسول الله ما سأله فأتيته فذكرت له فقال « لا هجرة بعـد فتح مكة ولـكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » تفرد به أحمد وقال البخارى ثنا محمد بن أبي بكر ثنا الفضيل بن سليمان ثنا عاصم عن أبي عثمان النهدى عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبي معبد الى النبي (ص) ليبايعه على الهجرة فقال « مضت الهجرة لاهلها أبايعه على الاسلام والجهاد » فلقيت ابا معبد فسألته فقال صدق مجاشع . وقال خالد عن أبي عثمان عن مجاشع أنه جاء بأخيه مجالد وقال البخارى ثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا عاصم عن أبي عثمان قال حدثني مجاشع قال : أتيت رسول الله بأخى بعد يوم الفتح فقلت يا رسول الله جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة قال « ذهب أهل الهجرة بما فيها » فقلت على أى شئ تبايعه ؟ قال « أبايعه على الاسلام والايمان والجهاد » فلقيت أبا معبد بعد وكان أكبرهما سناً فسألته فقال : صدق مجاشع وقال البخارى ثنا محمـد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهـد قال قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر الى الشام ؟ فقال : لا هجرة ولـكن انطلق فاعرض نفسك فان وجدت شيئاً والارجعت . وقال أبو النضر أنا شعبة أنا أبو بشر سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر[1] فقال لا هجرة اليوم ــ أو بعد رسول الله (ص) ــ مثله . حدثنا اسحاق ابن يزيد ثنا يحيى بن حمزة حدثنى أبو عمرو الاوزاعى عن عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد بن جبير أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح . وقال البخارى ثنا اسحاق بن يزيد أنا يحيى بن حمزة أنا الاوزاعى عن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشـة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الى الله عز وجـل والى رسوله مخافة أن يفتن عليه ، فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث يشاء ولـكن جهاد ونية .

وهذه الاحاديث والآثار دالة على أن الهجرة إما الـكاملة أو مطلقا قد انقطعت بعد فتح مكة لان الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وظهر الاسلام وثبتت أركانه ودعائمه فلم تبق هجرة اللهـم الا أن يعرض حال يقتضى الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على اظهار الدين عندهم فتجب الهجرة الى دار الاسلام وهـذا مالا خلاف فيه بين العلماء ولـكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلا من الجهاد والانفاق فى سـبيل الله مشروع ورغب فيـه الى يوم القيامة وليس كالانفاق ولا الجهاد قبل الفتح فتح مكة . قال الله تعالى [لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح

وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا و كلا وعد الله الحسنى] الآية . وقد قال الامام أحمد ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (ص) أنه قال لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها وقال : « الناس خير وأنا وأصحابي خير » وقال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت. وعنده] [1] . رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك . قالا : صدق . تفرد به احمد . وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال ما تقولون في قول الله عز وجل [اذا جاء نصر الله والفتح] فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي : أ كذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت لا ، فقال ما تقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله (ص) أعلمه له قال [إذا جاء نصر الله والفتح] فذلك علامة أجلك [فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا] قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها الا ما يقول . تفرد به البخاري وهكذا روى من غير وجه عن ابن عباس أنه فسر ذلك بنعي رسول الله (ص) في أجله ، و به قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . فأما الحديث الذي قال الامام أحمد ثنا محمد بن فضيل ثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما : نزلت [إذا جاء نصر الله والفتح] قال رسول الله (ص) « نعيت الى نفسي » بانه مقبوض في تلك السنة تفرد به الامام أحمد وفي إسناده عطاء بن أبي مسلم الخراساني وفيه ضعف تكلم فيه غير واحد من الأئمة وفي لفظه نكارة شديدة وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة ، وهذا باطل فان الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها كما تقدم بيانه وهذا مالا خلاف فيه . وقد توفي رسول الله (ص) في ربيع الاول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضا ، وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني رحمه الله ثنا ابراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي ثنا أبي ثنا جعفر بن عون عن أبي العميس عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً اذا جاء نصر الله والفتح . فيه نكارة أيضاً وفي إسناده نظر أيضاً ويحتمل أن يكون أنها آخر

(١) ما بين المربعين لم يرد في الحلبية . وفي نسخة دار الكتب والتيمورية بهذا السياق .

سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم . وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة . وقال البخاري ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو ابن سلمة ـ قال لي أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله فلقيته فسألته ـ قال كنا بماء ممر الناس ، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون يزعم أن الله أرسله وأوحى اليه كذا . فكنت أحفظ ذاك الكلام فكأنما يغرى في صدري ، وكانت العرب تلوّم باسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فانه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم باسلامهم ، وبدر أبي قومي باسلامهم . فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبي حقا . قال صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فاذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة اذا سجدت تقلصت عني ، فقالت امرأة من الحي : ألا تغطون عنا است قارئكم ؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصاً فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص . تفرد به البخاري دون مسلم .

غزوة هوازن يوم حنين

قال الله تعالى (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) . وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في كتابه أن خروج رسول الله (ص) الى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه اليهم خمس عشرة ليلة وهكذا روى عن ابن مسعود وبه قال عروة بن الزبير واختاره احمد وابن جرير في تاريخه . وقال الواقدي : خرج رسول الله (ص) الى هوازن لست خلون من شوال فانتهى الى حنين في عاشره . وقال أبو بكر الصديق لن نغلب اليوم من قلة !! فانهزموا فكان أول من انهزم بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقية الناس .

قال ابن اسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله (ص) وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصري فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل ولم يشهدها من قيس عيلان الا هؤلاء وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب ولم يشهدها منهم أحد له اسم وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شي

الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً ، وفى ثقيف سيدان لهم ؛ وفى الاحلاف قارب ابن الاسود بن مسعود بن معتب ، وفى بنى مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث واخوه احمر بن الحارث وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصرى ، فلما أجمع السير إلى رسول الله (ص) أحضر مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فى شجار له يقاد به ، فلما نزل قال بأى واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ، مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير ، و بكاء الصغير ، و يعار الشاء ؟ قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، قال أين مالك ؟ قالوا هذا مالك ودعى له ، قال يامالك إنك قد اصبحت رئيس قومك و إن هذا يوم كائن له ما بعده من الايام ، مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحير ، و بكاء الصغير ، و يعار الشاء ؟ قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال ولم ؟ قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، قال فانقض به ، ثم قال راعى ضأن والله ، هل يرد المنهزم شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ؛ وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، ثم قال ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال لم يشهدها منهم أحد ، قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران ثم قال يامالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئاً ، ثم قال دريد لمالك ابن عوف : ارفعهم الى متمنع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك ، و إن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك ، ثم قال مالك . والله لتطيعننى يامعشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ـ وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى ـ فقالوا : أطعناك فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها وأضع
أقودُ وطفاء الزمع كأنها شاةٌ صدع

ثم قال مالك للناس : اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . قال ابن اسحاق : وحدثنى أمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا رأينا رجالا بيضاً على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد . قال ابن اسحاق : ولما سمع بهم نبى الله (ص) بعث اليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى وأمره أن يدخل فى

الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبى حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله (ص) وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله (ص) فأخبره الخبر ، فلما أجمع رسول الله (ص) السير الى هوازن ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدراعاً له وسلاحا فارسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال « يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا » فقال صفوان أغصباً يا محمد؟ قال « بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك » قال ليس بهذا بأس ، فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله (ص) سأله أن يكفيهم حملها ففعل . هكذا اورد هذا ابن اسحاق من غير إسناد . وقد روى يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهرى وعبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الادراع كما تقدم وفيه أن ابن أبى حدرد لما رجع فأخبر رسول الله (ص) خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبى حدرد : لئن كذبتنى يا عمر فربما كذبت بالحق ، فقال عمر ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال « قد كنت ضالا فهداك الله » . وقد قال الامام أحمد ثنا يزيد بن هارون أنبأ شريك بن عبد العزيز بن رفيع عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن رسول الله (ص) استعار من أمية يوم حنين أدراعاً فقال أغصباً يا محمد؟ فقال « بل عارية مضمونة » قال فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله (ص) أن يضمنها له فقال : أنا اليوم يارسول الله فى الاسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائى من حديث يزيد بن هرون به . وأخرجه النسائى من رواية اسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبى مليكة عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله (ص) استعار من صفوان دروعاً فذكره . ورواه من حديث هشيم عن حجاج عن عطاء أن رسول الله (ص) استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً وساق الحديث . وقال أبو داود ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا جرير عن عبد العزيز ابن رفيع عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله (ص) قال « ياصفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال عارية أم غصباً ، قال « بل عارية » فأعاره ما بين الثلاثين الى الاربعين درعاً وغزا رسول الله (ص) حنيناً فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله (ص) لصفوان « قد فقدنا من أدراعك أدراعاً فهل نغرم لك ؟ » قال لا يا رسول الله إن فى قلبى اليوم ما لم يكن فيه يومئذ وهذا مرسل أيضاً . قال ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله (ص) معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثنى عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهرى وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين اللذين سار بهما الى

هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدم باثنى عشر ألفاً إلى مكة على قولهـم وأضيف ألفان من الطلقاء .
وذكر ابن اسحاق أنه خرج من مكة فى خامس شوال قال واستخلف على أهل مكة عتاب بن أسيد ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس الأموى .

قلت : وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة ، قال ومضى رسول الله (ص) يريد لقاء هوازن وذكر قصيدة العباس بن مرداس السلمى فى ذلك [1] منها قوله :

أبلغ هوازنَ أعلاها وأسفلَها ... منّي رسالة نُصح فيه تبيان
إنى أظن رسول الله صابحكم ... جيشاً له فى فضاء الارضِ أركان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم ... والمسلمون عبادُ الله غسانُ
وفى عضادته اليمنى بنو أسد ... والأجربان بنو عبس وذبيان
تـكاد ترجف منه الأرض رهبته ... وفى مقدّمه أوسٌ وعثمان

قال ابن اسحاق : أوس وعثمان قبيلا مزينة . قال وحدثنى الزهرى عن سنان بن أبى سنان الدؤلى عن أبى واقد الليثى أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله (ص) إلى حنين ونحن حديثوا عهد بالجاهلية ، قال فسرنا معه إلى حنين، قال وكانت لـكفار قريش ومن سواهم من العربْ شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً ، قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله (ص) سدرة خضراء عظيمة ، قال فتنادينا من جنبات الطريق : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال رسول الله (ص) « الله اكبر قلتم والذى نفسى بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلـكم » . وقد روى هذا الحديث الترمذى عن سعيد بن عبدالرحمن المخزومى عن سفيان والنسائى عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر كلاهما عن الزهرى كما رواه ابن اسحاق عنه ، وقال الترمذى حسن صحيح . ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعاً وقال أبو داود ثنا أبو توبة ثنا معاوية بن سلام عن زيد ابن سلام أنه سمع أبا سلام عن السلولى أنه حدثه سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله (ص) يوم حنين فأطنبوا السير حتى كان العشية ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله (ص) فجاء رجل فارس فقال يارسول الله إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم وبنعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين ، فتبسم رسول الله (ص) وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال « من يحرسنا الليلة » قال أنس بن أبى مرثد : أنا يارسـول الله ، قال فاركب فركب

(١) وأولها . أصابتِ العامَ رعلا غولُ قومهم ... وسْطَ البيوتِ ولونُ الغول ألوانُ

فرساً له وجاء الى رسول الله (ص) فقال له رسول الله (ص) « استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة » فلما أصبحنا خرج رسول الله (ص) الى مصلاه فركع ركعتين ثم قال « هل أحسستم فارسكم ؟ » قالوا يارسول الله ما أحسسنا ، فثوب بالصلاة فجعل رسول الله (ص) يصلى و يلتفت الى الشعب حتى اذا قضى صلاته قال « ابشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعل ينظر الى خلال الشجر فى الشعب واذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله (ص) فقال : إنى انطلقت حتى اذا كنت فى اعلا هذا الشعب حيث أمرنى رسول الله (ص) فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله (ص) «هل نزلت الليلة ؟ » قال لا إلا مصليا أو قاضى حاجة ، فقال له رسول الله (ص) « قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها » وهكذا رواه النسائى عن محمد بن يحيى عن محمد بن كثير الحرانى عن أبى توبة الربيع بن نافع به .

الوقعة وما كان اولَ الأمر من الفرار ثم العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن اسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : فخرج مالك بن عوف بمن معه الى حنين فسبق رسول الله (ص) اليها فأعدوا وتهيئوا فى مضايق الوادى وأحنائه وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحط بهم الوادى فى عماية الصبح ، فلما انحط الناس ثارت فى وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد ، وانحاز رسول الله (ص) ذات اليمين يقول « أين أيها الناس ؟ هلموا الىّ أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » قال فلا شئ ، وركبت الابل بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله (ص) أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته على بن أبى طالب ، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقيل الفضيل بن أبى سفيان وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم قثم بن العباس و رهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر والعباس آخذ بحكمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها ، قال و رجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه اذ أدرك طعن برمحه واذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه ، قال فبينما هو كذلك اذ هوى له على بن أبى طالب ورجل من الانصار يريد انه ، قال فيأتى على من خلفه فضرب عرقوبى الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصارى على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله ، قال واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله (ص) ورواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم الزهرى عن أبيه عن محمد

ابن اسحاق قال ابن اسحاق : والتفت رسول الله (ص) الى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، كان ممن صبر يومئذ وكان حسن الاسلام حين أسلم وهو آخذ بثفر بغلة رسول الله (ص) فقال « من هذا ؟ » قال ابن أمك يا رسول الله . قال ابن اسحاق : ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الاعراب بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعني وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الازلام بعد معه يومئذ - قال : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله (ص) : ألا بطل السحر اليوم . فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لئن يربني رجل من قريش أحب الى من أن يربني رجل من هوازن . وقال الامام أحمد حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبا اسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والابل والغنم فجعلوها صفوفاً يكثرون على رسول الله (ص)، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله (ص) « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال « يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله » قال فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح . قال وقال رسول الله (ص) يومئذ « من قتل كافراً فله سلبه » قال فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم ، وقال أبو قتادة : يارسول الله إني ضربت رجلا على حبل العاتق وعليه درع له فاجهضت عنه فانظر من أخذها قال فقام رجل فقال أنا أخذتها فارضه منها وأعطنيها ، قال وكان رسول الله (ص) لا يسأل شيئاً ألا اعطاه أو سكت فسكت رسول الله (ص) ، فقال عمر : والله لا يفئها الله على أسد من أسد الله ويعطيكها ، فقال رسول الله (ص) « صدق عمر » قال ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها خنجر فقال أبو طلحة ما هذا ؟ فقالت إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج في بطنه ، فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك رسول الله (ص)، فقالت : يارسول الله أقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم » وقد روى مسلم منه قصة خنجر أم سليم ، وأبو داود قوله « من قتل قتيلا فله سلبه » كلاهما من حديث حماد بن سلمة به . وقول عمر في هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق . وقال الامام أحمد حدثنا عبدالصمد بن عبد الوارث ثنا أبي ثنا نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوي : يا أبا حمزة بسن أي الرجال كان رسول الله (ص) ، إذ بعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة ، قال ثم كان ماذا ؟ قال ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله اليه . قال بسن أي الرجال هو يومئذ ؟ قال كأشب الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه ، قال يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله (ص) ؟ قال نعم غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي

المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله (ص) نزل فهزمهم الله فولوا ، فقام رسول الله (ص) حين رأى الفتح فجعل يجاء بهم أسارى رجل رجل فيبايعونه على الاسلام ، فقال . رجل من أصحاب النبي (ص) إن على نذراً لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربن عنقه ، قال فسكت رسول الله (ص) وجيء بالرجل فلما رأى نبي الله (ص) ، قال : يانبي الله تبت الى الله ؟ قال وأمسك نبي الله (ص) أن يبايعه ليوفى الآخر نذره ، قال وجعل ينظر الى النبي (ص) ليأمره بقتله ويهاب رسول الله (ص) ، فلما رأى النبي (ص) أنه لا يصنع شيئاً بايعه فقال يا نبي الله نذرى ؟ قال « لم أمسك عنه منذ اليوم الا لتوفى نذرك » فقال يا رسول الله ألا أومأت الى ؟ قال « إنه ليس لنبي أن يومى » . تفرد به احمد وقال أحمد حدثنا يزيد ثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : كان من دعاء رسول الله (ص) يوم حنين « اللهم إنك إن تشاء لا تعبد في الارض بعد اليوم » إسناده ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه . وقال البخارى ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي اسحاق سمع البراء بن عازب ـ وسأله رجل من قيس أفررتم عن رسول الله (ص) يوم حنين ؟ ـ فقال : لكن رسول الله (ص) لم يفر ، كانت هوازن رماة وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام . ولقد رأيت رسول الله (ص) على بغلته البيضاء ، إن أبا سفيان آخذ بزمامها وهو يقول : أنا النبي لا كذب ، ورواه البخارى عن أبي الوليد عن شعبة به وقال :

أنا النبيّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطّلب

قال البخارى : وقال اسرائيل وزهير عن أبي اسحاق عن البراء ثم نزل عن بغلته . ورواه مسلم والنسائى عن بندار . زاد مسلم ، وأبي موسى كلاهما عن غندر به . وروى مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحاق عن البراء قال ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب « اللهم نزل نصرك » . قال البراء ولقد كنا اذا حمى البأس نتقى برسول الله (ص) وإن الشجاع الذى يحاذى به . وروى البيهقى من طرق أن رسول الله (ص) قال يومئذ : « أنا ابن العواتك » [وقال الطبرانى : ثنا عباس بن الفضل الاسقاطى ثنا عمرو بن عوف الواسطى ثنا هشيم أنبا يحيى بن سعيد عن عمرو بن سعيد بن العاص عن شبابة عن ابن عاصم السلمى أن رسول الله (ص) قال يوم حنين : « أنا ابن العواتك »] وقال البخارى : ثنا عبد الله بن يوسف أنبا مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله (ص) عام حنين ،

فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل على فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر ، فقلت ما بال الناس ؟ فقال أمر الله ، و رجعوا وجلس رسول الله (ص) فقال « من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه » فقمت فقلت من يشهد لي . ثم جلست فقال رسول الله (ص) مثله ، فقلت من يشهد لي ، ثم جلست فقال رسول الله (ص) مثله فقلت من يشهد لي ثم جلست ، ثم قال رسول الله (ص) مثله فقمت فقال « مالك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته فقال رجل صدق سلبه عندي فأرضه مني ، فقال أبو بكر : لاها الله إذاً تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ؟! فقال النبي (ص) « صدق فأعطه » فأعطانيه فابتعت به مخرافا في بني سلمة فانه لأول مال تأثلته في الاسلام . ورواه بقية الجماعة الا النسائي من حديث يحيى بن سعيد به . قال البخاري وقال الليث بن سعد حدثني يحيى بن سعيد عن عمر و بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله ، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني فأضرب يده فقطعتها ، ثم أخذني فضمني ضما شديدا حتى تخوفت ثم ترك فتحلل فدفعته ثم قتلته ، وانهزم المسلمون فانهزمت معهم ، فاذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له ما شأن الناس ؟ قال أمر الله ، ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله « من أقام بينة على قتيل فله سلبه » فقمت لألتمس بينة على قتيلي فلم أر أحدا يشهد لي فجلست ، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله (ص) فقال رجل من جلسائه : سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضه مني . فقال أبو بكر : كلا لا يعطيه أُضَيْبع من قريش ويدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله قال فقام رسول الله فأداه إلي فاشتريت به مخرافا فكان أول مال تأثلته . وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم كلاهما عن قتيبة عن الليث بن سعد به ، وقد تقدم من رواية نافع أبي غالب عن أنس أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعة لابي بكر الصديق ومساعدة وموافقة له ، أو قد اشتبه على الراوي والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي أنبأ الحاكم انبأ الاصم انبأ احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى « ياعباس ناد يامعشر الأنصار يا أصحاب الشجرة » فأجابوه لبيك لبيك ، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه و يأخذ سيفه وترسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع الى رسول الله (ص) منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ، ثم جعلت آخراً للخزرج وكانوا صبراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله (ص) في ركايبه

فنظر الى مجتلد القوم فقال « الآن حمى الوطيس » قال فوالله ما راجعه الناس الا والأسارى عند رسول الله (ص) مكتفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله (ص) أموالهم وأبناءهم . وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة . وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري أن رسول الله (ص) لما فتح الله عليه مكة وأقر بها عينه ، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركباناً ومشاة حتى خرج النساء يمشين على غير دين نظاراً ينظرون ويرجون الغنائم ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله (ص) وأصحابه ، قالوا وكان معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما ، قالوا وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النصري ومعه دريد بن الصمة يرعش من الكبر ، ومعه النساء والذراري والنعم ، فبعث رسول الله (ص) عبد الله بن أبي حدرد عيناً فبات فيهم فسمع مالك ابن عوف يقول لأصحابه : إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا أغماد سيوفكم واجعلوا مواشيكم صفاً ونساءكم صفاً ، فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة وصف الناس بعضهم لبعض وركب رسول الله (ص) بغلة له شهباء فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشرهم بالفتح - إن صبروا - فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد فجال المسلمون جولة ثم ولوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرت من بقي مع رسول الله (ص) حين أدبر الناس فقلت مائة رجل ، قالوا ومر رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال ابشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجتبرونها أبدا ، فقال له صفوان : تبشرني بظهور الأعراب فوالله لرب من قريش أحب الى من رب من الأعراب ، وغضب صفوان لذلك . قال عروة وبعث صفوان غلاماً له فقال اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال سمعتهم يقولون : يابني عبد الرحمن يابني عبدالله ، يابني عبيدالله ، فقال : ظهر محمد وكان ذلك شعارهم في الحرب . قالوا وكان رسول الله (ص) لما غشيه القتال قام في الركابين وهو على البغلة فرفع يديه الى الله يدعوه يقول « اللهم إني أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا » ونادى أصحابه وزمرهم « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكرة على نبيكم » ويقال حرضهم فقال « يا أنصار الله وأنصار رسوله يابني الخزرج يا أصحاب سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادي بذلك ، قالوا وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال « شاهت الوجوه » وأقبل أصحابه اليه سراعا يبتدرون ، وزعموا أن رسول الله (ص) قال « الآن حمي الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذراريهم ، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله (ص)

و إعزازه دينه . رواه البيهقي . وقال ابن وهب : أخبرني يونس عن الزهري أخبرني كثير بن العباس ابن عبد المطلب ، قال قال العباس : شهدت مع رسول الله (ص) يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه . ورسول الله (ص) على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى الناس ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله (ص) يركض بغلته قبل الكفار ، قال العباس وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله (ص) . وقال رسول الله (ص) « أي عباس ناد أصحاب السمرة » قال فوالله لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يا لبيكاه يا لبيكاه ، قال فاقتتلوا هم والكفار والدعوة في الأنصار وهم يقولون : يا معشر الانصار ، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله (ص) وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال « هذا حين حمي الوطيس » ثم أخذ حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ، ثم قال « انهزموا ورب محمد » قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال فوالله ما هو الا أن رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا ، وأمرهم مدبراً . ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به نحوه . ورواه أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري نحوه . وروى مسلم من حديث عكرمة ابن عمار عن اياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله (ص) حنيناً فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسهم ، وتوارى عني فما دريت ما صنع ثم نظرت الى القوم فاذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة رسول الله (ص) فولى أصحاب رسول الله (ص) وأرجع منهزما وعلي بردتان متزرا باحداهما مرتديا بالاخرى ، قال فاستطلق إزاري فجمعتهما جمعاً ومررت على النبي (ص) وأنا منهزم وهو على بغلته الشهباء ، فقال « لقد رأى ابن الاكوع فزعاً » فلما غشوا رسول الله (ص) نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل به وجوههم وقال « شاهت الوجوه » فما خلق الله منهم إنسانا الا ملأ عينيه ترابا من تلك القبضة فولوا مدبرين . فهزمهم الله وقسم رسول الله (ص) غنائمهم بين المسلمين . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده ثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن يسار عن أبي عبد الرحمن الفهري قال : كنا مع رسول الله (ص) في حنين فسرنا في يوم قائظ شديد الحر فنزلنا تحت ظلال السمر ، فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي فأتيت رسول الله (ص) وهو في فسطاطه فقلت السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرواح يارسول الله ؟ قال « أجل » ثم قال رسول الله (ص) « يا بلال » فثار من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر فقال لبيك وسعديك وأنا فداؤك ؟ فقال « أسرج لي فرسي » فأتاه بدفتين من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر . قال فركب فرسه فسرنا يومنا

فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله ﷺ يقول « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » واقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه ، وحدثني من كان أقرب اليه مني أنه أخذ حفنة من التراب فحثى بها وجوه العدو وقال « شاهت الوجوه » قال يعلى ابن عطاء فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقي أحد الا امتلأت عيناه وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست الحديد فهزمهم الله عز وجل . ورواه أبو داود السجستاني في سننه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة به نحوه . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا عبدالواحد ابن زياد ثنا الحارث بن حصين ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال قال عبد الله بن مسعود : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والانصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قدما ، فحادت به بغلته فمال عن السرج فقلت له ارتفع رفعك الله فقال « ناولني كفاً من تراب » فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابا قال « أين المهاجرين والأنصار ؟ » قلت هم أولاء قال « أهتف بهم » فهتفت بهم فجاؤا سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب وولى المشركون أدبارهم . تفرد به أحمد . وقال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القنطري ثنا أبو قلابة ثنا أبو عاصم ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الانصاري عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثني عشر ألفاً فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر ، قال وأخذ رسول الله ﷺ كفا من حصى فرمى بها في وجوهنا فانهزمنا ورواه البخاري في تاريخه ولم ينسب عياضاً . وقال مسدد ثنا جعفر بن سليمان ثنا عوف بن عبدالرحمن مولى أم برثن عمن شهد حنينا كافرا قال : لما التقينا نحن ورسول الله ﷺ لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجئنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله ﷺ حتى إذ غشيناه فاذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا : شاهت الوجوه فارجعوا ، فهزمنا من ذلك الكلام . رواه البيهقي . وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو سفيان ثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن ابراهيم ثنا الوليد بن مسلم حدثني محمد بن عبد الله الشعيثي عن الحارث بن بدل النصري عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمرو بن سفيان الثقفي قالا : انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله ﷺ الا عباس وأبو سفيان بن الحارث ، قال فقبض رسول الله ﷺ قبضة من الحصباء فرمى بها في وجوههم ، قال فانهزمنا فما خيل الينا إلا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا ، قال الثقفي : فأعجزت على فرسي حتى دخلت الطائف . وروى يونس بن بكير في مغازيه عن يوسف بن صهيب بن عبد الله أنه لم يبق مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه

زيد . وروى البيهقي من طريق الكديمي ثنا موسى بن مسعود ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي عن السائب بن يسار عن يزيد بن عامر السوائي أنه قال عند انكشافة انكشفها المسلمون يوم حنين فتبعهم الكفار وأخذ رسول الله (ص) قبضة من الارض، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال « ارجعوا شاهت الوجوه » فما أحد يلقى أخاه الا وهو يشكو قذى في عينيه . ثم روى من طريقين آخرين عن أبي حذيفة ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي حدثني أبي السائب بن يسار سمعت يزيد بن عامر السوائي ـ وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد ـ قال : فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال فكان يأخذ لنا بحصاة فيرمى بها في الطست فيطن ، قال كنا نجد في اجوافنا مثل هذا . وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ومحمد ابن موسى بن الفضل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمي ثنا أبو أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال : خرجت مع رسول الله (ص) يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إني أرى خيلا بلقاً ، فقال « يا شيبة إنه لا يراها الا كافر » فضرب يده في صدري ثم قال « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثانية فقال « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثالثة ثم قال « اللهم أهد شيبة » قال فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب الى منه . ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله (ص) حتى هزم الله المشركين . وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني ثنا يوسف بن موسى ثنا هشام بن خالد ثنا الوليد بن مسلم حدثني عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله (ص) يوم حنين قد عرى ، ذكرت أبي وعمي وقتل على وحمزة إياهما ، فقلت اليوم أدرك ثأري من رسول الله (ص) ، قال فذهبت لأجيئه عن يمينه فاذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج ، فقلت عمه ولن يخذله ، قال ثم جئته عن يساره فاذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يخذله ، قال ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بيني و بينه كأنه برق فخفت أن يمحشني ، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى فالتفت رسول الله (ص) وقال « يا شيب أدن مني ، اللهم اذهب عنه الشيطان » قال فرفعت اليه بصري ولهو أحب إلى من سمعي و بصري ، فقال « يا شيب قاتل الكفار » وقال ابن اسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة اخو بني عبد الدار قلت اليوم أدرك ثأري ـ وكان أبوه قد قتل يوم أحد ـ اليوم أقتل محمدا ، قال فأدرت برسول الله

(ص) لأقتله فأقبل شئ حتى تغشى فؤادى فلم أطق ذاك وعلمت أنه ممنوع منى . وقال محمد بن اسحاق : وحدثنى والدى اسحاق بن يسار عمن حدثه عن جبير بن مطعم قال : إنا لمع رسول الله (ص) يوم حنين والناس يقتتلون اذا نظرت إلى مثل البجاد الاسود يهوى من السماء حتى وقع بيننا و بين القوم فاذا نمل منثور قد ملأ الوادى فلم يكن الا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة . ورواه البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق به . وزاد فقال خديج بن العوجا النصرى ـ يعنى فى ذلك ـ :

ولما دنونا من حُنين ومائِهِ رأينا سواداً منكَر اللون أخصفا
بملمومةٍ شهباءَ لو قذفوا بها شماريخَ من عَزْوَى اذاً عادَ صفصفا
ولو أن قومي طاوعتنى سَراتُهم اذاً ما لقينا العارضَ المتكشفا
اذاً ما لقينا جندَ آلِ محمدٍ ثمانين ألفاً واستمدُّوا بخندفا

وقد ذكر ابن اسحاق من شعر مالك بن عوف النصرى رئيس هوازن يوم القتال وهو فى حومة الوغا يرتجز ويقول :

أقدمْ محاجُ إنه يومٌ نُكُرْ مِثلي على مثلِك يحمي ويكرّ
اذا أُضيع الصفُّ يوما والدبُرْ ثم احزألّتْ زُمرٌ بعدَ زمر
كتائبٌ يكلُّ فيهنّ البصَر قد أطعنُ الطعنةَ تقذى بالسبر
حين يُذَمّ المستكنُ المنجحر وأطعنُ النجلاء تعوي وتهر
لها من الجوفِ رشاشٌ منهمر تفهقُ تاراتٍ وحيناً تنفجر
وثعلبُ العاملِ فيها منكسِر يا زيْنُ يا ابنَ همهم أين تفرّ
قد أنفذ الضرسُ وقد طال العمر قد علِم البيضُ الطويلاتُ الخُمُر
أنيَ فى أمثالها غيرُ غُمر إذ تخرجُ الحاضنُ من تحت السُّتُر

وذكر البيهقى من طريق يونس بن بكير عن أبى اسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولى أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هى لغيره :

أذكُرْ مسيرَهمُ والناسُ كلهم ومالكٌ فوقه الرايات تختفقُ
ومالكٌ مالك ما فوقه أحد يوم حنينٍ عليه التاج يأتلق
حتى لقُوا الناس حين البأس يقدُمهم عليهم البِيض والأبدان والدرق
فضارَبوا الناس حتى لم يروا أحَدا حول النبي وحتى جَنّهُ الغسقُ
حتى تنزّلَ جبريلٌ بنصرهم فالقومُ منهزمٌ منّا ومعتلِق

منّا ولو غيرَ جبريلٍ يقاتلنا لمنَّعتنا إذاً أسيافنا الفلق
وقد وفى عمرُ الفاروقُ إذ هُزموا بطعنةٍ كان منها سرجُه العَلِق

قال ابن اسحق : ولما هزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت أمرأة من المسلمين :

قد غلبتْ خيلُ الله خيلَ اللاتِ والله أحقُّ بالثبات

قال ابن هشام . وقد أنشدنيه بعض اهل الرواية للشعر :

قد غلبتْ خيلُ الله خيلَ اللات وخيلُه أحقُّ بالثبات

قال ابن اسحاق : فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف فى بنى مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم وكانت مع ذى الخمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قتل ، فأخبرنى عامر بن وهب بن الاسود أن رسول الله ص. لما بلغه قتله قال « أبعده الله فانه كان يبغض قريشا » وذكر ابن اسحاق عن يعقوب بن عتبة أنه قتل مع عثمان هذا غلام له نصرانى ، فجاء رجل من الانصار ليسلبه فاذا هو أغرل ، فصاح بأعلا صوته : يامعشر العرب إن ثقيفاً غرل ، قال المغيرة بن شعبة الثقفى : فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلت لا تقل كذلك فداك أبى وأمى إنما هو غلام لنا نصرانى ، ثم جعلت أكشف له القتلى فأقول له ألا تراهم مختتنين كما ترى ؟ قال ابن اسحاق : وكانت راية الاحلاف مع قارب بن الاسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه فلم يقتل من الاحلاف غير رجلين ، رجل من بنى غيرة يقال له وهب ورجل من بنى كبة يقال له الجلاح ، فقال رسول الله ص. حين بلغه قتل الجلاح « قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنيدة » يعنى الحارث بن أويس . قال ابن اسحاق فقال العباس بن مرداس يذكر قارب بن الاسود وفراره من بنى أبيه وذا الخمار وحبسه نفسه وقومه للموت :

ألا من مبلغٌ غيلان عنى وسوف أخالُ يأتيه الخبير
وعروةَ إنما أُهدى جواباً وقولاً غيرُ قولكما يسير
بأنَّ محمداً عبدٌ رسولٌ لربٍّ لا يُضِلُّ ولا يجور
وجدناه نبياً مثل موسى فكلُّ فتى يخايره مخير
وبئسَ الأمرُ أمرُ بنى قسيٍّ بوجٍّ إذا تقسّمت الامور
أضاعوا أمرَهم ولكل قوم أميرٌ والدوائر قد تدور
جئنا أُسدَ غاباتٍ إليهم جنودُ الله ضاحيةً تسير
نؤم الجمعَ جمعَ بني قسي على حنق نكادُ له نطير

وأقسم لو هموا مكثوا لسرنا / اليهم بالجنود ولم يغوروا
فكنا أسد لية ثم حتى / أبحناها وأسلمت النصور
ويوم كان قبل لدى حنين / فأقلع والدماء به تمور
من الأيام لم تسمع كيوم / ولم يسمع به قوم ذكور
قتلنا فى الغبار بني حطيط / على راياتها والخيل زور
ولم يك دو الخمار رئيس قوم / لهم عقل يعاقب أو نكير
أقام بهم على سنن المنايا / وقد بانت لمبصرها الأمور
فأفلت من نجا منهم جريضاً / وقتل منهم بشر كثير
ولا يغني الأمور أخو التواني / ولا الغلق الصريرة الحصور
أحانهم وحان وملكوه / أمورهم وأفلتت الصقور
بنو عوف يميح بهم جياد / أهين لها الفصافص والشعير
فلولا قارب وبنو أبيه / تقسمت المزارع والقصور
ولكن الرياسة عمموها / على يمن أشار به المشير
أطاعوا قارباً ولهم جدود / وأحلام الى عز تصير
فان يهدوا الى الاسلام يلفوا / أنوف الناس ما سمر السمير
فان لم يسلموا فهموا أذان / بحرب الله ليس لهم نصير
كما حكمت بني سعد وجرت / برهط بني غزية عنقفير
كأن بني معاوية بن بكر / الى الاسلام ضائنة تخور
فقلنا أسلموا إنا أخوكم / وقد برأت من الإحن الصدور
كأن القوم اذ جاؤا الينا / من البغضاء بعد السلم عور

فصل

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصرى على ثنية مع طائفة من أصحابه فقال : قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أخراكم قال ابن اسحاق : فبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لاصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم ، فقال هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوماً عارضى رماحهم اغفالا على خيلهم ، فقال هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا الى أصل الثنية سلكوا

طريق بنى سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ فقالوا نرى فارساً طويل الباد واضعاً رمحه على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء ، قال : هذا الزبير بن العوام وأقسم باللات ليخالطنكم فاثبتوا له ، فلما انتهى الزبير الى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

وأمر رسول الله (ص) بالغنائم فجمعت من الأبل والغنم والرقيق وأمر أن تساق الى الجعرانة فتحبس هناك ، قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) على الغنائم مسعود بن عمرو الغفارى .

قال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا أن رسول الله (ص) مر يومئذ بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون عليها فقال لبعض أصحابه « أدرك خالداً فقل له إن رسول الله (ص) ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً » هكذا رواه ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد حدثنى المرقع بن صيفى عن جده رباح بن ربيع أخى بنى حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه رجع رسول الله (ص) فى غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فمر رباح وأصحاب رسول الله (ص) على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة ، فوقفوا ينظرون اليها ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله (ص) على راحلته فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله (ص) ، فقال « ما كانت هذه لتقاتل » فقال لأحدهم « الحق خالداً فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيفاً » وكذلك رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث المرقع بن صيفى به نحوه .

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصرى فلجؤوا الى الطائف فتحصنوا بها ، وسارت فرقة فعسكروا بمكان يقال له أوطاس فبعث اليهم رسول الله (ص) سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعرى فقاتلوهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله (ص) بنفسه الكريمة فحاصر أهل الطائف كما سيأتى . قال ابن اسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة الا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله (ص) من سلك الثنايا قال فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهان السلمى ويعرف بابن الدغنة ـ وهى أمه ـ دريد بن الصمة فاخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه فى شجار لهم ، فاذا برجل فأناخ به فاذا شيخ كبير واذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بى ؟ قال أقتلك ، قال ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رفيع السلمى ، ثم

ضرب به بسيفه فلم يغن شيئاً ، قال : بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي هـذا من مؤخر رحلي في الشجار ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فأني كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم منعت فيه نساءك ، فزعم بنوسليم أن ربيعة قال لما ضربته فوقع تكشف فاذا عجانه و بطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراء ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً . ثم ذكر ابن اسحاق مارثت به عمرة بنت دريد أباها فمن ذلك قولها :

قالوا قتلْنا دريداً قلتُ قد صدقوا فظلّ دمعي على السّربال منحدر
لولا الذي قهرَ الأقوامَ كلَّهم رأتْ سليمُ وكعبٌ كيف يأتمر
إذنْ لصبّحهم غِبًّا وظاهرةً حيثُ استقرّت نَواهُم جَحْفلٌ ذفر

قال ابن اسحاق : و بعث رسول الله (ص) في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الاشعرى فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى أبو عامر فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الاشعرى وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذى رمى أبا عامر الاشعرى بسهم فاصاب ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عني فاني سَلمه ابنُ سَمادِرَ لمن توسّمه
أضربُ بالسيفِ رؤس المُسْلِمه

قال ابن اسحاق : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الاشعرى لقى يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام و يقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام و يقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة و بقى العاشر فحمل على أبى عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام و يقول اللهم اشهد عليه ، فقال الرجل : اللهم لا تشهد عليّ فكف عنه أبو عامر فأفلت فأسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان النبى (ص) إذا رآه قال : « هـذا شريد أبى عامر » قال و رمى أبا عامر ؛ اخوان العلاء وأوفى أبناء الحارث من بنى جشم بن معاوية فأصاب أحـدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولى الناس أبا موسى فحمل عليهما فقتلهما ، فقال رجل من بنى جشم يرثيهما :

إن الرزيّة قَتْلُ العلا ء وأوفى جميعاً ولم يسندا
هما القاتلانِ أبا عامرٍ وقد كان داهيةً أربدا
هما تركاه لدى معْرَكٍ كأنّ على عِطفه مجسدا

فلم يُرَ فى الناس مِثْلَيهما أقلّ عَثاراً وأرمى يدا

وقال البخارى : ثنا محمد بن العلاء وحدثنا أبو أسامة عن يزيد بن عبدالله عن أبى بردة عن أبى موسى قال : لما فرغ رسول الله (ص) من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دريد بن الصمة فقُتل دريد وهزم الله أصحابه ، قال أبو موسى : و بعثنى مع أبى عامر فرمى أبو عامر فى ركبته رماه جشمى بسهم فأثبته فى ركبته ، قال فانتهيت اليه فقلت ياعم من رماك ؟ فأشار إلى أبى موسى فقال ذاك قاتلى الذى رمانى ، فقصدت له فلحقته فلما رآنى ولى فاتبعته وجعلت أقول له ألا تستحى ألا تثبت ؟ فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لابى عامر قتل الله صاحبك ، قال فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء . قال يا ابن أخى اقرئ رسول الله (ص) السلام وقل له استغفر لى ، واستخلفنى أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات فرجعت فدخلت على رسول الله (ص) فى بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبى عامر وقوله قل له استغفر لى قال فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال « اللهم اغفر لعبيد أبى عامر » ورأيت بياض إبطيه ثم قال « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ــ أو من الناس » فقلت ولى فاستغفر ، فقال « اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما » قال أبو بردة إحداهما لأبى عامر والأخرى لأبى موسى رضى الله عنهما . ورواه مسلم عن أبى كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن أبى براد عن أبى أسامة به نحوه وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبا سفيان ــ هو الثورى ــ عن عثمان البتى عن أبى الخليل عن أبى سعيد الخدرى قال أصبنا نساء من سبى أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبى (ص) ، فنزلت هذه الآية [والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم] قال فاستحللنا بها فروجهن . وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان البتى به . وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث شعبة عن قتادة عن أبى الخليل عن أبى سعيد الخدرى . وقد رواه الامام احمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث سعيد بن أبى عروبة ، زاد مسلم وشعبة والترمذى من حديث همام عن يحيى ثلاثتهم عن قتادة عن أبى الخليل عن أبى علقمة الهاشمى عن أبى سعيد أن أصحاب رسول الله (ص) أصابوا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك فكان أناس من أصحاب رسول الله (ص) كفوا وتأثموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية فى ذلك [والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم] وهذا لفظ احمد بن حنبل فزاد فى هذا الاسناد أبا علقمة الهاشمى وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الامة طلاقها . روى ذلك عن ابن مسعود وأبىّ بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بريرة

حيث بيعت ثم خيرت فى فسخ نكاحها أو إبقاءه ، فلو كان بيعها طلاقها لما خيرت ، وقد تقصينا الكلام على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية وسنذكره إن شاء الله فى الأحكام الكبير ، وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأمة المشركة بهذا الحديث فى سبايا أوطاس وخالفهم الجمهور وقالوا هذه قضية عين فلعلهن أسلمن أو كن كتابيات وموضع تقرير ذلك فى الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

من استشهد يوم حنين وأوطاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ ،وهو أيمن بن عبيد ، وزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد جمح به فرسه الذى يقال له الجناح فمات ، وسراقة بن مالك بن الحارث بن عدى الانصارى من بنى العجلان ، وأبو عامر الاشعرى أمير سرية أوطاس ، فهؤلاء أربعة رضى الله عنهم .

ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بجير بن زهير بن أبى سلمى :

لولا الالهُ وعبدُه وليتم ... حين استخفَّ الرعبُ كلَّ جبان
بالجزع يومَ حيالنا أقراننا ... وسوابحٍ يكبُون للأذقان
من بين ساعٍ ثوبُه فى كفه ... ومقطَّرٍ بسنابكٍ ولبان
والله أكرمنا وأظهرَ ديننا ... وأعزَّنا بعبادة الرحمن
واللهُ أهلكهم وفرّق جمعَهم ... وأذلَّهم بعباده الشيطان

قال ابن هشام ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عمُّ نبيكم ووليُّه ... يدعون يالكتيبة الإيمان
أينَ الذين همُ أجابوا ربَّهم ... يومَ العريضِ وبَيعةِ الرضوان

وقال عباس بن مرداس السلمى :

فأني والسوابحُ يومَ جمعٍ ... وما يتلو الرسولُ من الكتاب
لقد أحببتُ ما لقيتْ ثقيفٌ ... بجنب الشِّعب أمسِ من العذاب
همُ رأس العدوّ من أهل نجدٍ ... فقتلُهم ألذّ من الشراب
هزمْنا الجمعَ جمعَ بني قسيّ ... وحكّت بركها ببني رئاب
وصِرماً من هلالٍ غادرتْهم ... بأوطاسٍ تعفّر بالتراب
ولو لاقينَ جمعَ بني كلاب ... لقامَ نساؤهم والنقع كابى
ركضنا الخيلَ فيهم بين بَسّ ... إلى الأوراد تنحطُ بالنهاب
بذي لجبٍ رسولُ الله فيهم ... كتيبتُه تَعَرَّضُ للضِّراب

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النبآء إنك مرسل ... بالحق كل هدى السبيل هداكا
إن الاله بنى عليك محبة ... في خلقه ومحمداً سماكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم ... جند بعثت عليهم الضحاكا
رجلاً به ذرب السلاح كأنه ... لما تكنفه العدو يراكا
يغشى ذوي النسب القريب وإنما ... يبغي رضا الرحمن ثم رضاكا
أنبئك أني قد رأيت مكره ... تحت العجاجة يدمغ الإشراكا
طوراً يعانق باليدين وتارة ... يفري الجماجم صارماً فتاكا
يغشى به هام الكماة ولو ترى ... منه الذي عاينت كان شفاكا (١)
وبنو سليم معنقون أمامه ... ضرباً وطعناً في العدو دراكا
يمشون تحت لوائه وكأنهم ... أسد العرين أردن ثم عراكا
ما يرتجون من القريب قرابة ... إلا لطاعة ربهم وهواكا
هذي مشاهدنا التي كانت لنا ... معروفة ووليّنا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً (٢) :

عفا مجدل من أهله فمتالع ... فمطلا أريك قد خلا فالمصانع
ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا ... رخي وصرف الدهر للحي جامع
حبيبة ألوت بها غربة النوى ... لبين فهل ماض من العيش راجع
فان تبتغي الكفار غير ملومة ... فاني وزير للنبي وتابع
دعانا اليه خير وفد علمتهم ... خزيمة والمرار منهم وواسع
فجئنا بألف من سليم عليهم ... لبوس لهم من نسج داود رائع
نبايعه بالأخشبين وإنما ... يد الله بين الأخشبين نبايع
فجسنا مع المهدي مكة عنوة ... بأسيافنا والنقع كاب وساطع
علانية والخيل يغشى متونها ... حميم وآن من دم الجوف ناقع
ويوم حنين حين سارت هوازن ... الينا وضاقت بالنفوس الأضالع
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا ... قراع الأعادي منهم والوقائع
أمام رسول الله يخفق فوقنا ... لواء كخذروف السحابة لامع

---

(١) هذا البيت زدناه من سيرة ابن هشام . (٢) سقط من التيمورية هذه القصائد الى آخر الفصل .

عشيّةَ ضحّاكُ بنُ سفيانَ معْتَصٍ ... بسيفِ رسولِ الله والموتُ كانع
نذودُ أخانا عن أخينا ولو نرى ... مَصَالاً لكنّا الأقربين نتابع
ولكنّ دين الله دينُ محمد ... رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقامَ به بعدَ الضلالة أمرَنا ... وليس لأمرٍ حمّهُ اللهُ دافع

وقال عباس أيضاً :

تقطّع باقي وصلِ أم مؤمَّلِ ... بعاقبةٍ واستبدلت نيةٌ خلفا
وقد حلفتْ بالله لا تقطعُ القُوى ... فما صدقتْ فيه ولا بَرَّتِ الحلْفا
خُفافيّةٌ بطنُ العقيقِ مَصيفُها ... وتحتلُّ في البادينَ وَجْرَةَ فالعَرفا
فان تتبع الكفّارَ أمُّ مؤمل ... فقد زوّدتْ قلبي على نأيها شَغْفا
وسوف ينبّئها الخبيرُ بأننا ... أبينا ولم نطلب سوى ربّنا حِلفا
وإنا مع الهادي النبيّ محمدٍ ... وفينا ولم يستوفها معشرٌ ألفا
بفتيانِ صدقٍ من سليمٍ أعزّةٍ ... أطاعوا فما يعصُون من أمره حرفا
خفافٌ وذكوانٌ وعوفٌ تخالُهم ... مصاعبُ زافَتْ في طروقتها كُلْفا
كأنّ نسيجَ الشُّهب والبيضِ ملبسٌ ... أسوداً تلاقت في مراصِدها غُضفا
بنا عزَّ دين الله غير تنحّلٍ ... وزِدنا على الحي الذي معه ضِعْفا
بمكةَ إذ جئنا كأنّ لواءَنا ... عُقابٌ أرادتْ بعد تحليقها خَطفا
على شُخَّصِ الأبصار تحسَبُ بينَها ... إذا هي جالتْ في مراودها عزفا
غداةَ وطئنا المشركينَ ولم نجِدْ ... لأمر رسول الله عَدْلا ولا صَرْفا
بمعترَكٍ لا يسمع القومُ وسْطَهُ ... لنا زَجْمةً الا التّذامرَ والنقفا
ببيضٍ تُطير الهامَ عن مُستقرِّها ... وتقطِفُ أعناقَ الكماةِ بها قطفا
فكائنْ تركْنا من قتيلٍ ملحَّبٍ ... وأرملةٍ تدعو على بعلها لهفا
رضَا اللهِ ننوي لا رضا الناسِ نبتغي ... ولله ما يبدُو جميعاً وما يخفى

وقال عباس أيضاً رضي الله عنه :

ما بالُ عينِك فيها عائرٌ سَهِرُ ... مثل الحماطة أغضى فوقها الشُّفُر
عينٌ تأوّبها من شجوها أَرَقٌ ... فالماء يغمرها طورا وينحدر
كأنه نظمُ درٍّ عند ناظمه ... تقطّعَ السِّلكُ منه فهو منتثر
يا بُعدَ منزلِ مَن ترجو مودّته ... ومن أتى دونه الصَّمّان فالحَفَر

دعْ ما تقدّمَ من عهد الشباب فقد ... وَلّى الشبابُ وزارَ الشَّيبُ والزَّعَر

واذكُرْ بلاءَ سليمٍ في مواطنها ... وفي سليمٍ لأهلِ الفخرِ مفتخَر

قومٌ هموا نصروا الرحمنَ واتّبعوا ... دينَ الرسولِ وأمرُ الناس مشتجر

لا يغرسون فسيلَ النخل وسْطَهم ... ولا تُخاوَرُ في مشتاهمُ البَقَر

إلا سوابحَ كالعُقبان مقربةً ... في دارةٍ حولها الأخطارُ والعَكَرُ

تدعى خفافٌ وعوفٌ في جوانبها ... وحيُّ ذكوان لا ميلٌ ولا ضُجُر

الضاربون جنودَ الشِّرك ضاحيةً ... ببطن مكةَ والأرواحُ تبتدر

حتى رَفعنا وقتلاهم كأنهمُ ... نخلٌ بظاهرةِ البطحاء منقعِر

ونحن يومَ حنينٍ كان مشهدُنا ... للدين عزاً وعنـد الله مدّخَر

إذ نركبُ الموتَ مخضراً بطائنُه ... والخيلُ ينجاب عنها ساطعٌ كدِر

تحتَ اللواء مع الضحّاك يَقْدُمنا ... كما مشى الليثُ في غاباته الخدر

في مأزقٍ من مجرّ الحربِ كلكلُها ... تكاد تأفلُ منه الشمسُ والقمر

وقد صبرنا بأوطاسٍ أسنّتَنا ... لله ننصرُ من شئنا وننتصر

حتى تأوّبَ أقوامٌ منازلَهم ... لولا المليكُ ولولا نحنُ ما صَدَروا

فما ترى معشراً قلّوا ولا كثُروا ... إلا وقد أصبحَ منّا فيهمُ أثر

وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

يا أيها الرجلُ الذى تهوي به ... وجناءُ مجمرةُ المناسم عِرْمِسُ

إمّا أتيتَ على النبي فقلْ له ... حقاً عليكَ اذا اطمأنّ المجلس

ياخير من ركبَ المطيّ ومن مشى ... فوقَ التراب اذا تُعَدُّ الأنفس

إنّا وفَينا بالذى عاهدتَنا ... والخيلُ تَقدَعُ بالكُماة وتضرس

إذ سالَ من أفناءِ بهثةَ كلّها ... جمعٌ تَظَلُّ به المخارمُ ترجس

حتى صبحْنا أهلَ مكةَ فيلقاً ... شهباءَ يقدُمها الهمامُ الأشوس

من كل أغلبَ من سليمٍ فوقَه ... بيضاءُ محكمةُ الدِّخال وقَونَس

يروي القناةَ اذا تجاسرَ في الوغى ... وتخالُه أسداً اذا ما يعبس

يغشى الكتيبةَ معْلماً وبكفه ... عضبٌ يقدّ به ولدنٌ مدعس

وعلى حنينٍ قد وفَى من جمعنا ... ألفٌ أمدَّ به الرسولَ عرندس

كانوا أمام المؤمنين دريئةً ... والشمسُ يومئذٍ عليهم أشمس

نمضي ويحرسُنا الالهُ بحفظِهِ ... واللهُ ليسَ بضائعٍ من يحرس

ولقد حَبَسْنا بالمناقبِ مَحبساً ... رضيَ الالـهُ به فنِعْمَ المحبس

وغداة أوطاسٍ شددنا شدةً ... كفتِ العدوَ وقيل منها يا احبسوا

تدعو هوازنَ بالأخوّةِ بيننا ... ثديٌ تمدُّ به هوازنُ أيبس

حتى تركنا جمعَهم وكأنه ... عِيرٌ تَعاقَبُه السِّباع مفرّس

وقال أيضاً رضى الله عنه :

من مبلغُ الأقوامَ أن محمداً ... رسولُ الاله راشدٌ حيث يمّما

دعا ربَّه واستنصرَ اللهَ وحدَه ... فأصبحَ قد وفّى اليه وأنعما

سرينا وواعدْنا قُديداً محمداً ... يؤمُّ بنا أمراً من الله محكما

تمارَوا بنا فى الفجر حتى تبيَّنوا ... مع الفجرِ فتياناً وغاباً مقوما

على الخيلِ مشدوداً علينادروعُنا ... ورَجْلاً كدفّاع الأتيّ عرمرما

فان سَراةَ الحي إن كنتَ سائلاً ... سليمٌ وفيهم منهمُ من تسلما

وجندٌ من الأنصارِ لا يخذلونه ... أطاعوا فما يعصُونه ما تكلّما

فان تكُ قد أمّرتَ في القومِ خالداً ... وقدّمتَه فإنه قد تقدما

بجندٍ هداهُ اللهُ أنتَ أميرُه ... تصيبُ به فى الحقِّ مَن كان أظلما

حلفتُ يميناً برةً لمحمد ... فأكملتُها ألفاً من الخيل ملجما

وقال نبيُّ المؤمنين تقدّموا ... وحُبَّ إلينا أن نكونَ المقدما

وبتْنا بنهيِ المستديرِ ولم يكُن ... بنا الخوفُ إلا رغبةً وتحزما

أطعناكَ حتى أسلمَ الناسُ كلّهم ... وحتى صبحْنا الجمعَ أهلَ يلملما

يظل الحصانُ الأبلقُ الوردُ وسطه ... ولا يطمئن الشيخُ حتى يُسوَّما

سمونا لهم وردَ القَطا زفَّه ضُحى ... وكلاً تراه عن أخيه قد أحجما

لدنْ غدوةٍ حتى تركنا عشيةً ... حنيناً وقد سالتْ دوامعُه دما

إذا شئتَ من كل رأيتَ طمرَّة ... وفارسُها يهوي ورمحاً محطما

وقد أحرزتْ منا هوازنُ سِربها ... وحبَّ اليها أن نَخيبَ ونُحرَما

هكذا أورد الامام محمد بن اسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الاطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضا وقد حصل فيه كفاية من ذلك والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم - غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : قاتل رسول الله (ص) يوم حنين وحاصر الطائف فى شوال سنة ثمان . وقال محمد بن اسحاق : ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور . قال ثم سار رسول الله (ص) الى الطائف حين فرغ من حنين فقال كعب بن مالك فى ذلك : *

قضينا من تهامةَ كل رَيْبٍ　　وخيبرَ ثم أجمَمْنا السيوفا
نُخيِّرُها ولو نطقتْ لقالت　　قواطعُهن دَوساً أو ثقيفا
فلستُ لحاضنٍ إن لم تروْها　　بساحةِ داركم منا ألوفا
وننتزعُ العروشَ ببطنِ وجٍّ　　وتصبحُ دورُكم منكم خُلوفا
ويأتيكم لنا سرعانُ خيلٍ　　يغادر خلْفه جمعاً كثيفا
اذا نزلوا بساحتكم سمعتم　　لها مما أناخَ بها رجيفا
بأيديهم قواضبُ مرهفاتٌ　　يزُرْنَ المصطَلِينَ بها الحتوفا
كأمثالِ العقائقِ أخلَصَتْها　　قيونُ الهند لم تضرب كتيفا
تخالُ جديّةَ الأبطالِ فيها　　غداةَ الزحف جادِيّاً مدوفا
أجدّهمُ أليسَ لهم نصيحٌ　　من الأقوام كان بنا عريفا
يخبّرهم بأنّا قد جمعنا　　عتاقَ الخيل والنُّجُبَ الطروفا
وأنّا قد أتيناهم بزحفٍ　　يحيطُ بسورِ حصنهمُ صفوفا
رئيسُهم النبيّ وكان صُلْبا　　نقيّ القلبِ مصطبراً عزوفا
رشيدَ الأمر ذا حكمٍ وعلمٍ　　وحلمٍ لم يكن نَزِقاً خفيفا
نطيع نبيَّنا ونطيعُ ربّاً　　هو الرحمنُ كانَ بنا رؤوفا
فان تُلقوا الينا السلمَ نَقْبلْ　　ونجعلْكم لنا عضُداً وريفا
وإن تأبوا نجاهدْكم ونصبر　　ولا يكُ أمرُنا رَعِشاً ضعيفا
نجالدُ ما بقينا أو تُنيبوا　　الى الاسلام إذعاناً مضيفا
نجاهدُ لا نبالي ما لقينا　　أأهلكْنا التلادَ أم الطريفا
وكم من معشرٍ ألبوا علينا　　صميمَ الجذم منهم والحليفا
أتَوْنا لا يرون لهم كفاءً　　فجدَّعْنا المسامعَ والأنوفا

بكلّ مهندٍ لَيْنٍ صقيل نسوقهمُ بها سَوْقا عنيفا
لأمرِ الله والاسلام حتى يقومَ الدين معتدلا حنيفا
وتُنسى اللاتُ والعزّى وودٌّ ونسلبُها القلائدَ والشنوفا
فأمسَوا قد أقروا واطمأنوا ومن لا يمتنعْ يَقْبلْ خسوفا

وقال ابن اسحاق : فاجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي :

قلت : قد وفد على رسول الله (ص) بعد ذلك فى وفد ثقيف فأسلم معهم . قاله موسى بن عقبة وأبو اسحاق وأبو عمر بن عبدالبر وابن الاثير وغير واحد ، وزعم المدايني أنه لم يسلم بل صار الى بلاد الروم فتنصر ومات بها :

مَن كان يبغينا يريدُ قتالَنا فإنّا بدارٍ معلَمٍ لا نريمها
وجدنا بها الآباءَ من قبل ما ترى وكانت لنا أطواؤها وكرومها
وقد جرّبتْنا قبلَ عمرو بن عامر فأخبرَها ذو رأيها وحليمُها
وقد علمتْ ــ إن قالتِ الحق ــ أننا اذا ما أتت صُعْرُ الخدودِ نقيمها
نقوّمها حتى يلينَ شَريسُها ويُعرفَ للحقّ المبين ظَلومها
علينا دِلاصٌ من تراب مُحرَّقٍ كلونِ السماء زينتها نجومها
نرفّعها عنّا ببيضٍ صوارمٍ اذا جُرّدت فى غمرةٍ لا نشيمها

قال ابن اسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي فى مسير رسول الله (ص) الى الطائف :

لا تنصروا اللاتَ إن الله مهلكُها وكيفَ يُنصَرُ من هو ليس ينتصر
إن التي حُرقتْ بالسدِّ فاشتعلت ولم تقاتلْ لدى أحجارِها هدر
إن الرسولَ متى يَنزلْ بلادكمُ يظعنْ وليس بها من أهلها بَشَر

قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله (ص) ــ يعني من حنين الى الطائف ــ على نخلة اليمانية ثم على قرن ثم على المليح ثم على بحرة الرغاء من لية فابتنى بها مسجدا فصلى فيه قال ابن اسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب أنه عليه السلام أقاد يومئذ ببحرة الرغاء حين نزلها بدم وهو أول دم أقيد به فى الاسلام رجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به وأمر رسول الله (ص) وهو بلية بحصن مالك بن عوف فهدم . قال ابن اسحاق : ثم سلك فى طريق يقال لها الضيقة فلما توجه رسول الله (ص) سأل عن اسمها فقال ما اسم هذه الطريق فقيل الضيقة فقال بل هى اليسرى ، ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل اليه رسول الله (ص) إما أن تخرج إلينا و إما أن نخرب عليك حائطك ، فأبى أن يخرج فأمر رسول الله (ص)

بإخرابه . وقال ابن اسحاق : عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله (ص) يقول حين خرجنا معه الى الطائف فررنا بقبر فقال رسول الله (ص) « هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه » قال فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن . ورواه أبو داود عن يحيى بن معين عن وهب ابن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن اسماعيل بن أمية به . قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله (ص) حتى نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فتأخروا الى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذى بنته ثقيف بعد اسلامها ، بناه عمرو بن أمية بن وهب وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم الا سمع لها نقيض فيما يذكرون ، قال فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة ،قال ابن هشام و يقال سبع عشرة ليلة ، وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : ثم سار رسول الله (ص) إلى الطائف وترك السبي بالجعرانة وملئت عرش مكة منهم فنزل رسول الله (ص) بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم و يقاتلونه من وراء حصنهم ولم يخرج اليه أحد منهم غير أبى بكرة بن مسروح أخى زياد لأمه ، فأعتقه رسول الله (ص) وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنابهم ليغيظوهم بها فقالت لهم ثقيف : لا تفسدوا الأموال فانها لنا أو لكم . وقال عروة أمر رسول الله (ص) كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حبلات و بعث مناديا ينادى من خرج الينا فهو حر ، فاقتحم اليه نفر منهم فيهم أبو بكرة بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لامه فأعتقهم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يموله ويحمله . وقال الامام أحمد ثنا يزيد ثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله (ص) كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم اذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجلين وقال أحمد ثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس ثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : حاصر رسول الله (ص) أهل الطائف فخرج اليه عبدان فأعتقهما أحدهما أبو بكرة وكان رسول الله (ص) يعتق العبيد اذا خرجوا اليه وقال أحمد أيضاً ثنا نصر بن رئاب عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال قال رسول الله (ص) يوم الطائف « من خرج الينا من العبيد فهو حر » فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله (ص) هذا الحديث تفرد به أحمد ومداره على الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف ، لكن ذهب الامام أحمد إلى هذا فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب الى دار الاسلام عتق حكماً شرعياً مطلقاً عاما ، وقال آخرون إنما كان

هذا شرطاً لا حكماً عاماً ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه السلام « من قتل قتيلا فله سلبه » وقد قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن المكرم الثقفي قال: لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف خرج اليه رقيق من رقيقهم أبو بكرة عبداً للحارث بن كلدة والمنبعث وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله ﷺ المنبعث، ويحنس ووردان في رهط من رقيقهم فأسلموا. فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا يارسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك؟ قال « لا أولئك عتقاء الله » ورد على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله له. وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا عثمان قال سمعت سعدا - وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكرة وكان تسور حصن الطائف في أناس فجاء إلى رسول الله ﷺ - قالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام » ورواه مسلم من حديث عاصم به. قال البخاري. وقال هشام أنبأنا معمر عن عاصم عن أبي العالية أو أبي عثمان النهدي قال سمعت سعدا وأبا بكرة عن النبي ﷺ. قال عاصم: قلت لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما، قال أجل أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف. قال محمد بن اسحاق: وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة فضرب لهما قبتين فكان يصلي بينهما، فحاصرهم وقاتلهم قتالا شديداً وتراموا بالنبل قال ابن هشام: ورماهم بالمنجنيق فحدثني من أثق به أن النبي ﷺ أول من رمى في الاسلام بالمنجنيق رمى به أهل الطائف. وذكر ابن اسحاق أن نفرا من الصحابة دخلوا تحت دبابة ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهل الطائف فأرسلت عليهم سكك الحديد محماة فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا، فحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون، قال وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فناديا ثقيفاً بالامان حتى يكلموهم فأمنوهم فدعوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن اليهم وهما يخافان عليهن السباء اذا فتح الحصن. فأبين فقال لهما أبو الاسود بن مسعود ألا أدلكما على خير مما جئتما له؟ إن مال أبي الاسود حيث قد علمتما، وكان رسول الله ﷺ نازلا بواد يقال له العقيق وهو بين مال بني الاسود وبين الطائف وليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤونة ولا أبعد عمارة منه، وإن محمدا إن قطعه لم يعمر أبدا فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم. فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم. وقد روى الواقدي عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده وقيل قدم به وبدبابتين فالله أعلم

وقد أورد البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الاسلام فأذن له، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال

لا يهولنكم قطع ما قطع من الاشجار فى كلام طويل ، فلما رجع قال له رسول الله (ص) « ما قلت لهم » قال دعوتهم إلى الاسلام وأنذرتهم النار وذكرتهم بالجنة ، فقال « كذبت بل قلت لهم كذا وكذا » فقال صدقت يارسول الله أتوب إلى الله واليك من ذلك . وقد روى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن احمد ابن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام الدستوائى عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان ابن أبى طلحة عن ابن أبى نجيح السلمى وهو عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله (ص) قصر الطائف فسمعت رسول الله (ص) يقول « من بلغ بسهم فله درجة فى الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعته يقول « من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرر ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة وأيما رجل أعتق رجلا مسلما فان الله جاعل كل عظم من عظامه وقاء كل عظم بعظم ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جاعل كل عظم من عظامها وقاء كل عظم من عظامها من النار » . ورواه أبوداود والترمذى وصححه النسائى من حديث قتادة به . وقال البخارى ثنا الحميدى سمع سفيان ثنا هشام عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت : دخل على رسول الله (ص) وعندى مخنث فسمعه يقول لعبد الله بن أبى أمية : أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال رسول الله (ص) « لا يدخلن هؤلاء عليكن » قال ابن عيينة وقال ابن جريج : المخنث هيت . وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به وفى لفظ وكانوا يرونه من غير أولى الأربة من الرجال ، وفى لفظ قال رسول الله (ص) « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكن هؤلاء » يعنى اذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخل فى قوله تعالى [أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء] والمراد بالمخنث فى عرف السلف الذى لاهمة له الى النساء وليس المراد به الذى يؤتى إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتما كما دل عليه الحديث وكما قتله أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومعنى قوله تقبل بأربع وتدبر بثمان يعنى بذلك عكن بطنها فانها تكون أربعا اذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين اذا أدبرت ، وهذه المرأة هى بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيف ، وهذا المخنث قد ذكر البخارى عن ابن جريج أن اسمه هيت وهذا هو المشهور لكن قال يونس عن ابن اسحاق قال : وكان مع رسول الله (ص) مولى لخالته بنت عمرو بن عايذ مخنث يقال له ماتع يدخل على نساء رسول الله (ص) فى بيته ولا يرى أنه يفطن لشئ من أمور النساء مما يفطن اليه الرجال ، ولا يرى أن له فى ذلك إربا فسمعه وهو يقول لخالد ابن الوليد : ياخالد إن افتتح رسول الله (ص) الطائف فلا تنفلتن منكم بادية بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فقال رسول الله (ص) حين سمع هذا منه « ألا أرى هذا يفطن لهذا » الحديث ثم قال لنسائه « لا يدخلن عليكم » فحجب عن بيت رسول الله (ص) . وقال البخارى ثنا على بن عبدالله

ثنا سفيان عن عمرو عن أبي العباس الشاعر الأعمى عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئا قال « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فثقل عليهم وقالوا نذهب ولا نفتحه ؟ فقال « اغدوا على القتال » فغدوا فأصابهم جراح فقال « إنا قافلون غدا إن شاء الله » فأعجبهم فضحك النبي ﷺ وقال سفيان مرة فتبسم ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف في نسخ البخاري ففي نسخة كذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص والله أعلم . وقال الواقدي حدثني كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديلي فقال « يا نوفل ما ترى في المقام عليهم ؟ » قال يارسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك . قال ابن إسحاق وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفاً « يا أبا بكر إني رأيت أني أهديت لي قعبة مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق ما فيها » فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد ، فقال رسول الله ﷺ « وأنا لا أرى ذلك » قال ثم إن خولة بنت حكيم السلمية وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله أعطني إن فتح الله عليك حلي بادية بنت غيلان بن سلمة أو حلي الفارعة بنت عقيل ، وكانت من أحلى نساء ثقيف . فذكر أن رسول الله ﷺ قال لها « وإن كان لم يؤذن في ثقيف يا خويلة » فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خولة زعمت أنك قلته ؟ قال « قد قلته » قال أو ما أذن فيهم ؟ قال لا ، قال أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال بلى ، فأذن عمر بالرحيل فلما استقبل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : ألا إن الحي مقيم . قال يقول عيينة بن حصن أجل والله مجدة كراماً ، فقال له رجل من المسلمين قاتلك الله ياعيينة أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره ؟ فقال إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطؤها لعلها تلد لي رجلا فإن ثقيفاً قوم مناكير . وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قصة خولة بنت حكيم وقول رسول الله ﷺ ما قال . وتأذين عمر بالرحيل ، قال وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا يسرحوا ظهرهم فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه ودعا حين ركب قافلا فقال « اللهم اهدهم واكفنا مؤنتهم »

وروى الترمذي من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قالوا : يارسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم فقال « اللهم اهد ثقيفاً » ثم قال هذا حديث حسن غريب .

وقال يونس عن ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المكرم عمن أدركوا من أهل العلم قالوا حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم

يؤذن فيهم ، فقدم المدينة فجاءه وفدهم فى رمضان فأسلموا وسيأتى ذلك مفصلا فى رمضان من سنة تسع إن شاء الله . وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن اسحاق فمن قريش : سعيد ابن سعيد بن العاص بن أمية . وعرفطة بن حُباب حليف لبنى أمية بن الأسد بن الغوث ، وعبدالله ابن أبى بكر الصديق رمى بسهم فتوفى منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله (ص) وعبدالله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى من رمية رميها يومئذ ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة حليف لبنى عدى ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى وأخوه عبد الله ، وجليحة بن عبد الله من بنى سعد بن ليث ، ومن الانصار ثم من الخزرج ثابت بن الجذع الأسلمى ، والحارث بن سهل بن أبى صعصعة المازنى ، والمنذر بن عبد الله من بنى ساعدة ، ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية فقط ، فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلا سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث رضى الله عنهم أجمعين . قال ابن اسحاق ولما انصرف رسول الله (ص) راجعاً عن الطائف قال بجير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حنيناً والطائف .

كانت علالةً يومَ بَطنِ حنينٍ ... وغداةَ أوطاسٍ ويومَ الأبرق
جمعت باغواء هوازنُ جمعها ... فتبدّدوا كالطائر المتمزّق
لم يمنعوا منا مقاما واحداً ... إلا جدارَهُمُ وبطنَ الخندق
ولقد تعرَّضْنا لِكيما يَخْرُجوا ... فاستحصنوا منا بباب مُغلَق
ترتدّ حسراناً الى رجراجةٍ ... شهباءَ تلمعُ بالمنايا فيلق
ملمومةً خضراءَ لو قذفوا بها ... حِصناً لظلّ كأنه لم يخلق
مشْيَ الضِّراء على الهراس كأننا ... قدرٌ تفرَّقَ فى القِياد ويلتقي
فى كل سابغةٍ إذا ما استحصنتْ ... كالنّهْى هبتْ ريحُه المترقرق
جُدُلٍ تمسُّ فضولُهن نعالنا ... من نسْجِ داودَ وآلِ مُحرِّق

وقال أبو داود ثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ثنا الفريابى ثنا أبان ثنا عمرو - هو ابن عبد الله ابن أبى حازم - ثنا عثمان بن أبى حازم عن أبيه عن جده صخر - هو أبى العيلة الأحمسى - أن رسول الله (ص) غزا ثقيفاً فلما أن سمع ذلك صخر ركب فى خيل يمد النبى (ص) فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخر حينئذ عهد وذمة لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله (ص) ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله (ص) وكتب اليه صخر : أما بعد فان ثقيفا قد نزلت على حكمك يارسول الله وأنا مقبل بهم وهم فى خيلى فأمر رسول الله (ص) بالصلاة جامعة فدعا لأحمس عشر دعوات « اللهم بارك لاحمس فى خيلها ورجالها » . وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبة فقال :

يارسول الله إن صخرا أخذ عمتي ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، فدعاه فقال « ياصخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم فادفع الى المغيرة عمته » فدفعها اليه وسأل رسول الله ﷺ ماء لبني سليم قد هربوا عن الاسلام وتركوا ذلك الماء فقال : يارسول الله أنزلنيه أنا وقومي ؟ قال « نعم » فأنزله وأسلم – يعني الاسلميين ، فأتوا صخرا فسألوه أن يدفع اليهم الماء فأبى فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا . يارسول الله أسلمنا وأتينا صخرا ليدفع الينا ماءنا فأبى علينا ، فقال « يا صخر إن القوم اذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع اليهم ماءهم » قال نعم يانبي الله فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير عند ذلك حمرة حياء من أخذه الجارية وأخذه الماء . تفرد به أبو داود وفي اسناده اختلاف

قلت : وكانت الحكمة الالهية تقتضي أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يستأصلوا قتلا لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج الى الطائف فدعاهم الى الله تعالى وأبى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل وذلك بعد موت عمه أبي طالب فردوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهموماً فلم يستفق الا عند قرن الثعالب ، فاذا هو بغمامة واذا فيها جبريل فناداه ملك الجبال فقال يامحمد إن ربك يقرأ عليك السلام وقد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك فان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله ﷺ « بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئا » فناسب قوله بل أستأني بهم أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى .

مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن

قال ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يارسول الله ادع عليهم فقال « اللهم اهد ثقيفا وائت بهم » قال ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاء مالا يدرى عدته قال ابن اسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب وفي رواية يونس بن بكير عنه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كنا مع رسول الله ﷺ بحنين فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا : يارسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منّ الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال : يارسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو أنا ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما

وأنت رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول :

أُمنُنْ علينا رسولَ الله فى كَرَمٍ ... فإنك المرءُ نرجوه وننتظر
أمنن على بيضةٍ قد عاقها قَدَرٌ ... ممزّقٌ شملُها فى دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الدهرَ هتّافاً على حَزَنٍ ... على قلوبهمُ الغماءُ والغمر
[ياخير طفلٍ ومولودٍ ومنتجب ... فى العالمين اذا ما حصّل البشر [(١)]
إن لم تداركُها نعماءُ تنشرُها ... يا أرجحَ الناس حِلماً حين يُختبر
أمنن على نسوة قد كنتَ تَرضعها ... إذ فوكَ تملؤه من مخضها الدُّرَرُ
أمنن على نسوة قد كنتَ ترضعها [(٢)] ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنّا كمن شالتْ نعامته ... واستبقِ منّا فإنا معشرٌ زُهُر
إنا لنشكر آلاء وإن كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

قال فقال رسول الله (ص) « نساؤكم وأبناؤكم أحب اليكم أم أموالكم ؟ » فقالوا يارسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب الينا ، فقال رسول الله (ص) « أماما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، واذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله (ص) إلى المسلمين ، و بالمسلمين إلى رسول الله (ص) فى أبنائنا ونسائنا فانى سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » فلما صلى رسول الله (ص) بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله (ص) فقال « أما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله (ص) وقالت الانصار وما كان لنا فهو لرسول الله (ص) ، وقال الأقرع بن حابس : أما أنا و بنو تميم فلا ، وقال عيينة : أما أنا و بنو فزارة فلا ، وقال العباس بن مرداس السلمى : أما أنا و بنو سليم فلا ، فقالت بنو سليم بل ما كان لنا فهو لرسول الله (ص) ، قال يقول عباس بن مرداس لبنى سليم وهنتمونى ! فقال رسول الله (ص) « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فئ نصيبه » فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم ثم ركب رسول الله (ص) وأتبعه الناس يقولون : يارسول الله اقسم علينا فيئنا ، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال « أيها الناس ردوا على ردائى فو الذى نفسى فى يده لو كان لكم عندى عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جباناً ولا كذاباً » ثم قام رسول الله (ص) الى جنب بعير فأخذ من سنامه و برة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال « أيها الناس والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فان الغلول

(١) هذا البيت زيادة من السهيلى و زاد عليها ثلاثة أبيات أخر. (٢) فى السهيلى : إذ كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها .

عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة » فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يارسول الله أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعير لى دبر ، فقال رسول الله (ص) « أما حق منها فلك » فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها فلا حاجة لى بها فرمى بها من يده . وهذا السياق يقتضى أنه عليه السلام رد اليهم سبيهم قبل القسمة كما ذهب اليه محمد بن اسحاق بن يسار خلافاً لموسى بن عقبة وغيره . وفى صحيح البخارى من طريق الليث عن عقيل عن الزهرى عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله (ص) قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوا أن ترد اليهم أموالهم ونساؤهم فقال لهم رسول الله (ص) « معى من ترون وأحب الحديث الىّ أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبى و إما المال ؟ وقد كنت أستأنيت بكم » وكان رسول الله (ص) انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله (ص) غير راد اليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا إنا نختار سبينا ، فقام رسول الله (ص) فى المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فان إخوانكم هؤلاء قد جاؤا تائبين و إنى قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب أن يطيّب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفئ الله علينا فليفعل » فقال الناس : قد طيبنا ذلك يارسول الله فقال لهم « إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم » فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله (ص) فاخبروه بأنهم قد طيبوا وأذنوا . فهذا ما بلغنا عن سبى هوازن ولم يتعرض البخارى لمنع الأقرع وعيينة وقومهما بل سكت عن ذلك والمثبت مقدم على النافى فكيف الساكت . وروى البخارى من حديث الزهرى اخبرنى عمر بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله (ص) ومعه الناس مقفله من حنين علقت الاعراب برسول الله (ص) يسألونه حتى اضطروه الى شجرة نخطفت رداءه فوقف رسول الله (ص) ثم قال « أعطونى ردائى فلو كان عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوباً ولا جباناً » تفرد به البخارى . وقال ابن اسحاق : وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى أن رسول الله (ص) أعطى على بن أبى طالب جارية يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهبها من ابنه عبد الله وقال ابن اسحاق : فحدثنى نافع عن عبدالله بن عمر قال : بعثت بها الى أخوالى من بنى جمح ليصلحوا لى منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها اذا رجعت اليها ، قال فجئت من المسجد حين فرغت فاذا الناس يشتدون فقلت ما شأنكم ؟ قالوا رد علينا رسول الله (ص) نساءنا وابناءنا ، قلت تلكم صاحبتكم فى بنى جمح فاذهبوا فخذوها فذهبوا اليها فأخذوها . قال ابن اسحاق :

ولما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحي نسبا وعسى أن يعظم فداؤها ، فلما رد رسول الله (ص) السبايا بست فرائض أبي أن يردها ، فقال له زهير بن صرد : خذها عنك فو الله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درها بماكد ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريرة ولا نصفا وثيرة [فردها بست فرائض] قال الواقدي : ولما قسم رسول الله (ص) الغنائم بالجعرانة أصاب كل رجل أربع من الابل وأربعون شاة وقال سلمة عن محمد بن اسحاق عن عبدالله بن أبي بكر أن رجلا ممن شهد حنين قال والله إني لأسير الى جنب رسول الله (ص) على ناقة لي وفي رجلي نعل غليظة اذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله (ص) ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله (ص) فأوجعه ، فقرع قدمي بالسوط وقال « أوجعتني فتأخر عني » فانصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله (ص) يلتمسني قال قلت هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله (ص) بالأمس ، قال فجئته وأنا أتوقع فقال « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها » فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني ، والمقصود من هذا أن رسول الله (ص) رد إلى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره ، وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمد بن اسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله (ص) رد الى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لما رد السبي وركب علقت الاعراب برسول الله (ص) يقولون له اقسم علينا فيئنا حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فقال « ردوا علي ردائي أيها الناس فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاة نعماً لقسمته فيكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جباناً ولا كذاباً » كما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بنحوه وكأنهم خشوا أن يرد الى هوازن أموالهم كما رد اليهم نساءهم وأطفالهم فسألوه قسمة ذلك فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة كما أمره الله عز وجل وآثر أناساً في القسمة وتألف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم فعتب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله تطييباً لقلوبهم ، وتنقد بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج كذي الخويصرة وأشباهه قبحه الله كما سيأتي تفصيله وبيانه في الاحاديث الواردة في ذلك وبالله المستعان قال الامام أحمد حدثنا عارم ثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي يقول ثنا السميط السدوسي عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم ، قال ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد ، قال فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا قال فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرت الاعراب ومن نعلم من الناس ، قال فنادى رسول الله (ص) يا للمهاجرين يا للمهاجرين يا للأنصار ؟ — قال أنس هذا حديث

عمته ـ قال قلنا لبيك يارسول الله قال وتقدم رسول الله (ص)، قال وأيم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله قال فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا الى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا الى مكة ، قال فنزلنا فجعل رسول الله (ص) يعطى الرجل المائة و يعطى الرجل المائتين ، قال فتحدث الانصار بينها أما من قاتله فيعطيه ، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه ؟ ! فرفع الحديث الى رسول الله (ص) ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ثم قال « لا يدخلن على إلا أنصارى ـ أو الانصار » قال فدخلنا القبة حتى ملأناها قال نبي الله (ص) « يامعشر الأنصار » أو كما قال « ما حديث أتانى ؟ » قالوا ما أتاك يارسول الله قال « ما حديث أتانى » قالوا ما أتاك يارسول الله ، قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا رضينا يارسول الله ، قال فرضوا أو كما قال وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان وفيه من الغريب قوله أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف و إنما فى كانوا اثنى عشر الفاً ، وقوله إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة و إنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة فالله أعلم . وقال البخارى ثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام ثنا معمر عن الزهرى حدثنى أنس بن مالك قال قال ناس من الانصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن فطفق النبي (ص) يعطى رجالا المائة من الابل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله (ص) يعطى قريشاً و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ قال أنس بن مالك فحدث رسول الله (ص) بمقالتهم فأرسل إلى الانصار فجمعهم فى قبة أدم ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي (ص) فقال « ما حديث بلغنى عنكم ؟ » قال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يارسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله (ص) يعطى قريشاً و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، فقال رسول الله (ص) « فانى لأعطى رجالا حديثى عهد بكفر أتألفهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » قالوا يارسول الله قد رضينا فقال لهم النبي (ص) « فستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فانى على الحوض » قال أنس : فلم يصبروا . تفرد به البخارى من هذا الوجه ، ثم رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عوف عن هشام بن زيد عن جده أنس بن مالك قال : لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي (ص) عشرة آلاف والطلقاء فأدبروا فقال « يامعشر الأنصار » قالوا لبيك يارسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله (ص) فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم فى قبته فقال « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ؟ » (ص) [قالوا بلى] فقال رسول الله (ص) « لو

سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الانصار » . وفى رواية البخارى من هذا الوجه قال لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع رسول الله ص عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقى وحده فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما ، التفت عن يمينه فقال « يامعشر الأنصار ؟ » قالوا لبيك يارسول الله ابشر نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال « يامعشر الأنصار ؟ » فقالوا لبيك يارسول الله ابشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء فنزل فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون وأصاب يومئذ مغانم كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار اذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا فبلغه ذلك فجمعهم فى قبة فقال « يا معشر الأنصار ما حديث بلغنى ؟ » فسكتوا فقال « يامعشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا بلى فقال « لو سلك الناس وادياً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار » . قال هشام : قلت ياأبا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال وأين أغيب عنه ؟ ثم رواه البخارى ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله ص الأنصار فقال « إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية ومصيبة وإنى أردت أن أجبرهم وأتألفهم أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله الى بيوتكم ؟ » قالوا بلى ، قال « لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادى الانصار أو شعب الأنصار » . وأخرجاه أيضاً من حديث شعبة عن أبى التياح يزيد بن حميد عن أنس بنحوه وفيه فقالوا : والله إن هذا لهو العجب إن سيوفنا لتقطر من دمائهم والغنائم تقسم فيهم ، فخطبهم وذكر نحو ما تقدم . وقال الامام احمد ثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ص أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو فى آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار . يارسول الله سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم ؟ فبلغ ذلك النبي ص فجمعهم فى قبة له حتى فاضت فقال « فيكم أحد من غيركم ؟ » قالوا لا الا ابن اختنا ، قال « ابن اخت القوم منهم » ثم قال « أقلتم كذا وكذا ؟ » قالوا نعم ، قال « أنتم الشعار والناس الدثار أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله ص الى دياركم ؟ » قالوا بلى ، قال « الانصار كرشى وعيبتى لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار » وقال قال حماد أعطى مائة من الابل فسمى كل واحد من هؤلاء . تفرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وقال الامام احمد حدثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس أن رسول الله ص قال « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بى ، ألم آتكم اعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى يارسول الله قال « أفلا تقولون جئتنا خائفاً فأمناك ، وطريداً

فأو يناك ، ومخذولا فنصرناك ؟ » قالوا بل لله المن علينا ولرسوله . وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالك . وقد روى عن غيره من الصحابة قال البخارى ثنا موسى ابن اسماعيل ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيي عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسوله ص يوم حنين قسم فى الناس فى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكأنهم وجدوا فى أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال « يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ؟ وعالة فأغناكم الله بى ؟ » كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله أمن ، قال « لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أماترضون أن يذهب الناس بالشاه والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض » . ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيي المازنى به وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبى سعيد الخدرى قال : لما أصاب رسول الله ص الغنائم يوم حنين وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم ولم يكن فى الأنصار منها شئ قليل ولا كثير ، وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم حتى قال قائلهم : لقى والله رسول الله قومه ، فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ص ، فقال : يارسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم ؟ فقال « فيم ؟ » قال فيما كان من قسمك هذه الغنائم فى قومك وفى سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شئ ، فقال رسول الله ص « فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ » ، قال ما أنا الا امرؤ من قومى ، قال فقال رسول الله ص « فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة فاذا اجتمعوا فاعلمنى » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم فى تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا وجاء آخرون فردهم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال يارسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتنى أن أجمعهم ، فخرج رسول الله ص فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى ثم قال رسول الله ص « ألا تجيبون يامعشر الأنصار ؟ » ، قالوا وما نقول يارسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المن لله ولرسوله قال « والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، وخائفا فأمناك ، ومخذولا فنصرناك » فقالوا المن لله ولرسوله فقال رسول الله ص « أوجدتم فى نفوسكم يامعشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام ، أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس الى رحالهم بالشاه والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم فوالذى

نفسي بيده لو ان الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الانصار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الانصار. اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار» قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله رباً و رسوله قسما ثم انصرف وتفرقوا. وهكذا رواه الامام أحمد من حديث ابن اسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح وقد رواه الامام أحمد عن يحيى بن بكير عن الفضل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري قال رجل من الأنصار لاصحابه: أما والله لقد كنت أحدثكم أنه لو استقامت الامور قد آثر عليكم، قال فردوا عليه ردا عنيفاً فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها قالوا بلى يارسول الله، قال «وكنتم لا تركبون الخيل» وكلما قال لهم شيئا قالوا بلى يارسول الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم. تفرد به أحمد أيضا. وهكذا رواه الامام أحمد منفرداً به من حديث الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بنحوه ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر مختصراً وقال سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد بن مسروق عن أبيه عن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج عن جده رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من سبي حنين مائة من الابل، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة. وأعطى صفوان ابن أمية مائة، وأعطى عيينة بن حصن مائة. وأعطى الأقرع بن حابس مائة. وأعطى علقمة بن علاثة مائة، وأعطى مالك بن عوف مائة، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهبَ العبيـــد بين عُيَيْنة والأقرع
فما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في المجمع
وما كنتُ دون امرئٍ منهما ومن تَخفِضِ اليوم لا يُرفع
وقد كنتُ في الحرب ذا تدرءٍ فلم أُعطَ شيئًا ولم أُمنع

قال فأتم له رسول الله ﷺ مائة. رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البيهقي وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن اسحاق فقال:

كانت نِهاباً تلافيتُها بكَرّي على المهر في الأجرع
وإيقاظيَ الحيَّ أن يرقُدوا إذا هَجَعَ الناس لم أهجع
فأصبحَ نهبي ونهبُ العبــيدِ بين عيينةَ والاقرع
وقد كنتُ في الحرب ذا تدرءٍ فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلا أفايلَ أعطيتُها عديدَ قوائمها الأربع

وما كان حِصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ فى المجمع
وما كنتَ دونَ امرئٍ منهما ومن تضعِ اليومَ لا يُرفع

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : فبلغ ذلك رسول الله (ص) ، فقال له « أنت القائل أصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ » فقال أبو بكر ما هكذا قال يارسول الله ولكن والله ما كنت بشاعر وما ينبغى لك . فقال « كيف قال ؟ » فأنشده أبو بكر فقال رسول الله (ص) ، « هما سواء ما يضرك بأيهما بدأت » ثم قال رسول الله (ص) « اقطعوا عنى لسانه » فخشى بعض الناس أن يكون أراد المثلة به وإنما أراد النبى (ص) العطية ، قال وعبيد فرسه . وقال البخارى حدثنا محمد ابن العلاء ثنا أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبى بردة عن أبى موسى قال : كنت عند النبى (ص) وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى رسول الله (ص) أعرابى فقال : الا تنجز لى ما وعدتنى ؟ فقال له « ابشر » فقال قد أكثرت على من أبشر ! فأقبل على أبى موسى و بلال كهيئة الغضبان فقال « رد البشرى فاقبلا أنتما » ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال « اشربا منه وافرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا » . فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أم سلمه من وراء الستر أن أفضلا لأمكما . فأفضلا لها منه طائفة . هكذا رواه . وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير ثنا مالك عن اسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله (ص) وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله (ص) قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، قال : مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء . وقد ذكر ابن اسحاق الذين أعطاهم رسول الله (ص) يومئذ مائة من الابل وهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلدة أخو بنى عبد الدار ، وعلقمة بن علاثة ، والعلاء بن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة ، والحارث بن هشام ، وجبير بن مطعم ، ومالك بن عوف النصرى ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة ابن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع بن حابس ، قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى أن قائلا قال لرسول الله (ص) ، من أصحابه : يارسول الله أعطيت عيينة والاقرع مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمرى ؟ ! فقال رسول الله (ص) « أما والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألفتهما ليسلما ، ووكلت جعيل بن سراقة إلى اسلامه » ثم ذكر ابن اسحاق من أعطاه رسول الله (ص) دون المائة ممن يطول ذكره . وفى الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله (ص) يعطينى من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إلىّ حتى ما خلق الله شيئا أحب إلى منه

قدوم مالك بن عوف النصري على الرسول

قال ابن اسحاق : وقال رسول الله (ص) لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال « أخبروه إنه إن أتاني مسلماً رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل » فلما بلغ ذلك مالكا انسل من ثقيف حتى أتى رسول الله (ص) وهو بالجعرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه ، فرد عليه أهله وماله ولما أعطاه مائة فقال مالك بن عوف رضي الله عنه :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ... ومتى تشأ يخبرْك عمّا في غد
وإذا الكتيبةُ عرّدتْ أنيابها ... بالسمهريّ وضَرْبِ كل مهند
فكأنه ليثٌ على أشباله ... وسْطَ المباءةِ خادرٌ في مرصد

قال واستعمله رسول الله (ص) على من أسلم من قومه وتلك القبائل ثمالة وسلمة وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرج إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم . وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا جرير بن حازم ثنا الحسن حدثني عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله (ص) قوماً ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال « إني أعطي قوماً أخاف هلعهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ماجعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب » قال عمرو . فما أحب أن لي بكلمة رسول الله (ص) حمر النعم ، زاد أبو عاصم عن جرير سمعت الحسن ثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله (ص) أتي بمال - أو سبي - فقسمه بهذا . وفي رواية للبخاري قال أتي رسول الله بمال - أو بشيء - فاعطى رجالا وترك رجالا فبلغه أن الذين ترك عتبوا فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد » فذكر مثله سواء . تفرد به البخاري [1] وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال فيما كان من أمر الانصار وتأخرهم عن الغنيمة .

[ذر الهمومَ فماءُ العين منحدرٌ ... سحّاً إذا حفلتهُ عَبرة دَرَر]
وجداً بشمّاءَ إذ شمّاءُ [2] بهكنةٌ ... هيفاءُ لا ذَنَنٌ فيها ولا خَوَر
دع عنكَ شمّاءَ إذ كانت مودّتُها ... نزراً وشرُّ وِصال الواصلِ النَزَرُ
وائت الرسولَ وقل ياخيرَ مؤتمنٍ ... للمؤمنينَ إذ ما عدّد البشر
علامَ تُدعى سليمٌ وهي نازحة ... قُدّامَ قوم هموا آوَوا وهم نَصَروا
سمّاهم الله أنصاراً بنصرهم ... دينَ الهدى وعوانُ الحرب تستعر
وسارَعوا في سبيلِ الله واعترضوا ... للنائباتِ وما خَانوا وما ضَجِروا

(١) هذا الحديث مؤخر في التيمورية بعد قصيدة حسان . (٢) في الحلبية : شنباء

والناس إلبٌ علينا فيك ليس لنا … إلا السيوفُ وأطرافُ القنا وَزَر
نُجالدُ الناس لا نُبقي على أحدٍ … ولا نضيّع ما توحي به السوَر
ولا تهرّ جُناة الحرب نادينا … ونحن حين تلظّى نارُها سُعُر
كما رددنا ببدرٍ دونَ ما طلبوا … أهلَ النفاق وفينا ينزل الظفر
ونحن جندُك يوم النعفِ من أُحد … إذ حزّبت بَطَراً أحزابُها مُضَر
فما ونَيْنا وما خِمنا وما خبروا … منا عِثارا وكلُّ الناس قد عثروا

اعتراض بعض اهل الشقاق على الرسول

قال البخاري : ثنا قبيصة ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله ، قال فأتيت رسول الله (ص) فأخبرته فتغير وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » . ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قال البخاري ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم ناسا أعطى الأقرع بن حابس مائة من الابل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناسا فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، [فأخبرته] فقال « رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » . وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به . وفي رواية للبخاري فقال رجل والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله ، فقلت والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فأخبرته فقال « من يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ! رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » . وقال محمد بن اسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت انا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو ابن العاص وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده ، فقلنا له هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال نعم جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطي الناس فقال له : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله (ص) « أجل فكيف رأيت ؟ » قال لم أرك عدلت ، قال فغضب النبي (ص) فقال « ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ » فقال عمر بن الخطاب : ألا نقتله ؟ فقال « دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم » وقال الليث بن سعد عن يحيى

ابن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجعرانة النبي (ص) منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله (ص) يقبض منها ويعطي الناس ، فقال : يا محمد اعدل ، قال « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب دعني يارسول الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » ورواه مسلم عن محمد بن رمح عن الليث . وقال احمد ثنا أبو عامر ثنا قرة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بينما رسول الله (ص) يقسم مغانم حنين إذ قام اليه رجل فقال اعدل ، فقال « لقد شقيت إذ لم أعدل » ورواه البخاري عن مسلم بن ابراهيم عن قرة بن خالد السدوسي به . وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال : بينما نحن عند رسول الله (ص) وهو يقسم قسما إذ أتاه ذوالخويصرة رجل من بني تميم فقال : يارسول الله اعدل ، فقال رسول الله (ص) « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت ، إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله إيذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال رسول الله (ص) « دعه فان له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شئ ثم الى رُصافه فلا يوجد فيه شئ ثم ينظر الى نضيه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شئ ثم ينظر الى قذذه فلا يوجد فيه شئ قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس » قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله (ص) ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله (ص) الذي نعت . ورواه مسلم أيضا من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد به نحوه .

مجيء اخت رسول الله (ص) من الرضاعة عليه بالجعرانة

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله (ص) قال يوم هوازن « إن قدرتم على بجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يفلتنكم » وكان قد أحدث حدثا ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله (ص) من الرضاعة ، قال فعنفوا عليها في السوق فقالت للمسلمين : تعلمون والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة ؟ فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي - هو أبو وجزة - قال فلما انتهي بها الي رسول الله (ص) قالت : يارسول الله إني أختك من الرضاعة ، قال « وماعلامة ذلك ؟ » قالت عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك ، قال فعرف رسول الله (ص)

العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال « إن أحببت فعندى محببة مكرمة ، و إن أحببت أن أمتعك وترجعى إلى قومك فعلت ؟ » قالت : بل تمتعنى وتردنى إلى قومى ، فمتعها رسول الله (ص.) وردها إلى قومها فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية . وروى البيهقى من حديث الحكم بن عبد الملك عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله (ص.) فقالت : يا رسول الله أنا أختك أنا شيماء بنت الحارث ، فقال لها « إن تكونى صادقة فان بك منى أثر لا يبلى » قال فكشفت عن عضدها فقالت : نعم يارسول الله وأنت صغير فعضضتنى هذه العضة ، قال فبسط لها رسول الله (ص.) رداءه ثم قال « سلى تعطى واشفعى تشفعى » . وقال البيهقى انبأ أبو نصر بن قتادة انبأ عمرو بن اسماعيل ابن عبد السلمى ثنا مسلم ثنا أبو عاصم ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان أخبرنى عمى عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضو البعير ، ورأيت رسول الله (ص.) يقسم نعما بالجعرانة ، قال فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت من هده ؟ قالوا أمه التى أرضعته . هذا حديث غريب ولعله يريد أخته وقد كانت تحضنه مع أمها حليمة السعدية و إن كان محفوظاً فقد عمرت حليمة دهراً فان من وقت أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك ، وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه والله أعلم بصحته . قال أبو داود فى المراسيل ثنا أحمد بن سعيد الهمدانى ثنا ابن وهب ثنا عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله (ص.) كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم جاءه أخوه من الرضاعة فقام رسول الله (ص.) فأجلسه بين يديه ، وقد تقدم أن هوازن بكمالها متواليه برضاعته من بنى سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صرد : يا رسول الله إنما فى الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فامنن علينا منّ الله عليك وقال فيما قال :

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها دِرَر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزينك ما تأتى وما تذر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم فعادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً خصوصاً وعموماً . وقد ذكر الواقدى عن ابراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال : كان النضير بن الحارث ابن كلدة من أجمل الناس فكان يقول : الحمد لله الذى من علينا بالاسلام ، ومن علينا بمحمد (ص.) ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، وقتل عليه الاخوة ، و بنو العم . ثم ذكر عداوته للنبى (ص.) وأنه

خرج مع قومه من قريش الى حنين وهم على دينهم بعد ، قال ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد أن نغير عليه فلم يمكنا ذلك ، فلما صار بالجعرانة فوالله إنى لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله (ص) فقال « أنضير ؟ » قلت لبيك ، قال « هل لك الى خير مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك و بينه ؟ » قال فأقبلت اليه سريعاً فقال « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع ». قلت قد أدرى أن لوكان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، و إنى أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، فقال رسول الله (ص) « اللهم زده ثباتاً » قال النضير : فو الذى بعثه بالحق لكأن قلبى حجر ثباتاً فى الدين ، وتبصرة بالحق . فقال رسول الله (ص) « الحمد لله الذى هداه »

عمرة الجعرانة في ذي القعدة

قال الامام أحمد ثنا بهز وعبد الصمد المعنى قالا : ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك قلت كم حج رسول الله (ص) ؟ قال : حجة واحدة ، واعتمر أربع مرات . عمرته زمن الحديبية وعمرته فى ذى القعدة من المدينة ، وعمرته من الجعرانة فى ذى القعدة ، حيث قسم غنيمة حنين ، وعمرته مع حجته . ورواه البخارى ومسلم وابوداود والترمذى من طرق عن همام بن يحيى به . وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الامام أحمد ثنا أبو النضر ثنا داود ـ يعنى العطار ـ عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال : اعتمر رسول الله (ص) أربع عمر ؛ عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التى مع حجته . ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث داود ابن عبدالرحمن العطار المكى عن عمرو بن دينار به . وحسنه والترمذى وقال الامام أحمد ثنا يحيى ابن زكريا بن أبى زائدة ثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ عن عبدالله ابن عمرو بن العاص ـ قال : اعتمر رسول الله (ص) ثلاث عمر ، كل ذلك فى ذى القعدة يلبى حتى يستلم الحجر . غريب من هذا الوجه وهذه الثلاث عمر اللاتى وقعن فى ذى القعدة ماعدا عمرته مع حجته فانها وقعت فى ذى الحجة مع الحجة وان أراد ابتداء الاحرام بهن فى ذى القعدة فلعله لم يرد عمرة الحديبية لانه صد عنها ولم يفعلها والله أعلم .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله (ص) اعتمر من الجعرانة بالكلية وذلك فيما قال البخارى ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله إنه كان علىّ اعتكاف يوم فى الجاهلية فأمره أن يفى به ، قال وأصاب عمر جاريتين من سبى حنين فوضعهما فى بعض بيوت مكة ، قال فمنّ رسول الله (ص) على سبى حنين فجعلوا يسعون فى السكك ، فقال عمر : ياعبد الله انظر ماهذا ؟ قال منّ رسول الله (ص) على السبى ، قال اذهب فارسل الجاريتين . قال نافع ولم يعتمر رسول الله (ص) من الجعرانة ولو اعتمر لم يخف على

عبد الله ، وقد رواه مسلم من حديث أيوب السختيانى عن نافع عن ابن عمر به . ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبدة الضبى عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع قال ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله (ص) من الجعرانة فقال لم يعتمر منها وهذا غريب جدا عن ابن عمر وعن مولاه نافع فى إنكارهما عمرة الجعرانة وقد أطبق النقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وذكر ذلك أصحاب المغازى والسنن كلهم . وهذا أيضاً كما ثبت فى الصحيحين من حديث عطاء بن أبى رباح عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله إن رسول الله (ص) اعتمر فى رجب وقالت : يغفر الله لأبى عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله (ص) إلا وهو شاهد ، وما اعتمر فى رجب قط . وقال الامام أحمد ثنا ابن نمير ثنا الأعمش عن مجاهد قال سأل عروة بن الزبير ابن عمر فى أى شهر اعتمر رسول الله (ص) ؟ قال فى رجب ، فسمعنا عائشة فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدها وما اعتمر عمرة قط الا فى ذى القعدة ، واخرجه البخارى ومسلم من حديث جرير عن منصور عن مجاهد به نحوه . ورواه أبو داود والنسائى أيضاً من حديث زهير عن أبى اسحاق عن مجاهد سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله (ص) ؟ فقال مرتين ، فقالت عائشة لقد علم ابن عمر أن رسول الله (ص) اعتمر ثلاثاً سوى التى قرنها بحجة الوداع . قال الامام أحمد ثنا يحيى بن آدم ثنا مفضل عن منصور عن مجاهد قال . دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة والناس يصلون الضحى . فقال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟ قال بدعة ، فقال له عروة أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ؟ فقال أربعاً إحداهن فى رجب ، قال وسمعنا استنان عائشة فى الحجرة ، فقال لها عروة إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً إحداهن فى رجب ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر النبى (ص) إلا وهو معه ، وما اعتمر فى رجب قط . وهكذا رواه الترمذى عن احمد بن منيع عن الحسن بن موسى عن شيبان عن منصور وقال حسن صحيح غريب . وقال الامام احمد ثنا روح ثنا ابن جريج أخبرنى مزاحم بن أبى مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله عن محرش الكعبى أن رسول الله (ص) خرج من الجعرانة ليلا حين أمسى معتمرا فدخل مكة ليلا يقضى عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت حتى اذا زالت الشمس خرج من الجعرانة فى بطن سرف ، حتى جاء مع الطريق ـ طريق المدينة ـ بسرف قال محرش : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس . ورواه الامام احمد عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج كذلك وهو من افراده والمقصود أن عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح الذى لا يمكن منعه ولا دفعه ومن نفاها لا حجة معه فى مقابلة من أثبتها والله أعلم . ثم هم كالمجمعين على أنها كانت فى ذى القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين ، وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى معجمه

الكبير قائلا : حدثنا الحسن بن اسحاق التسترى ثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا محمد بن الحسن الأسدى ثنا ابراهيم بن طهمان عن أبى الزبير عن عمير مولى عبد الله بن عباس عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله (ص) من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال فانه غريب جداً وفى إسناده نظر والله أعلم . وقال البخارى ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا اسماعيل ثنا ابن جريج أخبرنى عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتنى أرى رسول الله (ص) حين ينزل عليه ، قال فبينا رسول الله (ص) بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه اعرابى عليه جبة متضمخ بطيب ، قال فأشار عمر بن الخطاب الى يعلى بيده أن تعال فجاء يعلى فادخل رأسه فاذا النبى (ص) محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال « أين الذى يسألنى عن العمرة آنفا ؟ » فالتمس الرجل فأتى به ، قال « أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة فانزعها ثم اصنع فى عمرتك كما تصنع فى حجك » ورواه مسلم من حديث ابن جريج وأخرجاه من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به . وقال الامام احمد ثنا أبو أسامة أنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : دخل رسول الله (ص) عام الفتح من كداء من أعلى مكة ودخل فى العمرة من كدى . وقال أبو داود ثنا موسى أبو سلمة ثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله (ص) وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت ثلاثا ومشوا أربعاً وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى . تفرد به أبو داود ورواه أيضاً وابن ماجه من حديث ابن خثيم عن أبى الطفيل عن ابن عباس مختصرا . وقال الامام احمد ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج حدثنى الحسن بن مسلم عن طاوس أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال قصرت عن رسول الله (ص) بمشقص أو قال : رأيته يقصر عنه بمشقص عند المروة . وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث ابن جريج به . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن هشام ابن حجير عن طاوس عن ابن عباس عن معاوية به . ورواه أبو داود والنسائى أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به . وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنى عمرو بن محمد الناقد ثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس عن معاوية قال : قصرت عن رأس رسول الله (ص) عند المروة . والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون فى عمرة الجعرانة وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صد عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله (ص) بل خرجوا منها ، وتغيبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التى كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق ، فتعين أن هذا التقصير الذى تعاطاه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما من رأس رسول الله (ص)

عند المروة إنما كان فى عمرة الجعرانة كما قلنا والله تعالى أعلم . وقال محمد بن اسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله (ص) من الجعرانة معتمراً وأمر ببقاء الفئ فحبس بمجنة بناحية مر الظهران .

قلت : الظاهر أنه عليه السلام انما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة . قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله (ص) من عمرته انصرف راجعاً الى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن . وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله (ص) خلف معاذا مع عتاب بمكة قبل خروجه الى هوازن ثم خلفهما بها حين رجع الى المدينة . وقال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال لما استعمل رسول الله (ص) عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقنى رسول الله (ص) درهما كل يوم فليست لى حاجة الى أحد . قال ابن اسحاق : وكانت عمرة رسول الله (ص) فى ذى القعدة وقدم المدينة فى بقية ذى القعدة أو فى أول ذى الحجة . قال ابن هشام : قدمها لست بقين من ذى القعدة فيما قال أبو عمرو المدينى . قال ابن اسحاق : وحج الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهى سنة ثمان . قال وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

إسلام كعب بن زهير بن ابي سلمى وذكر قصيدته : بانت سعاد

قال ابن اسحاق : ولما قدم رسول الله (ص) من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى الى أخيه لابويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله (ص) قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وأن من بقى من شعراء قريش ، ابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب هربوا فى كل وجه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله (ص) فانه لا يقتل أحداً جاءه تائباً وإن أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض . وكان كعب قد قال :

ألا بلّغا عني بُجَيْراً رسالةً ... فويحكَ [1] فيما قلتَ ويحكَ هل لكا

فبيّنْ لنا إن كنتَ لستَ بفاعلٍ ... على أي شيء غيرُ ذلك دلّكا

على خُلُق لم ألفَ يوماً أباً له ... عليه وما تلفى عليه أباً لكا

فانْ أنتَ لم تفعل فلستُ بآسف ... ولا قائلٍ إمّا عثرتَ لَعاً لكا

---

(١) كذا فى الاصل وفى ابن هشام والتيمورية فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

سقاكَ بها المأمونُ كأسا رويّةً فأنهلكَ المأمونُ منها وعلّكا

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

من مبلغٌ عني بجيراً رسالة فهل لك فيما قلتَ بالخيفِ هل لكا
شربتَ مع المأمونِ كأسا رويّةً فأنهلكَ المأمونُ منها وعلّكا
وخالفتَ أسباب الهدى واتبعتَه على أي شيءٍ ويْبَ غيرك دلكا
على خُلُق لم تلفَ أمّاً ولا أباً عليه ولم تُدرِكْ عليهِ أخاً لكا
فانْ أنتَ لم تفعل فلستُ بآسف ولا قائلٍ إمّا عثرتَ لعاً لكا

قال ابن اسحاق : و بعث بها إلى بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله (ص) فأنشده إياها ، فقال رسول الله (ص) لما سمع سقاك بها المأمون « صدق و إنه لكذوب أنا المأمون » ولما سمع على خلق لم تلف أماً ولا أباً عليه قال « أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه » قال ثم كتب بجير إلى كعب يقول له :

من مبلغٌ كعباً فهل لكَ فى التي تلوم عليها باطلاً وهي أحزَم
إلى الله لا العزّى ولا اللاتِ وحدَه فتنجُو إذا كان النَّجاءُ وتسلم
لدى يومَ لاينجو وليس بمفلتٍ من الناس إلا طاهرُ القلبِ مسلم
فدين زهيرٍ وهو لا شيءٌ دينُه ودينُ أبي سُلمى عليّ محرّم

قال فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه وقالوا هو مقتول ، فلما لم يجد من شيء بداً قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله (ص) وذكر فيها خوفه و إرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه و بينه معرفة من جهينة كما ذكر لى فغدا به الى رسول الله (ص) فى صلاة الصبح فصلى مع رسول الله (ص) ثم أشار له إلى رسول الله (ص) فقال هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه ، فذكر لى أنه قام الى رسول الله (ص) فجلس اليه ووضع يده فى يده ، وكان رسول الله (ص) لا يعرفه فقال : يارسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله (ص) « نعم » فقال . إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير . قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الانصار فقال : يا رسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه ؟ فقال رسول الله (ص) « دعه عنك فانه جاء تائباً نازعاً » قال فغضب كعب بن زهير على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله (ص) :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	متيم عندها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة	لا يشتكي قصر منها ولا طول (١)
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت	كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذي شبم من ماء محنية	صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه	من صوب سارية بيض يعاليل
فيالها خلة لو أنها صدقت	بوعدها أو لو ان النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها	فجع وولع وإخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها	كما تلون في أثوابها الغول
وما تمسك بالعهد الذي زعمت	الا كما يمسك الماء الغرابيل
فلا يغرنك ما منت وما وعدت	ان الأماني والاحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا	وما مواعيدها الا الأباطيل
أرجو وآمل أن تدنو مودتها	وما لهن إخال الدهر تعجيل
أمست سعاد بأرض لا تبلغها	الا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها إلا عذافرة	فيها على الأين إرقال وتبغيل
من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت	عرضتها طامس الاعلام مجهول
ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق	اذا توقدت الحزان والميل
ضخم مقلدها فعم مقيدها	في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
حرف أخوها أبوها من مهجنة	وعمها خالها قوداء شمليل
يمشي القراد عليها ثم يزلقه	منها لبان وأقراب زهاليل
عيرانة قذفت بالنحض عن عرض	مرفقها عن بنات الزور مفتول
قنواء في حرتيها للبصير بها	عتق مبين وفي الخدين تسهيل
كأنما فات عينيها ومذبحها	من خطمها ومن اللحيين برطيل
تمر مثل عسيب النخل ذا خصل	في غارز لم تخونه الأحاليل
تهوي على يسرات وهي لاهية	ذوابل وقعهن الارض تحليل
يوماً تظل به الحرباء مصطخدا	كأن ضاحيه بالشمس محلول

(١) لم يورد المصنف هذا البيت واختصر بعض أبيات ، مع التقديم والتأخير وهي مشهورة فلتراجع.

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت   وُرقُ الجنادب يركضن الحصا قيلوا
أوبَ يدَى ناقدٍ شمطاءَ معولةٍ   قامت فجاوبها نُكدٌ مثاكيل
نوّاحةٌ رخوةُ الضبعين ليس لها   لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبانَ بكفيها ومدرعها   مشقّقٌ عن تراقيها رعابيل
تسعى الغواةُ جنابيها وقولهم   إنك يا ابنَ أبي سلمى لمقتول
وقال كل صديقٍ كنتُ آمله   لا أُلهينّك إني عنك مشغول
فقلتُ خلّوا سبيلي لا أبا لكم   فكل ما قدّر الرحمنُ مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته   يوماً على آلةٍ حدباء محمول
نُبئت أن رسولَ الله أوعدني   والعفوُ عند رسول الله مأمول
مهلاً هداكَ الذى أعطاكَ نافلةَ الـ   ـقرآن فيه مواعيظٌ وتفصيل
لا تأخذنّي بأقوال الوشاة ولم   أُذنب ولو كثرتْ فيَّ الأقاويل
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به   أرى وأسمع ما قد يسمع الفيل
لظلّ يُرعَدُ من وجدٍ بوارده   من الرسول بإذن الله تنويل
حتى وضعتُ يمينى ما أنازعها   فى كفّ ذى نقمات قوله القيل
فلهوَ أخوفُ عندى إذ أكلمه   وقيلَ إنك منسوبٌ ومسئول
من ضيغمٍ بضراء الأرض مخدرة   فى بطن عثّرَ غيلٌ دونه غيل
يغدو فيُلحم ضرغامين عيشهما   لحمٌ من الناس معفورٌ خراذيل
إذا يساور قرناً لا يحلّ له   أن يترك القرنَ إلا وهو مفلول
منه تظلّ حمير الوحش نافرةً   ولا تمشّي بواديه الأراجيل
ولا يزالُ بواديه أخو ثقة   مضرّجَ البز والدرسان مأكول
إن الرسولَ لنورٌ يُستضاء به   مهنّدٌ من سيوف الله مسلول
فى عُصبةٍ من قريشٍ قال قائلهم   ببطن مكةَ لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُف   عند اللقاء ولا ميلٌ معازيل
يمشون مشيَ الجمال الزُهرِ يعصمهم   ضربٌ إذا عرّدَ السودُ التنابيل
شُمُّ العرانينِ أبطالٌ لبوسهم   من نسج داودَ فى الهيجا سرابيل
بيضٌ سوابغُ قد شُكّت لها حلَقٌ   كأنها حلَقُ القفعاء مجدول
ليسوا مفاريحَ إن نالت رماحهم   قوماً وليسوا مجازيعاً اذا نيلوا

لا يقعُ الطعنُ الا فى نحورهم ولا لهمْ عن حِياضِ الموتِ تهليل

قال ابن هشام هكذا أورد محمد بن اسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً ، وقد رواها الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة باسناد متصل فقال انا أبو عبد الله الحافظ انا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن ابن أحمد الاسدى بهمذان ثنا ابراهيم بن الحسين ثنا ابراهيم بن المنذر الحزامى ثنا الحجاج بن ذى الرقيبة ابن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبى سلمى عن أبيه عن جده قال : خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزاف فقال بجير لكعب أثبت فى هذا المكان حتى آتى هذا الرجل - يعنى رسول الله (ص) - فأسمع ما يقول فثبت كعب وخرج بجير فجاء رسول الله (ص) فعرض عليه الاسلام فاسلم فبلغ ذلك كعباً فقال .

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالةً على أى شئ ويبَ غيرِك دلّكا
على خُلُق لم تلفِ أماً ولا أباً عليه ولم تُدرك عليه أخالكا
سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويّة وأنهلك المأمونُ منها وعلّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله (ص) أهدر دمه وقال « من لقى كعباً فليقتله » فكتب بذلك بجيرا إلى أخيه وذكر له أن رسول الله (ص) قد أهدر دمه ويقول له النجاء وما أراك تنفلت ، ثم كتب اليه بعد ذلك إعلم أن رسول الله (ص) لا يأتيه أحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله الا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك فاذا جاءك كتابى هذا فاسلم وأقبل ، قال فاسلم كعب وقال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله (ص) ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله (ص) ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم متحلقون معه حلقة خلف حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم قال كعب : فأنخت راحلتى بباب المسجد فعرفت رسول الله (ص) بالصفة حتى جلست اليه فأسلمت وقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك محمد رسول الله الأمان يارسول الله ، قال « ومن أنت ؟ » قال كعب بن زهير ، قال « الذى يقول » ثم التفت رسول الله (ص) فقال « كيف قال يا أبا بكر ؟ » فانشده أبو بكر .

سقاك بها المأمون كأسا روية وأنهلك المأمون منها وعلكا

قال يارسول الله ما قلت هكذا ، قال « فكيف قلت ؟ » قال قلت :

سقاك بها المأمون كأسا روية وأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله (ص) مأمون والله ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهى هذه القصيدة

بانت سعاد فقلبي اليومَ متبول متيَّم عندها لم يفدَ مكبول

وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن اسحاق والبيهقى رحمهما الله عز وجل

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :

إن الرسولَ لنورٌ يُستضاء به ... مهندٌ من سيوف الله مسلول

نُبئتُ أن رسولَ الله أوعدَنى ... والعفوُ عندَ رسولِ الله مأمول

قال : فأشار رسول الله (ص) إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة فى مغازيه ولله الحمد والمنة .

قلت : ورد فى بعض الروايات أن رسول الله (ص) أعطاه بردته حين أنشده القصيدة وقد نظم ذلك الصرصرى فى بعض مدائحه وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الاثير فى الغابة قال وهى البردة التى عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الامور المشهورة جداً ولكن لم أر ذلك فى شئ من هذه الكتب المشهورة باسناد أرتضيه فالله أعلم . وقد روى أن رسول الله (ص) قال له لما قال بانت سعاد ومن سعاد ؟ قال زَوْجتى يارسول الله ، قال لم تبن ولكن لم يصح ذلك وكأنه على ذلك توهم أن بأسلامه تبين امرأته والظاهر أنه إنما أراد البينونة الحسية لا الحكمية والله تعالى اعلم . قال ابن اسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب ـ يعنى فى قصيدته ـ اذا عرد السود التنابيل وانما يريدنا معشر الانصار لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين من قريش بمدحته غضبت عليه الانصار فقال بعد أن أسلم يمدح الانصار ويذكر بلاءهم من رسول الله (ص) وموضعهم من اليمن :

مَن سَره كرمُ الحياة فلا يزل ... فى مِقْنب من صالحي الأنصار

ورثوا المكارمَ كابراً عن كابرٍ ... إن الخيارَ هموا بنوا الاخيار

المكرِ هينَ السمهريَّ بأذرُعٍ ... كسوالفِ الهنديِّ غيرِ قصار

والناظرينَ بأعينٍ محمرةٍ ... كالجمرِ غيرِ كليلةِ الأبصار

والبائعينَ نفوسَهم لنبيِّهم ... للموتِ يومَ تعانُقٍ وَكِرارِ

[والقائدينَ الناس عن أديانهم ... بالمشرفيِّ وبالقَنا الخطار]

يتطهرونَ يَرونَه نُسكاً لهم ... بدماءِ من عَلِقوا من الكفار

دَربوا كما دَربتْ بطونُ خفيةٍ ... غلبُ الرقاب من الأسودِ ضوارى

واذا حلتَ ليمنعوك اليهمُ ... أصبحتَ عند معاقلِ الأغفار

ضربوا عليّـا يوم بدرٍ ضربةً ... دانتْ لوقعتِها جميعُ نزار

لو يعلمُ الأقوامُ علمي كلَّه ... فيهمْ لصدَّقنى الذين أمارى

قومٌ إذا خوَتِ النجومُ فإنهم ... للطارقينَ النازلينَ مَقارى

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله (ص) قال له حين أنشده بانت سعاد « لولا ذكرت الانصار بخير فانهم لذلك أهل » فقال كعب هذه الأبيات وهى فى قصيدة له قال وبلغنى عن على بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله (ص) فى المسجد بانت سعاد فقلبي اليوم متبول . وقد رواه الحافظ البيهقي باسناده المتقدم إلى ابراهيم بن المنذر الحزامى حدثنى معن بن عيسى حدثنى محمد بن عبد الرحمن الأفطس عن ابن جدعان فذكره وهو مرسل . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله فى كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب بعد ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً فى طبقته هو وأخوه بجير وكعب أشعرهما وأبوهما زهير فوقهما ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنت أَعجبُ من شيءٍ لأعجبني ... سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القَدَر

يسعى الفتى لأُمورٍ ليس يُدركها ... فالنفسُ واحدةٌ والهمُّ منتشر

والمرءُ ما عاشَ ممدودٌ له أملٌ ... لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الأَثَر

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ولم يؤرخ وفاته ، وكذا لم يؤرخها أبو الحسن بن الأثير فى كتاب الغابة فى معرفة الصحابة ولكن حكى أن أباه توفى قبل المبعث بسنة فالله أعلم . وقال السهيلي ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله (ص) :

تجري به الناقةُ الأَدماءُ معتَجِرا ... بالبُرْدِ كالبدرِ جَلّى ليلةَ الظُلَمِ

ففى عِطافيه أو أثناءَ بُرْدَتِهِ ... ما يعلَمُ اللهُ من دِينٍ ومن كَرَمِ

الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فكان فى جمادى منها وقعة مؤتة ، وفى رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها فى شوال غزوة هوازن بحنين ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجعرانة فى ذى القعدة ، ثم عاد إلى المدينة فى بقية السنة . قال الواقدى : رجع رسول الله (ص) إلى المدينة لليالى بقين من ذى الحجة فى سفرته هذه . قال الواقدى : وفى هذه السنة بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابنى الجلندى من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدها ومن حولها من الأعراب ، قال وفيها تزوج رسول الله (ص) فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابى فى ذى القعدة فاستعاذت منه عليه السلام ففارقها ، وقيل بل خيرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال وفى ذى الحجة منها ولد ابراهيم ابن رسول الله (ص) من مارية القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً وكانت قابلتها فيه سلمى

مولاة رسول الله (ص)، فخرجت الى أبى رافع فأخبرته فذهب فبشر به رسول الله (ص) فاعطاه مملوكا ودفعه رسول الله (ص) الى أم برة بنت المنذر بن أسيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول، وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء فى هذه الوقائع وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذى كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف وذلك لخمس بقين من رمضان منها. قال الواقدى: وفيها كان هدم سواع الذى كانت تعبده هذيل برهاط، هدمه عمرو بن العاص رضى الله عنه ولم يجد فى خزانته شيئاً، وفيها هدم مناة بالمشلل وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه هدمه سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه وقد ذكرنا من هذا فصلا مفيدا مبسوطا فى تفسير سورة النجم عند قوله تعالى [أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى

قلت: وقد ذكر البخارى بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذى كانت تعبده ويسمونه الكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التى بمكة ويسمون التى بمكة الكعبة الشامية ولتلك الكعبة اليمانية فقال البخارى: ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو أسامة عن اسماعيل بن ابى خالد عن قيس عن جرير قال قال لى رسول الله (ص) «ألا تريحنى من ذى الخلصة؟» فقلت بلى فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبى (ص) ،فضرب يده فى صدرى حتى رأيت أثر يده فى صدرى وقال «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» قال فما وقعت عن فرس بعد. قال وكان ذوالخلصة بيتا باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية. قال فأتاها فحرقها فى النار وكسرها، قال فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالازلام فقيل له إن رسول رسول الله (ص) هاهنا فان قدر عليك ضرب عنقك، قال فبينما هو يضرب بها اذ وقف عليه جرير فقال لتكسرنها وتشهد أن لا اله الا الله أو لأضربن عنقك؟ فكسرها وشهد. ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أرطاة الى النبى (ص) يبشره بذلك، قال فلما أتى رسول الله (ص) قال: يارسول الله والذى بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال فبارك رسول الله (ص) على خيل أحمس ورجالها خمس مرات. ورواه مسلم من طرق متعددة عن اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله البجلى بنحوه.

تم والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات الجزء الرابع من تاريخ البداية والنهاية لابن كثير ويتلوه الجزء الخامس وأوله ذكر غزوة تبوك فى رجب منها

فهرس الجزء الرابع

من البداية والنهاية

